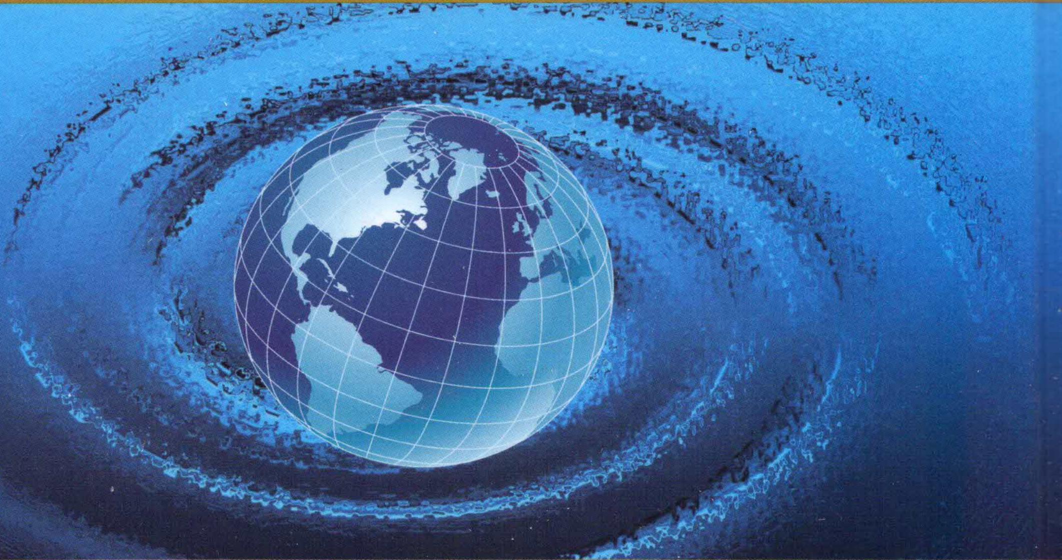


د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

حركة العصر الجديد

مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها



تُعد حركة «العصر الجديد» من أخطر الدعوات الباطنية المعاصرة، وهي الجسر الذي يعبر عليه غيرها من الدعوات القديمة ، فقد استبشر بتطبيقات هذه الحركة غلاة الصوفية وأصحاب الفكر الباطني في العالم الإسلامي ، وهذه الحركة وتطبيقاتها موغلة في الخداع، ومبالغة في التلبيس، حتى انخدع بدعواتها من هو متعمق في العلوم الطبيعية ،كما أسهم تبني عدد من كبار الإعلاميين، والمشاهير الغربيين، لمعتقدات الحركة، والترويج لها - في انتشار فكر الحركة ومبادئها ، ولم تأت حركة «العصر الجديد» - في الواقع - بمذهب جديد ، وإنما لفقت مذاهب ومعتقدات متنوعة وأسهمت «حركة العصر الجديد» في انتشار ما اصطُلح على تسميته بالديانات الوثنية الحديثة ، وهي صور حديثة ومطورة لديانات قديمة ، بعثت في هيئة جديدة ، ولقد تتابع التأليف في أوروبا وأمريكا عن حركة «العصر الجديد» وعن تطبيقاتها المختلفة ، ما بين مؤيد لها ومعارض ، وتعالت أصوات الكنيسة في التحذير من مغبة التورط في دوامة تلك التطبيقات ، كما حذر عقلاء الغرب وعلماؤهم من خطورة الخلط بين تلك المفاهيم الباطلة، والعلوم التجريبية الصحيحة ، إلا أن هذا التحذير لم يصل بعد إلى العالم العربي والإسلامي - بل لا تزال الجهود قليلة في مدافعة هذا الخطر الداهم ، ولما كان الخطر ذا تعلق ظاهر بالاعتقاد كان لزاماً على أهل الاختصاص التصدي له ، ومواجهته قبل أن تعم به البلوى، ويستفحل انتشاره، ولات حين مندم ، ومن هنا يأتي دور هذه الأطروحة، كجهد مقل يسعى لإبانة الخطر، والتحذير منه ...



د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

حركة العصر الجديد

مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها



المملكة العربية السعودية - ص.ب ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥
هاتف : ٦٢٨٨٦٨٥ ٢ (٩٦٦+) فاكس : ٢٧١٨٢٣٠ ٢ (٩٦٦+)
www.taseel.com-taseel@taseel.com



حركة العصر الجديد

مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة العصر الجديد

مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها

تأليف

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

مركز التاصيل للدراسات والبحوث
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

تصميم الغلاف: مركز التاصيل

الحجم: ١٧×٢٤سم

التجليد: غلاف

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار جسر التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٢ ٩٦٦ +   ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.com

بريد إلكتروني: taseel@taseel.com

مقدمة المشرف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإنّ الديانات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية والعقائد الغنوصية والاتجاهات الباطنية لازالت تتجلى في مظاهر متجددة وممارسات متنوعة وبأسماء مختلفة، ومن ذلك ما يعرف بحركة «العصر الجديد» التي ظهرت في الغرب في العقود المتأخرة وانتشرت في أرجاء العالم عبر تطبيقات كثيرة، اغتر بها طائفة من أبناء المسلمين. ويأتي هذا البحث ليكشف جذور هذه الحركة والفلسفات التي أسهمت في نشأتها، ويوضح مصادرها وأبرز شخصياتها، ويبين ما تتضمنه من عقائد، مثل وحدة الوجود وتناسخ الأرواح وتأليه الإنسان والقول بالنسبية المطلقة في الحقائق والقيم. كما يجلي توظيفاتها الفاسدة لبعض مخرجات وتقنيات العلوم النفسية والعلم التجريبي. وقد تناول هذا البحث أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» التي تمرر من خلالها ممارسات منحرفة تهدم أسساً عقدية وأحكاماً شرعية. ولقد بذلت الباحثة ـ وفقها الله تعالى ـ جهدها في خوض غمار هذا الموضوع وتجلية مسائله بما يجعل بحثها أصيلاً في بابه. ومما يمتاز به هذا البحث:

- أن الباحثة ـ بارك الله جهدها ـ رجعت ونقلت مباشرة من مصادر هذا الموضوع التي كتبت باللغة الأجنبية.
- أنّ هذا الموضوع لم يتم تناوله بهذه الشمولية وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة في بحوث سابقة. فكثير مما تطرق إليه من مسائل وتطبيقات لا يكاد القارئ يجد من تناولها بالتفنيد والرد.

ومع ذلك فإنّ تلك المسائل والممارسات والتطبيقات المنحرفة لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات والردود المؤصلة، حفاظاً على جناب التوحيد، وصفاء العقيدة. أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يبارك في جهد الباحثة، ويسدد خطاها، ويعظم لها المثوبة، وأن يجعلها من أنصار دينه، إنّه على كل شيء قدير.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ. د. سليمان بن صالح الغصن
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **وبعد:**

فقد مرت الأمة الإسلامية بمراحل عصيبة عبر تاريخها الطويل، تعرَّض فيها أبناؤها إلى هجوم عقدي متواصل، يشتد في بعض الأزمنة، ويضعف في بعضها الآخر. وكلما حل بالأمة فتنة، أو ألمَّ بها خطب ـ تصدَّى له أعلامها وعلماؤها، وبذلوا في دفع الشر عنها أنفسهم، وأموالهم، وأوقاتهم النفيسة، فاجتهدوا في بيان الحق، وتقرير التوحيد؛ ليُعبد الله على بصيرة؛ وليتحصَّن المسلمون بالعقيدة الصافية الصحيحة ضد كل ما قد يشوب التوحيد. غير أن أعلام الأمة وجهابذتها لم يقتصروا على تقرير العقائد وتبيان السُّنَّة عندما تدعو الحاجة إلى بيان الباطل والتحذير منه ـ خاصة عند عموم البلوى، أو الانخداع بالشر ـ بل قاموا بالرد على مقالات المخالفين، وتفنيد شبههم، وكشف حيلهم ومخططاتهم.

فكما ألَّف الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رده على الجهمية، وكشف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ شبهات مشركي زمانه، كذلك علماء الإسلام يتصدون لكل دعوة باطلة تهدد حصون الدين.

ولما كان الذب عن العقيدة، وحماية حوزة التوحيد بالرد على المخالفين ـ من فروض الكفايات التي تتعلق بذمم القادرين، لزم على أولئك حمل تلك الأمانة، وتكبد ما يرافقها من مشاق، فالرد المؤصل على المذاهب المخالفة

يتطلب ـ بلا شك ـ معرفة صحيحة بمقالات أصحابها، واستبانة سبيل المجرمين؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

أما في الأزمنة المعاصرة فقد عظم الخطب، واستفحل الشر، وذلك مع الانفتاح التقني والثقافي الذي يشهده العالم بأسره، والذي أصبح الضحية فيه من لا يملك آلة التأثير والقوة الاقتصادية أو العسكرية، فسادت ثقافة أحادية تصدُر ـ في الغالب ـ عن العالم الغربي.

ولعل من أخطر تلك الدعوات ما كان يحمل السمات الباطنية، إذ إن ما عداه صريح العداء ظاهر البطلان، يمكن للمسلم كشف مخالفته وتعارضه مع مبادئ الدين بكل يسر وسهولة، أما الدعوة الباطنية فهي السم المدسوس بالعسل، وهي الخطر الذي يهدد أصول الدين، فيبطله من أساسه، ويحل محله اعتقادات ملفقة، وخرافات باطلة.

لقد كانت الدعوات الباطنية عبر العصور من أقبح الدعوات، وأشددها خطورة؛ لاعتمادها على الاستدراج والتلبيس، فالفكر الباطني لا يحده مكان أو زمان، ولا يفرق بين دين حق وآخر باطل، بل يهدم كل الثوابت والمسلّمات، ويُخضعها للأهواء والخرافات، ورغم ظهور بطلان هذا المذهب الخبيث، إلا أن أساليب الدعوة إليه وترويجه كانت مما أسهم في انتشاره على مر العصور، وليس هذا الزمن استثناء من ذلك العموم.

يتعارض الفكر الباطني مع الأصول العامة لأغلب ديانات الأرض، ولذلك لم يزل قساوسة أهل الكتاب يعلنون حربهم على الاتجاهات الباطنية التي تسربت إلى دياناتهم المحرفة، ويسعون جاهدين لتحذير رعاياهم من خطر الانخراط في دعواتهم المشبوهة. فإذا كان هذا حال أولئك مع تلك الحركات الهدامة، فحري بأهل الحق التصدي لها بكل قوة ووضوح كما كان حال أسلافهم. ولا يستقيم التصدي للفكر الباطني إلا من خلال التعرف عليه، من حيث أصله، وقواعده، وأساليبه الحديثة؛ ليتسنى دفعه على بصيرة، والتفطن لحيله، ومكائده اللطيفة.

تُعد حركة «العصر الجديد» من أخطر الدعوات الباطنية المعاصرة، وهي الجسر الذي يعبر عليه غيرها من الدعوات القديمة، فقد استبشر بتطبيقات هذه الحركة غلاة الصوفية وأصحاب الفكر الباطني في العالم الإسلامي، والذين كانوا

قد ينسوا من نشر معتقداتهم في قلب الجزيرة العربية، فجاءت هذه الحركة مطية لأهدافهم، وخادماً لأغراضهم. ومما زاد في خطورة هذه الحركة وتطبيقاتها توغلها في الخداع، ومبالغتها في التلبيس، حتى انخدع بدعواتها من هو متعمق في العلوم الطبيعية، فقد سترت معتقداتها الباطنية بعبارات منمقة، ودراسات «علمية» في مجالات مختلفة كالإعلام، ووسائل الترفيه، والعلوم التطبيقية، والتقنيات النفسية، وغيرها، مما جعل لها أثراً واسعاً على شرائح متنوعة من المجتمع، كما أسهم تبني عدد من كبار الإعلاميين، والمشاهير الغربيين، لمعتقدات الحركة، والترويج لها ـ في انتشار فكر الحركة ومبادئها.

لم تأت حركة «العصر الجديد» ـ في الواقع ـ بمذهب جديد، وإنما لفقت مذاهب ومعتقدات متنوعة ـ بعضها ضارب في القدم ـ في قالب روحاني وعملي «جديد»، فهي لا تعتمد على عقيدة مركزية موحدة وإنما تقدم خليطاً من المبادئ الروحية، والباطنية، والعلوم الكونية، والتنجيم، وغير ذلك، بالإضافة إلى عدد من الطقوس الدينية. ويهدف أتباعها إلى التوصل للحقيقة الكونية، وتحقيق أعلى درجات القدرات البشرية الكامنة من خلال تطبيقاتها، ومما تتميز به هذه الحركة هو السعي إلى اكتساب الروحانية الباطنية دون التقيّد بالعقائد الدينية السائدة.

لقد أسهمت «حركة العصر الجديد» في انتشار ما اصطُلح على تسميته بالديانات الوثنية الحديثة، وهي صور حديثة ومطورة لديانات قديمة، بعثت في هيئة جديدة، وأصبح لها شيع وأتباع يسعون جاهدين لإذاعة معتقداتهم، وبثها عبر كل ما يملكون من وسائل النشر والتأثير. ونتيجة لهذا السعي المنظم الحثيث حصل التقبل التدريجي من قبل المجتمعات الغربية لتلك المعتقدات الغريبة على ثقافتهم التي تغلب عليها المعتقدات الكتابية، ومن ثم بدء تسربها إلى العالم الإسلامي من خلال تطبيقاتها المتنوعة، والتي يتطرق لها هذا البحث.

لقد تتابع التأليف في أوروبا وأمريكا عن حركة «العصر الجديد» وعن تطبيقاتها المختلفة، ما بين مؤيد لها ومعارض، وتعالت أصوات الكنيسة في التحذير من مغبة التورط في دوامة تلك التطبيقات، كما حذر عقلاء الغرب وعلماؤهم من خطورة الخلط بين تلك المفاهيم الباطلة، والعلوم التجريبية الصحيحة، إلا أن هذا التحذير لم يصل بعد إلى العالم العربي والإسلامي ـ بل

لا تزال الجهود قليلة في مدافعة هذا الخطر الداهم[١] ولما كان الخطر ذا تعلق ظاهر بالاعتقاد كان لزاماً على أهل الاختصاص التصدي له، ومواجهته قبل أن تعم به البلوى، ويستفحل انتشاره، ولات حين مندم.

ومن هنا يأتي دور هذه الأطروحة، كجهد مقل يسعى لإبانة الخطر، والتحذير منه.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى أهمية دراسة المذاهب المعاصرة عموماً، وهي تكمن في ضرورة استبانة سبيل المجرمين؛ للتحذير منه على علم وبصيرة ضمن منهج قويم، وفي الحاجة إلى فقه الواقع الذي ينبني عليه تحقيق مناط الحكم الشرعي.

أما عن الأسباب الداعية لاختيار الموضوع فأذكر منها ما يلي:

١ - القيام بواجب الدعوة إلى الله، والإسهام - بحسب الوسع - في حماية جناب التوحيد، والتحذير من العقائد الباطلة، والطقوس الوثنية في صورها المعاصرة.

٢ - الإسهام في منع انتشار العقائد الباطنية المعاصرة - متمثلة بـ«حركة العصرالجديد» - في البلدان الإسلامية، والتي تتخذ صوراً قد لا يتنبه لها عموم المسلمين.

٣ - ضرورة الكشف عن المذاهب التي مهدت لانتشار العقائد الباطنية المعاصرة، والتحذير من اتِّباع سنن الضَّالِّين.

٤ - وجوب إبراز آثار «حركة العصر الجديد» وتطبيقاتها في الواقع، وربطها بأصولها العقدية؛ وذلك ليتسنى لأهل الاختصاص التصدي لها، والعمل على تنقية المجتمع منها.

---

(١) يوجد موقعان إلكترونيان على شبكة الإنترنت اختصا بالرد على حركة «العصر الجديد»، والتصدي لفكرها وتطبيقاتها، ورغم الجهود الجبارة التي يبذلها أصحاب هذين الموقعين، ودورهما الكبير في مدافعة الباطل، إلا أن الحاجة لا زالت ماسة للمزيد. تصفح:
موقع الفكر العقدي الوافد: www.alfowz.com تحت إشراف: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، ولها كتابات ودورات كثيرة في هذا المجال، ولعلها أول من تنبه لهذا الخطر في الخليج العربي.
موقع سبيلي: www.sabeily.com تحت إشراف: أ. رامي عفيفي، وله جهود بارزة في القنوات الفضائية المصرية.

٥ ـ انخداع العوام ـ بل وبعض طلبة العلم ـ بتطبيقات «حركة العصر الجديد» وعدم التنبه لما تتضمنه من خطر على الدين والاعتقاد.

٦ ـ ضرورة التصدي المبكر للدعوات الوثنية المعاصرة المضمنة في تطبيقات حركة «العصر الجديد» قبل انتشارها في المجتمعات الإسلامية عبر وسائل متنوعة، وغير مباشرة.

٧ ـ عدم وجود بحوث متخصصة كافية تعنى بالدراسة النقدية لـ«حركة العصر الجديد» في ضوء العقيدة الإسلامية رغم ظهور آثارها.

أهداف البحث:

يمكن تحديد أهداف البحث ـ إجمالاً ـ من خلال النقاط التالية:

١ ـ إبانة حقيقة حركة «العصر الجديد»، ووسائل انتشارها، مع توضيح العوامل التي أسهمت في ظهورها وتبلور أفكارها.

٢ ـ الكشف عن آثار حركة «العصر الجديد» في جوانب الحياة المختلفة، ومدى تأثر العالم الإسلامي بها.

٣ ـ نقد حركة «العصر الجديد» من الناحية العقدية المتخصصة.

٤ ـ إطلاع المختصين على حقيقة حركة «العصر الجديد» وآثارها؛ ليقوم كل منهم بواجبه في مواجهة الخطر على بصيرة ودراية.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والبحث لم أجد رسالة علمية (باللغة العربية) تطرقت لحركة «العصرالجديد»، وإن كانت توجد رسائل أو بحوث تعتبر دراسات سابقة لبعض مفرداته، وهي كالتالي:

١ ـ بحث محكَّم بعنوان: حركة العصر الجديد ـ دراسة لجذور الحركة، وفكرها العقدي، ومخاطرها على الأمة الإسلامية. للباحثة: د. فوز كردي، نُشر في مجلة جامعة أم القرى ١٤٣١هـ، واختارته الجمعية العلمية السعودية للدراسات العقدية ليكون الإصدار الثاني من سلسلة إصداراتها العلمية، كلية الشريعة بالقصيم ١٤٣٢هـ. وهو بحث يعرف بالحركة ونشأتها وجذورها التاريخية، وأهم مبادئها ومعتقداتها، كما يعرف بطرق نشر الفكر وأبرز برامجه التطبيقية، ويبرز مخاطر الحركة وفكرها على الأمة. ويقع البحث في

خمسين صفحة مما يجعله مرجعاً يفتح المجال أمام الباحثين لأبحاث أكثر توسعاً ومعالجة لأبعاد الموضوع، وقد كان هذا من توصيات الباحثة في خاتمته.

٢ ـ رسالة ماجستير للباحثة بعنوان: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية ـ دراسة عقدية، قُدِّمت عام ١٤٢٨هـ، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ـ وفي هذه الرسالة تفصيل لجانب من تطبيقات حركة «العصر الجديد» ـ وهو الصحة والاستشفاء ـ دون التطرق لغيره.

منهج البحث:

١ ـ اتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي الوصفي الاستقرائي.

٢ ـ اعتمدت المراجع الأصلية، والبحوث العلمية المعتمدة من الجهات المختصة ما أمكن.

٣ ـ رجعت للمواقع الإلكترونية الرسمية للأشخاص والجهات عند الحاجة إلى توثيق المعلومات، وفي حالات نادرة أحلت إلى مواقع غير رسمية للاستشهاد، لا للتوثيق.

٤ ـ قمت بعزو الآيات القرآنية أو أجزائها إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٥ ـ قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية:

ـ فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به.

ـ وما لم أجده فيهما خرجته من حيث وجدته في الكتب الستة.

ـ فإن لم أجده في أي منها خرجته من مصدر أو مصدرين من كتب السُّنَّة.

ـ أذكر ـ عند الأحاديث التي ليست في الصحيحين ـ شيئاً من أقوال أهل العلم المتقدمين أو المتأخرين في بيان درجة الحديث من حيث الصحة أو عدمها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٦ ـ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث عند أول موضع يرد ذكرهم فيه، باستثناء الأنبياء، والرسل، والمشاهير، والأعلام الذين تم التعريف بهم في أصل البحث، كما استثنيت من ذلك الشخصيات التي ورد ذكر أسماؤها في

الفصل الأخير[١].

٧ ـ قمت بالتعريف الموجز بالفرق، والمذاهب، والحركات، والأديان غير السماوية الواردة في البحث، واستثنيت منها ما عُرِّف في أصله.

٨ ـ قمت بالتعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة، وغير الدارجة في التخصص.

٩ ـ أدرجت بعض الرسومات والأشكال التوضيحية عند الحاجة إلى ذلك دون الإحالة إليها في المتن، اكتفاء بموضعها والتعليق المكتوب في أسفلها.

١٠ ـ اقتصرت ـ عند التوثيق ـ على المعلومات الأساسية للمراجع (الكتاب ـ المؤلف: الجزء والصفحة)، وأثبت المعلومات التفصيلية عن بيانات النشر في فهرس المراجع والمصادر.

١١ ـ أوجزت الردود على بعض المسائل الظاهرة البطلان، وفصلت في نسبة المعتقد إلى أتباع حركة «العصر الجديد» في بعض المواضع، بما يتناسب مع طبيعة البحث والهدف منه[٢].

١٢ ـ منهجي في التعريب والترجمة:

ـ أثبت المراجع الأجنبية بنفس الطريقة التي استخدمتها في المراجع العربية فأذكر (الكتاب ـ المؤلف: الجزء والصفحة).

---

(١) الفصل الأخير هو خاص بآثار الحركة في وسائل الإعلام، ووسائل الترفيه، ولذلك سترد فيه قوائم مطولة من الكتب ومؤلفيها، ومن اللقاءات الصحفية والمقابلات التلفزيونية، والمواقع الإلكترونية، وغيرها. والأسماء المذكورة هناك ليست بالضرورة شخصيات معروفة، أو مؤثرة، وكثير منها يتعذر إيجاد ترجمة موثقة لها.

(٢) ذلك أن الإشكال الرئيس الذي نواجهه في مدافعة فكر حركة «العصر الجديد» ـ وأمثالها ـ في العالم الإسلامي ليس هو الشك في صحة المعتقدات الباطنية التي تتبناها، فإن تلك العقائد (كتناسخ الأرواح ووحدة الوجود) ـ في الجملة ـ يعلم بطلانها عوام الناس فضلاً عن العلماء وطلاب العلم، وقد أفردت في الرد المفصل على تلك المعتقدات عدد من البحوث والرسائل العلمية. وإنما يقع الإشكال في إثبات أن رموز حركة «العصر الجديد» يتبنون العقائد الباطنية ويدعون إليها، وأن تلك العقائد يتم الترويج لها عبر عدد من التطبيقات والوسائل المتنوعة، فإذا تم الربط بين العقيدة وبين التطبيقات المعاصرة لها، أدرك الناس خطرها وضرورة التحذير منها لعلمهم المسبق بانحراف الفكر الباطني الذي يتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ـ أثبت المراجع بلغتها الأصلية ليتم التمييز بينها وبين المراجع المترجمة، ثم قمت بترجمة عناوينها في فهرس المراجع الأجنبية.

ـ ما قمت بترجمته حرفياً وضعت نصه بين معكوفتين، وما ترجمته بالمعنى أحلت إلى أصله مسبوقاً بقولي: (انظر).

ـ عندما أنقل نصّاً عن أحد الكُتَّاب ممن عرب اللفظ الأجنبي بغير الصيغة التي اعتمدتها، أثبت الصيغة التي اعتمدت ووضعت بجانب اللفظ علامة (*) للتنبيه على اختلاف التعريب في النص الأصلي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

الباب الأول: مفهوم حركة «العصر الجديد»، ونشأتها، ومصادرها؛ وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم حركة «العصر الجديد» ونشأتها؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم حركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نشأة حركة «العصر الجديد» وأبرز شخصياتها.

الفصل الثاني: أبرز مصادر الأفكار والعقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، والفلسفات الممهدة لظهورها؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز مصادر العقائد الباطنية لحركة «العصر الجديد»؛ وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الديانات الوثنية القديمة.

المطلب الثاني: الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية.

المطلب الثالث: الغنوصية؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الغنوصية النصرانية المبكرة.

المسألة الثانية: الغنوصية في العصور الوسطى.

المطلب الرابع: الاتجاهات الصوفية في الإسلام.

المبحث الخامس: روحانية «العصر الجديد» والصحة الجسمية.

الفصل الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث؛ وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

تمهيد: النظريات الممهدة لإقحام عقائد حركة «العصر الجديد» في العلم التجريبي الحديث.

المبحث الأول: النظريات الحيوية لحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نظريات النسبية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الثالث: الفيزياء الكمية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: الاستنتاج الميتافيزيقي من خلال العلم التجريبي.

الفصل الثالث: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النظريات الإنسانية في التعليم.

المبحث الثاني: فرضيات «ما بعد الشخصية» في التربية والتعليم.

المبحث الثالث: أبرز آثار الحركة في المجتمع والأسرة.

الفصل الرابع: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المقروءة.

المطلب الثاني: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المرئية.

المطلب الثالث: أبرز آثار الحركة في الشبكة العالمية «الإنترنت».

المبحث الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الترفيه.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث، وأبرز نتائجه.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

الباب الأول

مفهوم حركة «العصر الجديد»، ونشأتها، ومصادرها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم حركة «العصر الجديد» ونشأتها.

الفصل الثاني: أبرز مصادر الأفكار والعقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، والفلسفات الممهدة لظهورها.

الفصل الأول

مفهوم حركة «العصر الجديد» ونشأتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نشأة حركة «العصر الجديد» وأبرز شخصياتها.

المبحث الأول

التعريف بحركة «العصر الجديد»

تتسمَّى كثير من الحركات المعاصرة بأسماء محببة براقة، تُعطي انطباعاً أولياً زاخراً بالمعاني الإيجابية. ولا شك أن إطلاق «العصر الجديد» هو من تلك الأسماء التي توحي بالتغيير، وتبعث على النظرة التفاؤلية، لا سيما وقد اقترن عصرنا الحالي ـ عند كثير من الناس ـ بالمادية، والاستبداد، والفقر، وانتشار الأمراض العضوية والنفسية، مما جعل التطلع إلى عصرٍ جديدٍ ـ تأتي معه حلول لمشاكل العصر الذي قبله ـ أمراً ليس مستغرباً.

إن وصف «العصر» بالجِّدة هو وصف شائع الاستخدام، يورده كثير من الكُتَّاب في مجالات متنوعة، وقد يراد بهذا الوصف معنيان:

١ ـ **المعنى اللغوي**: وهو الذي يفيد الحداثة النسبية للزمان دون ربطه بمفهوم ـ أو حتى زمن ـ معين. كأن يقال: التقنية والتعليم في العصر الجديد، فيراد به الأزمنة الحديثة بالنسبة لزمن الكاتب أو المتحدث. وهذا المعنى العام ليس هو المقصود في هذا البحث، ولا يمكن ضبطه تحديداً، كما أنه لا يُقيَّد بتخصص دون غيره حيث يمكن استخدام وصف «العصر الجديد» بالمعنى اللغوي في أي سياق.

٢ ـ **المعنى الاصطلاحي**: وهذا المعنى رغم ارتباطه الظاهر بالمعنى اللغوي إلَّا أن له مفهوماً أكثر تحديداً، فقد نشأ في فترة محددة، وأُطِلق على زمن محدد، وارتبطت به حركة فكرية محددة.

تنوَّعت إسهامات الباحثين في الحركات الفكرية المعاصرة حول تقديم تعريف دقيق لحركة «العصر الجديد»، حيث يجد المتفحص لكتاباتهم اختلافاً واسعاً في ذلك التحديد، ويشير كثير منهم إلى أن وضع تعريف شمولي دقيق للحركة ليس بالأمر اليسير ـ إن لم يكن قريباً من المستحيل ـ. ولعل صعوبة تقديم تعريف موحد للحركة، والاختلاف الظاهر في تحديد مفهوم لها يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

١ ـ أن حركة «العصر الجديد» ليست منظمة ذات قيادة مركزية، ولا عقائد رسمية أو طقوس موحدة. فلا يمكن الرجوع إلى مصادر معتمدة تُفهم من خلالها ماهية الحركة، وإنما يستفاد ذلك من الاستقراء.

٢ ـ أنها حركة شمولية تتناول عدداً كبيراً من جوانب الحياة البشرية، ولذلك يختلف تعريف الحركة باختلاف الجانب الذي يبرزه كل باحث.

٣ ـ أن حركة «العصر الجديد» من الحركات الباطنية الحديثة التي تعتمد على السرية في كثير من تطبيقاتها، فلا تعرض العقائد والمبادئ بشكل ظاهر لكل مريد، وإنما تتاح «العلوم» بشكل تدريجي متأن. فتجد مَن ينظُر إلى الحركة نظرة سطحية، ويُعرِّفها بناء على ذلك، ومن ينظر إليها نظرة فاحصة مدركة للأصول والمآلات ويعرفها بناء على ذلك.

ولذلك فإن الاختلاف في تحديد مفهوم حركة «العصر الجديد» وتعريفها لا يمكن أن يُنظر إليه على أنه تناقض وتضاد، بل هو من باب التنوع، أو تعريف الشيء ببعض أجزائه أحياناً. وعند التأمل نجد ـ تحت كل ذلك التنوع ـ عوامل مشتركة تتكرر في الكتابات المخالفة والموافقة للحركة على حدٍ سواء، وفي تطبيقاتها وممارساتها المختلفة في أنحاء متفرقة من المعمورة. وعند مقارنة ما يُقدم في هذا المجال نجد أن ما يُعرض حول نظرة أتباع الحركة للعالم وللكون وللمشاكل التي يبرزونها وما يقدمونه لها من حلول تكاد تكون محل اتفاق[1].

---

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview: ix-John P. Newport. The Cosmic Self-Te Peters: (4-5).

يطلق على حركة «العصر الجديد» عدد من الأسماء الأقل شهرة، منها: روحانية العصر الجديد (New Age Spirituality)، والإنسانية الكونية (Cosmic Humanism)، وتسمى أحياناً: «عصر الدلو» (Age of Aquarius)[١] نسبة إلى البرج النجمي المعروف. ولكن حركة «العصر الجديد» (New Age Movement) هو المصطلح الأكثر انتشاراً، وهو الذي يمكن من خلال تفكيك مفرداته لتقريب مفهوم الحركة، على النحو التالي:

«حركة»:

تتكون «الحركة» ـ على وجه العموم ـ من مجموعة من الناس الذين يحملون فكراً مشتركاً ويسعون إلى تحقيق أهداف عامة. غير أن وصف حركة «العصر الجديد» بـ«الحركة» لا يعني أنها مجموعة منظمة بالضرورة، أو أنها تتبع قيادة موحدة وفق مخططات دقيقة. بل إن حركة «العصر الجديد» مجرد مصطلح مظلي، لن تجد لها مقراً رئيساً يمكن الاتصال به، أو موظفين رسميين يعملون على نشر مبادئها والترويج لها[٢]، وإن كانت تضمُّ العديد من التجمعات الفرعية ذات التنظيم الدقيق، والسيادات المركزية، لكنها لا تحمل اسم الحركة مباشرة[٣].

فحركة «العصر الجديد» ليست مُنظمة، بل هي حركة تضم العديد من المنظمات قد تصل أعدادها إلى الآلاف، وقد يبدو في ظاهرها التنوع وعدم الارتباط، إذ إن كلاً منها تُعنى بجانب معين ليس بينه وبين المجالات الأخرى تعلقٌ ظاهرٌ. فبعضها تعنى بالصحة، وبعضها بالعلوم التجريبية، وبعضها بالسياسة، وأخرى بتطوير الذات، وغيرها كثير[٤].

ولذلك لا بد من فهم المصطلح على أنه يُعبِّر عن شبكة ذات هيكلة رخوة ـ

---

(١) The New Age Movement-Paul Young: 11.

(٢) انـظـر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16-and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 13, and The New Age Movement and Biblical Worldview: ix-Newport. And The Cosmic Self-Peters: (4-5).

(٣) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٤) انظر: The New Age Movement-Paul Youg: 13.

بل شبكة من الشبكات ـ، ومجموعة ضخمة من المنظمات تربطها ببعضها البعض فرضيات مشتركة ونظرة وأهداف شبه موحدة[١].

تصف مارلين فيرجسن[٢] (Marilyn Ferguson) ـ إحدى المنُظِّرين الأوائل للحركة ـ حركة «العصر الجديد» بأنها «شبكة بلا قائد، ولكنها ذات نفوذ»[٣] فتأثيرها راجع إلى المؤسسات الفرعية التي ـ وإن كانت لا تتبع قيادة مركزية ـ تسعى لتحقيق أهداف مشتركة، ونقل العالم إلى مراحل عليا من «الوعي الكوني».

هل تعتبر حركة «العصر الجديد» ديناً جديداً؟

لقد وصف بعض الباحثين حركة «العصر الجديد» بأنها دين جديد يغزو ويقتحم العالم الغربي[٤]، وسعوا جاهدين في التحذير من تضليلها، بعد أن تسللت أفكار الحركة داخل أسوار الكنيسة، وأصبحت تتخطف أتباعها. وحيث إن أكثر أصحاب هذا الرأي هم من قساوسة النصارى وعلمائهم، فإنهم ـ في الغالب ـ ينطلقون من حماسة دينية دون تحقيق دقيق، وينظرون إلى الحركة من ذلك الجانب فحسب.

والذي يظهر أن حركة «العصر الجديد» ـ رغم أنها تُروِّج لعدد من العقائد الدينية ـ لا يمكن أن تصنف على أنها ديانة مستقلة للأسباب التالي ذكرها:

١ ـ يشتمل الدين ـ في الاصطلاح العام ـ على نوع من العقائد والعبادات بالإضافة إلى نظام محدد يحتكم إليه الأتباع، وينظم منهجهم في الحياة[٥]. أما حركة «العصر الجديد» فهي ـ وإن كانت ـ تدعو إلى نظرة موحدة للكون والوجود، وتطرح حلولاً متشابهة للمشاكل التي تواجه البشرية، إلا أنها لا تؤمن بطريق واحد للنجاة، ولا تقدم منهجاً محدداً للحياة يتبين من خلاله المحرم من المباح. كما أن من أبرز معالم الحركة دعوتها إلى وحدة الأديان[٦]، أو

---

(١) انـــظـــر: The New Age Movement and Biblical Worldviwe-John P. Newport: (1-2), and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 13.

(٢) يأتي تعريف مفصل لها في المبحث التالي بإذن الله.

(٣) The Aquarian Conspiracy-Marilyn Fergusen: 33.

(٤) An Overview Of The New Age Movement-William Reck: v.

(٥) The Columbie Encyclopedia 6th Edition: 40909.

(٦) **وحدة الأديان**: هو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، =

توحيدها[١]، وتشجيع التيارات الباطنية داخل الديانات القائمة دون العمل على صرف أحد عن انتمائه الديني الأصيل.

٢ ـ أنه لا بد وأن يكون للدين مؤسس، أو قائد ومرجعية يتفق عليها الأتباع، بينما نجد في حركة «العصر الجديد» خليطاً من المرجعيات المختلفة ـ بل والمتناقضة في كثير من الأحيان ـ.

٣ ـ أن الديانات ـ في الغالب ـ تتضمن نوعاً من الطقوس والعبادات التي يُقصد بها التقرب إلى كائن مقدس، وهذا لا يُتصور إلا بتباين العابد والمعبود، وهو معنى مفقود في العقائد الباطنية التي تتبناها الحركة.

وعليه؛ فإن حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن تصنف على أنها «دين» بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، حيث تفتقر إلى المقومات الأساسية التي يقوم عليها؛ فليس لها نصوص مقدسة، ولا قيادة مركزية، ولا منظومة رسمية ـ بل ولا عقيدة موحدة ـ[٢]، وتعتبر الاستقلالية الفردية في تحديد المسار الروحاني، وتشكيل الواقع والمصير من أبرز سمات حركة «العصر الجديد». ولذلك فإن هذه الحركة ـ وإن وصفت بأنها دين تجوُّزا ـ لا يمكن أن تعتبر ديناً حال التَقيُّد بالاصطلاح. ولذلك لا ينبغي الخلط بين المفهوم العام لحركة «العصر الجديد»

= وأنها طرق إلى غاية واحدة. دعوة التقريب بين الأديان: أحمد القاضي ١/ ٣٣٩.

(١) **توحيد الأديان**: دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الملفق الجديد.
دعوة التقريب بين الأديان: أحمد القاضي ١/ ٣٤٣.

(٢) المقصود بـ«ليس لهم عقيدة موحدة» هو مرونة الحركة في تقبل الاعتقادات المتنوعة، فلا يضير الإنسان أن يعتقد بنبوة محمد ﷺ إن كان يفسرها وفق مبادئ الحركة، ولا فرق بينه وبين الذي يؤمن بعيسى، أو بموسى، أو بوذا وكرشنا. ورغم أن حركة «العصر الجديد» لها بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها، خاصة في ما له تعلق بنظرتها للوجود ووحدته، وعقيدتها في الإله وإطلاقه، ونظرتها للإنسان وتعظيمه، ثم أسلوبها التلفيقي في الانتقاء من الأديان المختلفة، إلا أننا نجد عند تدقيق النظر أن عرض أفرادها لهذه العقائد العامة ليس موحداً. فمنهم من يدعي التدين ومنهم من يعلن إلحاده، ومنهم من يتبنى العقائد الشرقية، ومنهم من يقول إنه مسلم... وهكذا. فعندما نقول إن حركة «العصر الجديد» تحمل نظرة موحدة نقصد بها تلك العقائد الباطنية العامة، وعندما ننفي تبنيها لعقيدة موحدة فإننا نقصد به ما سبق.

وبين الديانات الوثنية الحديثة (neo-paganism)، وإن كانت الأخيرة قد تندرج تحت مسمى الحركة العام، حيث تتميز بعض الديانات الوثنية الحديثة بوجود قادة معروفين وعقائد وطقوس محددة[١].

ومما يحسن التأكيد عليه أن إخراج حركة «العصر الجديد» من مسمى الدين لا يقلل من خطورة هذه الحركة ومدى تهديدها للمعتقدات الدينية عموماً والعقيدة الإسلامية على وجه الخصوص، وإنما المقصود تحرير المصطلحات وتوضيحها.

لقد أسهب بعض الكتاب الغربيين في الحديث عن حقيقة حركة «العصر الجديد» من حيث القيادة والتنظيم، فذهب عدد منهم إلى أن الحركة تخضع لتخطيط تآمري دقيق، وأن لها أهدافاً توسعية تسعى من خلال تحقيقها إلى السيطرة على العالم بأسره. وقد كانت كونستانس كومبي (Constance Cumbey)[٢] رائدة هذا الاتجاه وأول من ألَّف فيه، حيث تحدثت في كتابها: «الأخطار المخفية لألوان الطيف» (The Hidden Dangers of the Rainbow) عن مؤامرة تحاك ضد الديانة النصرانية منذ قرون، وتمهد لخروج «المسيح الدجال» الذي يسمونه الـ(Antichrist)، وانسياق الناس خلفه[٣].

وقد كان أكثر آراء كومبي إثارة للجدل في كتابها الشهير: أن حركة «العصر الجديد» ـ بأكملها ـ تسير وفق تنظيم دقيق، تم التخطيط له عبر عدة عقود تحت قيادة ألِس بيلي (Alice Bailey)[٤] وهي إحدى أفراد اتجاه الإيزوتيرك (Esoteric)[٥] في المجتمع الثيوصوفي[٦]. إلا أن هذه الفرضية قوبلت بتشكك

---

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Wordview-John P. Newport: xi.

(٢) كونستانس كومبي: هي محامية أميركية، وكاتبة نصرانية ولدت في عام ١٩٤٤م. توقفت مدة عن ممارسة مهنتها لتتفرغ للتصدي لحركة «العصر الجديد». ألفت عدداً من المؤلفات التي تهاجم فيها الحركة. عادت مؤخراً لمزاولة المحاماة ولا زالت مستمرة في الكتابة والإلقاء. تصفح: المدونة الخاصة لكومبي: www.cumbey blogspot.com.

(٣) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow: Constance Cumbey.

(٤) يأتي التعريف بها.

(٥) **الإيزوتيرك**: تعني العلوم الباطنية التي لا يحصلها إلا فئات خاصة. انظر: Modern Esoteric Spirituality-edited by: Antoine Faivre and Jacob Needleman: xxi.

(٦) هي جماعة باطنية أسستها مدام بلافاتسكي الروسية في الولايات المتحدة، ويأتي التعريف بها في ص٥٠.

عريض في الأوساط النصرانية التي وجهت إليها كومبي تحذيراتها[١]، حيث اعتُبرت الحركة حركة فكرية تتضمن توجهات متشابهة دون تنظيم مخطط، أو قيادة مركزية، وإن كان ذلك لم يؤثر على رفض الكنيسة لها.

إن اعتبار حركة «العصر الجديد» منظمة تآمرية بالمعنى الذي أرادته كونستانس كومبي أمرٌ يعزُّ إثباته ـ بل الشواهد تدل على خلافه ـ، ولذلك كان الأظهر أن الحركة هي على الوصف الذي ذكره أكثر الباحثين لا كما رسمتها كومبي وأمثالها من المتحمسين، مع احتمال وجود فروع منظمة للحركة تعمل وفق خطط وأهداف محددة.

وعلى أية حال، فإن حركة «العصر الجديد» ـ على كلا القولين ـ تشكل خطراً كبيراً على المعتقدات الدينية، ومجرد ترويجها لمبادئها الباطنية في أوساط المسلمين يعد سبباً كافياً لفضح أساليبها والتحذير منها سواء كان خلف تلك الحركة مؤامرة مُدبَّرة أم لم يكن.

«العصر»:

يزعُم المُنَجِّمون أن الزمن ينقسم إلى عصورٍ فلكية، كل عصرٍ يمتد إلى ما يقارب ألفي سنة شمسية، يزيد أو ينقص شيئاً يسيراً وفق حسابات خاصة، والعالم اليوم ـ حسب تقويمهم النجمي ـ هو في طور انتقالي بين عصرين متتاليين، أو أنه قد انتقل ـ بالفعل ـ إلى عصر جديد، على خلاف بينهم في ذلك، وقد حدده بعضهم بعام ٢٠١٢م، وهي سنة كثر الجدل حولها وما يتوقع فيها من الأحداث. كما ينسبون كل عصر إلى برج من الأبراج الفلكية المعروفة بحسب البرج الذي تقع الأرض تحت تأثيره في تلك الحقبة الزمنية، ولما كان البرج السماوي السائد في الألفيتين الأولى والثانية هو برج الحوت، سمي ذلك

---

(١) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: (193-206).
وهذا الكتاب يحتوي على مبحث هو من أفضل ما كتب في الرد على نظرية كومبي، ومؤلفه هو من أتباع حركة «العصر الجديد» الذين تخلوا عن فكر الحركة، وعادوا إلى الكنيسة.
وانظر كذلك: Bearing False Witness-Douglas E. Cowan: (40-41) and Perspectives on the New Age-Irving Hexam: (154-155).

العصر بـ«عصر الحوت» (Age of Pisces)، ومع دخول الألفية الثالثة انتقلت السيادة ـ بزعمهم ـ إلى برج الدلو، فسمي هذا «العصر الجديد» بـ«عصر الدلو» أو (Age of Aquarius)، وهو من الأسماء التي كثيراً ما تطلق على حركة «العصر الجديد».

إن هذه التقسيمات الفلكية تحمل إشارات رمزية تقوم عليها الفكرة العامة للحركة، فالحوت ـ أو السمكة ـ هو رمز للنصرانية[1]، لذلك فإن سيادة برج الحوت في السماء متلازم مع سيادة الديانة النصرانية في الأرض خلال الألفي عام الماضية، أما الدلو فهو حامل الماء، ويرمز إلى استقلالية الإنسان ومقدرته على حَمْل حِمله بنفسه[2]. ولذلك يستبشر أتباع حركة «العصر الجديد» بالعصر الجديد (New Age) الذي يطل على البشرية، وإليه يُنسَبون.

يوصف عصر الدلو أو «العصر الجديد» بأنه عصر أخوة ومحبة عامة تتلاشى فيه الفوارق الجنسية، والعرقية، والدينية؛ عصر تتغير فيه حالة «الوعي»[3] لعموم البشر، وتسود فيه الفلسفات الإنسانية[4] والروحانيات الحديثة[5].

---

(١) وقد قال بعضهم إن الأسماك تتنقل في جماعات بحركات وسلوكيات متشابهة، وهكذا هو حال الناس في الديانات المنظمة، أما في العصر الجديد فإن الإنسان يعيش استقلالية روحانية غير مقيدة.

(٢) المقصود استقلاليته الروحانية من السلطة الدينية وقيودها، ومقدرته على صنع واقعه وتحويره بنفسه.

(٣) **الوعي** (Consciousness): يستخدم هذا اللفظ في السياق الفلسفي ويراد به مراحل الإدراك، فأدناها الوعي بالذات المنفصلة عن الكون، وأعلاها إدراك حقيقة الذات وما يرونه الوحدة بين كل موجود.

(٤) **الفلسفة الإنسانية** (Humanism): تشير إلى الحركة الفكرية التي سادت في عصر النهضة الأوروبية، تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد، وترمي بوجه خاص إلى التخلص من سلطة الكنيسة.

انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ١/ ١٧٤، وموسوعة لالاند الفلسفية ص٥٦٧.

(٥) انظر: Anotehr Gospel-Ruth A. Tucker: (319-320), and The New Age Movement-Paul Young: (11-13), and The New Age Movement-Douglas R. Groothus: (6-7), and Catholics and the New Age Mitch Pakwa: (16-17), and The A to Z of New Age Movements-Michael Yourk: (133-134).

«الجديد»:

إن وصف «عصر الدلو» بـ«العصر الجديد» يوحي بمعان إيجابية جذابة، فكثيراً ما ترتبط الجِدَّة بالتقدم والتحسين، كما قد يفهم منه أن هذا العصر يحمل مفاهيم جديدة، ومبادئ خاصة بالزمن الحديث، إلا أن أتباع حركة «العصر الجديد» وروادها يتفقون مع نُقَّاد الحركة بأنها لم تأت - في الواقع - بشيء «جديد» ليس له سابق، وأن مصطلح «العصر الجديد» مصطلح مظلي يشمل مجموعة متنوعة من الأفكار، والمفاهيم، جلها مُستقاة من ديانات وفلسفات شرقية وغربية سابقة لها، وإن كانت بعض تلك المبادئ والأفكار قد تعتبر جديدة بالنسبة للمجتمعات الغربية[١].

ولذلك عرَّف بعض الباحثين حركة «العصر الجديد» بأنها: «منظومة تتكون من الاعتقاد بتأليه الذات، وبالحقائق النابعة من الذات، وبالقَدْرِ الذي تُنتجه الذات، تعمل على دمج الباطنية الغربية، والهندوسية، والبوذية، والنصرانية في الجوانب الروحانية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع»[٢]. فالانطباع الأول عن الحركة هو أنها عبارة عن خليط من الاعتقادات الانتقائية والتطبيقات المتنوعة، ممتزجة بأفكار باطنية، وطقوس وثنية مستعارة من ديانات مختلفة[٣]. إذن ما هو «الجديد» في هذه الحركة؟

ترى حركة «العصر الجديد» أن أهل الأرض اليوم في أزمة، وأنهم يلجؤون إلى أحد طريقين تقليديين لحلها: إما بالطرق المادية الخاضعة للعلوم التجريبية، أو بالاستعانة بالمعتقدات والممارسات الدينية. وقد جاءت الحركة لتطرح طريقاً ثالثاً، وحلاً جديداً لتجاوز الأزمة الإنسانية الراهنة، وهو الخلط بينهما بطريقتها الخاصة[٤]، مما أنتج مزيجاً نشازاً من الفلسفات الروحانية الباطنية، والعلم التجريبي الحديث، أكثر خبثاً، وأشد تلبيساً.

وبالجملة، فإن حركة «العصر الجديد» هي شبكة ضخمة جداً من الشبكات

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٢) انظر: An Overview Of The New Age Movement-William Reck: 2.

(٣) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldveiw-John P. Newport: ix, and The New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٤) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John P. Newport: 2.

المكونة من الأفراد والجماعات الذين يحملون قيماً ورؤى مشتركة، تقوم تلك القيم على الفلسفات الباطنية الشرقية، وعقيدة وحدة الوجود، بينما تتلخص الرؤية في التطلع لعصر جديد من السلام والاستنارة، وهو «عصر الدلو»[١].

الانتساب إلى حركة «العصر الجديد»:

لقد نال حركة «العصر الجديد» شيء من الدعاية الإعلامية السلبية في الثمانينات والتسعينيات، ربطتها بالخرافة والغموض والبعد عن المصداقية العلمية، بالإضافة إلى الترويج لاستخدام المخدرات، وأعشاب الهلوسة. ولذلك نجد عدداً ممن يتبنون فكر الحركة يتنصلون من الانتساب الصريح إليها، وهو اعتراض لا يعني بالضرورة أن هؤلاء المفكرين أو المؤلفين أو المعالجين ينكرون تبنيهم لفكر «الحركة» وأهدافها، وإنما الاعتراض هو على النسبة والتسمية بالـ«نيو أيج»، أو لأنهم يعتقدون أن هذا المصطلح يطلق على صورة مشوهة من الروحانيات التي يمارسونها. وعلى أية حال، فإن ذلك لا يمنع من تصنيفهم داخل هذا المفهوم[٢].

---

(١) (بتصرف يسير) A Crach Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 183.

(٢) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview: xi-John P. Newport, and New Age A Guide-Daren Kemp: 132.

المبحث الثاني

نشأة حركة «العصر الجديد» وأبرز شخصياتها

تَقرَّرَ في المبحث الأول أن حركة «العصر الجديد» ليست ظاهرة جديدة كما قد يبدو عند أول وهلة، وأن جلّ أفكارها وتطبيقاتها مُستعارة من ديانات وفلسفات أخرى، بل إن حركة «العصر الجديد» قد تعتبر تجديداً لبعض الحركات التي ظهرت في القرن التاسع عشر مع اختلافات يسيرة في الأسماء والشعارات. وحيث إن التسمية ليس لها اعتبار يُذكر، فقد يستمر فكر الحركة في الظهور مستقبلاً تحت اسم أو وصف مختلف، مع الاتفاق المجمل في المضمون. ولذلك فإن الحديث عن نشأة حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن يُختزل في الوقت الذي تحددت فيه ملامح الحركة، بل يتجاوزه إلى ما قبل ذلك بقرن من الزمان تقريباً.

يمكن للباحث تتبع جذور حركة «العصر الجديد» إلى بعض الحركات الدينية والفلسفية التي ظهرت في القرن التاسع عشر للميلاد، والتي كانت تتبنى ما يسمى بـ«الاعتقادات البديلة»[1]. لم تكن تلك الاعتقادات متمثلة في ديانة

(١) تطلق «الاعتقادات البديلة» ويراد بها المعتقدات الروحانية التي لا تنتمي إلى منظومة =

مُوَّحدة، كما لم يكن لها نصوص مقدسة ولا قيادة مركزية، فقد كانت شبكة رَخوة من الاعتقادات المتداخلة سماها بعض الباحثين «ثقافة الظل» (Shadow Tradition)، وهي تُشبه إلى حد كبير ما عليه واقع حركة «العصر الجديد» في زمننا الحاضر. ثم مع حلول منتصف القرن التاسع عشر ازدادت شهرة تلك الأفكار والتطبيقات، وعند تأمل الصورة المعقدة لتلك الثقافة بشخصياتها ومبادئها وتطبيقاتها يتأكد الباحث أن حركة «العصر الجديد» ليست وليدة هذا القرن[1]، وإن كانت نشأتها الفعلية تكمن في «الثقافات الفرعية» لستينيات القرن العشرين.

ظهرت بوادر الفكر الباطني الغربي الحديث ـ أو البذرة الأولى لحركة «العصر الجديد» ـ مع نزوح الجاليات الأوروبية المهاجرة إلى الأرض الجديدة في أميركا، حيث قدموا ببعض العقائد الخرافية، والمعتقدات الاستسرارية[2] من بلدانهم في أوروبا[3]، بالإضافة إلى ممارسات السحر والكهانة، إلا أن تلك المعتقدات لم يُكتب لها التوسع والانتشار بسبب الضغط الذي واجهته من أتباع الكنيسة، فقد كان يُراد للأرض الجديدة أن تقوم على الديانة النصرانية، لا على خليط من الفلسفات الغربية. وقد احتد العداء بين الكنيسة وتلك المعتقدات الدخيلة حتى إنه تمت محاكمة عدد من السواحر في عام ١٦٩٢م، وحكم عليهن بالقتل حرقاً بالنار.

ثم إن ذلك الفكر استمر بالتراجع والانحسار ـ خاصة في أوساط المثقفين والمتعلمين ـ مع سيادة العقلانية العملية والالتفات إلى العلوم التجريبية، ولكنها

= الديانات الكتابية، وهي ـ في الغالب ـ تحمل الطابع الباطني، ولا تفرض على أتباعها ضوابط سلوكية، أو حتى عقدية يلزم التقيّد بها. وهذا الوصف قد أسهم في نشر تلك المعتقدات؛ حيث جمعت بين الجانب الروحاني الذي يفتقده كثير من الغربيين، وبين حرية السلوك التي لا تتأتى ـ عادة ـ مع التدين التقليدي.

(١) المقصود هنا حركة «العصر الجديد» كحركة حديثة لها صفة مخصوصة، وليس المراد جذورها العقدية التي ترجع إلى الهندوسية، والديانات الوثنية القديمة، وغيرها مما يسبق ظهور الحركة بآلاف السنين.

(٢) **الاستسرارية** (Esoteric / Occult) هي الإيزوتيرك، وقد سبق التعريف بها ص٣٧.

(٣) علماً بأن الإنجليز كانوا قد تأثروا بالديانات الشرقية ـ الهندوسية والبوذية على وجه الخصوص ـ نظراً لأثر التبادل الثقافي الذي حصل أثناء الاحتلال البريطاني للهند، وكنتيجة لهجرة أعداد كبيرة من الهنود إلى بريطانيا من بعد.

لم تزل منتشرة بين الفقراء وذوي المستويات التعليمية المُتدنِّية. ومَن تَقبَّل تلك المعتقدات الاستسرارية من فئة المثقفين ـ أو حتى رجال الدين ـ لم يكن ليُعلن تقبله، بل يحرص على كتمانه.

وبالجملة، فقد اختفت أغلب الممارسات الغامضة من المشهد العام خلال القرن الثامن عشر، إلا أنها عادت ـ وبقوَّة ـ بعد حرب ١٨١٢م[١]. ومع الأزمات والكوارث التي كانت تمر بها الدولة الوليدة، انتشر الاهتمام بالثقافات البديلة والحركات الدينية الجديدة والتي تعتبر سلفاً مهماً لحركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة[٢].

ومن الأسباب التي أسهمت في انتشار المعتقدات والممارسات الجديدة ما يلي:

١ ـ كثرة الأسفار والتنقل بين مناطق الأرض الجديدة نظراً لبعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية، لا سيما مع تطور المواصلات وإقامة السكك الحديدية، حيث سَهُل انتقال الأفكار إلى أماكن متفرقة من البلاد.

٢ ـ كان لنمو حجم المدن، وازدياد الأعداد السكانية دور في إتاحة الفرص للاجتماع حول الخطباء والمتحدثين الذين يدعون إلى أفكارهم.

٣ ـ خروج المرأة للعمل، مما أدى إلى إعادة النظر في الأشكال التقليدية للأسرة، وهي أفكار كان من السهل طرحها في الثقافة البديلة، بخلاف البيئة النصرانية المحافظة.

٤ ـ تزايد عدد المهاجرين الجدد، وما شكلوه من تحدٍّ للسيادة الفكرية النصرانية القائمة آنذاك، وقد كانت المزمرية (Mesmerism)[٣] من أبرز الفلسفات

(١) هي الحرب بين الولايات الأميركية المتحدة وبريطانيا، وقد استمرت حتى عام ١٨١٥م.

(٢) انظر: .New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (24, 39, 42)

(٣) المزمرية: هي حركة روحانية أسسها أنتون مزمر (١٧٤٣ ـ ١٨١٥م) طبيب ومنجم نمساوي. تعتقد المزمرية بوجود طاقة عالمية غامضة تسري في الكائنات، وأنه لا يوجد فاصل بين الروح والمادة، كما يعتقدون بالوحدة بين الإله والكون. وقد كان المعالجون المزمريون يدخلون حالات من غياب الوعي يشخصون أثناءها أمراض المرضى، ويصفون لهم العلاج. انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 46, and

= The Western Esoteric Traditons-Nicholas Clark: 173.

التي حملتها الجاليات المهاجرة من أوروبا، ومن أكثرها أثراً على الحركات التي نشأت لاحقاً.

٥ ـ ترجمة النصوص الشرقية إلى اللغة الإنجليزية في نهاية القرن الثامن عشر مما أسهم في تكوين البنية الفكرية لبعض التوجهات الدينية في القرن الذي يليه، بالإضافة إلى ازدهار الطباعة التي ساعدت في نشر تلك الأفكار.

٦ ـ زيارة مجموعة كبيرة من كبار الهندوس للولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، حيث كان لهم دورٌ بارز في الترويج للفلسفات الباطنية.

ولتلك الأسباب وغيرها أصبح للمعتقدات الاستسرارية الغامضة، والحركات الدينية الجديدة تقبل شعبي أوسع من السابق في الولايات الأمريكية المتحدة[١].

إن حصر الحركات والفلسفات التي أسهمت في نشأة حركة «العصر الجديد»، وتلك التي تُعتبر سلفاً لها، يكاد يتعذر، فهي أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام، كما أنها متداخلة ومتشعبة، ولذلك سأكتفي بذكر أبرزها:

(١) الفلسفة المتعالية[٢] (Transcendentalism):

الفلسفة المتعالية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي نشأت في الولايات المتحدة عند بداية القرن التاسع عشر كردة فعل للعقلانية السائدة في تلك الحقبة، وهي أول اتجاه فكري في الولايات المتحدة تظهر فيه آثار الفلسفة الشرقية ـ والهندوسية على وجه الخصوص ـ.

= ومما تحسن الإشارة إليه أن المزمرية غالباً ما تقترن بالسويدنبورغية (Swedenborgism)، إلا أني أغفلت ذكر الأخيرة نظراً لكونها اتجاهاً باطنياً ضمن الديانة النصرانية، ولن أعرج كثيراً على تلك التوجهات داخل الكنيسة؛ لأنها ليست ـ في الواقع ـ من صلب البحث، ولأن الحديث عنها يطول.

السويدنبورغية: هي فلسفة دينية أنشأها إمانويل سويدنغبورغ (Emanuel Swedenborg) (١٦٨٨ ـ ١٧٧٢م) زاعماً أنها أوحيت إليه من عالم الأرواح، حيث يدعي إمانويل أنه حصل على تفسير خاص للكتاب المقدس من «الرب» عبر تلك الأرواح. انظر: The Dictionary of Philosophy-edited by: Dagobert D. Runes: 307.

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (42-45), and Perspectives on the New Age-Andrea grace Diem & James R. Lewis: (48-49).

(٢) يمكن ترجمتها بالتجاوزية كذلك.

لقد انطلقت هذه الفلسفة من مقالة كتبها رالف إمرسن (Ralph Emerson)[١] في عام ١٨٣٦م بعنوان: «الطبيعة»[٢]، حيث كان إمرسن يمثل الصورة الأميركية للاتجاهات الباطنية في عبّاد الطبيعة. وفي العام نفسه تأسس ما يسمى بالنادي المتعالي (Transcendental Club) الذي كان يضم عدداً من المثقفين المهتمين بمبادئ إمرسن، ومن ثم تحولت الفلسفة إلى حركة منظمة متماسكة.

تقوم الفلسفة المتعالية على عدد من المبادئ والمعتقدات التي امتد بعضها إلى حركات وتوجهات لاحقة، خاصة حركة «العصر الجديد». ومن أبرز تلك المبادئ ما يلي:

الاعتقاد بأن للطبيعة البشرية قدرات خارقة لا يستخدم البشر سوى جزء يسير منها. وأن روح الفرد هي جزء من الروح الكلي.

تقديس الطبيعة، والاعتقاد بإلٰهية العالم[٣].

الاعتقاد بأن تحقيق النجاة المطلقة (الخلاص) ليس خاضعاً لأي أمر خارجي (دين أو سلوك)، بل يمكن تحصيله بالالتفات إلى «الداخل»، حيث الطبيعة الإلٰهية. كما يمكن للإنسان ـ باكتشاف تلك الإلٰهية الكامنة ـ تحوير المجتمع، والارتقاء به.

تضفي الفلسفة المتعالية على العقل البشري والفكر المجرد صفة الفاعلية المؤثرة، وتنسب إليه القدرة على تغيير العالم بأفكاره[٤].

لم تكن هذه الفلسفة آخر التجليات الغربية للفكر الباطني المتأثر بالشرق،

---

(١) رالف إمرسن: شاعر وكاتب أميركي ولد في عام ١٨٠٣م، ترأس أتباع الفلسفة المتعالية، كان متحدثاً مفوهاً، وله عدد من المقالات الشهيرة. توفي عام ١٨٨٢م.
انظر: The Dictionary of Philosophy-edited by: Dagobert D. Runes: 89.

(٢) تصفح موقع مركز رالف إمرسن: www.emersoncentral.com|co|texts|cco|nature.

(٣) وذلك بسبب الاعتقاد بوحدة الوجود، إذ لا فرق بين الخالق والمخلوق.

(٤) إن المقصود هنا ليس تغيير العالم من خلال النتائج العملية للفكر الإنسان، وما يتوصل إليه من نتائج ومخترعات ـ فهذا لا ينكره عاقل ـ، وإنما المقصود التأثير في البيئة الخارجية بمجرد السيطرة على الحالة الذهنية، والتحكم بالفكر. وهي معتقدات مستقاة من بعض المدارس الهندوسية التي تجعل العالم وهماً ليس له وجود إلا بالذهن. وسيأتي ـ بإذن الله ـ مزيد تفصيل لهذا المبدأ في فصول لاحقة.

فقد انتقل الاهتمام بالديانات الشرقية والمعتقدات الباطنية إلى غيرها من الحركات اللاحقة؛ كالثيوصوفي، والروحية، وحركة الـ«فكر الجديد» التي يُعتبر إمرسن أباً روحيّاً لها. ورغم أن الفلسفة المتعالية تراجع وجودها كحركة مستقلة بعد الحرب الأهلية الأميركية، إلا أن أفكارها استمرت في الروحانيات البديلة أثناء القرون التالية[١].

(٢) الروحية أو المذهب الروحي (Spiritualism):

تعتبر الروحية من المذاهب الغربية ذات التأثر الواضح بالمزمرية[٢]، ويمكن تعريفها ـ بشكل ميسر ـ بأنها: الاعتقاد بإمكانية التواصل مع أرواح الموتى[٣]. وقد كانت من أشهر التوجهات الفكرية في القرن التاسع عشر.

إن المحاولات البشرية للاتصال بالأموات ليست وليدة المذهب الروحي، وربما كانت بعض هذه الممارسات موجودة في القارة الأميركية قبل قدوم المستوطن الأوروبي، إلا أن الروحية لم تظهر كمذهب محدد ومستقل إلا في عام ١٨٤٨م مع قصة بنات أسرة فوكس الشهيرة.

تدور أحداث القصة في مدينة صغيرة بولاية نيويورك الأميركية التي كانت تقطنها أسرة فوكس. وفي أحد الأيام سمعت الأسرة صوت طرق على الخشب في ناحية من منزلهم الذي كان يُعتقد أن الأرواح تسكنه. وبعد مدة من الزمن ابتدأت كيت ومارغرت فوكس (Kate & Margaret Fox) ـ الشهيرات بالأخوات فوكس (Fox Sisters) ـ بمخاطبة مصدر تلك الأصوات، حتى أعلنت الأختان أن الأصوات تصدر عن روح رجل سبق قتله في البيت نفسه، وأنه بإمكانهما التواصل معه!

انتشر خبر الفتاتين في قريتهما الصغيرة، وأصبح الناس يتوافدون إلى منزل الأسرة لمشاهدة هذه الظاهرة العجيبة، حتى جاءت الأخت الكبرى للفتاتين

---

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John Newport: (25-26), and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (49-50).

(٢) انظر: Perspectives on the New Age-Robert Ellwood: 81.

(٣) وفي بعض الأحيان لا يتم تقييد الأرواح بالموتى، فيكون الاتصال «بالأرواح» دون تحديد مصدر محدد لها.

لتستثمر قدراتهما «الخارقة»، وتطلب رسماً مالياً ممن يريد مشاهدة الأعجوبة. وفي عام ١٨٤٩م تم التعاقد مع الأخوات للاستعراض في السيرك بعد أن تطورت طرق تخاطبهن مع الأرواح لتتجاوز الطريقة الأولية الساذجة. ومع ازدياد شهرة الأخوات في أنحاء البلاد أصبح التخاطب مع الأموات توجهاً منتشراً تقبَّله كثير من الناس بصور متنوعة ومختلفة.

خُتمت هذه القصة باعتراف علني لـ كيت ومارغرت فوكس بأن كل ما كنَّ يفعلنه كان دجلاً! منذ بداية سماع أصوات الطرق في المنزل الصغير - والذي كان خدعة طفولية قامت بها الفتاتان - وحتى القراءات المتعمقة لعالم الأرواح فيما بعد. إلا أنه رغم ذلك الاعتراف، فإن أتباع هذا المذهب يتجاهلون هذه الجزئية من القصة تماماً[1].

لقد كان للروحية أثر كبير على التوجهات الفكرية السابقة لحركة «العصر الجديد»، بل لا تكاد تجد حركة أو جماعة أو مذهباً مما له تعلق بالحركة إلا وتُشكِّل «الأرواح» مصدراً رئيساً لرواده في تلقي العلوم، أو حتى أسدت إليهم نصائح فعالة في الزراعة والفلاحة! وهذا المذهب - وإن كان قد امتزج بعدد من الحركات الأخرى - يعتبر مذهباً مستقلاً عن غيره لا يزال موجوداً حتى اليوم. ومن رموز هذا المذهب: إدغر كيسي.

إدغَر كَيسي (Edgar Cayce):

ولد إدغر كَيْسِي في عام ١٨٧٧م، وهو كاهن أميركي يُعرف بالنبي النائم نسبة إلى ممارسة غريبة كان يقوم بها، فقد كان يغمض عينيه ليدخل في حالة من غياب الوعي يتكهن أثناءها للأشخاص الراغبين، كما كان يشخص الأمراض ويصف العلاج وهو في تلك الحالة، ثم يدِّعي أنه لا يذكر شيئاً مما عرض له بعد استفاقته.

قد لا يُعتبر إدغر كيسي من أتباع المذهب الروحي بالمعنى الحرفي، حيث كان يزعم أن له مصدرين يأخذ منهما معلوماته، هما: العقل الباطن، والعقل الكلي، ولم يصرح - فيما اطلعت عليه - بتواصله مع «الأرواح»، إلا أن ممارساته

---

(١) انظر: Another Gosper-Ruth A. Tucker: (321-322), Nd New Age: A Guide-Daren Kemp: 37, and The New Age: Notes of a Fringe Watcher-martin Gardner: 175.

كانت مطابقة تماماً لبعض حالات محضري الأرواح في العصر القديم والحاضر، فالغياب المتعمد عن الوعي، ثم التحدث بأسلوب مغاير لأسلوب المتحدث المعتاد يعتبر سمة عامة للوسطاء الروحيين(١).

كان لكيسي مساعد يسجل كل ما يقوله أثناء غيبوبته، إلى أن أنشئت مؤسسة خاصة للعناية بتلك المؤلفات.

لقد كان كيسي مهتماً بقراءة الإنجيل، ولكنه كان يفسره من خلال الفلسفات الشرقية ويدمجها مع تعاليمه، وقد تأثرت حركة «العصر الجديد» بكثير من قراءاته للكتاب المقدس، بل يعده بعضهم المؤسس الفعلي للحركة(٢).

(٣) الثيوصوفي (Theosophy):

يُرجع عدد من الباحثين البدايات الأولى لحركة «العصر الجديد» إلى عام ١٨٧٥م عندما تأسست جمعية الثيوصوفي على يد هِلينا بلافاتسكي وصاحبها العقيد هنري أولكُت(٣) (Henry Olcott)(٤)، بحيث تُعتبر الثيوصوفي السلف المباشر لحركة «العصر الجديد» ـ بل قد تعتبر الحركة تجديداً لمذهب الثيوصوفي وتحديثاً لأفكاره بما يتناسب مع الروحانيات المعاصرة(٥).

مدام بلافاتسكي (Madame Helena P. Blavatsky):

اسمها هِلِنا بتروفينا بلافاتسكي، مؤسس جمعية الثيوصوفي. ولدت بلافاتسكي في روسيا عام ١٨٣١م لأسرة نبيلة، وبدأت رحلاتها حول العالم وهي

---

(١) انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-John P.Newport: 24.

(٢) انظر: -The A to Z of New Age Movements-Michael York: 41, and Soul & Spirit (forward) Edgar Cayce: (vii-xi).

(٣) هنري أولكت: كاتب ومحام أميركي ولد عام ١٨٣٢م، أسهم في تأسيس جمعية الثيوصوفي. يعتبر أول رجل ذي شهرة من أصول أوروبية يتحول إلى البوذية، وله تقدير ومكانة عند البوذيين. استمر في رئاسة مجتمع الثيوصوفي حتى وفاته في عام ١٩٠٨م. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition-E.V: art. 35763.

(٤) انظر: -The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 44, and Evangelizing the New Age Paul McGuire 42, and New Age Living-Paul Roland: 16, and The New Age Cult-Walter Martin: 15.

(٥) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (185-186)

في السابعة عشرة من عمرها، فتنقلت بين آسيا وأميركا وأوروبا. وقد قضت سبع سنوات في التبت زعمت أنها اطلعت أثناءها على خفايا السحر والتنجيم، ثم إنها اعتنقت البوذية أثناء رحلتها إلى سريلانكا.

بدأت دعوى بلافاتسكي بالتواصل مع الأرواح، والتمكن من إيصال أقوالهم إلى الناس أثناء إقامتها في القاهرة في بداية سبعينيات القرن التاسع عشر، وأصبحت تعقد الاجتماعات الخاصة بتحضير الأرواح (Séance)، وتعمل كـ«وسيط» بين الناس و«السادة» (Masters)[١]. ولكن إقامتها في مصر لم تطل، حيث انتقلت إلى الولايات المتحدة في عام ١٨٧٣م، وهناك انفتحت لها أبواب الشهرة، وأصبح عملها في تحضير الأرواح مهنة.

لقد كانت بلافاتسكي تزعم أن لها قدرات خارقة؛ كالطيران، وقراءة الأفكار، وغير ذلك، إلا أن اهتمامها كان منصباً على النظرية أكثر منه على التطبيق. وفي عام ١٨٧٤م التقت هِلِنا بـ هنري أولكُت الذي أُعجب كثيراً بشخصيتها الغربية، وقدراتها «الخارقة»، وأعانها على كتابة مؤلفاتها التي ادَّعت أنها بإملاء من أرواح «السادة»[٢]، وفيها تكهنت هِلِنا بقدوم «عصر جديد» يتحول فيه الإنسان، وتتبدل فيه المفاهيم، وبقدوم منقذ عظيم للبشرية كذلك[٣].

زعمت بلافاتسكي في بعض مؤلفاتها أن الرسالة التي تلقتها بطرق استسرارية، وجاءت لتنشرها، هي - في الحقيقة - جوهر جميع الأديان، وهي المبادئ التي سبقت وجودها في قديم الزمان، كما كانت المبادئ النِّسوية الداعية إلى «تحرير المرأة» ظاهرة في تعاليم بلافاتسكي حيث دعت إلى الثورة على الإله «المذكر» الذي يعبده أصحاب الديانات السماوية، والعودة إلى الآلهة الأم التي يقدسها الهندوس[٤]!

---

(١) «السادة»: (Masters) يراد بالسادة عند بلافاتسكي «أرواح» خفية لخواص البشر الذين توصلوا إلى مراحل متقدمة من النشوء والارتقاء، جاءوا إلى الدنيا ليعلموا الناس طريق الإشراق والاستنارة. انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbey: 44.

(٢) ومن أشهرها: The Secret Doctrine, Isis Unveiled.

(٣) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5954, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 36, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbey: (44-47) and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31.

(٤) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Live-Vatican Document: 232.



رمز جمعية الثيوصوفي

لقد قامت بلافاتسكي بإعانة من أولكُت - وبدعم مادي منه - بتأسيس المجتمع الثيوصوفي في ولاية نيويورك الأميركية عام ١٨٧٥م، إلا أن «السادة» كانوا قد أصدروا أمراً بإبقاء تعاليم الثيوصوفي سرية لمدة مائة عام؛ أي: حتى عام ١٩٧٥م، مما جعل الأتباع يتواصلون عن طريق الرموز والكلمات السرية.

استمر تواصل مدام بلافاتسكي المزعوم مع أرواح «السادة» حتى أمروها بنقل مقر الثيوصوفي من أميركا إلى الهند، وبالفعل انتقلت مع صاحبها إلى هناك في عام ١٨٧٨م، وأقاموا مركز القيادة العالمي في أديار. وفي الهند بدأت هِلنا بعرض رسائل ورقية تُبعث إليها دورياً من «السادة» في التِبت، كما كانت تلك الرسائل تظهر في أماكن متفرقة وتحمل توجيهات لأشخاص معينين - عادة ما تكون توجيهات تخدم بلافاتسكي، أو المجتمع الثيوصوفي - إلا أن هذه الظاهرة العجيبة لم تلبث طويلاً حتى كشف زيفها، ونُشر ما يدل على ذلك في وسائل الإعلام، مما أثر سلباً على سمعة هِلنا بلافاتسكي حتى توفيت عام ١٨٩١م[١]. ولا تزال تلك الفضيحة تلاحق أتباع الثيوصوفي حتى اليوم.

جمعية الثيوصوفي (Theosophical Society):

معنى الثيوصوفي:

(الثيوصوفي) لفظ يوناني ينقسم إلى قسمين: (Theo): وتعني الإلٰه، و(Sophy): وتعني الحكمة. وبذلك تكون الثيوصوفي - في اللغة - هي الحكمة المتعلقة بالإلٰه. إلا أن هذه الفلسفة الدينية هي أبعد ما تكون عن الحكمة، فهي تعتمد على الخوارق البشرية، والاتصال المباشر مع الحقيقة الكلية لتحصيل العلوم الباطنية، ولا تعلق لها بالإلٰه إذ هي قائمة على القول بوحدة الوجود[٢].

= ملحوظه: الوثيقة غير مرقمة الصفحات، ولذلك أحلت إلى ترقيم الفقرات المتبع في الوثيقة.

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5954, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 36, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbey: (44-47), and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31.

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Emily B. Sellon & Renee Weber: 311.

أبرز مبادئ الثيوصوفي:

يعتبر الثيوصوفي نظاماً فلسفياً تفرع عن المذهب الروحي الأميركي، إلا أنه يتميز عنه بأمرين[١]:

١ ـ يولي الثيوصوفي اهتماماً أقل بالتواصل مع أرواح الأصدقاء أو أفراد الأسرة، ويجعل الاهتمام الأكبر بالاتصال بأرواح القادة الروحيين الذين يُطلق عليهم لقب: «السادة» الذين ينتمون إلى ما يسمى «الأخوَّة البيضاء العظيمة» (The Great White Brotherhood).

٢ ـ قام أتباع الثيوصوفي بدمج الفلسفات الشرقية في الفكر الغربي، وهم يستمدون كثيراً من المصطلحات من مصادر هندية[٢]، لا سيما مبدأي الـ كارما[٣] وتناسخ الأرواح[٤].

يقوم النظام الفكري الثيوصوفي على دعوى أن الحقيقة مشتركة متحدة غير متعددة، فالديانات المختلفة في أنحاء العالم متفقة في الجوهر وإن اختلفت في المظهر، إذ المظاهر الدينية ليست سوى تجسيدات منحرفة لحقيقة الدين الباطنة.

كما أن مصدر الوجود في الفكر الثيوصوفي دوري ذاتي يتحدد وفق قوانين النشوء والارتقاء، فهو ليس صادراً عن ذات مباينة ولا هو مُوجَدٌ من العدم، وكل ما في الوجود هو نتيجة تطور وجود سابق.

أما تحقيق الخلاص فليس منوطاً بالأعمال الصالحة، وليس له تعلق بالإيمان أو الاعتقاد، وإنما يتحقق بالتوصل إلى مراتب عالية من «الوعي» تتأتى

---

(١) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 185, and Perspectives on the New Age-j. Gordon Melon: 18.

(٢) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 47016.

(٣) الكارما: هي من أبرز العقائد الهندوسية، ويمكن ترجمتها بقانون الجزاء. فهي حصيلة ما يحدثه الإنسان من سلوكيات، وتأثير في المجتمعات، وما يترتب عليها من آثار في حياته الحالية أو المستقبلية، حسب معتقد الهندوس في تناسخ الأرواح.
انظر: الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص١٣٢، وتحقيق ما للهند من مقولة: البيروني ص٣٨ ـ ٣٩.

(٤) الموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية ثيوصوفي: www.theosociety.org: (Basic Concepts)

من خلال اتِّباع أساليب التهذيب المحددة، وتحصيل الأسرار الباطنية[١]، حيث يعتبر تحقيق الاستنارة، أو الإشراق من أهم أهداف الثيوصوفي ومذهب الروحية. ولذلك فإن الثيوصوفي تعتبر تطبيقاً غربياً للفكر الباطني والفلسفات الشرقية[٢].

أهداف جمعية الثيوصوفي:

لقد كانت الأهداف المعلنة لجمعية الثيوصوفي كالتالي:

١ ـ إيجاد مركز يهدف لتحقيق الأخوَّة الإنسانية العالمية دون تمييز بين الناس بسبب العِرق، أو العقيدة، أو الجنس، أو الطبقة، أو اللون[٣].

٢ ـ تشجيع الدراسات المقارنة بين الأديان والفلسفات والعلوم.

٣ ـ استكشاف القوانين غير المفسَّرة للطبيعة، والقوى الكامنة في الإنسان[٤].

أما شعار الثيوصوفي، فقد كان: «لا دين أعلى من الحق»[٥].

○ الثيوصوفي في إنجلترا:

تأسست جمعية الثيوصوفي في إنجلترا بعد مثيلتها في أميركا بعام، وأدت دوراً مهماً في تعريف كثير من البريطانيين ـ وعدد كبير من الطبقة الأرستقراطية ـ

---

(١) التقدم الروحاني في الثيوصوفي يتحقق من خلال: الممارسات الباطنية كاليوغا، والتأمل، والتناسخ الذي يتيح للسالك فرصاً متعددة للإصلاح، وبإعانة السادة الروحانيين وهو أهم الطرق بالنسبة لأتباع الثيوصوفي.

انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 186.

(٢) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 3481, and An Encyclopedia of Religion-edited by Vergilus Ferm: 783, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbey: 44, and Evangelizing the New Age-Paul McGuire: 42, and New Age Living-Paul Roland: 16, and The New Age Cult-Walter Martin: 15.

(٣) وهذا مبني على أن جوهر البشر واحد، وهو مطلق خالد وغير مخلوق. ويختلف هذا المطلق بحسب المعتقد فهو إما الإله أو الطبيعة. تصفح الموقع الرسمي للمجتمع الثيوصوفي: www.theosociety.org: (objectives)

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31|co| and The A to Z of New Age Movement-Michael York: 186.

(٥) انظر: The Secret Doctrine-Helena Blavatsky: 1./ii, and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31 and Modern Esoteric Spirituality-Emily B. Sellon & Renee Weber: 318.

والموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية الثيوصوفي: www.theosociety.org

بالفلسفات الهندوسية والبوذية[١].

ولما انتقلت القيادة الثيوصوفية من نيويورك إلى الهند في عام ١٨٧٨م، أصبح لها دور مساند للحركات الهندية القومية التي كانت تسعى لإسقاط الكنيسة الإنجليزية وإضعاف الحكم البريطاني في المنطقة. فكانت النتيجة تعاون بعض كبار رجالات البوذية والهندوسية مع الثيوصوفي، من أبرزهم سوامي فيفِكنادا الذي يعتبر مؤسس (Swarmi Vivekanada)[٢] مذهب الفيدانتا[٣] في الولايات المتحدة[٤].

○ آني بيسانت (Annie Besant):

انتقلت قيادة جمعية الثيوصوفي بعد وفاة هِلِنا بلافاتسكي إلى آني بيسانت؛ كاتبة أيرلندية وناشطة في حقوق المرأة، إلا أنها - بعد التقائها ببلافاتسكي - قل اهتمامها السياسي والتفتت إلى الفكر الثيوصوفي.

استمرت الثيوصوفي في النمو والازدهار تحت قيادتها الجديدة، حتى وقعت بيسانت في خطأ فادح أضيف إلى فضيحة بلافاتسكي الأولى، فقد حاولت آني إبراز منقذ للعالم يتولى قيادته مع حلول «العصر الجديد»، حيث كانت قد تكهنت بظهوره من قبل، فوقع اختيارها على طفل هندوسي كان يعيش مع والده الذي يعمل خادماً في مقر الثيوصوفي في الهند.

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age-edited by: Kay Alexander (32-33).

(٢) سوامي فيفِكنادا: هو أبرز تلاميذ راما كريشنان مؤسس المدرسة السمارتية الهندوسية، ولد عام ١٨٦٢م، وكان خطيباً مفوهاً، ومدافعاً عنيداً عن الفيدات (الكتب الهندوسية المقدسة). خلف كريشنان، ونشر حركته حول العالم حيث أسس لها فروعاً داخل الهند وخارجها. وكان الناطق باسم الهندوسية في برلمان الأديان الذي عقد في شيكاغو عام ١٨٩٣م فأحدث أثراً في المشاركين. توفي عام ١٩٠٢م.
انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص٤١.

(٣) الفيدانتا: المعنى الحرفي للفيدانتا هو: الجزء الأخير من الفيدات، ويقصد بها المدرسة الهندوسية التي تركز على «تحقيق الذات»؛ أي: إدراك ما يعتقدونه من حقيقتها الإلٰهية. تعتمد فلسفتها بشكل رئيس على نصوص الأوبانيشاد التي تعتبر ملحقات للفيدات.
انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٢٧.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 32, and Modern Esoteric Spirituality-Emily B. Sellon & Renee Weber. (313-314), and the Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 46. and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 32.

تبنت بيسانت الطفل كرشنامرتي (Jiddo Krishnamurti)[١] ثقافياً، وأنشأته في أجواء المجتمع الثيوصوفي حتى أكمل تعليمه في أوروبا. وقد عظَّمه أتباع الثيوصوفي حتى اعتبره بعضهم تجسيداً للبوذا (Bodhisattva Avatar). لكن أحلام بيسانت تحطمت ـ مع ما كان يتأمله أتباعها ـ عندما تنصَّل كرشنامرتي في عام ١٩٢٨م من الدور الذي أُعد له، بعد سنين طويلة من الإعداد والتهذيب والتعليم، فقد رفض جميع أنواع الاتِّباع أو الاعتقاد المنظم، وآثر الاستقلالية الروحانية. فتأثرت الثيوصوفي كثيراً بذلك الحدث المفاجئ، ولم تعد لها المكانة ولا الأثر الذي كان لها من قبل.

توفيت آني بيسانت في عام ١٩٣٣م، فانتقلت قيادة المجتمع الثيوصوفي إلى ألِس بيلي[٢].

○ **ألِس بيلي (Alice Bailey):**

ولدت ألس بيلي عام ١٨٨٠م في إنجلترا التي أمضت فيها سنوات شبابها، وقد ادَّعت بيلي أنه حصل لها لقاء مع رجل معمم من «السادة»[٣] في تلك الحقبة، ولكنها لم تدرك كنهه إلا بعد مدة طويلة عندما انتقلت ألس من مسقط رأسها إلى كالفورنيا ـ أحد مقرات المجتمع الثيوصوفي ـ تحت تعليمات ذلك «السيد»[٤]. وبعد انتقالها بمدة يسيرة التقت بيلي بامرأتين إنجليزيتين تعرفت من

---

(١) **كرشنامرتي**: ولد كرشنامرتي الهندي الأصل في عام ١٨٩٥م، استقطبته جماعة الثيوصوفي ـ تحت رئاسة آني بيسانت ـ وأعدته ليكون المنقذ المنتظر، أو (المايتريا) الذي سيقود البشرية في العصر الجديد، فنقلته إلى إنجترا عندما أكمل الخامسة عشرة من عمره لإتمام دراسته. لكن لما بلغ كرشنامرتي أشده، رفض تقلد المنصب الذي أعد له، واستمر في التوجيه الروحي المستقل. كان يستخدم المصطلحات والمفاهيم الهندوسية مع استقلاله عن التنظيم الديني، وهي سمة ظاهرة في حركة «العصر الجديد» من بعده. توفي عام ١٩٨٦م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 27190, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (106-107).

(٢) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (47-48), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (36-37, 186). And New Age: A Guide-Daren kemp: 39.

(٣) وهو أحد «السادة» الذين تكررت زيارتهم لأتباع الثيوصوفي، واسمه دجوال خول (Djual Khul).

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 43, and New Age-Daren Kemp: (40-41).

خلالهما على الثيوصوفي، وكانت من أكثر الناس جهوداً ـ بعد بلافاتسكي ـ في إرساء اللبنات الأولى لحركة «العصر الجديد».

كتبت بيلي عدداً كبيراً من المؤلفات التي تحتوي على تعاليم «السادة» الدقيقة للأتباع في مستقبل الزمان والذين سيأتون في نهاية القرن العشرين على وجه التحديد. ويعتبر كتاب: عودة ظهور المسيح The Reappearance of the Christ أهم مؤلفات ألس بيلي، وفيه أبرزت مصطلح «العصر الجديد» ومفهومه. واستناداً إلى تعاليم «السادة» حول الإبقاء على سرية التعاليم، قررت الإعلان عن مسيح «العصر الجديد» وعن التعاليم السرية سيكون بعد عام ١٩٧٥م من خلال جميع الوسائل الإعلامية المتاحة.

تحدثت كتابات بيلي عن عدد من المواضيع المهمة، منها: قدوم «عصر جديد»، وعن نظام عالمي جديد، ودين عالمي جديد، ورغم أنها كانت تنتسب إلى الديانة النصرانية إلا أنها ـ في الواقع ـ كانت أقرب إلى الديانات الشرقية، حيث كانت تعتقد بألوهية الإنسان، وتناسخ الأرواح[١].

انفصلت بيلي عن الثيوصوفي في عام ١٩٢٢م، كتنظيم لا كفكر، فقد كانت لها جهود هائلة في نشر الفكر الثيوصوفي والتأسيس لحركة «العصر الجديد» حيث أقامت عدداً من المؤسسات التي تتبنى نشر مبادئه، منها مدرسة آركين (Arcane School) التي تأسست في عام ١٩٢٣م والتي يسعى تلاميذها إلى استحثاث قدوم «العصر الجديد»[٢].

(٤) حركة «الفكر الجديد» (New Thought Movement):

لم يعد للمذهب الروحي ولا الثيوصوفي وجود بارز في القرن العشرين، إلا أن بعض أفكارهما امتدت خلال حركة «الفكر الجديد»، فقد اشتركت مع الثيوصوفي في السعي لتحقيق أخوة إنسانية عالمية، ونشر ثقافة وحدة الأديان[٣]،

(١) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 50, and The A to Z of Age Movements-Michael York: (34-35).

(٢) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (49-50), and Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 47.

(٣) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander. 31.

كما اعتبرت صورة أميركية للمزمرية نظراً لشدة تأثرها بها[١].

ظهرت حركة «الفكر الجديد» في الولايات المتحدة الأميركية، وهي حركة فكرية روحانية تجمع بين طوائف متعددة تحمل مبادئ مشتركة حول أثر التفكير الإيجابي، وقانون الجذب[٢]، وتعظيم القدرات البشرية الكامنة، والاعتقاد بطاقة الحياة الفلسفية الباطنية[٣]، وغيرها من المفاهيم التي راجت بين أتباع حركة «العصر الجديد» من بعد[٤].

لقد كانت النظرة المثالية التي تبنتها حركة «الفكر الجديد» للعقل والجسم مطابقة لتلك التي دعت إليها حركة «العصر الجديد» من بعد، حيث تُوقعان مسؤولية المرض والشفاء على الفرد نفسه، وتجعلان الفكر المجرد قادر على تشكيل الواقع وخلقه[٥].

وقد تحددت ملامح هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وفق مبادئ قررها فينيس كويمبي قبل ذلك بعقود عدة.

○ **فينيس كويمبي (Phineas Quimby):**

معالج أميركي، ولد في عام ١٨٠٢م، ودرس المزمرية بتعمق، واستنبط منها طرقاً علاجية، حتى قرر أن المرض ليس سوى وهم، وأن السبب في ظهوره هو خلل في التفكير، ولذلك يرى كويمبي إمكانية معالجة جميع الأمراض، والوقاية منها من خلال تصحيح الفكر. وحسب رأي كويمبي فإن أبرز ثلاثة أسباب تفضي إلى اختلال الفكر هي: الدين، والمنطق، والأدوية، إذ هي التي تكرس القناعة بوجود المرض.

---

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 46, Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 30.

(٢) **قانون الجذب**: يعتقد أنه قانون كوني يحكم الواقع الذي يعيشه الإنسان، فالأفكار التي تكون في ذهن الإنسان تتحول إلى وجود مادي، وله أصول في الديانات الشرقية. وسيأتي مزيد تفصيل له لاحقاً بإذن الله.

(٣) **طاقة الحياة**: هي طاقة فلسفية نشأت في الديانات الشرقية، وتمثل الوجود المطلق، وكل موجود ليس إلا صورة لها.

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York. 133.

(٥) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike. 53.

أما بالنسبة لآراء فينيس كويمبي حول الإلٰهيات، فإنه يرى أن الإلٰه هو الحكمة[١]، وأن المادة ليست سوى صورة مكثفة لحقيقة الحكمة، وبتعبير آخر: وحدة وجود.

توفي كويمبي في عام ١٨٦٦م[٢].

لقد كانت إمَّا هوبكنز (Emma Curtis Hopkins)[٣] من أبرز تلاميذ كويمبي حيث أسهمت أفكارها إلى جانب أفكار معلمها ـ في تشكيل «الفكر الجديد»[٤].

ظهرت تسمية «الفكر الجديد» في تسعينيات القرن التاسع عشر، وتحددت معالم هذا الفكر مع بداية الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩١٤م تكون «الاتحاد العالمي للفكر الجديد» من مجموعات متنوعة تشكلت من تلاميذ هوبكنز، ثم أصدر إعلان مبادئ الحركة في ١٩٥٧م.

ورغم أن مقر حركة «الفكر الجديد» الرئيس هو في الولايات المتحدة، إلا أن الجماعات التابعة لها تنتشر في أنحاء العالم[٥]. كما أن هناك عدداً من الجماعات التي تندرج تحت مسمى «الفكر الجديد» يمكن تصنيفها ضمن حركة «العصر الجديد» كذلك[٦].

○ دورة في المعجزات (A Course in Miracles):

لقد كان من أشهر مطبوعات «الفكر الجديد» ـ التي تمثل أفكار الحركة ـ

(١) وهذا كقول القائلين بأن الوجود هو العقل، أو هو الوعي.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York. 150. and the Columbia Encyclopedia 6th Edition 40195.

(٣) إما كرتس هوبكنز: من أبرز مؤسسي حركة «الفكر الجديد» وتلميذه فينيس كويمبي، تسمى معلمة المعلمين. انفصلت عن الحركة في عام ١٨٨٥م وأسس تلاميذها مراكز خاصة بهم، وكنتيجة لأفكارها ظهر «اتحاد الفكر الجديد». توفيت عام ١٩٢٥م. انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 93, and Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: (16-17).

(٤) انظر: Perspectives on The New Age-edited by: Lewis & Meltion: 16. The A to Z of New Age Movements-Michael York: 150.

(٥) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (133-134).

(٦) منها: Unity, Divine Science, Religious Science, the Adventures in Enlightenment Foundation. Miracle Experiences inc.

كتاب مكون من ثلاثة مجلدات، اسمه: دورة في المعجزات (A Course in Miracles)، وهو من جملة الكتب التي أملتها «الأرواح»، تدَّعي مؤلفته د.هِلِن شُوكمن (Dr. Helen Schucman)[١] أنها سمعت صوتاً يقول لها: (هذه دورة في المعجزات، الرجاء تقييد المعلومات!)، وذلك بعد أن تعرضت لسلسلة من الأحلام والرؤى الغريبة.

نُشر الكتاب لأول مرة في عام ١٩٧٥م، دون إشارة إلى كاتبته، فهي ـ بزعمهم ـ ليست سوى وسيط، ولأن الكتاب يراد له أن يقوم بنفسه. كما تمت ترجمة الكتاب إلى ما يقارب العشرين لغة، وغيرها مما لا يزال في طور الترجمة.

يعتبر هذا النص ـ عند بعض الباحثين ـ الصورة النصرانية لمدرسة الفيدانتا الهندوسية، وقد حظي بعناية واهتمام حركة «العصر الجديد» فيما بعد[٢]. ولعل من أهم النقاط التي يُعرِّجُ عليها في هذه «الدورة» ما يلي:

١ ـ أن البشرية تستحق العقوبة لاعتقادها بانفصالها الدائم عن الإله.

٢ ـ أن هذا الانفصال أصبح واقعاً بسبب ما يعتقده الناس حقّاً، ولا بد من علاج هذا الخطأ بإدراك الحقيقة الإلهية للذات البشرية.

٣ ـ أن الهدف من الدورة هو نشر الحب الإلهي بين الناس لإيقاظ وشفاء الآخرين[٣].

وقد جاء في مقدمة الكتاب:

«... ولذلك يمكن تلخيص الدورة بشكل ميسر كالتالي:

كل ما هو حق لا يمكن أن يهدد

وليس في الوجود ما ليس بحق

---

(١) هلن شوكمن: أستاذة علم النفس في جامعة كولومبيا، ولدت لأسرة يهودية، ولكنها تنصرت، ثم مالت إلى اللادينية أثناء دراستها العلمية. في عام ١٩٦٥م ادَّعت أنه أوحي إليها نص في المعجزات، واستمر هذا «الوحي» لمدة سبع سنوات، كانت نتيجته ثلاثة مجلدات هي من أشهر نصوص «الفكر الجديد» توفيت عام ١٩٨١م. انظر: New Age: A Guide-Daren Kemp: (14-15), and The A to Z of New Age Movements-michael York: 9.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 11, and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 36.

(٣) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 10.

هنا يكمن سلام الإله»[١].

(٥) ثقافة الهيبي (Hippie Culture):

تعتبر ثقافة الهيبي ـ التي ظهرت في أميركا كردة فعل للمادية الغربية والأوضاع السياسية ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ سلفاً مباشراً لحركة «العصر الجديد».

اعتنق الهيبيز الروحانيات البديلة، ودعوا إلى الحرية السلوكية والعقائدية المطلقة، مع اهتمامهم الملحوظ بالطبيعة والبيئة. كما انتشرت في أوساطهم المخدرات، وعقاقير الهلوسة كوسيلة لتحوير الوعي، وإيصاله إلى مراحل عالية. هذا بالإضافة إلى ممارسة التأمل الشرقي واليوغا لتحقيق الهدف ذاته[٢].

وقد أسهم خروج الفيلم الموسيقي (Hair) عام ١٩٦٧م في نشر ثقافة الهيبي ومعتقداتهم، بالإضافة إلى نقله البشارة بـ «العصر الجديد» ـ عصر الدلو ـ إلى أوساط العوام والمستويات الشعبية[٣].

(٦) حركات القدرة البشرية الكامنة (Human Potential Movements):

نشأت حركة القدرات البشرية الكامنة في ستينيات القرن العشرين حول فكرة الإمكانات الخارقة الكامنة في النفس البشرية، والعمل على تنمية الذات وتطويرها، إلا أن هذا الاهتمام بالنفس البشرية مقترن بالاعتقاد بوجود شرارة إلهية تكمن في داخلها، متى تم إطلاقها تمتع الإنسان بقدرات غير محدودة[٤].

---

(١) تصفح موقع: Foundation of Inner Peace، المنظمة الموكلة بنشر الكتاب من قبل د. شوكمن.
ويقدم الموقع دروساً في دورة المعجزات عبر الشبكة، وينظم اجتماعات بين المهتمين، كما يتولى بيع بعض المواد العلمية المتعلقة بالدورة. علماً أن الكتاب قد تم توفيره بتسعة عشر لغة مع العمل على ترجمته إلى لغات إضافية، ليست العربية ـ حتى تقييده ـ منها.

(٢) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (81-82) k and Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (42-43).

(٣) انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 28.

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 95.

ومن صفات الحركة ما يلي:

١ ـ التركيز على كل ما من شأنه تنمية النفس البشرية، وتطوير الذات ـ بغض النظر عن إمكانية ثبوته علمياً.

٢ ـ الاعتقاد «بقوة الحياة» (Live Force)، وهي الطاقة الكونية في المعتقدات الشرقية، أو ما يسمى برانا (Prana)، ويمكن تحصيلها واستقطابها عن طريق اليوغا[١].

ويعتبر معهد إيسالِن (Esalen Institute) المركز الجغرافي لحركة القدرات البشرية الكامنة.

○ **معهد إيسالِن:**

في عام ١٩٦١م تولى مايكل مِرفي (Michael Murphy) وأحد زملائه في جامعة ستانفورد إدارة أملاك أسرة مِرفي بمنطقة بغ سُر (Big Sur) في ولاية كاليفورنيا الأميركية. وكان مايكل مرفي قد قضى مدة في الهند، تعلم خلالها التأملات الهندوسية الباطنية على يد فيلسوف هندوسي[٢] هناك، يقرر بأن الإنسان كائن تطوري لم يصل بعد إلى مرحلته الأخيرة من الارتقاء، ويرى الجمع بين الوجود المادي والروحاني، فنقل مرفي تلك الممارسات والفلسفات إلى الولايات المتحدة، وأخذ ينظم الدورات في المعهد الذي أنشأه على أرض أسرته بهدف إطلاق القدرات البشرية الكامنة، وإحداث ثورة في «الوعي» العالمي[٣].

وقد ظهر عدد من المراكز على شاكلة إيسالن في مناطق ذات طبيعة خلابة، تختلط فيها العلوم النفسية بالممارسات الروحانية، كاليوغا وعدد من الأفكار الباطنية، منها مؤسسة فندهورن.

(٧) مؤسسة فنْدْهورن (Findhorn Foundation):

تأسست مؤسسة فندهورن ـ والتي تسمى «فاتيكان العصر الجديد» ـ في عام

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 42, and Humanistic and Transpersonal Psychology-edited by: Donaid Moss: 33.

(٢) اسمه سري أوروبندو (Sri Aurobindo).

(٣) انظر: The Cosmic Self-Ted Peters: (11-14), and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 80, and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: (36-37).

١٩٦٢م على يد الزوجين بيتر وأيلين كادي[١] (Peter & Eileen Caddy) وصديقتهما دوروثي مكلين[٢] (Dorothy Mclean)، وهي مركز عالمي للتثقيف الروحي، وتطوير الذات في شمال سكوتلندا.

○ **نشأة مؤسسة فندهورن:**

انتقل الزوجان كادي وصاحبتهما دوروثي مكلين للعيش في بيت متنقل بالقرب من ساحل فندهورن نظراً لبعض الظروف المالية الحرجة. ولما أرهقتهم تكاليف المعيشة قرروا إنشاء حديقة صغيرة في الأرض المجاورة لمنزلهم؛ ليأكلوا من نتاجها. فقامت دوروثي بتولي مهام الزراعة والحرث، إلا أنها لم تتبع الطرق التقليدية في ذلك - بل أصبحت تتخاطب مع «أرواح» النباتات لتأخذ منهم النصائح والتوجيه. ولما تكاملت المزرعة الصغيرة التي أقيمت على أرض خالية من الزرع أصلاً، يزعم أتباع فندهورن أنها أنتجت خضروات ضخمة ليس لها مثيل على وجه الأرض[٣]! فأصبح أعداد كبيرة من المهتمين بخوارق العادات

---

(١) بيتر كادي: ولد بيتر في ١٩١٧م في إنجلترا، تأثر باهتمام والده بأنواع من الاستشفاء الروحاني. التقى بوسيط روحي عالجه في شبابه، فأصبح بعدها يتشكك في النصرانية، وسعى في البحث عن «الحقيقة» بنفسه حتى توصل في آخر الأمر إلى إنشاء مؤسسة فندهورن مع زوجته وصديقتهما. توفي عام ١٩٩٤م.

انظر: .Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: (48-49)

أيلين كادي: ولدت أيلين في الإسكندرية عام ١٩١٧م، وبعد وفاة والدها اتجهت - مع والدتها - إلى بعض التيارات الباطنية داخل الكنيسة، تزوجت بيتر كادي، وأسست معه مؤسسة فندهورن التي تعتبر مركزاً عالمياً لأتباع حركة «العصر الجديد»، توفيت في عام ٢٠٠٦م.

انظر: .Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: (58-59)

(٢) دوروثي مكلين: ولدت عام ١٩٢٠م في كندا، وعملت في نيويورك، ثم انتقلت إلى إنجلترا، حيث التقت ببيتر كادي واشتركت معه في بعض الممارسات الروحانية، وقد أسهمت في تأسيس مؤسسة فندهورن في عام ١٩٦٢م واشتهرت بادعائها مخاطبة «أرواح» الطبيعة، وزراعة الخضروات الضخمة. تركت مكلين المؤسسة في عام ١٩٧٣م وعادت إلى أميركا حيث اشتركت مع ديفد سبانغلر في بعض نشاطاته.

انظر: .Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 58

(٣) علماً هذه الخضروات «الخارقة» ليس عليها دليل سوى أقوال أتباع حركة «العصر الجديد»، أما مجرد الزراعة في تلك الأرض فقد قرر المختصون أن ذلك ممكن إذا تمت العناية اللازمة بالمزروعات.

يتوافدون على مقر فندهورن، ليتلقوا الإرشادات الروحانية، ويشكلوا مجتمعاً جديداً يهدف إلى الارتقاء «بالوعي» العام، ويقدم الروحانيات البديلة مع السعي لاكتشاف الإلٰه الكامن في الداخل.

ومع مرور الزمن تحول المجتمع الصغير إلى مؤسسة عالمية تستقطب آلاف الزوار والمريدين من جميع أنحاء العالم، وتقيم العديد من الدورات التثقيفية التي تربط بين المبادئ الروحانية والحياة الاجتماعية، والبيئة، والاقتصاد. كما تدرس في المؤسسة تعاليم مدام بلافاتسكي، وأليس بيلي، وغيرهما من قادة الفكر الباطني - بل إن مؤسسة فندهورن تعتبر أِلس بيلي نبيّة «العصر الجديد»[(١)]! وقد تم الاعتراف بمؤسسة فندهورن كمؤسسة خيرية رسمية - غير حكومية - من قبل الأمم المتحدة في عام ١٩٩٧م[(٢)].

لقد استقطبت فندهورن عدداً من قيادات حركة «العصر الجديد» على مر السنين، منهم من كانت زيارته عابرة، ومنهم من مكث في مقرها مدة من الزمن. ولعل من أبرز أولئك الزوار الثيوصوفي الأميركي ديفيد سبانغلر.

○ **ديفيد سبانغلر (David Spangler):**

انضم ديفيد سبانغلر - وهو من كبار المتحدثين باسم حركة «العصر الجديد» - إلى فندهورن في عام ١٩٧٠م. وحظي باستقبال حافل حيث ادَّعت مكلين أو - أيلين كادي - أن «الأرواح» أوحت إليها بأن سبانغلر صاحب خصوصية وتميز، فُعيّن حال وصوله شريكاً في إدارة المؤسسة، ومتحدثاً رسمياً باسمها.

استمر ديفيد في العمل في إدارة فندهورن حتى عام ١٩٧٣م حيث قرر العودة إلى الولايات المتحدة، وبعد رجوعه أسس سبانغلر جمعية لوريان (Lorian Association) التي تعمل على نشر التعاليم الروحانية التي تهيئ لقدوم «العصر الجديد».

لـ ديفيد سبانغلر عدد من المؤلفات التي تعبر عن آرائه وفكره، من أبرزها كتاب (Revelation: The Birth of a New Age)، أو: (التجلي: ولادة عصر جديد) الذي

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (28-29), and The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 51, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 74.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (73-74).

تم تأليفه في عام ١٩٧٦م بإيحاء من «النفس العليا»، ويمثل هذا الكتاب رؤى حركة «العصر الجديد» وأهدافها، وإن كان سبانغلر لا يرى وصفها بـ «الحركة»، ويرى ـ بخلاف بيلي ـ أن مسؤولية قدوم «العصر الجديد» تقع على عاتق المؤمنين به.

إن كتاب ديفيد سبانغلر الآنف ذكره هو مما تقرَّر تدريسه وقراءته في مؤسسة فندهورن إلى جانب كتابات ألِس بيلي ومدام بلافاتسكي. ولا يزال سبانغلر يعمل ـ حتى تقييده ـ في نشر مبادئه عبر الكتابة والإلقاء[١]، ويعتبره كثير من رواد حركة «العصر الجديد» نبيّاً، وإن لم يكن ذلك بالمعنى الحرفي للكلمة[٢].

○ **سِر جورج تريفليان (Sir George Trevelyan)[٣]:**

سِر جورج تريفليان خطيب ومتحدث بريطاني، ولد في عام ١٩٠٦م، له اتصال وثيق بمؤسسة فندهورن ويسمى جَدّ حركة «العصر الجديد»، أقام عدداً من الدورات في العلوم الاستسرارية الباطنية منذ عام ١٩٤٨ ـ ١٩٧١م بعد أن تقاعد من عمله في الجامعة. وكان من أبرز ما تميزت به تعاليمه الجمع بين الفلسفات القديمة، ومكتشفات العلم الحديث، والعلوم النفسية المعاصرة.

ركز تريفليان في محاضراته على التحرر من كل سلطة خارجة عن النفس، متهجماً على العقائد والأديان، فهو يرى أنه لا يجب على الإنسان أن يتقبل إلا ما يراه حقاً دون أي مؤثر خارجي. وقد كان يعقد اجتماعاً سنوياً للمهتمين بالروحانيات الحديثة والاستشفاء، ويعتبر بعض الباحثين هذه الاجتماعات هي النواة الأولى لحركة «العصر الجديد» في بريطانيا. ألَّف العديد من الكتب التي تمثل فكره وتوجهاته. توفي عام ١٩٩٦م[٤].

---

(١) انــظــر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (51-52), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 172, and Christian Responeses to the New Age Movement-Jon Saliba: 4.

(٢) انظر: The New Age Cult-Walter Martin: 114.

(٣) وقد تم ذكره بعد سبانغلر رغم تقدمه على سبانغلر من حيث الزمان ـ لأهمية سبانغلر بالنسبة إلى كل من مؤسسة فندهورن وحركة «العصر الجديد».

(٤) انــظــر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (189-190), and New Age: A Guide-Daren Kemp: 36, and The New Age Cult-Walter Martin: 114: 114. The New Age Movement-Paul Heelas: 21.

(٨) «مؤامرة» الدلو (The Aquarian Conspiracy):

ولدت مارلين فِرغِسُن في عام ١٩٣٨م، وهي كاتبة أميركية ومتحدثة مؤثرة تعتبر من أبرز الإصلاحيين بالنسبة لأتباع حركة «العصر الجديد». لـ فِرغِسُن عدد من المؤلفات الفكرية إلا أن أشهرها على الإطلاق هو كتاب: «مؤامرة» الدلو (The Aquarian Conspiracy) الذي طبع في عام ١٩٨٠م[١]. فقد أثار هذا الكتاب جدلاً واسعاً في أتباع الكنيسة حيث كان عنوانه يوهم بوجود مؤامرة منظمة تحاك لنشر فكر «العصر الجديد» وإحلاله محل التدين التقليدي. إلا أن مارلين لم تقصد هذا المعنى بالتحديد، فكلمة: (Conspiracy) باللغة الإنجليزية تحمل أكثر من معنى؛ المعنى الأشهر الشائع هو: «المؤامرة»، والمعنى الآخر الذي لا يكاد يستخدم هو: «التنفس سوياً»، وهذا المعنى الأخير هو الذي أرادته في كتابها، حيث تتحدث فيه عن تحول شامل يقع على جميع المستويات: الشخصي، والروحاني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والطبي، وغيرها، وهذا التغيير ـ المتوافق مع مبادئ الحركة وفلسفاتها ـ سيستحث قدوم «عصر الدلو». ففي عنوان الكتاب إشارة إلى تغيير متزامن، وإن لم يكن ثمة ارتباط محدد، أو تنسيق مسبق. ولكن ـ بلا شك ـ أن اختيار فرغسن لعنوان الكتاب أسهم في انتشاره، ولفت الأنظار إليه.

وقد توفيت فرغسن في عام ٢٠٠٨م[٢].

عندما نتأمل ما سبق من المراحل التي مرت بها حركة «العصر الجديد» في طور نشأتها ندرك أنها حركة معقدة ذات أبعاد متعددة، ويمكن اعتبارها صورة جديدة لبعض الحركات التي سبقتها ـ أو خليط منها. إلا أن ما يميز حركة «العصر الجديد» عن سابقاتها ـ ويجعلها أكثر خطورة ـ هو ملامستها لاحتياجات العوام، واستهدافها لجميع طبقات المجتمع. ولذلك يمكن القول بأن حركة «العصر الجديد» تعبير عن المرحلة الانتقالية التي مرت بها الروحية، والثيوصوفي، و«الفكر الجديد»، وحركة القدرات البشرية الكامنة، وغيرها من

---

(١) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 73, and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pkie: 147.

(٢) انظر: صحفية الـ نيويورك تايمز، نوفمبر ٥، ٢٠٠٨م.

حركات استسرارية ذات خصوصية وانعزال، إلى فكر خبيث يغزو المجتمع على جميع مستوياته.

من أبرز الشخصيات المعاصرة لحركة «العصر الجديد»:

لقد ذكر فيما سبق عدد من الشخصيات القيادية في حركة «العصر الجديد» ممن سبقوا ظهورها الفعلي، إلا أن للحركة أعلاماً ظهروا في المراحل المتأخرة، وفيما يلي تعريف بأبرزهم:

○ جي زي نايت (J.Z Knight):

ولدت جي زي نايت في عام ١٩٤٦م في الولايات المتحدة الأميركية، وهي رمز من أشهر رموز «العصر الجديد»، اشتهرت بشخصيتها الجذابة والمثيرة للجدل، إلى جانب وساطتها لـ «روح» اسمه رامثا، تزعم أن عمره يزيد على ٣٥,٠٠٠ سنة.

لقد كان أول اتصال مزعوم بين رامثا وجي زي في عام ١٩٧٧م، ويصف نفسه - على لسان جي زي - بأنه مقاتل ليموري في أطلانطس[١]، عاش لاحقاً كإله هندوسي! كما يبرر اختياره لـ جي زي نايت بأنها تجسيد معاصر لابنته (عن طريق التناسخ).

أنشأت نايت مدرسة رامثا للاستنارة في عام ١٩٨٨م، وهي تترأس عدداً من المؤسسات المتعلقة، وتتلقى مبالغ هائلة مقابل حضور محاضرات «رامثا»، تصل إلى ١٥٠٠ دولار للشخص الواحد في حلقات دراسية تقام في عطلة نهاية الأسبوع!

ومن الفلسفات التي يروج لها «رامثا» من خلال جي زي ما يلي:

(١) ذكرت بلافاتسكي في كتابها: «العقيدة السرية» بأن التاريخ البشري قد مر بعدة مراحل من الأعراق البشرية، وتشكل ليموريا المرتبة الثالثة التي انقرضت بظهور الحضارة التالية لها.
أطلانطس: هي جزيرة ذكرها أفلاطون في حواراته، إلا أنه لم يقم دليل على وجود حقيقي لها، وهي تمثل وطن العرق الرابع للبشرية عند بلافاتسكي. أما البشر الذين يقطنون الأرض اليوم فهم من العرق الخامس.
انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: (31, 138), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (26-27).

١ ـ أن العالم عبارة عن صورة مكثفة من الوجود الإلهي، ولا وجود لإله مباين للمخلوقات.

٢ ـ أن الإنسان يمثل شرارة إلهية ساقطة، أصبحت الآن محبوسة في المادة.

٣ ـ ومبدأ مقتبس من «الفكر الجديد»: أن الواقع يخلقه الفكر[١].

○ **بَنجِمِن كريم (Benjamin Crème):**

هو فنان وكاتب سكوتلندي، وأحد معلمي حركة «العصر الجديد» الذين يتبعون تعاليم مدام بلافاتسكي وألس بيلي. ادّعى في عام ١٩٥٩م أنه بدأ يسمع أصواتاً في داخله تنبئه بقرب ظهور الـ «مايتريا» (Maitreyah)[٢]، قائد «الأخوّة البيضاء العظيمة»، فأخذ كريم على عاتقه إعداد العالم لقدومه، حتى قرر الـ «مايتريا» أنه سيظهر بشكل مجسم ليزور الأرض، فأصبح كريم يلقي الكلمات حول «عودة المسيح».

لقد كان السابع من أيلول ١٩٧٧م هو التاريخ الذي زعم بنجمن كريم أن الجسد الذي سيحمل الـ «مايتريا» قد أُعِد، وبعده بدأ الـ«مايتريا» بالانحدار من مقره الروحي في جبال الهملايا. ورغم أن بنجمن كريم كان يخبر أن الـ «مايتريا» سيظهر للعالم في عام ١٩٨٢م فإن ذلك لم يحدث، وهو لا يزال يدعي أنه سيظهر قريباً، وسيلقي خطبة عبر وسائل الإعلام يفهمها الناس كلهم على اختلاف لغاتهم[٣].

---

(١) انظر: The New Age: Notes of Fringe Watcher-Martin Gardner: (195-205), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (105-106), and Confronting the New Age-Douglas Groothuis: 28, and Another Gospel-Ruth Tucker: 326.

(٢) مايتريا: التجسيد المستقبلي للبوذا، وهو الكائن الذي يمتنع بإراداته عن الدخول في النيرفانا (الاتحاد بالمطلق والخلوص من التناسخ) كنوع من التضحية لإنقاذ البشرية.
انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 146. The A to Z of New Age Movements-Michael York: 113.

(٣) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbey: 22, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (57-58). Perspectives on the New Age-Irvang Hexham: 152, and Christian Responses to the New Age Movement-Jon Saliaba: 21, and Another Gospel-Ruth Tucker: 336.

○ **ديباك شوبرا (Deepak Chopra):**

هو طبيب أميركي من أصل هندي وكاتب ذو شعبية في حركة «العصر الجديد». تتلمذ على يد مهاريشي يوغي[(١)] في التأمل التجاوزي، وترقى سريعاً إلى مراتب عالية، ولكن شوبرا ترك المؤسسة بعد أن رأى مهاريشي أنه ـ أي: شوبرا ـ يشكل منافساً لسلطته.

أسس ديباك (مركز شوبرا للصحة العامة) في ولاية كاليفورنيا، وبقي مخلصاً لجذوره الدينية يدمجها في تعاليمه الحديثة، حيث يجعل شوبرا منشأ الشفاء والمرض في الفكر، فالوجود الجسماني ـ حسب رأيه ـ مخلوق لـ «الوعي»، معتمداً في رأيه على فلسفة الـ أيورفيدا الهندوسية[(٢)]. لقد واجه ديباك شوبرا انتقاداً واسعاً من الأوساط العلمية لإقحامه آراء فلسفية غير ثابتة في العلوم الطبية التجريبية، ولإحالته إلى النظريات الكمية في العملية العلاجية، وتفسيرها تفسيراً فلسفياً باطنياً[(٣)]، إلا أن ذلك لم يؤثر على شعبيته بين أنصار حركة «العصر الجديد»، ففي عام ١٩٩٩م أعلنته مجلة تايم الأميركية أحد أبرز مائة رمز وبطل في القرن العشرين، وأسمته نبي الطب البديل[(٤)]! وفي عام ٢٠٠٦م أنشأ شوبرا شركة تنتج قصصاً مصورة تعيد إحياء الثقافة الشرقية والرموز الباطنية في نفوس الشباب وتعمل على نشرها في أنحاء العالم[(٥)].

عمل في التدريس بعدد من كليات الطب في الجامعات الأميركية عدة

---

(١) مهاريشي يوغي: لا يُعرف الكثير عن المراحل المبكرة من حياة مهاريشي، ولكن أكثر المصادر تشير إلى أنه راهب هندوسي ولد في عام ١٩١١م. وبعد أن توفي معلمه غورو ديف عام ١٩٥٢م دخل مهاريشي في عزلة تامة لمدة عامين، قام بعدها بتنظيم حركة تقوم بنشر التأمل التجاوزي في أنحاء العالم. واجتهد في نشر اعتقاداته إلى أن استطاع أن ينشئ مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء متعددة من أوربا وأمريكا. وما زال مهاريشي حياً عاملاً.
انظر: Philosophers and Religiuos Leaders-edited by: Christian D. Von Dehsen: 120, and Transcendental Mediation, Relaxation of Religion¢ - Ronald L. Carison: (14-16).

(٢) انظر: Perspectives on the New Age-Catherine L. Albanese: (76-77), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (45-46), and The New Age Movement-Paul Heelas: 67, and New Age A Guide-Daren Kemp: 132.

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Robert Todd Carroll: 45.

(٤) انظر: Time Magazine-issue: June 14, 1999.

(٥) تصفح: www.liquidcomics.com

سنوات قبل استقلاله بالعمل في عيادة خاصة، وله عدد كبير من المؤلفات والبرامج التي لا يزال يبث من خلالها فكره وآراءه[١].

يُصرِّح شوبرا في مواضع متعددة من كتاباته ومقاطعه المرئية بأن الإنسان هو «الإله»، وقد أصبحت شهرته وشعبيته تتزايد ـ وللأسف ـ في البلدان العربية، وفي الخليج العربي على وجه الخصوص. فهناك مجموعات تعمل على خدمة وترجمة محاضراته ولقاءاته ونشرها عبر مواقع شهيرة على الشبكة العالمية، بل إنه قد تمت استضافته للإلقاء في كل من البحرين والإمارات في شهر فبراير وشهر سبتمبر من عام ٢٠١٣ م، وظهر احتفاء كثير من المعجبين به وفكره الفلسفي المنحرف[٢].

○ إكهارت تولي (Echhart Tolle):

ولد إكهارت تولي في عام ١٩٤٨م في ألمانيا، ثم انتقل إلى أسبانيا وعمره ثلاث عشرة سنة، وقد عاش أكثر شبابه يصارع الاكتئاب الحاد. ولما أتم تسعة وعشرين عاماً أصيب بنوبة شديدة من الاكتئاب دفعته إلى التفكر في ذاته، وما تعانيه من آلام، حتى توصل إلى إنكار تلك الذات، ثم زعم أنه عاش بعدها في سعادة وسلام حيث لم يعد له وجود ليحس بالألم، فهو مجرد مراقب. أصبح إكهارت يقضي أوقاتاً طويلة يراقب الناس في شوارع لندن، وفي المعابد البوذية، ويبيت في المنتزهات الخارجية، حتى وصفه أهله بالجنون.

مرت الأيام سريعاً، حتى أصبح الرجل التائه الضعيف معلماً روحانياً يقصده الناس من شتى بقاع الأرض. وفي عام ١٩٩٥م انتقل إكهارت تولي إلى الولايات المتحدة، وهناك ألَّف كتابه الأول: (قوة اللحظة) أو (قوة الآن) (The Power of Now) والذي ترجم إلى أربع وثلاثين لغة منها العربية. يبين تولي في هذا الكتاب توجهاته الفلسفية، فيتحدث عن التعاليم الروحية التي تتجاوز الزمان، وتمثل حقيقة كل الأديان، وقد أشار إلى الديانات الشرقية والتصوف وإلى كتاب

---

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Wordview-John Newport: (344-349), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (45-46).

(٢) وقد صرّح صلاح الراشد في حسابه الخاص على تويتر بأن ديباك هو «أفضل مغرد روحاني» وبأنه «مُعلمه»، كما أخبر بأنه يتعاون معه في مشاريع تنويرية مشتركة.

«دورة المعجزات»[١].

يمتلك تولي شركة توفر اللوازم «الروحانية»، كما أسس موقعاً على الشبكة العالمية يبث دروسه، وجلسات تأمل أسبوعية[٢].

وقد بات عدد من «المدربين» في الخليج يكثرون من الاستشهاد بأقواله الفلسفية، ويحيلون إلى قراءة كتبه التي تغص بالتعاليم الباطنية، والفلسفات الكفرية، كالقول بوحدة الوجود، وتأليه الذات. كما يعمل بعض معجبيه على ترجمة محاضراته ونشرها ـ مع محاضرات ديباك ـ على شبكة الإنترنت.

(١) انظر: The Power of Now: A Guide to Spirtual Enlightenment-Eckhart Tolle.

(٢) www.eckharttolletv.com

الفصل الثاني

أبرز مصادر الأفكار والعقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، والفلسفات الممهدة لظهورها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز مصادر العقائد الباطنية لحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: الفلسفات الغربية الممهدة لموقف حركة «العصر الجديد» من الأخلاق والقيم والحقائق.

المبحث الأول

أبرز مصادر العقائد الباطنية لحركة «العصر الجديد»

تعتبر حركة «العصر الجديد» حركة انتقائية تلفيقية[1]، بمعنى أنها تنتقي مبادئها ومعتقداتها من مصادر متعددة ثم تجمعها في سياق واحد، فتكون النتيجة مجموعة من العقائد الملفقة. وعند مقارنة تلك المصادر المتفرقة نجد أنها متباينة جغرافيّاً، ودينيّاً، وزمنياً، لا يكاد يربط بينها رابط، ولكن بعد التدقيق والنظر يجد الباحث أن ثمة توجهاً ضمنيّاً مشتركاً في تلك المصادر يربط بينها جميعاً: وهو التوجه الاستسراري الباطني.

فعندما يقول بعض الباحثين الغربيين: إن الهندوسية والإسلام ـ مثلاً ـ من المصادر العقدية لحركة «العصر الجديد»، يحتار القارئ كيف يجمع بين الحق والباطل؟ وكيف يكون التوحيد الخالص والوثنية الممقوتة شريكين في تغذية هذه النبتة الخبيثة؟ ولكن عندما يُعلم أن هؤلاء قد يعبِّرون بـ«الإسلام» عن الفكر الصوفي المغالي المنتسب إلى الإسلام ـ زوراً ـ تتضح أوجه الشبه بين المصدرين.

تُشكِّل مصادر حركة «العصر الجديد» خارطة عجيبة؛ تمتد من صحاري

(١) Syncretic & Eclectic.

مصر إلى أرض اليونان، ومن جبال الهند إلى الصين وسيبيريا وأميركا الجنوبية. ومع هذه المصادر التي تعتبر خارجية كان هناك عوامل أخرى داخلية مهدت لتقبل تلك المعتقدات الوافدة، فاجتمعت العوامل الخارجية المؤثرة والعوامل الداخلية الممهدة ليتشكَّل من مجموعهما فكر الحركة.

أما المصادر الخارجية فسيتم تناول أبرزها في المبحث الأول من هذا الفصل، وهي:

الديانات الوثنية القديمة، متمثلة في الهندوسية، والطاوية، والبوذية، بالإضافة إلى الديانة المصرية القديمة.

- الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية.
- الغنوصية النصرانية والـ كبالا اليهودية.
- التصوف «الإسلامي».
- الديانات الوثنية الحديثة، متمثلة بالشامانية الحديثة، والويكا، والدرويدية، وقد أدرجتها ضمن المصادر الخارجية باعتبار أصلها.

أما العوامل الممهدة لتقبل الفكر الوافد والتأسيس له ـ خاصة ما له تعلق بالحقائق والأخلاق، فهو ما سيتم استعراضه في المبحث الثاني.

المطلب الأول

الديانات الوثنية القديمة

يمكن تتبع الجذور الباطنية للتيارات الغربية ـ على وجه العموم ـ وأفكارها حول الإله، والإنسان، والكون، إلى أصول ضاربة في القِدَم، كثيراً منها يرجع إلى الديانات الشرقية[١]. وقد استقت حركة «العصر الجديد» ـ على وجه الخصوص ـ كثير من آرائها الفلسفية من المعتقدات الهندوسية[٢]،

(١) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 15.

(٢) انظر: Evangiliziging in the New Age-Paul Mcguire: 39 and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, 31. The New Age Movement-Ron Rhodes: 28, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 215, and New Age and =

والبوذية[١]، والطاوية[٢]، وكذلك من الديانة المصرية القديمة[٣].

فالفلسفات الشرقية التي تروج لها حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن تعتبر من ابتداع الحركة، وإن كانت قد تحمل طابعاً جديداً نوعاً ما عندما تُنشر في المجتمع الغربي[٤]، فهي تُقدم بصور أميركية مبسطة، وتُزخرف بالمصطلحات العلمية الموهمة[٥].

ومن أهم المصادر الفلسفية لحركة «العصر الجديد» - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - هي الديانة الهندوسية.

أولاً: الهندوسية:

تطلق «الهندوسية» على الديانة التي تعتنقها الغالبية العظمى من سكان بلاد الهند، وترجع أصولها إلى ما يزيد على الألفي عام قبل الميلاد. وهي مصطلح فضفاض يضم أكثر من مذهب فلسفي ومدرسة فكرية، كما تندرج تحته العديد من الممارسات الدينية والطقوس التعبدية المتباينة. ولا يمكن للباحث أن يحدد زمناً دقيقاً لنشأة الهندوسية، فضلاً عن محاولة إرجاعها إلى فرد، أو أفراد أحدثوها، أو قاموا بكتابة نصوصها المقدسة. فالهندوسية هي مزيج من الثقافات والعقائد المتعددة التي تطورت مع مرور الزمان[٦].

= Neo-Pagan Religions in America-Sarah M.Pike: 14.

(١) انظر: Evangilizing in the New Age-Paul Mcguire: 39, and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 41, and New Age and New-Pagan Religions in America-Sarah m. Pike: 14.

(٢) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 11, and New Age Encyclopedia-Belinda Withworth: 209, and Encyclopedia of New Age Beliefts-Ankerberg & Weldon: 354, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whithworth: 95, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah m. Pkie: 14, and Perspectives on the New Age-Robert Ellwood: 59.

(٤) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٥) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 17.

(٦) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص٤٣ - ٤٤، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد ضياء الدين الأعظمي ص٥٢٨ - ٥٢٩.

تفتقر الديانة الهندوسية إلى المرجعية الموحدة وإلى ما يمكن تسميته بالعقيدة المركزية، رغم اتفاق كافة الاتجاهات على قدسية كتب الـ فيدات. ولكن هذا الاتفاق على القدسية لا يعني الاتفاق في تفسيرها، ولا على ما يصح اعتماده من النصوص الأخرى[١]. ويبقى هناك اتجاهان رئيسان هما الأظهر بين الهندوس:

○ الاتجاه الوثني التعددي:

وهو يحمل الطابع الشركي المعروف، حيث يعبد عوام الهندوس عدداً من الآلهة، إلٰهاً لكل ظاهرة طبيعية، ويقدمون لها القرابين، وهم بذلك يأخذون بظواهر النصوص الهندوسية[٢].

○ الاتجاه الفلسفي القائل بوحدة الوجود:

وهذا الاتجاه ربما يكون خاصاً بالكهان، أو بالطبقات المثقفة ورجال الدين حيث يصعب فهم إشاراته الفلسفية المعقدة على البسطاء الذين لا يتقن كثير منهم حتى القراءة والكتابة. وهو لا يتعارض مع الاتجاه الأول ـ بل يجعل الآلهة المتعددة ليست سوى صور للوجود المطلق[٣] الموحَّد، فلا ضير من توجيه العبادة لمئات الآلهة من دون الـ براهمان[٤].

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي انتقل إلى العالم الغربي من خلال أتباعه البارزين أمثال سوامي **فيفيكاناندا** (Swami Vivekananda)، والذي كان له أثر كبير في الترويج لهذا الفكر هناك[٥].

إن عدداً من العقائد التي تتبناها حركة «العصر الجديد» ترجع في أصلها

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص٨٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٣٣ ـ ٣٦.

(٣) **المطلق**: هو ما يدل على واحد غير معين، وهو المتعري عن الصفة والشرط والاستثناء. انظر: كتاب التعريفات: الجرجاني ص٢١٨، والكليات: أبو البقاء الكفوي ص٨٤٨.

(٤) انظر: An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: (123-126), and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: (32-39). New Age and New-Pagan Religions-Sarah m. Pikce: 15.

(٥) انظر: الأديان الحية ص٤٠ ـ ٤١، أديب صعب و Hinduism-Luis Renou: 45

إلى الديانة الهندوسية، وقد تشكلت نظرة الحركة للإله والكون والإنسان بناء عليها[١]، كما استقت الكثير من ممارساتها وتطبيقاتها التأملية من الطقوس الهندوسية مباشرة[٢]، ومن أبرز تلك العقائد ما يلي:

(١) الـ براهمان (Brahman) ووحدة الوجود: لا يعطي «حكماء» الهندوس أي نوع من التعريف للـ براهمان، وإنما يحيل كثير منهم التلاميذ إلى بعض الممارسات العملية؛ ليتعرفوا عليه من خلالها ويتوصلوا إليه بـ«التجربة»، وكان غاية وصفهم له بالسلب؛ فلا سبيل إلى رؤيته، أو سماعه، أو إدراكه بأي من الحواس، إذ هو خال من الصفات[٣]. فالـ براهمان هو المطلق الفرد الذي يرتكز عليه الوجود كله، وهو المبدأ الكوني المطلق الذي يظهر للبشر بشكل الكون الذي يرونه من حولهم[٤]. ولعل أوضح تعريف يمكن تحديد للـ براهمان هو أنه الوجود المطلق الذي يتجلّى من خلال تجسيداته، فكل شيء في الوجود ليس إلا صورة من صور الـ براهمان.

(٢) قانون الجزاء[٥] الـ كارما (Karma)، وتناسخ الأرواح الـ سمسارا (Samsara): تعد الـ كارما والـ سمسارا من أبرز العقائد الهندوسية، ورغم سذاجة الفكرة التي ترتكز عليها هذه العقيدة إلا أنها شكلت محل جذب لهواة فلسفات الشرق من أبناء الغرب.

تُعرَّف الـ كارما بأنها حصيلة ما يقوم به الإنسان من أعمال، وما يحدثه من سلوكيات وتأثيرات في المجتمعات، ثم ما يترتب على هذه الأعمال من آثار في

---

(١) انظر: Evangilizing in the New Age-Paul Mcguire: 39, Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, 31. The New Age Movement-Ron Rhodes: 28, and An Overview of the New Age Movemement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14 and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 215.

(٢) انظر: Another Gospel-Ruth A. Tucker: 267.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص٥٥.

(٤) انظر: Hinduism-Cybelle Shattuck: 27.

(٥) يطلق عليه أحياناً مبدأ السبب والمسبّب أو العلة والمعلول. وحيث إن العلاقة بين الفعل الأصلي وبين نتيجته في الحياة الأخرى هي علاقة جزائية مبنية على الثواب والعقاب، رأيت التعبير به أدق من التعبير بالسببية العامة.

مجرى حياته الحالية والمستقبلية. ويتم إنفاذ الثواب والعقاب عن طريق الـ سمسارا[(١)] أو تناسخ الأرواح. و«التناسخ» هو أن تعود النفس [بعد موتها] إلى جسم آخر لأنها لم تُشبع في الأول سائر أعمالها، ولأنها لم تؤد واجباتها، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها في الحيوات[(٢)] الأوائل. متى أُشبعت كل الرغبات، وأدَّت النفس كل ما عليها بلا آثام تسقط ضرورة التناسخ، وعندها تنجو النفس[(٣)]، وتتحرر من التناسخ لتحقق الانعتاق الكامل، أو ما يسمى بالـ موكشا.

ولعل استحداث هذه الأفكار كان من أجل تفسير التفاوت الملحوظ بين الناس في الرزق، والصحة، والسعادة، حيث انعدم النور الإلٰهي والبصيرة التي تنير لهم الدرب. أو أنها أوجدت من أجل إحداث نوع من الرقابة الذاتية تكف المرء عن إيذاء الآخرين، حيث غاب عن الفكر الهندوسي مفهوم الرقابة الإلٰهية، ومفهوم الثواب والعقاب الأخروي.

(٣) أهداف الحياة الأربعة: للحياة البشرية عند الهندوس أربعة أهداف، ينزع الإنسان إلى تحقيقها في «حيواته» المتتالية. وهذه الأهداف هي[(٤)]:

١ - المتعة أو اللذة (Kama)، وهو أدنى هذه الأهداف حيث يشترك في ابتغائها الإنسان والحيوان.

٢ - التملك (Artha)، ويقصد به السعي لتحصيل الرخاء المادي، من مال ومنصب وجاه. ويعد هدفاً نبيلاً ما دام ضمن أطر الأخلاقيات الفيدية.

٣ - اتِّباع النظام العام: دهارما (Dharma)، بمعنى «التقوى» أو «الصلاح». ويُقصد به الأخلاق، والواجبات، والالتزامات الفردية، أو «الفضيلة» بشكل عام. والذين يعيشون في انسجام مع «دهارما» يحققون الانطلاق

---

(١) انظر: الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص١٣٢، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: البيروني ص٣٨ - ٣٩.

(٢) كذا في الأصل، ولست أعلم إن كان يصح الجمع، غير أنه لا يوجد لفظ غيره يؤدي ذات المعنى.

(٣) الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص١٣٣ - ١٣٤.

(٤) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص٣٥، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص٧٢ - ٧٧.

ومن ثم التوحُّد بالمطلق بشكل أسرع. وفي الفلسفة الهندوسية تندرج كل المبادئ التي تحكم العالم والإنسان تحت هذا النظام العام[١].

٤ ـ التحرر والانطلاق: (Moksha) تعد الـ موكشا الغاية الأساسية من جميع أشكال البحث الديني والفلسفي في الهند، وتعني: «التحرر الروحاني، وهي هدف كل الموجودات التي يمكنها الوصول إلى التحرر الروحاني الأخير من استرقاق عالم الـ سمسارا»[٢] وتكرر الولادات، مع ما يصاحبها من منغصات وأكدار كالمرض والفقر والهرم والألم والموت. ويفسر هذا التحرر بأنه الذوبان التام للذاتي «أتمان»[٣] بالكلي[٤] «براهمان»، حيث يفنى الأول في الثاني ويندمج فيه كما تندمج قطرة ماء بالمحيط العظيم[٥]. والوسيلة الهندوسية لتحقيق ذلك هي أنواع الـ يوغا (Yoga)[٦].

(٤) **الطقوس الهندوسية**: وهي ذات تعلق ظاهر بالمعتقدات ونابعة عنها ـ خاصة عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود. فالسالك الهندوسي يسعى إلى تحصيل الخلاص من دوامة التناسخ وتكرار الولادات من خلال الاتحاد بالكائن المطلق

---

(١) الفكر الشرقي: د. يونج كيم ص٣١، والفلسفة في الهند: علي زيعور ص١٣٤.

(٢) الفكر الشرقي: د. يونج كيم ص٣٧ ـ ٣٩.

(٣) أتمان (Atman): تقرر الهندوسية أن لكل كائن حي روحاً تسمى «أتمان»، والغاية النهائية للإنسان هي اتحاد الـ أتمان بـ البراهمان ولكن ذلك قد لا يتحقق من خلال فترة عمرية واحدة، وإنما بحيوات متكررة، أو ما يعرف بالتناسخ المحكوم بقانون الـ كارما. علماً أن الـ براهمان موجود في أعماق الـ أتمان حسب معتقدهم. انظر: Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (39-41), and An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: (32-39). New Age and Neo-Pagan Religions-Sarah M. Pike: 15.

(٤) الكلي: ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه، والمقصود هنا الكلي الذي هو كل شيء.
انظر: التعريفات: الجرجاني ص١٨٦.

(٥) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص٣٤، وتحقيق ما للهند من مقولة: البيروني ص٥١، والفكر الشرقي: د. بونج كيم ص٣٧ ـ ٣٩.

(٦) انظر: الفكر الشرقي: د. بونج كيم ص٤٥ ـ ٤٩، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٠٠، وتحقيق ما للهند من مقولة، البيروني ص٥٨.

والذوبان فيه، ويتحقق ذلك بممارسة عدد من الطقوس كـ اليوغا والتأمل والصوم وتكرار الصيغ المقدسة أو الـ «مانترا» (mantra)[(١)].

تأثرت حركة «العصر الجديد» بالهندوسية بشكل ظاهر وصريح، فهي تهدف إلى تحقيق «الاستنارة» التي تعني إدراك الحقيقة الإلٰهية للنفس البشرية ووحدة الوجود، مستندين في ذلك على الفلسفات الهندوسية ومستعينين بالوسائل ذاتها لتحقيق هذا الهدف. وقد اقتبست منها الاعتقاد بالتناسخ مع اختلاف يسير عند الحركة[(٢)]، كما تتفق العقائد الهندوسية مع نظرة حركة «العصر الجديد» للإله والكون والبشرية والخلاص[(٣)].

ثانياً: الطاوية:

الطاوية هي فلسفة وديانة صينية شعبية قديمة، تشكلت عبر مراحل مطولة، وخضعت لعملية إدماج مستمر للعديد من التسلسلات الفكرية القديمة والعناصر الخارجية[(٤)]. يعد لاوتزي (Laozi)[(٥)] مؤسس الطاوية عند كثير من الباحثين، وإن كان

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي ص٦٠٣ ـ ٦٠٤، و Hinduism-Cybelle Shattuck: (75-76), and Hindusism-Luis Reno: (31-33).
المانترا: الصيغ المقدسة التي تتلى في الصلوات، وتكرر بأعداد غير محددة. تتكون المانترا من مقطع صوتي أو أكثر يصل إلى مائة مقطع، بعض هذه المقاطع بلا معنى ظاهر وبعضها مجرد ترديد لأسماء الآلهة. ومن أشهر هذه المانترات على الإطلاق هو: (أوم) (aum)، ويمثل الصوت البدائي الذي يُعتقد أن الكون خلق بواسطته.
انظر: المراجع السابقة.

(٢) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: (32-39), New Age and Neo-Pagan Religions-Sarah M. Pike: 15.

(٣) انظر: New Age Movement-Ron Rhodes: 28.

(٤) انظر: Taoism: the Growth of a Religion-Isabelle Robinete: 1.

(٥) **لاوتزي**: مؤسس الطاوية، ولد في عام ٦٠٤ق.م، ونشأ في بيت فقير ببلدة في الصين الوسطى. عمل لاوتزي أميناً للمكتبة الملكية، فاطلع على الظروف الصعبة التي مرت بها المجتمعات الصينية في تاريخها، مما أسهم في تكوين رؤيته للخلاص، حيث قرر أنه لا يمكن أن يتحقق بالإصلاح، وإنما يكون بالعزلة. يُنسب إليه كتاب: «الطاو طي جنغ» الذي دوّنت فيه أفكاره الفلسفية. ولا يعلم بعد ذلك شيء عن حياته، إلا ما ذكر عن عيشه في العزلة إلى أن توفي وعمره تسعون عاماً في عام ٥١٧ ق.م. انظر:
الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص٦٩، ٧٢، والفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص٢٣٢ ـ ٢٣٥، والأديان الحية: أديب صعب ص٧٥.

بعضهم يرى أنه شخصية أسطورية ليس لها واقع في التاريخ. تهتم الطاوية بالطبيعة وتشترك مع الديانات الصينية المحلية في كثير من المبادئ الفلسفية، مما جعل دخول تلك الديانات ذات الصفات المشتركة تحت المسمى العام للطاوية أمراً شائعاً[١].

تحاط كثير من التعاليم الطاوية بالغموض، ويحرص أتباعها على السرية التامة حيث لا تُفشى أسرارها إلا لخواص الأتباع. هذه السرية تجعل من الصعب جداً التوصل إلى مفهوم محدد لما يصح تسميته بـ الطاوية[٢].

وبالرغم مما سبق، إلا أن الطاوية تحمل بعض المعالم التي تميزها عن غيرها، وتجعلها فلسفة وديناً مستقلاً. وفيما يلي عرض لأهم مبادئ الفلسفة الطاوية، وأبرز معتقداتها:

(١) الـ طاو (Dao/Tao): ترتكز الفلسفة الطاوية على مبدأ الـ طاو الأبدي، وإليه تنسب. وهو عامل مشترك في كثير من الفلسفات الصينية المحلية، فكلمة الـ طاو كلمة شائعة الاستعمال، وتعني في لغتهم: الطريق، أو الطريقة، أو السبيل، أو الصراط، أو النهج[٣]، وإن كان ـ في التراث الصيني ـ يختلف معناها من مفكر لآخر[٤]. «ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن فكرة الـ طاو كانت معروفة في الصين قبل لاوتزي، بيد أنها لم تكن تحوي ذاك البعد الفلسفي العميق الذي أضافه إليها»[٥].

يفتتح لاوتزي كتاب الـ طاو طي جنغ بالعبارة التالية:

«الـ طاو الذي يمكن التعبير عنه
ليس هو الـ طاو الأبدي
الاسم الذي يمكن تسميته
ليس هو الاسم الأبدي

---

(١) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 85.

(٢) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 85, and Tacism-Isabelle Robinete: 4.

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص٢٢٤، وكتاب التاو: ترجمة وتقديم: هادي العلوي ص١١، والفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص٦٧.

(٤) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 91.

(٥) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص٦٧.

هذا الذي بلا اسم، كان مبدأ السماوات والأرض
والمسمى كان أمًّا لآلاف المخلوقات»[١].

إن وصف الـ طاو بأنه «شيء» ـ في نظر الفكر الصيني ـ يعني: تحديد مكان له في الكون. وهذا ليس بممكن مع الـ طاو فهو يتخلل كل شيء ويشمله. ولا يُخفي لاوتزي ـ وهو الأب الروحي لهذه الفلسفة ـ حيرته أمام هذا المطلق الغريب، فيصفه بأنه:

«غامض.. محير.. غير واضح.. مخفي.. مظلم»[٢].

ويقول في موضع آخر:

«الـ طاو لا سبيل إلى تعريفه قط!
وهو من الصغر في حالة الـ لا تشكل بحيث يتعذر الإمساك به»[٣].

ولكنه لا يستسلم لهذه الحيرة، فيعطي الـ طاو وصفاً عاماً لا يزيد المبدأ الغامض إلا غموضاً، فيقول:

«كان هناك شيء غير واضح.
ولد قبل السماوات والأرض
صامت، فارغ
وحيد، لا يتغير
دائم الحركة، لا يُنهك
قد يكون أمًّا لما تحت السماء
أنا لا أعرف اسمه، ولكني أسميه الـ طاو»[٤].

أما شوانغ تزي[٥]، معلم الطاوية الثاني، فقد قرر بأن الـ طاو في كل

(١) The tao Te Ching: A New Translation with Commentary-Ellen M. Chen: 51, and Tao Te Ching-translated by: David Hinton: 3.

(٢) Tao Te Ching-translated by: David Hinton: 24.

(٣) كتاب التاو: هادي العلوي ص٧١.

(٤) The Tao Te Ching-Ellen M. Chen: 116.

(٥) شوانغ تزي: الرجل الثاني في الفلسفة الطاوية، ولد في ولاية سونغ عام ٣٦٩ق.م، ولجأ إلى العزلة، والتنسك، والتأمل في أسرار الكون والوجود. قامت فلسفة شوانغ تزي على أساس مبدأ وحدة الإنسان مع الطاو حيث يرى فيها تحقيق الحرية الفردية المؤدية إلى التحرر الكامل من قيود الحياة المادية. توفي عام ٢٨٦ق.م.

=

مكان، فلا يخلو منه مكان. وعندما طُلب منه التحديد أكثر، قال:

«أنه هنا في النمل.. في حشائش الأرض..

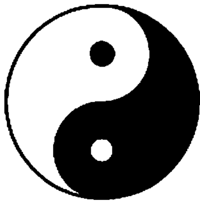
في الآجر والقرميد.. وفي البول والعذرة أيضاً!»[١].

وعليه، فالـ طاو لا يمكن أن يكون مرادفاً للإله. وهو لا يحمل بعداً روحانياً، ولا صفاتٍ إلهية، فالطاوي لا يتعامل مع الألوهية. ولم يكن المؤسس الأول ولا تلامذته المشهورين يقرون بخالق مُوحد للمخلوقات بعلم وإرادة، فالـ طاو عندهم فاعل بلا إرادة، بل إن شوانغ تزي يرفض إعطاءه صفة الفعل، رغم اضطراره لاستخدام العبارة المشعرة بذلك.

يشبه الـ طاو ـ إلى حد كبير ـ العقل الأول عند فلاسفة اليونان، وكذلك الـ براهمان عند الهندوس، كما أن فلسفة الطاوية في ابتداء الكون تشبه نظرية التسلسل الفيضي. فالـ طاو يولّد واحداً، ومن الواحد يتولد الاثنان ومن الاثنين الثلاثة، ومنها كل الموجودات[٢]. إن الـ طاو في الفلسفة الطاوية «داخل الوجود لا خارجه»[٣]، وقد أنكرت بصراحة أن يكون للعالم صانع من خارجه. فهي ـ باختصار ـ صورة جلية من صور وحدة الوجود، حيث الـ طاو الذي هو مبدأ الوجود حاضر في الكائنات، لا يفصله عنها مسافة في الزمان أو المكان.

رمز الـ ين والـ يانغ

(٢) فلسفة الـ ين يانغ (Yin-Yang): لقد مزج لاوتزي مبدأ الـ ين يانغ ذا الأصول القديمة في الثقافة الشرقية مع فلسفته للـ طاو، خرج من خلاله بتفسير كلي للوجود. فاعتبر أن الـ طاو هو الواحد الأزلي الذي تولدت منه الثنائية المتمثلة بالـ ين يانغ، ومن هذه الثنائية تولد كل ما في الوجود.



رمز الـ ين والـ يانغ

«الـ طاو تنسل الواحد

= انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص١٢٠ ـ ١٢٦، والفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص٢٤١ ـ ٢٤٤، والأديان الحية: أديب صعب ص٧٧.

(١) The Complete Works of Chuang Tzu-translated by: Burton Watson: 18.

(٢) انظر: كتاب التاو: هادي العلوي ص١١ ـ ٢٦.

(٣) تيارات الفلسفة الشرقية: محمد حسن ص٥٨.

الواحد ينسل الاثنين
الاثنان ينسل الثلاثة
الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء
العشرة آلاف شيء تحمل الـ ين وتحتضن الـ يانغ
وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»[١].

(٣) الاتحاد والتنوير (الإشراق): يعد التوحد مع الـ طاو هو الهدف الرئيس في الفلسفة الطاوية، حيث لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة والاستقرار النفسي إلا عن طريق هذه الوحدة. «وقوام الموقف الطاوي هو أن حيل البشر وأفاعيلهم تُفضي إلى الشر والتعاسة، ويتعين عليهم للعثور على السلام والرضا أن يتبعوا طريق الكون، أو طاو الكون، وأن يحققوا التوحد مع هذا الـ طاو»[٢]. يقول لاوتزي:

«من يتبع الـ طاو،
يكن واحداً مع الـ طاو..
متى ما تكون واحداً مع الـ طاو
يرحب بك الـ طاو»[٣].

ومن أجل التوصل إلى هذا الهدف، يمر السالك بعدة مراحل:

- «تبدأ بمرحلة يخلو فيها الفرد إلى نفسه ويقطع كل صلة بينه وبين عالم الأشياء المحسوسة.
- وتتلو تلك مرحلة ثانية تقوم على الامتناع عن كل ما من شأنه تدنيس الروح، والحيلولة بينها وبين الوصول إلى الحقائق المجردة. وفي هذه المرحلة يتجرد الإنسان من الماديات، حتى يصير روحاً خالصة.
- وبعد ذلك تأتي مرحلة الرؤيا أو الإشراق، حيث يدرك الفرد ـ بزعمهم ـ الحقائق المجردة إدراكاً مباشراً لا وساطة فيه.

---

(١) كتاب التاو: هادي العلوي ص٧٧.
(٢) الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي ص٢٥٣.
(٣) كتاب التاو: هادي العلوي ص٦٥.

- وأخيراً، تأتي المرحلة النهائية؛ وهي الاتصال التام أو الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم[١]، وهي المرحلة التي يحصل فيها اندماج تام بين المتصوف الطاوي والذات العليا»[٢]، بحيث يفني كل منهما في الآخر، ويصيران شيئاً واحداً[٣].

وهذه العقائد كلها ظاهرة في تطبيقات حركة «العصر الجديد»[٤]، بل إن الحديث عن الـ طاو والـ ين والـ يانغ أمر شائع جداً حتى في التطبيقات المنتشرة في العالم الإسلامي[٥]، ولا يعلم أولئك أنهم إنما يروجون - في الحقيقة - للطاوية.

ثالثاً: البوذية:

تأسست البوذية على يد سدهارتها غاوتاما (Siddhartha Gautama) الشهير باسم «بوذا» (Buddha)[٦] أو العارف المستنير، وإليه تُنسب. وهي إحدى الفلسفات الفكرية التي ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد. كانت بداية نشأتها

---

(١) يراد بالقانون الأعظم هنا: الـ طاو.

(٢) ذيل الملل والنحل: محمد الكيلاني ص٢٧ - ٢٨ بتصرف يسير.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٨.

(٤) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 11, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth 209, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 354, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M.Pike: 14.

(٥) كأنواع العلاج بالطاقة، والريكي، ونظام الماكروبيوتك، وغيرها مما سيأتي الحديث عنه في ثنايا هذا البحث بإذن الله.

(٦) بوذا: ولد سدهارتها غاوتاما في القرن السادس قبل الميلاد لأسرة هندوسية من الطبقات الشريفة. اختار سدهارتها طريق التنسك والتقشف الذي كان عليه نساك زمانه، ليحقق الخلاص من الآلام الدنيوية، اكتشف بعدها بسبعة أعوام أن إماتة الجسد ليست هي السبيل لتحقيق الخلاص. وفي أحد الأيام جلس بوذا متأملاً تحت شجرة ضخمة بجانب النهر، وزعم أنه بلغ ما أسماه «الإشراق»، فحقق الخلاص والتحرر من التناسخ، وأصبح بعدها يسمى الـ بوذا، وبدأ ينشر تعاليمه. توفي بوذا عن عمر يناهز الثمانين سنة، بعد رئاسته للرهبنة لمدة امتدت إلى خمسة وأربعين عاماً.

انظر: حياة البوذا، سيرة مفسرة: دايسكاو إكيدا ص١٥ وما بعدها؛ والحكمة البوذية، حياة البده، تعاليمه، سبيل الحق: جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري ص٥ - ١١، وبوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة ص٧٦ - ٨٧.

في بلاد الهند، فهي لم تخرج عن إطار الفكر الهندي بشكل عام، وبسبب نشوئها ضمن المحيط الديني والاجتماعي للهندوسية، فقد تبنت العديد من أفكارها ومعتقداتها.

وقبل الشروع في الحديث عن المعتقدات البوذية، لا بد من الإشارة إلى أنها انقسمت إلى مدارس عدَّة، لم يبق منها على مر العصور إلا تلك التي يسميها البوذيون المركبات الثلاث[١]. تحمل كل واحدة من هذه المركبات نظرة مختلفة تجاه تعاليم بوذا وكيفية الوصول إلى مرحلة الخلاص، مع اشتراكها في بعض المعتقدات الأساسية[٢]. احتفَظَت البوذية ـ بمدارسها الثلاث ـ بكثير من العقائد الهندوسية الدارجة في الهند إبان نشأتها، ولم تُحدث فيها أي إضافة أو تغيير يذكر، من أهمها: عقيدة الـ كارما والـ سمسارا. أما العقائد الخاصة بالبوذية فهي كالتالي:

(١) بوذا: اختلفت نظرة البوذيين إلى بوذا بحسب قربهم وبعدهم عن تعاليمه، فالمدارس التي بقيت على التعاليم الأصلية للفلسفة البوذية، والتي تتسم

---

(١) وفي هذا إشارة إلى العقائد الباطنية عند البوذية، حيث تُعدّ العقيدة والتعاليم مطيّة يصل بها المرء إلى الغاية، فإذا حقق هدفه تخلى عن المركبة ولم يعد بحاجة إليها. وهذا شبيه بحال غلاة الصوفية والفرق الباطنية المنتسبة للإسلام.

(٢) المركبة الصغرى، الـ هنايانا: (Hinayana) ويسميها أتباعها: الـ ثيرافادا ـ (Therevada) أو طريق الأقدمين، ويتميزون بالتقيد الحرفي بتعاليم بوذا، والحرص على الإبقاء على أصالة الفلسفة دون تحويلها إلى ديانة تعبدية. ومن ثم فهم لا يعترفون بالاجتهادات التي نشأت عن النساك الرهبان من بعد بوذا. ويعتبرون الطريق الوسط الذي اتبعه بوذا في آخر حياته هو سبيل الخلاص.

المركبة الكبرى، الـ مهايانا: (Mahayana) نشأت هذه المدرسة كمحاولة للتصدي للفلسفات الهندوسية التي عجزت الـ هنايانا عن مواجهتها، وذلك من خلال توفير الشروح والتفاسير المطولة على العقائد البوذية الأساسية، والاعتماد على الآراء الاجتهادية الحادثة. ويرى أتباع المركبة الكبرى أن التزهد والتقشف هو الطريق إلى الخلاص، حيث كان هذا المسلك هو الذي مهد لـ بوذا طريق الوصول إلى حالة الإشراق.

المركبة الماسية، الـ فاجريانا: (Vajrayana) تفرعت هذه الطريقة عن المركبة الكبرى، وتميزت بما أُدخل عليها من المعتقدات الدينية، والممارسات التعبدية، والـ يوغية.

انظر: الحكمة البوذية ص١٧ ـ ١٨، حلقة الدراسات الهندية، والأديان الحية: أديب صعب ص٥٩ ـ ٦١، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص٢٦٦ ـ ٢٦٧، والفكر الشرقي: د. يونج كيم: ٥٩.

بالإلحاد ـ أو في أقل أحوالها التوقف في وجود الإله[١] ـ لم تكن تؤله بوذا، بل لم تعر للقضايا الغيبية والإلهيات كبير اهتمام، ولم تتطرق لكثير منها بالنفي أو الإثبات، فهو معلم ومرشد إلى سبيل الخلاص. والتعاليم التطبيقية والسلوكية المتعلقة بالفلسفة إنما يراد منها تحقيق الخلاص الذاتي، وليس التقرب لأي قوى خارقة[٢].

أما المدارس التي انحرفت عن تعاليم بوذا الأصلية فهي تصفه بالصفات الخارقة وتلبسه لباس الألوهية. ومن ثم شيدت له التماثيل، وقدمت لها القرابين، وظهرت العبادات والطقوس الدينية، إلى أن أصبحت البوذية صورة شبيهة بالوثنية الهندوسية البدائية[٣]. وثمة توجه آخر داخل المدارس البوذية وهو الذي يصف بوذا بصفات تجاوزية تشبه إلى حد كبير صفات الـ براهمان في الهندوسية، والـ طاو في الطاوية. وهو قول مفضٍ إلى القول بالحلول، أو وحدة الوجود[٤]. وعندما يسجد البوذي أمام بوذا فهو لا يسجد في الحقيقة للـ بوذا، وإنما هو تعبير عن الاعتراف بالـ بوذا في داخل الساجد، والمعبد البوذي هو ـ في الحقيقة ـ داخل العقل. وسبيل الاستنارة لا يمكن أن يتعلمه الإنسان، وإنما يدركه بالتجربة[٥].

ولا شك أن المظاهر الوثنية هي الأكثر انتشاراً بين أتباع البوذية في بلدان الشرق. أما الإلحاد والقول بالمطلق المتجاوز، فمقتصرة على الخواص من الكهنة والرهبان، حيث تعد هذه العقائد مستعصية الفهم على العوام والبسطاء. بينما انتقلت تلك العقائد المعقدة إلى الغرب وتبنتها حركة «العصر الجديد».

(٢) **الحقائق الأربع**: بينما كان بوذا في تأمله الشهير، ادعى أنه قد انكشفت لإدراكه أربع حقائق يُعد الجهل بها هو السبب في تكرار الموالد، والبقاء في دوامة التناسخ. هذه الحقائق الأربع هي الفكرة المركزية في البوذية،

---

(١) انظر: The Vision of Buddhism: the Space Under the Tree-Roger J. Corless: 116.

(٢) انظر: الحكمية البوذية: ص٢٥، حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. ضياء الدين الأعظمي ص٦٤٦ ـ ٦٤٨، و Buddhism-Bradley K. Hawkins: 65.

(٣) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦١.

(٤) انظر: الفكر الشرقي: د. بونج شوون كيم ص٧٨ ـ ٨٠.

(٥) انظر: New Age Living-Paul Ronald: (86, 88).

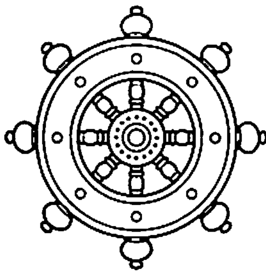
وتأملها هو المهمة الأساسية في حياة البوذي، وهي الموصلة إلى الإشراق والتنوير. تتمثل تلك الحقائق بالنقاط التالية[١]:

١ ـ **حقيقة العذاب**: يعني بها إدراك مظاهر العذاب وأشكاله. فالولادة عذاب، والمرض عذاب، والهرم عذاب، والموت عذاب. والإنسان يحس بالألم والعذاب إذا أصيب شيء من مكونات الـ أنا، فإما أن يؤذى في جسده فيمرض، أو في مشاعره فيحزن. هذه هي الحقيقة الأولى التي يجب على السالك إدراكها.

٢ ـ **حقيقة أصل العذاب وأسبابه**: ويكمن سبب العذاب عند البوذيين في رغبة الإنسان بما لا يستطيع تحصيله، فتتولد المعاناة من حرمانه.

٣ ـ **حقيقة إبطال العذاب والقضاء عليه**: هذه الحقيقة هي عبارة عن إبطال التوق، والرغبة والتحرر منها بشكل تام، حيث لا يبقى للإنسان رغبة. وبذلك تبطل عملية الصيرورة، وتنقطع عملية التناسخ.

٤ ـ **حقيقة السبيل المؤدي إلى إبطال العذاب**: وهي الطريق العملي لتحصيل ثمرة بقية الحقائق، وإبطال العذاب، والتوصل إلى الـ نيرفانا[٢]. يتكون هذا السبيل من ثماني شعب ويعبر عنه أحياناً بالسبيل الثُماني[٣]، ومن يتبع هذا السبيل الثماني يحقق السلام الروحاني، والسعادة الحقيقية دون حاجة إلى رب، أو إلٰه ـ بزعمهم[٤].


من رموز السبيل الثماني البوذي

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٩١ ـ ١٩٧، والفكر الشرقي القديم: د. جمال المرزوقي ص٢٣١ ـ ٢٣٣، وإنجيل بوذا: ترجمة: سامي سليمان شبًّا ص٤٨ ـ ٥٠.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٩١ ـ ١٩٧، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص٢٦٩.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٩٧ ـ ٢٠١، والحكمة البوذية ص٦٣ ـ ١١٠، حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد الأعظمي ص٦٤٣ ـ ٦٤٤ و.Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (41-42)

(٤) انظر: An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: (123-126).

(٣) الـ نيرفانا (Nirvana): هي كلمة سنسكريتية؛ تعني: الانطفاء، أو انقطاع التوق، وانعدام الرغبة[١]. وهي الهدف الأسمى لجميع الممارسات البوذية. يُعبِّر عنها البوذيون بأنها «الغاية التي ينتهي إليها الإنسان بعد خلاصه من كل ألم، وفوزه بالنجاة الحقيقية»[٢]. ومع أهمية هذا المبدأ عند كافة المدارس البوذية، إلا أن الباحث يجد اضطراباً كبيراً في تحديد مفهومه وتقديم تعريف واضح لحقيقته في النصوص البوذية، لا سيما المتقدمة منها. فقد تم وصف الـ نيرفانا في النصوص البوذية المتقدمة على ثلاثة أساليب[٣]:

- **وصف سلبي**: وهذا هو الغالب في وصف الـ نيرفانا، فهم يرون أنها تدرك بالتجربة والحس وليس بالمعرفة، ومن ثم لا يمكن وصفها. يقول بوذا:

«أيها الرهبان، هناك حالة لا يوجد فيها لا أرض، ولا ماء، ولا حرارة، ولا هواء، ولا لا نهاية مكان، ولا لا نهاية معرفة، ولا شيء، ولا محسوس، ولا عدم محسوس، ولا شعور، ولا عدم شعور، ولا إدراك، ولا عدم إدراك، ولا هذا العالم، ولا عالم آخر...»[٤].

- **وصف إيجابي**: وردت صفات إيجابية للـ نيرفانا في مواضع قليلة نسبياً. ومن ذلك قول بوذا:

«هذه الحالة هي استقرار وثبات وعدم تغيُّر، هي الخلود الذي ليس له بداية ولا نهاية. هذه هي نهاية الألم»[٥].

- **عدم الوصف**: حيث كانت ثمة مواضع عديدة امتنع فيها بوذا عن وصف الـ نيرفانا مطلقاً لاستحالة ذلك في رأيه[٦].

أما المتأخرون فقد اختلفوا في تحديد مفهوم الـ نيرفانا وتعريفها، كما

(١) انظر: الحكمة البوذية ص٢٧، حلقة الدراسات الهندية. Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana). - Francis H. Cook: 133

(٢) بوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة ص١٥٤.

(٣) انظر: Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana). - Francis H. Cook: 134

(٤) إنجيل بوذا ص٨٥ ـ ٨٦.

(٥) المصدر السابق ص٨٦.

(٦) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص٥٧.

اختلف المتقدمون في وصفها. وقد نتج عن هذا الاختلاف تعريفات متباينة تتبناها المدارس البوذية المختلفة. من أبرزها:

- أن الـ نيرفانا هي الاندماج في ذات الإله والفناء فيه. وهو خاص بمن يعتقد بتأليه بوذا أو أي من الآلهة الهندوسية.
- أن الـ نيرفانا تعبير عن إدراك للوحدة مع المطلق، وهي ضرب من ضروب وحدة الوجود. وهذا التعريف والذي قبله شبيهان بمفهوم الـ موكشا في الهندوسية[١].
- وقيل: أن الـ نيرفانا وضع فكري نفسي، وهي أعلى مراتب الصفاء الروحي التي يتوصل إليها السالك بإعدام رغباته المادية وأغراضه الشخصية، وتوقفه عن عمل الخير والشر[٢]. وهي آخر الأطوار الأربعة التي يمر بها البوذي في سعيه لتحقيق الخلاص المزعوم من دوامة التناسخ[٣].

لقد كانت بدايات دخول البوذية إلى أميركا في القرن التاسع عشر مع الفلسفة المتعالية والثيوصوفي خاصة[٤]، وكما سبق فإن بلافاتسكي نفسها كانت قد تحولت إلى البوذية[٥].

أما المدارس البوذية الأكثر انتشاراً في الغرب فهي: زن[٦] (Zen) والـ تانترا[٧]

---

(١) سبق التعريف بها في ص٨٤.

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص١٦٣ ـ ١٦٥، والفكر الشرقي: د. يونج كيم ص٦٧ ـ ٦٨.

(٣) انظر: ذيل الملل والنحل للشهرستاني: محمد سيد كيلاني ص١٦ ـ ١٨، والحكمة البوذية ص٢٧ ـ ٢٨، حلقة الدراسات الهندية، وقصة الحضارة: ول ديورانت ٣/ ٨٤.

(٤) انظر: Buddhism in America-Richard Seagar: x.

(٥) The New Age Movement-Paul Heelas: 45.

(٦) **زن**: توصف بوذية زن بأنها أصعب ديانات الأرض فهماً، فهي استسرارية بشكل يصعب معه فهمها، أو شرحها بالكلمات كما يدعون، وإنما تفهم بالتجربة. هدف زن هو تحقيق «الاستنارة» وما يسمونه ساتوري (Satori) وذلك عن طريق التأمل الذي يخلي العقل من جميع المعطيات اللغوية والمنطقية. انظر:
Another Gospel-Ruth Tucker: 386.

(٧) **تانترا**: هي ـ في الأصل ـ توجه هندوسي باطني، وهي إحدى المدارس البوذية التي يطلق عليها: المركبة الماسية. تعتبر التانترا من أكثر المدارس البوذية انتشاراً في الغرب. راجع الحاشية ص٩٤.

(Tantra)[١]، بينما الصورة التي تتبناها حركة «العصر الجديد» هي صورة ملفقة تجمع بين عناصر من البوذية وتخلطها بديانات وفلسفات أخرى بالإضافة إلى إقحامها في العلوم التجريبية البحتة، وكلها تتبنى عقيدة وحدة الوجود[٢].

رابعاً: الديانة المصرية القديمة والهرمسية:

يُعبَّرُ بالديانة المصرية القديمة عن مجموعة من المعتقدات والطقوس المتعلقة بالمجتمع الذي كان يقطن بلاد مصر ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد[٣]. وهي ـ بصورتها البسيطة ـ ديانة تعددية وثنية تَنسِب الظواهر الطبيعية للآلهة المتعددة، والخصائص الألوهية للفرعون[٤].

انتقلت المعتقدات المصرية إلى خارج أرض مصر «فانتشرت في أنحاء البحر الأبيض المتوسط، ومنه انتقلت إلى بلاد العالم المتحضر»[٥]، وقد كان أول انتقالها إلى أوروبا بواسطة التجار والبحارين الذين جاؤوا إلى البحر المتوسط فتعرفوا على الآلهة المصرية. وفي العهد الروماني أظهرت الطبقات المثقفة شيئاً من الاهتمام بهذا الدين الغريب، ولكن ليس كديانة مجردة، وإنما نظروا إليه ـ كما نظروا إلى البوذية ـ بمنظور باطني استسراري[٦]. ومن هنا اختلطت بعض المفاهيم الباطنية الشرقية بالديانات المصرية، ومن ذلك ما حصل في الـ ثيوصوفي من تأليه الآلهة المصرية إيزيس (Isis) عند بلافاتسكي التي اعتنقت البوذية[٧].

---

(١) انظر: Another Gospel-Ruth Tucker: 387.

(٢) انظر: Evangilizing in the New Age-Paul Moguire: 39, and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 41, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14.

(٣) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيربل ألدريد: ٣٤، والأديان الحية: أديب صعب ص١٩، و An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 245.

(٤) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيربل ألدريد ص٥٩، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص٨٥، والأديان الحية: أديب صعب ص١٩، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 5.

(٥) دراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص١٠٣.

(٦) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: (239-240).

(٧) انظر: Isis Unveiled-Blavatsky: 23.

للديانة المصرية القديمة عدد من الخصائص التي تتميز بها، والتي كان لها أثرٌ في بعض توجهات حركة «العصر الجديد» من بعد[(١)]، يمكن إجمالها في الجوانب التالية:

(١) الموت والبعث والخلود:

لقد كانت أبرز سمة للديانة المصرية القديمة اهتمام أتباعها بالموت وما بعده، فقد أشغل المصريين ما يرونه من حتمية الموت، وأرهبهم الفناء، حتى كان هدفهم الأكبر تجاوزه، والخلاص منه. ومن هنا أتى اهتمامهم بأجساد الموتى، ومحاولاتهم المتكلفة في الإبقاء عليها، وتعظيم المقابر، والإسراف في بنيانها، حيث رأى المصريون أن روح الميت ستعود إلى الجسد بعد خروجها منه، ولذلك لا بد من حفظه من التحول والتحلل والتغيير. فإذا تعرفت الروح على الجسد، واتحدت به مرة أخرى، تحقق لها الخلود الذي لا فناء بعده[(٢)].

ثم إن المصريين القدماء خشوا أن لا يستطيع الإنسان ـ بعد اتحاد روحه وجسده ـ معرفة كيفية تجاوز العقبات التي قد تحول بينه وبين الخلود المنشود في العالم الآخر، فأصبحوا يكتبون للموتى الأدلة التي تحتوي على الإرشادات، وسبل تخطي العقبات، وبعض الترانيم السحرية المعينة على ذلك. كانت تلك الإرشادات تكتب على جدران المقابر، وداخل التوابيت، وأخيراً في صحائف مطوية كانت توضع بجانب المومياء ليستعين بها عند قيامه، فكانت بمثابة السجلات التي دُوِّنت عليها معتقداتهم، وشيء من تاريخهم القديم[(٣)].

---

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 41, and The New Age Cult-Walter Martin: 15, Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 95, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 18. and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 95, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pkie: 14, and Perspectives on the New Age. Robert Ellwood: 59.

(٢) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيريل ألدريد ص٥٩، والدين في مصر القديمة: أبكار السقاف ص٤٩، ومدخل لقراءة الفكر الفلسفي: د. مصطفى النشار ص٣٤ ـ ٣٥، والأديان الحية: أديب صعب: ٢٠، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 85

(٣) انظر: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هارولد بل ص١٥، و Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 72. and A Handbook of Egyptian Religion Adolf Erman: 85.

وقد أصبحت تلك الكتابات من أهم مصادر العلم بالديانة المصرية القديمة، فعرف ما كتب على جدران المقابر الكبرى بـ «متون الأهرام»، ومجموع ما كتب على التوابيت بـ «كتاب الموتى»[١].

(٢) الطقوس السحرية:

كان للسحر أهمية كبرى في الديانة المصرية القديمة، فقد كان يُعتقد أن الاتصال بالآلهة يكون من خلال الطقوس السحرية، وأنه وسيلة تمكنِ الإنسان من فعل الخوارق والعجائب ـ بل وتحقيق الخلود[٢]. وقد وُظف الصوت في الطقوس السحرية المصرية تماماً كالـ مانترا في الهندوسية والبوذية[٣].

ربما يعود هذا الاهتمام بالسحر عند المصريين إلى قصة تروى عن إلٰهة هي من أعظم الآلهة المصرية، وأكثرها شهرة: الإلٰهة إيزيس (Isis). تحكي الأسطورة أن زوج إيزيس قُتل بسبب خصومته مع أحد الآلهة، فوُضِع في تابوت ورمي في النيل. فبحثت عنه زوجته حتى وجدت أشلاءه المقطعة، ومن خلال قيامها ببعض الطقوس السحرية جمعت جسده، وأعادت له الحياة ليصبح ملك العالم السفلي (Underworld) فبالسحر اكتشفت إيزيس الدواء الذي يتحقق به الخلود[٤].

لقد خُطّ اسم إيزيس ورسمت صورها في مواضع كثيرة جداً من الآثار المصرية. وهي ترمز للخصوبة والسحر، ويُعتقد أنها ولدت السماوات والأرض[٥].

---

(١) انظر: الدين في مصر القديمة: أبكار السقاف ص٢٨، وفي تاريخ مصر القديمة: د. محمد سعد الله ص١١، وآلهة مصر: فرانسوا ديماس ص١٣، ودراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: د. أحمد أمين ص١١، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 85.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: د. أحمد أمين: ٩٨، ومع الفلسفة اليونانية: د.عبد الرحمٰن مرحبا ص٦٠، والتراث المسروق: جورج جيمس: ١٣٠، و A Handbook of Egyptian-Religion-Adolf Erman: 25, 148.

(٣) انظر: New Age Living-Paul Ronald: 13.

(٤) انظر: آلهة مصر: فرانسوا ديماس ص١٦، ٩٩، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص٩٧، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٦١، و An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 246, and Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 72.

(٥) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 16.

وبعد احتلال الإسكندر[١] للبلاد المصرية انتقل الاعتقاد بتأليه إيزيس إلى الإغريق والرومان[٢]، ولا تزال هذه الإلٰهة مقدسة عند بعض الجماعات الاستسرارية المصنفة ضمن حركة «العصر الجديد» كـ «جماعة إيزيس» (Fellowship of Isis) التي تأسست في إيرلندا عام ١٩٧٦م[٣].

(٣) الحلول ووحدة الوجود:

لقد كان للديانة المصرية القديمة جانب باطني ومعتقدات استسرارية، حتى اعتبرت مصر منبعاً من منابع العلوم الباطنية المتعلقة بالكون والنفس[٤]. فالوثنية التعددية الساذجة لم تُشبع العقل المصري وروحه، وأصبح ينظر إلى الآلهة على أنها متفاوتة في السلطة والسيادة يطغى بعضها على بعض. ثم تطورت الديانة المصرية إلى أن تقرر لدى أتباعها أن الإلٰه واحد، ولكن هذا التطور قصر دون التوحيد وانحرف إلى وحدة الوجود، فكان يُنظر إلى الآلهة ـ وجميع الكائنات ـ على أنها ليست سوى تجليات لذلك الإلٰه الواحد والوجود المقدس[٥]، أو على أن «روح» الإلٰه قد حلت فيها[٦].

وكنتيجة حتمية للاعتقاد بوحدة الوجود يأتي القول بتأليه الذات البشرية، فكان تأليه الإنسان من أهم أهداف الأسرار المصرية[٧]. لقد تحدث المصريون

---

(١) الإسكندر (Alexander the Great): هو الإسكندر المقدوني، ملك مقدونيا، ابن فيليب الثاني ولد في عام ٣٥٦ق.م. بسط سلطانه في بلاد اليونان، وأطاح بالإمبراطورية الفارسية، توفي في مدينة بابل في العراق عام ٣٢٣ق.م، ودفن بالإسكندرية في مصر.
انظر: البداية والنهاية: ابن كثير ٢/ ٩٧، و Encyclopedia of Columbia 6th Edition-Ev: 1293

(٢) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 196

(٣) تصفح: www.fellowshipofisis.com
ومما يجعلنا نجزم بأن الجماعة ليست جماعة وثنية حديثة فقط؛ بل من المتأثرين بفكر «العصر الجديد» عدم اقتصارهم في طقوسهم على تعظيم إيزيس، حيث يجمعون إليها آلهة من ديانات وثنية متباينة كـ كوان ين البوذي، وكرشنا الهندوسي، وغيرهما في معبد واحد.

(٤) انظر: New Age Living-Paul Roland: 12.

(٥) انظر: Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: (230-232).

(٦) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب: ٣٢، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص٩١.

(٧) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس ص٤١.

القدماء عن مفاهيم النفس (Khabit) والجسد (Sahu)، وفي الجسد تكمن الروح (Ba) والشرارة الإلٰهية (Khu) على اختلاف بين الباحثين في الأسماء والمسميات[١]، ففي داخل الإنسان شرارة إلهية ـ بل هو تجسيد للإله[٢].

لقد كانت التصاوير المصرية المرسومة على جدران الأهرامات، وفي كتب الموتى تمثل الآلهة والفراعنة وهم في أوضاع محددة، يسعى الناس إلى تطبيقها من أجل تقمص الإلٰهية، كما هو الحال مع أوضاع الـ أسانا (Asana) في الـ يوغا الهندوسية[٣].

ومن الفلسفات المتعلقة بعقيدة وحدة الوجود ـ والتي تبناها المصريون القدماء ـ فلسفة العناصر الأربعة: النار، والهواء، والتراب، والماء. وهي عناصر لا تمثل الأصول المادية للوجود المحسوس، بل تعتبر الصور البدائية للوجود المطلق، وبتمازجها واجتماعها تتشكل مفردات الكون. فهي مرحلة أولية في سلسلة التولد الفيضي[٤].

لقد كانت الحضارة المصرية مشبعة بالرمزية، فكانت الأعداد تمثل رموزاً دينية، وكذلك الأشكال الهندسية. كما أن بعض المعابد تُبنى بشكل رمزي، لتمثل مواد البناء الاعتقاد بالعناصر الأربعة مثلاً.

(٤) الأهرامات:

تطلق الأهرامات في اللغة المصرية القديمة على مكان الصعود. وهي ـ في الواقع ـ قبور ضخمة صنعت للأسر المالكة وأبناء العلية[٥]، وقد شكلت مصدر

---

(١) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص١٩، والتراث المسروق: جورج جيمس ص١٢٢، والأديان الحية: أديب صعب ص٢٠ و An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 51, and Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: 239, and New Age Living-Paul Ronald: 12.

(٢) انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي: ٣١، و New Age Living-Paul Ronald: 13.

(٣) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Needlemam & Faivre: 4, and The Western Esoteric Traditions-Clark: 18.

(٤) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس: ٨٥، و New Age Living-Paul Ronald: 13, and Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: 232, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 96.

(٥) انظر: Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 515.

جذب للمهتمين من جميع أنحاء العالم حتى صنفت أهرامات الجيزة على أنها إحدى عجائب الدنيا السبع[١].

لقد توالى اهتمام الجماعات الباطنية الغربية بالأهرامات، ونسبوا لها العجائب والأساطير. فقد كان إدغر كيسي يرى أن الأهرامات تتضمن سجلاً متكاملاً للتاريخ البشري، ومستقبله، يمكن الاطلاع عليه بفك الرموز الفرعونية ومن خلال التنجيم. بينما اعتقدت مدام بلافاتسكي ـ وكثير من أتباع الـ ثيوصوفي ـ أن للأهرامات خصائص سرية تجعل ما بباطنها يشهد الخوارق والأعاجيب[٢]. واستمر هذا الانجذاب في أتباع حركة «العصر الجديد» حيث اعتبرت من وسائل استقطاب «الطاقة»، ويصنعون أشكالاً هرمية مماثلة للنسب القياسية للأهرامات المصرية معتقدين أنها تحقق أفعالاً غريبة بفعل «طاقة الأهرامات» (Pyrami Power)[٣]، فهي تسهم في تخزين الطعام، وعدم تعرضه للفساد لمدة طويلة، كما يُستعان بها في الاتصال بالعوالم الغيبية والاطلاع على «سجلات أكاشا»[٤] (Akashic Recorde). كما يستخدم الشكل الهرمي كصومعة يجلس بداخلها من يريد ممارسة التأمل الباطني[٥].

---

(١) تعد الأهرامات المصرية المعلم الوحيد الذي لا يزال قائماً حتى اليوم، أما بقية العجائب فقد تلاشت آثارها.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 149.

(٣) انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 175, and Healing or Stealing-Jean-Marie Abgrall: 108.

وبمجرد إدخال «طاقة الأهرامات» في أحد محركات البحث على شبكة الإنترنت تجد قائمة مطولة ممن يعتقدون بهذه العجائب، وهو مصطلح دارج عند أتباع حركة «العصر الجديد».

(٤) **سجلات أكاشا**: «أكاشا» كلمة سنسكريتية تعني الأثير، وهي سجل أثيري يلخص جميع الأفكار والمشاعر منذ بدء الوجود وإلى الأبد، يستطيع بعض الأفراد المختارين التوصل إلى معلوماته ومن ثم التكهن بالمستقبل. وربما اتصل به الإنسان دون وعي منه عن طريق الأحلام والحدس. يسميه دغر كيسي: كتاب الذاكرة الإلهية. انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 15, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 15.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movemets-Michael York: 149.

وهذه الأشكال الهرمية ـ إلى جانب كثير من الرموز المصرية ـ تباع في المتاجر الخاصة بحركة «العصر الجديد» تصفح، مثلاً: =

○ **الهرمسية:**

عندما استولى الإغريق على البلاد المصرية في ما يُعرف بالفترة الهيلينية، ظلت المعتقدات المصرية هي السائدة ـ بل اكتسبت الآلهة المصرية بعض الأتباع الجدد من اليونان. ولكنها مع مرور الوقت أخذت تتشرب بعض الخصائص الإغريقية(١). وقد حفظت الجوانب العملية والباطنية للديانة المصرية القديمة في مجموعة مخطوطات مصرية ويونانية وعبرية تعرف بـ كوربُس هِرمِتكَم (Corpus Hermeticum) تم جمعها في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد(٢)، وتُنسب إلى شخصية أسطورية يدعى هرمس (Hermes) مثلث العظمة(٣)، وهو المقابل الإغريقي للإله تحوت(٤) (Thoth) المصري، أو صورة مدمجة لهما(٥). فنشأ عن تلك الكتابات منظومة من



عصا هرمس من رموز الهرمسية

= www.thespirtualdimenson.com. Egyptian.
www.higherheart.com.Egyptian statues & gifts.
www.mysticunicom.com.Egyptian.

(١) انظر: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هارولد بل: ٣٧، ٥١، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 203.

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Needlemam & Faivre: 4, and The Westerm Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 18.

(٣) هرمس: سمي هرمس بـ «مثلث العظمة» للاعتقاد بأنه جمع العلم بأجزاء الحكمة الثلاثة: الخيمياء، والتنجيم، والسحر. وقيل: لأنه كان أعظم كاهن (رجل دين)، وأعظم فيلسوف، وأعظم ملك. وقيل غير ذلك.
انظر: آلهة مصر: فرانسوا ديماس ص٨٦.

(٤) **تحوت** (Thoth): يُعتقد أنه حكيم مصري تحول بحكمته إلى إله كان يُقدس في مصر قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، بيده أمر خلود العباد في السماء. كما يعزى إليه اختراع الكتابة الهيروغليفية وإليه تنسب كتابات هرمس التي تسمى عند متصوفة الإسلام: الهرمسيات.
انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٣.

(٥) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار ص١١، ١٥، وآلهة مصر: فرانسوا ديماس: ٨٦، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٣، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 244, New Age Living-Paul Ronald: 13, and Lectures on the Origin

الاعتقادات والفلسفات الغنوصية التي مثلت مذهباً باطنياً متميزاً أُطلق عليه اسم: الهرمسية، وهو من أقوى المؤثرات في التيارات الباطنية الغربية ومن أبرز مصادرها، خاصة في عصر النهضة عندما نقلت الكتب المنسوبة إلى هرمس إلى اللغات الأوروبية، واعتقد بعض المفكرين أنهم وجدوا فيها أصولاً لفلسفات أفلاطون(١) وفيثاغورس(٢)(٣).

اكتنف شخصية هرمس شيء من الغموض واختلف المؤرخون كثيراً في تحديد زمن ظهوره وموطنه ـ بل وفي حقيقة وجوده(٤)، وهذا كله لا يشكل أهمية تذكر في ما نحن بصدده، فإن المقصود دراسة الديانة والفلسفات التي تُنسب إليه، وآثارها دون الخوض في صحة تلك النسبة من عدمها. وإن كان بعض الباحثين يرجح أن الكتابات المنسوبة إلى هرمس هي من وضع بعض فلاسفة

= and Growth of Religion-Le Page Renouf: 116, and An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 333. Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes: 306, and Modern Esoteric Spirituality-Needlemam & Faivre: 4.

(١) **أفلاطون** (Plato): فيلسوف يوناني ولد عام ٤٢٨ق.م لأسرة أثينية أرستقراطية ثرية، يعد من واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية. قرأ لمن سبقه من الفلاسفة وكان تلميذاً مقرباً لسقراط الذي كان الملهم لتفكيره. وبعد وفاة سقراط أخذ أفلاطون بالتنقل بين البلدان منها إيطاليا ومصر. ثم عاد إلى أثينا واستقر بها وأسس فيها مدرسة سميت «الأكاديمية» وأخذ يعلم فيها وينشر فكره من خلال تدوين محاوراته مع سقراط. له عدد من المؤلفات الحوارية وأشهر كتبه: الجمهورية، الذي رسم فيه صورة للمدينة الفاضلة التي يترأسها الفلاسفة كما تخيلها. توفي عام ٣٤٧ق.م.

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص١٤٨ ـ ١٤٩، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د.محمد فتحي، ود. علاء عبد المتعال ص٤٩.

(٢) **فيثاغورس**: عالم رياضي وفيلسوف يوناني عاش في القرن السادس قبل الميلاد. مؤسس المدرسة الفيثاغورية وأسهم في تطوير الهندسة، وفي منتصف عمره هاجر إلى إيطاليا. له عدد من الآراء الباطنية وكان يقول بالتناسخ.

انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال: ٦٣، موسوعة المورد: منير بعلبكي ٨/ ١٠٤.

(٣) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار ص١٥، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غـانـدي ص١٣، ٢٠، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 16, and The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 22221, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 5.

(٤) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار ص٦ ـ ١٢.

مذهب الإسكندرية أو الفيثاغورية المحدثة[١].

أما ما يذكره بعض الكتَّاب من كون هرمس هو نبي الله إدريس ﷺ[٢] فلا يمكن أن يتصوره مسلم. فـ هرمس هذا ـ إن ثبت وجوده ـ لم يعرف إلا من خلال المتون المنسوبة إليه، وهي مليئة بالفلسفات الباطنية، والعبارات الإلحادية التي لا يمكن أن تخرج من مشكاة النبوة، فكيف يجعل قائلها نبياً؟ فإن قيل: ربما أصابها تحريف، قيل: لا حاجة لنا إلى هذا القول، حيث لا يوجد ما يثبت النسبة إلى النبي أصلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفي كتب هؤلاء: هرمس الهرامسة، ويزعمون أنه هو إدريس. والـ هرمس عندهم اسم جنس، ولهذا يقولون: هرمس الهِرامسة، وهذا القدر الذي يذكرونه عن هرمسهم يعلم المؤمن قطعاً أنه ليس هو مأخوذاً عن نبي من الأنبياء على وجهه، لما فيه من الكذب والباطل»[٣].

ومن أبرز العقائد الهرمسية ما يلي:

(١) وحدة الوجود وتأليه الذات:

يُصوِّرُ الإله في متون هرمس على أنه فكر وعقل ليس له وجود مفارق للعالم، ولا وجود له خارج الذهن إلا متجسداً في الكائنات، يقول هرمس:

«أتوم[٤] هو الفكر الأول،

هو أعظم من أن يطلق عليه اسم أتوم،

هو الخفي المنجلي في كل شيء،

تعرف كينونته بالفكر وحده،

وتدركه عيوننا في الآفاق،

ليس له جسد، ولكنه في كل شيء،

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٢٩.

(٢) انظر: هرمس المثلث العظمة (أو نبي الله إدريس): لويس مينار، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٣، ورسائل إخوان الصفا: أحمد بن عبد الله ٢/٣٨ (ومواضع متعددة)، والملل والنحل: الشهرستاني ص٣٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣٥/١٧٩.

(٤) يطلق على الإله اسم أتوم في متون هرمس.

وليس هناك ما ليس هو»[١].

والعالم ـ في الهرمسية ـ صادر عن «الإله» عن طريق التولد والفيض، فقد تولدت العناصر الأربعة عن الوجود الأول، وتولد عنها العالم المحسوس[٢]، تماماً كاعتقاد الديانات الشرقية، وكثير من الفلسفات الباطنية. فالكون جزء من الإله، ولكنه ظهر بهذه الصورة المفارقة ظاهرياً لتلبسه بالأدران والشرور. ولذلك فالإنسان ذو طبيعة إلهية تكمن في ذاته البشرية[٣]. ويقرر هرمس أن معرفة الإله لا تتحقق من طريق الوحي، وإنما تكون من خلال تأليه الذات[٤].

وفي الهرمسية عقيدة تشبه إلى حد كبير مفهوم «الطاقة» الشهير في حركة «العصر الجديد» والمأخوذ في الأصل عن الديانات الشرقية، فهي جزء من التولد الفيضي، وصورة من صور وحدة الوجود إذ هي تمثل أوائل الصادرات عن «الإله» أو الوجود الأزل. يوضحها النص التالي:

«أتوم هو النور ومصدر الطاقة الخالدة أبداً،

مانح الحياة ذاتها أبداً،

والتي يحكم مددها قوانين الكون الخالدة، كينونة الكون هي في الطاقة الخالدة أبداً،

والتي تنبع منها كل أشكال يستحيل عليها أن تتوقف، أو تفنى،

تضمها وتربطها قوة الحياة الأبدية»[٥].

(٢) تناسخ الأرواح:

من المعتقدات الهرمسية الرئيسة الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وأن الروح إذا خرجت من الجسد لا تنتقل إلى عالم أخروي فيه الحساب والجزاء، وإنما تعود

(١) متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٤٢.
(٢) انظر: المصدر السابق ص٣٩.
(٣) انظر: المصدر السابق ص٦٣.
(٤) انظر: المصدر السابق ص٨٧، أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص١٦٩.
تعتبر متون هرمس مقدسة عند الصابئة. انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٧ ـ ١٨.
(٥) متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٥٠.

لتسكن في جسد آخر في دوامة لا تنتهي[١]. ولا يكون الخلاص من هذه الدوامة المقيتة إلا من خلال الاتحاد بـ «الإلٰه»، وهو تعبير عن العودة إلى الطبيعة الإلٰهية الأصلية. والاتحاد بـ «الإلٰه» لا يمكن أن يحدث إلا حال الإعراض عن ذكره تماماً، والكف عن الحديث عنه[٢]!

(٣) التنجيم:

في الهرمسية اعتقاد صريح بتأثير الأجرام السماوية على المجريات الأرضية - بل وتصرفها بالكون، ويسميها هرمس: الكائنات الإلٰهية[٣].

«تمتعت كتب هرمس المثلث بسلطة كبرى خلال القرون الأولى من تاريخ الكنيسة. وغالباً ما استشهد بها فقهاء الكنيسة»[٤]، حيث جعلها القساوسة مثالاً للنصوص الوثنية التي تحمل نبوءات بقدوم المسيح ﷺ، كوسيلة للتبشير بالمسيحية في الأوساط الوثنية. ولكن الكنيسة لم تلبث أن تخلت عن النصوص الهرمسية فاندثر ذكرها مدة من الزمان. ولم يزل أتباعها ينخرطون في الجماعات السرية.

أعيد بعث الهرمسية في أوروبا في عصر النهضة، وأصبح لها تأثيراً في عدد من الجماعات الباطنية[٥]، ولا تزال التيارات الباطنية الغربية مشبعة بالأفكار الهرمسية حتى يومنا هذا، ومنها حركة «العصر الجديد»[٦]، فقد أعيد إحياء هذا الفكر الباطني تحت مظلة الحركة متمثلة بعدد من الجماعات الهرمسية الجديدة، منها «الجماعة الهرمسية»[٧] في الولايات المتحدة، كما يتم الترويج للفكر

---

(١) انظر: المصدر السابق ص٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٩١.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٥٣، ٦٧.

(٤) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار ص١٥.

(٥) كان لتعاليم هرمس أثر في بعض مثقفي إنجلترا، كـ وليام شكسبير، وفرانسيس بيكون، وإسحاق نيوتن.

انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٢١ ـ ٢٢.

(٦) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: (387-388), and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 138, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 21.

(٧) وهي منظمة دينية غير ربحية مسجلة قانونياً، تأسست عام ١٩٩٥م، تهدف إلى توفير =

الهرمسي في عدد من المواقع الإلكترونية التي تتبنى فكر حركة «العصر الجديد» وتنتمي إلى منظومتها[١].

بينما كان لـ (جماعة الفجر الذهبي الهرمسية) (Hermetic Order of the Golden Dawn)[٢] التي اشتهرت على يد الساحر الإنجليزي **أليستر كرولي** (Aleister Crowley)[٣] أثر كبير في نشر المعتقدات الهرمسية، وظهور الجماعات الهرمسية المعاصرة، وهي ـ في الوقت ذاته ـ تعتبر من الجماعات المؤثرة في تشكيل فكر حركة «العصر الجديد»[٤].

لم يقتصر أثر الهرمسية على التيارات الباطنية الغربية، بل كان لها أثر في التوجهات الباطنية في العالم الإسلامي، وفي بعض الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كذلك[٥]. فحين أنشئت «دار الحكمة» ببغداد، في القرن التاسع للميلاد،

= المعلومات وجمع الناس المهتمين بالتيارات الباطنية الغربية. وتعتقد بوحدة الأديان والتيارات الباطنية الموصلة إلى حقيقة موحدة.
تصفح: www.hermeticfellowship.org

(١) تصفح، مثلاً: www.new-age-guide.com
www.accessnewage.com

(٢) **الفجر الذهبي**: هي جماعة سحرية سرية، نشأت في إنجلترا عام ١٨٨٨م، وقدمت نفسها على أنهم خدام حكمة أركايا (Custodians of Archaic Wisdom). جذبت عدداً من المفكرين الأحرار، بالإضافة إلى **أليستر كرولي** الذي أدت سمعته السيئة وخلافاته مع الأعضاء إلى حل الطريقة. ادعت الجماعة النظر في عمل العقل اللاواعي وتجربة أسرار الموت والحياة، مع إمكانية استحضار «النفس العليا» من خلال بعض الطقوس. وفيها يخلط بين الكبالات اليهودية والديانة المصرية والفكر الماسوني. تم حل النظام في عام ١٩٠٠م إثر خلافات ومحاكمات بين أفراده.
انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 196, and New Age Living-Paul Roland: 13.

(٣) **أليستر كرولي**: ساحر وكاتب إنجليزي مشهور، ولد عام ١٨٧٥م وكان عضواً في جماعة الفجر الذهبي الهرمسية. اشتهر بالممارسات الشاذة وتعاطي المخدرات. له عدد من المؤلفات التي دون فيها طرقه السحرية وتجاربه مع المواد المخدرة. لقب بأخبث رجل على الأرض، وتوفي عام ١٩٤٧م، انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and New-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 62, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 75.

(٤) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 83, and New Age Living-Paul Roland: 17, and The New Age Movement-Paul Heelas: 44.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص١٧٩ ـ ١٨٠. =

تُرجمت فيها كثير من الكتابات الفلسفية والمتون الوثنية، منها: متون هرمس، ووجدت نسخ منها في مكتبة الإسكندرية، حتى صارت «الهرمسيات» من المعارف السرية لبعض التيارات الفلسفية في الإسلام ـ بل يُرجع بعض الباحثين أصول التصوف الإسلامي إلى هرمس مثلث العظمة، لوضوح أثره في كتب المتصوفة[١].

هذا، «وقد أخذ الفيلسوف الإيراني يحيى السهروردي[٢] على عاتقه ـ في القرن الثاني عشر الميلادي ـ أن يربط بين ما أسماه: الدين الشرقي الأصلي والإسلام، وقال: إن علماء العالم القديم دعوا إلى مذهب وحيد، والذي تنزَّل على هرمس»[٣]، وقد أخذ **السهروردي** هذا التصور عن **الحلاج**[٤][٥].

ثم انتقل الفكر الباطني مرة أخرى إلى أوروبا في القرن الخامس عشر، حيث ترجم التراث الوثني الباطني من العربية إلى اللاتينية[٦].

المطلب الثاني

الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية

لقد كان للثقافة اليونانية توجهان بارزان: توجه ديني، وتوجه فلسفي، أثَّر كل منهما في حركة «العصر الجديد» بطريقة مختلفة. أما التدين الإغريقي فهو من

= وقد تأثرت بعض الطوائف الخارجة عن الإسلام كغلاة الرافضة والبابية والبهائية بالفلسفة الهرمسية كذلك. انظر: المصدر السابق ١/ ١٨٥.

(١) انظر: متون هرمس (المقدمة): تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٨، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) **السهروردي المقتول**: هو يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، ولد في سهرورد عام ٥٤٩هـ. نسب إلى انحلال العقيدة، وأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي في قلعة حلب، وخنقه في سجنه عام ٥٨٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان ٦/ ٢٦٨، والأعلام: الزركلي ٨/ ١٤٠.

(٣) انظر: متون هرمس (المقدمة): تيموثي فريك وبيتر غاندي: ١٨.

(٤) **الحلاج**: هو الحسين بن منصور، أبو مغيث الفارسي، الصوفي، الزنديق، المقتول على زندقته. كان صاحب شعوذة وسحر، ويقول بالحلول. أتى بأشياء منكرة وتكلم بما يخرجه من الدين، فأفتى العلماء بإباحة دمه، فقتل سنة ٣١١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ١٤/ ٣١٣، والبداية والنهاية: ابن كثير ١١/ ١٣٢.

(٥) انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص١٨.

(٦) انظر: المصدر السابق ص١٩.

أشهر الديانات الوثنية في العالم القديم، وله منظومة من الآلهة الأسطورية التي تشبه البشر إلى حد كبير. ورغم أن حركة «العصر الجديد» تُعظم بعض تلك الآلهة، وتستشهد بالأساطير الإغريقية أحياناً ـ كإله النور أبولو (Apollo)، وزيوس (Zeus) إله السماء، وأبو الآلهة ـ إلا أن الجوانب الدينية الأكثر تأثيراً في فكر الحركة هي ما يلي:

١ ـ **الجانب الطبيعي في الديانة اليونانية**: والمقصود به تعظيم الطبيعة وعبادة مظاهرها، ومن ذلك عبادة آلهة الأرض جايا (Gaia)، التي اعتُبرت الأم الصابرة جزلة العطاء[١].

٢ ـ **الديانات الإغريقية السرية**: وهي تمثل التوجه الباطني في الديانة الإغريقية الوثنية، حيث يعتقد أتباعها ـ كسائر أتباع التوجهات الباطنية ـ بأن الإنسان في أصله «إله» قد سُجن في الجسد المادي، ومن ثم لا بد من السعي لتحريره، والعودة به إلى أصله بطرق متنوعة، فكانت تقام الاحتفالات السرية التي يتم فيها الكشف عن رموز مقدسة تعين على تحقيق ذلك الهدف، لا يطلع عليها إلا الخواص من الناس[٢].

وأما التوجه الفلسفي فقد ظهر متأخراً عن التدين الوثني، وكان مناهضاً له في كثير من الأحيان، فقد كان يُعظم العقل البشري، ويُعمله في القضايا الغيبية، ناسفاً الأساطير والآلهة المقدسة. إلا أن هذا التوجه ـ كسابقه ـ لم يخلُ من لوثات التصوف، والمعتقدات الباطنية.

لقد ظهرت النزعات الباطنية في الفلسفة اليونانية في مراحل مبكرة تبدأ من مرحلة ما قبل سقراط[٣]، وتمتد إلى تلاميذه من بعده. ويرى بعض الباحثين أن

---

(١) انظر: قصة الحضارة: ول ديورنت ص٣٢١، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص١٤٩، و Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (64, 78), and New Age Living-Paul Roland: 50, and New Age Encyclopeia-Belinda Whitworth: 107.

(٢) انظر: قصة الحضارة: ول ديورنت ص٣٤١، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص١٦٠.

(٣) سقراط (Socrates): فيلسوف يوناني من أساطين الفلسفة، ولد في عام ٤٧٠ق.م، ويعد من واضعي أسس الفلسفة الغربية. لم يترك سقراط أي أثر مكتوب، فجل فلسفته مأخوذة عن المحاورات التي كتبها تلميذه أفلاطون. سجن وهو في السبعين من عمره بتهمة إنكار =

الفلسفة اليونانية قد تأثرت بالديانات الشرقية وقدمتها في ثوب إغريقي، وأن تلك الديانات هي مصدر التوجه الباطني داخل الفلسفة اليونانية[١].

تأثرت حركة «العصر الجديد» بفلاسفة اليونان ذوي التوجه الباطني، لا سيما فيثاغورس، وأفلاطون، وأفلوطين[٢]، بطرق مباشرة، وغير مباشرة[٣].

وفيما يلي عرض مختصر لمرحلة ما قبل سقراط، ومرحلة ما بعده:

أولاً: مرحلة ما قبل سقراط:

لقد كانت الفلسفة اليونانية في مطلعها فلسفة «طبيعية»، تبحث في الأصل الطبيعي للعالم وتسمى المدرسة «الأيولية» وعلى رأسها طاليس (Thales)[٤]. جاءت بعدها المدرسة «الإيلية» التي كانت تبحث في الفكر والوجود لا في أصل العالم فحسب، وتعتمد على العقل في إدراك الواقع. كما ظهرت بعض المدارس التي تُرجع الكون إلى أصل واحد غير مادي كالأعداد، أو العقل، أو المطلق، كالمدرسة الـ فيثاغورية[٥].

= الآلهة اليونانية وإفساد الشباب، وقتل مسموماً عام ٣٩٩ق.م.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٦٣.

(١) انظر: المصادر الشرقية للفلسفية اليونانية ص٤٧، د. مصطفى النشار من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، د. محمد مرحبا ص٥٩، ٦٨، والفلسفة عند اليونان: د. أميرة مطر ص١٧.

(٢) **أفلوطين** (Plotinus): فيلسوف روماني مصري النشأة، ولد عام ٢٠٤م، انتقل إلى الإسكندرية في الثامنة والعشرين من عمره، وبقي فيها أحد عشر عاماً، وكان له اهتمام بالفلسفة الفارسية والهندية، فرحل مع الجيش الروماني لغزو فارس، ولكن الجيش انهزم، فعاد إلى روما، وبقي فيها إلى أن توفي عام ٢٧٠م.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٤، وموسوعة الفلسفة: عبد الرحمٰن بدوي ١/١٩٦.

(٣) انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutciffe: 39, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 126.

(٤) **طاليس**: فيلسوف يوناني من الفلاسفة الطبيعيون، وأحد الحكماء السبعة، عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وكان مهتماً بالهندسة والفلك. جال أنحاء الشرق، وتبحر في العلوم. وقد تنبأ بحدوث الكسوف الكلي للشمس، رغم أنه كان يعتقد أن الأرض مسطحة.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص١٢.

(٥) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص١١ ـ ١٨.

وإذا نظرنا إلى ما يُنقل عن فلسفة طاليس، نجد أنه كان يعتقد أن الماء هو أصل الموجودات، وأنه النوع الأول الواحد للوجود، وكل موجود ليس إلا تغيّراً للماء. لقد كان طاليس - رغم سذاجة فكرته - يسمى أبا الفلسفة، ولعل ذلك راجع إلى أنه أول من أقحم العقل في المسائل الغيبية، ولم يلتفت إلى الأساطير المتعلقة بالآلهة(١). ثم إن هذه الفلسفة البدائية قد تعتبر تمهيداً للفلسفات الباطنية التي جاءت من بعدها، وتبنَّت عقيدة وحدة الوجود(٢). ومن أبرزها فلسفة فيثاغورس.

○ **فيثاغورس:**

يعتبر الرياضي اليوناني فيثاغورس أبرز فلاسفة مرحلة «ما قبل سقراط» ممن ظهرت النزعة الباطنية في فكرهم وكتاباتهم، وقد يعد أول من قدَّم فكرة الوجود المطلق للعقلية الغربية. لقد اشتهر فيثاغورس في الأوساط العلمية بأنه أبو الهندسة ورائدها، ولكنه - مع ذلك - انغمس في الـ ما ورائيات(٣)، وشكَّل مذهباً باطنياً يشبه إلى حد كبير التوجه الفكري في الفلسفات الشرقية. كما أنه أدخل الجوانب الفلسفية في علوم هي في الأصل خالية منها، فكان لـ فيثاغورس اهتمام كبير بالأعداد، ليس من النواحي الحسابية فحسب، وإنما باعتبارات فلسفية باطنية، فاعتبر الأعداد رموزاً لمعان عميقة واستخدمت في الطقوس السرية، ومراسم التأهل لها(٤).

ويمكن تلخيص أبرز المعتقدات الباطنية التي تُنسب إلى فيثاغورس فيما يلي:

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠، والأديان الحياة: أديب صعب ص٢٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٢١ و History of Mysticism-S. Abhayananda: (90-94).

(٣) الـ ما ورائيات (الميتافيزيقيا (Metaphysics): وهي الأمور التي لا تقع تحت الحس، كالإله والقضايا الغيبية.
انظر: موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ٢/ ٧٩٠.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٥، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٩، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص٣٣، والملل والنحل: الشهرستاني ص٣٥٨ - ٣٩٨، و
History of Mysticism-S. Abhayananda: 89.

١ ـ تتميز الـ فيثاغورية باعتقادها أن «الأعداد» هي أصل الوجود، واعتمدت عليها في إنشاء علم الكونيات (Cosmology)[(١)].

٢ ـ يرى فيثاغورس أن الوجود متولد عن المطلق، وفائض عنه، وتمثل العناصر الأربعة مرحلة من التسلسل الفيضي عنده، معبراً بذلك عن اعتقاده بوحدة الوجود[(٢)].

٣ ـ القول بتناسخ الأرواح، وأن الخلاص منه يكون بتحقيق المعرفة الفلسفية، والتربية العقلية[(٣)]، فالإنسان يهدف إلى تأليه ذاته[(٤)].

٤ ـ الحقيقة عند فيثاغورس ذاتية، ولديه نزعة إنسانية، فلا حقيقة إلا الإنسان، وكل ما عداه فهو باطل وخداع[(٥)].

لقد كانت الـ فيثاغورية شبيهة بالجماعة الصوفية، فقد اهتم أتباعها بالأسرار والخوارق، والخرافات، مع ما لديهم من فلسفة عقلية[(٦)]. وتشكل الأنغام والمعازف أهمية كبرى عند فيثاغورس في تحقيق مبادئ فلسفته[(٧)].

وقد تأثرت حركة «العصر الجديد» بجوانب متعددة من فلسفة فيثاغورس الباطنية، خاصة في ربط الأعداد بعلم الكونيات[(٨)].

أما العالم الإسلامي فقد وصله المذهب الـ فيثاغوري مختلطاً بالأفلاطونية

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٢٧، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص٩٥، والتراث المسروق: جورج جيمس ص٦٧، و Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 443.

(٢) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص١٥ ـ ١٦.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٧، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي، ود.علاء عبد المتعال ص١٠٥، والتراث المسروق: جورج جيمس ص٦٥.

(٤) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس ص٦٦.

(٥) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٨٩.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٨، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٢١.

(٧) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٤٠، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د.محمد فتحي ود.علاء عبد المتعال ص٥١، والتراث المسروق: جورج جيمس ص٦٦.

(٨) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 136, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 164.

المحدثة[١] والمشَّائية المتأخرة[٢]، وقد أصبح فيثاغورس رمزاً للباطنية أهل الغنوص في الإسلام، خاصة من حيث الاهتمام بالأعداد، وله ذكر متكرر في رسائل إخوان الصفا[٣][٤].

ثانياً: سقراط وتلاميذه «المدرسة العقلية»:

كانت الفلسفة قبل سقراط تهتم بعموم الوجود، والكون الخارجي، أما سقراط فجعل موضوعها الإنسان، والعقل، والنفس البشرية[٥].

ولم يكن لـ سقراط مؤلفات يوضح فيها آراءه الفلسفية، ولذلك فإن جُل ما يذكر عنه هو من نتاج كتابات تلميذه أفلاطون وتدوينه لما دار بينهما من حوارات، والتي يظهر في بعضها إشارات باطنية[٦].

ولعل أبرز ما يمكن أن يُستدل به على هذا التوجه الباطني لدى سقراط يتمثل في تصويره المجازي الشهير الذي عُبر عنه بـ «الكهف» (Allegory of the Cave)[٧]، وذكره أفلاطون في كتابه «الجمهورية» (The Republic). في الصورة

(١) تأتي لاحقاً بإذن الله.

(٢) **المشائية**: أتباع مدرسة أرسطو طاليس، وسموا بالمشائين لأن أرسطو كان يلقي عليهم الدروس وهو يمشي، وهم يسيرون من حوله، فسمي هو وأتباعه بهذا الاسم.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص١٤٢.

(٣) **إخوان الصفا**: مختصر من: «جمعية إخوان الصفا وخلان الوفا»، جمعية فلسفية إسماعيلية باطنية، تشكلت على نحو سري في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، اتحدوا ليجمعوا بين العقائد الفلسفية والعقائد الإسلامية. تأثرت بالفلسفة اليونانية، والهندية، والفارسية، وكانوا يأخذون من كل مذهب بطرف.
انظر: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم: فؤاد معصوم ص٤٥.

(٤) انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص١١٥.

(٥) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٢٣.

(٦) علماً أنه لا يمكن الجزم ـ تاريخياً ـ بأن ما ذكره أفلاطون عن معلمه هو حقاً من تعاليمه أم أنه كان مجرد مطية لنشر فكر التلميذ، فجل ما ينقله عن سقراط هي أفكار أفلاطونية بحتة، ولذلك لا يمكن التأكد من صحة نسبة تلك الأفكار إلى سقراط من خلال نقولات أفلاطون.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص١٢٣.

(٧) **سياق القصة**: تخيّل طائفة من الناس يعيشون مقيدين في كهف مظلم تحت الأرض منذ نعومة أظفارهم. وتصور قبساً من نار، ينبعث من خلفهم، فيلقي على الجدار الذي أمامهم ظلالاً متحركة كأن أناساً يمشون، بعضهم يتكلم، وبعضهم صامت. إن أصحاب =

إشارات إلى الفرق بين من «يعلم الحقيقة» - التي هي مصدر المظاهر كلها - وبين من لا يعلم سوى تلك المظاهر، وكيف يكون هذا الإنسان «الكامل» بالنسبة لعوام البشر الذين لا يرون إلا المظاهر. كما وجدت ببعض الإشارات التي تدل على اعتقاد سقراط بتناسخ الأرواح[(١)].

وعلى كل حال، فإن أثر سقراط على التيارات الباطنية في الغرب محدود جداً، وإنما الأثر الأكبر كان لتلميذه أفلاطون، والمدارس التي تنتسب إليه.

لقد كان تأمل المطلق الأبدي هو غاية الوجود البشري عند أفلاطون، وهو الوسيلة التي تكتمل بها الروح وتتطهر، فتتحرر من الجولان في العالم، إذ لا يبقى حاجة لتكرار الولادة. وهي فلسفة مطابقة للفلسفة الشرقية - إن لم تكن مأخوذة عنها[(٢)]. وبذلك تتبين أبرز الملامح الباطنية في فلسفة أفلاطون.

١ - يرى بعض الباحثين أن أفلاطون يعتقد بتناسخ الأرواح[(٣)].

٢ - كما كان يقول بـ «عالم المثل»[(٤)]، وأن ما نراه من العالم هو وهم وأشباح[(٥)].

= الكهف يحسبون هذا الظلال حقائق. هب أن أحدهم حل وثاقه، والتفت إلى الوراء، ربما استنكر الضوء في البداية، ولكن سرعان ما سيدرك الحقيقة، ولن يقبل حياة الكهف بعد ذلك. ولو أخبر أصحابه بما رأى لسخروا منه!

انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص١٣١، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٣٠.

(١) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص٣٩٩ - ٤٠٤، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٨٩ والتراث المسروق: جورج جيمس ص٩٤، و History Of Mysticism-S. Abhayananda: (97-100).

(٢) انظر: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية: د. مصطفى النشار: ١٠٠، و History of Mysticism-S. Abhayananda: 89.

(٣) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون: ٨٥.

(٤) **المُثُل**: هي - في رأي أفلاطون - حقائق كلية موجودة وجوداً فعلياً مفارقاً للإنسان، ووجودها ليس مادياً، وإنما معان مجردة خالدة، وهي مصدر المعرفة، وعلة لها، كما أنها مصدر لوجود الأشياء في العالم المحسوس. وأعظم هذه المثل وأعلاها هو المثل الأعلى، وجوهر الوجود.

انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٢٨، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص١٢٦ - ١٣٠.

(٥) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص١٣٢، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٣٠.

٣ ـ يرى تأليه النفس البشرة واحتواءها على الطبيعة الإلٰهية[١].

وهذه العقائد الأفلاطونية ظاهرة في المنظومة الفكرية لحركة «العصر الجديد»، وهي جزء من تكوينها الفلسفي. إلا أن أفلوطين، وفهمه لفلسفة أفلاطون كانت من أبرز المؤثرات الإغريقية ـ إلى جانب ـ الـ فيثاغورية ـ في تشكيل فكر الحركة[٢].

أفلوطين والأفلاطونية المحدثة (New-Platonism)[٣]:

ظهرت الأفلاطونية المحدثة (مذهب أفلوطين) في العصر الهيليني الذي يمثل الطابع الفكري الناشئ بعد فتوح الإسكندر للشرق، وامتزاج الفكر اليوناني بالثقافة الشرقية. وللعصر الهيليني خصائص تميزه، من أبرزها:

١ ـ العناية بمذهب أفلاطون.

٢ ـ التشبع بالأفكار الدينية والوثنية كالبوذية واليهودية والنصرانية.

٣ ـ انتشار النزعات الصوفية الباطنية والتعلق بالسحر والتنجيم والغيبيات والخوارق[٤].

لقد أسهمت خصائص العصر الهيليني في تشكيل الأفلاطونية المحدثة التي تعتبر ـ عند أتباعها ـ شرحاً لفلسفة أفلاطون. ولكن أفلوطين جنح في شرحه بعيداً عن الفكر الأصلي فاعتبر الباحثون فلسفته مذهباً جديداً أطلقوا عليه: الأفلاطونية المحدثة. وتعتبر من المذاهب الفلسفية المتأثرة بالهرمسية، والفيثاغورية، والديانات الشرقية[٥].

وقد كان ليهود الإسكندرية لا سيما فيلون (Philo/Philon)[٦] اليهودي ـ دور

---

(١) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص١٣٧.

(٢) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: (387-388), and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 21.

(٣) ويقال: الأفلاطونية الجديدة، والأفلاطونية الحديثة. ومذهب الإسكندرانيين. والذي أثبت هو الأشهر.

(٤) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢١٨ ـ ٢١٩.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٣، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٢، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢١٩، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 21.

(٦) فيلون: أشهر فلاسفة اليهود في القرن الأول للميلاد، ولد في عام ٢٥ق. م لأسرة نبيلة في الإسكندرية، وأشرب في قلبه حب الفلسفة، حتى لقب بأفلاطون اليهود. حاول =

الوساطة في نقل الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، وهو ما نتج عنه مذهب أفلوطين[١]. ولذلك تعتبر الأفلاطونية المحدثة غنوصية شرقية بشكل يوناني[٢]، ومن أبرز معتقداتهم ما يلي:

١ ـ **وحدة الوجود**: يعتقد أفلوطين بمصدر واحد للوجود كله، وأن العالم هو صورة لذلك الواحد[٣].

يقول أفلوطين في سداسياته:

«المصدر يحوي كل شيء، ولا يحويه شيء... يملك ولا يُملك... إنه في كل الوجود.. وهو في الوقت ذاته موجود، وغير موجود»[٤].

٢ ـ **الفيض والتولد**: يرى أفلوطين أن الوجود فائض عن المصدر الواحد، وأن العقل أول ما صدر عنه، ثم الروح، أو مبدأ الحياة[٥]، فالكون عنده صادر عن العقل الأول، وهو الذي جاء به إلى الوجود[٦]. يقول أفلوطين:

«المبدأ العقلي ـ في سكونه الذي لا يخالطه قلق ـ قد جاء بالكون إلى الوجود»[٧].

٣ ـ **تناسخ الأرواح[٨] والخلاص منه**: وهنا يختلف أفلوطين عن أستاذه،

= الجمع بين اليهودية والفلسفة فنتج عن ذلك مذهب باطني يفسر التوراة تفسيراً رمزياً، ولا يمت لليهودية بصلة. توفي عام ٤٠م.
انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٢٠، تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٢.

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/٧٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٣، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٢٠.

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص١٦٢، ١٨٥.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٦، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٣، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٢٨ و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 21, and Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 75.

(٤) The Enneads-Plotinus: (5.9) p. 410.

(٥) The Enneads-Plotinus: (1.8) p.26.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٥، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٣٣.

(٧) The Enneads-Plotinus: (2.3) p.162.

(٨) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٤٠.

فهو يهدف إلى الاتحاد بالمطلق للتخلص من التناسخ ـ كما هو في الفلسفة الهندية، والاتحاد الصوفي بالإِلٰه[١]. يُعرِّف أفلوطين هذه التجربة بأنها تحرر العقل من وعيه المتناهي عندما يغدو واحداً، ومتوحداً مع الـ لا متناهي، فتتحرر النفس من عوائق البدن بالإضافة إلى تحررها من عجلة التناسخ، وإعادة الميلاد عن طريق المعرفة الفلسفية، والتأملات العقلية، والفضائل الأخلاقية[٢].

٤ ـ **تأليه الذات**: وهو نتيجة حتمية للاعتقاد بالاتحاد ووحدة الوجود[٣].

٥ ـ **المعرفة عند أفلوطين**: تقوم المعرفة عنده على الحدس، وهو ما يتوصل إليه بالتحرر من سلطة البدن والحواس، ثم بالفكر والتفلسف، ثم بالسمو فوق التفكير؛ ليصل الإنسان إلى المعرفة أو ـ في الاصطلاح الصوفي ـ «العلم اللدني»[٤].

كما أن أفلوطين كان يعتقد بالتنجيم والطقوس السحرية ويتبنى التصوف المغالي[٥]، ففلسفته أقرب للتصوف والأسطورة منها للفلسفة العقلية والمنطق[٦]. وقد بقيت فلسفته متضمنة في الفكر اللاهوتي لحركة «العصر الجديد»[٧].

المطلب الثالث

الغنوصية

«الغنوص» (Gnosis) هي كلمة يونانية معناها اللغوي يفيد: المعرفة أو العرفان. ومعناها في الاصطلاح: التوصل بنوع من الكشف[٨] إلى المعارف

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٨، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٦.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٦، والتراث المسروق: جورج جيمس ص٤١.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٥، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٢٩.

(٤) انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص١٩٣، و Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 144.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٩.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٣٠٣.

(٧) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 143.

(٨) **الكشف**: اصطلاح صوفي يريدون به الاطلاع على المعاني الغيبية والحقائق المحجوبة. انظر: التعريفات: الجرجاني ص١٨٤.

العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي ذاتي مباشر، لا من خلال الوحي الخارجي، ولا العمليات العقلية. وهي تعتبر ـ عند أتباعها ـ أقدم عقيدة في الوجود[١].

أما «الغنوصية» (Gnosticism) فهي توجه فكري يضم فرقاً متعددة يجمعها الاعتقاد بأن «الخلاص» يكون من خلال العلوم الباطنية الاستسرارية وأحياناً بالاستعانة بالطقوس السحرية[٢]. ولو تتبعنا جذور الغنوصية ـ كحركة فكرية دينية متعددة الأوجه ـ لوجدنا أن بداياتها الأولى ظهرت منذ القرن الأول الميلادي، ثم إنها برزت ونشطت في القرنين الثاني والثالث[٣]، وإن كان بعض الباحثين يرجع أصولها الباطنية إلى ما قبل ذلك بكثير، باعتبار وجود ذلك الفكر في بيئات مختلفة[٤]. فبعضهم يرجع مبادئها إلى الديانة والفلسفة اليونانية القديمة، ويرى أنها أدمجت بالمعتقدات النصرانية، وفسرت النصوص بتفسيرات باطنية لضمان قبول الفلسفة القديمة بين أتباع الديانة الرائجة الجديدة[٥]. وبعضهم يرى أن أصولها تكمن في الفلسفات الشرقية، وتوجهاتها الباطنية[٦]. وكل ذلك قد يصح باعتبار عموم الفكر الغنوصي، ولكن إذا أردنا تخصيصه بالتوجه الباطني الناشئ في النصرانية فإنه لا يوجد دليل على وجود غنوصية تحمل ذات الملامح قبل الغنوصية المسيحية، وإن وجدت جماعات قبلها متفرقة هنا وهناك[٧]. فالغنوصية ليست اسماً لفرقة محددة، بل هي مظلة فكرية تندرج تحتها العديد من الفرق ذات التوجه الباطني المشترك[٨]،

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٦، وموسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ١/٥١٣، وملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو: ٢٦٩، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٣، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 27.

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمٰن بدوي ص٧٥٧ ـ ٧٥٨.

(٣) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص٢٦٩، وأصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص١٤٢، والمعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص١٣٣.

(٤) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص١٤٢.

(٥) انظر: مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمٰن بدوي ص٧٥٨.

(٦) انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص١٣٣.

(٧) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٧٥.

(٨) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتوا ص٢٧٠.

وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو أسقف مدينة ليون بفرنسا، وقد وضع مؤلفاً كبيراً للرد على الغنوصية في أواخر القرن الثاني للميلاد[١]. فالغنوصية اسم علم على اتجاه باطني خاص، لا شك أنه مسبوق بتوجهات شبيهة في بيئات مختلفة.

وعلى أية حال فالغنوصية المقصودة هنا هي تلك التي نشأت في البيئة النصرانية، أما غيرها فتبحث في غير هذا الموضع.

لقد تشكلت النصرانية ـ كما نعرفها اليوم ـ في القرن الثاني للميلاد تقريباً حين وجدت صراعات عقدية بين عدد من التوجهات الداخلية، فقررت الكنيسة التي سمت نفسها «الأورثوذوكسية» (Orthodox) ـ أو قويمة الإيمان ـ اعتماد عدد من الأسفار واعتبارها هي المقدسة، ووصف غيرها بالزيف والضلال[٢]. وقد كان رجال الدين ـ في تلك الفترة ـ هم المصدر الوحيد لفهم النصوص المقدسة[٣].

وفي الفترة الانتقالية من القرن الأول إلى الثاني ـ وقت تدوين إنجيلي لوقا[٤] ويوحنا[٥] ـ ظهرت الحركة الغنوصية في مصر وسوريا، فظهر توجه باطني فلسفي في الديانة النصرانية استعار فكره من الديانات والفلسفات في البيئة المحيطة، وحاول الجمع بين تلك الآراء الفلسفية الكونية المعقدة، وما عنده من معطيات دينية، فتأثر خواص القوم بالنواحي الفلسفية، وتأثر عوامهم بالسحر والخرافة[٦].

لم تحمل الغنوصية تنظيماً عقدياً، أو هيكلة كهنوتية، وقدمت نفسها على

(١) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص١٤٥.

(٢) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٦٠.

(٤) لوقا: (Luke) يُعتقد أنه من أصحاب بولس، وأنه كاتب الإنجيل المنسوب إليه في عام ٩٠م تقريباً. وهو رجل يوناني ظهرت آثار ثقافته في كتاباته. ولا يعرف عنه الكثير، إذ ليس عند النصارى علم رجال، ولا توثيق لنقلة الإنجيل. انظر: An Encyclopedia of Religion-Ferm: 455.

(٥) يوحنا: (John) يُعتقد أنه كاتب إنجيل يوحنا ـ أحد الأناجيل الأربعة ـ في أواخر القرن الأول للميلاد، عاش في مرحلة لم يسجل فيها التاريخ النصراني، ولا سبيل لمعرفة تفاصيل عنه. انظر: An Encyclopedia of Relegion-Ferm: 399.

(٦) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنيبير ص١٢٤، والوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٦٠ ـ ٦١.

أنها الممثل الحقيقي للدين العالمي الجديد غير المقيَّد بالشرائع، كما أظهرت العداوة للميراث التوراتي، وتصوراته عن «الإله» والإنسان[١].

لقد كانت الغنوصية لا ترى جدوى طريقة الكنيسة التقليدية في السعي للخلاص وتصفها بطريقة «العوام»، أو على أقل تقدير ترى تفوُّق الطرق الباطنية عليها[٢]. وقد استمر الصراع بين الغنوصية والنصرانية حتى استطاعت الكنيسة في آخر الأمر التغلب على التوجهات الغنوصية مستعينة بالحجج العلمية، والقوة السياسية[٣]. وبذلك لم تعد الغنوصية توجهاً نصرانياً خاصاً، رغم أنها نشأت في بيئة نصرانية، فمع هجمة الكنيسة عليها تحول الغنوص إلى المعتقدات السرية والخفية ـ بل الملحدة أحياناً[٤].

ومن أبرز المعتقدات الغنوصية ما يلي:

(١) التأويل الباطني للنصوص الدينية: ادَّعى الغنوصيون أن لديهم تعاليم سرية من المسيح ﷺ، وأنه لا يزال متصلاً بتلاميذه بعد قيامه[٥]. فباتوا يفسرون النصوص الدينية بأهوائهم، ويؤوِّلون القضايا العقدية الأصولية عند النصارى. ويرون أن خصومهم ـ غير العارفين ـ يقفون عند ظواهر التعاليم الدينية ولا ينفذون إلى الحقائق في باطنها[٦].

(٢) المعرفة: ترى الغنوصية أن المعرفة تحصل من خلال الرؤية المباشرة للحقيقة[٧]، فالغنوص هو المعرفة المباشرة بلا واسطة[٨].

(٣) الإله والعالم: تعتقد الغنوصية بأن «الإله» وجود واحد غير عاقل، صدر عنه وجود زوجي متتابع، كلما ابتعدت عن الوجود الأول ازدادت كثافة. ولما أراد بعضها الترقي إلى «الإله» من غير طريق الغنوص طرد وتكونت منه

---

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٦٠ ـ ٦١.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٤، والمعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص١٣٣.
(٣) انظر: الغنوصية في الإسلام: هاينس هالم ص٥، وأصول الصابئة: عزيز سباهي ص١٤٥.
(٤) انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص١٣٣.
(٥) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٦١.
(٦) انظر: المرجع السابق ص٧٠.
(٧) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص١٤٦.
(٨) انظر: مقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٣.

المادة والعالم المادي، وحبست الأنفس في الأجسام. فمن أراد «العودة» إلى الطبيعة الإلٰهية لزمه الغنوص، فالأصل وحدة وجود والهدف هو الاتحاد. وقد نتج عن هذا المعتقد معتقد فاسد آخر وهو القول بأصلين للوجود، أحدهما خير والآخر شر[١]. بينما ينظر للمسيح في الغنوصية على أنه قوة أزلية غير محدودة[٢].

(٤) الثنوية (Dualism): إن الوجود ـ حسب المعتقد الغنوصي ـ متولد عن «الإلٰه» بطريق الفيض، و«الإلٰه التوراتي»[٣] ضمن تلك الموجودات الصادرة عن «الإلٰه النوراني» الذي يطلق عليه الرأس الإلٰهي (Godhead)، وهو بلا اسم، وبلا وصف، وهو مصدر الأرواح. ولكن «إلٰه التوراة» لم يتبع طريق الغنوص، فهو إلٰه ناقص ساقط، أو هو تجسيد للخبث والشر على اختلاف بينهم. وهذا الإلٰه ـ إلٰه التوراة ـ هو الذي يُنسب إليه خلق العالم، وابتداع الأديان، والشرائع والتكاليف، بينما «الإلٰه النوراني» لا يكلف الإنسان إلا بمعرفته! ولا بد من عودة الإنسان إلى أصله الذي اقتبس منه حتى يتخلص من مآسي وأدران الدنيا المادية[٤]. ولذلك فإن الغنوصية تحتقر العالم وترفضه[٥]، وهو ما دعا أفلوطين إلى انتقادهم، والرد عليهم، رغم موافقته لهم في جوانب عدة[٦].

(٥) تناسخ الأرواح: الغنوصية ديانة خلاص تهدف للتحرر والانعتاق، والصراع الرئيس الذي يخوضه الإنسان هو بين العرفان الذي يقود إلى الخلاص وبين الجهل الذي يبقيه في دور الميلاد والموت. والحكمة الشهيرة المكتوبة على جدار معبد دلفي[٧]: «اعرف نفسك» تتخذ أهمية مركزية في النظم القائمة على

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٦، ومع الفلسفة اليونانية: د.عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٣٣.

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنيبير ص١٥٨.

(٣) يسمى الـ ديمبرج (Demiurge)، وهو من اصطلاحات أفلاطون.

(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٧٠ ـ ٧٢، ١٥٣، The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: (28-29).

(٥) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 29.

(٦) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص١٤٤، وملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص٢٧٠.

(٧) معبد إغريقي في اليونان.

العرفان وتلخص الطريق المتبع في تحقيق الخلاص[١].

(٦) تأليه الإنسان: الروح عند الغنوصية صادرة عن «الإله النوراني» ولكنها ابتعدت عنه بسبب انحباسها في المادة، وبعدها عن الغنوص، فهم يسعون لاكتشاف الإله الذي في «الداخل» وتحريره، ليتحقق لهم الخلاص من خلال التأمل الباطني الصامت[٢].

* * *

تعتبر الغنوصية ـ إلى جانب الهرمسية والفيثاغورسية والأفلاطونية المحدثة ـ من المذاهب «التلفيقية» (Syncretism)، تجمع بين المعتقدات المتباينة، والأفكار المنتمية لمدارس فكرية متنوعة، وهي ظاهرة نشأت عن الفكر الهيليني، والتفاعل مع المعتقدات الشرقية إثر احتلال الإغريق للعالم الشرقي القديم[٣]. وقد «أفادت الغنوصية من الفلسفة الأفلاطونية الوسيطة التي ميزت بين التفكير العقلي... والخبرة الداخلية الحدسية التي تقود إلى معرفة الله، وتكشف للروح الإنسانية صلتها بعالم الألوهية»[٤]. كما تأثرت الغنوصية بالكتابات الهرمسية، والباطنية الفيثاغورية[٥].

لقد انتقل الفكر «التلفيقي» عبر الغنوصية إلى عدد من التيارات الباطنية الغربية، حيث أسهمت في تشكيل فكر الـ ثيوصوفي وحركة «الفكر الجديد»[٦]، ومن ثم فإن الغنوصية ـ التي جمعت بين الأفكار الوثنية والفلسفات المعقدة في القرون الثلاثة الأولى ـ تعتبر من أبرز المصادر العقدية لحركة «العصر الجديد» التي اتبعت الأسلوب ذاته[٧].

---

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص١٦١.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٥ ـ ٦٨.
(٣) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص١٤٧.
(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٧٦.
(٥) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص٢٦٩، والوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص٧٦، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٢٧.
(٦) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 3.
(٧) انظر: An Overview of the New Age Movement-William A.Reck: (5-6), and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 82.

○ الكبالا اليهودية (Kabbalah)[١]:

«كبالا» كلمة عبرية تعني في اللغة: التقليد[٢]، ويُقصد بها الحدس والذوق الذي يتحقق بالتأمل والإشراق، فتفسر النصوص من خلال الغنوص. فهي ـ باختصار ـ الغنوصية اليهودية، وقد دخلت الغنوصية في أعماق الديانة اليهودية حتى إنا لنجد آثار فكرها في التلمود[٣].

ولكن قبل ذلك بقيت الديانة اليهودية ـ على ما اعتراها من تحريف ـ خالية من الفكر الفلسفي الباطني لمدة قرون، ولم يظهر شيء منه إلا بعد أن لجأت جماعات من اليهود إلى الإسكندرية في وقت سيادة الحكم المقدوني على مصر في القرن الأول للميلاد على وجه التحديد. فأقبل اليهود على الثقافة اليونانية، وترجموا التوراة إلى اليونانية، وأصبح كثير منهم يتحدثون بتلك اللغة، ويكتبون بها. وقد كان اليونانيون ينظرون إلى الفكر اليهودي ـ من خلال التوراة المحرفة ـ على أنه فكر ساذج خرافي يفتقد إلى العمق الفلسفي، ويجنح إلى التجسيد والمادية. فقام بعض اليهود بمحاولة شرح التوراة شرحاً رمزياً باطنياً، واختلطت اليهودية، بالغنوصية والهرمسية، والأفلاطونية المحدثة. وقد كان أبرز رواد هذا التوجه الباطني هو فيلون اليهودي[٤].

تشكلت الـ كبالا في القرون الأولى بعد المسيح ﷺ واستمرت بالانتشار حتى القرون الوسطى، ولكنها كانت تقليداً شفهياً استسرارياً لا تلقى مبادئه إلا في حلقات خواص المريدين[٥]، ولم يُدوَّن شيء من فكر الـ كبالا إلا في القرن الثالث عشر للميلاد، عندما كُتبت أبرز التعاليم في كتاب الزُّهار (Zuhar)، فكان

---

(١) تكتب: .Cabala(h) - Cabbala(h) - Qabala(h)

(٢) **التقليد** (Tradition): مفرد تقاليد، وليس المقصود التقليد بمعنى المحاكاة.

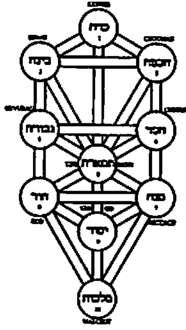
(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٧، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ٧١ ـ ٧٥، وأصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص٤٣ ـ ٥٢، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٢، و Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York. 101, and New Age A Guide-Daren Kemp: 41.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٧.

الأمر وكأنها ظهرت في ذلك القرن دون مقدمات[١].

لا تختلف العقائد الـ كبالية عن أسلافها كثيراً، فهي تعتمد على الغنوص في تحصيل المعارف، وتتأوَّل النصوص الدينية تأويلات باطنية تخرج بها عن مدلولات اللغة، وحيز المعقول[٢]. أما الإله فهو وجود مطلق خالٍ من الصفات كما يرى فيلون، تولَّد عنه عشر تجليات يعبر عنها بـ «شجرة الحياة» ـ ويُرمز بأشكال دائرية منتظمة ـ هي مصدر الوجود المحسوس[٣]. فالـ كبالا لا تخرج عن السلسلة الباطنية القائلين بوحدة الوجود[٤]، ويسعى أتباعها للاتحاد بـ «الإله» المطلق من خلال التأمل الباطني، وتحوير الوعي في طقوس تشبه بعض العبادات الهندوسية، والتأملات البوذية[٥]، وذلك بهدف التخلص من جولان الروح، ودوامة التناسخ. وقد تأثرت الـ كبالا بالمذهب الفيثاغورسي في تقديس العدد، وتحميله المعاني الرمزية[٦].


شجرة الحياة والدوائر العشر

تنقسم الـ كبالا من حيث التطبيق إلى قسمين:

١ ـ **الـ كبالا العملية**: وتتميز بالطقوس السحرية والشعوذة.

٢ ـ **الـ كبالا النظرية**: ويُعبر بها عن المذهب الغنوصي الفلسفي.

غير أن هذين القسمين قلَّما ينفصلان، وقد تلازما عند الأتباع عبر

---

(١) انظر: Origins of Kabbalah-R.J. Werblowsky: (3-5). And The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia: 44-Belinda Whitworth, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 198 and. The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٣) انظر: Living-Paul Roland: (20-23), and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ٧١ ـ ٧٥، أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص٤٣ ـ ٥٢، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٣٢٢.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 101.

(٦) انظر: Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 443. and New Age Living-Paul Roland: 23.

التاريخ[١]، فيكون التقسيم موضحاً لجانبي ظاهرة موحدة، لا معبراً عن كائنين متباينين. وقد تأثرت التيارات الباطنية الغربية بكلا الجانبين على حد سواء[٢]. فجماعة «الفجر الذهبي» تعتمد على الـ كبالا في كثير من الطقوس والمعتقدات، وهي ترتكز في تصورها الكوني على «شجرة الحياة»[٣]، وهي من أبرز العوامل المؤثرة في تشكيل الفكر الـ ثيوصوفي[٤]. أما حركة «العصر الجديد»، فلا شك أن الـ كبالا تعتبر جزءاً من منظومة التيارات والديانات الباطنية التي استقت منها الحركة فكرها، وبنت عليها كثير من مبادئها حول الوجود، والإنسان، وتصوراتها عن التحرر والخلاص[٥].

ولم تعد الـ كبالا في صورتها المعاصرة تحمل - بالضرورة - الملامح اليهودية، ولا يلزم معتنقيها في العصر الحديث التخلي عن معتقداتهم الأصلية[٦] مما يسّر توظيفها في الممارسات «الروحانية» البديلة ضمن التطبيقات التي تروج لها حركة «العصر الجديد».

أما في العالم الإسلامي، ففد كانت الـ كبالا اليهودية تسير خفية، فظهرت تحت اسم فرق العيسوية[٧] التي تعد أصلاً لعدد من الفرق الباطنية المنتسبة إلى الإسلام. وقد دخلت الآراء الـ كبالية في عدد من المتفلسفة الإسلاميين، كما

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٨.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 20.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 44. and The Western Esoteric Traditions-Clark: 198.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٧.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 101, and New Age Living-Paul Roland 20, and New Age A Guide-Daren Kemp: 41.

(٦) انظر: New Age Living-Paul Roland: 21.

(٧) العيسوية: طائفة تنسب إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، كان في زمان المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، واتبعه كثير من اليهود، وادَّعُوا له آيات ومعجزات. زعم أبو عيسى أنه نبي، وأنه المسيح المنتظر، وأن الله كلمه ليخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين. كما حرم أكل كل ذي روح، وخالف اليهود في كثير من أحكام شريعة التوراة.
انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص٢٣٩.

دخلت في بعض فلاسفة التصوف وفي التشيع المغالي(١).

ولعل من أشهر أتباع مذهب الـ كبالا في العالم الإسلامي المدعو: ساباتاي زيفي(٢) (Sabbatai Zevi) الذي ادعى أنه مسيح اليهود المنتظر، ويعتبر يهود الدونمة من أتباعه.

المطلب الرابع

الاتجاهات الصوفية في الإسلام

اختُلف في أصل كلمة «الصوفية» أو «التصوف»، فمن قائل إنها عربية، ومن قائل يونانية، ومن قائل غير ذلك. والذين قالوا بالأصل العربي اختلفوا في نسبته على عدة أقوال لا يتسع المقام لذكرها(٣)، وقد رجح شيخ الإسلام النسبة إلى الصوف، فإن الصوفية أول ما ظهروا كانوا يتعمدون لبس الصوف تزهداً ـ حسبما زعموا(٤).

وكما اختُلف في النسبة اللغوية اختُلف في المقصود بالتصوف، بل إن الصوفية أنفسهم لم يصلوا إلى تعريف محدد لمذهبهم(٥). والصحيح أن مصطلح التصوف بات من الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى، ويقصد بها مفاهيم متنوعة. ولذلك كان لا بد من التقديم بالتعريف بأقسام الصوفية في

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/٨٨، وOrigins of Kabbalah-R.J. Werblowsky: 245.

(٢) ساباتاي زيفي: يهودي باطني ولد عام ١٦٢٦م، درس الكبالا وتأثر بتعاليمها، وفي عام ١٦٤٨م ادعى أنه المسيح وأصبح له أتباع، ثم أظهر الإسلام في عام ١٦٦٦م خوفاً من قتل العثمانيين. وتحولت معه ٣٠٠ أسرة من أتباعه إلى الإسلام مع بقائهم على اليهودية الباطنية في الباطن، وهم يهود الدونمة.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 42329-O.V.

(٣) راجع: التصوف: ماسينون ومصطفى وعبد الرزاق ص٢٥، ٥١، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص٤٢ ـ ٤٨، ومقدمة ابن خلدون، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٨.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١١/٦.

(٥) انظر: التصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص١٨، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٩.

الإسلام، أو اتجاهاتها. وهو ما يمكن التعبير عنه بالمراحل الزمنية والفكرية التي مر بها التصوف منذ نشأته، وحتى اليوم.

١ ـ **الصوفية الأوائل**: وهؤلاء جمع من العباد والنساك الذين ظهرت فيهم نزعة الزهد ونوع من المبالغة في العبادة والعزلة ـ مع البعد عن الابتداع السلوكي أو الاعتقادي ـ كردة فعل للانفتاح المادي الذي عاشه العالم الإسلامي في عصر الفتوحات. وهؤلاء ـ وإن كانوا أهل فضل ـ إلا أن حال النبي ﷺ وصحبه ومن كان على نهجهم من التابعين في الجمع بين السعي والعبادة كان أكمل. وهذا الاتجاه ينسب إلى الصوفية تجوُّزاً.

٢ ـ **الصوفية المبتدعة**: وقد ظهر هؤلاء في أواخر عهد التابعين، وشاع بينهم الابتداع السلوكي واللفظي.

٣ ـ **غلاة الصوفية**: في القرن السابع للهجرة ظهر الانحراف العقدي في التصوف الفلسفي الباطني المغالي حين تسربت إليه الفلسفة اليونانية، وبرزت المدارس الصوفية القائلة بوحدة الوجود(١)، فكان ابن عربي(٢) من أبرز من صاغ أصول هذا المذهب(٣).

فالصوفية ـ عند الإطلاق ـ قد تنصرف إلى أي من المعاني السابقة بحسب السياق، أما المقصود في هذا البحث فهو التصوف الفلسفي الباطني، وهو المراد عند إطلاق «الصوفية» حتى نهاية المطلب.

لقد ظهر التصوف في بيئة إسلامية، فاصطبغ بشيء من مفاهيمها ومصطلحاتها ولكنه أبقى على المفاهيم الدخيلة على تلك البيئة، وبنى معتقداته

---

(١) والمقصود ظهوره كمدرسة أو تيار، وإلا فقد قال بوحدة الوجود عدد من الصوفية المتقدمين، كالحلاج، وأبي يزيد البسطامي، وذي النون المصري وغيرهم.

(٢) **ابن عربي**: هو محيي الدين أبو بكر بن علي الطائي، الصوفي المتفلسف، صاحب وحدة الوجود. قال عنه العز بن عبد السلام: شيخ سوء، كذاب، يقول بقدم العالم. من مؤلفاته: فصوص الحكم، مليء بالكفر والباطنية الإلحادية. توفي عام ٦٣٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤٨/٢٣.

(٣) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده وطارق عبد الحليم ص١٥ ـ ١٩، ٤٠، والتصوف: مصطفى عبد الرزاق ص٦١ ـ ٨١، ومقدمة ابن خلدون ص٥١٧ ـ ٥٢٧، والتصوف: ماسيتون ص٤١ ـ ٤٢.

عليها، فكانت من أبرز تلك العقائد ما يلي[١]:

١ ـ «الإلٰه» عند أهل التصوف وجود مطلق خال من الصفات، والكون صادر عنه عن طريق الفيض[٢].

٢ ـ القول بوحدة الوجود، وما يتبعه من وحدة الأديان، وتأليه الذات. ويظهر شيء من هذا في أبيات ابن عربي الشهيرة:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة　　فمرعى لغزلان ودير لرهبان

أدين بدين الحب أنى توجهت　　ركائبه فالحب ديني وإيماني[٣]

٣ ـ الفناء: والمقصود هو الفناء عن وجود السوي، وتعبير عن الاتحاد. وهو فناء الملاحدة الذي يتحققون فيه أنه لا موجود لا الله، وأن هذا الكون هو الله[٤]. فإذا بلغ الصوفي منزلة عالية من الترقي، وزعم أنه أدرك أنه لا فرق بينه وبين الإلٰه، تحلل من قيود الشرائع، وادَّعى أن التكاليف سقطت عنه[٥].

٤ ـ العلم اللدني: فالتصوف هو غنوصية الإسلام، والمعرفة عند الصوفية تكون بالكشف والإلهام[٦]، وتعتمد على التأويل والرمزية في تفسير النصوص الدينية[٧].

٥ ـ الصوفية طائفة باطنية استسرارية، تقصُر تعاليمها على خواص الأتباع

---

(١) انظر: التصوف: ماسينون: ٣٧، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص٧٥، ١٣٦، وهذه هي الصوفية: وكيل ص٢٤، ٣٥، ٤٤، ٩٣، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص٧١، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده وطارق عبد الحليم ص٥٩، وأصول الفلسفة العربية: يوحنا قمير ص٥٣، وانظر: د. عبد الرحمٰن بدوي: شطحات الصوفية.

(٢) انظر: التصوف: ماسينون ص٤٢، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص٧٣، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص٤٩.

(٣) ذخائر الأعلاق: ابن عربي ص٥٠.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ص١٠/٣٣٨، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص٥٧، وأصول الفلسفة العربية: يوحنا قمير ص٥٣.

(٥) انظر: التصوف: ماسينون ص٤٦.

(٦) انظر: التصوف: مصطفى عبد الرزاق ص٨٦، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص٣١.

(٧) انظر: التصوف: ماسينون ص٤١، والتصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص١٩٠، ٢٤٤، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص٢٣.

وتقوم على الأسرار الباطنية[(١)].

٦ ـ الاعتماد على الرؤى، والخوارق، و«الكرامات» والتعويل عليها في كثير من المعتقدات والعبادات[(٢)].

وبذلك تظهر أوجه الشبه بين التصوف في الإسلام وبين ما سبق ذكره من التيارات والديانات الباطنية، وكأنها جميعاً تستقي من ذات المصدر.

ولو تأملنا هذا التصوف«الإسلامي» لوجدنا فيه آثاراً لفكر **فيلون اليهودي**[(٣)]، وبصمات للغنوصية النصرانية ـ خاصة في عقيدة **ابن عربي**[(٤)]، كما أن تسرب الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي قد أسهم في تشكل التصوف الفلسفي[(٥)] حيث نجد مبادئ الأفلاطونية المحدثة حاضرة في العقائد الصوفية[(٦)].

فالتصوف الفلسفي «يشمل مجموعة مختلطة من التفكير اليوناني ـ وبخاصة الأفلاطونية المحدثة ـ والمجموعة الهرمسية، ثم بالتفكير الشرقي الغنوصي. . ثم أمشاج من اليهودية والمسيحية والإسلام»[(٧)].

انتقل التصوف إلى الغرب في بدايات القرن العشرين[(٨)]، ولم يعد بعدها

---

(١) انظر: التصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص٢٨٥، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبدة وطارق عبد الحليم ص٣٥.

(٢) انظر: التصوف: مصطفى عبد الرزاق ص٨٦، والتصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص٢٨٠، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده وطارق عبد الحليم ص٦٣.

(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٨، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده وطارق عبد الحليم ص٤٠.

(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص١٨١، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٣، و Sufism in Europe and North America-David Westerlund: 2.

(٥) انظر: التصوف: ماسينون ص٣٨ ـ ٤٠.

(٦) انظر: التصوف الإسلامي: د. فيصل عون: ٧٠، والتصوف: ماسينون ص٤٨، ومقدمة في التصوف: صهيب سعران ص١٣، و Sufism in Europe and North America-David Westerlund: 2.

(٧) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/٤٧.

(٨) ظهرت البهائية ـ بالإضافة إلى الصوفية ـ بالغرب في الستينيات من القرن المنصرم، ولاقت شعاراتها للوحدة والسلام تقبلاً من بعض الغربيين، وتماثلت كثيراً مع حركة «العصر الجديد» في الأفكار. انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 25 and Another Gospel-Ruth A. Tuckem: 285.

من اختصاص العالم الإسلامي[١]، فقد تأسست الطريقة الصوفية العالمية (Sufi International Order) في مدينة لندن عام ١٤١١م، وبعدها بأعوام تغير اسمها إلى: الحركة الصوفية العالمية (International Sufi Movement) وهي تحمل الرسالة ذاتها التي تحملها حركة «العصر الجديد» من الدعوة إلى وحدة الوجود، ووحدة الأديان، والممارسات التلفيقية والباطنية المتنوعة، ومؤسسوها من الأفراد الفعالين في حركة «العصر الجديد»[٢].

إن هجرة بعض رجالات الصوفية إلى البلدان الغربية وعملهم على نشر معتقداتهم - إلى جانب البوذيين والهندوس - مما أسهم في ظهور الفكر الباطني في أوساط المجتمع الغربي المادي ابتداء[٣]، ولما برزت حركة «العصر الجديد» لاحقاً في الغرب انخرط بعض المتصوفة في ممارسات الحركة، نظراً لما بينهما من التوافق، والانسجام، والأهداف المشتركة[٤]. فنجد من أتباع حركة «العصر الجديد» من يرددون «الذكر» الصوفي، ويقيمون الرقصات الصوفية في مراكزهم[٥]، كما يشير بعضهم إلى الأخذ عن الخَضِر، أو الأقطاب[٦].

هذا، وقد ميَّز بعض الباحثين التصوف الغربي - أو ما يمكن تسميته بالتصوف العالمي (Universal Sufism) - عن التصوف «الإسلامي»، فالأول تلفيقي صريح يخلط بين العوامل الهندوسية، والبوذية، والهرمسية، والـ كبالا

(١) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 204.

(٢) انظر: Sufism in Europe and North America-David Westerlund: (7, 32), and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael Youk: (177-178).

وتصفح موقعهم الرسمي على الإنترنت: www.sufiorder.org

(٣) انظر: Perspectives on the New Age-J. Gordon Meltion: 20.

(٤) انظر: An Overview of the New Age Movement-William Reck: 4, and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (103, 118).

منهم: مروان شريار إيراني، وحضرت عنايت خان، وإدريس شاه.

(٥) انظر: New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 153.

وهذه الأذكار الصوفية شبيهة بالأذكار الهندوسية.

انظر: التصوف: ماسينون ص٤٩، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون: ٧٧، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده وطارق عبد الحليم ص٨٩.

(٦) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 121.

وغيرها من المعتقدات الباطنية، بينما التصوف «الإسلامي» يدعي وحدة المصدر[١]. ورغم أن الصوفية في مواطنها الأصلية في عالمنا الإسلامي لا يمكن تصنيفها ضمن تطبيقات حركة «العصر الجديد»، إلا أنها تُعتبر من تطبيقات الحركة عند النظر إلى الصورة الغربية منها[٢].

المطلب الخامس

الديانات الوثنية الحديثة

«الوثن» في اللغة العربية هو: ما يعبد من دون الله، سواء كان بصورة، أو بغير صورة[٣]، و«الوثني» ترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية (Pagan) التي تعني في اللغة: الفلَّاح أو ساكن الأرياف وهو مصطلح نشأ في أوروبا في العصور الوسطى، أطلقه النصارى على كل من لم يكن من أتباع الديانات الإبراهيمية، خاصة من تمسك بالديانات الإغريقية والرومانية[٤].

أما «الديانات الوثنية الحديثة» (Neo-Paganism) [٥] هو مصطلح مظلي يشمل عدداً من الحركات الدينية المعاصرة المتأثرة بالوثنيات المنتشرة في أوروبا قبل تَنصُّرها[٦]. وهذه الحركات تتبنى معتقدات متباينة، بعضها حديث المنشأ، وبعضها تجديد لمعتقد قديم.

وتتفاوت من التعددية وحتى الإلحاد[٧]. وأبرزها وأكثرها انتشاراً هي: الويكا (Wicca) والشامانية الحديثة (Neo-Sharmanism) والدرويدية الحديثة (Neo-Druidism).

---

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 178.

(٢) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٣) انظر: لسان العرب: ابن منظور ١٥/٢١٣.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 55.

(٥) تصدر بـ Neo للدلالة على الحدة والطبيعة المعاصرة لهذه الديانات، ثم تلحق باسم الديانة الأصلي التي يزعم أتباعها أنهم يبنون عليها أو يطبقونها. وهذه البادئة تختلف عن كلمة New. انظر:
Modern Paganism-Michael Stmiska: 2.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Moderm Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 168.

(٧) انظر: Modern Paganism-Michael Stmiska: 4.

لقد ظهرت الديانات الوثنية الحديثة أول أمرها في البلدان المتحضرة ـ في أميركا وبريطانيا تحديداً، ولكنْ لا بد من التنبيه إلى أن كثيراً من الوثنيين في أوروبا لا ينتمون إلى هذه المنظومة الدينية الحديثة، بل يعتبرون أنفسهم امتداد لسلالات عريقة، لم يحدث فيها انقطاع، بينما أتباع الوثنية الحديثة يعلمون بأن حركاتهم هي مجرد إحياء لديانات قديمة، وتراث مندثر، لا يربطهم بها أي رابط عرقي، أو ثقافي[١].

لم تكن الديانات الوثنية الحديثة في معزل عن المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تشكيل حركة «العصر الجديد»، فقد تأثرت بالهرمسية[٢]، وبالفلسفة اليونانية، وديانتها الوثنية[٣]، وكذلك بالفلسفات الشرقية[٤].

قد تلتبس الديانات الوثنية الحديثة بحركة «العصر الجديد»، وتتداخل كثير من ممارساتهما، فهما ـ وإن لم يمثلا تياراً واحداً ـ يشكلان توجهاً متشابهاً في المعتقد والتطبيق، ويشتركان في كثير من المقاصد والأهداف[٥]؛ بل إن الديانات الوثنية الحديثة تعتبر من المصادر الفكرية لحركة «العصر الجديد»[٦].

ومن خلال استعراض خصائص الوثنيات الحديثة تبرز أوجه الشبه بينها وبين «العصر الجديد»، مما حدا ببعض الباحثين أن يجعلهما جزءاً من حركة موحدة هي أكثر اتساعاً وشمولاً. ومن أبرز تلك الملامح:

١ ـ رفض التدين المنظَّم، ومساندة حرية الاعتقاد، وخلوها من القيادة المركزية العامة. ومن مقولاتهم الشهيرة: «إن لم يكن هناك ضرر على أحد فاصنع ما شئت»[٧].

٢ ـ تبني العقائد الباطنية، لا سيما عقيدة وحدة الوجود[٨].

---

(١) انظر: New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 19.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١١.

(٤) انظر: Modern Paganism-Michael Stmiska: 28.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 132.

(٦) انظر: An Overview of the New Age Movement-William A. Reck: 5.

(٧) "If it Harms None, Do What Thhou Wilt" وقد كانت العبارة عند ألستر كرولي وأتباعه: «اصنع ما شئت» بالإطلاق، "Do What Thou Wit".

(٨) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: =

٣ - الانتقائية والتلفيقية في المبادئ والممارسات، والخلط بين المعتقدات والتطبيقات ذات الأصول المختلفة[١].

غير أن الديانات الوثنية - في الجملة - لا تتفق مع حركة «العصر الجديد» في قدوم عصر الدلو مثلاً[٢]، كما أن الحركة تطرح نفسها في مجالات لا دينية، بينما الجوانب العقدية في الديانات الوثنية عادة ظاهرة، ولا يستنكف أصحابها من نسبتها إلى التدين.

وفيما يلي عرض مختصر لأبرز الديانات الوثنية الحديثة:

أولاً: الشامانية (Shamanism) والشامانية الحديثة (Neo-Shamanism):

الشامان (Shaman) كلمة مستعارة من اللغات التركية التي يتحدث بإحداها سكان سيبيريا، وتعني ببساطة: الذي يعلم[٣]. والشامانية بمفهومها الخاص هي ديانة بعض القبائل السيبيرية، وبمفهومها الأعم - وهو المقصود - تُطلق على أي تقليد شعبي يتمركز حول شخص يستقي سلطته من ادعائه الاتصال بعالم غيبي، فهو يعالج المرضى، ويتلقى العلوم من خلال نوبات متكررة يغيب فيها عن الوعي[٤]، فالشامانية هي جملة من المعتقدات الأثرية التي تجعل تحوير الحالة

= 250, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 172, and Wicca's Charm-Catherine Sanders: 63.

(١) توجد بعض التيارات داخل الحركات الوثنية الحديثة التي تحرص على الإتباع الحرفي للديانة الأصلية، فتتبعها تاريخياً وثقافياً، ويتعلم أتباعها اللغات الخاصة بتلك الديانة، ولكن الأغلب لا يكلفون أنفسهم هذه المتاعب. انظر: Modern Paganism-Michael Strmiska: 20.

(٢) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 167.

(٣) **الشامان**: قد يكون امرأة أو رجلاً، ويعتبر القائد الروحي للقبيلة، ويتسلم الشامان هذه القيادة عن طريق الوراثة، وأحياناً بسبب ظهور «قدرات خارقة» له في الطفولة، وأحياناً يأخذها من ينجو من مرض عضال حيث تعتبر هذه الأخيرة من العلامات الدالة على اختيار شخص ما للطريقة الشامانية.

انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٤) وصف الشامان في بعض المجتمعات بأنهم يعانون من أمراض نفسية، كالجنون، والهلوسة، والفصام. بل قام الاتحاد السوفيتي - زمن وجوده - باضطهاد الشامان وإبعادهم باعتبارهم مجرمين دجالين أو مخربين مجانين! انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 250.

الذهنية والوعي وسيلة للتداوي، وتحقيق الشفاء الروحاني. وهي بذلك تشمل ديانات قبائل الإسكيمو، والمايا، والهنود الحمر، وغيرهم ممن يتبنون ما يشبه هذا التقليد[١].

ورغم وجود «الشامانية» ـ بمفهومها العام ـ في أنحاء مختلفة من العالم، إلا أنها قد لا تحمل الاسم نفسه[٢]، فهي لا تعتبر ديانة مستقلة قائمة بذاتها، بل توجد متلبسة بديانات وثنية أخرى. وليست الشامانية معروفة عند أهلها الأصليين بهذا الاسم، وإنما هم يعرفون الـ«شامان» أو الحكيم، ويدينون بديانات متنوعة[٣]. ولذلك لا يمكن أن نحدد للشامانية طقوساً متفقاً عليها أو عقيدة موحدة أو حتى مؤسساً وتاريخ نشأة[٤]، ولكن ثمة خصائص مشتركة تجعلنا نصنف توجهاً ما ضمن المفهوم العام للشامانية، يمكن تلخيصها في ما يلي:

١ ـ الاعتماد على الخوارق في شفاء الأمراض والأسقام.

٢ ـ دعوى الاتصال بالعوالم الغيبية غير البشرية.

٣ ـ الغياب عن الوعي حال العمل، أو الدخول في نوبات من الشرود والإغماء[٥].

٤ ـ دعوى تحصيل المعارف ذاتياً، وعدم الاعتراف بأي كهنوت، أو كتاب مقدس[٦].

٥ ـ الرؤية الـ«أرواحية» (Animistic) للعالم؛ حيث تعتبر الطبيعة حية ذات أرواح يمكن للـ شامان التخاطب معها، وتحصيل علوم الاستشفاء، والسحر، والكهانة[٧].

---

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 164, and The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 247.

(٢) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 248.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٤٧.

(٥) تشبه أحوالهم أحوال من يُظن أنهم يعانون من المس.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 248.

(٧) انظر: New Age Living-Paul Roland: 32, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 232.

وفي المقابل، نجد ما يسمى بالشامانية الحديثة أو شامانية «العصر الجديد» التي تمثل الصورة الغربية المتمدنة لهذا التقليد البدائي، وهي تختلط بتطبيقات حركة «العصر الجديد» كغيرها من الديانات الوثنية الحديثة، وتعتبر من المصادر العقدية للحركة[١].

انتقلت الشامانية إلى الغرب في منتصف القرن العشرين عندما ذهب **مايكل هارنر** (Michael Harner) أستاذ الأنثربولوجيا الأميركي إلى الأمازون ليسكن مع بعض القبائل الهندية هناك، ويتعلم منهم أسرار الشامانية مباشرة. ولأنه لا بد لمن أراد التواصل مع «الأرواح» أن يأتي بما يمكنه من ذلك، كاستخدام الأعشاب المثيرة للهلوسة، قام رجال القبيلة بإقناع د. **هارنر** باستخدام تلك الأعشاب. فلما تناولها ادّعى أنه رأى كائنات مخيفة ورجال برؤوس كرؤوس الطيور، وغيرها من الأشكال الغريبة، غير أنه لم يعرها أي اهتمام واعتبرها خدعة عقلية، ولكنه لما التقى بأحد رجال الشامان قدم له وصفاً مطابقاً لما رآه هارنر، فاقتنع بالفكر الشاماني، وتبناه، وقام بتأليف عدد من الكتب حول كيفية دمج الممارسات والمعتقدات الشامانية في الحياة العصرية وأصبح يلقي المحاضرات في الموضوع ذاته، وهو مما أدى إلى ظهور الشامانية الحديثة في أوروبا وأميركا، حيث أصبحت تمارس الطقوس الشامانية ضمن تطبيقات الطب البديل[٢]!

لقد أسس **هارنر** (مؤسسة هارنر للدراسات الشامانية)، التي تركز على التوجهات الشامانية في الثقافات العالمية، وتعتبر من مصادر الإلهام الفكري للديانات الوثنية في الولايات المتحدة[٣]. وللشامانية الحديثة عدد من المراكز

---

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 164, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 74, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198 and The New Age Movement-Paul Heelas: 22, and Another Gospel-Ruth Tucker: 341, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 357.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 32, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 232, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٣) انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort 233.
والموقع الرسمي للمؤسسة: www.shamanism.org

المنتشرة في أوروبا وأمريكا[١].

تقدم الشامانية الحديثة نفسها كمنظومة من التقنيات التي يمكن أن تستخدم في الاستشفاء البدني والنفسي بوسائل يسهل توظيفها في حياة الأميركي، أو الأوروبي المعاصر[٢]، فقد اتبعت الطريقة الانتقائية التي حولت التقليد الأصلي إلى مبادئ يمكن استخدامها عالمياً[٣]. وهي ـ مع ذلك ـ احتفظت ببعض الملامح الأصيلة، إذ تقوم على ممارسة الوسائل التي تسلب الوعي، كالتأمل الباطني، والمواد المخدرة، والرقصات المسعورة، ولكن تجعله وسيلة لحل المشاكل العصرية والاستشفاء ولا تهدف إلى اختصاص الشامان بأي سلطة، ولا تحظى بالدعم القبلي بخلاف التقليد القديم[٤]. ورغم وجود من قد يمارس الشامانية وفق أصولها الخرافية البدائية دون تغيير، إلا أن أغلب ممارسي الشامانية في الغرب يخلطونها ببعض المفاهيم المعاصرة، وبالعلم والطب الحديث[٥].

وفي أميركا ـ خاصة ـ يعتمد الشامان الجدد على التقاليد الدينية للهنود الحمر كمصدر للتعليم والمعرفة[٦]، ويتلقون تدريبهم على ممارسي الـ هونا[٧]

---

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 166.
تصفح، على سبيل المثال:
www.shamansociety.org
www.thefourwinds.com

(٢) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 250.

(٣) Modern Paganism-Michael Stmiska: 20.

(٤) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 165.

(٥) انظر: Encyclopedia of New Age Beliefts-Ankerberg & Weldon: 357.

(٦) وتعتبر لين آندروز (Lynn Andrews) من أشهر ال شامان في أميركا اليوم. انظر: Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (28-30), and Another Gospel-Ruth A. Tucker: 341.

(٧) الهونا: فلسفة حول قوى العقل البشرى وكيفية تفاعلها مع قوى الطبيعة، وهي جزء من «الفكر الجديد» اقتبست من الديانة المحلية لسكان جزر الهاواي. ولها سبعة مبادئ كلها بارزة في حركة «العصر الجديد»:
- أن العالم الخارجي هو ما يعتقده الإنسان.
- لا يوجد حدود، ولا فواصل تفصل بين الإنسان ومحيطه؛ لأن الكل واحد.
- الطاقة تسرى إلى حيث يوجهها الانتباه.

=

(Huna) في جزر الـ هاواي، وهي التي تستقي منها حركة «العصر الجديد» بعض أساليبها في الاستشفاء وتبديل الوعي.

وتحسن الإشارة إلى استياء كثير من الهنود الحمر من التطبيقات المعاصرة لتقاليدهم القديمة، وطقوسهم الدينية، والتي تروج لها حركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة حيث يرون أن هؤلاء إنما يقدمون صورة مشوهة لتراثهم، وهم قد سرقوا أرضهم من قبل، ثم هم الآن يسرقون ثقافتهم؛ ليتجروا بها، ويستجلبوا بها الأموال(١).

ثانياً: الـ ويكا (Wicca):

«ويكا» كلمة إنجليزية قديمة تعني: السحر، وهي اليوم تطلق على الديانة الحديثة التي جددت التقاليد السحرية القديمة في الغرب(٢)، والـ ويكا هي أشهر الديانات الوثنية المعاصرة وأكثرها أتباعاً(٣).

يعتبر الساحر الإنجليزي هيرالد غاردنر (Gerald Gardner) من أبرز مجددي الممارسات والعقائد السحرية في العالم الغربي، وهو الذي أطلق عليها اسم «ويكا» في خمسينيات القرن العشرين. ورغم أن وجود السحر والسحرة سابق لظهور الـ ويكا ولا يزال له وجود مستقل عنها، إلا أن السحرة المعاصرين يتميزون بالانتقائية، والتلفيق الديني والعقدي، مما جعل الـ ويكا تصنف على أنها من تفريعات



شعار الـ ويكا

= o اللحظة هي مصدر القوة، لا قوة في الماضي، ولا في المستقبل.
o المحبة تعني: السعادة في التناغم.
o جميع القوى تنبع من الداخل، وكل قوة يظهر أنها تسيطر على الإنسان من خارجه ليست سوى وهم.
o التأثير أو النفع هو معيار الحقائق.
انظر: Whole Life Times: Kuhuna: There Are No Limits-Art Kunkin: 7.

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 130.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 4, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 234..

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 286.

حركة «العصر الجديد»[١] ويجتهد أتباع الحركة في إظهارها كتقليد عريق يعاني من الظلم، والنظرة السلبية المجحفة، بينما هي ـ في نظرهم ـ ممارسات بريئة[٢]. وتطلق الـ ويكا في الولايات المتحدة إطلاقاً واسعاً على عدد من الديانات السحرية المتنوعة، بينما ينحصر إطلاقها في أوروبا على مدارس سحرية محددة هم في الغالب من أتباع غاردنر[٣].

أما الهيكل التنظيمي للـ ويكا فيتشكل من جماعات صغيرة تسمى: (Coven) يترأسها «كاهنة عليا» (High Priestess) أو كاهن[٤]، ويقومون بأعمال السحر من عطف، وصرف، وغيرها باستدعاء «الأرواح»[٥] التي ليست سوى شياطين الجن.

وتدون تلك الطقوس والأعمال السحرية في كتاب يسمونه: «كتاب الظلال» (Book of Shadows) وهو إما خاص بالساحر أو بالمجموعة. وهذا الاسم يستخدم كثيراً عند الوثنيين الجدد، ويقصدون به سجلات طقوسهم المختلفة[٦].

لا يستخدم أتباع الـ ويكا مصطلحات صريحة، أو عبارات مباشرة في التعبير عن معتقداتهم، ولذا يلزم استنباطها من أقوالهم وكتاباتهم، ومن أبرز تلك المعتقدات ما يلي:

١ ـ الاعتقاد بوحدة الوجود وتأليه الذات، وأنه لا حد لقدرات البشر.

٢ ـ إمكانية التواصل مع العوالم الغيبية من خلال السحر[٧].

---

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 199, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 234, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 234.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 36.
وقد أصبح بعضهم يطالب بأن يسمح لهم بالتطوع كمرشدين روحيين مكان القساوسة في المستشفيات والسجون!
انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 235.

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 287.

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 286.

(٥) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37, and The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 254.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 27.

(٧) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: (5-6).

٣ ـ الاعتقاد بالعناصر الأربعة[١].

٤ ـ الثورة على ما أسموه «الإله المذكر» وتأليه المؤنث. وهو ما اجتذب أتباع الحركة النسوية[٢]، فالويكا ديانة جل أتباعها من النساء[٣].

٥ ـ تعظيم الطبيعة والإلهة الأم.

٦ ـ يعتقد بعضهم بالتناسخ[٤].

كما يحتفل أتباع الـ ويكا بأعياد السحرة في أوروبا القديمة، ويعتبر يوم الهالُوين (Halloween)[٥] الموافق ٣١ من شهر أكتوبر من أهم أعياد السحرة في الغرب، خاصة في إنجلترا، وهو من أعياد عبدة الشيطان الجدد[٦] كذلك[٧].

هذا، وإن أخطر رسالة تبعثها الـ ويكا هي تحييد النظرة تجاه السحر، فالسحر ـ عندهم ـ إن لم يوصف بالخير فإنه لا يوصف بخير، ولا بشر، إذ هو مجرد وسيلة تقع الصفة على الفاعل لا عليه. فلو استخدم في الشر كان فاعله هو

---

(١) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 51, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: (236-239).

(٣) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37.

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: (193-195).

(٥) **هالوين** : هو عيد مأخوذ عن القبائل الكلتية (Celts) في أوروبا، يحدد أحد رأسي السنة عندهم، وكانوا يعتقدون أن الحاجز بين العالم الغيبي والعالم المشهود يتقلص في ذلك اليوم، فتخرج الأرواح من أهل الخير والشر إلى الأرض. كان بعض الناس يرتدون الأقنعة، ويوقدون الشموع لطرد تلك الأرواح الشريرة. وهذا العيد اليوم يمارسه اللادينيون، ولكنه لا يزال مشبعاً بالرموز والإشارات الوثنية. انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 235.

(٦) **عبدة الشيطان** : هي طائفة متمردة على الكنيسة، ظهرت في أوروبا في القرن الثاني عشر للميلاد، ولا زال لها أتباع خاصة في الولايات المتحدة، ويمكن تقسيمها إلى «مؤمنة» وملحدة. أما «المؤمنة» فهي تؤمن بوجود الشيطان المذكور في الديانات السماوية وتعبده، وأما الملحدة فلا تؤمن بالإله ولا بالشيطان وإنما تتسمى بهذا الاسم إمعاناً في مخالفة الدين، وتمرداً على كل الثوابت، وهؤلاء في الواقع يعبدون أهواءهم والشيطان، من حيث لا يشعرون. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 43249.

(٧) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 44.

المتصف بالشر وليس السحر[١]، وفي هذا مخالفة صريحة للنصوص الشرعية الإسلامية الذامة لعموم السحر بلا استثناء، ولا قيد.

ثالثاً: الدرويدية الحديثة (Neo-Druidism):

الدرويد (Druids) هم أفراد الطبقة الكهنوتية، والقادة الروحانيون لبعض القبائل الكلتية (Celts) في أيرلندا[٢]، ولا يعرف الكثير عنهم حيث لم يعثر على شيء من آثارهم، فقد كانت تعاليمهم استسرارية، يتناقلونها شفهياً، ويحرمون كتابة شيء منها. وجل ما نعلمه عنهم مأخوذ عن بعض الكتاب اليونانيين والرومان[٣]، فوصفوهم بالاهتمام بالسحر والتنجيم[٤] وتقديس الأرقام على الطريقة الفيثاغورية[٥].

أما الدرويدية الحديثة فليس لها تعلق مباشر بالقبائل الكلتية، ولا بثقافتهم، وأول ظهورها كان في أواخر القرن الثامن عشر، ولكنها لم تتشكل فعلياً وتتحدد معالمها إلا في نهاية القرن التاسع عشر على يد عدد من الأتباع بناء على ما يُذكر عن الدرويد الأصليين وهو ما لا يمكن التأكد من صحة نسبته. ومن أهم هؤلاء الكاتب الإنجليزي **روس نِكلز** (Ross Nichols)[٦] صاحب **هيرالد غاردنر**[٧].

---

(١) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 23.
وقد درج استخدام لفظ السحر الأبيض للتعبير عن السحر الذي لا يضر والأسود للذي يستخدم في الشر، ولا فرق بينهما في الشريعة الإسلامية فالسحر كله شر.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 4, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 89.

(٣) انظر: The Celts-Peter Ellis: 17, and The Skeptics Dictionary-Todd Wilbur: 114.

(٤) انظر: The Celfs-Peter Ellis: 115

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) **روس نيكلز**: أحد أبرز مؤسسي الروحانيات الطبيعية في العصر الحديث، ولد عام ١٤١م. تخرج روس من جامعة كامبرج وكان له اهتمام بالسحر، والعلوم النفسية، والأديان. التقى بهيرالد غاردنر في عام ١٩٣٩م فأسس غاردنر الويكا وأسهم روس في تشكيل الدرويدية الحديثة محاولا تقريبها إلى أصولها الكلتية. انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 189

(٧) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 82, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 90..

ومن أبرز معتقدات الدرويدية الحديثة وأكثرها شيوعاً بين أتباعها ما يلي:

١ ـ تعظيم الطبيعة وتقديسها باعتبارها تجسيداً للإله[١].

٢ ـ تعظيم الأسلاف وعبادتهم.

٣ ـ تناسخ الأرواح[٢].

وعلى كل حال، فإن الدرويدية الحديثة كغيرها من الديانات الوثنية الحديثة تتصف بالتلفيق والانتقائية، ولها جماعات كثيرة قد تتنوع تفاصيل معتقداتهم ويختلف بعضها عن الآخر[٣].

إن بين الدرويدية الحديثة والـ ويكا المعاصرة أوجه شبه لا يمكن إنكارها. فكلتا الديانتين نشأ خلال القرن الماضي وكان المؤسسان لهما أصدقاء، فهم يعظمون أشياء متشابهة ويستقون من التقاليد السحرية الغربية. ولكل من الديانتين مراسم تأهيل تتكون من ثلاث مراتب، كما يحتفل كل منهما بثمانية أعياد، ويأخذ الجميع عن الأساطير الأيرلندية والإنجليزية[٤].

ويعتبر عيد سَوين (Samhain) ـ وهو ما يعرف اليوم بالهالَوين ـ من الأعياد التي يحتفلون بها. ولهم اجتماع سنوي عند معلم ستون هنج (Stonehenge) في صيف كل عام[٥]. فالاعتقاد السائد أن الدرويد الأصليون هم من أقام تلك النصب، وهو تصور يشكك كثير من المؤرخين في صحته التاريخية. ولكن ذلك لم يؤثر على أتباع الدرويدية كثيراً، فهم مرتبطون بهذا



(١) انظر: Modern Paganism-Michael Strmiska: 88.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 90.

(٣) تصفح بعض مواقعهم الرسمية:

www.adf.org

www.druidry.org

www.druidry.co,.uk

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 82.

(٥) انظر: The Celts-Peter Ellis: 173.

المعلم منذ بدايات القرن العشرين، يعقدون حوله احتفالاتهم، ويجعلونه موضعاً لتأهيل أفراد جماعاتهم، ويقيمون عنده طقوسهم رغم تحفظ السلطات الإنجليزية على تلك التجمعات[١].

(١) انظر: The Skeptics Dictionary-Todd Wibur: 114.

المبحث الثاني

الفلسفات الغربية الممهدة لموقف حركة «العصر الجديد» من الأخلاق والقيم والحقائق

إن حركة «العصر الجديد» لا تعتمد على مصدر ثابت وموحد في تحديد ما يعتقدونه حقيقة، فالحقيقة نسبية ذاتية، تختلف باختلاف حاملها، وكذلك الفضائل والقيم[١].

وهذه الحركة الغربية المولد والمنشأ ـ رغم تأثرها الواضح بفلسفات خارجية ـ لم تخرج عن السياق الفكري للمدارس الفلسفية في الغرب، حيث مرت تلك الفلسفات بمراحل متتالية هيَّأت العقلية الغربية لتقبل ما تدعو إليه حركة «العصر الجديد»، فتجد لمواقفها جذوراً في ثقافتها المحلية.

وفي هذا المبحث سيتم استعراض جانب من تطور الفكر الفلسفي الغربي، وتتبع جذور موقف حركة «العصر الجديد» من الأخلاق، والحقائق، والقيم؛ لتتضح القاعدة التي انطلقت منها الحركة من بين المدارس الفكرية المتباينة التي

(١) يأتي تفصيل موقف حركة «العصر الجديد» من الحقائق والقيم في الباب الثاني عند الحديث عن معيار القيم.

قد يصل اختلافها إلى حد التناقض في بعض الأحيان، وذلك من خلال الحديث عن مرحلتين مهمتين من تاريخ الفكر الغربي، هما:

- تراجع استقلالية «الوحي»[1] في تحصيل المعارف العقدية، وسيادة «العقل» على الدين.
- سيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم.

المطلب الأول

تقلص استقلالية «الوحي» كمصدر للاعتقاد، وسيادة «العقل» على الدين

يمكننا تقسيم المعارف البشرية إلى معارف غيبية ومعارف طبيعية. أما المعارف الغيبية فإن الأديان ـ في الجملة ـ تعتمد في تحصيلها على مصادر فوق بشرية، ولا تفترض إمكانية التوصل إليها من طريق البشر استقلالا، وإن كانت قد لا تنكر وجود مصادر داعمة للمصدر الرئيس.

وفي الشرع الحنيف تتحدد مصادر التلقي ـ لمسائل الاعتقاد ـ في مصدرين رئيسَين، هما: الكتاب والسُّنَّة[2]، أما العقل والفطرة فمساندان لهما وشاهدان. وعليه، فإنه لا يمكن استبعاد الوحي في تقرير أيٍّ من قضايا المعتقد. فإن قيل: كيف ذاك والعقل ـ مثلاً ـ قد يستقل في معرفة بعض العقائد المجملة، كوجوب وجود خالق للكون، أو لزوم إقامة البعث والحساب؟ قيل: هذا على سبيل الإمكان، وليس شيء من التكليف منوط به. ولو أن إنساناً لم يتوصل إلى هذه المعارف بعقله في أوقات الفترة، لما كان ملوماً على ذلك حتى يأتيه قبس من الوحي، أو يمتحن في المعاد. فالإمكان شيء، والاعتبار شيء آخر، وإذا سلمنا بقدرة العقل ـ أو الفطرة ـ على معرفة شيء من العقائد فإن ذلك لا يعني اعتباره

---

(١) أستخدم لفظ «الوحي» هنا باعتبار معتقد القوم، وإلا فمن المسلم به أن ما يعتقدونه وحياً ليس وحياً خالصاً، بل هو مشوب بالتحريف، والتصحيف، والزيادات البشرية.

(٢) أضاف بعضهم إجماع السلف، وهو ما لا يُتصور خروجه عن الكتاب والسُّنَّة، وبعضهم رأى التقييد بفهم السلف، غير أن «فهم السلف» أقرب إلى منهج التلقي منه إلى كونه مصدراً.

مصدراً صحيحاً لتلقي الاعتقاد، فضلاً عن كونه مصدراً مستقلاً، أو حتى مشاركاً للوحي.

وهكذا كان النهج السائد في العالم الغربي كذلك، فالمسائل الاعتقادية وما له تعلق بالذات الإلٰهية والمسائل الغيبية بقي من اختصاص الدين، ومن أراد الاطلاع على شيء من ذلك لجأ إلى الكنيسة أو الكتاب المقدس، كما بقيت العلوم الطبيعية خارج هذا النطاق[١].

أما الفلسفة الغربية فكانت لها مجالاتها الخاصة، ولم تكن تخوض في مسائل الدين ـ إلا ما كان على وجه الإنكار في بعض الأحيان. فنجد تبايناً ظاهراً بين مواضيع الفلسفة ومواضيع الدين، هذا باستثناء الفلسفات الباطنية والغنوصية في القرون الأولى ـ إن صحت نسبتها إلى الفلسفة الغربية، فهي كالفلسفة الشرقية التي كانت مختلطة تماماً مع الديانات المحلية، كما كان هذا الاتجاه موجوداً عند الإغريق قديماً عندما تحدث الفلاسفة عن الإلٰهيات بشكل مستقلٍ عن الدين، واستحدثوا معاني جديدة ليست مأخوذة عنه[٢].

كل ذلك لم يكن حاصلاً بين الدين والفلسفة الغربية حتى القرن الثالث عشر، عندما بدأ القديس النصراني **توما الأكويني**[٣] (Thomas Aquinas) بتقديم بعض الأفكار الغريبة عن الكنيسة والمتأثرة بالمنطق العقلي والفلسفة اليونانية، فأصبح يقيم الحجج «المنطقية» ليتوصل بها إلى الذات الإلٰهية، والـ ما ورائيات، إلى جانب الطرق التقليدية، لا كبديل عنها. ولذلك يعتبر **الأكويني** من أول الذين قدموا المنطق الأرسطي للغرب، وأدخله في الدين المسيحي[٤].

---

(١) انظر: An Intellectual History of Modern Europe-Ronald Stomberg: 7.

(٢) كالوجوس (Logos) والدميرج (Demiurge). انظر:
تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ونشأة الفكر الفلسفي: د. عبد الرحمٰن بدوي.

(٣) **توما الأكويني**: فيلسوف لاهوتي ولد في عام ١٢٢٥م في إيطاليا، ودرس في فرنسا وأصبح يدرس في الجامعات.
كان له اهتمام بالفلسفة اليونانية وكتابات أرسطو، وهو أول من أدخلها إلى الديانة المسيحية. له عدد من المؤلفات منها: شرح أعمال أرسطو. توفي عام ١٢٧٤م. انظر:
الله في فلسفة القديس توما الأكويني: د. ميلاد غالي: ١٣، و An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 34.

(٤) انظر: اتجاهات الفلسفة المعاصرة: أميل برييه ص٧٠، والله في فلسفة القديس توما =

لم يكن **الأكويني** ـ فيما يبدو ـ يقصد إلى إبعاد «الوحي» ـ أو الدين ـ عن الميدان الميتافيزيقي واتخاذ الوسائل البديلة فيه، ولكنه كان ذا اهتمام بالفلسفة، فأحب أن يوظفها في الإطار الديني الكنسي. ولكن هذه الفكرة استُغلت في الفلسفة الغربية وطورت بعيداً عن ما كان يقصد إليه **الأكويني**، وأخذت منحى آخر تماماً، فأصبحت القضايا «الدينية» تُناقش بعيداً عن أُطر الدين، وأقحمت القضايا الغيبية والعقدية في الدراسات العقلية والمنطقية، وغيرها من الأدوات المستقلة كلياً عن «الوحي»، فظهرت تصورات عن «الإلٰه» غريبة عن التصور الديني التعبدي. لقد أصبحت تلك الدراسات شبيهة بالفكر الحر[1] (Free Thought) حيث أصبح الإنسان هو مناط الحقائق، وإليه ترجع[2].

وهذا التوجه ـ بلا شك ـ مهَّد لمثيلات حركة «العصر الجديد» ونظرتها «التأليهية» للذات البشرية، مع غياب المرجع الديني الضابط، إذ أصبح الإنسان هو مصدر المعرفة وطالبها.

وفي بداية القرن السابع عشر قرَّب **ديكارت** (Descartes)[3] الفكر الغربي إلى مبدأ الاستغناء عن «الوحي» في إدراك الحقائق الغيبية، وأسهم في هدم مقومات الدين إن ادعى غير ذلك، فـ **ديكارت** لم يكن في واقعه ملحداً بل كان وجود الإلٰه إحدى يقينياته الثلاث، وقد كان يصف نفسه بالإيمان[4]. ولكن مذهبه في الشك القائم على الفكر المجرد جعل يقينه بالإلٰه قابلاً للجدل.

= الأكويني: د. ميلاد غالي ص٩، وتطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص١٥٢.

(١) **الفكر الحر**: هي فلسفة تقرر أن الحقائق لا بد أن تستند إلى العلم التجريبي، أو المنطق، أو العقل، لا إلى الموروثات الثقافية، أو الدين. ولا ينبغي أن تتأثر بالسلطة. وجدت هذه الأفكار في ديانات وفلسفات كثيرة وظهرت في أميركا في القرن التاسع عشر، فتبنت آراء يسارية وليبرالية متطرفة. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 18193-O.V.

(٢) انظر: The Implications of New Age Though-Imnhid Helene Hom: 69.

(٣) **ديكارت**: يلقب بأبي الفلسفة الحديثة ورائدها، ولد في فرنسا عام ١٥٩٥م. كان رياضياً متميزاً، وابتكر الهندسة التحليلية. له عدد من المؤلفات، منها: مقال في المنهج، وتأملات في الفلسفة الأولى. توفي عام ١٦٥٠م.

انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص١٠٤، ورواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد شاخت ص١٤.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة: ديكارت ص١٤ ـ ٢١، وتطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص٢٥٠.

إن العقل عند **ديكارت** هو سبيل الوصول إلى الحقائق، والفكر ـ في نظره ـ غير قابل للشك، ولكن لا بد من تفريغ الذهن كلياً من كل تصور، أو فهم، أو معتقد سابق، ومن ثم عرضه على العقل من جديد؛ لتتم تنقية تلك المعتقدات من مسلَّمات الموروث الثقافي[1]. فهو بذلك يجعل العقل مصدراً للاعتقاد، وحاكماً عليه من حيث الصحة والبطلان، ويؤسس للفكر البعيد عن الاعتماد على النصوص الدينية. فكل ما لا يثبت في العقل لا يثبت في الواقع، بل إن **ديكارت** يثبت وجود ذاته بناء على عمل فكره، حتى قال مقولته الشهيرة: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»[2]!

مهد فكر **ديكارت** لعدد من الفلسفات الغربية التي تقوم على استقلالية العقل في تحصيل الحقائق، إلا أن من أهمها في فهم فكر حركة «العصر الجديد» هي فلسفة **سبينوزا**[3] (Spinoza) نظراً لقيامها على عقيدة وحدة الوجود المركزية في فكر الحركة. لقد حاول **سبينوزا** الترويج لتلك العقيدة الباطلة بأن عرضها كنظرية فلسفية خاضعة للعقل والمنطق!

فهو يعتمد في إثبات معتقده على منطق **ديكارت**، وإن كان أبعد في فهم الفلسفة الديكارتية، وحملها معاني باطنية أكثر عمقاً من مقاصد **ديكارت** في الظاهر. ولذلك تُشبَّه العلاقة بين **سبينوزا** و**ديكارت** بتلك التي بين **أفلاطون**

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص١١٣، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٥٢.

(٢) مقال في المنهج: رينيه ديكارت ص٢١٤.
وذلك مبني على مذهبه في الشك، حيث يطبق الشك على كل ما في الوجود من ماديات وعقائد، ولكنه يقول: لا يمكن أن أشك في أني أشك، وجعل الشك بمعنى الفكر، والذي يفكر موجود ولكنه لم يجعل الوجود نتيجة للتفكير. فكان هذا هو اليقين الأول عند **ديكارت**. أما اليقين الثاني عنده فوجود الإله والثالث وجود العالم.
انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيي هويدي ص٥٣.

(٣) **سبينوزا**: هو باروخ سبينوزا فيلسوف هولندي من أصل يهودي ولد عام ١٦٣٢م، وطرد من الكنيس بسبب اعتقاده بوحدة الوجود. أكد دور العقل في الأخلاق، وما وراء الطبيعة. وقد اتهم بالإلحاد رغم الصبغة الدينية التي ظهرت في بعض كتاباته. ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الأخلاق. توفي سنة ١٦٧٧م.
انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص١٢٠، وروواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد شاخت ص٨٤، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 45904.

وأفلوطين من بعده[١].

فـ ديكارت عزل الإلٰهيات عن «الوحي»، وأناطها بالعقل، وسينوزا وظف الدلالات العقلية في تدعيم فلسفته الباطنية.

يقول سبينوزا في كتابه: «الأخلاق» معبراً عن نتيجة منهجه في الاعتقاد بالإلٰه:

«أعني: بالإلٰه كائناً لا متناهياً إطلاقاً»

ثم يوضح هذه العبارة قائلاً:

«أقول: لا متناهياً إطلاقاً، لا في ذاته فحسب؛ لأن ما يكون (لامتناهياً) في ذاته فحسب إنما نستطيع أن ننفي عنه عدداً لا محدوداً من الصفات. أما ما يكون لا متناهياً إطلاقاً، فكل ما من شأنه أن يعبر عن ماهية من الماهيات ـ من غير أن ينطوي على أي نفي ـ إنما هو ينتمي إلى ماهيته»[٢].

وكما كان سبينوزا حينذاك يحتج بالمنطق والفلسفة على عقائده الباطنية، تحاول حركة «العصر الجديد» اليوم تدعيم المعتقد ذاته بتفسيرات خاطئة للفيزياء الحديثة، والعلوم التجريبية المعاصرة التي هي فلسفة هذا العصر، ومنطقه.

وبعد أن أُبعد الدين عن تقرير العقائد، وأقحمت نصوصه في مجالات العقل والمنطق، جاء كانت[٣] ليعبث بها مرة أخرى، فيؤكد على استبعاد «المنطق» من الدين حيث إنه من غير الممكن التحقق من المواضيع الميتافيزيقية أو معاينتها، فجعل المصدر البديل عن ذلك: المعرفة الحدسية الباطنية التي تنظم العمليات العقلية[٤]. ورغم أنه زعم أنه أراد تعزيز مفهوم «الإيمان»[٥] أصبحت

---

(١) انظر: علم الأخلاق: سبينوزا ص٤٠، وتاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص١٢٢ ـ ١٢٣، ٣١٧، ورواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد شاخت ص١٠٢، و Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 93.

(٢) علم الأخلاق: سبينوزا ص٣٠.

(٣) كانت/كنط: هو إيمانويل كانت، فيلسوف ألماني ولد عام ١٧٢٤م، وسيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمته. توصف فلسفته على أنها مثالية نقدية. توفي عام ١٨٠٤م.
انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص٥٧.

(٤) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص٧٧، والدين والسلام عند كانط: د. فريال خليفة ص١٤، ورواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص١٠١.

(٥) يعني: الإيمان المفرد غير المرتبط بالمقدمات والنتائج العقلية، أو المنطقية.

أفكاره داعمة للنزعات الإنسانية في الفكر الغربي من بعد[١]. كما أن استبداله المنطق بالحدس مهد لفكرة النسبية في المعرفة.

ورغم أن حركة «العصر الجديد» تعارض الفكر العلماني الذي دعا إليه كانت في الجملة، إلا أنها تؤيد فكرة الاستقلالية الذاتية، وتوافقه في فكرة تخليص إدراك الإنسان من أي سلطة خارج نفسه[٢].

ثم في عصر التنوير (Age of Enlightenment) [٣] أعلن المفكرون استقلالية العقل التامة عن الدين و«الوحي» في التوصل للحقائق، وتخلصه من أي رواسب لسلطة الإنجيل أو الكنيسة. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر بالتحديد، ظهر ما يسمى بـ«التأليه الطبيعي» (Deism)[٤] ـ **أو المذهب الربوبي** ـ في إنجلترا والولايات المتحدة، وانتشر في أوساط النصارى الذين رفضوا العقائد النصرانية، كالتثليث، والخوارق، وتأليه المسيح مع إيمانهم بوجود «إله»، مما جعلهم في قنطرة بين التدين والإلحاد[٥]. وقد نبعت كثير من الأفكار العلمانية[٦]من تلك الفلسفات المنحرفة.

لا يؤمن أصحاب «التأليه الطبيعي» بالوحي، ولا يمكن ـ في اعتقادهم ـ التوصل إلى وجود الكائن الأول بغير الطرق العقلية[٧]. ومن أبرز المبادئ التي يقوم عليها هذا التوجه ما يلي:

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٣١٦، وتطور الفكر الغربي.

(٢) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 37.

(٣) **عصر التنوير**: هو تعبير عن مرحلة في الفلسفة الغربية أثرت في النواحي العلمية، والاجتماعية، والثقافية، تركزت في القرن الثامن عشر الميلادي، وتميزت بسيادة المنطق والعقل كمصدر للحقائق والأحكام. يعتبر كل من سبينوزا، وكانت من أشهر فلاسفة هذا العصر ويمكن تتبع بداياته إلى كتابات ديكارت. واستمر قرناً من الزمان تقريباً. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 250.

(٤) **التأليه الطبيعي**: ويسمى أحياناً «الإلٰهية» أو «الربوبية» أو المذهب الربوبي.

(٥) انظر: The Columbia History of Western Philosophy-Richard Ppokin: 437.

(٦) **العلمانية**: هي الـ لا دينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي، والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وعزله عن مناحي الحياة. وتعني في الجانب السياسي إبعاد الدين عن الحكم. ظهرت في أوروبا في القرن السابع عشر للميلاد كردة فعل لطغيان الكنيسة. وانتقلت بعدها إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية منذ بداية القرن التاسع عشر. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 700.

(٧) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ٢٥٨/١، An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 221.

- الاعتقاد بوجود كائن أعلى هو علة الوجود، وإطلاق عدة تسميات: الكائن الأعظم، إلٰه الطبيعة، المهندس الأعظم للكون.. وهكذا، مع تجنب المصطلحات الدينية في نعته.
- أن الكائن الأسمى لا يتدخل في مجريات الكون وليس له ارتباط مباشر بالبشر. والمجريات الأرضية تجري ضمن قوانين كونية ثابتة، لا دخل للإله فيها بعد إيجاده لها.
- أنه ليس إلٰهاً «مُشَخَّصاً»[1] (Personal God)، بمعنى أن له ذاتاً مستقلة مباينة لبقية الموجودات.
- تعظيم الحرية البشرية ورفض جميع أشكال التدين المنظم[2].

هذا بالإضافة إلى المبادئ التي أبرزت في هذا العصر في غير دائرة «التأليه الطبيعي»، كمبدأ العقل البشري المستنير، والاستقلالية الأخلاقية، ونظريات التطور لتحقيق الكمال البشري.

إن هذه المبادئ ـ بلا شك ـ خطوة عريضة في تهيئة العقل الغربي لتقبل الأفكار المتنوعة في ما يخص الإلٰهيات والروحانيات «البديلة»، فهي تجردها تدريجياً من المصادر الثابتة الموحدة ـ بغض النظر عن صحة تلك المصادر ـ وتجعلها طليقة بلا قيد ظاهر، تتخبط فيها عقول البشر، أو تخوض فيها ميولهم وأهواؤهم «الحدسية»، وهذا أخطر على الفكر الديني من مجرد الاعتماد على مصادر مختلة أو محرفة.

وقد أسهمت تلك النزعات الإنسانية، والمبادئ الفكرية في عصر التنوير في تقديم التراث الإغريقي والروماني للغرب من جديد، وما يتبعه من تعظيم العقل الإنساني، والاغترار به. ومع ردة الفعل العنيفة ضد الكنيسة أصبح «العقل» ـ عندهم ـ هو رائد البشرية، وقدم الغرب «المنطق العقلي» على المعتقدات الدينية ـ التراثية على الأقل. غير أنه نتج عن هذا الانطلاق الفكري عدد من التوجهات

---

(١) مشخص: أو شخصي، وهي كلمة تقابل كلمة personal، ويقصد بها الإلٰه العالم المُدرك والمباين. أما في حال فقدانه لإحدى الصفتين، أو كلتيهما فلا يعود إلٰهاً مشخصاً أو شخصياً. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 302.

(٢) انظر: Dictionary of Religion and Philosophy-Geddes MacGregor: 174.

التي لا علاقة لها بالعقل، وهي مما مهد لظهور فكر حركة «العصر الجديد»، كالاعتقاد بوحدة الوجود، أو الاعتقاد بـ«الروحانية» في مقابل التدين.

المطلب الثاني

سيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم

لم يظهر البحث في موضوع «القيم» كمبحث مستقل من مباحث الفلسفة الغربية الحديثة إلا في القرن التاسع عشر للميلاد[١]، كما تختلف المساحة التي يشغلها هذا الموضوع بحسب الفيلسوف، ومدى اهتمامه بالقيم من المنظور الفلسفي، فمنهم من أسهب في الحديث عنها، ومنهم من اختزلها في مواضع يسيرة، ومنهم من لم يصرح بشيء تجاه هذا الموضوع، وإنما استُنبطت آراؤه من خلال تحليل مواقفه من المشكلات الفلسفية الأخرى[٢].

وعند تأمل الطابع العام للفلسفة الغربية، يبدو أن ثمة نزاعاً بين أصحاب الأخلاق والقيم الموضوعية الثابتة من أتباع المذاهب العقلية و«الحدسية»، وأصحاب الأخلاق الذاتية من أتباع المناهج الحسية والتجريبية. فقد كانت الفلسفة الغربية في أول أمرها تصنف الأخلاق على أنها مطلقة الحقيقة والمصدر، ولكنها تحولت فيما بعد إلى النظرة النسبية المتغيرة للأخلاق والقيم. ولعل هذا التحول يتضح ـ بإذن الله ـ باستعراض المسائل التالية:

- النظر في بداية التحول من المطلقية إلى النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم.
- ومن ثم استعراض بعض النماذج التي توضح هذا التحول متمثلة في: الحركة الرومانسية، والفلسفة الوجودية، والحداثة، وما بعد الحداثة.

المسألة الأولى: بداية التحول من المطلقية إلى النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم

يرجع القول بنسبية القيم والأخلاق إلى زمن بعيد، يسبق ظهور الفلسفة الغربية الحديثة بقرون عديدة، إلى القرن الخامس قبل الميلاد بالتحديد، ومع

---

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٣٢.

الفلسفة السفسطائية[١]. لقد قام المذهب السفسطائي على الجدل، وزعزعة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، وجعل السفسطائيون من الإنسان مقياساً لكل شيء، فأصبحت الحقائق ـ في نظرهم ـ راجعة إليه، والقيم والأخلاق عرفية، وضعية، نسبية تتغير بتغير الظروف. وقد كان هذا التوجه ناتجاً عن ردهم المعرفة إلى الحس، مما يبطل القول بمبادئ موضوعية في مجال الأخلاق الذي لا يخضع ـ بالضرورة ـ للحس[٢].

وكذلك كان الأمر عند **فيثاغورس** من قبلهم، فمقاييس الأشياء والسلوك عنده ليست ثابتة مطلقة، وإنما هي نسبية متغيرة[٣].

أما عند كبار الفلاسفة اليونان كأفلاطون ـ مؤسس الفلسفة المثالية ـ فقد كانت الأخلاق مطلقة[٤]، وقد استمر هذا التصور في الفلسفة الوسيطة، وبعض توجهات الفلسفة الحديثة[٥].

ويمكن توضيح المواقف الفلسفية المجملة من الأخلاق من خلال التقسيم التالي:

١ ـ **موقف المثاليين**: وهذه التوجهات ترى أن مصدر القيم خارج عن الإنسان، وهي عامة ثابتة مطلقة، لا تتباين، ولا تتعدد. ويكون هذا المصدر إما

---

(١) **السفسطائية**: هو مذهب فلسفي قام على الجدل والمغالطة، ووقفوا عليه جهدهم كله، خرجوا من مدارس فلسفية متنوعة، لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يتقنونه. وكان السفسطائيون يتجرون بالعلم، مما أورثهم التحقير في عصر سقراط وأفلاطون.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٥٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٩٧.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص٩٧، والتطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص٨٤، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بيسوني ص٤٤ ـ ٥٥.

(٣) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٩٠.

(٤) لقد تم تجاوز سقراط ـ رغم أنه مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي ـ لصعوبة تحديد رأيه الأخلاقي بكل دقيق، وحيث إنه ليس له كتابات وقد كثرت حوله الأساطير.
انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص٧١.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص١٤٣ ـ ٢٠٨، والتطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص٨٥، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص٨٥، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٥٦.

العقل أو الحدس. فعند الطبيعيين تكون القيمة في مطابقة الطبيعة العضوية والنفسية، وهنا مطابقة الطبيعة المثالية للأشياء والأفعال[١]. ويمثله **أفلاطون** قديماً، **وكانت** حديثاً[٢].

٢ ـ موقف الطبيعيين[٣]: تتفق مواقف الطبيعيين جميعاً على تحليل الفاعلية الإنسانية إلى عناصر بسيطة، واختزالها إلى وحدة تجريبية يسهل إخضاعها للمقاييس المشاهدة والتجربة، فيردون القيم إلى القوانين التي تحكم الكيان العضوي، وأهمها ـ عندهم ـ «قانون التطور» وما يلزم عنه من القول بالانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح[٤].

فخلاصة قولهم: أن القيم تخضع للقانون الطبيعي. وهذان الموقفان يمثلان النظرة المطلقة للأخلاق والقيم.

٣ ـ الموقف النفعي: يجعل القيمة وسيلة للمنفعة[٥]. وتحته تندرج عدد من التيارات التي ترى نسبية الأخلاق.

يشير بعض الباحثين إلى أن المنظومة الأخلاقية والقيمية في الغرب ـ قبل عصر التنوير ـ كانت ذات مصدرين لم يكن بينهما تعارض ظاهر، هما: الأخلاق الدينية وأخلاق التأمل العقلي[٦]:

١ ـ فلسفة الأخلاق العقلية: يرى أرسطو أن «الفضيلة» هي نتيجة أداء الشيء لوظيفته. فالعين تمتدح إذا كانت باصرة؛ لأن وظيفة العين هي الإبصار. والإنسان له وظيفة خاصة به لا تتحقق له السعادة إلا بأدائها، وهذه الوظيفة يمكن أن تعرف من خلال «المنطق» الذي يكتسبه الإنسان من خلال الدربة

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص٢٠٩.
(٢) انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص٧.
(٣) **الطبيعيون**: وهم جمع من فلاسفة اليونان المتقدمين الذين يرون أن لا شيء وراء الطبيعة، وأن الطبيعة هي أصل الوجود، فمن قائل إن الأصل الماء، ومن قائل هو الهواء، ومن قائل غير ذلك. أشهر أتباع هذه المدرسة **طاليس** أبو الفلسفة اليونانية.
انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص٣٧٠، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص١٢.
(٤) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١٩٨ ـ ١٩٩.
(٥) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص٢١٢.
(٦) انظر: After Virtue-Alasdair Machntyre: (55-59).

والتعويد على يد معلم خبير، ومن ثم يتمكن من تمييز الفضائل بعقل واع. فالإنسان يمر بمراحل ثلاث: مرحلة النقص والجهل، ومرحلة الكمال، وبينهما الوسيلة الموصلة، وهي: تطبيق الفضائل والأخلاق.

٢ ـ **الأخلاق الدينية**: طبقت الكنيسة فكرة المراحل الثلاث كذلك، إلا أن مرحلة الكمال أرجئت إلى الآخرة، وحُدد الجهل والنقص بالذنب والخطيئة، والوسيلة بينهما هي التعاليم الإنجيلية التي تمثل القيم والأخلاق الدينية، وهي معلومة المصادر في الكنيسة(١).

هذه الفكرة في صورتها الدينية وصورتها الـ «لا دينية» جعلت وسيلة تحقيق الكمال ثابتة ومشتركة وقابلة للمعرفة والتحديد. فالمصدران اللذان حُددا لتحصيل الكمال. (الدين والعقل)(٢) فيهما تحديد للأخلاق والقيم بشكل مطلق، ومصدرها واحد إما الدين وإما العقل المنطقي، فهي واحدة لا تتنوع، ولا ترجع إلى الآراء والأهواء الفردية.

ولا شك أنه سيكون ثمة تعارض واختلاف يسير في تحديد القيم، حتى في الأوساط «الدينية»، وعند أنصار الفلسفة العقلية، نظراً للاختلاف الوارد في تأويل النصوص، وتحديد النتائج العقلية عند تطبيقها في الواقع. وهذا لا يضر في تصنيف الأخلاق والقيم إلى مطلقة ونسبية، إذ المعتبر في القيم المطلقة تحديد مصدر موحد، ومعيار ثابت يُلزم الجميع بالتسليم له، بينما لا يعترف القائلون بنسبية القيم بوجود أي معيار لها خارج الذات البشرية، فالمعيار يتغير بتغيير الأشخاص، وبتغير الأماكن والأزمان.

---

(١) علماً أنه وجد من يعارض القول بمطلقية القيم ـ حتى في ذلك الزمن المبكر من الفلسفة الغربية ـ كسبينوزا مثلاً، ولكن المقصود إبراز التيار السائد في تلك المرحلة.
انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص١٧٤، ٢١١.

(٢) نلحظ هنا أن العقل حدد في فلسفة أرسطو بالعقل الخاضع إلى المنطق، وهو ما يناله الإنسان عن طريق التلقي، ولذلك اعتبرت الوسائل عندهم ثابتة، والقيم مطلقة. ولو رددنا القيم إلى العقل البشري دون تقييده بشرط التلقي لما صح تصنيفها على أنها مطلقة ـ بل هي إلى النسبية أقرب ـ نظراً لتفاوت العقول واختلافها فيما هو أقل من ذلك.
علماً أن المقصود هنا ليس تصحيح المصدر، فكلا المصدرين المذكورين (العقل المنطقي والدين الكنسي) باطل، وإنما المقصود تحديد المصادر التي تنضبط فيها القيم، بغض النظر عن صحتها بالجملة.

وفي عصر التنوير تمثلت الأخلاق «العقلية» في عدد من الفلاسفة الذين تبنوا مبدأ المطلقية في الأخلاق، رغم ضبابية أقوالهم. وقد صُنف **ديكارت** بأنه من رواد هذا المنهج العقلي في الأخلاق، حيث جعلها من ثمرات الفلسفة، ولكنه اعتقد أنها ثمرة لا تُنال إلا في مراحل متقدمة[١]. يقول **ديكارت**:

«مثل الفلسفة كمثل شجرة جذورها الميتافيزيقيا، وجذعها العلم الطبيعي، وأغصانها بقية العلوم، وهذه ترجع إلى ثلاثة كبرى، هي: الطب، والميكانيكا، والأخلاق. والأخلاق العليا الكاملة التي تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى، والتي هي آخر مرتبة من مراتب الحكمة»[٢].

إن هذين المصدرين للقيم ـ الدين والعقل ـ لم يسلما من المعارضة، وانتقدها عدد من رواد الفلسفة الغربية الحديثة باعتبار أنه لا يمكن إثبات صحتهما. فانتقد **إيمانويل كانت** ـ مثلاً ـ المنطق المحض[٣] رغم اتفاقه مع أرسطو على رفض المصدر الديني، حيث اختلف معه في إمكانية معرفة «الفضيلة» بناء على الأسس العقلية، وفي أنها معنى مطلق يمكن تطبيقه على الجميع[٤]. كما أن القيم الأخلاقية عند **كانت** تستمد أصلها بصفة أولية من الحدس، وغريزة إنسانية شائعة، وهي منوطة بإرادة الخير (Good Will) بصرف النظر عن النتائج.

يقول **كانت** في: (تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق):

«لا شيء يمكن عده خيراً على وجه الإطلاق، ودون قيد، إلا شيء واحد هو: الإرادة الخيرة»[٥].

ولا تعلق للأخلاق والقيم عنده باللاهوت أو الدين أو أي أمر خارق،

---

(١) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص٢٠٩، فلسفة ديكارت ومنهجه: د. مهدي فضل الله ص١٦٧.

(٢) مبادئ الفلسفة: ديكارت ص٣٤.

(٣) راجع: نقد العقل المحض: كانت.

(٤) انظر: التطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص٨٤، ١٢٧، ونظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١١٣، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص١٥٩، ١٨٣، ٢٣٩، ورواد المثالية في الفلسفة الغربية: د.عثمان أمين ص٧٣.

(٥) انظر: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق: كانت ص٣٧.

فالأخلاق قد يستدل بها على الإله، ولكن لا يستدل بالإله عليها[(١)].

إن كانت لم ينكر - في الواقع - وجود إله، ولم يقل بالنسبية الصريحة في الأخلاق، ولكن قوله في انعدام المعيار وإرجاعها إلى غريزة باطنة لا يمكن أن تقاس هي الأخرى، أو تنضبط أسهم في إضعاف القول بالمصدر الثابت، ومهد للقول بالنسبية وفتح له الطريق.

لقد برزت في القرن التاسع عشر تيارات ترفض كل طرح للقيم المطلقة بحجة استحالة إيجاد معيار موضوعي يمكن من خلاله اختبارها، وظهرت فكرة الحقائق النسبية والتسوية بين الأخلاق العرفية، وبين القاعدة الأخلاقية الثابتة[(٢)].

وقد تجلَّى هذا التوجه في عدد من المدارس الفكرية التي تشكلت بداياتها في أواخر عصر التنوير، منها: الرومانسية، والوجودية، والحداثة.

المسألة الثانية: الرومانسية (Romanticism)

لقد ظهرت الحركة الرومانسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كردة فعل للمبادئ الأرسطية، والعقلانية المجردة، والتجريبية المغرقة الشائعة في عصر التنوير[(٣)].

أما من حيث نظرتها للقيم فالرومانسية تعتبر ثورة على المعايير الأخلاقية السائدة في عصرها[(٤)]، جاعلة المقياس هو الجمال والذوق، فكانت الانطباعات الأولى والأحكام الغريزية والانفعالات البدائية هي التي تحدد الفضائل والحقائق[(٥)]، وهي بلا شك مقاييس نسبية تختلف من شخص إلى آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع.

كما تميزت الرومانسية بالنزعة الذاتية، والحنين إلى البدائية والسذاجة، مع رفضها للواقع وازدرائه. ثم إنها ادعت أن الشرائع والتقاليد والعادات هي السبب

---

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١٠٩، وتاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٣٢٣، والدين والسلام عند كانط: د. فريال خليفة ص١٤.

(٢) انظر: اتجاهات الفلسفة المعاصرة: أميل بريه ص٦٨.

(٣) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص٢٥.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٢٧٤.

(٥) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص٢٦ - ٢٨.

في فساد المجتمعات، ولذا ينبغي السعي في تحطيمها! ولما فشلت الحركة في تقديم البدائل لإصلاح المجتمع أغرقت في الخيال، وجنحت نحو العواطف غير المنضبطة.

لقد وظفت الرومانسية الأفكار الكانتية[١] في نظرتها للتدين، وأضافت إليها لمسات باطنية[٢]فجعلوا المعتقد مبني على الإيمان المجرد والحدس وليس على المنطق، أو العقل[٣].

يرى روسو[٤] (Rousseau) ـ أحد رواد الرومانسية ـ أن الإنسان إذا اعتمد على العقل شك في وجود الإله، وإذا اعتمد على عاطفته وشعوره الحدسي أصبح متيقناً من وجوده، فانفعالات القلب ـ عنده ـ هي مصدر العقائد[٥].

لم تكن النظرة النسبية للأخلاق والقيم هي وجه الشبه الوحيد الذي تشترك الرومانسية فيه مع حركة «العصر الجديد»، بل تتجاوز ذلك إلى أوجه متعددة، ألخص أبرزها فيما يلي:

- تأثرها بعدد من التوجهات الباطنية القديمة؛ كالأفلاطونية المحدثة[٦]، والغنوصية[٧]، والفلسفة الشرقية ـ بل ربما كان الرومانسيون من أوائل الغربيين الذين تأثروا بالفكر الشرقي[٨]. كما تأثرت ببعض التوجهات الباطنية المتأخرة نسبياً، كالمزمرية، والمذهب الروحي.
- أثارت الحركة الرومانسية الاهتمام بالخوارق، والسحر، والأمور الغامضة[٩].

---

(١) نسبة إلى إيمانويل كانت.

(٢) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص٢٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٧.

(٤) روسو: هو جان جاك روسو فيلسوف سويسري ولد في جنيف عام ١٧١٢م، تأثرت آراؤه السياسية بالثورة الفرنسية وهو من أشهر فلاسفة الحركة الرومانسية، ويؤمن بالتدين العلماني. له عدد من المؤلفات والروايات. توفي عام ١٧٧٨م. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 671.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٢٩٧ ـ ٣٠٠.

(٦) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: 419.

(٧) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص١٥٣.

(٨) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٩) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 191.

- نجد في الرومانسية ميلاً إلى الروحانيات الذاتية المستقلة عن التدين التقليدي[(١)].
- تشبه الرومانسية ـ في زمنها ـ حركة «العصر الجديد» من حيث تعطشها للعودة إلى الطبيعة، واهتمامها بقضايا التلوث والبيئة.
- وكان للرومانسية اهتمام بتحوير الوعي من خلال المواد المخدرة والمفترة[(٢)].

وإن كانت الروحانيات الرومانسية ـ في العموم ـ لا تعدو كونها اعتقادات تقليدية يغلب عليها الطابع النصراني من وجهة نظر حركة «العصر الجديد»[(٣)].

المسألة الثالثة: الوجودية (Existentialism)

الوجودية مذهب يقوم على إبراز الوجود الفردي وخصائصه، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه بنفسه، ويشكل وجوده على النحو الذي يلائمه[(٤)]، وقد ظهرت ـ كالرومانسية ـ كردة فعل على «عصر العقل»[(٥)].

إن الإنسان في الوجودية هو الحكم في كل شيء، ولا بد أن يتمتع بكامل الحرية[(٦)]، ومن تلك الحرية تُستلهم القيم. يقول **سارتر**[(٧)] (Paul Sartre) ـ الرجل الأول في المذهب الوجودي ـ بأن الحرية هي «المصدر الوحيد لكل قيمة»[(٨)].

---

(١) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 191.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص٢٧، وتاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ص٤٣٩، والمعجم الفلسفي: جميل صليبا ٢/ ٥٦٥.

(٥) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص٩١.

(٦) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص٢٥، والاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص٢١٤.

(٧) سارتر: هو جين بول سارتر كاتب وفيلسوف وجودي فرنسي ملحد، ولد عام ١٩٠٥م، أحب الماركسية ودافع عنها رغم انتقاده لبعض أفكارها، وله مؤلفات أعلن فيها مناصرته لليهود والصهاينة. توفي عام ١٩٨٠م.
انظر: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص١٦٦، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 43229.

(٨) الوجود والعدم: جان بول سارتر ص٧٢٢.

والأخلاق مصدرها الذات وليس العقل المطلق، ولا الإلٰه[١]، فلا «سلطة» للإله في الفلسفة الوجودية، وكل قيمة يفرضها على البشر مردودة[٢] ـ بل يرون أن الخضوع إلى قانون يفرض نفسه بنفسه، أو الخضوع إلى طاعة الله عمل غير أخلاقي[٣]!

لقد تحدثت الوجودية كثيراً عن الأخلاق والقيم، وإن كان بعض الباحثين يرى أنه لا يصح للفلسفة الوجودية أن تبحث في الأخلاق أصلاً؛ لأنها تتنافى مع أصولها الانحلالية[٤].

ولذلك فالقيم ـ إن وجدت في الوجودية ـ ذاتية نسبية متعددة[٥]، ولا يوجد أي مبرر عقلي أو منطقي لاعتقادات الإنسان الدينية، والتزاماته الأخلاقية[٦]، بل يستلهم سلوكه من الغرائز[٧] ويختار حقيقته الخاصة به[٨] ويخلق ماهيته بنفسه[٩].

يقول بول سارتر:

«إذا كان [الإلٰه][١٠] غير موجود فإن وجود القيم والشرائع التي تبرر تصرفاتنا تسقط بالتبعية، وتصير غير موجودة، ويجد الإنسان نفسه وحيداً لا عذر له ولا ما يبرر سلوكه. وهذا هو ما أعبر عنه بقولي: إن الإنسان محكوم عليه بالحرية؛ محكوم لأنه لا لم يخلق ذاته، وحر لأنه قد صار مسؤولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن تواجد في العالم»[١١].

---

(١) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص٤٤.
(٢) انظر: الوجودية: د. محمد الفيومي ص٢٤.
(٣) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص٤٥.
(٤) انظر: هل يمكن قيام أخلاق وجودية: د. عبد الرحمٰن بدوي ص٢٢٦.
(٥) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١٦٢، القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٦٩.
(٦) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص٤٣، و The New Age Movement-Paul Heelas: 67.
(٧) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص٣٠.
(٨) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص١٠٠.
(٩) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص١٤، ومدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص١٠٣.
(١٠) في الأصل المترجم: «إذ كان الله..»، والترجمة بالإلٰه أصوب لأن «الله» اسم علم على ذات الرب المتصف بصفات الكمال، والمراد عند سارتر جنس الإلٰه المعبود لا الله المنفرد بالجلال.
(١١) الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص٢٥، ٢٦.

وبهذا يتضح توجه الوجودية الإلحادي، رغم انقسامها إلى «مؤمنة»[١] وملحدة، إلا أن الإلحاد هو الأغلب ويمثله **سارتر** نفسه[٢] الذي أعلن عن «موت الإله»، وهذا يعني سقوط أي سلطة خارجية تفرض على الإنسان قيمه، وتحدد له سبيل الهداية، لتتحول هذه الوظيفة إلى الإنسان فيكون هو الخالق لقيمه[٣]، وهي عقيدة بارزة عند حركة «العصر الجديد».

المسألة الرابعة: الحداثة وما بعد الحداثة (Modernism & Post-Modernism)

تمثل الحداثة وما بعد الحداثة ظاهرة مميزة للثقافة الغربية في القرن العشرين[٤]، وفي معنى الحداثة ومفهومها كثير من الاضطراب والغموض[٥]. فالحداثة ترجمة حرفية لمصطلحين: (Modernity) و(Modernism)، واختلف في التفريق بينهما[٦]، فالأولى تعني الحداثة التي هي بمعني الجِدَّة، والاتصاف بصفات، أو وسائل ذات تعلق بالعصر الحديث[٧]، أما الحداثة المترجمة من كلمة (Modernism) فيراد بها المذهب الفكري المخصوص، وهو المقصود في هذا السياق. فمن تقبل «الحداثة» ونافح عنها من أبناء العرب لا يخرج عن أحد احتمالين: أن يكون فهمها بالمعنى الأول، فيكون اللبس في المصطلح، أو يكون اطلع على حقيقة الحداثة الفلسفية وتقبلها كما هي[٨].

وعلى أية حال، فإن للحداثة ـ على ما في تعريفها من اضطراب ـ خصائص تكاد تكون محل إجماع، ألا وهي: الثورة المستمرة، معارضة التراث، ومحاربة

---

(١) المقصود أن ينتسب إلى المسيحية.

(٢) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص١١، ١٣، معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص٣١، والاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص٢٠٤، والوجودية: د. محمد الفيومي ص٥٣.

(٣) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص١٧٢، ومدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة د. محمد مهران ص١٢٥، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٠٤.

(٤) انظر: الحداثة وما بعد الحداثة: بيتر بروكو ص٩.

(٥) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص٢٠، ٢٨، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. عبد الوهاب المسيري ص١٠.

(٦) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص٢٦ ـ ٢٨، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص١٣.

(٧) Merriam Webster Online Dictionary-Modernity.

(٨) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص١٨.

الدين والإيمان، والفردية العقلانية الوضعية[١]. فهي تعتمد على الوضعية التي تشترط التخلص من القيم كأساس للبحث العلمي[٢]. أما السلوك فتقوده الأهواء والشهوات والغرائز[٣].

إن القيمة المطلقة ـ أيّاً كانت ـ مرفوضة في الحداثة إذ الحداثة في حد ذاتها نسبية، فلا يُستغرب كون الفضائل والحقائق عندهم نسبية، وأن الحياة الطيبة لها صور متعددة[٤].

فمن أين تعرف الفضيلة إذن؟ كل فرد يحدد فضائله بنفسه، ولذلك يردد الحداثيون شعار: «لا سلطان على العقل إلا للعقل»[٥]. وليس المقصود عندهم العقل الأرسطي المطلق، وإنما العقل البشري النسبي. فالإنسان هو الذي يخلع القيمة على الأشياء، ويضفي عليها المعنى[٦]، وهو معنى بارز في فكر حركة «العصر الجديد»، كما تهدف كلتا الحركتين إلى تحرير الإنسان من العادات والقيود المملاة من سلطات غير معتبرة عندهم، وفي كلتيهما نجد نظرة تفاؤلية مضخمة لمدى إمكانية ازدهار النفس البشرية حال تحقق ذاك التحرر[٧].

ما بعد الحداثة:

«ما بعد الحداثة» مفهوم ظهر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين[٨]، وقد اعتُبرت من نتائج فشل الحداثة[٩]، فهي نقد للحداثة الغربية

---

(١) **الوضعية**: مذهب فلسفي يرى أن الإنسان لا يدرك سوى الظواهر الواقعة والمحسوسة، وما بينها من علاقات، أو قوانين. وهي تناهض كل ما وراء الحس بدعوى أنه لا يمكن اختيارها، وإثبات صدقها علمياً.
انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا ٢/٥٧٨.

(٢) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص٤١، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص١٦.

(٣) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص١١٦.

(٤) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٥) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: محمد عمارة ص٢٥.

(٦) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٠٤.

(٧) ....

(٨) انظر: القول الفلسفي للحداثة: هابرماس ص٥.

(٩) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص٤٢.

وما جرته على البشر من ويلات، وهي ثورة على كل الأنساق الفلسفية «المغلقة»[١] وتدعو إلى قيام أنساق فكرية منفتحة تتلاقى فيها الأفكار. كما تقوم على إلغاء التاريخ وعدم اعتباره قوة محركة[٢].

لقد ألغت الحداثة كل موروث ثقافي وقيمي في المجتمع الغربي وتركت مكانه فارغاً، مما أوجد هوة فوضوية تاه فيها أتباع هذا الفكر المنحرف، فجاءت ما بعد الحداثة لا لتعيد الناس إلى الموروثات الثقافية، أو تضبطهم بشيء من الأخلاق والقيم، وإنما لتحاول ملء الفراغ الذي يتركه الانسلاخ من كل ثابت ببدائل ملفقة، لا علاقة لها بموروث، أو دين.

وهي ـ مع ذلك ـ توافق الحداثة في نسبية الحقائق والأخلاق[٣]وعدم اعتبار الواقع في تحديد القيم[٤] «لأن الواقع ـ عندهم ـ لا اتجاه له، ولأنه لا ثبات في الكون، ولأن الحقائق منفصلة عن القيمة.. لا يمكن قيام أية معيارية، ولا يمكن تأسيس نظم أخلاقية عامة»[٥].

وقد اعتُبرت حركة «العصر الجديد» جزءاً من ثقافة ما بعد الحداثة وأنها الجانب الروحاني منها، ذلك أن كلاً منهما يستشرف عصر جديد، ويرفض الحقائق التقليدية، وهما منغمسان في العولمة، وربما يكون كل منهما ردة فعل لأزمة الحداثة[٦].

وعلى أية حال، قد لا يتمكن الباحث من التوصل لإجابة شافية حول صحة نسبة حركة «العصر الجديد» إلى ما بعد الحداثة ولكن حسبنا ما سبقت الإشارة إليه حول أوجه الشبه بينهما.

---

(١) المقصود بالأنساق المغلقة ما لم تتصف بالانتقائية والتلفيقية أيّاً كان توجهها.

(٢) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص١٨، والحداثة وما بعد الحداثة: بيتر بروكوا ص٥، والقول الفلسفي للحداثة: هابرماس ص١١، وأوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص٤٢ ـ ٥٧.

(٣) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص١٨، وأوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص٥٤، ١٤٩.

(٤) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص٥٥.

(٥) الحداثة وما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري ص٩٤.

(٦) New Age A Guide-Daren Kemp: 63.

الباب الثاني

أفكار حركة العصر الجديد وعقائدها الباطنية

وفيه تمهيد وخمسة فصول:

تمهيد: في التعريف بمصطلح «الباطنية» ومفهومه في حركة «العصر الجديد».

الفصل الأول: النشأة الكونية.

الفصل الثاني: وحدة الوجود.

الفصل الثالث: حقيقة الأرواح ومصيرها.

الفصل الرابع: مكانة الإنسان وأثره في تشكيل الواقع والمصير.

الفصل الخامس: معيار الحقائق والقيم.

تمهيد
التعريف بمصطلح «الباطنية» ومفهومه في حركة «العصر الجديد»

لقد وُصفت حركة «العصر الجديد» بأنها حركة باطنية عصرية، واعتُبرت من أبرز التيارات المروجة لتلك العقائد في العصر الحديث. إلا أن مصطلح «الباطنية» يحمل معه مدلولات تختلف من بيئة لأخرى، تحكمها الخلفيات الثقافية لكل بيئة، والظروف التي نشأ فيها ذلك الاصطلاح. ونظراً لأهمية تحرير المصطلحات في تحديد المفاهيم المشكلة، وتمييز القضايا الملتبسة، لزِم التعريف بمصطلح «الباطنية» ومفهومه في الثقافة الغربية، وفي حركة «العصر الجديد» على وجه الخصوص.

أولاً: تعريف الباطنية:

١ ـ الباطنية في اللغة:

الباطنية نسبة من الباطن، وأصله من البطن، قال ابن فارس: «الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يُخلف، وهو إنسي الشيء، والمقبل منه. فالبطن خلاف الظهر... وباطن الأمر دِخلَته، خلاف ظاهره»[١].

«فالباطن خلاف الظاهر، والجمع بواطن»[٢]. «والبطن: خلاف الظهر[٣]،

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس ١/ ٢٥٩.

(٢) لسان العرب: ابن منظور ١٣/ ٥٤.

(٣) انظر: مختار الصحاح: الرازي ص٢٣.

وجمعه أبطن وبطون وبُطنان... وبَطَن: خَفِي، فهو باطن... والبِطانة بالكسر: السريرة... والبطن داخل كل شيء»[١].

«ويقال لما تدركه الحاسة: ظاهر، ولما يخفى عنها: باطن، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، والبِطانة: خلاف الظِّهارة، وتستعار البطانة لمن تختصه بالاطلاع على باطن أمرك، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]؛ أي: مختصاً بكم يستبطن أموركم»[٢].

والباطني هو: الداخلي، والخاص، والخفي.

وعليه، فمعاني الباطن في اللغة تدور حول: الأمر المخفي، والداخل، وذو الخصوصية، ونحو ذلك.

٢ ـ الباطنية في الاصطلاح:

«الباطنية» مصطلح ذو دلالة واسعة، تندرج تحته فرق وطوائف ومذاهب مختلفة، تجمع بينها صفات مشتركة ذات تعلق بمصطلح «الباطن»، ولأهل الاصطلاح في الباطن عدة أقوال:

فقيل: هو علم السرائر والخفيات.

وقيل: هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم.

وقيل: هو العلم بكل ما بطن.

أما «الباطني» فقد قيل إنه:

من يكتم اعتقاده، فلا يظهره إلا لمن يثق به.

أو هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها.

أو هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً[٣].

وعند تأمل هذه الأقوال نجد أنه ليس بينها تعارض أو تضاد، بل إن الاتجاهات الباطنية ـ بالجملة ـ تجمع بين تلك الأقوال كلها، بحيث يُمثِّل كل

---

(١) القاموس المحيط ص١١٨٠ ـ ١١٨١: الفيروز آبادي.

(٢) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي ٢/ ٢٥٤.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٦٩، وفضائح الباطنية: الغزالي ص١١، والملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٩٢.

قول من الأقوال السابقة جانباً من جوانبها، ويبرز بعض سماتها. غير أن عدداً من العلماء والباحثين في المجتمعات الإسلامية يخصون الاتجاهات «الباطنية» بالمعنى الأخير، فيرون أنها تلك التيارات التي تشترك في تأويلها النص الظاهر بالمعنى الباطن[١]. قال الغزالي في كتابه الذي انبرى فيه لكشف مذهبهم: «إن الباطنية إنما لُقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجُهَّال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة»[٢].

إن الطوائف التي تعتقد بالمعاني الباطنية للنصوص لا تتفق ـ بالضرورة ـ في الحكم على ظاهرها، فمنهم صِنف يرى أن الظاهر مُراد، ولكن له باطن لا يناقضه، وهؤلاء لا يندرجون تحت مسمى «الباطنية» بالمعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه العلماء، وإن كان اللفظ ينطبق عليهم من حيث اللغة. والصنف الآخر ـ وهم الذين اشتهر عليهم هذا الإطلاق ـ يعتقدون أن للنصوص معاني باطنة تخالف ظاهرها، وأن ظاهر النص لا يفيد معنى صحيحاً.

قال شيخ الإسلام: «وحقيقة الأمر أن اسم الباطنية قد يقال في كلام الناس على صنفين:

أحدهما: من يقول إن للكتاب والسُّنَّة باطناً يخالف ظاهرهما، فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم الباطنية.

وأما القسم الثاني: فالذين يتكلمون في الأمور الباطنية من الأعمال والعلوم، لكن مع قولهم إنها تتوافق مع الظاهر، ومع اتفاقهم على أن من ادَّعى باطناً يناقض الظاهر فهو منافق زنديق، فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة»[٣].

ثم إن هناك معنى آخر لـ«الباطن» والعلوم الباطنية ليس هو المراد في هذا السياق، ولا تعلق له بالفكر الباطني المقصود في هذا البحث، وإن كان قد

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص١٩٢: البغدادي، والملل والنحل ص٢٠١: الشهرستاني، ومذاهب الإسلاميين ص٧٥١: بدوي، وبيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية ٢/١٦٧.

(٢) فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي ص١١.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية ٢/١٦٧ ـ ١٦٩.

يلتبس به عند النظر في عبارات بعض الصوفية المتقدمين حول ما يسمونه «علم الباطن»، فقد يُظن أنه علم مخالف للظاهر، والواقع أنهم إنما قصدوا به الأعمال القلبية الباطنة في مقابل أعمال الجوارح الظاهرة من دون تناقض بينهما.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكن هذا اللفظ ـ أي: علم الباطن ـ فيه إجمال وإيهام، فالصوفية العارفون الذين لهم في الأمة لسان صدق إذا قالوا: علم الباطن، وعلوم الباطن، ونحو ذلك، فهم لا يريدون بذلك ما يناقض الظاهر، بل هم متفقون على أن من ادَّعى باطناً من الحقيقة يناقض ظاهر الشريعة فهو زنديق، وإنما يقصدون بذلك: عمل باطن الإنسان ـ الذي هو قلبه ـ بالأعمال الباطنة، كالمعرفة، والمحبة، والصبر، والشكر، والتوكل، والرضا، ونحو ذلك»[1].

فادعاء أن للنصوص معاني وأسراراً لا تتفق مع ظاهرها ـ بل قد تناقضه ـ هو القاسم المشترك الذي اعتبره عدد من الباحثين العلامة الفارقة للفكر الباطني، ولذا فإن مفهوم «الباطنية» يضم عدداً من الفرق التي تنتمي إلى أديان وفلسفات متباينة لا تضمها عقيدة موحدة[2]. فليست «الباطنية» اسماً لفرقة أو طائفة محددة، وإنما هو اصطلاح يطلق على توجهات فكرية تخترق المنظومة العقدية لما يسمى بـ«الأديان التقليدية».

وهذا المعنى ـ أقصد التأويل الباطني ـ هو المعنى المتبادر إلى ذهن الباحث في الفرق الإسلامية، وفي الفكر الرافضي[3] المغالي[4]، فإن الاتجاهات

(١) بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية ٢/ ١١٣.

(٢) انظر: العقائد الباطنية: طعيمة ص٣٧ ـ ٤٢.

(٣) **الرافضة**: من فرق الشيعة تلقب بالإمامية، سموا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم الدين، وقيل: لرفضهم زيد بن علي لترحمه على الشيخين. يجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي رضي الله عنه، واعتقدوا عصمته. يضللون ـ أو يكفرون ـ أكثر الصحابة رضي الله عنهم لتوليهم الشيخين. أبطلوا الاجتهاد في الأحكام ويقولون بالغيبة، والرجعة، والبداء ويعملون بالتقية، قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية «منهاج السُّنَّة» ١/ ٥٩: «اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أنّ الرافضة أكذب الطوائف».
انظر: التنبيه والرد: المطلي: ١٨، والملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٦٦، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٢، ومقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) **غلاة الرافضة**: فرق من الروافض أجمع العلماء على تكفيرهم، يتأولون النصوص =

الباطنية لما ظهرت عند بعض الفرق الإسلامية أتت بآراء غريبة على النسق الإسلامي - بل لم يكن لها جذور في المجتمع العربي الذي نشأت فيه الشريعة. ولم يكن لهذا الفكر الدخيل الغامض اسم يجمع شتات أفكاره في الثقافة العربية الإسلامية، فسمي بأبرز صفة له في صورته «المحلية» وهي التأويل الباطني.

ولذلك فإن تعريف «الباطنية» بأنها دين من يقول بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، هو تعريف لها بأحد أوصافها، أو تعريف لبعض صورها، حيث إن الاتجاهات الباطنية التي ظهرت في العالم الإسلامي - جميعها - تتصف بهذه الصفة، وإن كان في حصرها على هذا المفهوم إغفال لجوانب جوهرية في الفكر الباطني وبتر له من أصوله وصوره الشرقية والغربية، فإن مفهوم «الباطنية» في تلك الثقافات لا يعبر - بالضرورة - عن مجرد تأويل النص، وإن كان قد يتضمنه، فهو يحمل معنى أوسع، وتميزه عقائد أكثر بروزاً من قضية التأويل، وتعطيل النصوص ذات القدسية، ترجع جذورها إلى الفلسفات الشرقية، والوثنيات الأوروبية القديمة.

ثانياً: مفهوم «الباطنية» في «العصر الجديد»:

إن المقصود في هذا البحث - عند الحديث عن الفكر الباطني - ليس ما سبق ذِكرُه من التيارات التي تعتمد على التأويل في تعاملها مع النصوص المقدسة فحسب، وإنما المقصود بـ«الباطنية» هو ذلك المفهوم الموافق للمصطلح اللاتيني: (Mysticism)[1]. فلو تأملنا هذا المصطلح لوجدنا أن التأويل الباطني ليس بالضرورة من سماته الأساسية، بل قد يظهر هذا الفكر عند من ليس لديه

= والشرائع، ويقولون بالتناسخ والحلول وإسقاط التكاليف. منهم: النصيرية، والدروز، والإسماعيلية، والقرامطة، والخطابية، وغيرها.

انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٥٣، ٢٨٤، ٣٣٥، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ٤/١٤٢.

(١) قد يستخدم مصطلح «Mysticism» بدلاً منه، حيث يراد بهذين المصطلحين معنى واحد عند كثير من الباحثين، فكلاهما يعبر عن الطريق الموصل لتحصيل الألوهية، إلا أن بعضهم جعل بينهما فرقاً لطيفاً بحيث إن الأول يسعى للتوصل إلى «الإله» بطرق مباشرة سريعة دون الاهتمام بمراحل الوعي القبلية، بينما يركز الطريق الثاني على تلك المراحل ويجعلها أهدافاً مرحلية مقصودة.

انظر: Inner Christianity-Richard Smoley: 3.

نصوص قانونية، أو مقدسة ليقوم بتأويلها ابتداء. أما التأويل الباطني فإنه يظهر عند التيارات التي تنشأ في ظل ديانات قائمة، أو مذاهب فكرية مُقنَّنة، حيث تصطدم ظواهر النصوص مع ما يحمله هؤلاء من فكر، ولئلا يوصف أصحاب ذلك الفكر المنحرف بالزندقة، أو الهرطقة، أو التحلل من المذهب ـ من قبل ذوي السلطة الفكرية، أو الدينية ـ فإنهم يلجؤون إلى نقض تلك النصوص بدعوى الباطن، دون الحاجة إلى رفضها صراحة.

فالمقصود: أن التأويل الباطني ليس هو الفيصل في تمييز الاتجاهات الباطنية التي لا يحدها مكان، أو فترة زمانية، وإنما هو وصف يظهر عند الحاجة إليه.

بقي أن يقال: إذن كيف يمكن تحديد مفهوم الفكر الباطني الذي ظهر في صور متنوعة عبر فلسفات الشرق والغرب، والذي تجلَّى أخيراً في حركة «العصر الجديد»؟

لقد أشكل هذا التحديد على كثير من الباحثين في الفكر الباطني نظراً لما يكتنف التيارات «الباطنية» من غموض وسرية، ولأنها ليست ذات طابع ثابت، فقد تتبنى عقائد وأفكاراً متضاربة في الظاهر، ولكن عند التحقيق يتبين أن ثمة عقيدة ضمنية مشتركة بين تلك التيارات المختلفة تعتبر القاسم المشترك الذي يجمع بينها، ويجعلها تصنف على أنها تيارات، أو مذاهب، أو حركات «باطنية». وإذا أردنا تقريب هذا المفهوم إلى الفكر الإسلامي فإنه يمكن مقارنته بالفكر الصوفي المغالي، لا بباطنية الروافض.

وبالتالي فإنه يمكن تحديد أبرز السمات التي تميز التيارات المنسوبة إلى الفكر «الباطني» بما يلي، وذكرها هنا على سبيل الإجمال، وسيأتي ـ بإذن الله ـ تفصيلها في الفصول التالية:

١ ـ الغنوص والعلوم اللدنية[1]:

. . . .

---

(١) العلم اللدني: نسبة إلى قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]، حيث اعتبره بعض أهل التصوف علماً خاصاً يحصل للمرء من دون الوحي ولا يتقيد به، كما يزعمون أنه حصل للخضر مع موسى ﷺ، وهو معنى خاطئ صرح العلماء بكفر قائله، إذ إنه لا يسع أحداً الخروج عما أوحي إلى =

إن الصفة التي لا تكاد تتخلف عن التيارات التي يمكن تصنيفها ضمن الفكر «الباطني» في مفهومه الأشمل، هي: الاعتقاد بإمكانية تحصيل علوم خاصة من «المصدر»[١] مباشرة عبر الخبرة أو التجربة من طريق الفيض. ومن ثم يكون هذا العلم أو «الإدراك» ذو خصوصية لا تكون إلا لخواص البشر، مع الاستغناء عن الوحي، وعدم الالتفات إلى عقل أو نقل. وهذا الاعتقاد ـ بلا شك ـ زندقة وإلحاد[٢].

٢ ـ الإلٰه المطلق:

يُصَوَّرُ «الإلٰه» في الفكر الباطني على أنه مطلق متجاوز لا يحمل أية صفات، وليست له أسماء[٣]، وهو «مصدر» تولد منه الوجود الأول الذي هو علة الموجودات من بعده[٤]، كالعقائد الغنوصية في الديانات المختلفة.

٣ ـ وحدة الوجود:

ترتبط العقيدة الباطنية بالوجود ـ أو العالم ـ باعتقاد معتنقيها في «الإلٰه»، فالإلٰه وجود مطلق تولد ـ أو «صدر» ـ منه الوجود الأول عن طريق الفيض، ثم مر ذلك الوجود بتحولات، وتغيرات، وامتزاج، واختلاط، إلى أن ظهرت أفراد العالم المرئي اليوم، فالموجودات كلها صور مختلفة لموجود واحد، فالباطنية «يقولون إن الوجود واحد، وجود المخلوق هو وجود الخالق»[٥]. هذا هو المبدأ

= محمد ﷺ بعد نبوته. أما ما قد يرد في مؤلفات بعض العلماء إثباتاً لهذا العلم، وأنه ثمرة التعبد والاستقامة والمتابعة ـ والذي قد يسمى إلهاماً ـ فليس هو المقصود هنا. وقد وضح ابن القيم رحمه الله الفرق بين هذا وذاك عندما قسم العلم اللدني إلى نوعين: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي، وقال: «والمحك: هو الوحي. ولا وحي بعد رسول الله ﷺ». «مدارج السالكين» ٢/ ٤٤٦.

(١) يعبر بالمصدر، ويراد به مصدر العلم المطلق، سواء كان «الإلٰه» أو أي وجود آخر.

(٢) انظر: النبوات: ابن تيمية ص٢٨٢، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ٢/ ٧٧٢، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة: عبد الرحمٰن عبد الخالق ص٤١٦، وحقيقة البدعة وأحكامها: سعيد الغامدي ١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤، وChildren of the New Age-Sutcliffe: 121.

(٣) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص٢٠٣، والباطنية وموقف الإسلام منهم: أبو العلا ص٢٨٦، ٢٩٠ ـ ٢٩٣، أبو العلا.

(٤) انظر: أصول الإسماعيلية: السلومي ٢/ ٥٣٤.

(٥) جامع الرسائل (المجموعة الأولى): ابن تيمية ص١٠٤.

المشترك بين جل الاتجاهات الباطنية في شتى المذاهب والملل، على اختلاف بينهم في التعبير والتفصيل، فالقول بوحدة الوجود ـ وما يلحق به من لوازم ـ قد يعد أساس الفكر الباطني.

٤ ـ التأويل الباطني:

وهو ـ كما سبقت الإشارة ـ ما يتم اللجوء إليه عند وجود النصوص المتعارضة مع المعتقدات الباطنية، وقد لا يكون من سمات الفكر الباطني عند عدم وجود الحاجة. وهذا التأويل لم يقتصر «على الكتب المقدسة، بل امتد إلى النصوص القانونية، وإلى الآثار الأدبية حين تصبح ذات سلطة»[١]. كما أن التأويل الباطني يشمل الأوامر، والنواهي، والتكاليف المتعلقة بالأديان والشرائع[٢].

٥ ـ التعاليم الاستسرارية:

تتبنى كثير من الحركات الباطنية أساليب سرية في نشر معتقداتها، بل قد تخفى تلك المعتقدات على ذات الأتباع حتى يرتقي أحدهم إلى رتبة عالية، أو يبلغ مرحلة متقدمة من العمر[٣]. ويكثر الاحتفاظ بسرية التعاليم والمعتقدات في المجتمعات التي لا تتقبلها، وتحكم على معتنقيها بالكفر.

٦ ـ الخلاص:

مما تتميز به كثير من التيارات الباطنية نظرة أتباعها إلى حقيقة الخلاص، والوسائل المتبعة في تحقيقه، فلا يعتبر الموت نهاية للحياة، ولا توجد مرحلة جزائية بعده تتمثل في الجنة والنار، والوجود البشري في هذه الدنيا ـ عند هؤلاء ـ ليس مرحلة منقطعة تنتهي بحياة في الآخرة. بل إن «الخلاص» يتحقق من خلال «العودة» إلى طبيعة الإنسان الإلٰهية، أو الاتحاد بـ«الإلٰه»، ومن لا يدرك هذه «الحقائق» يظل محبوساً في دوامة الحياة الدنيا. ولذلك فإن كثيراً منهم يقول

---

(١) مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمٰن بدوي ص٧٥٤، وانظر: الباطنية: صابر طعيمة ص٢٠ ـ ٣٢.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية: ابن تيمية ص٤٨.

(٣) انظر: فضائح الباطنية: الغزالي ص٢٧، والفتاوى الكبرى: ابن تيمية ٣/ ٥٠١، ومجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٣/ ٢٣٦.

بالتناسخ[١].

٧ ـ نشر المعتقدات:

تعتمد الحركات الباطنية ـ بالجملة ـ على الطرق الاستسرارية، والتكتم، والغموض في نشر معتقداتها، فلا تصرح بمعتقداتها المنحرفة بشكل واضح، ولا يمكن للتابع ـ أو السالك ـ الاطلاع على خفايا المذهب إلا بعد مروره بمراحل معينة يحددها رواد كل مذهب.

وقد لخص الغزالي الخطوات التي تتبعها الجماعات الباطنية في نشر معتقداتهم والدعوة إلى مذهبهم في تسع مراتب. هذه المراتب، وإن لم تكن متطابقة عند جميع الحركات أو التيارات الباطنية، إلا أنها تمثل نموذجاً متكرراً لا يختلف كثيراً في الأفكار الرئيسة. وهي كالتالي[٢]:

١ ـ **الزرق والتفرس:** ويراد به تمييز من يمكنه قبول الدعوة، ويسهل استدراجه، وإدراك الوسيلة المناسبة للتأثير عليه.

٢ ـ **التأنيس:** وهي تزيين مذهب المدعو في نظر نفسه، بحيث يظن أن الداعي موافق له في معتقده.

٣ ـ **التشكيك:** فبعد أن يأنس المدعو للداعية الباطني يقوم الأخير بتشكيكه وزلزلة اعتقاده، فيشككه في أحكام شرعه، ويوهمه أن لها معاني سرية أكثر عمقاً، ويشوق المدعو لمعرفتها.

٤ ـ **التعليق:** أي تعليق المدعو تمهيداً لربطه بالجماعة، فبعد أن يتمكن الشك من قلبه، ويتطلع إلى معرفة الأسرار المخفية، يُعرض عنه الداعي ليزداد تعلقاً واشتياقاً. فإن حصل منه ذلك أُمر بتطبيق الطقوس التي لا ينكرها، وأُخذت عليه مواثيق التكتم.

---

(١) انظر: فضائح الباطنية: الغزالي ص٤٩، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٨٥، و Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 31.

(٢) انظر: فضائح الباطنية: الغزالي ص٢١ ـ ٣٢، وقواعد عقائد آل محمد: الديلمي ص٣٨، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة: اليمني ٢/٥٠٣ ـ ٥١١، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٦٣ ـ ٢٧٢.

٥ ـ **الربط**: وهنا يربط المدعو بالأيمان المغلظة والعهود المؤكدة التي لا يجسر على مخالفتها.

٦ ـ **التدليس**: بعد أن يأخذ الداعي المواثيق من المدعو، يبدأ بإفشاء شيء من الأسرار بالتدرج، بحيث لا يظهر تصادمها مع معتقده الأصلي.

٧ ـ **التلبيس**: وذلك بأن يعرض مقدمات يراعي فيها حال المدعو، فإذا ترسخت المقدمات استدرجه منها إلى نتائج باطلة.

٨ ـ **الخلع**: وهو مختص بالعمل، بحيث يطمئن المدعو إلى إسقاط الأعمال البدنية والتكاليف الظاهرة.

٩ ـ **السلخ**: وهو مختص بالاعتقاد والانسلاخ التام من الإيمان.

وهكذا يتضح التدرج التي تمر به الدعوات الباطنية، حيث تبدأ بالتسليم، ثم طرح الشبه والتشكيك، ومن ثم إيقاع المدعو في فخ التأويل الباطني، والخلع، والسلخ، والتحلل من ربقة الدين.

ولما كانت هذه الدعوات مخالفة لاعتقادات عموم الأمم، أخذت طابع السرية والكتمان، أو الأساليب الإنشائية المشبعة بالرمزية والغموض، وهذا أسلوب باطني متجدد، لا يزال يمارس حتى اليوم بأشكال وصور متنوعة ومتغيرة.

وهنا نأتي لحركة «العصر الجديد» التي تعتبر من أبرز الحركات المعاصرة التي تتبنى الفكر الباطني[1]، فهي تروج للعقائد الباطنية ذاتها التي ورثتها ـ بلا شك ـ من التيارات الباطنية في الغرب، والتي بدورها تأثرت بالفلسفات الشرقية، والمعتقدات الغنوصية. وفي الفصول التالية عرض لأبرز تلك المعتقدات.

---

(١) انظر: Children of the New Age-Sutcliffe: 26, and Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 10.

الفصل الأول

النشأة الكونية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الكون في العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: نظرة حركة «العصر الجديد» للنشأة الكونية.

المبحث الثالث: نقض معتقد حركة «العصر الجديد» في نشأة الكون.

المبحث الأول

نشأة الكون في العقيدة الإسلامية

لا شك أن السؤال عن مبدأ الخليقة، ومنشأ الكون من الأسئلة التي شغلت الفكر البشري منذ أزمنة قديمة، وتداولها الفلاسفة والمفكرون في أطر وسياقات متنوعة، إلا أن الإجابة عن أسئلة الحياة الكبرى ـ كالسؤال عمن أوجد الكون وصفاته؟ أو كيف نشأ الكون؟ ولماذا؟ ـ تُعد من المسائل الغيبية التي لا يمكن أن يتوصل إلى تفصيلها العقل البشري على وجه الاستقلال، والخوض فيها بمعزل عن مصادرها الصحيحة يوقع في ضلالات اعتقاديه كبيرة. ولذلك جاءت الشرائع السماوية بالإجابات الشافية لاستشرافات الإنسان وتطلعاته، بالقدر الذي يحتاجه دون زيادة أو نقصان، فلا يحتاج المؤمن لإعمال فكره فيما لا يُحسن، وتطمئن نفسه بالمعرفة التي حصل عليها من خلال الوحي.

ولو تأملنا في ما جاء به الوحي حول قضية النشأة الكونية لعالمنا المشهود لوجدنا أنه يرتكز ـ بشكل رئيس ـ على أربع مسائل هي:

١ ـ وجود الرب السابق لكل وجود.

٢ ـ خلق السماوات والأرض.

٣ ـ خلق الإنسان.

٤ ـ الحكمة من إيجاد الخلق.

وباستعراض هذه المسائل، تتضح الرؤية الشرعية لتلك القضية الجوهرية في معتقد الإنسان، والتي تُشكّل قاعدة أساسية تُبنى عليها العديد من المعتقدات الأخرى.

المسألة الأولى: وجود الرب السابق لكل وجود

لقد طُرح السؤال الذي شغل جزءاً كبيراً من البشرية حول مبدأ الأمر وأصل الوجود على رسول الله ﷺ، فأجاب ﷺ جواباً مستلهماً من الوحي، شافياً لما يتطلع إليه الإنسان، كافياً لا إسهاب فيه في ما لا حاجة له بمعرفته.

في الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال أهل اليمن لرَسُول الله ﷺ: «جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر»، فقَال: **«كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء»**[1]، وفي رواية: **«ولم يكن شيء غيره»**[2].

فتقرر أنه لا وجود سابق لوجود الرب جل جلاله، وكل ما سواه مسبوق بعدم، أوجده سبحانه بخلقه إياه. قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء، ولا العرش، ولا غيرهما؛ لأن كل ذلك غير الله تعالى. ويكون قوله: **«وكان عرشه على الماء»** معناه: أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء... وقد جاء في قصة نافع بن زيد الحميري[3] بلفظ: **«كان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن»** فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١٢٤، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، برقم (٧٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٠٥، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، برقم (٣١٩١).

(٣) نافع بن زيد الحميري: ذكره ابن شاهين في الصحابة. قدم وافداً على النبي ﷺ في نفر من حِميَر فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين.
انظر: أسد الغابة: ابن الأثير ٥/٢٨٦، برقم (٥١٧٩)، والإصابة: ابن حجر ٦/٣٢٠، برقم (٨٦٧٤).

(٤) فتح الباري: ابن حجر ٦/٢٨٩.

وبذلك يُعلم أن الله ﷻ كان قبل كل شيء، لا يسبق وجوده وجود غيره، ولا عدم، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قائم بذاته غني عن غيره، وكل خلقه مفتقر إليه. قال رسول الله مخاطباً ربه في صلاة الليل ومقرراً هذه الحقيقة الواضحة: «**اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء**»[١]، فلا يسع المؤمن مع هذه النصوص الصحيحة اعتقاد سوى ذلك، إذ لا مجال لمعارضتها شرعاً، كما أن العقل الصريح يقف إلى جانب تلك النصوص مؤيداً ومسانداً.

إن تسلسل المؤثرين ممتنع عند كافة العقلاء[٢]، ومع ذلك فقد حذر النبي ﷺ أمته مما قد يقع في نفوسهم من الوسواس حول تسلسل الفاعل، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[٣]. وفي رواية: «**فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله**»[٤].

فالاستعاذة من الشيطان الرجيم هي السبيل الذي أرشد إليه الشارع الحكيم للتخلص من تلك الوساوس، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: ٣٦]. فالوسوسة لا تتجاوز كونها حيلة شيطانية ضعيفة، إن دلت على شيء فإنها تدل على عجز الشيطان عما هو أعظم، وقد قال النبي ﷺ للرجل الذي اشتكى إليه شيئاً من هذه الوساوس: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[٥].

المسألة الثانية: خلق السماوات والأرض

لقد تقرر في المسألة الأولى أن كل موجود سوى الله مسبوق بعدم، وإن لم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨٤، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٧١٣).

(٢) **تسلسل المؤثرين**: يراد به أن يكون للحادث فاعل وللفاعل فاعل وهكذا.
انظر: درء التعارض: ابن تيمية ٩/ ٢٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٢٣، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٧٦)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٢٠، كتاب: الإيمان، برقم (١٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٩، كتاب: الإيمان، برقم (١٣٤).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٣٢٩، كتاب: الأدب، باب: ما ورد في الوسوسة، برقم (٥١١٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥١١٢).

يكن ذلك العدم سابقاً له مباشرة، فقد يوجد الله ﷻ الخلق من موجود سابق لا من العدم؛ كما خلق آدم ﷺ من تراب، وحواء من آدم، ولكن لا بد أن تنتهي تلك الموجودات المتسلسلة إلى عدم، فهذا العدم الأصلي هو المقصود بالعدم الذي يسبق كل وجود عدا وجود الرب ﷻ.

كما تبين من حديث عمران رضي الله عنه أن أول المخلوقات في هذا العالم المشهود هي الماء ثم العرش ثم القلم. وليست السماوات والأرض وما فيهن سوى جزء من مخلوقات الله البديعة، خلقها الله على مراحل، مع قدرته ﷻ على خلقها دون ذلك. فخلق الله ﷻ الأرض أولاً لقوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]. وبعد أن خلق الله الأرض، استوى إلى السماء، لقوله تبارك وتعالى: [فصلت: ١١، ١٢]، قال الطبري رحمه الله: «ففرغ من خلقهنّ سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة»[١] ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: ألقى في كل سماء ما أراده من الخلق[٢]. ثم زينها بالكواكب المنيرة المشرقة على الأرض، كما في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وبعد خلق الأرض والسماوات عاد الرب ﷻ فدحا الأرض وبسطها[٣]، ثم أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال وجميع ما فيها في يومين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]، وقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت: ٩]. ثم إنه ﷻ أتم خلق الأرض من إرساء الجبال وما سواها من الخلق في يومين آخرين، فكان تمام خلقها في أربعة أيام، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠]. فقد مر خلق الأرض بمرحلتين: المرحلة الأولى التي سبقت خلق السماوات، والمرحلة الثانية بعد أن خلق الله السماوات[٤].

---

(١) جامع البيان: الطبري ٢١/ ٤٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان: الطبري ٢١/٤٤١، ومعالم التنزيل: البغوي ٤/١٢٧.

(٣) انظر: جامع البيان: الطبري ٢٤/٢٠٨، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/ ٢١٣، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٤/١٢.

(٤) أما الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢١٤٩، كتاب: صفة القيامة والجنة =

ثم إنه تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض وما بينهما لم يمسه ﷻ تعب ولا إعياء جراء ذلك، فكله عليه هين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨]، قال ابن سعدي: «وهذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشيئته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات، السماواتِ والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، من غير تعب، ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء».

المسألة الثالثة: خلق الإنسان

لقد كان خلق الإنسان متأخراً عن خلق السماوات والأرض والملائكة والجان، ولما أراد الله أن يخلق آدم ﷺ أخبر الملائكة بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠]. ثم أخبرهم ﷻ عن صفة خلق آدم ﷺ وما يجب عليهم تجاهه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [صٓ: ٧١، ٧٢].

فالإنسان الأول خُلق من تراب، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، وفي غير آية من القرآن. ثم مزجت التربة بالماء فكانت طيناً، وفي

= والنار، برقم (٢٧٨٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيه الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل». فقد قال عنه ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ٢١٥/١: «وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه علي بن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً»، وقال شيخ الإسلام «دقائق التفسير» ٥٧/٢: «هذا الحديث قد بين أئمة الحديث كيحيى بن معين، وعبد الرحمن بن مهدي، والبخاري، وغيرهم أنه غلط وأنه ليس في كلام النبي ﷺ بل صرح البخاري في تاريخه الكبير أنه من كلام كعب الأحبار». فيترجح أنه من أقوال اليهود. والله أعلم. انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٤١٣/١.

ذلك يقول الرب تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]. ووصف الطين بأنه لازب في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ [الصافات: ١١]، واللازب هو اللازق اللزج[١]. ثم صار الطين اللازب أسوداً منتناً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦]، فالحمأ هو الطين الأسود[٢]، والمسنون هو المتغير المنتن[٣]، أما الصلصال فهو الطين المخلوط بالرمل، فإذا طبخ في النار فهو الفخار[٤]. وذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: ١٤]، ولذلك لما وصف الله خلق آدم عليه السلام في القرآن وصفه في كل مرة بأحد الأطوار التي مرَّ بها في خلقه.

قال ابن القيم رحمه الله: «لما اقتضى كمال الرب تعالى، وقدرته التامة، وعلمه المحيط، ومشيئته النافذة، وحكمته البالغة، تنويع خلقه من المواد المتباينة، وإنشاءهم من الصور المختلفة، والتباين العظيم بينهم في المواد، والصور، والصفات، والهيئات، والأشكال، والطبائع، والقوى، اقتضت حكمته أن أخذ من الأرض قبضة من التراب، ثم ألقى عليها الماء، فصارت مثل الحمأ المسنون، ثم أرسل عليها الريح، فجففها حتى صارت صلصالاً كالفخار، ثم قدر لها الأعضاء، والمنافذ، والأوصال، والرطوبات، وصورها فأبدع في تصويرها، وأظهرها في أحسن الأشكال، وفصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها، وهيأ كل جزء منها لما يراد منه، وقدَّره لما خلق له عن أبلغ الوجوه، ففصَّلها في توصيلها، وأبدع في تصويرها وتشكيلها»[٥].

ثم إنه جل جلاله خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وفي الحديث قوله ﷺ: **«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع»**[٦]. فهي خلقت من مادة آدم ولم تخلق من الطين مباشرة.

---

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور ١/ ٧٣٨، ومختار الصحاح: الرازي ص٢٨١.

(٢) انظر: مختار الصحاح: الرازي ص٨٠، ولسان العرب: ابن منظور ١/ ٦١.

(٣) انظر: مختار الصحاح ص١٥٦، ولسان العرب ١٣/ ٢٢٧.

(٤) انظر: مختار الصحاح: ١٧٨، ولسان العرب ١١/ ٣٨٢.

(٥) التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم ص٣٢٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٣٣، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم =

أما بنو آدم فخلقهم من مجموع ماء الرجل والمرأة وبذلك يتكاثرون، قال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٨].

المسألة الرابعة: الحكمة من إيجاد الخلق

لقد خلق الله السماء والأرض وما بينهما عن علم، وإرادة، وحكمة، ولم يكن شيء من ذلك ـ بلا شك ـ حدثاً عشوائياً خارجاً عن المشيئة الإلٰهية. يقول الرب ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، قال البغوي: «يعني: للحق، وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية»[١]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٦ ـ ١٨]. وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

ويبين القرطبي الحكمة من خلق السماوات والأرض قائلاً إن ذلك: «للتنبيه على أن لها خالقاً قادراً يجب امتثال أمره، وأنه يجازي المسيء والمحسن؛ أي: ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضاً، ويكفر بعضهم، ويخالف بعضهم ما أمر به، ثم يموتوا ولا يجازوا، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن، ولا ينهوا عن قبيح. وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة»[٢].

قال ابن القيم: «والحق الذي خلقت به السماوات والأرض ولأجله هو: التوحيد وحقوقه من الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والشرع والقدر، والخلق. والثواب والعقاب قائم بالعدل، والتوحيد صادر عنهما، وهذا هو الصراط

= صلوات الله عليه وذريته، برقم (٣٣٣١)، ومسلم في صحيحه ٢/١٠٩١، كتاب: الرضاع، برقم (١٤٦٨).

(١) معالم التنزيل: البغوي ٤/١٨١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١١/٢٧٦، وانظر: تيسير الكريم الرحمٰن: ابن سعدي ص٥٢٠.

المستقيم الذي عليه الرب ﷻ»[1].

فالسماوات والأرض خلقت لنفع العباد، وجعلها الله ﷻ دلالة على قدره وعظمته، وأمر بالتفكر والتدبر في تلك المخلوقات البديعة، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

أما الإنس والجن فقد خلقهم الله للعبادة وعمارة الأرض، قال جل من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، فهم عباد لله مفتقرون إليه، لا غنى لهم عنه، وهو عنهم غنّي، وقد خاطبهم ﷻ قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

إن الحديث عن نشأة الكون في النصوص الشرعية ظاهر الدلالة واضح القصد، يقرر حقائق جلية، سهلة الفهم، متوافقة مع الفطر، فالرب ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، خلق الكون من العدم بإرادة ومشيئة، ولحكمة يعلمها ﷻ، وأوضح للبشرية صفة خلق السماوات والأرض، والمراحل التي مر بها هذا الخلق، ثم بين صنعه للإنسان الأول ومادة خلقه. كل ذلك لحكم متعددة أوردها ﷻ في كتابه العزيز. لم يكن شيء من ذلك مصادفة ولا اتفاقاً، ولم يكن لهواً ولا لعباً، ليس على الإنسان سوى الإيمان بذلك كله، والعمل على تحقيق غايته من الوجود.

ويتضح ـ عند تأمل ما ورد في الشرع حول نشأة الكون وبدء الخلق ـ أن كل ما أورده الشارع كان لذكره نفع ولسياقه هدف، وأما ما أغفله من تفاصيل وتجاوز عنه فلا فائدة للإنسان من معرفته، ولا ينبني عليه عمل، فلا ينبغي الخوض فيه بلا دليل، ولا القول على الله بغير علم. قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١].

---

(١) تفسير القرآن الكريم: ابن القيم ص١٨٤.

المبحث الثاني

النشأة الكونية عند حركة «العصر الجديد»

شغل الحديث عن نشأة الكون ومبدأ الوجود اهتمام كثير من الطوائف، وشكل لهم مصدر جذب، حيث يُبنى على هذا الاعتقاد عدد من المعتقدات الأخرى حول المصير، والغاية من الوجود، والنظرة إلى الإنسان والكون. وعند تأمل الآراء الوضعية المطروحة حول هذا الموضوع نجد أنها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

١ ـ آراء خرافية مبنية على القصص والأساطير.

٢ ـ آراء «علمية»، مبنية على فحوص مجهرية، وتحليلات مخبرية.

كِلا القسمين غير قابل للإثبات الحسي أو العقلي، وإن كان الأخير أقرب إلى الحقائق من سابقه، فهو يقدم شيئاً من البراهين المادية والمنطقية على بعض جوانب الخلق، بينما يغفل ـ في الغالب ـ الجانب الغيبي، ويترك كثيراً من الأسئلة بلا إجابة. أما الأساطير والخرافات الدينية فتقدم إجابات مضللة للتساؤلات الكبرى حول الوجود، وتبريرات ساذجة لإشكالات النشأة الكونية.

تُشكل قصة البداية عند الفريقين أهمية كبرى في بلورة نظرتهم حيال العالم والإنسان، سواء كانت تلك النظرة دينية أم إلحادية، فيرى كثير منهم أن قيمة تلك

«القصة» تكمن في إسهامها في فهم فلسفة الوجود. أما حركة «العصر الجديد» فقد كانت نظرتها لقضية النشأة الكونية مضطربة ومختلطة ـ كما هو الحال في كثير من تقريرات أتباعها العقدية ـ، وقد برزت في تلك النظرة سمة من أبرز سمات الحركة، ألا وهي الجمع بين الخرافات الدينية والعلوم التجريبية والتلبيس على المتلقي من خلال الخلط بينهما.

يمكن توضيح موقف حركة «العصر الجديد» من قضية نشأة الكون باستعراض أربع مسائل، تتبين من خلالها نظرتهم لهذه القضية وفلسفتهم فيها، وهي كالتالي:

١ ـ الكائن الأول عند حركة «العصر الجديد».

٢ ـ ولادة الكون عند حركة «العصر الجديد».

٣ ـ نشأة الإنسان عند حركة «العصر الجديد».

٤ ـ غاية الوجود عند حركة «العصر الجديد».

وفيما يلي إيضاح لهذه المسائل الجوهرية:

المسألة الأولى: الكائن الأول عند حركة «العصر الجديد»

تستمد حركة «العصر الجديد» جل معتقداتها حول «الكائن الأول» ـ أو: أول الموجودات ـ من نتاج الفكر الفلسفي بالشرق، ومن الديانات الشرقية، وفي الجملة من الجوانب الفلسفية للهندوسية، والبوذية، والطاوية. وهذا الكائن الأول قد يُعبَّر عنه بأسماء مختلفة، ويوصف بأوصاف متنوعة، ولكنها في الجوهر متفقة، ترجع إلى معنى يكاد يكون موحداً، يفضي في نهايته إلى إلغاء الخالق، أو القول بوحدة الوجود.

إن الكائن الأول في المعتقدات الشرقية هو وجود مطلق[١] غير قابل للوصف، قد يعبر عنه بـالبراهمان، أو الـ طاو[٢]، وقد يسمى بالعدم، أو

---

(١) **المطلق**: هو ما يدل على واحد غير معين، وهو المتعري عن الصفة، والشرط، والاستثناء.

انظر: التعريفات ص٢١٨: الجرجاني، والكليات ص٨٤٨: أبو البقاء الكفوي.

(٢) فالـ براهمان عند الهندوس واحدية مطلقة لا وجود سواه، لا خالق ولا خليقة، كما أنه ليس فاعلاً، ولا مفعولاً، ولا فعلاً، ولا يختلف الـ طاو عن ذلك كثيراً، إلا أن لانبثاق الكون منه تفصيلاً أكثر عند الطاوية. =

الفوضى، أو الوعي، وفي بعض الحالات يوصف بأنه «إله». ولكن هذا الوجود ليس مفارقاً للكون الذي «صدر» عنه، بل إن الكون جزء منه، أو صورة له.

يعبر رواد حركة «العصر الجديد» عن هذا المعنى بأساليب متنوعة، ولكنها تصل في نهايتها إلى نتيجة موحدة، هي: أن الموجد ليس مبايناً للوجود، وليس منفرداً بالأزلية عن غيره.

يقول إكهارت تولي مبيناً معتقده في أول الموجودات: «قبل أن يوجد الكون، وقبل الانفجار الأكبر[١] - إن أحببت -، لم يكن ثمة فضاء فارغ ينتظر الامتلاء. بل لم يكن هناك فضاء، ولم يكن هناك شيء. لم يكن هناك سوى الواحد غير المتجلي. وعندما أصبح الواحد عشرة آلاف شيء[٢] ظهر الفضاء فجأة ومكّن الكثرة من الوجود. فهل خلقه الإله ليستوعب العالم؟ بالطبع لا. الفضاء لا شيء فهو لم يُخلق أبداً»[٣].

ثم يتحدث عن هذا الوجود غير المتجسد فيقول: «الوعي لم يزل واعياً، إنه الأبدي غير المتجلي. بينما العالم يتدرج في الوعي. الوعي - نفسه - لا يقيده الزمان، ولذلك فهو لا يخضع للتطور. لم يولد ولا يموت. وعندما يتحول الوعي إلى العالم المادي، يظهر وكأنه خاضع للزمن والتطور»[٤].

فالوجود السابق لكل وجود - عند تولي - هو: الواحد غير المتجلي، وهو عبارة عن عدم مشبع بالاحتمالات، سماه «الوعي»، أو بتعبير أقرب لذهنية الدارس العربي: «العقل». وهي معان مطلقة ليس لها وجود حقيقي في الخارج.

وفي (الكتاب الأبيض) وصف للوجود الأول، نصه: «في البدء كان الكل

= انظر: كتاب التاو: هادي العلوي ص١١ - ٢٦، و Hinduism-Cybelle Shattuck: 28, and The Tao Te Ching-Ellen M. Chen: 51.

(١) يأتي تفصيله في المسألة التالية.

(٢) هذا اصطلاح يستخدمه الصينيون للتعبير عن عدد غير محدود من الأشياء، حيث إن الآلاف - وأحياناً العشرة آلاف - هي غاية الأعداد الصينية، وهو أكبر عدد عند الصينيين ويطلق على ما هو أعلى منه.

(٣) The Power of Now-Ekhart Tolle: 140.

(٤) A New Earth-Ekhart Tolle: 291.

فراغاً غير محدود من الفكر، ولولا أن الإلٰه تفكر في ذاته، والتفت إلى نفسه، لبقي بلا شكل إلى الأبد. . . ولكنه تفكر في ذاته إلى العظمة»(١).

وتصف جي زي نايت(٢) موجد العالم بعد أن ذكرت أن للإنسان والدين أحدهما هو الوالد البشري (الأم والأب) قائلة: «ذاك والدك الأول. الوالد البشري. ذاك والد الجسد. ولكن لك والداً أعظم وهو والد نقطة الصفر(٣) (Zero Point)، الذي يسمى «الإلٰه»(٤)، والذي وُجد من الفراغ(٥) (The Void)»(٦).

فنجد في تعاليم رامثا أنه في البدء كان «الفراغ»، ولما تأمل الفراغ ذاته كانت نقطة الصفر، التي عندها تكون «الوعي»، وهو الذي يُطلق عليه «الإلٰه». فإما أن يقال إن الموجود الأول هو: «الفراغ»، وهو العدم المشبع بالإمكان، أو أن يقال إن الكائن الأول هو: «الإلٰه» الذي ليس ـ في الواقع ـ شيئاً سوى «الوعي». وعلى كلا القولين لا وجود لاعتقاد بإله ـ أيّاً كان وصفه ـ أزلي سابق لكل وجود، غير مسبوق بعدم، ولا متبوع بفناء.

وهكذا يتبين أن الكائن الأول من منظور أتباع حركة «العصر الجديد» ـ وإن عُبِّر عنه بالإلٰه أحياناً ـ هو وجود غامض مختلط لا يتصف بصفات الكمال الإلٰهي، وليس مبايناً للمخلوقات، بل إن وجوده ليس سابقاً لوجود الكون، وإنما هو ـ في اعتقادهم ـ مادة الكون ومنبعه.

---

(١) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 115.

(٢) وهي تزعم أن المتحدث على لسانها هو «رامثا» وليس هي.

(٣) **نقطة الصفر**: كما يعرفها «رامثا» هي: هي نقطة الوعي الأصلية التي تكونت من «الفراغ» بعد تأمله لذاته. نقطة الصفر هي مولود «الفراغ» الأول، هي ولادة «الوعي». Parallel Lifetimes-Ramtha (J. Z Knight): 79.

(٤) «الإلٰه» الذي يعتبر الموجد عند «رامثا» هو نقطة الصفر، والوعي الأولي، والطاقة التي تظهر الكوامن المجهولة للفراغ، كلي القدرة، كلي الوجود، ولكنه ليس هو «الفراغ» أو «المصدر»، ويطلق على الوعي والطاقة.

انظر: Parallel Lifetimes-Ramtha (J.Z Knight): 78.

(٥) **الفراغ**: كما يعرفه رامثا هو: مساحة شاسعة من الـ لا شيء المادي، ولكنه كل شيء إمكاناً. Parallel Lifetimes-Ramtha (J.Z Knight): 83.

(٦) Forgotten Gods Waking Up-Ramtha (J.Z Knight): 41.

المسألة الثانية: ولادة الكون عند حركة «العصر الجديد»

تتلخص الآراء المطروحة حول ولادة العالم ونشأة الكون عند حركة «العصر الجديد» في النقاط التالية:

١ ـ إيجاد الكون من العدم:

حيث يعتقد أنه جيء بالعالم إلى حيز الوجود من خلال الكلمة، أو الإرادة المجردة. وهذا الرأي يمثل المعتقد السائد عند أتباع الديانات السماوية التي تقر بوجود الخالق. إلا أن «العدم» قد يُطلق ويراد به معان غير تلك المستقرة عند أولئك:

فقد يراد بالإيجاد من العدم أن مادة الوجود تخرج من ذات الموجد، فلا وجود لها مستقلاً عن وجوده.

وقد يراد أن الوجود ينتج عن التولد من الفراغ غير المتجسد، وهذا هو «العدم» المقصود عند أتباع الحركة، والذي يعبر عنه بـ«الفراغ» أحياناً. وعليه، فلا وجود لكائن خارج عن «العدم» تظهر الموجودات بأمره أو إرادته، وإنما هي نشأة ذاتية لا تخضع لسلطة مباينة لها.

وهذا المعتقد يظهر جليّاً في تعاليم رامثا، حيث يقرر أنه في البدء كان «الفراغ»، «العدم» الذي يكمن فيه كل الوجود، وهو ما يمكن تسميته بالمصدر (The Source). وبعد أن تأمل الفراغ ذاته تولد منه «الوعي الأول» الذي هو جوهر الوجود كله، وكل الموجودات تشكلت في الوعي وتجسدت من خلال طاقته (Energy)[١]. وأصبح الوعي يُظهر المجهول ويجسد الاحتمالات غير المحدودة في «الفراغ»، حتى تحولت الأفكار إلى مادة، وأصبح «المهندس الأعظم» (The Great Architect) يصنع الكون على مهل. فكل موجود هو ذاته الموجد في سلسلة غير منتهية من الخالقين[٢].

إن التحول من الفراغ إلى مادة لا يفتقر ـ عند أتباع الحركة ـ إلى مؤثر

---

(١) **الطاقة**: هي نظير الوعي وصورة له، كل وعي معه قوة طاقة فعالة، وكل أشكال الطاقة تحمل معها وعي يحددها.

Parallel Lifetimes-Ramtha (J.Z Knight): 95.

(٢) انظر: Parallel Lifetimes-Ramtha (J.Z Knight): (22-25).

خارجي، وإنما هي عملية ذاتية تنبع من داخل. يقول شوبرا في كتابه (كيف تتعرف على الإلٰه): «كل ما نراه حقيقة مادية يولد في حقل خفي يتجاوز الزمان والمكان، حقل يكشف الصمت أنه يتكون من الطاقة والمعلومات. هذا المصدر الخفي ليس فراغاً أجرد، وإنما هو رحم الخلق ذاته. شيء ما يوجد وينظم تلك الطاقة»[١]، ثم يختم موضحاً هذا المنظم الذي به يصدر عنه الخلق بقوله: «سنخوض جميعاً تجربة الإلٰه»[٢]، مشيراً إلى أن الإنسان هو الذي يحول الطاقة والمعلومات من الحقل الخفي إلى كائنات مادية تظهر في الوجود.

ومنهم من يسمى «الفراغ الأول»: «الفوضى» أو «الشواش» (Chaos)، ينتج عنه وجود منظم دون سبب ظاهر. وفي عدد من هذه المعتقدات تصريح بأن الكون سيعود في نهاية الأمر إلى الحالة التي بدأ بها[٣].

٢ ـ التكون من أجزاء الكائن البدائي، التي توصف بأعضائه كرجله أو يده.. إلخ:

وهي عادة تمثل صورة رمزية مبسطة للاعتقاد بالتولد والصدور، حيث إن العالم لا يعتبر كائناً مستقلاً عن مُوجده، بل هو جزء منه ـ أو هو إياه ـ كما أن الأعضاء أجزاء من الذات ومجموعها يشكل كُلِّيته. ولا ينبغي أن تُحمل مثل هذه الأقوال على الظاهر، بل لا بد من اعتبار قائلها، وهي عندما تصدر عن أحد رموز حركة «العصر الجديد» أو أتباعها فإنها تُحمل على التصور الباطني الذي تتبناه الحركة، لا على ظاهرها الوثني الساذج.

وفي هذا السياق يقول إكهارت تولي: «كل ما يظهر لنا في الكون بأنه فراغ من خلال العقل والحواس، هو في الواقع (جسد) الإلٰه»[٤]، ويشير سبانغلر إلى هذا المعنى في نقله للمعتقد الشرقي الذي ينص على أن العالم وِلِد «من خلال تضحية عظيمة، إذ يُجَزِئ الإلٰه ذاته»[٥]. وهو ـ على الأرجح ـ تصوير رمزي لولادة العالم.

(١) How to Know God: Deepak Chopra-10.

(٢) How to Know God: Dedpak Chopra-10.

(٣) Alpha: Myths of Creation-Charles Long: 30-31.

(٤) The Power of Now-Ekhart Tolle: 141.

(٥) The Call-David Spangler: (21-22).

٣ ـ الفيض والتولد:

ويراد به صدور الكون عن وجود سابق له، وهذا الوجود إما أن يكون «المبدأ الأول» أو ما قد يعبر عنه بـ«الإله»، أو وجوداً آخر صادراً عنه. وهذا القول يصور قضية الخلق على أنها فعل اضطراري، لا حكمة من ورائه، ولا قصد.

إن هذا القول يشبه إلى حد كبير فلسفة الفيض عند فلاسفة اليونان، «فالذي يراه الفلاسفة هو أن وجود العالم عن الله ـ تعالى ـ إنما هو على سبيل اللزوم لذاته، من غير قصد واختيار، كما شرحوا ذلك من خلال نظرية الفيض والصدور، فيكون ـ تعالى ـ موجباً بالذات؛ لأنه يصدر عنه الفعل من غير قصد وإرادة»[١]، وكذلك فلسفة التولد عند فلاسفة الشرق، وفيها التدرج في التكوين من المبدأ الأول إلى الثنائي، وحتى العناصر التي تتشكل منها المادة[٢].

ونظراً لعدم اعتماد حركة «العصر الجديد» على مصادر موحدة في تقرير المعتقدات، فإن الباحث يلحظ تنوعاً في توصيف مراحل النشأة والتولد، فيرى سبانغلر أن الوجود تدرج كالتالي: بدءاً من «المصدر» الذي هو كل شيء، وفيه تتشكل الكوامن والاحتمالات، من ثم الوجود (Being) ويشكل الكينونة، ومن ثم النور (Light) الذي هو كل شيء، ويشكل الطاقة والحركة، ثم اللوجوس (Logos) وهو كل شيء ويشكل الحياة، ثم الكون (Cosmos) الذي هو كل شيء، ويشكل التصميم والترابط، ثم العناصر (Elements) وهي كل شيء، ومن رحمها يولد العلم، وهي مصدر المادة، ومن ثم السلالة البشرية من آباء وأجداد[٣].

وتلخص آني بيسانت المعالم المهمة لولادة الكون في النقاط المختصرة التالية:

أن المصدر الأول هو وجود واحد، أزلي، حقيقي، خفي.

تجسد «الإله» من ذلك الوجود الأول، ومن الوحدة تولدت الثنائية، ومن الثنائية التثليث.

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية: آمال العمرو ص٣٧٠.

(٢) انظر: كتاب الطاو: هادي العلوي ص٧٧.

(٣) Blessings-David Spangler: (186-199).

من التثليث تولدت عقول روحانية كثيرة يهتدي بها نظام الكون.

أن الإنسان صورة من الإلٰه المتجسد، ذاته الداخلية وحقيقته خالدة، ومتوحدة مع النفس الكونية.

يتطور الإنسان ويترقى من خلال التناسخ، حتى يصبح إلٰهاً في الإمكان كما هو إلٰه في الكامن[١].

أما أشهر صور الولادة الكونية في تطبيقات حركة «العصر الجديد»، فهي ـ بلا شك ـ تلك المتعلقة بالفلسفة الطاوية، وتولُّد مبدأي الـ ين والـ يانغ[٢] من الـ طاو المطلق الأبدي، ومن تلك الثنائية القطبية تولد كل ما في الوجود. وفي كتاب الطاوية المقدس:

«الـ طاو تنسل الواحد

الواحد ينسل الاثنين

الاثنان تنسل الثلاثة

الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

العشرة آلاف شيء تحمل الـ وين وتحتضن الـ يانغ

وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»[٣].

وعلى أية حال، فإن تنوع الآراء داخل حركة «العصر الجديد» حول تفاصيل النشأة الكونية وظهور العالم المحسوس، لا يؤثر على اتفاقها في القضية الجوهرية لهذه المسألة، وهي أن نشأة الكون لم تكن نتيجة إرادة خارجية صدرت عن خالق مباين، يتصف بالصفات الإلٰهية الكاملة، وإنما هي صدور، وتولد ذاتي، وتطور مرحلي لا يشبه عقيدة الخلق من أي جانب.

---

(١) The Ancient Wisdom-Annie Besant: 8.

(٢) الـ ين والـ يانغ كلمتان صينيتان تعنيان الجانب المظلم والجانب المشرق من التَّل، حيث يمثل الـ ين الجانب المظلم، والـ يانغ الجانب المشرق أو المشمس، غير أن المقصود بهما في الفلسفة الصينية مبدآن مطلقان يمثلان وحدة وجود قطبية.
انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: للباحثة ص١٦٧ ـ ١٨١.

(٣) كتاب التاو: هادي العلوي ص٧٧.

نظرية الانفجار الكبير (Big Bang Theory):

لما ظهرت نظرية «الانفجار الكبير» المتعلقة بالنشأة الكونية في الأوساط العلمية تم توظيفها في سياقات متنوعة، وباتت كل طائفة تفسرها وفق معتقداتها أو توجهاتها الفكرية، بل جعلها بعض المسلمين حُجَّة في إثبات الخالق، وحدوث العالم[١]. وممن تقبل نظرية الانفجار الكبير بمفهومهم الخاص أتباع حركة «العصر الجديد»[٢]، حيث جمعوا بينها وبين فلسفتهم في الوجود.

لم يكن الحديث عن النشأة الكونية يلقى احتراماً وقبولاً مهنياً في الأوساط الفلكية والفيزيائية الغربية خلال القرون الماضية، نظراً لعدم وجود مشاهدات حسية، أو أسس نظرية تعتمد عليها الافتراضات المطروحة من وجهة نظرهم، غير أن الأمور تغيرت بعد منتصف القرن العشرين ـ تقريباً ـ عندما طُرحت نظرية «الانفجار الكبير»[٣]، حيث لاحظ المراقبون أن الكون يتباعد ويتمدد يوماً بعد يوم، فاستنتجوا أن الكون يزداد تقارباً كلما عاد الزمن إلى الوراء، وكلما تقاربت أجزاء الكون ازدادت كتلتها وتجاذبها إلى أن يتلاشى الفراغ بينها، ويزداد الضغط حتى تكون المادة المكونة للكون في حجم الذرة، ويستمر الضغط إلى ما لا نهاية، ويقل الحجم إلى ما لا نهاية حتى يصير الكون لا شيء. وبزوال المادة يزول الزمان والمكان. فكانت النظرية التي طرحها هؤلاء هي: أن حجم هذا الكون كان قريباً من الصفر، ثم انفجرت هذه المادة المضغوطة وتبددت أجزاؤها في صورة إشعاع، إلى أن تشكل تدريجياً هذا الكون الذي نشاهده، ولذلك سميت هذه النظرية بالانفجار العظيم حيث ولد الزمان والمكان مع ولادة الكون[٤].

إلا أن هذه النظرية توقفت عند ذلك الحد، ولم تتعرض للباعث على

---

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق: أ. د. جعفر إدريس ص٨٢.

(٢) انظر: Blessing-David Spangler: 98, and The Power of Now-Eckhart Tolle: 140, The Deeper Wound-Deepak Chopra: 119.

(٣) انظر: الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون: ستيفن وينبرغ ص١٢.

(٤) انظر: الفيزياء ووجود الخالق: أ. د. جعفر شيخ إدريس ص٧٨ ـ ٨٨، وتاريخ موجز للزمان: ستيفن هوكنج ص٢٠، والدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون: ستيفن وينبرغ ص١٢ ـ ١٨.

الانفجار، أو السبب في خروج الكون من العدم إلى الوجود، مما أدى إلى تبني آراء مختلفة بهذا الخصوص، فمنهم من أثبت وجود خالق غيبي[1]، ومنهم من زعم أن الباعث ذاتي؛ فيكون الكون موجداً لذاته، ومنهم من نفى وجود باعث

---

(١) لقد ربط بعض المسلمين نظرية «الانفجار الكبير» بما يسمى الإعجاز العلمي في القرآن، وجعلوها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧] (انظر مثلاً: السماء في القرآن: د. زغلول النجار ص٨٢ وما بعدها). ولي مع هذا التوجيه عدة وقفات:

ـ أن التوسع فيما يسمى «الإعجاز العلمي» قد يتسبب في تحقيق نقيض قصد من يستخدمه، فإن ربط النصوص الشرعية بنظريات علمية قابلة للأخذ والرد يعرِّضُ النص لنقد الجهال. وهذه النظرية ليست حقيقة علمية متفقاً عليها؛ بل لا تزال محل جدل في الأوساط المختصة.

ـ أن تنزيل النص الشرعي على الأحداث الواقعية أو الفرضيات العلمية هو قول على الله تبارك وتعالى بغير علم، فينبغي التورع في تطبيقه. أما الآيات التي أوردت في دعم نظرية الانفجار الكبير فليس فيها دلالة ظاهرة على معطيات النظرية، بل إن التفسيرات الواردة عن السلف غير متفقة معها، كما أن المعنى اللغوي لا يحتمل هذا التفسير المعاصر.

قال الطبري «جامع البيان» ١٨/٤٣١، ٤٣٣: «كان ابن عباس ﷺ يقول: كانتا ملتزقتين، ففتقهما الله»، وقال: «إن السماوات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات» وفي الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٨٣: «كانت السماء مخلوقة وحدها، والأرض مخلوقة وحدها، ففتق من هذه سبع سموات، ومن هذه سبع أرضين» وهذا يعني أنّ السماء والأرض لم يكونا شيئاً واحداً كما هو متقرر في نظرية الانفجار، بل كانتا شيئين مختلفين متّصلين فانفصلا. ومن ذكر أنهما كانا شيئاً واحداً فالظاهر أن مراده أنهما كانا ملتصقتين لا فاصل بينهما، لا أنهما من مادة واحدة.

ونقل القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ١١/ ٢٨٣ عن مجاهد والسدي وأبي صالح قولهم: «كانت السماوات مؤتلفة طبقة واحدة (ففتقها) فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرضين كانت مرتتقة طبقة واحدة (ففتقها) فجعلها سبعاً» والفَتقُ في اللغة: «خلاف الرتْق... وأصله الشق والفتح» لسان العرب ١٠/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، و«الفَتْقُ: الموضع الذي لم يمطر» الصحاح ٤/ ١٤٥٠، و«الفَتْق الصُبّح» مقاييس اللغة ٤/ ٤٧١، ولا يأت الفتق في اللغة بمعنى الانفجار.

ـ أن كثيراً من التفاصيل المذكورة في نظرية «الانفجار الكبير» لا يمكن أن يتم التحقق منه حسياً، ولا يوجد ما يثبته في الشرع ولا ما ينفيه، فينبغي التوقف في قبوله إذ هو من القضايا الغيبية التي لا سبيل إلى معرفتها، ولا طائل من السعي إليها.

ذاتي أو خارجي، ومنهم من آثر إغفال الخوض في هذه المسألة تماماً، كل بحسب اعتقاده[١].

أما أتباع حركة «العصر الجديد» فوظفوا هذه النظرية العلمية في الاستدلال على أن أصل الوجود واحد غير متنوع، وإنما تعدد وتفرع بفعل النشوء والارتقاء؛ حتى توصل إلى العالم الذي نعرفه اليوم، يقول رامثا (جي زي نايت): «وفي لحظة عظيمة عندما تأمل هذا العامل، أو الإله ـ أيما تفضل تسميته ـ ذاته، تفجرت منه ما تسمى ذرات الوعي الشخصي بعيداً عما كانت عليه. ففي أي لحظة تتأمل الوجود الكامن لأي كائن، فإنك تنفصل عنه. وهنا تأتي نظرية الانفجار الكبير. فالانفجار الكبير كان ـ في جوهره ـ وعياً خاصاً انفجر إلى حشود من الوعي المتعدد»[٢].

ولا جدال عند أتباع حركة «العصر الجديد» عن ماهية الموجد وحقيقته ـ بغض النظر عن تصورهم لكيفية هذا الإيجاد، فإنه عندما ظهر الوجود الأول من العدم مع الانفجار الكبير وعند نقطة الصفر، فإن المحرك لذلك كله كان «الوعي»، الذي هو الموجود الأول ـ بل الأوحد. وهذا «الوعي» هو «الإله» في نظرهم، وهو حقيقة كل إنسان، يوضح هذا التوجه ديباك شوبرا ـ الطبيب الأميركي هندي الأصل ـ عندما يتحدث عن سؤال قديم يطرحه دوماً الصغار والكبار على حد سواء، وهو: «من الذي أوجدني؟» ثم ينقل الإجابتين الأكثر شهرة على هذا السؤال، وهما: الإجابة الدينية: خلقك الإله بعلم وإرادة. والإجابة «العلمية» الـ لادينية: أوجدتك الطبيعة عن طريق المصادفة. ثم يقول معلقاً على تلك الإجابتين: «لم يكن بإمكاني أبداً تقبل أي من الإجابتين، وشكّي هذا هو الذي تسبب في كتابة هذه الأوراق التي أقدم من خلالها إجابة ثالثة»[٣]، ثم يمضي في تحديد الإجابة بقوله: «فالإجابة الوحيدة على سؤال: (من الذي أوجدني؟)، هي: أنا من أوجد ذاتي»[٤]!.

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق: أ. د. جعفر شيخ إدريس ص٩٣.

(٢) A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 60.

(٣) Reinventing Body Resurrecting Soul-Deepak Copra: (274-275).

(٤) Reinventing Body Resurrecting Soul-Deepak Chopra: 276.

المسألة الثالثة: نشأة الإنسان عند حركة «العصر الجديد»

يعتبر الحديث عن خلق الإنسان امتداداً للحديث عن النشأة الكونية، فالإنسان جزء من الكون، ومرتبط به. ولذلك فإن بداية البشرية لا تخرج عن أحد احتمالين:

١ ـ **القول بالخلق**: وهو معتقد أتباع الديانات السماوية، حيث يُعتقد أن الإنسان الأول خُلق على صورته البشرية بإرادة إلهية، ثم حصل التكاثر من خلال التزاوج والإنجاب.

٢ ـ **القول بالتطور (أو النشوء والارتقاء)**: وهو معتقد طائفتين متناقضتين، هما ملاحدة الطبائعيين، والفلاسفة الباطنيين. وخلاصته أن الإنسان لم يوجد على هيئته مباشرة، وإنما بدأ كائناً أولياً تطور، وارتقى تدريجياً حتى توصل إلى صورته الحالية.

أما حركة «العصر الجديد» فإنها تخلط بين القولين على طريقتها الانتقائية النشاز، وهي وإن كانت تتبنى معتقد التطور بشكل صريح، إلا أن أتباعها لا يزالون يستخدمون العبارات الملبسة حول الخلق والإلٰه والوجود.

تبدأ قصة البداية عند أتباع الحركة مع ولادة الوعي من الفراغ، حيث أصبح الوعي الواحد متعدداً، وظهر إلى الوجود عبر التأمل الذاتي. غير أن ذاك «الوعي» المحض انحدر في مستويات الوجود حتى تحول إلى المادة، ثم أخذت المادة البدائية في التطور عبر النشوء والارتقاء، حتى توصلت ـ تدريجياً ـ إلى كونها إنساناً عاقلاً.

يقول رامثا (جي زي نايت) مقرراً لهذا المعنى: «في البدء، عندما كنتم جميعاً ضوءاً منبثقاً من الوعي الخاص، قمتم برحلة إلى عالم المادة المتجسدة، لقد انحدرتم سبع مستويات من التذبذب، ومن الوعي كذلك. ها أنتم. أصبحتم في بداية التطور، واجبكم هو معرفة ما لا يُعرف، الذات الخالدة، وكلكم إياها، تلك التي تسمى الإلٰه... الآن أصبحت الرحلة عن روح ونفس في كتاب الحياة الذي يسمى: التطور»[(١)].

(١) A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 57.

غير أن التطور الذي يتحدث عنه رامثا ليس هو التطور الجسماني، وإنما هو التطور في «الوعي»، حيث يبدو أن التطور الجسدي قد وصل أوجه في صورة الإنسان الحاضر، وهو ما يُقِّره ديباك شوبرا في قوله: «لقد توقف تطورنا الجسماني قبل ٢٠٠٠٠٠٠ عام تقريباً. فإنك لا تمتلك كبداً، أو رئة، أو قلباً، أو كلية مختلفة عن تلك التي كان يمتلكها ساكن الكهف»[١]. فهم لا يتطلعون إلى تحول كبير في مظهر الإنسان، ووظائفه الحيوية، بل يسعون إلى هدف أخطر من ذلك بكثير.

إن الارتقاء بالوعي هو الخطوة التالية في سلسلة التطور الإنساني، وهي خطوة اختيارية يستطيع الإنسان التحكم في تحقيقها. يقول إكهارت تولي في كتاب الأرض الجديدة: «إن الخطوة القادمة في التطور البشري أمر محتوم، ولكن لأول مرة في تاريخ كوكبنا، يمكن الاختيار بإدراك. من الذي يقوم بالاختيار؟ أنت. ومن أنت؟ الوعي الذي أصبح واعياً بنفسه»[٢].

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو الوعي الذي تسعى إلى تحقيقه حركة «العصر الجديد» كخطوة أخيرة في طريق الترقي؟ إنه إدراك الحقيقة الإلٰهية للإنسانية، والعودة إلى الطبيعة الأولى التي يزعمونها. فإن الإنسان ـ في نظرهم ـ «إله» في الأصل، وهو يمر بمراحل من التطور ليعود إلى تلك الحالة الأصلية[٣]. تقول جي زي نايت: «إن العلم بأصلنا الحقيقي النابع من تأمل «الفراغ» ذاته، وطبيعتنا كآلهة تخلق الحقائق، هو العلم الذي يضيع عبر التاريخ، وهو ما يعرقل تطور الجنس البشري إلى حالة الوعي التام»[٤].

ولك أيها الإنسان أن تغتنم الفرصة لتكون جزءاً من التطور الكلي، أو تُعرض عنه فلا يشملك الترقي، وفي كل الأحوال لن يؤثر اختيارك إلا على نفسك. وهو ما يوضحه شوبرا بقوله: «يمكنك أن تسهم في تيار التطور، ويمكنك أن تحجم. الخيار لك. ففي كلتا الحالتين سيستمر التطور. ولكن إن

---

(١) Reinventing the Body-Deepak Chopra: 8.

(٢) A New Earth-Eckhart Tolle: 182.

(٣) انظر: A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 2.

(٤) A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 10.

اخترت الخروج فلن يكون التقدم من خلالك»[1].

المسألة الرابعة: غاية الوجود عند حركة «العصر الجديد»

للوجود عند حركة «العصر الجديد» هدفٌ وغاية، تتوافق مع نظرتهم للإنسان والكون، تلك الغاية لا تختلف عن المقاصد التي تسعى إليها جل التيارات الباطنية والمتصوفة على اختلاف أصولها وتسمياتها. إن غاية الوجود عند هؤلاء هي العودة إلى ما يعتقدون أنه حالة الإنسان الأصلية، وهي ما يعبر عنه بعضهم بالإله، وبعضهم بالوعي المطلق، وبعضهم غير ذلك.

أما الوسيلة التي يتمكن الإنسان بها من التوصل إلى هدفه المنشود وفق معتقدات الحركة فهي: تناسخ الأرواح. فالروح تخرج من جسد إلى آخر، ترتقي في كل مرة وتقترب من تحقيق الغاية، حتى تتوصل إلى إدراك «حقيقتها الإلهية» فتتخلص من دوامة التناسخ. ولذلك يشير شوبرا إلى هدف هذه الرحلة قائلاً: «تتمكن الروح ـ بطريقة ما ـ من إيجاد أبوين مناسبين لتولد لهما مرة أخرى فتكمل تطورها»[2].

ويعرف بنجمن كريم التطور بأنه «طريق العودة إلى المصدر، وإزالة حجب الأوهام والخيال مما يوصل ـ في نهاية الأمر ـ إلى الوعي الكوني»[3]. ويوضح هذه العقيدة بقوله: «لا بد أن يعلم الجميع أنهم هم الواحد، هم شرارة الإله، هم النفس الإلهية التي تصور ذاتها على المستوى الروحي كروح إنسانية مخصصة، تتناسخ ـ عبر قانون الولادات المتكررة والـ كارما ـ مراراً وتكراراً، حتى تنهي رحلتها في التطور، وتصل إلى الكمال»[4].

إن الكمال الذي يسعى إلى تحقيقه رواد حركة «العصر الجديد»، ليس كمالاً بشرياً يليق بالإنسان، وإنما هو كمال إلهي محال المنال، تقول آني بيسانت في كتاب الحكمة القديمة: «يتطور الإنسان من خلال التناسخ المتكرر، والذي تجذبه إليه الرغبات، ويحرره منه العلم والتضحيات، حتى يصبح الإنسان إلهاً في

(١) Reinventing the Body-Deepak Chopra: 212.

(٢) Life After Death-Deepak Chopra: 11.

(٣) The Awakening-Benjamin Crème: 123.

(٤) The Awakening-Benjamin Crème: 29.

الإمكان، كما كان دوماً إلٰهاً في الكامن»[١].

وفي كتاب تاريخ الإنسانية توضح جي زي نايت فلسفة رامثا حول غاية الوجود، وتصفه بأنه «يعالج السؤال عن: من نحن؟ ومن أين أتينا؟» وتقول بأن «أطروحته الرئيسة هي: أننا آلهة خالدون في طور التطور بهدف معرفة أنفسنا» ثم تستمر في شرح المقصود بتلك المعرفة قائلة: «إن مسرحية التطور الإنساني منذ الانفجار الكبير، وقبله، وحتى يومنا الحاضر هي - برأي رامثا - قصة استكشاف الآلهة الخالقين، ووصولهم إلى أقصى إمكانياتهم»[٢].

(١) Ancient Wisdom-Annie Besant: 8.

(٢) A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 2.

المبحث الثالث

نقض معتقد حركة «العصر الجديد» في نشأة الكون

لا يشك مسلم في أن فلسفة حركة «العصر الجديد» في نشأة الكون والإنسان غايةٌ في الانحراف والزندقة، وهي مخالفة للعقيدة الإسلامية من وجوه متعددة، يمكن تلخيصها في التالي:

أولاً: نشأة الكون غيب لا يمكن أن يعرف إلا من طريق الشرع:

ينقسم الغيب باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام:

غيب ماض: من ذلك قصص عن الماضي البعيد المتغلغل في أحشاء القدم.

غير حاضر: وهو ما لا سبيل إلى رؤيته أو معرفته في الوقت الحالي.

غيب مستقبل: وهو ما انقطعت دونه الأسباب، وقصرت عن إدراكه الفراسة مما يكون في المستقبل[1].

ولا شك أن قصة بدء الخلق تندرج تحت القسم الأول، بل هي من الغيب المطلق الذي لا يمكن معرفته على وجه اليقين ما لم يرد النص في بيانه، لتقدمه

---

(١) مناهل العرفان: الزرقاني ٢/ ٣٦٧ (بتصرف).

على العالم المشهود، بخلاف الغيب النسبي الذي يخضع لمتعلقات الزمان والمكان والإمكان، وبينما قد يتمكن البشر من طرح فرضيات حول تطور الكون وبداياته، فلا يمكنهم تصور المرحلة السابقة لوجوده، فهي مرحلة انعدم فيها الكون الذي نعرفه، ولا تنطبق ومقاييسه على ما كان قبل وجوده. «ولأن الإنسان طموح بطبعه إلى معرفة الماضي ووقائعه، فقد زوّده ربّه الذي خلقه من هذه المعارف بقدر ما يعينه على تحقيق عبوديّته لله، وإعمار الحياة، ما أغناه بها عن الفرضيّات، والنظريّات الظنيّة، والفلسفات الوثنيّة»[١].

أما وقد تقرر أن قضية النشأة الكونية، وبدء خلق الإنسان من المسائل الغيبية، كان لا بد من استمدادها من مصادرها الصحيحة؛ قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فالغيب المطلق من أمر الله لا يعلمه إلا هو، أو من شاء أن يطلعه عليه من الملائكة، أو الرسل، وهو قوله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨].

فالحديث عن بدء الخليقة ـ فيما لا دلالة حسية عليه ـ من القضايا الغيبية التي لا تُستمد من غير الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وتوصيف أحداثه ومجرياته ـ في أقل الأحوال ـ قول على الله بغير علم، وإلا فهو دعوى لعلم الغيب وإشراك في الربوبية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

ثانياً: إنكار أولية الرب ﷻ:

عند تأمل نظرة حركة «العصر الجديد» للنشأة الكونية نجد أن ثمة اتفاقاً على أنه قبل ولادة العالم لم يكن ثمة وجود عيني، بل كان هناك «فراغ» أو «فوضى»، وفي أحسن الأحوال «وعي» أو «عقل». وهذا يقودنا إلى إحدى نتيجتين حول أسبقية «الإله»:

أن يقال: إن «الإله» وُجد بعد الفراغ، أو العدم، أو صدر عن أحدهما.

أو أن يقال: إن «الإله» هو ذلك الوعي أو العقل.

---

(١) أصول الإيمان بالغيب: د. فوزي كردي ص٤٩.

كلا القولين مقول في فكر الحركة، وكلاهما كفر صراح. أما القول بأن الإله مسبوق بعدم فهو مخالف لصريح القرآن، كما هو في قول الباري ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، والذي وضحه المصطفى ﷺ في دعائه: «**اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[١]. كما قال البغوي في تفسير الآية: «يعني: هو الأول قبل كل شيء، بلا ابتداء، بل كان هو ولم يكن شيء موجوداً، والآخر بعد فناء كل شيء، بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى»[٢].

وفي سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ١ - ٣]، فالله لم يولد لأحد، ولم يصدر عن شيء ﷻ، فالذي يولد لا بد وأن يموت، والذي يوجد من العدم لا بد أن يكون قابلاً للفناء[٣].

وأما القول الثاني فيلزم منه وصف الرب بالإطلاق، وسلبه صفات الكمال:

ثالثاً: وصف الرب ﷻ بصفات «المطلق» أو «الفراغ»:

إن القول بأن الوجود الأول الذي صدر عنه العالم هو الإله يفضي إلى وصفه بصفات ذلك الموجود:

- فإن قيل: بأنه «الفراغ»، كان وصفاً للرب بالعدم، وهو كفر باتفاق الملل التي تؤمن بإله.
- وإن قيل: بأنه «الوعي»، فإن الوعي صفة لا تقوم بذاتها، ولا وجود له على وجه الاستقلال، فكيف يُتصور أن يكون هو الإله؟ قال **شيخ الإسلام**: «العقل في لغة المسلمين كلهم أولهم عن آخرهم ليس.. جوهراً قائماً بنفسه»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨٤، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٧١٣).

(٢) معالم التنزيل: البغوي ٥/ ٢٦.

(٣) انظر: معالم التنزيل: البغوي ٥/ ٣٣٠، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٢٠/ ٢٤٦.

(٤) بغية المرتاد: ابن تيمية ص٢٥١، وانظر: المرجع السابق ص٢٥٥، ومجموع الفتاوى ١/ ٢٤٤، ١٨/ ٣٣٨.

- وإن قيل: إنه وجود مطلق فإن ذلك نظير إنكاره بالكلية. فإنه إذا جعل وجود الرب مطلقاً بشرط الإطلاق، لم يجز أن يوصف بوصف يميزه؛ لأن هذا نوع من التمييز والتقييد. ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع، وأما إذا قيد بسلب الأمور الثبوتية، دون العدمية، فهو أسوأ حالاً من المقيد بسلب الأمور الثبوتية والعدمية، فإنه يشارك غيره في مسمى الوجود، ويمتاز عنه بأمور وجودية، وهو يمتاز عنها بأمور عدمية، فيكون كل من الموجودات أكمل منه. فلزمهم أن يكون ذلك الوجود الأول هو الممتنع الذي لا يتصور وجوده في الخارج، وإنما يقدره الذهن تقديراً، كما يقدر كون الشيء موجوداً معدوماً، أو لا موجوداً ولا معدوماً، الذي هو جمع بين النقيضين وخلو عن النقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات باتفاق العقلاء، فمن وصف الله بأنه وجود مطلق، فقد جعل الله ممتنع الوجود[١]. قال **ابن القيم** رحمه الله: «ومن المعلوم أن المطلق لا وجود له في الخارج، ولا سيما إذا أخذ بشرط الإطلاق»[٢].

- أن المطلق لا بشرط، كالإنسان المطلق لا بشرط، يصدق على هذا الإنسان، وهذا الإنسان، وعلى الذهني والخارجي، فالوجود المطلق لا بشرط يصدق على الواجب والممكن، والواحد والكثير، وحينئذ فهذا الوجود المطلق ليس موجوداً في الخارج مطلقاً بلا ريب[٣].

- أن الذين ادعوا ثبوت هذه الكليات في الخارج مجردة، قالوا إنها مجردة عن الأعيان المحسوسة، ويمتنع عندهم أن تكون هذه هي المبدعة للأعيان، بل يمتنع أن تكون شرطاً في وجود الأعيان، فإنها إما أن تكون صفة للأعيان، أو جزءاً منها، وصفة الشيء لا تكون موجدة للموصوف، وجزء الشيء لا يكون موجداً للكل[٤].

---

(١) انظر: درء التعارض: ابن تيمية ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) الصواعق المرسلة: ابن القيم ٤/ ١٤٢٤، وانظر: درء التعارض: ابن تيمية ٩/ ١٥٣، والعرش: الذهبي ١/ ٩١.

(٣) انظر: درء التعارض: ابن تيمية ١/ ٢٩٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

وكل ذلك لا يقوله عاقل، فضلاً عن مؤمن، ولكنه التلبيس على الناس بالمصطلحات المألوفة لديهم لئلا ينفروا منهم ابتداء.

رابعاً: القول بالفيض أو التولد:

لقد ولد الكون عند حركة «العصر الجديد» عن طريق الفيض أو التولد، وهذا يعني أنه صدر عن الوجود الأول لا عن طريق المشيئة والإرادة. وقولهم بأن لحظة البداية كانت عند تأمل الفراغ ذاته ليس فيه إشارة إلى أن هذا الوعي مريد مختار، بل إنه ظهر من خلال التأمل دون قصد منه ولا من الفراغ الذي منه تولد. فهو إيجاد اضطراري، وليس اختيارياً[١]. وفي هذا القول محذوران خطيران:

- إنكار الخلق، الذي هو الإيجاد من العدم بعلم واختيار. وقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢]. وصرح ﷻ في غير موضع من القرآن بخلق السماوات والأرض وما بينهما.
- كما يلزم من القول بالفيض والتولد أن العالم جزء من الوجود الأزلي الذي صدر عنه، وهو قول بقدم العالم[٢]، أو بقدم مادته، حيث إن الوعي ـ الذي جعله كثير منهم مرادفاً للإله ـ وجد هو والعالم عند تأمل الفراغ لذاته، «والقول بقدم العالم. . . كفر بإجماع العلماء»[٣].
- أن هذا القول ـ عند التحقيق ـ هو قول بأن الحوادث تحدث بلا مُحدث. قال ابن تيمية في معرض رده على القائلين بالفيض: قال شيخ الإسلام مبيناً حقيقة القول بالفيض: «فحقيقة قولكم أن حوادث العالم تحدث عنه، مع أنه لم يزل علة تامة لها، أو مع أنه لم يصر علة تامة، مع أن العلة التامة إنما تكون تامة عند معلولها لا قبل ولا بعد، وهذا يتقضى عدم الحوادث أو قدم الحوادث، وكلاهما مخالف للمشاهدة. ولهذا كان حقيقة قولهم: إن

---

(١) Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 119.

(٢) درء التعارض: ابن تيمية ٦/ ٥٦.

(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود: علي القاري ص٦٩، وانظر: التوضيح: سليمان بن عبد الله ص٩٩.

الحوادث تحدث بلا محدث لها»[١].

- ثم إن القول بالفيض الذي حدث عند هؤلاء بالوعي، يطرح سؤالاً مُلحاً: لماذا حدث «الوعي» في ذلك الوقت بالذات، فلم يحدث قبله أو بعده؟ فلزم وجود باعث داخلي أو خارجي ينقض قولهم.

هذا، وإن هذه الفلسفة الكونية ـ مع معارضتها السافرة للشرع ـ لا تتفق بأي حال مع العقل، فما هو الباعث الذي دفع الفراغ للتأمل الذاتي؟ «فما بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلا بمخرج، ومخرج الشيء من القوة إلى الفعل غير ذات الشيء، فيجب أن يكون له مخرج من خارج يؤثر فيه»[٢]. فالمخلوق لا ينتقل من العدم إلى الوجود إلا بإرادة خارجية تنقله من حال إلى حال، وهي الأمر الإلهي، أو كلمة: كن.

خامساً: القول بأن الكون هو الله أو جزء من الله:

وهذا القول متفرع عن النقطة السابقة، غير أن فيه انحرافاً إضافياً، هو إضفاء وصف الألوهية على الوجود الذي تولد من الكون. وبذلك يعتبر الكون عند أتباع حركة «العصر الجديد» هو الإله، أو أن الكون جزء منه، فالوجود لم يوجد من العدم وإنما من ذات الإله، طبيعتها كطبيعته، بل هي إياه[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله: إن العالم هو الله، وإن العالم صورة الله، وهوية الله، فإن هذا أعظم من كفر القائلين بقدم العالم، الذي يثبتون واجب الوجود، ويقولون إنه صدر عنه الوجود الممكن»[٤].

وسيأتي الرد مفصلاً على القائلين بوحدة الوجود في الفصل القادم بإذن الله.

سادساً: القول بالتطور، أو النشوء والارتقاء:

«إن الادعاء بأن المخلوقات يجيء بعضها من بعض عن طريق التطور ادعاء قديم، يرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، في بلاد الإغريق، فقد قدم

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: ابن تيمية ١/ ٣٤٤، وانظر: درء التعارض ١/٣٩٩، والمنتقى من منهاج الاعتدال: الذهبي ص٤٠.

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني ٢/٢٠٨.

(٣) Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 120.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢/ ١٣١.

بعض الفلاسفة عدداً من الفرضيات عن تطور الحياة من الأنواع البسيطة إلى الأنواع المعقدة عن طريق الصدفة. أما نظريات التطور الحديثة فترجع بداياتها إلى القرن الثامن عشر الميلادي»[(١)].

وهنا لا بد من التمييز بين نوعين من التطور النوعي، حتى لا ينتج لبس عن الخلط بينهما:

النوع الأول: هو التطور الدقيق (Micro-evolution)، ويراد به بعض التغيرات الكيميائية الثانوية التي تحصل في تكوين المخلوق فتؤثر عليه، بتغيير في الحجم، أو الشكل، أو اللون، دون حصول تغيرات جذرية معقدة[(٢)]. ومن ذلك زيادة الشعر على ظهور الحيوانات أو نقصانها أو تصاغر حجم الرأس، أو الجسد، وذلك تأقلماً مع البيئة التي يقطن فيها الكائن الحي، بحيث تُسجل المعلومات في الحمض النووي DNA وتتوارثه المخلوقات عبر الأجيال. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على كمال الرب ﷻ وعظمته، إذ أودع في الكائنات القدرة على التأقلم مع التغيرات التي تحصل في الكون، والتي تساعد نوعها على الاستمرار. وهذا النوع ليس فيه مخالفة لما ورد في الشرع، فإن الله أوجد جميع المخلوقات، وخلق فيها القدرة على التكيّف مع محيطها كوسيلة للبقاء. بل قد جاء في البخاري ما يفيد أن الإنسان نفسه قد مر بمثل هذا النوع من التطور[(٣)]. قال ﷺ: **«خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً»** إلى أن قال: **«فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»**[(٤)].

النوع الثاني: وهو التطور الكلي (Macro-evolution)، ويراد به تحول جذري يعتري الكائن الحي، وهو تحول قابل للتوريث من شكل حياتي إلى آخر، ويتسبب في تغيير النوع، والأعضاء الحيوية للكائن الحي[(٥)]. ومن ذلك تحول

---

(١) داروين ونظرية التطور: شمس الدين بلوت ص١٠.

(٢) Render Unto Darwin-James H. Fetzer: 40.

(٣) لا بد من التنبيه إلى أن مصطلح «التطور» اشتهر إطلاقه على التطور الكلي، ولذلك ينبغي للمسلم تجنب استخدام هذا اللفظ في معرض التقرير والإثبات لئلا يُفهم منه أنه يثبت التطور الإلحادي الذي جاء به داروين والذي تروج له حركة «العصر الجديد».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣١/٤، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، برقم (٣٣٢٦).

(٥) Render Unto Darwin-James H. Fetzer: 40.

الخلايا الأحادية إلى حيوانات معقدة، وتحول القردة إلى بشر. وهذا النوع ظاهر المخالفة لما جاء به الشرع، وهو مخالف للعقل والمنطق أيضاً.

أما مخالفة «نظرية التطور» للشرع فلما تتضمنه من مصادمة النصوص وإنكار لعقيدة الخلق. فقد فصل القرآن في قصة خلق أبي البشر آدم ﷺ، وهبوطه إلى الأرض، ووصف مادة خلقه بأدق التفاصيل، ولم يشر في موضع إلى أصل حيواني له، بل أكد تكريمه على كل سكان الأرض في غير موضع من القرآن. وشدد ﷺ في نهيه للمسلم بالتشبه بالحيوان في مظهره وسلوكه دلالة على قدره وتكريمه.

كما تكمن مخالفتها للعقل كذلك في اعتمادها على الصدفة عند دارون[١]، وعلى «الوعي» عند حركة «العصر الجديد»[٢]. أما القول بالصدفة فيحكى «عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، «فترسو» بنفسها، وتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟! فقالوا: هذا محال، لا يمكن أبداً! فقال لهم: «إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله، علوه وسفله!» وتحكى هذه الحكاية أيضاً عن غير أبي حنيفة»[٣]. بل يدين دارون نفسه بقوله: «نستطيع أن نقول إن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الادعاء بأن مفصل المحار المدهش هو من صنع كائن عاقل»[٤]. حيث يوضح تناقضه صاحب كتاب «دارون ونظرية التطور» قائلاً: «ولا نستطيع أن نرد ادعاء دارون بعبارة أبلغ وأوجز من عبارته هو. فعندما يذكر أن مفصل أي باب

---

(١) دارون: هو تشارلز دارون، عالم أحياء إنجليزي، ولد في إنجلترا عام ١٨٠٩م، له عدة مؤلفات في شرح نظريته، من أهمها: أصل الأنواع، وسلالة الإنسان. توفي عام ١٨٨٢م.
انظر: موسوعة الفلسفة: عبد الرحمٰن بدوي ٢/ ٤٧٣، ومقدمة أصل الأنواع: تشارلز دارون ص٣١ ـ ٣٦.

(٢) انظر: A Master's Reflection on the History of Humanity-Ramtha (J.Z Knight): 100.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ١/ ٣٥.

(٤) The Autobiography of Charles Darwin and Selected Letters-Francis Darwin: 63.

بسيط هو معمول من قبل إنسان، ولكن المفصل الحي ـ الذي يصفه بأنه «مدهش» ليس إلا نتيجة للصدفة إنما يجيب نفسه بنفسه، ويقع في تناقض صارخ يندر أن يشاهد في دنيا العلم»[١]، بل إن التفسير بالصدفة هو تفسير جبان، وهروب من أي تفسير يحتاج إلى إعمال العقل. كما يبقى السؤال عمن أوجد الوجود الأول، إذ التسلسل في المؤثرين ممتنع عقلاً، ولا بد أن يصل إلى نهاية.

وتأتي حركة «العصر الجديد» لتفسر التطور بأنه نتيجة لتأثير الوعي، وهذا مخالف للشرع والعقل كسابقه. أما مخالفته للشرع فهي تماماً كالذي تقرر في الرد على القائلين بالصدفة، غير أنه يزيد على ذلك شرك إضافي، فإن الوعي إذا نسب للإنسان، وكان تحت تصرفه، كان الباعث على الوجود هو الإنسان، وهذا شرك ظاهر في الربوبية لما فيه من إثبات الخلق استقلالاً لغير الله ﷻ. فإن قيل إن الوعي وجود مستقل عن الإنسان، وهو الذي يتحكم بمجريات الكون، قيل إن الوعي صفة عرضية لا بد أن تقوم بغيرها، وهو معنى مطلق لا يمكن أن يكون له وجود في الخارج إلا عند التقييد، كما هو الحال في السمع والبصر مثلاً. فلا وجود للسمع مستقلاً عن السامع، ولا وجود للبصر مستقلاً عن المبصر، وكذلك لا وجود للوعي مستقلاً عن الواعي. ومن هنا تأتي مناقضة هذا القول للعقل. فهو إما أن يُنسب إلى فاعل، فيكون ذلك الفاعل هو الخالق من دون الله، أو أن لا ينسب إلى أحد فيكون الباعث على الوجود عدماً، فيرجع قولهم إلى قول القائلين بالصدفة.

هذا، وقد أطال الباحثون في الرد على نظرية التطور من النواحي العلمية التجريبية، ومن الناحية الشرعية، فلتراجع في مظانها[٢].

---

(١) دارون ونظرية التطور: شمس الدين بلوت ص١٦.

(٢) انظر (مثلاً): هدم نظرية التطور: هارون يحيي، وآذان الأنعام في الخلق والتطور: عماد بابكر، ودارون ونظرية التطور: شمس الدين بلوت.

الفصل الثاني

الاتحاد ووحدة الوجود

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بوحدة الوجود في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مذاهب القائلين بوحدة الوجود.

المبحث الثالث: وحدة الوجود عند حركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: لوازم القول بوحدة الوجود ونقضه للعقيدة الإسلامية.

المبحث الأول

وحدة الوجود في اللغة والاصطلاح

ظهر الميل نحو وحدة الوجود (Pantheism) في كثير من المذاهب الفلسفية الشرقية والغربية قديمها وحديثها، وهو تعبير عن اختزال الوجود في موجود واحد يختلف باختلاف القائلين به. ظهر هذا المذهب الفلسفي نتيجة إقحام الفكر البشري فيما لا يُحسن مع غياب نور الوحي وهَدْي النبوة. وهو ـ بلا شك ـ من أبرز العقائد التي تبنتها حركة «العصر الجديد» وأخطرها. ولذلك سأبدأ هذا المبحث بالتعريف بوحدة الوجود عموماً ليتضح للقارئ مدى خطورة هذا المذهب الإلحادي، ثم أوضح موقف حركة «العصر الجديد» منه، وأختم بنقض هذا المعتقد في ضوء العقيدة الإسلامية.

الوَحدة في اللغة:

الوَحدة مصدر، أصله: وحَد؛ أي: جعله واحداً. و«الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد»[1]، «والواحد بُني على انقطاع النظير، وعَوَزِ

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس ٦/ ٩٠.

المثل»[١]. «ومتوحد؛ أي: منفرد»[٢]، و«الوَحدة: الانفراد»[٣].

فالمعنى دائر حول الانفراد وعدم الكثرة.

الوجود في اللغة:

الوجود: مصدر أصله وَجَد. «وهو لغة يطلق على الذات»[٤]. «ووُجد: من العدم - كعُنِيَ - فهو موجود، ولا يقال: وجده الله تعالى، وإنما يقال: أوجده»[٥]. فالوجود هو الثبوت والحصول، ومعناه مقابل للعدم.

أما تصور الوجود فهو «أمرٌ يُدرك بالبديهة، ولا تزيده التعريفات الموضوعة له إلا غموضاً؛ لأن معناه أعرف عند الناس من جميع تعريفاته»[٦].

وحدة الوجود:

وَحدة الوجود هو مركب لفظي يحمل مفهوماً اصطلاحياً يمكن توضيحه من جهتين أساسيتين:

١ - وحدة الوجود عند من يؤمن بوجود الإلٰه:

ويمكن تلخيص هذا المذهب في قولهم: إن الإلٰه والعالم حقيقة واحدة، فالإلٰه هو الموجود الحق، ولا موجود سواه. أما ما عداه فهي أعراض ومظاهر، أو مجرد تجليات وفيوضات مستمدة منه[٧]. فالإلٰه هو كل شيء، وكل شيء هو الإلٰه[٨].

وهؤلاء هم - في الغالب - من الذين ينتسبون إلى الأديان ذات الأصول السماوية، حيث لا يستطيعون التنصل من فكرة «الإلٰه» المتأصلة في الدين، وفي

---

(١) لسان العرب: ابن منظور ٣/٤٤٨.

(٢) المرجع السابق ٣/٤٤٨، وانظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص٤١٤.

(٣) مختار الصحاح: الرازي ص٢٩٦، وانظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص٣٢٤.

(٤) الكليات: أبو البقاء الكفوي ص٩٢٤.

(٥) القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص٣٢٤.

(٦) وحدة الوجود الخفية: د. أحمد القصيِّر ١/٢٤.

(٧) المعجم الفلسفي ص٢١٢: مجمع اللغة العربية (مختصراً).

(٨) The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 360043. üÌÄi¤

الوقت ذاته يعتقدون فيه اعتقادات تناقض أبسط مبادئ الربوبية. ومنهم ـ كذلك ـ أتباع بعض المذاهب الهندوسية، والديانة الطاوية التي تعتقد بإله، أو بآلهة متعددة[١]. إلا أن الإله الذي يعترف به القائلون بوحدة الوجود هذه لا يحمل المعنى الذهني المتبادر عند إطلاقه، فمفهومهم للإله مختلف عنه تماماً، وعندما يقولون: الإله والكون واحد، فالمراد (بالإله) مبدأ متجاوز لا شخصي، وهو ليس ذاتاً مستقلة قائم بنفسه، مباين لخلقه[٢]، وإلا لما أمكن القول بأنه متوحد مع الكون نظراً لامتناع ذلك عقلاً.

لقد تحولت الفكرة عن «الإله» من رب، خالق، معبود، منزه عن صفات المخلوقين، إلى وجود مطلق، متجلٍ في تلك المخلوقات، ومتجسدٍ فيها. وقد تفرع عن هذا القول قولان:

- أن الموجود الحق هو الإله، وأن العالم ليس إلا مظهراً لذلك الوجود.
- أن العالم هو الموجود الحق، وأن الإله ليس سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم[٣].

٢ ـ وحدة الوجود عند من لا يؤمن بالإله:

وهؤلاء رغم اشتراكهم مع من ذكرنا في أساسيات المذهب، إلا أنهم لا يجعلون الموجودات صوراً أو تجليات لـ «إله»، فالإله يحمل من معاني القدسية والعبودية ما لا ينطبق على المطلق الكلي في المذاهب الإلحادية. ومع ذلك، فإن الإله عند أولئك لا يكاد يختلف عن مطلق هؤلاء إلا في التسمية.

والمقصود: أن وحدة الوجود هي تعبير عن «أيِّ نظريةٍ تقول بوجود جوهر واحد فحسب، أو عالم واحد، أو أن الواقع الخارجي واحد بمعنى ما؛ أي: أنه

---

(١) قد تكون هذه الآلهة هي مظاهر مختلفة لمبدأ كلي مطلق، أو تجليات لإله واحد يحمل نفس صفات المطلق.

(٢) انظر: Pantheism: A Non-Theistic Concept of Daity: 27-Michael P. Levine.

(٣) المعجم الفلسفي ٢/٥٦٩: د. جميل صليبا (بتصرف)، وانظر: The Columbia Encyclopeida: 36043.

ولا فرق بين هذا القول وبين قول من لا يقر بالإله، إلا أن هذا يستخدم لفظ «الإله» ليعبر عن معتقده الإلحادي. وهي محاولة فاشلة للتوفيق بين الدين الذي يعترف بإله والمذاهب المادية المنكرة له.

لا يتغير ولا ينقسم، ولا يتمايز»[١]، فهو مذهب يشمل كل من يعتقد أن العالم ليس إلا حالة أو مظهراً للواحد الكلي أو الكائن المطلق الذي ليس له وجود منفصل عنه[٢].

وعلى كل حال، فإن الاعتقاد بأنه ما ثمة إلا وجود واحد هو المراد بوحدة الوجود، بغض النظر عن ماهية هذا الموجود وحقيقته. ولكني أحببت أن أشير إلى هذا الخلاف الذي هو ـ في نظري ـ صوري، لئلا يُظن أنه اختلاف معتبر.

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٥٣٤، إشراف: د. زكي نجيب محمود.
وهذا الذي أثبته هو تعريف للواحدية، وهي لفظة تطلق على مذهب «وحدة الوجود» أحياناً. انظر: المعجم الفلسفي ص٢٠٩: مجمع اللغة العربية، والمعجم الفلسفي ٢/ ٥٧٠: جميل صليبا.
ورغم أن الواحدية تستخدم غالباً في الفلسفة الغربية المعاصرة، ولها عندهم مدلول خاص قد لا تنطبق تفاصيله مع جميع مذاهب وحدة الوجود، إلا أن التعريف الوارد في الموسوعة لا يعبر عن هذه الخصوصية، فرأيت إثباته كتعريف لمذهب وحدة الوجود بشكل عام.

(٢) انظر: Dictionary of Philosophy and Psychology 2/256-edited by: James Mark Baldwin.

المبحث الثاني

مذاهب القائلين بوحدة الوجود في طبيعة العالم

اختلفت نظرة القائلين بوحدة الوجود لمفردات الكون الظاهرة، أو ما يُعرف بـ «العالَم» ـ بعد أن اتفقوا على أن الوجود الحق واحد ـ إلى عدة أقوال، من أهمها ما يلي:

١ ـ نفي العالم:

ويرى أصحاب هذه الفكرة أن الطبيعة، وجميع أشكال الوجود ما هي إلا أوهام وخيالات، ووجودها وجود ذهني، ولذلك اعتُبرت الموجودات صوراً عقلية للإله ـ لمن يعتقد بوجوده ـ أو الجوهر الكلي لمن لا يؤمن بالإله[1].

٢ ـ إثبات العالم كعين وجود الـ«واحد»[2]:

فالعالم ـ وفقاً لهذا الرأي ـ موجود حقيقة وليس وهماً، ولكنه عين وجود

---

(١) انظر: فلسفة وحدة الوجود: د. حسن قريب الله ص١٦، ومجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢/ ١٧٠، ونشأة الفلسفة وتطورها: عرفان فتاح ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٢) سأستخدم لفظ «الواحد» للتعبير عن المبدأ الكلي الذي هو الإله عند بعضهم والحقيقة المطلقة عند الآخرين اختصاراً...

الإله[١]، أو المطلق.

٣ ـ إثبات العالم كصور ومظاهر للـ«واحد»:

وقد أفردته لكثرة التعبير به، وإلا فإنه ـ عند التحقيق ـ لا بد أن يرجع إلى أحد القولين السابقين. وخلاصة هذا القول أن الوجود واحد، والكثرة ظاهرية، حيث إن العالم ليس إلا مظهراً من مظاهر «الواحد» المطلق[٢]. ثم إن هذه المظاهر والصور قد تعتبر ذهنية، فيُلحق هذا القول بالقول بنفي العالم. وقد تعتبر المظاهر هي عين «الواحد» فيُلحق بذلك الرأي.

٤ ـ النظرة الثنائية النسبية للوجود:

وهنا نجد اعترافاً بثنائية الوجود، بحيث يعتبر وجود العالم مفارق لوجود الإله ابتداءً، ولكن لما كان «الإله» متحداً بالعالم اتحاداً لا يمكن معه التمايز، أو حالاً فيه حلولاً مفضٍ إلى الاتحاد، كان هذا القول ـ في حقيقته ـ قولاً بوحدة الوجود. فإنه مع هذا القول لا يمكن تعيين وجودين متباينين في الواقع؛ لأن الوجودين امتزجا، واختلطا، حتى أصبحا وجوداً واحداً[٣].

وهذا القول ـ رغم خطورته ـ إلا أنه يعد أقل كفراً من القولين السابقين، فهو يعترف بوجود للإله متميز عن وجود العالم، وإلا لما أمكن أن يحل فيه أو يتحد به. ولذلك قيل في الاتحاد أنه: «تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً»[٤]، وقيل: «الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً، لاتصال نهايات الاتحاد»[٥]. أما الحلول، فيطلق على معنيين:

١ ـ «**الحلول السرياني**: (وهو)[٦] عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون

---

(١) انظر: فلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله ص١٧ ـ ١٨، ومجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢/ ١٤٠.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: إشراف: د. زكي نجيب محمود ص٥٣٥.

(٣) الفكر الشرقي: د. يونج شوون كيم ص٣٥.

(٤) التعريفات: الجرجاني ص٨.

(٥) المرجع السابق ص٩، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٨٧.

(٦) زيادة من الباحثة يقتضيها السياق.

الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً والمسري محلاً»، وهو قريب من القول بوحدة الوجود.

٢ ـ «**الحلول الجواري**: (وهو)[١] عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز»[٢]. وهذا مع بطلانه الظاهر في حق الإلٰه، إلا أنه لا يفضي إلى القول بوحدة الوجود.

٥ ـ أن العالم جزء من الإلٰه:

وهذا المذهب هو المعروف بمذهب: «الكل في الإلٰه» (Panentheism)، وهو «محاولة للجمع بين الاعتقاد بوجود إلٰه، ووحدة الوجود، والاعتقاد بأن الإلٰه ليس هو العالم ولا هو خارج عنه، بل إن العالم في الإلٰه، بينما يتجاوز هو حدود العالم»[٣].

يتضح من العرض السابق أن اختلاف الأقوال في طبيعة العالم ليس اختلافاً جوهرياً يؤدي إلى اختلاف في الحكم أو النتائج، فرغم تفاوت الأقوال في الغلو إلا أن المحصلة في النهاية واحدة، وهي إنكار وجود إلٰه قائم بذاته، مستقل بصفاته، بائن من خلقه، ليس مختلطاً ولا حالاً بهم. وهذا القول ـ بغض النظر عن التفاصيل ـ هو كفر بالله لا يصح معه إيمان.

---

(١) زيادة من الباحثة يقتضيها السياق.

(٢) التعريفات: الجرجاني ص٩٢، وانظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) Dictionary of Philosophy and Psychology-James Mark Baldwin 2/255.

المبحث الثالث

وحدة الوجود في حركة «العصر الجديد»

لقد كانت عقيدة وحدة الوجود من أبرز العقائد التي تبنتها جميع المذاهب والأديان التي تعتبر سلفاً لحركة «العصر الجديد»، سواء في أصولها الشرقية أو الغربية. فهذه العقيدة الإلحادية هي العامل المشترك بين الهندوسية[1]، والطاوية[2]، والبوذية[3]، وبين الهرمسية[4]، والغنوصية[5]، والأفلاطونية المحدثة[6]، مروراً بالثيوصوفي[7]، وحركة «الفكر الجديد»[8]، والقدرات البشرية

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى: أحمد شلبي: ٧٢، والفلسفة في الهند: علي زيعور ص١٣٢، فصول في أديان الهند: الأعظمي ص٤٥.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي ص٢٥٣.

(٣) انظر: الفكر الشرقي ص٧٨ ـ ٨٠: د. يونج شوون كيم.

(٤) انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص٤٢.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٦، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٢٣٣.

(٦) انظر: مع الفلسفة اليونانية: مرحبا ص٣٣٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص٢٩٠، وموسوعة الفلسفة: عبد الرحمٰن بدوي ١/٢٠١.

(٧) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Sellon & Weber: 311.

(٨) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 133.

الكامنة[١]، وعدد من المذاهب الفكرية المعاصرة، كلها تصرح بأن الوجود الحق واحد، وأنه لا فرق بين خالقٍ ومخلوق.

ثم تأتي حركة «العصر الجديد» لتؤكد هذا المعتقد وترسخه بطرق عصرية متنوعة[٢]، بل إن جل أفكار الحركة قائمة على وحدة الوجود ومتفرعة عنه. تتنوع صور هذه العقيدة عند الحركة وإن كانت كلها تفضي إلى نتيجة موحدة، هي إنكار وجود خالق مباين للعالم له وجود مستقل عنه.

مذاهب حركة «العصر الجديد» في اعتقادهم بوحدة الوجود:

يمكن تلخيص أنواع وحدة الوجود التي تتبناها الحركة في النقاط التالية:

١ ـ **وحدة الوجود النفوذية**: وأشهر صورها الغربية: بوذية زن، التي ظهرت في الغرب في الخمسينات والستينات من القرن العشرين للميلاد. وهي الاعتقاد بوجود مبدأ مطلق واحد، ينفذ، ويتخلل، وتخترق الواقع كله. والمطلق عندهم خال من الأوصاف، وهو فراغ متجاوز لكل ثنائية كالخالق والمخلوق، أو النسبي والمطلق. أما العالم ـ مع اعترافهم بتعدده ـ فلا حقيقة له تتعدى المظاهر[٣].

٢ ـ **وحدة الوجود المطلقة**: وهي المنسوبة لفلسفة شانكارا[٤] الهندوسية، تقوم على نفي الثنائية، فالوجود كله وحدة واحدة غير قابلة لأي نوع من التمايز، وهي ذات الـ براهمان أو المطلق، أو هي عين الإلٰه. أما العالم المادي فهو كالحلم، لا حقيقة له إلا من منظور الرائي، وعندما يستيقظ يدرك أن ما رآه وهم. وهنا لا مكان لعقيدة الخلق، حيث إن «الإلٰه» لا وجود له منفصل عن العالم ـ بل هو ذاته[٥].

---

(١) انـظـر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 42, and Humanistic and Transpersonal Psychology-Donald Moss: 33.

(٢) يأتي تفصيلها في الباب الأخير بإذن الله.

(٣) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: (17-35).

(٤) **شانكارا**: هو المعلم الهندوسي الذي قام بوضع نظرية الـ أدفيتا فيدانتا (Advaita Vedanta) ذات التفسير الواحدي (وحدة وجود) لنصوص الفيدات والنصوص الهندوسية. ولد في الهند في أسرة برهمية في عام ٧٠٠ للميلاد تقريباً. وتوفي بعدها بخمسين عاماً. انظر: Philosophers and Religious Leaders-Christian D. Von Dehsen: 175.

(٥) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisier: (37-56).

٣ ـ **وحدة الوجود متعددة المستويات**: وهي التي تنسب إلى رادهاكرشنن[١] (Radhakrishnan)، استُمدت من نفس مصدر فلسفة شانكارا غير أنها تختلف باعترافها بمستويات متعددة للوجود، فالعالم له وجود حقيقي، هو وجود الـ براهمان المطلق، ثم يتركون السؤال عن العلاقة بين الـ براهمان والوجود بلا إجابة. فالعالم ليس عدماً، وليس وهماً، بل هو مظاهر لـ«الإلٰه» الذي يتجلى في مستويات متعددة من الوجود[٢].

٤ ـ **وحدة الوجود الفيضية**: وهي النابعة من الفلسفة اليونانية، حيث يُعتقد أن ثمة مصدراً واحداً يكمن وراء الوجود كله، وليس العالم سوى فيض فاض عنه لا ينقص من وجوده شيء[٣].

٥ ـ **وحدة الوجود الشكلية عند سبينوزا**: وفيها أن كل موجود يعتبر شكلاً من أشكال «الإلٰه» أو الطبيعة، فهما عنده شيء واحد، فـ«الإلٰه» يوجد على أشكال متنوعة من الوجود، ومن مناظير مختلفة، ولا يمكن أن يوجد شيء ليس هو الإلٰه، فلا وجود للمادة التي ليست هو[٤].

إن صور وحدة الوجود المتنوعة لا تتضمن ـ في الواقع ـ اختلافاً جوهرياً، بل إن اختلافها يكاد يكون صورياً، وهي جميعاً تشترك في الأفكار التالية:

١ ـ **أن الوجود واحد**: وهو «الإلٰه» أو المطلق الذي له تسميات مختلفة، ولا وجود لشيء سواه. وهم بذلك يجعلون الإلٰه محلاً للمتناقضات، كالخير، والشر، والوجود، والعدم.

٢ ـ **أن «الإلٰه» مطلق**: مما يجعله رهين الذهن، فإن عدم الإطلاق؛ يعني: الثنائية والمباينة وهم ينكرونها.

٣ ـ **الإيجاد الاضطراري**: فهم وإن تحدثوا عن الخلق فإنهم لا يعتقدونه

---

(١) رادهاكرشنن: فيلسوف هندوسي، تولى رئاسة الهند من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧م، كانت له فلسفة خاصة تدعو إلى التوفيق بين الأديان. له عدد من المؤلفات. توفي في ١٩٧٥م.
The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 11231

(٢) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: (57-74).

(٣) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: (75-92).

(٤) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: (93-114).

حقيقة؛ لأن الخلق يلزم منه التباين. فالقائلون بوحدة الوجود يرون الخلق عملية اضطرارية، وليست خاضعة للاختيار.

٤ ـ **الإيجاد من ذات «الإلٰه»**: فالوجود صادر عن الذات الإلٰهية وهو من نفس مادته.

٥ ـ **تأليه الإنسان**: حيث لا فرق بينه وبين الإلٰه.

٦ ـ **إنكار حقيقة العالم**: حيث يعتبر العالم عند أصحاب وحدة الوجود وهماً أو عدماً، وحتى من أقر بوجود حقيقي للعالم جعل هذا الوجود ثابت من وجهة نظر معينة فقط، كالذي يحلم أو يتخيل[1].

توظف حركة «العصر الجديد» عدداً من الفلسفات القديمة في إحياء عقيدة وحدة الوجود، ربما تكون تلك الفلسفات أقل وضوحاً ـ خاصة عند غير المختصين ـ من التصريح بوحدة الوجود، فلا تتصادم بشكل واضح مع معتقدات العوام في العالم والإلٰه. وبذلك يكون التدرج في سلب المؤمن من اعتقاده، دون معارضة منه، أو استنكار. ومن أبرز تلك الفلسفات: فلسفة الـ ين يانغ، وفلسفة الطاقة الكونية. وفي ما يلي عرض موجز للفلسفتين، وتعلقهما بعقيدة وحدة الوجود:

١ ـ فلسفة ال ين يانغ ووحدة الوجود:

تعتبر فلسفة الـ ين يانغ الطاوية إحدى الصور المعبرة عن مذهب وحدة الوجود بشكل جلي، فالـ ين يانغ ليست سوى صور للـ طايجي[2]، وكل ما في الوجود هو من تجليات الـ ين يانغ، وبذلك يكون كل ما في الكون هو الـ طايجي، فليس ثمة إلا وجود واحد. ولذلك يقول جورج أوشاوا (George Ohsawa)[3]: «بأن عالمنا، ووجودنا، والحياة، ليست إلا شرارة أطلقها احتكاك

---

(١) انظر: .Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: (118-120)

(٢) **طايجي**: المبدأ الأول الذي لا يمكن إدراكه قبل تجليه في أفعال الـ ين يانغ.
انظر: المبدأ الفريد ص٣٢ ـ ٣٤، جورج أوشاوا.

(٣) **جورج أوشاوا**: واسمه الحقيقي هو يوكي ساكورازاوا (Joichi Sakurazawa)، ولد عام ١٨٩٣م في كيوتو عاصمة اليابان القديمة. أمضى ثلاثين سنة من عمره لنشر الثقافة الشرقية في أوروبا. يعد مؤسس نظام الـ ماكروبايوتك وناشر فلسفته، يُذكر أن له أكثر من ثلاثمئة =

نشاطي ين، ويانغ من قلب الـ طايجي... ووجودنا المادي يبدأ ما إن يتم استقطاب الـ طايجي[١]... ثم ينتهي كل ذلك في اتحاد جديد، إلا أن وجودنا الروحي لا ينفك عن الوجود، إنه طايجي نفسه... طايجي ونحن الكائنات، لسنا سوى واحد. وهنا تكمن ذهنية الإيمان(!)»[٢].

ووفقاً لهذا الفلسفة، تصنف الموجودات إلى ين ويانغ، بينما الـ ين يانغ هما وجهان لعملة واحدة[٣]، وهما في النهاية شيء واحد. ولذلك كانت نتيجة هذا التصنيف أن الأشياء التي هي في ظاهرها متناقضة، هي ـ في الواقع ـ متحدة، بل هي شيء واحد غير مختلف.

٢ ـ الطاقة الكونية[٤] ووحدة الوجود:

تعد الطاقة الكونية في الفكر الصيني ـ وعند حركة «العصر الجديد» ـ هي الواحد المتولد عن الـ طاو، وهي من صوره[٥]، فكل ما في الكون هو تلك الطاقة، كما تعتبر الطاقة هي الحقيقة المطلقة[٦]، وتعتبر المادة طاقة مكثفة[٧].

كما يُعتقد إمكانية اكتساب كميات كبيرة من الطاقة الكونية عبر الاتصال بالذات الإلهية[٨]، حيث يعتقد بعضهم بأن الطاقة هي الـ (أنا العليا)، ومن ثم يمكن الارتقاء بالوعي الإنساني حتى تتواصل خلاياه بالطاقة الكونية فتصبح خلايا كونية غير منعزلة وغير محدودة[٩]، فيدرك عندها الإنسان أن كل ما في الوجود

= كتاب لم يطبع منها سوى عشرة. توفي عام ١٩٦٦م.
انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة (المقدمة): جورج أوشاوا ص١٠٥.

(١) استقطاب الـ طايجي: أي تحوله إلى القطبين الـ ين والـ يانغ.

(٢) المبدأ الفريد: جورج أوشاوا ص٦٠ ـ ٦١، وانظر: نفس المرجع ص٣٢، ٤٤.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٥.

(٤) وتسمى: الطاقة الحيوية، وقوة الحياة، وطاقة الحياة، والنفس، وقوة الشفاء، وبرانا (في الهندوسية والبوذية)، وتشي (في الصين)، وكي (في اليابان).
انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: للباحثة ص٢٢٠.

(٥) انظر: Taoism: Growth of a Religion-Isabelle Robint: 7.

(٦) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching-Kohn & Lafaragues: 94.

(٧) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد ص١١.

(٨) انظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان حمرة ص١٥٦.

(٩) طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٦ (بتصرف يسير).

هي مظاهر لشيء واحد[١].

إن استخدام الألفاظ الملبسة، والفلسفات الغامضة، في التعبير عن وحدة الوجود، يكون ـ غالباً ـ عند التطبيق، أما عند التنظير فإننا نجد أن أعلام حركة «العصر الجديد» لا يجبنون عن التصريح بالمعتقد القبيح. ويجعلونه الحقيقة التي لا بد لكل أحد من إدراكها، ثم إنهم يعبرون عن هذا الوجود بـ «الإلٰه» إمعاناً في الكفر والضلال.

تقول آلس بيلي موضحة مفهوم الإلٰه عندهم: «نستخدم مصطلح «الإلٰه» للدلالة على ما يعبر عنه بالحياة الواحدة، التي تكمن في جميع الأشكال بالعالم الخارجي المحسوس»[٢].

ويؤكد ديفيد سبانغلر ـ المتحدث بلسان حركة «العصر الجديد» ـ هذا المفهوم قائلاً: «إن الإلٰه هو كل ما في الوجود. فيه لا يوجد نقص. إنه هو الحقيقة»[٣]. ويقول في موضع آخر: ديفيد سبانغلر: «يكمن سر التجلي في الاعتراف بأن الإلٰه بكليته هو الحقيقة الوحيدة.. الإلٰه هو كل ما في الوجود.. ومن خلال التوحد مع الإلٰه، أكون متوحداً بكل شيء، ومن خلال هذه الوحدة يمكنني أن أكون المظهر الأعظم»[٤].

أما رامثا (جي زي نايت) فيصرح بأن: «ما تسمونه الإلٰه ليس سوى فهم غير محدود، فكر، العلة الأولى، وأساس كل الحياة. كل ما هو كائن، وكل ما كان، وكل ما سيكون مستمد من الفكر»[٥]. وأن «كل ما تراه حولك يسمى (مادة). الأب هو المادة؛ لأن كل شيء هو الإلٰه»[٦].

---

(١) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد ص١٢٦.

(٢) Telepathy & the Etheric Vehicle-Alic Bailey: 2.

(٣) Laws of Manifestation-David Spangler: 62.

(٤) The Laws of Manifestation-David Spengler 62.

الإظهار، التجلية، والتجسيد هي تعبيرات عن كلمة Manifest ويراد به تحكم الإنسان بحياته وقدره، وسيأتي التفصيل فيه عند الحديث عن قانون الجذب في الباب الثالث بإذن الله.

انظر: Laws of Manifestation-David Spangler: 56.

(٥) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 115.

(٦) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 118.

فالإله الذي يريده هؤلاء ليس سوى وجود مطلق لا حقيقة له خارج الذهن، وإن اعتقد بعضهم بوجود إله مشخص فإنه يعتبر أعلى درجات الوجود المادي، ولكنه لا يزال دون الوجود المطلق الذي منه جاء الوجود كله الإله والعالم على حد سواء[١].

إن الذات الإلهية عند حركة «العصر الجديد» ـ أو الروح الكونية كما يُعبر عنها بعضهم ـ تتشكل في المادة لتخوض تجربة الوجود المادي، كما هو ظاهر في قول دياك شوبرا: «إن العالم المادي ليس سوى الروح الكونية منعطفة على ذاتها، لتخوض تجربة الروح والعقل والمادة. وبتعبير آخر: جميع عمليات التكوين هي عمليات تعبر فيها الروح الكونية أو الذات الإلهية عن نفسها»[٢].

وفي الكتاب الأبيض المنسوب لـ رامثا: «في لحظة حب وُلدتم جميعاً، عندما توصل الإله إلى الوجود والعظمة من خلال الحب، أصبحتم جميعاً ذلك الشيء الذي تشكل الإله إليه»[٣].

أما الوجود المادي في فكر الحركة فليس له وجود مفارق «للإله»، وإن لم يكن العالم يدرك تلك الوحدة، كما يقول إكهارت تولي: «تعيش الطبيعة في حالة من الوحدة غير الواعية مع الكل»[٤]. ويصرح في موضع آخر: بـ «وحدة الإنسان مع كل «آخر» بالإضافة إلى المصدر»[٥]، و«المصدر» عند تولي هو ذاته الإله[٦]. وليس للعالم وجود حقيقي في رأي آني بيسانت، فهي تقول في كتاب «دراسة في الوعي»: «عندما ندرك وحدتنا مع حاكمنا، لا يعود للمادة قوة علينا، فنراها على حقيقتها، وأنها ليست حقيقية»[٧].

ويلحظ القارئ في فكر حركة «العصر الجديد» أنه مع الاعتقاد بوحدة الوجود فإنهم يسعون إلى تحقيق التوحد مع المطلق، والذي يعبر عنه بالاستنارة

---

(١) انظر: Initation-Alice Bailey: 195.

(٢) The Spiritual Laws of Succes-Deepak Chopra: vi.

(٣) The White Book-Ramtha: 115.

(٤) A New Earth-Eckhart Tolle: 167.

(٥) A New Earth-Eckhart Tolle: 22.

(٦) انظر: A New Earth-Eckhart Tolle: 79.

(٧) A Study in Conciousness-Annie Besant: 40.

تارة، وبالإشراق تارة أخرى، وهم يريدون بذلك: إما «ممارسة» الوحدة من خلال التجربة الذاتية، والإحساس بها، أو «إدراك» الوحدة الموجودة أصلاً[١]. وهو كما قال شيخ الإسلام معنى الاتحاد عند القائلين بوحدة الوجود: «الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف، أو الكثرة العينية صارت وحدة إطلاقية»[٢].

وعندما تتحدث آليس بيلي عن المراحل الخمس التي يمر بها السالك حال «التأهيل»، تصف المرحلة الأولى ـ والتي تحدث في المراحل الأخيرة من التناسخ ـ بأنها تلك التي يصبح فيها «يعي الفرق بين الحقيقة والزيف، وينمو الإدراك في عقله بأنه وجود خالد، إلٰه أبدي، وجزء من الـ لا نهاية»[٣].

كما لا يقف ديباك شوبرا عند ما انتهت إليه نظرية دارون في تطور النشأة البشرية، فالإنسان لم يصل بعد أعلى سلم الحياة، بل العالم كله في تطور مستمر يهدف إلى التحرر، ومقصده النهائي هو تحقيق الحرية الكاملة[٤]. ويبين معنى هذه الحرية بقوله: «إن البحث عن الاستنارة هو بحث عن ذاتك الحقيقة... موطنك هو مكان الحب العميق، السلام، والسعادة. عندما تعود إلى هناك ستجد نفسك واحداً مع الإلٰه. وفي تلك اللحظة ستدرك أن رغبتك في السعادة لم تكن سوى البداية. لقد كانت أعمق رغباتك هي للحرية التي تأتي مع اليقظة التامة»[٥]. وبعبارة أكثر صراحة ووضوحاً: «خلف التنوع غير المحدود في الحياة، تكمن وحدة روح واحدة، منتشرة في كل مكان»[٦].

ويقول رالف إمرسن متحدثاً عن الطبيعة وعلاقة الإنسان بها: «بينما أقف على الأرض العارية، ورأسي يسبح في الهواء الطلق، مرتفعاً في المساحة غير المنتهية ـ تتلاشى كل معاني الـ أنا. أُصبحُ أعيُناً شفافة، أُصبح لا شيء، أرى كل شيء تدور بداخلي تيارات الوجود الكوني، أنا جزء من الإلٰه، أو جزيء منه»[٧].

---

(١) انظر: تاريخ التصوف الإسلامي: د. عبد الرحمٰن بدوي ص٢٢.

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٥.

(٣) Initiation-Alice Bailey: 102.

(٤) انظر: Reinventing the Body-Deppak Chopra: 219.

(٥) The Ultimate Happiness Prescription-Deepak Chopra: 119.

(٦) The Seven Spirtual Laws of Success-Deepak Chopra: 2.

(٧) Essays & Lectures-Ralph Emerson: 9.

ويقول في وصف العالم: «إنه تجسيد دوني بعيد للإله، إسقاط له في الـ لا وعي»[١].

ثم يهاجم ديفد سبانغلر المعتقدات الدينية التي تخالف التوجهات الباطنية لحركة «العصر الجديد»، فتؤمن بخالق بائن عن الخلق، ويسفه القائلين بها، مقرراً أن الطريقة الأعلم هي طريقة القائلين بوحدة الوجود، فهو يقول: «ولا يزال الإيمان الأعمى، رغم قوته وتأثيره، لا يزال يعتقد أن الإله والإنسان وجودان مفترقان، وأن الأخير معتمد على الأول. وهنا يكون للإيمان محدودية متأصلة. ولكن عند تعلم الاستخدام الصحيح للعقل يبدأ الإنسان بإدراك قواه الإلهية، وقربه الجوهري من الإله. تصبح وحدة الكون أكثر واقعية، وتصبح المقولة الهرمسية (ما في الدِّنُو كما في العُلُو) مفتاحاً للعلم»[٢].

عند تأمل عقيدة وحدة الوجود، يجد الباحث أن القول بوحدة الأديان نتيجة حتمية للقول بها[٣]. ورغم أن حركة «العصر الجديد» تتقبل جميع الأديان على أنها حق نسبي[٤]، إلا أن سعة الأفق هذه لا تطال أشكال التدين المنظم، أو الأديان ذات الأصول السماوية التي تعتقد بأن الحق واحد، وأن الخالق ليس هو المخلوق. ولذلك تقول بلافاتسكي في (العقيدة السرية): «إن الفلسفات الباطنية لا تنكر وجود إله ذي مبدأ مطلق في الطبيعة، وإنما ترفض تقبل أي من آلهة الديانات التي تدَّعي أنها توحيدية، الآلهة التي اخترعها الإنسان على شاكلته، في تصوير كفري مؤسف لذاك الذي لا يمكن معرفته»[٥].

بينما يرى إكهارت تولي أن تلك الأديان هي سبب الفرقة والألم، وأنها استخدمت في تخطئة الآخرين ومعاداتهم، فهو يقول: «أصبحت الأديان، إلى حد كبير، قوى للتفريق، لا قوى للجمع. وبدلاً من أن تنهي العنف والكراهية من خلال إدراك الوحدة المتأصلة في الحياة، جلبت المزيد من العنف والبغضاء... أصبحت مبادئ وأنظمة عقائدية يتعرف عليها الناس، ومن ثم يستخدمونها في تدعيم فكرة الـ أنا الزائفة. من خلالها أمكنهم اعتبار أنفسهم على صواب،

---

(١) Essays & Lectures-Ralph Emerson: 26.

(٢) Laws of Manifestation-David Spangler: 74.

(٣) انظر: مصرع التصوف: البقاعي ص٢٤١.

(٤) انظر: Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 127.

(٥) The Secret Doctrine-Blavatsky: 11.

والآخرين على باطل، وتحديد هوياتهم من خلال أعدائهم»[١].

للقول بوحدة الأديان في حركة «العصر الجديد» صور متعددة، يتبين فيها تدرج الحركة في عرض هذه الفكرة، فتجد في بعض المواضع الدعوة إلى المحبة، والتسامح، وغياب ملامح الولاء والبراء، يقول ديباك شوبرا: «في الطريق الروحاني تبدأ بالإحساس بالتيار وتنضم إليه بإرادتك، عندئذ ـ وفقط عندئذ ـ يكون الجميع امتداداً لنفسك. كيف تعلم أنك توصلت لهذه النقطة؟ أولاً: أن لا يكون لك أعداء. ثانياً: أن تحس بآلام الآخرين وكأنها آلامك. ثالثاً: أن تدرك أن التعاطف المشترك يربط الجميع»[٢].

ويقول جورج أوساوا رائد الفلسفة الشرقية في العصر الحديث متحدثاً عن الطريق إلى السعادة: «إذا كان على وجه الأرض إنسان واحد، أو شيء واحد لا تحبه، فلن تكون سعيداً أبداً»![٣]. أما مريم نور[٤] ـ سفيرة «العصر الجديد» في العالم العربي ـ فتقول: إن «الله مع الجماعة (!)، هذه هي العائلة المقدسة والمكرسة، كلنا إخوة في الله، نحترم جميع المخلوقات بكل تصرفاتها»[٥].

كما يستهان بالعبادة والشعائر الظاهرة للأديان، والتي تميز كل دين عن الآخر. وفي ذلك يقول تولي: «لقد صنع الإنسان الإله على صورة نفسه. واختُزل الأبدي، الـ لا منتهي، غير القابل للتسمية، في وثن ذهني، تؤمن به،

(١) A New Earth-Eckhart Tolle: 15.

(٢) Reinventing the Body-Deepak Chopra: 224.

(٣) زن ماكروبيوتيك: جورج أوساوا ص٣٩.

(٤) مريم نور: أبرز المروجين لتطبيقات حركة «العصر الجديد» في العالم العربي وأول من نقلها إليه، كالـ يوغا والـ فونغ شوي. ولدت نور في لبنان في أواخر الثلاثينات الميلادية وتنقلت بين عدة بلدان منها الولايات المتحدة ـ حيث حصلت على الجنسية ـ والهند. أنشأت عدة مراكز في الولايات المتحدة، ومؤخراً مركزاً في لبنان يدعى (بيت السلام). ظهرت في العديد من البرامج في الإذاعات والمحطات الفضائية، ولعل بداية شهرتها كانت بعد ظهورها في برنامج (بلا حدود) في قناة الجزيرة الإخبارية. تحمل عقائد صوفية باطنية وخليط من الديانات المختلفة وإن كانت تدعي الانتساب للإسلام. لها عدة مؤلفات منها: أسرار، وسر الأسرار، والخفايا، يظهر فيها التأثر الواضح بالفلسفات الشرقية وعقيدة وحدة الوجود.
تصفح الموقع الرسمي لمركز سلام: www.mariamnour.com/Arabic

(٥) أسرار: مريم نور ص١٨.

وتعبده»[١]، بينما تتساءل مريم نور: «لماذا بنوا المعابد؟ فالطبيعة تسبح الله وليس لها معابد!»[٢].

ولذلك نجد أن التدين المقبول عند حركة «العصر الجديد» هو أي تدين يتبنى الأفكار الباطنية، فالغنوصية النصرانية، والتصوف الإسلامي، والكبالا اليهودية هي التي - بزعمهم - أزالت خرافات الأديان السطحية، وأظهرت حقائقها الباطنية[٣].

(١) A New Earth-Eckhart Tolle: 15.

(٢) الخفايا: مريم نور ص١٠.

(٣) انظر: A New Earth-Eckhart Tolle: 16.

المبحث الرابع

نقد وحدة الوجود ولوازم القول به

لقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على القائلين بوحدة الوجود بعبارة بليغة مختصرة، فقال رحمه الله: «إن تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده، ولا يحتاج - مع حسن التصور - إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة.. بل هم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم»[1].

«وكل من يقبل قول هؤلاء فهو أحد رجلين:

- إما جاهل بحقيقة أمرهم.
- وإما ظالم يريد علواً في الأرض وفساداً»[2].

ومع ذلك، فإنه يلزم الرد عليهم بشيء من التفصيل لئلا تقع شبههم في قلب مؤمن، والرد عليهم سيكون من أربعة أوجه:

١ - رد وحدة الوجود من الشرع.

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٢ - ٤.

(٢) المرجع السابق ص٤.

٢ ـ رد وحدة الوجود عقلاً.

٣ ـ لوازم القول بوحدة الوجود.

٤ ـ تكفير العلماء للقائلين بوحدة الوجود.

وفيما يلي تفصيل هذه الردود:

أولاً: الرد على القائلين بوحدة الوجود من الشرع:

إن القول بوحدة الوجود مناقض لأصل التوحيد، فهو مخالف لتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. حيث يتضمن الإيمان بربوبية الله ﷻ الإيمان بأنه الخالق المالك المدبر، وهو ما لا يمكن أن يتأتى مع القول بوحدة الوجود.

فعندما يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، يميز بين الخالق والمخلوق، فالخالق ليس هو المخلوق، بل إن «الكفار كانوا عارفين للوجود ومغايرته لما سواه، كما أخبر به ﷻ عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [العنكبوت: ٦١، الزخرف: ٩]؛ أي: أوجد العلويات والسفليات من حيز العدم إلى صفحة الوجود، ليقولن الله: أي الذات الواجب الوجود»[1].

وعندما يقول: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، ويقول: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ [المائدة: ١٢٠]، فالمالك لا بد أن يكون مفارقاً للمملوك ليتحقق الملك، كما أن الذي ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] لا يمكن أن يكون هو ذات المدبَّر. أما من يجعل الوجود كله واحد، فالله عندهم لم يخلق، ولا يملك، وليس المدبر.

والقرآن الكريم مليء بالأمر بالعبادة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وهو ما أمرت به الرسل جميعاً، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. كما نهى الرب ﷻ عن الشرك، فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود: القاري ص١٤.

عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨] فمن يعبد غير الله يكون مشركاً حابط العمل، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦]. فهذه النصوص تدل على وجود «غير» الله تبارك وتعالى، وهذا الغير لا تصح عبادته، وهي المسماة بالشرك، ولولا وجود غير الله لما كان شيء من العبادة ـ أياً كانت وجهتها ـ من الشرك؛ لأنها ستكون عبادة لله لا لغيره.

قال شيخ الإسلام: «وذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله، ويجعلون عابده عابداً لغير الله، مشركاً بالله، عادلاً به، جاعلًا له نداً. فإنهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره»[1].

بل تواترت الآيات المثبتة للغير صراحة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤]، وقوله ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

لكن لما كانت الموجودات كلها ـ عند القائلين بوحدة الوجود ـ هي عين الإله وذاته، لم يكن هناك فرق بين من يعبد الله ومن يعبد الشجر، أو الحجر، أو البقر! بل إن فرعون كان مصيباً عندما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، إذ إنه ـ باعتقادهم الفاسد ـ لم يخالف الواقع ولم يقل ما ليس بحق.

هذا، وقد وصف الله نفسه بصفات الكمال، ونزه ذاته عن صفات النقص، فقال عز من قائل واصفاً نفسه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، والناس تتوالد وتتكافأ، وقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والمخلوقات تأخذها السِّنة والنوم، ويقول ﷻ: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، والخلق يعتريهم الضلال والنسيان. «فلا تخلو هذه الكائنات إما أن تكون هي الله، أو غيره، ولا يجوز أن تكون هي الله لأن الله نفى عن نفسه النقائص والتمثيل، فثبت أن النقائص

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٨٢.

صفات لغيره، فانتفت الوحدة»[١].

وقد وصف الله ﷻ نفسه بالعلو، وبالاستواء على العرش، وأخبر أنه ينزل ويجيء، وهي - جميعاً - لا تكون إلا بثبوت المباينة. أما المعية «فهي لا تكون إلا من الطرفين، فإن معناها المقارنة والمصاحبة»[٢]، وذلك لا يكون إلا مع التمايز، فهي دليل عليهم لا لهم[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل المشايخ الذين يُقتدَى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق - سبحانه - مباين للمخلوقات. وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييز الخالق عن المخلوق»[٤].

بل «إن القول بوحدة الوجود هو - عند التأمل - نفي للألوهية وإثبات للكائنات وحدها»[٥]، فإن «وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد بالله»[٦].

ثانياً: الرد على القائلين بوحدة الوجود بالعقل:

إن القول بوجود واحد غير متعدد لا يمكن أن يتقبله عقل سليم، وتصور هذا المذهب - كما قال شيخ الإسلام - كاف في معرفة بطلانه. «المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً، فإن هذا لا يكون إلا للحق، أما الباطل فإذا بين فبيانه يظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه هذا على أحد؟! ويتعجب من اعتقادهم إياه»[٧] ومخالفته تكمن في ثلاثة جوانب:

١ - قولهم بالوجود المطلق:

يرى القائلون بوحدة الوجود أن وجود الرب وجود مطلق شائع، وهو قول

---

(١) وحدة الوجود الخفية: أحمد القصير ص٥٩٠.
(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٩٦.
(٣) وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية وفصل في الرد على هؤلاء في كتاب: حقيقة مذهب الاتحاديين، فليراجع للاستزادة.
(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٠/٢٢٣.
(٥) ركائز الإيمان بين العقل والقلب: محمد الغزالي ص١٢٣.
(٦) المرجع السابق ص١٢٣.
(٧) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٧.

يبطله العقل، فالوجود المطلق بشرط الإطلاق ليس له وجود خارج الذهن، ولا وجود له في الخارج إلا عند التعيين[1]، ومن وصف الرب ﷻ بالإطلاق فقد أنكر وجوده بالكلية.

يقول ابن القيم عن الإلٰه المطلق: «ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الذهن، لا حقيقة له، وإنما غايته أن يفرضه الذهن، ويقدره كما يفرض الأشياء المقدرة، وليس هذا هو الرب الذي دعت إليه الرسل، وعرفته الأمم، بل بين هذا الرب الذي دعت إليه الملاحدة، وجردته عن الماهية، وعن كل صفة ثبوتية، وكل فعل اختياري. . وبين رب العالمين وإلٰه المرسلين من الفرق ما بين الوجود والعدم، والنفي والإثبات، فأي موجود فرض كان أكمل من هذا الإلٰه الذي دعت إليه الملاحدة، ونحتته أفكارهم، بل منحوت الأيدي من الأصنام له وجود، وهذا الرب ليس له وجود، ويستحيل وجوده إلا في الذهن»[2].

٢ ـ قولهم بأن العالم وهم:

أما قول من قال منهم بأن العالم «وهم» فقول متناقض يُرد عليه من ذات قوله، فيقال إن القول بأن العالم (وهم) يقتضي وجود متوهم.

- فإما أن يكون المتوهم هو ذات الوهم، فيكون الله هو الوهم. وهذا كفر ووصف لله ﷻ بوصف باطل.
- أو أن يكون المتوهم هو غير الوهم، وبذلك إثبات للتعدد، وإبطال للقول بوحدة الوجود[3].

٣ ـ قولهم بأن الموجودات هي مظاهر الإلٰه:

وهذا القول يرد عليه من نفس القول كسابقه، فمن قال إن الكون من مظاهر الإلٰه، قيل له: هل هذه المظاهر وجود أم عدم؟

- فإن قال هي عدم، قيل: لا يمكن للإلٰه أن يتجلّى من خلال العدم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٧/١٠٦، وحقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) إغاثة اللهفان: ابن القيم ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢/ ٣٠٧.

- وإن قال هي وجود، فيكون قد أثبت وجوداً غير وجود الله، فأثبت التعدد[١].

قال ابن تيمية: «ولكن هذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله تعالى، فإن صاحبه لا يفرق بين المظاهر والظاهر، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الإنسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة، فلما انكشف غطاؤه عاين أنه لم يكن غير، وإن الرائي عين المرئي، والشاهد عين المشهود»[٢].

ثالثاً: لوازم القول بوحدة الوجود:

يظهر فساد كثير من الأقوال عند النظر في لوازمها، بل قد يرجع الإنسان عن القول إذا عَلِم ما يلزم منه. وعقيدة وحدة الوجود ـ مع فسادها في ذاتها ـ يلزم منها لوازم كفرية قبيحة، أذكر منها ما يلي:

- إنكار الرب وربوبيته، وهو ما سبق ذكره في الرد الشرعي.
- إسقاط العبادة والتكاليف. «وعندهم أن الإنسان هو غاية نفسه، وهو معبود نفسه، وليس وراءه شيء يعبده أو يقصده»[٣].
- القول بوحدة الأديان، وتصحيح الأديان والمعتقدات جميعاً.
- بطلان الولاء والبراء، وما يتعلق بها من القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- نسبية الحق، وهو ما سيأتي الحديث عنه في الفصل الرابع بإذن الله.
- أن كل ما في العالم خيِّر في ذاته، حيث كل فكر وعمل إنما هو في الحقيقة «الإلٰه».
- أن جميع المعبودات هي عين الإلٰه؛ لأنه الهوية السارية في جميع مراتب الوجود.
- أن مآل جميع الخلق إلى الخلاص والنجاة[٤].

---

(١) انظر: بغية المرتاد: ابن تيمية ص٣٥٠.

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢/٢٦٦.

(٤) انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه: رينولد أ. نيكولسون ص٨٨ ـ ٨٩، و Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 127.

رابعاً: تكفير العلماء للقائلين بوحدة الوجود:

بعد أن تبينت حقيقة عقيدة وحدة الوجود، وما يلزمها من لوازم، فإنه لا ينبغي أن يشك مؤمن في خروج القائل بها من دائرة الإسلام، ووقوعه في الكفر، أو الشرك الأكبر المخرج من الملة. وهو ما أجمع عليه أهل الإسلام.

إن كفر القائلين بوحدة الوجود متفق عليه عند جميع أتباع الديانات السماوية[١] بل قد قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد استعراض شيء من مذهبهم: «وذلك أظهر الكفر عند جميع أهل الملل»[٢]، ووصف القائلين به بأنهم «من أعظم الناس زندقة ونفاقاً»[٣]. وجعل كفرهم أشد من كفر اليهود والنصارى من وجهين:

- من جهة أن أولئك قالوا: أن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال الرب هو العبد، وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.
- والثاني: من جهة إن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه؛ كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ! وإذا كان الله تعالى قال: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم: ١٧]. فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأنجاس، والأنتان، وكل شيء؟ وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] وقال لهم: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]. فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق، ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟»[٤]

بل إن القول بوحدة الوجود هو أقبح الكفر وأخبثه، قال عنه ابن القيم رحمه الله:

---

(١) عدا التيارات الباطنية فيها.
(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٧٧.
(٣) الاستقامة: ابن تيمية ١/ ٣٩٤.
(٤) حقيقة مذهب الاتحاديين: ابن تيمية ص٢٥.

«وهذا أكفر من كل كفر، وأعظم من كل إلحاد»[١].

كما كفَّر الشوكاني القائلين بوحدة الوجود في (الصوارم الحداد)، وقال بعد أن ذكر مقالاتهم: «فإن كنت لا تحكم بواحدة من هذه المقالات على صاحبها بالكفر، فما فرعون وهامان، ونمرود لديك في عداد الكفرة»[٢].

وقد عدَّ الملا علي القاري من يقول بوحدة الوجود «زنديقاً إباحيّاً»[٣]، وألف في تفنيد مذهبهم كتابه: «الرد على القائلين بوحدة الوجود»، وإن كان في بعض مواضعه نظر.

وفي نونية ابن القيم وصف دقيق لهذا المذهب القبيح ولوازمه، وما يحويه من كفر وضلال، أختم بأبيات منها هذا المبحث:

فالقوم ما صانوه عن إنس ولا	جن ولا شجرٍ ولا حيوان
كنه المطعوم والملبوس والـ	مشموم والمسموع بالآذان
وكذاك قالوا إنه المنكوح والـ	مذبوح بل عين الغوي الزاني
والكفر عندهم هدى ولو أنه	دين المجوس وعابدي الأوثان
قالوا ولم يك كافراً في قوله	أنا ربكم فرعون ذو الطغيان
بل كان حقاً قوله إذ كان عيـ	ـن الحق مضطلعاً بهذا الشان
قالوا ولم يك منكراً موسى لما	عبدوه من عجل لدى الخوران
إلا على من كان ليس بعابد	معهم وأصبح ضيق الأعطان
ولقد رأى إبليس عارفهم فأهـ	ـوى بالسجود هوى ذي خضعان
قالوا له ماذا صنعت فقال هل	غير الإلٰه وأنتما عميان
ما ثم غير فاسجدوا إن شئتم	للشمس والأصنام والشيطان
فالكل عين الله عند محقق	والكل معبود لدى عرفان
هذا هو المعبود عندهم فقل	سبحانك اللَّهُمَّ ذا السبحان[٤]

(١) مدارج السالكين: ابن القيم ٣/ ٢٤٤.
(٢) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد: الشوكاني ص٧٦.
(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود: علي القاري ص٣٤.
(٤) الكافية الشافية: ابن القيم ص٢٢.

الفصل الثالث

حقيقة الأرواح ومصيرها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الروح في العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: تعريف تناسخ الأرواح في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: تناسخ الأرواح عند حركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: نقض عقيدة التناسخ.

المبحث الأول

حقيقة الروح في العقيدة الإسلامية

قبل البدء في الحديث عن معتقد حركة «العصر الجديد» في الروح الإنسانية ونظرتهم لمنشئها ومصيرها، لا بد من التقديم بالمعتقد الصحيح في هذه المسألة ليشكل المعيار الذي يقاس عليه غيره. يتضح هذا المعتقد ـ فيما يخص هذا البحث ـ من خلال سبع مسائل:

١ ـ حقيقة الروح وماهيتها.

٢ ـ اتصال الروح بالجسد.

٣ ـ هل الروح قديمة أم محدثة.

٤ ـ هل تموت الروح.

٥ ـ هل تعود الروح إلى البدن بعد مفارقتها له.

٦ ـ مستقر الأرواح بعد الموت.

٧ ـ التواصل مع أرواح الموتى.

وفيما يلي تفصيل هذه المسائل:

المسألة الأولى: حقيقة الروح وماهيتها

إن الروح البشرية من القضايا الغيبية التي لا تُدرك بالحس، وليست ماهيتها

من الأمور التي أفصح عنها الشارع وفصل فيها، بل إن علم الروح مما اختص به الله ﷻ، فقد جاء في صحيح البخاريّ عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون. فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر - وفي رواية: رفع بصره إلى السماء، قال ابن مسعود ﷺ: «فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي»، ثم قال ﷺ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]».

قال ابن عاشور: «وسؤالهم عن الروح معناه أنهم سألوه عن بيان ماهية ما يعبر عنه في اللغة العربية بالروح، والتي يعرف كل أحد بوجه الإجمال أنها حالّة فيه.

- والروح: يطلق على الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير، وهو الذي يتقوم في الجسد الإنساني حين يكون جنيناً بعد أن يمضي على نزول النطفة في الرحم مائة وعشرون يوماً، وهذا الإطلاق هو الذي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [صٓ: ٧٢]، وهذا يسمى أيضا بالنفس، كقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧].
- ويطلق الروح على الكائن الشريف المكون بأمر إلهي بدون سبب اعتيادي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].
- ويطلق لفظ الروح على الملك الذي ينزل بالوحي على الرسل، وهو جبريل ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

واختلف المفسرون في (الروح) المسؤول عنه المذكور هنا، ما هو من هذه الثلاثة، فالجمهور قالوا: المسؤول عنه هو الروح بالمعنى الأول. قالوا: لأنه الأمر المشكل الذي لم تتضح حقيقته، وأما الروح بالمعنيين الآخرين، فيشبه أن يكون السؤال عنه سؤالاً عن معنى مصطلح قرآني، وقد ثبت أن اليهود سألوا عن الروح بالمعنى الأول لأنه هو الوارد في أول كتابهم... «وليس الروح بالمعنيين الآخرين بوارد في كتبهم»[(1)].

---

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور ١٥/١٩٦ ـ ١٩٧.

ثم يوضح سبب كون الروح من (أمر الله) بقوله: «وإذ قد كانت عقول الناس قاصرة عن فهم حقيقة الروح، وكيفية اتصالها بالبدن، وكيفية انتزاعها منه، وفي مصيرها بعد ذلك الانتزاع، أجيبوا بأن الروح من أمر الله؛ أي: أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله، ولكنه مما استأثر الله بعلمه، فلفظ (أمر) يحتمل أن يكون مرادف الشيء، فالمعنى: الروح بعض الأشياء العظيمة التي هي لله، فإضافة أمر إلى اسم الجلالة على معنى لام الاختصاص؛ أي: أمر اختص بالله اختصاص علم»[1].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير الآية: «قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: من شأنه، ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: وما أطلعكم من علمه إلا على القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى. والمعنى: أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى، ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى»[2].

ومع ذلك، فإنه من الممكن ـ باستقراء الأدلة ـ التوصل إلى شيء من أوصاف الروح، فهي توصف بالحياة والعلم والقدرة، ولكنها ليست من جنس البدن[3]. وقد تحدث ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى الروح، فقال: هي «جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني، علوي، خفيف، حيّ، متحرك، وينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس، والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح، وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصحُّ غيره وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل

---

(١) المرجع السابق: ابن عاشور ١٥/ ١٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٥/ ١١٦.

(٣) انظر: درء التعارض: ابن تيمية ٦/ ١٣١.

الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقل، والفطرة»[١].

المسألة الثانية: اتصال الروح بالجسد

إن مما يعلمه الإنسان بالاضطرار أن للروح نوع تعلق بالجسد، وإن لم يعلم كيفية هذا التعلق، وأنه بمفارقتها له يفسد الجسد، ويبلى. فالروح ليست جزءاً من الجسد، بل هي وجود مستقل عنه، قد يجتمع به، وقد يفارقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومذهب الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر سلف الأمة، وأئمة السُّنَّة: أن الروح عين قائمة بنفسها، تفارق البدن، وتنعم وتعذب، ليست هي البدن، ولا جزءاً من أجزائه»[٢].

ويتنوع تعلق الروح بالبدن بتنوع الأحوال والأوضاع، جعلها ابن القيم خمسة أنواع من التعلق، لكل منها أحكام متغايرة:

- **أحدها**: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.
- **الثاني**: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
- **الثالث**: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.
- **الرابع**: تعلقها به في البرزخ، فإنها ـ وإن فارقته، وتجردت عنه ـ فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة..
- **الخامس**: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ (هو)[٣] تعلق لا يقبل البدن معه موتاً، ولا نوماً، ولا فساداً[٤].

فالروح تتعلق بجسد واحد في جميع مراحلها، فهي تنفخ فيه وهو جنين في بطن أمه، وتلازمه بعد أن يخرج على الأرض في يقظته ومنامه، ويبقى لها تعلق به بعد مماته، إذ عذاب القبر ونعيمه يقعان على الروح والجسد جميعاً[٥]، ثم لما يبعث يوم القيامة تعاد الروح إلى ذات الجسد، وإن كان قد يتغير شيء من خلقه.

---

(١) الروح: ابن القيم ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٣٤١.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) الروح: ابن القيم ص٤٣.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٤/ ٢٨٢، الروح: ابن القيم ص٥٢.

فإنه يعاد تكوينه من عجب الذنب الذي يبقى دون أن يبلى. قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو: عَجْبُ الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(١).

المسألة الثالثة: هل الروح قديمة أم محدثة

أشكلت إضافة الروح إلى لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ووصفها بأنها من (أمر الله) حتى ظن بعضهم أنها غير مخلوقة. والصحيح الذي أجمعت عليه الرسل «أنها محدثة، مخلوقة، مصنوعة، مربوبة، مُدبَّرة. هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يُعلم بالاضطرار من دينهم أنَّ العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة، والتابعين، وتابعيهم - وهم القرون المفضلة - على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممَّن قصر فهمه في الكتاب والسُّنَّة، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق، وبأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه، وكتابه، وقدرته، وسمعه، وبصره، ويده. وتوقف آخرون فقالوا: لا نقول مخلوقة، ولا غير مخلوقة»(٢).

ويوضح ابن كثير معنى الإضافة قائلاً: «فقوله في الآية والحديث: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ أي: من خلقه، ومن عنده، وليست (من) للتبعيض كما تقول النصارى عليهم لعائن الله المتابعة، بل هي لابتداء الغاية، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: ورسول منه، وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦٥، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾، برقم (٤٩٣٥)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٠، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ٣٨، برقم (٢٩٥٥).

(٢) الروح: ابن القيم ص١٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢/ ٤٧٩.

وينبغي أن يُعلم أن المضافات إلى الله ﷻ في الكتاب والسُّنَّة على نوعين:

- **أحدها**: إضافة الصفة إلى الموصوف، إذ الصفات لا تقوم بأنفسها. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- والقسم الثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، على وجه التشريف؛ كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق[(١)]

وقد «اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة، وغيرهما»[(٢)]، وهو ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسُّنَّة[(٣)]. وهو ما أكده ابن تيمية بقوله: «روح الآدمي مخلوقة، مبدعة، باتفاق سلف الأمة، وأئمتها وسائر أهل السُّنَّة. وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين»[(٤)].

وبذلك يتضح أن روح الإنسان مخلوقة، ليست صادرة عن ذات الإله، ولا هي جزء منه ﷻ. فهي مسبوقة بعدم، وباقية بإبقاء الله لها.

المسألة الرابعة: هل تموت الروح

بعد أن تقرر أن الروح مخلوقة، وليست أزلية، اختلف الناس في كونها أبدية، وهل تموت الروح وتفنى، أم إنها خالدة لا يعتريها الموت على عدة أقوال:

- «قالت طائفة: تموت وتذوق الموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الآية على أنه لا يبقى إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أو، قالوا: وقد

---

(١) انظر: الجواب الصحيح: ابن تيمية ١٥٦/٢، والروح: ابن القيم ص١٥٤، والعرش: الذهبي ١٠١/١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ٥٩٦/٢.

(٣) انظر: الروح: ابن القيم ١٥٥، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ٥٩٦/٢ ـ ٥٩٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٦/٤.

أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فالموتة الأولى هذه المشهورة وهي للبدن، والأخرى للروح[(١)].

- وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، هذا مع القطع بأن أرواحهم فارقت أجسادهم، وقد ذاقت أجسادهم الموت»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «والصواب أن يقال موت النفس هو: مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل أو تصير محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار»[(٣)].

فموت الروح هو مفارقتها للبدن، غير أنها تعاد إليه في القبر، وعند البعث، ثم لا تفارقه بعد ذلك حيث يخلد أصحاب الجنة في الجنة، ويخلد أصحاب النار في النار.

المسألة الخامسة: هل تعود الروح إلى البدن بعد مفارقتها له

لا تحتاج هذه المسألة إلى كثير بحث ودراسة «فقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة، وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرح بإعادة الروح إليه»[(٤)]، فعن البراء بن عازب قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس، فيجلسون منه مد**

---

(١) والصحيح ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: «كنتم تُراباً قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه إحياءة. ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى. ثم يبعثكم يوم القيامة، فهذه إحياءة. فهما ميتتان وحياتان». جامع البيان: الطبري ١/٤١٩.

(٢) الروح: ابن القيم ص٣٤.

(٣) المرجع السابق ص٣٤.

(٤) المرجع السابق ص٤١.

البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان». قال: **«فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض»** إلى أن قال ﷺ: **«فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى»** قال: **«فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه...»»**[١] الحديث.

ففي الحديث تصريح بأن الروح تعود إلى ذات الجسد بعد خروجها منه، فلا تقترن بغيره ولا تعود لتسكن جسداً آخر بحال.

المسألة السادسة: مستقر الأرواح بعد الموت وإلى يوم القيامة

يمكن تحديد مستقر الأرواح بعد مفارقتها للبدن، وحتى البعث بحسب أصحابها، فهي متفاوتة تختلف باختلاف منازلهم، كالتالي:

- **أولاً**: أرواح الأنبياء، وتكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، فقد سُمع رسول الله ﷺ يقول عند موته: **«اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»**[٢]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ وهم متفاوتون في منازلهم»[٣].
- **ثانياً**: أرواح الشهداء، وقد قال فيهم ربهم ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولما سئل رسول الله ﷺ عن ذلك قال: **«أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠/٤٩٩، برقم (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/٢١٩، برقم (٣٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٦، كتاب: المناقب، باب: قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً»**، برقم (٣٦٦٩)، ومسلم في صحيحه ٤/١٨٩٤، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، برقم (٢٤٤٤).

(٣) الروح: ابن القيم ص١١٥.

معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل»[(١)]، وهذا خاص بمن ليس عليه دين، أما المدين فإنه يُحبس عنها حتى يُقضى دينه، فقد قال ﷺ: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين**»[(٢)].

- **ثالثاً**: أرواح المؤمنين، وتكون طيوراً تُعلق في شجر الجنة، فعن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة**»[(٣)]، غير أنه يبقى لها نوع تعلق بالجسد، كحال الإنسان في نومه، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومع ذلك تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وهي في تلك بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم»[(٤)]. ويقول في موضع آخر: «وأرواح المؤمنين في الجنة، وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن، كما أنها قد تكون في البدن، ويعرج بها إلى السماء كما في حال النوم»[(٥)].
- **رابعاً**: أرواح العصاة، فهؤلاء يعذبون بذنوبهم، كما هو في الأحاديث الواردة في آكل الربا، والذي كذب الكذبة تبلغ الآفاق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ثبت في الكتاب والسُّنَّة، واتفاق سلف الأمة، أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة، أو معذبة»[(٦)].
- **خامساً**: أرواح الكفار. وقد قيل: هي في النار، وقيل: هي في سِجِّين في الأرض السابعة[(٧)]. والله أعلم حيث لم يرد نص صريح في مستقرها.

فالصحيح أن مستقر الأرواح يختلف باختلاف حالها وفقاً للنصوص الشرعية، وما لم يرد فيه نص فإن الواجب التوقف في تعيينه، وتفويض علمه إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٠٢، كتاب: الإمارة، باب: ٣٣، برقم (١٨٨٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٠٢، كتاب: الإمارة، باب: ٣٣، برقم (١٨٨٦).
(٣) أخرجه النسائي في سننه ٤/ ١٠٨، كتاب: الجنائز، باب: أرواح المؤمنين، برقم (٢٠٧٣)، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ١/ ٥١٦، برقم (١٦٣٢).
(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢٤/ ٣٦٥.
(٥) شرح حديث النزول: ابن تيمية ص٨٩.
(٦) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٤/ ٢٨٣.
(٧) انظر: الروح: ابن القيم ص٩١، والفصل: ابن حزم ٤/ ٥٧.

أما قول من قال بأن «مستقرها بعد الموت أبدان أُخَر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح!» فهو قول باطل لا يقول به مسلم. قال ابن القيم: «وهذا قول المتناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم»[١].

المسألة السابعة: التواصل مع الأرواح

سبق أن أرواح الموتى لها أحوال متنوعة بعد مفارقتها للبدن، لا يثبت شيء منها إلا من طريق الوحي، فإن البرزخ عالم غيبي لا يمكن الاطلاع على شيء منه ما دام الإنسان حياً. ولذلك فإنه لا يمكن إثبات إمكانية الاتصال بين الأحياء والأموات ـ بأي طريق كان ـ إلا بالاعتماد على دليل صحيح، ولا دليل، بل النصوص تدل على خلاف ذلك، حيث نفى الشارع سماع الموتى لحديث الأحياء، فقال عز من قائل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]، قال القرطبي: «أي: كما لا تسمع من مات، كذلك لا تسمع من مات قلبه»[٢]. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، فالأظهر أن المقصود بالموت فيها موت قلوب الكفار[٣].

وعلى كل حال، فالأصل أن الميت لا يسمع من كلام الأحياء وأحوالهم شيئاً إلا ما مكنه الله من سماعه مما ورد فيه نص، كسماع المقبور قرع نعال أهله إذا غادروه. وما ورد عن النبي ﷺ أنه خاطب قتلى بدر، فالصحيح أنه مخصوص بهؤلاء تضعيفاً للحسرة، وزيادة في العقاب.

وإلا فإن سماع الميت لكل ما يقال له يخالف النصوص الدالة على انقطاعه عن الدنيا، فالميت المنعم قد يسمع ما يسوؤه، فينغص عليه ما هو فيه، وقد يسمع المعذب ما يسره فيخفف عنه عذابه، ولو بشيء يسير. أما تخصيص السماع بالمؤمنين لأن الكفار في شغل، فيرد بالأدلة التي أثبت بها السماع ابتداء، فقتلى بدر كانوا كفاراً، ولا دليل على أن المؤمن وحده يسمع قرع نعال أهله إذا انصرفوا عنه، ثم إن الميت المنعم في شغل كذلك، فقد قال الله تعالى

(١) المرجع السابق ص٩٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٤/ ٣٤٠.
(٣) انظر: أضواء البيان: الشنقيطي ٦/ ١٢٥.

عن أصحاب الجنة: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥].

ولو سلمنا بأن الميت يسمع الأحياء فإن ذلك لا يعني قدرته على التواصل معهم، وإلا لم يكن ثمة معنى لقول النبي ﷺ: «**إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله**»[1]، إذ بإمكانه الاتصال بالأحياء ليوصيهم بقضاء دينه، أو التخلص من المحرمات التي في بيته، أو غير ذلك. فعمله مستمر بعد مفارقته الدنيا، وإن كان بأمره المجرد. والذي عُلم من النصوص، واستقر عليه السلف أن الدنيا هي دار العمل، والآخرة دار جزاء لا عمل فيها، فلا يُتصورالاتصال بين عالمين مختلفين يحكم كلاً منهما قوانين مختلفة، فيطلع الأحياء على غيوب البرزخ، ويخاطب الأموات الأحياء في قضاء حاجاتهم، ويستأنسون بهم.

أما ما يراه بعض الناس في المنام من مخاطبة بعض الأموات لهم، وإخبارهم عن أمور مطابقة للواقع، فهو لا يعدو كونه رؤيا منام تحتمل الصواب والخطأ. وإذا افترضنا أنها رؤيا حق فإن الذي يراه النائم صوراً يصورها الله تبارك وتعالى على هيئات معينة رحمة بالميت أو بأهله. فلو رأى أحدهم ميتاً في المنام ـ مثلاً ـ يوصيه بكفالة أيتامه، ويخبره عن أحوالهم وحاجاتهم، فإن هذا لا يعني أن الذي خاطبه هو ذات الميت كما قد يُظن، وإنما هي صورة ذلك الميت توصل رسالة إلى الحي بشكل أبلغ، وهي رحمة بالأحياء أو إكراماً للميت. ولا يقول عاقل لو أنه رأى حيّاً في المنام يحدثه ويخالطه أن ذلك الحي ذاته قد خاطبه، بل إن المرئي قد لا يعرف الذي رآه في المنام أصلاً، وهذا معلوم مشاهد لا يختلف عليه اثنان. فما الذي يجعل الميت المرئي هو ذات الميت، ولا يجعل الحي المرئي هو ذات الحي؟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٦٥، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ٤، برقم (٢٦٨٢).

المبحث الثاني

تعريف تناسخ الأرواح في اللغة والاصطلاح

إن من أبرز عقائد حركة «العصر الجديد» المتعلقة بالأرواح هي قولهم بالتناسخ، وهو ما يُطلق عليه «التقمص» أحياناً، ولذلك يحسن التعريف بهذا المفهوم في اللغة والاصطلاح قبل الخوض في تفصيله.

المطلب الأول

التعريف اللغوي

أولاً: تعريف النسخ في اللغة:

قال ابن فارس: «النون والسين والخاء أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه. قال قوم: قياسه رفع شيء وإثبات غيره مكانه، وقال آخرون: قياسه تحويل شيء إلى شيء... وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه. وانتسخت الشمس الظل، والشيب الشباب. وتناسخ الورثة: أن يموت ورثة بعد ورثة، وأصل الإرث قائم لم يقسم، ومنه تناسخ الأزمنة والقرون»[١].

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس ٥/ ٤٢٤.

وفي الصحاح: «نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته. ونسخت الريح آثار الدار: غيرتها. ونسختُ الكتاب، وانتسختُه، واستنسختُه، كله بمعنى. والنُّسخة بالضم: اسم المنتسخ منه، ونسخ الآية بالآية إزالة مثل حكمها، فالثانية ناسخة والأولى منسوخة»[١] ا.هـ، و«نسخ الشيءَ ينسَخُه نَسْخاً، وانتسَخَه واستنسَخَه: اكتتبه»[٢]. والتناسخ بمعنى التداول، وتتناسخ أي: تتداول، فيكون بعضها مكان بعض[٣]. وتناسخت الأرواح انتقلت من أجسام إلى أخرى[٤].

وعلى هذا فيكون معنى النسخ في اللغة دائراً حول ثلاثة معان: النقل، أو الإزالة مع حلول المزيل محل المزال، أو يكون بمعنى المحو.

ثانياً: تعريف الروح في اللغة:

«الراء والواو والحاء أصل كبيرٌ مطَّرد، يدل على سعة وفُسْحةٍ واطِّراد. وأصل ذلك كله الريح وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قُلبتْ ياءً لكسرة ما قبلها. فالرُّوح روح الإنسان، وإنما هو مشتقٌّ من الريح، وكذلك الباب كله. ويقال: أراح الإنسان إذا تنفَّس»[٥]. و«الروح يذكر ويؤنث، والجمع أرواح»[٦].

«وقد أُطْلِقَ (الرُّوحُ) على القرآن، والوحي، وعلى جبريل عليه السلام... والرُّوح: عيسى عليه السلام. والرُّوح: ما به حياة النفس»[٧].

ثالثاً: تعريف التقمص في اللغة:

«القاف والميم والصاد أصلان: أحدهما يدل على لبس شيء، والانشيام فيه، والآخر على نزو[٨] شيء وحركة. فالأول القميص للإنسان معروف. يقال: تقمصه، إذا لبسه. ثم يستعار ذلك في كل شيء دخل فيه الإنسان، فيقال: تقمص

---

(١) الصحاح: الجوهري ١/٤٣٣.
(٢) لسان العرب: ابن منظور ٣/٦١.
(٣) انظر: المرجع السابق ٣/٦١.
(٤) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٢/٩١٧.
(٥) مقاييس اللغة: ابن فارس ٢/٤٥٤.
(٦) مختار الصحاح: الرازي ص١٣١.
(٧) لسان العرب: ابن منظور ٢/٤٦٢.
(٨) كذا في الأصل.

الإمارة، وتقمص الولاية.. والأصل الآخر القمص، من قولهم: قمص البعير.. وهو أن يرفع يديه، ثم يطرحهما معاً ويعجن برجليه.. يقال: قمص البحر بالسفينة، إذا حركها بالموج، فكأنها بعير يقمص»[١].

وتقمص فِي المَاء: تقلب وانغمس، وتقمص القميص: لبسه، وتقمص شخصية غَيره: قَلّدهُ، وحاكاه فِي سلوكه وهيئته[٢].

وعليه فإن معاني التقمص في اللغة تدور حول: الحركة، والدخول، واللبس.

المطلب الثاني

التعريف الاصطلاحي

«تناسخ الأرواح» مصطلح مركب يرتبط معناه بالمعنى اللغوي للفظين المركب منهما، وقد عرفه المختصون بعدة تعريفات، يوضح ويكمل بعضها بعضاً، من أبرزها ما يلي:

- فقيل: هو «انتقال نفس من بدن إلى بدن آخر.. بحيث يكون بينها وبين الثاني من العلاقة ما كان بينها وبين الأول»[٣].
- وقيل: هو «انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر، إنساناً أو حيواناً»[٤].
- وقيل: «التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار، إلى ما لا نهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول. والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى لا عمل فيها. والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية»[٥].
- وقيل: «التناسخ هو أن تعود النفس إلى جسم آخر لأنها لم تشبع في الأول سائر أعمالها ولأنها لم تؤد واجباتها، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس ٥/ ٢٧، وانظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص٦٢٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٥٩.

(٣) النفس البشرية ونظرية التناسخ: أحمد تفاحة ص٧٣.

(٤) المعجم الفلسفي، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٥٤.

(٥) الملل والنحل: الشهرستاني ٢/ ١١٣.

في الحيوات الأوائل»[١].

فالتناسخ ـ في اعتقاد من يؤمن به ـ هو طريق الثواب والعقاب[٢]، وقد سمي تناسخ الأرواح وليس الأجساد «لأن جوهر النظرية الروح وليس الجسد، وأن وظيفة الجسد فيها مقصورة على أنه وعاء لتتابع الروح وميدان تداولها، وليس موضوع التتابع والتداول»[٣].

كما فرق بعض القائلين بالتناسخ بين أنواعه، فقالوا:

١ ـ **النسخ**: هو انتقال الروح من إنسان إلى إنسان آخر. وسماه بعضهم التقمص.

٢ ـ **المسخ**: وهو انتقال الروح من إنسان إلى حيوان.

٣ ـ **الرسخ**: وهو انتقال الروح من إنسان إلى نبات.

٤ ـ **الفسخ**: وهو انتقال الروح من إنسان إلى جماد[٤].

«والتقمص عند بعضهم هو: انتقال الروح من جسد إلى آخر»[٥]، فالروح هي التي تتقمص، وهي في مفهوم هذه العقيدة أزلية خالدة، والجسد كالقميص الذي تستبدله بآخر كلما بلي أو خرق[٦]. وفرَّق بعضهم بين التقمص والتناسخ، فجعلوا التقمص انتقال الروح من إنسان إلى إنسان آخر فقط، بينما التناسخ يشمل انتقاله من إنسان إلى إنسان أو حيوان أو نبات، وبذلك يكون التناسخ أعم من التقمص. وقيل: هما بنفس المعنى[٧].

ولعل استحداث هذه الأفكار كان من أجل تفسير التفاوت الملحوظ بين الناس في الرزق والصحة والسعادة، حيث انعدم النور الإلٰهي والبصيرة التي تنير

---

(١) الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ١/٧٧.

(٣) تناسخ الأرواح: محمد الخطيب ص٨.

(٤) انظر: النفس البشرية ونظرية التناسخ: أحمد تفاحة ص٢٤، والتقمص: أمين طليع ص١٢ وشرح المقاصد: التفتازاني ٢/٣٨، وتحقيق ما للهند من مقولة: البيروني ص٣٨ ـ ٤٠، والتنبيه والرد: المطلي ١/٢٣.

(٥) المعجم الفلسفي: جميل صليبا ١/٣٢٩.

(٦) انظر: التقمص: أمين طليع ص١١.

(٧) انظر: النفس البشرية ونظرية التناسخ: أحمد تفاحة ص٦٤.

لهم الدرب. أو أنها أوجدت من أجل إحداث نوع من الرقابة الذاتية تكف المرء عن إيذاء الآخرين، حيث غاب عن هؤلاء مفهوم الرقابة الإلٰهية، ومفهوم الثواب والعقاب الأخروي.

قال ابن حزم الأندلسي: «وقال.. بعض من ذهب إلى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء: أن الله تعالى عدل، حكيم، رحيم، كريم، فإذ هو كذلك فمحال أن يعذب من لا ذنب له» فلما وجدوا ذلك حاصلاً في الواقع، قالوا: «لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة، مستحقة للعقاب بكسب هذه الأجساد لتعذب فيها»[1].

---

(١) الفصل: ابن حزم ١/٧٨.

المبحث الثالث

الأرواح عند حركة «العصر الجديد»

يشكل الحديث عن الأرواح جانباً مهماً من التنظير الفلسفي لحركة «العصر الجديد»، ويدور ـ في الجملة ـ حول مصير الروح بعد مفارقتها للبدن وهو المقصود بتناسخ الأرواح، وحول التواصل مع «الأرواح» والاستفادة من توجيهاتها المتنوعة وهو ما يمكن أن يعبر عنه بالوساطة الروحية.

ولذلك سيكون البحث في معتقد حركة «العصر الجديد» في الأرواح من خلال مطلبين اثنين:

المطلب الأول: تناسخ الأرواح عند حركة «العصر الجديد».

المطلب الثاني: التواصل مع الأرواح عند حركة «العصر الجديد».

وفيما يلي تفصيل ما سبق:

المطلب الأول

تناسخ الأرواح عند حركة «العصر الجديد»

تعتبر عقيدة تناسخ الأرواح من المعتقدات المركزية عند حركة «العصر الجديد»[١]، وهي ـ بلا شك ـ مستقاة من عدد من الديانات والفلسفات الباطنية

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 13, and New Age & Neo-pagan =

التي أثرت في تشكيل الحركة، وتكوين أفكارها الرئيسة. فالهندوسية والبوذية قائمة على الاعتقاد بتناسخ الأرواح، ويؤمن بها بعض اليونان، والشعوب المصرية القديمة بالإضافة إلى بعض الديانات الإفريقية(١). «وما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ. وإنما تختلف طرقهم في تقرير ذلك. فأما تناسخية الهند فأشد اعتقاداً لذلك»(٢)، حتى قيل إن أعلى درجات التناسخ عندهم العودة كبقرة، أو ثور(٣).

وقد كان للتيارات الباطنية الغربية أثر في تشكيل فكر حركة «العصر الجديد» كذلك، لا سيما حركة «الفكر الجديد»، والثيوصوفي، وهما قد تبنيا عقيدة التناسخ بشكل صريح(٤)، لا سيما وقد اعتنق كل من مدام بلافاتسكي، وهنري ألكوت الديانة البوذية.

وفي ذلك يقول ديباك شوبرا: «لقد تفرعت حركة العصر الجديد عن عدد من التقاليد الفكرية، ولكن أهمها هو الثيوصوفي... ومن خلال روحانيات أواخر القرن التاسع عشر بدأت الثقافة الشعبية تعتنق عقيدة التناسخ»(٥). كما أن إدغر كيسي ـ الذي عده بعضهم المؤسس الفعلي لحركة «العصر الجديد» ـ من أبرز المروجين لعقيدة التناسخ(٦)، وله كتاب خصصه لطرح هذه العقيدة ونشرها، بعنوان: (الكارما وتناسخ الأرواح)(٧).

= Religions in America-Sara Pike: 15, and Perspectives on the New Age: 49-Andrea Grace Diem & James R Lewis, and Jesus Christ the Bearer of the Water of Life: 2.2.3-Vatican Document, and New Age Spirtuality (108, 189-19Ì - Carl Raschke, Harmon Hartzell Bro, and Children of the New Age: 177- Sutcliffe.

(١) انظر: تناسخ الأرواح: محمد الخطيب ص١٤ ـ ٢٨، وقصص غريبة في التقمص: سعد الدين غندور ص٧، وتلبيس إبليس: ابن الجوزي ص٧٧.

(٢) الملل والنحل: الشهرستاني ٣/ ١٠٠.

(٣) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 34.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 25, and New Age and Neo-pagan Religions in America-Sarah Pike: 57, and Life After Death-Deepak Chopra: 265.

(٥) Life After Death-Deepak Chopra: (104-105).

(٦) انظر: New Age and Neo-pagan Religions in America-Sarah Pike: 83.

(٧) انظر: Reincamation and Karma-Edgar Cayce.

ورغم التشابه الكبير بين تناسخ الأرواح عند حركة «العصر الجديد» وعقيدة التناسخ في الديانات الشرقية، إلا أن بينهما اختلافاً يسيراً يميز كلاً منهما عن الآخر. فتجوال الروح في الهندوسية والبوذية نوع من العقاب الذي يسعى الإنسان للتخلص منه، بينما يعد في النظرة الحديثة للتناسخ تجربة تخضع للرغبات الشخصية، إذ قد يرغب الإنسان بالعودة إلى الأرض في صورة مختلفة، فتكون تلك الرغبة سبباً في تشكيل حياته اللاحقة، في سلسلة من التطور الروحاني. وتتفق النظرة الأصيلة والحديثة في حال تجرد الإنسان من جميع الرغبات، وقطع كل تعلق وإرادة، فإنه ينتقل عندئذ إلى مستوى جديد من الحياة لا تشبه هذه الحياة المادية، ويتحرر بالكلية من دوامة التناسخ[1].

يصور رامثا (جي زي نايت) بداية التناسخ ـ حسب معتقده ـ في صورة كفرية بشعة حيث يرى أن الإله المطلق رغِب في تجربة المحدودية، فتشكلت تلك المحدودية بالمادة، ولما فارقها بالوفاة بقي في فضاء بين المادة وبين الـ لا محدود، فعاد في جسد جديد ليقضي حاجاته التي لم تنقضِ في التجسيد السابق، إلا أنه بات يغرق في المحدودية حتى فقد صلته بالإطلاق، قال: «وهكذا ابتدأت دوامة تناسخ الأرواح في عالم المظاهر. ومع عودة الآلهة إلى هنا في صورة بشر مراراً وتكراراً ـ من أجل الاستمرار في مغامرات الحياة ـ أصبح هذا العالم ـ تدريجياً ـ جوهر الحياة كلها، فنسوا أصولهم وطبيعتهم الإلٰهية»[2].

ويؤكد بنجمن كريم هذا المفهوم حيث يعرِّف التناسخ بأنه: «العملية التي تسمح للإله أن ينحدر إلى نقيضه القطبي ـ المادة ـ بواسطة عوامل ـ هي نحن ـ من أجل إعادة المادة إلى حقيقتها، متشبعة تماماً بالطبيعة الإلٰهية. ويعيدنا قانون الكارما إلى التجسد ثانية حتى نكشف تدريجياً من خلال عملية التطور ألوهيتنا الفطرية»[3]. فتناسخ الأرواح ليس سوى مراحل بينية تتوسط بين الوجود الإلٰهي المطلق الأول، والعودة إلى تلك الطبيعة الإلٰهية عبر الارتقاء والتطور.

(١) انظر: The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 217.

(٢) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 196-197).

(٣) The Awakening-Benjamin Crème: 128

إن عقيدة التناسخ في رأي ديباك شوبرا «تعطي أملاً في التقدم الاجتماعي، فالعبد في هذه الحياة قد يعود كشريف في الحياة التالية»[١]، فهي وسيلة الارتقاء الاجتماعي بالإضافة إلى التطور الروحاني - بل إن حاجة الإنسان إلى هذا الارتقاء دلالة كافية عند آني بيسانت على حقيقة التناسخ، حيث تقول: «إن حاجة الإنسان الضرورية لخوض حيوات عديدة - ليتمكن من التطور والارتقاء - قد تدل أكثر العقول تأملاً إلى القناعة الواضحة بأن تناسخ الأرواح حق»[٢].

لا شك أن الوصول إلى الألوهية، والتحرر من المادة هو الغاية النهائية لتجوال الروح عند أتباع حركة «العصر الجديد»، إلا أن ثمة أهدافاً ثانوية يحققها الإنسان عند اعتقاده بالتناسخ، تعينه - بزعمهم - على التغلب على مصاعب الحياة ومخاوفها. يوضح ذلك بنجمن كريم على لسان المايتريا بقوله: «إذا آمنت أنك ستعود إلى الحياة مرات متعددة، فإن ذلك سيقضي على أبرز مخاوف الحياة، وهو بالتحديد الخوف من الموت. يعطيك (هذا الإيمان) إحساساً بالتوازن والنظام في هذه الحياة، ويربطك حتماً بقانون الكارما (الجزاء)، والقانون الأساسي الذي يحكم وجودنا على الأرض»[٣].

كما تعزز عقيدة التناسخ الشعور بعدم الحتمية، إذ لا تمثل حياة الإنسان فيصلاً نهائياً لمصيره، بل هي مجرد حلقة في سلسلة لا منتهية من الحيوات، يرتقي الإنسان من خلالها حتى يصل إلى غايته، وبذلك تتساقط المبادئ، وتتهاوى المعتقدات، ولا يبقى ذنب لا يمكن أن يغتفر! يقول شوبرا ملاكدا هذه النتيجة: «يسمح تناسخ الأرواح للروح أن تجرب الجنة أو النار مرة تلو الأخرى إلى غير نهاية، حتى تحقق الموكشا أو التحرر، حيث تنهي الموكشا دوامة الجنة والنار بأكملها إلى الأبد، وترجع الروح إلى حالتها الأصلية من الوعي المحض، قطرة من النعيم في محيط من النعيم. هنا تنتهي خلافات الأديان، إذ تتهاوى كما جميع الروابط الأرضية»[٤].

---

(١) Life After Death-Deepak Chopra: 173.

(٢) Ancient Wisdom-Annie Besant: 208.

(٣) The Awakening-Benjamin Crème: 83.

(٤) Life After Death-Deepak Chopra: (106-107).

ثم ينتقد النصرانية ـ وجميع الديانات التي لا تعتقد بالتناسخ تبعاً ـ بأنها لا تقدم للإنسان سوى فرصة واحدة للنجاة، محتجّاً بأن «عقيدة تناسخ الأرواح أكثر تسامحاً، حيث يمكن تصحيح الأخطاء، ويمكن تعويض أعمار كاملة، ليس في الجنة، ولكن من خلال تجربة جسد جديد، وإعادة الأحداث ذاتها التي أنتجت الفشل، أو الخطيئة، أو نقص الإشباع في الحياة السابقة»(١).

وكما هو معتاد في حركة «العصر الجديد» حاول أتباع الحركة إثبات هذا المعتقد الفاسد عن طريق دراسات اعتبروها «علمية»، فكان أبرز ما احتجوا به دراسة أعدها طبيب نفسي يُدعى إيَن ستيفنسن (Ian Stevenson) (٢)استغرقت ـ على حد قوله ـ أربعين سنة، حيث قام الطبيب المذكور بإجراء مقابلات مع أشخاص حول العالم، وجمع عدداً كبيراً من القصص، كثير منها من روايات الأطفال. ووجه احتجاجهم بتلك القصص هو أن الأطفال يذكرون أحداثاً وأمكنة لم يدركوها في أعمارهم القصيرة، ولا يمكنهم التوصل إليها جغرافيّاً، فإذا تحقق منها إين ستيفنسن وجد أنها مطابقة للواقع، فاستنتج أن ذلك قد يدل على أن الطفل المتحدث قد عاش ـ في حياة سابقة ـ تلك الأحداث، وفي تلك الأمكنة التي أخبر عنها، وبذلك استدل بعض القائلين بالتناسخ على صحة معتقدهم(٣). وبالطريقة ذاتها حاول كل من ديباك شوبرا(٤) ومايكل مرفي(٥) إثبات تناسخ الأرواح.

---

(١) Life After Death-Deepak Chopra: (172-173).

(٢) إين ستيفنسن: هو أستاذ الطب النفسي في جامعة فرجينيا، ولد في كندا عام ١٩١٨م. اهتم كثيراً بدراسة الخوارق، وكرس جهده لإثبات التناسخ، فقدم عدداً من البحوث في تلك المسائل. له عدد من المؤلفات المطبوعة، منها: الأطفال الذين يتذكرون حيوات سابقة، وتناسخ الأرواح وعلم الأحياء. توفي عام ٢٠٠٧م.
انظر: Ian Stevenson 1918-2007-The Journal of Parapsychology-Erlendur Haraldsson-Volume: 71p 159.

(٣) انظر: 20 Cases Suggestive of Reincamation-Lan Stevenson.
كما استدل ستيفنسن بتحدث بعض الأفراد بلغات لا يتقنونها، ولم يتعلموها في الصغر على عقيدة التناسخ، وهو ـ إن ثبت ـ قد يفسر بتلبس الجان، أو غير ذلك.

(٤) انظر: Life After Death-Deepak Chopra: 174.

(٥) انظر: God and the Evolving Universe-Michael Murphy: 192.

غير أن تلك «الدراسات» لا يمكن اعتبارها «علمية» بحال، فإن الأفراد الذين تمت مقابلتهم ليسوا بمثابة المواد الجامدة التي لا يحتمل فيها الغش أو الكذب، بل لم يرد في أي من تلك الدراسات ذكر للطرق التي تم بها التحقق من صدق الرواة، حيث اعتبروا كونهم أطفالاً دلالة كافية على صدق حكايتهم نظراً لعدم قدرتهم على الاطلاع على مصادر المعرفة، وهو مردود بعدة أمور:

○ **الأول**: احتمال كذب الناقل، حيث لا يؤمن منه الغش والخداع، ولا وسيلة للتحقق من صدقه.

○ **الثاني**: لو افترضنا صدق الناقل فإن ذلك لا يعني صحة الرواية، حيث تظل احتمالية التدليس واردة، فقد يلقن الكبار الصغار القول ويملون عليهم القصص، فينقل الطفل ما قاله له والده رغبة في كسب المال، أو الشهرة، أو غير ذلك.

○ **الثالث**: لو سلمنا بصدق الراوي والناقل، ما أمكننا التحقق من عصمتهم من تأثير الشياطين، فقد يضلل الجان البشر، ويملون عليهم الأعاجيب ترويجاً للباطل وإمعاناً في الكفر.

○ **الرابع**: أن تناسخ الأرواح مردود شرعاً، فيلزم إبطال أي استدلال عليه، عقلاً كان أو حسّاً فلا يصمد شيء من تلك الروايات والقصص أمام التمحيص العلمي الدقيق[١].

ولذلك فإننا لا نجد لهؤلاء حجة سوى تلك الحكايات المروية، والعجب أنهم يدعون صدق هذه الفلسفة الباطلة لأن من ينكرها لا يمكنه إثبات بطلانها، وقد قال ﷺ: **«لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم»**[٢]! والأعجب منه محاولة بعض القائلين بتناسخ الأرواح الاستدلال على عقيدتهم الكفرية بآيات من القرآن[٣].

ورغم ظهور فساد الاعتقاد بتناسخ الأرواح عقلاً وحسّاً، فإننا نجد لهذا

---

(١) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم ص٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٣٥، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿أَللَّهُ﴾، برقم (٤٥٥٢).

(٣) انظر: تناسخ الأرواح: محمد الخطيب ص٥٤ ـ ٦٠.

المعتقد رواجاً كبيراً في المجتمعات الغربية، حيث أظهرت بعض الدراسات الإحصائية أن واحداً من كل خمسة أمريكان يعتقد بتناسخ الأرواح، بينما تزداد النسبة في المملكة المتحدة لتصل إلى ٣٠ أو ٣٥ ٪ من السكان(١).

وقد وظفت عقيدة التناسخ عند حركة «العصر الجديد» في تطبيقات متعددة، فاعتبرت وسيلة لمعالجة بعض الاضطرابات النفسية التي زعموا أنها بسبب أحداث الحيوات السابقة(٢).

المطلب الثاني

التواصل مع الأرواح عند حركة «العصر الجديد»

يعتبر التواصل مع «الأرواح» من السمات المميزة للتيارات الباطنية الغربية، على اختلاف بينها في ماهية الأرواح وحقيقتها، فقد تكون أرواحاً للموتى كما هو الحال في الروحية، وقد تكون أرواحاً لكائنات عليا كأرواح «السادة» في الثيوصوفي، وتلك التي أملت (دورة في المعجزات)، وقد تكون خليطاً بين هذا وذاك كما هو في حركة «العصر الجديد»، حيث يعد تحضير الأرواح والوساطة الروحية من الممارسات الشائعة المقبولة عند الحركة(٣).

وتحسن الإشارة إلى أن ما يتعلق بتحضير الأرواح يبدأ بممارسات يسيرة نسبيّاً ثم يتدرج إلى ما هو أعمق وأخطر، حيث قد تكون بداياته ادعاء التواصل مع الأقرباء الأموات للتأكد من استمرارية الحياة بعد الموت، ولكنها تتطور إلى الاعتقاد بأن تلك الأرواح لديها إمكانية الاتصال بقوى علوية تستقى منها العلوم الغيبية(٤).

لقد سبق ذكر إدغر كيسي وحالة الإغماء التي يدخل فيها حتى سمي «النبي النائم»، وهو وإن لم يكن يدعي التواصل مع الأرواح فهو يعتبر وسيطاً لكائن

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 4.

(٢) انظر: New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah Pike: 15.

(٣) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 21. New Age and Neo-pagan Religions-Sarah Pike: 16, and Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 10.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: (21-22).

ما، قد يسميه العقل الباطن أو الكلي، فهذا الكائن يعد مصدراً للعلم والإرشاد، لا يختلف كثيراً عن الروح التي يستدعيها محضري الأرواح. حيث يشمل فعلهم الاتصال بقوة غيبية يمكنها التحدث من خلال الوسيط، سواء كانت أرواح موتى، أو أرواح «الآلهة»[(١)]، وهي ممارسات انتشرت في ثمانينات القرن العشرين[(٢)].

أما جي زي نايت فإن شهرتها قائمة بالكلية على وساطتها للروح المزعوم رامثا، فهو يملي عليها معتقداته، ويستخدم جسدها لإقامة الندوات لأتباعه، ولا يُدرى إن كان رامثا كائناً شيطانيّاً له وجود في الواقع، وقد استخدم هذه المرأة لإضلال البشرية، أم أنه من نسج خيال امرأة دجالة تسعى لتحصيل الشهرة والمال.

يعد التواصل مع الأرواح عند حركة «العصر الجديد» نوعاً من الإيحاء والكشف، كما يعتبر نداء يتلقاه بعض الناس ليدلهم إلى غاية الوجود، فهو يمثل نقطة تحول في حياة هؤلاء. وفي كتاب النداء (The Call) يتحدث سبانغلر عن تجربته مع «الأرواح» دون أن يحدد نوعها وماهيتها، فهي مجرد أصوات تملي عليه أوامر، وتعليمات، وإرشادات، يهتدي بها في حياته، موضحاً أن بداية انخراطه في العمل «الروحاني» كان بإملاء من صوت خفي دله على ذلك الطريق.

ومع ذلك، فهو يعترف أن جل «الوسطاء الروحيون» الذين التقى بهم في حياته لم يكونوا ذوي أمانة أو مصداقية، حيث يقول: «إن أغلب الوسطاء الروحيون الذين التقيت بهم في ذلك الوقت لم تكن لديهم مهارة كافية، أو تواصل حقيقي، ولم تكن لديهم الأمانة للاعتراف بذلك. كأفراد كانت تدفعهم مصالحهم، والذي يهمهم هو المداهنة والسيطرة والتسلط، ولم يهمهم بشكل خاص مصلحة أو تحرير الذين قدموا إليهم لاستشارتهم»[(٣)].

يوظف التواصل مع الأرواح في حركة «العصر الجديد» في الاستشفاء، حيث تستشار الأرواح في تشخيص الأمراض، وتحديد الطرق العلاجية والدواء[(٤)]. كما

---

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 18.

(٢) انظر: The New Age-Martin Gardner: 189.

(٣) The Call-David Spangler: 30.

(٤) انظر: New Age and Neo-pagan Religions-Sarah Pike: 25.

أن بعضها يُسترشد به في التوصل إلى وسائل «الاستنارة»، وتطوير الذات، بالإضافة إلى استخدامها في الكهانة[١].

وفي نهاية القرن العشرين، تم إجراء إحصاء في الولايات المتحدة حول مصروفات حركة «العصر الجديد»، فقدرت الإيرادات الخاصة بدورات الحركة - ومنها ما يتعلق بتحضير الأرواح - بما يتجاوز ٧٣ إلى ٧٩ مليار دولار سنوياً[٢]!.

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 23.

(٢) انظر: New Age and New-pagan Religions-Sarah Pkie: 25.

المبحث الرابع

نقض عقيدة التناسخ والتواصل مع الأرواح

تتبنى حركة «العصر الجديد» عقائد منحرفة فيما يتعلق بمصير الروح البشرية، وعالم الأرواح، أبرزها القول بالتناسخ، والعمل على تحضير الأرواح، والتواصل معها، وهي معتقدات وممارسات مناقضة للشرع بدرجات متفاوتة، سيتم تناولها في هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نقض عقيدة التناسخ في الشرع.

المطلب الثاني: نقض عقيدة التناسخ عقلاً وحساً.

المطلب الثالث: حكم تحضير الأرواح والتواصل معها في العقيدة الإسلامية.

المطلب الأول

نقض عقيدة التناسخ في الشرع

يمكن نقض عقيدة تناسخ الأرواح من خلال استعراض النصوص الشرعية التي تبطل هذا المعتقد، بالإضافة إلى نقل إجماع الأمة على تكفير القائلين به.

١ ـ النصوص الشرعية التي تبطل التناسخ:

يمكن تقسيم النصوص الشرعية من حيث دلالتها على بطلان التناسخ إلى ستة أقسام:

○ **أولاً**: النصوص الدالة على أن الموت مظهر للحق، باعث لليقين، إذ إن الحق إذا انكشف لا جدوى من إعادة كشفه.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩ ـ ٢٢]؛ أي: «انكشف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلٌّ ما يصير إليه»[١]، «وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هو: الموت، فإذا جاءه الموت جاءه تصديق ما أخبره الله به من أمر الآخرة، والمقصود: الأمر بالعبادة طيلة حياة الإنسان[٣].

○ **ثانياً**: النصوص الدالة على أحوال أموات معينين، وأنهم في نعيم أو عذاب، لا في أجساد أخر.

قال تعالى في قصة آل فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما أتى جثث المشركين في قليب بدر ناداهم: «**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟!**»[٤]، والذي وعدهم ربهم هو العذاب، وليس العودة في جسد آخر في فرصة جديدة للعمل.

○ **ثالثاً**: النصوص الدالة على حياة الشهداء، فهم أحياء عند ربهم يرزقون، لا في أجساد أخرى على الأرض.

---

(١) جامع البيان: الطبري: ٢٢/٣٥٠.

(٢) معالم التنزيل: البغوي ٤/٢٧٣.

(٣) جامع البيان: الطبري: ١٧/١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٨٦، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً، برقم (٤٠٢٦)، ومسلم في صحيحه ٤/٢٢٠٢، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ١٧، برقم (٢٨٧٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

○ **رابعاً**: النصوص الدالة على إمساك أرواح الموتى وعدم إرسالها، وتناسخ الأرواح يستلزم إرسال الروح.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، وفي الآية دليل أن النفس التي قضي عليها الموت تمسك ولا ترسل، بخلاف غيرها فإنها ترسل إلى أجل مسمى.

○ **خامساً**: النصوص الدالة على امتناع الرجعة بعد الموت، وإن تمناها الكافر لما يراه من العذاب. وهي من أصرح الأدلة وأدلها على المقصود.

وقد قال الرب ﷻ مبيناً حال الكفار يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، وفي سورة الواقعة يتحدى الله ﷻ البشر في إعادة الروح بعد خروجها: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، ثم يبين مقرها الحق بعد الموت بقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩٥]. وفي سورة المؤمنون يوضح موقف الكافر عند حضور الموت قائلاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، ولكن يأتي الرد بجواب قاطع: ﴿كَلَّآ ۚ﴾ مبيناً ﷻ أن دعواهم زائفة وأنهم لا رجعة لهم أبداً ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

○ **سادساً**: النصوص الواردة في شهادة بدن الإنسان عليه، وهي تدل على ارتباط الروح بذلك الجسد لا بغيره، فإنها لو ارتبطت بعدة أجساد لتضاربت الشهادات واضطربت. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢١].

○ **سابعاً**: النصوص الدالة على أن المعارف فطرية ومكتسبة، وليست قائمة على الغنوص، أو التذكر.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

إن فيما سبق من النصوص الشرعية أدلة صريحة على بطلان عقيدة التناسخ، ومخالفتها لأصول الاعتقاد. كما أن ما ورد في كتاب الله ﷻ وفي سُنَّة رسوله ﷺ من سؤال الملكين وعذاب القبر مما يدل ـ بشكل قطعي ـ على بطلان الاعتقاد بتنقل الأرواح بين الأجساد وتناسخها. فالروح مشغولة بصاحبها، محبوسة له أو عليه. كما قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، ولا يمكن أن تغادره لتسكن جسدًا آخر، له وجود وعمل مستقل عن السابق. فسؤال الملكين وعذاب القبر يدل كل منهما على بطلان التناسخ.

وقد قال **أبو الحسن الآمدي** في معرض رده على القائلين بالتناسخ: «وأما المسلك اللائق بالمنهاج الإسلامي فهو: أن ذلك ـ أي: التناسخ ـ إن وقع مسلسلاً إلى غير النهاية أفضى إلى القول بقدم الكائنات الفاسدات، وقد عُرف ما فيه. وإن وقف الأمر ـ في الابتداء ـ على وجود نفس لبدن ما، خسيس أو نفيس لم تستحقه بناء على فعل لها سابق، ووقف الأمر ـ في الانتهاء ـ على بدن لا تستحق بعده غيره بناء على ما تفعله عند مفارقتها له، فهو وإن كان مقدوراً لله تعالى، وجائزاً في العقل، فالقول به مخالف لما اعتقدوه ومجانب لما أصلوه، مع أنه لم يدل عليه عقل، ولا ألجأ إليه نقل، بل هو مخالف لما جاء به السمع، ومضاد لما ورد به الشرع من أحكام المعاد، وحشر الأنفس والأجساد، فلا سبيل إليه. وعند ذلك فلا بد من الإشارة إلى تحقيق مذهب أهل الحق في أحكام المعاد من الحشر والنشر، ومساءلة منكر ونكير، وعذاب القبر، والصراط، والميزان، والجنة والنار وغير ذلك»(١).

ثم إنه مع ما ورد من تفاصيل أحداث القيامة، وما يحدث بعد الموت، لم ترد أي إشارة إلى عودة الروح إلى بدن آخر، و«أمر البعث أخطر من أن يقوم على الألغاز؛ لأنه واحد من أركان الإيمان الكبرى، فلكي تقوم فيها حجة الله ينبغي أن تكون من الوضوح والإحكام في صورة لا يختلف على مدلولها

---

(١) غاية المرام: الآمدي ص٢٩٧.

عاقلان»[١]، ومع ذلك لم يرد على ألسن الأنبياء ولا الصحابة شيء من ذلك[٢]، وهذا بحد ذاته كاف في رد القول بالتناسخ، فضلاً عما تم إيراده آنفاً.

قال ابن حزم: «وحكم الشريعة: أن كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة فهو كذب وفرية، فإذا لم يأت عن أحد من الأنبياء ﷺ القول بالتناسخ فقد صار قولهم به خرافة، وكذبًا، وباطلاً»[٣].

٢ ـ إجماع الأمة على تكفير القائلين بالتناسخ:

لقد تبينت ـ مع استعراض النصوص السابقة ـ معارضة القول بتناسخ الأرواح للعقيدة الإسلامية، وأصل التوحيد، ولذلك فقد أجمع علماء الأمة على تكفير القائلين به، وصرحوا بأن القول بالتناسخ قول خارج عن الإسلام بالكلية.

ورغم أن الإجماع قد يُعد حجة في ذاته، إلا أنه ـ في هذا السياق ـ داعم ومؤيد للنصوص الشرعية الصحيحة الصريحة، ولا حاجة لاعتباره دليلاً على وجه الاستقلال.

وإذا تأملنا عقيدة التناسخ اتضح أن السبب في تكفير معتنقيها يكمن في جانبين:

الأول: تكذيب القرآن.

الثاني: إنكار المعاد.

يقول ابن حزم الظاهري في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل: «ويكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح.. قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[٤]. وقال في موضع آخر بعد استعراض عقيدة التناسخ: «وهذا مذهب أهل التناسخ وهو كفر مجرد»[٥].

ويقول ابن القيم في كتاب الروح: «وهذا قول المتناسخية منكري المعاد،

---

(١) الإسلام في موجهة الباطنية: أبو الهيثم ص٤٧.
(٢) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم ص٤٨.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ١/ ٩٣ ـ ٩٤.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ١/ ٩١.
(٥) رسائل ابن حزم ٣/ ٢٢٠.

وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم»[١]، ونقله عنه ابن أبي العز في شرحه للطحاوية[٢].

ويوضح رَحِمَهُ اللهُ مناقضة القول بالتناسخ للإيمان باليوم الآخر قائلاً: «التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل ـ من الملاحدة وغيرهم ـ الذين ينكرون المعاد: أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان، والحشرات، والطيور التي تناسبها وتشاكلها. فإذا فارقت هذه الأبدان، انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات، فتنعم فيها أو تعذب، ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر، تناسب أعمالها وأخلاقها، وهكذا أبداً. فهذا معادها عندهم، ونعيمها وعذابها، لا معاد لها عندهم غير ذلك. فهذا هو التناسخ الباطل، المخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وهو كفر بالله واليوم الآخر»[٣].

وقال **الشهرستاني** في «الملل والنحل»: «كفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا، والثواب والعقاب في هذه الأشخاص»[٤]. كما كفَّر الغزالي الفلاسفة في «التهافت» بثلاث مسائل، منها: إنكارهم لمعاد الأبدان[٥].

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحكم بقوله: «ومن أنكر المعاد ـ مع قوله بحدوث هذا العالم ـ فقد كفره الله، فمن أنكره ـ مع قوله بقدم العالم ـ فهو أعظم كفراً عند الله تعالى»[٦]. فالتناسخ «ـ في مفهوم أصحابه ـ عملية تحويل وانتقال مستمرة أبداً لا يُتصور لها نهاية، وهي بذلك تستتبع الحكم بسرمدية الأرض، والأفلاك، فلا يعتريها فناء ولا اضمحلال»[٧].

هذا وقد أورد الشيخ **سليمان بن عبد الله** «تناسخ الأرواح، وانتقالها من شخص في شخص أبد الأبد»[٨] ضمن أمثلة الاعتقاد المكفر.

---

(١) الروح: ابن القيم ص٩٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ٢/ ٥٨٤.

(٣) الروح: ابن القيم ص١١٤.

(٤) الملل والنحل: الشهرستاني ١/ ١٥١.

(٥) انظر تهافت الفلاسفة: الغزالي ص٣٠٧ ـ ٣٠٨.
والمسائل الثلاث هي: قولهم بقدم العالم، وإنكارهم علم الله بالجزئيات، وإنكارهم لمعاد الأبدان.

(٦) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٧/ ٢٩١.

(٧) الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم ص٤٨.

(٨) التوضيح: سليمان بن عبد الله ص٩٩.

المطلب الثاني

نقض عقيدة التناسخ عقلاً وحسّاً

لقد «فرض العقل الإنساني التناسخ فرضاً، واعتسفه اعتسافاً، وتقبّله، وآمن به، وليس بين يديه شاهد يشهد له، أو دليل يدلّ عليه.. وما ذلك إلا لأنه رأى الحياة الدنيا، لا تضع موازين العدل بين الناس، ولا تأخذ للمظلوم حقّه من ظالمه»[١]. ولو أنه آمن بالحياة الآخرة، واقتصر على المصادر الصحيحة للغيب، ما احتاج لإقحام عقله فيما لا يُحسن، وابتداع عقائد منحرفة، لا يقبلها عقل ولا دين. فإن تصور التناسخ «شيء يتعلق بالمغيبات، كما هو معلوم، والأمور الغيبية لا سلطان للعقل عليها، ما دام بينها وبينه حجاب لا ينفذ منه أي برهان من البراهين التجريبية والمشاهدة، أو اللزوم البيّن، أو القياس الأولى القائمين على الاستقراء التام، فالخيال قد يذهب في هذه المغيبات في كل مذهب، ولكن العقل لا يصدق أي مذهب ما لم يقم عليه البرهان السليم»[٢].

وليس القول بتناسخ الأرواح مردود بالشرع فحسب، بل إن العقل والحس يخالفانه كذلك، فإن هذه الدعوى الباطلة لا تعتمد على برهان حسي أو عقلي، بل قد قامت الأدلة على بطلانها. أما الأدلة الشرعية فقد تم عرضها في المطلب الأول، وأما الأدلة العقلية فيمكن إجمالها في التالي:

١ ـ لو كانت الروح تنتقل من جسد إلى آخر للزم أن يتذكر الإنسان شيئاً من أحوال بدنه السابق، وأحداث حياته، وما يشاهده المرء من نفسه مخالف لذلك[٣].

٢ ـ لو أن كل نفس تفارق بدناً ما لا بد وأن تقترن ببدن آخر، للزم أن يتساوى عدد الوفيات وعدد الولادات، دون زيادة أو نقصان، وإلا لبقيت بعض

---

(١) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب ٦/ ٩٥٤.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية: البوطي ص٣١٥ ـ ٣١٦.

(٣) قد يمر بالإنسان مواقف يراوده شعور بأنه قد عايشها من قبل، وهو ما يسمى ديجافو (Dejavou). غير أن عدداً من الدراسات أثبتت أن ذلك الشعور نوع من «الخدع» العقلية، بحيث يحصل إعادة للحدث في الذهن، فيأتي الشعور بأنه حدث مكرر.
انظر: قوى العقل الفيزيائية: روجيه الخوري ص١٥٦ ـ ١٥٨.

الأرواح أو الأبدان معطلة، وهذا لا يصح عندهم[١]. وإن قيل أن بعض الأرواح تتحرر من التناسخ للزم أن يكون عدد الولادات أقل من الوفيات، وهذا مخالف للواقع إذ البشرية في تزايد مستمر.

٣ ـ يلزم القائلين بهذا القول أن ينكح الناس أمهاتهم وآباؤهم ومحارمهم، حيث لا يمكن تمييز الروح التي تقمصت الجسد.

٤ ـ إذا كانت الروح تسكن أكثر من جسد خلال حيواتها المتعاقبة، فأي الأجساد يبعث؟ وأيها يسأل؟ وأيها يعذب أو يُنعم؟ إذ من المعلوم أن النعيم أو العذاب يكون أبلغ إذا كان للروح وللبدن معاً[٢].

ورغم وضوح الأدلة الشرعية والعقلية على بطلان عقيدة التناسخ، نجد أصحابها لا يزالون يسعون إلى دعم عقيدتهم بشبهات عقلية ونقلية، فاستدل بعضهم بوجود صفاتٍ حيوانية في البشر، ووجود صفات بشرية في الحيوان؛ كقابلية التعلم، وبعض المعارف الأساسية، فرأوا أن ذلك بسبب انتقال روح الآدمي للحيوان، ولم يلتفتوا إلى أن تلك الصفات خاصة بأنواع محددة من الحيوانات، ولا تشملها كلها، أو تتخلل أنواعها، مما يدل على محدودية هذا القول، كما أنه من المعلوم أن بعض الحيوانات يولد ببعض الخصائص الغريزية التي تعينه على البقاء، ولا تعلق لها بجسد سابق سكنته روحه[٣].

«ثم إن من المنتمين ـ من التناسخية ـ إلى دين الإسلام يروجون هذا الرأي بالعبارات المهذبة، والاستعارات المستعذبة، ويصرفون إليه بعض الآيات الواردة في أصحاب النار اجتراء على الله وافتراء»[٤]، وكل ذلك مردود بالنصوص الصريحة الدالة على خلافه.

---

(١) وهذا خاص بالقائلين بتناسخ الأرواح بين أجسام الآدميين فقط.

(٢) انظر: النفس البشرية ونظرية التناسخ: أحمد تفاحة ص٧٧ ـ ٨٠.

وهذا رد على من يحاول الجمع بين عقيدة التناسخ والشريعة الإسلامية، أو من يرى أن التناسخ ينتهي إلى غاية. ولكن الأصل أن من يقول بالتناسخ لا يؤمن بالبعث الجثماني.

(٣) انظر: تناسخ الأرواح: مصطفى الكيك ص٦٠، وتناسخ الأرواح: محمد الخطيب ص٧١.

(٤) شرح المقاصد: التفتازاني ٢/ ٣٩.

المطلب الثالث

حكم تحضير الأرواح والتواصل معها في العقيدة الإسلامية

قبل الحديث عن حكم تحضير الأرواح والتواصل معها، لا بد من التقديم بالاحتمالات الواردة في حقيقة «الأرواح» التي يتم التواصل معها:

○ **الاحتمال الأول**: أن لا يكون ثمة «روح» يتم تحضيرها أو التواصل معها، وإنما هو دجل، وخداع، وكذب، بحيث يصور المحضر أنه على اتصال بعالم الأرواح وهو ـ في الحقيقة ـ يصطنع ذلك كله. وهذا يحصل من أناس يطمعون في الشهرة، أو المال، أو تحقيق أغراض شخصية.

○ **الاحتمال الثاني**: أن تكون «الروح» التي يتم التواصل معها من صنع خيال المحضر، ولا وجود لها على الحقيقة. وهذا النوع من «الهلوسة» يحدث نتيجة بعض أنواع الأمراض العقلية، وكنتيجة للعزلة المطولة، أو الرياضات التصوفية المفرطة، وكذلك عند استخدام العقاقير المسببة للهلوسة.

○ **الاحتمال الثالث**: أن يكون ثمة اتصال بوجود «روحي» على الحقيقة، وفي هذه الحال تختلف دعاوى المحضرين في ماهية تلك «الروح» على ثلاثة أقوال:

- أن يدعي المحضر أنه يتخاطب مع أرواح الموتى.
- أن يدعي المحضر أنه يتخاطب مع كائنات علوية، سواء سماها ملائكة أو «سادة» أو غير ذلك.
- أن تكون «الأرواح» المعنية هي من الجن، سواء ادَّعى الجني الإسلام، أم لم يدَّعِه.

أما الاحتمال الأول فحكمه حكم الكذب الذي هو من كبائر الذنوب، إلا إن اقترن به ادعاء غيب، أو دعوى نبوة، أو ما شابه ذلك فحكمه حكم ما اقترن به، وهو كفر، أو شرك أكبر مخرج من الملة. قال ﷺ: «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١). وعنه ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٥، كتاب: الأدب، باب: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾، برقم (٦٠٩٤).

أخلف، وإذا اؤتمن خان»[١]. كما حذر ﷺ من الغش وشدّد على ذلك في قوله ﷺ: «وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[٢].

وأما الاحتمال الثاني، فإن كان ما يراه بسبب اختياري يمكنه تجنبه، ويتعمد إيهام نفسه وتضليل غيره، فحاله حال من تعمد إذهاب عقله، غير معذور على ما يصدر منه حال ذلك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإن تركوا واجباً، أو فعلوا محرماً، مع إمكان العلم والقدرة، فهم مؤاخذون على ذلك، وإن كان مع سقوط التمييز لسبب يعذرون به مثل زوال عقل بسبب غير محظور، أو سكر بسبب غير محظور، أو عجز لا تفريط فيه، فلا ذم عليهم. وإن كان مع التكليف فسبب الذم قائم»[٣]. ويقول رحمه الله في موضع آخر: «فأما إذا كان السبب محظوراً، لم يكن السكران معذوراً، لا فرق في ذاك بين السكر الجسماني والروحاني، فسكر الأجسام بالطعام والشراب، وسكر النفوس بالصور، وسكر الأرواح بالأصوات»[٤]. «بخلاف ما إذا زال بسبب غير محرم، كالإغماء لمرض أو خوف، أو سكر بشرب غير محرم، مثل أن يجرع الخمر مكرهاً فإن هذا لا إثم عليه»[٥].

فإن ادَّعى المحضر أنه يتخاطب مع أرواح الموتى، قيل: إن هذه دعوى لا يمكن للمدعي إثباتها، بل الأدلة أقرب إلى المنع. فعالم البرزخ عالم غيبي تختلف أحواله عن عالمنا المشهود، ولا يمكننا الاطلاع على شيء من تلك الأحوال، أو معرفتها إلا من خلال المصادر الصحيحة لعلوم الغيب. وإمكانية التواصل مع أرواح الموتى لم يثبت فيه شيء في الشرع، فأقل ما يقال فيه لزوم التوقف، وإلا فمنعه أقرب شرعاً وعقلاً، لما يلي:

١ ـ أنه لا سبيل للتحقق من أن الذي تتم محادثته هي روح الميت المقصود، حيث لا يُستبعد تدخل الشياطين، ومحاكاتهم لحاله ومقاله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٦، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، برقم (٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٩٩، كتاب: الإيمان، باب: (٤٣) قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، برقم (١٠١).

(٣) الاستقامة: ابن تيمية ٢/١٤٣.

(٤) مجموع الرسائل والمسائل: ابن تيمية ١/١٦٨.

(٥) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٠/٣٤٧.

٢ ـ أن القول بإمكانية تواصل الموتى مع الأحياء يتعارض مع النصوص الواردة في انقطاع عمل الإنسان بالموت، فالإسلام يقطع بأن ميدان العمل هو الحياة الدنيا فقط، وأن الآخرة دار الجزاء. وهو ما سبقت الإشارة إليه في المبحث الثاني.

٣ ـ أن الأموات في شغل عن التخاطب مع الأحياء، وإسداء النصائح والإرشادات، سواء كانوا من أهل النعيم، أم كانوا من المعذبين.

٤ ـ أن «الأرواح» التي يزعم المحضرون استدعاءها تأت بما يتناقض مع مسلّمات الشرع، مما يجعل المسلم يقطع بعدم مصداقيتها، «وكم من كافر حضروا روحه لتعلن سرورها في عالمها الجديد»[1]!

وهنا قد يقول قائل بأن «الأرواح» التي نخاطبها ليست من الشياطين بدليل أنها توصي بالخير، أو أنها تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر. وهذا القول مردود لأمور، منها:

- أن الجني قد يكون مسلماً عاصياً يأمر بالخير أحياناً، وأحياناً أخرى يغلب عليه الشر، قال الله تبارك وتعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]، وقد يكون من الكفرة المدلسين، فقد قال إبليس نفسه: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، بل أقسم على ذلك.
- أن الشيطان يسعى لإضلال الناس بطرق ملتوية، فقد يأمر بالخير مراراً ليتوصل به إلى باب من الشر[2]، وفيه يقول ابن القيم: «أن الشيطان يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً»[3].

وبعد تأمل مقولات الأرواح يقول **محمد الغزالي**: «فأدركت أن التعاليم الجديدة مجموعة خرافات تنبت من الأرض، ولم تنزل من السماء، وأن من أوحوا بها ليسوا أرواحاً هادية، وإنما هم مردة الجن»[4]. إلى أن قال: «ولا

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب: محمد الغزالي ص٢٦٤.

(٢) انظر: تحضير الأرواح وتسخير الجان: مجدي الشاوي ص٣٧.

(٣) بدائع الفوائد: ابن القيم ٢/ ٢٦١.

(٤) ركائز الإيمان بين العقل والقلب: محمد الغزالي ص٢٦٤.

يحتاج المرء إلى عميق ذكاء ليرى أن الروحية الحديثة بما وفدت به من تعاليم تقوم على وحدة الوجود، فالله والعالم شيء واحد! وعلى تناسخ الأرواح، وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن، فلا فناء للدنيا، وليس هناك يوم للبعث والحساب العام. وعلى أن الشرائع القديمة قد استنفذت أغراضها، والروحية الحديثة هي التي ستهدي العالمين بوحيها العصري المتقدم!»[١].

فإن قيل: إن «الأرواح» هي ملائكة، أو كائنات علوية نورانية. قيل: وما يدريكم أنها كذلك؟ إذ لا سبيل للتحقق من هوية «الروح» بالطرق التقليدية. علماً أنه لم يرد دليل على وقوع الاتصال بالتخاطب بين الملائكة والبشر إلا في حال الوحي، وقد انقطع الوحي بعد وفاة النبي ﷺ. فإن قيل: قد يحصل على سبيل الكرامة، قيل: إن الله إنما يكرم أولياءه، وباستقراء أحوال محضري الأرواح فإن أحوالهم لا تشبه أحوال أولياء الرحمٰن كما أن للكرامة شروطاً وعلامات لا تتوفر في ما يفعله محضري الأرواح. أما «السادة» أو الكائنات العلوية فهي كسابقتها غير أنها تزيد عليهم بأن ذات وجودها يفتقر إلى دليل ليثبته أصلاً!

مسألة: التواصل مع الجن والاستعانة بهم:

عند استعراض الاحتمالات الواردة في «الأرواح» الذين يتم التواصل معهم، والاسترشاد بتوجيهاتهم، اتضح رجحان القول بأن تلك الأرواح هي من شياطين الجن في كثير من الأحوال. ولذلك يحسُن التطرق لحكم التواصل مع الجن، والاستعانة بهم، وهي مسألة كثر طرقها، والجدل فيها ـ خاصة في الأزمنة المتأخرة. غير أنه يلزم تحرير محل النزاع قبل سياق الأدلة على القول الراجح.

يمكن حصر الأسباب التي تدعو إلى التواصل مع الجن في سببين:

١ ـ التواصل معهم من أجل دعوتهم. وهو أمر مشروع لمن صادفهم واستطاع ذلك، فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**»[٢]. وهو وارد عن بعض السلف والخلف، قال

---

(١) المرجع السابق ص٢٦٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٣٢، كتاب: الصلاة، باب: ٣٣، برقم (٤٤٩).

شيخ الإسلام: «ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم.. ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى لغيرنا»(١).

٢ ـ أن يكون التواصل معهم من أجل تحقيق مصلحة للحي، سواء كان التواصل لطلب المشورة، أو كان لاطمئنان النفس، أو للسؤال عن المجهول، أو غير ذلك، فكله داخل ضمن استخدام الجن، والاستمتاع بهم.

وقد قسم العلماء استخدام الإنسي للجني إلى ثلاثة أقسام(٢)، لكل قسم حكم خاص به:

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٤/ ٢٣٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

وفيها قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا: أن الجن مع الإنس على أحوال، فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به رسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه. ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له، فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له... فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك... ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل... فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان. ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص، إما فاسق وإما مذنب غير فاسق. وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله... ونحو ذلك، فهذا مغرور قد مكروا به، وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه صالح وتكون عبادته ـ في الحقيقة ـ للشيطان. قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾. المرجع السابق.

وقد احتج بعضهم بالنص السابق على إباحة شيخ الإسلام للاستعانة بالجن في المباحات، والذي يظهر أنه ليس فيه دلالة على ذلك، فسياق كلامه في النوع الثالث يدل عدم جواز النوعين الأول والثاني، حيث قال رحمه الله تعالى: «وهذه حال نبينا ﷺ، وحال من =

القسم الأول: أن يستخدمه في طاعة الله، كأن يكون نائباً عنه في تبليغ الشرع، فيأخذ الجني العلم عن الإنسي ليبلغ الشرع لنظرائه من الجن، أو يستخدمه في المعونة على أمور مطلوبة شرعاً، فإنه يكون أمراً محموداً أو مطلوباً، وهو من الدعوة إلى الله ﷻ.

القسم الثاني: أن يستخدم في أمور محرمة كنهب أموال الناس وترويعهم وما أشبه ذلك، فهذا محرم لما فيه من العدوان والظلم، ثم إن كانت الوسيلة محرمة، أو شركاً كان أعظم وأشد.

القسم الثالث: أن يستخدمه في أمور مباحة، فهذا الذي وقع فيه النزاع.

والأقرب والله أعلم منع ذلك كله لأسباب، من أبرزها ما يلي:

○ أنه لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه ﵃، الاستعانة بالجن في شيء من أمور دنياهم، رغم وجود الحاجة لذلك فيما يخص القتال، وكشف أسرار الأعداء، وما شابه ذلك، مما يدل على عدم مشروعيته، إذ لم يكلفهم النبي ﷺ بشيء عدا تبليغ الرسالة لقومهم، وأما سائر شؤونه كغزواته وحروبه، واستطبابه، ومشورته، فلم يكن النبي ﷺ يستعين بهم، ولا يستخدمهم، ولا يسألهم عن أمرٍ غائب.

فإن قيل: إنما تركوا الاستعانة بالجن تورعاً، كما كان الصحابة ﵃ يتورعون عن الاستعانة بالإنس، قيل: هذا مردود بانعدام المثال الدال على الإباحة، فإنه رغم ترك الصحابة الاستعانة بالبشر في كثير من أحوالهم، لا نعدم حالات استعان بها كبار الصحابة بإخوانهم، بل إن النبي ﷺ كان يستعين ببعض أصحابه في بعض أحواله. وفي المقابل فإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الدين من أول التاريخ إلى اليوم، لم ينقل عن واحدٍ منهم أنه استخدم الجن. قال ابن تيمية عن رسول الله ﷺ: «فلم يستخدم الجن أصلاً، لكن دعاهم إلى الإيمان بالله، وقرأ عليهم القرآن، وبلغهم الرسالة، وبايعهم كما فعل بالإنس»[1]، وفي الحديث: «**سترون من بعدي اختلافاً شديداً،**

= اتبعه واقتدى به من أمته، وهم أفضل الخلق، فإنهم يأمرون الإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله، وينهون الإنس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله».

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٣/ ٨٩.

فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ»[١].

○ أن النبي ﷺ عدل عن ربط الشيطان في سارية المسجد لما ذكر أن تسخير الجان من خصائص سليمان ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً»**[٢]. فلما لم يخالف النبي ﷺ دعوة سليمان ﷺ في مجرد ربط العفريت وتقييده من غير استخدام له، أو استعانة به استجابة وتأدباً، كان ذلك لمن هو دونه أحق وأولى.

أما قول من قال: إن دعوة سليمان ﷺ خاصة بتسخير الجن عنوة، أما استخدام غيره فمتوقف على اختيار الجني، فلا دليل على تخصيصه. ذلك، وقد جرت عادة الجن أنهم لا يخدمون الإنسان إلا إذا تقرب إليهم بالعبادة أو امتهان مقدس، أو بأمر إلهي، وهو ما اختص الله به سليمان ﷺ.

○ أن قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، يدل على أن طبيعة الجن الاختفاء عن البشر، ومنه اشتق اسمهم، فالاجتنان بمعنى الاستتار[٣]، «يقال: سمِّيتْ بذلك لأنها تُتَّقى ولا تُرى»[٤]، فكيف يزعم زاعم أن الجن تظهر له متى شاء، وإن جازت رؤيتهم في صور غيرهم. وقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال: «من زعم ـ من أهل العدالة ـ أنه يرى الجن أبطلت شهادته، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، إلا أن يكون نبياً»[٥].

○ أنه لا توجد وسيلة للتحقق من إسلام الجن من دون وحي وذلك لتباين العالمين، ولا يمكن اعتبار القرائن لوجود احتمالية النفاق.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/ ١٥، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين، برقم (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠ برقم (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٢، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾، برقم (٣٤٢٣).

(٣) انظر: لسان العرب: ابن منظور ١٣/ ١٠٠، ومختار الصحاح: الرازي ص٦٢.

(٤) الصحاح: الجوهري ٥/ ٢٠٩٤.

(٥) انظر: تفسير الإمام الشافعي ٢/ ٨٤٨، وأحكام القرآن للشافعي ٢/ ١٩٤.

فإن قيل: لا نشترط إسلام الجني عند استخدامه كما لا يُشترط إسلام الإنسي المستخدم، قيل: إن الأصل أن الكافر لا يؤتمن، ولكن لما أمكن تتبع الإنسي الكافر ومحاسبته على غدراته كان استخدامه مقبولاً، أما الجني الكافر فلا سبيل لمحاسبته ولا حاجة له بالأمانة، إذ الأصل فيهم الكذب والخيانة، ولا يصح حمل خبرهم على الصدق. فعن أبي هريرة ﷺ، قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ـ فذكر الحديث ـ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح» فقال النبي ﷺ: **«صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»**[1]. وقال ابن تيمية: «وأما سؤال الجن، وسؤال من يسألهم فهذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به، والتعظيم للمسؤول فهو حرام، كما ثبت في الصحيح.. أن النبي ﷺ قيل له: إن قوماً منّا يأتون الكُهَّان؟، فقال: **«فلا تأتوهم»**[2]، وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ لم تقبل صلاته أربعين يوماً»**[3][4].

○ أن الأصل في شرع الله المنع من مباشرة العوالم الغيبية، وتعمد حضورها، ومما يدل على ذلك قصة ابن مسعود ﷺ عندما خرج مع النبي ﷺ عنه حتى وصل إلى بطحاء مكة فخط خطاً حول ابن مسعود، وقال: **«لا تبرحن خطك، فإنه سينتهي إليك رجال، فلا تكلمهم، فإنهم لا يكلمونك»**، قال ﷺ: «ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينا أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزُّطّ[5] أشعارهم وأجسامهم، لا أرى عورة، ولا أرى قشراً، وينتهون إلي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٣/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٧٥).

(٢) أخرجه مسلم بلفظ: **«فلا تأتهم»** في صحيحه ٣٨١/١، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ٧، برقم (٥٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٥١/٤، كتاب: السلام، باب: ٣٥،برقم: ٢٢٣٠ بلفظ: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٦٢/١٩.

(٥) قال ابن حجر: «الزُّط بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان وقيل هم نوع من الهنود وهم طوال الأجسام». فتح الباري ٤٨٥/٦.

ولا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله»[١].

○ أن الله تعالى حرم استمتاع الإنس بالجن، والجن بالإنس، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]. قال ابن تيمية: «ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة كما يخبر الكهان، فإن في الإنس من له غرض في هذا، لما يحصل به من الرياسة والمال وغيره، فإن كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال: إنه كاهن... وإن كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن، بل يجعل ذلك من باب الكرامات، وهو من جنس الكهان، فإنه لا يخدم الإنسي بهذه الأخبار إلا لما يستمتع به من الإنسي، بأن يطيعه الإنسي في بعض ما يريده»[٢]. وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «لا تجوز الاستعانة بالجن في معرفة نوع الإصابة، ونوع علاجها لأن الاستعانة بالجن شرك، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨]، ومعنى استمتاع بعضهم ببعض: أن الإنس عظموا الجن، وخضعوا لهم، واستعاذوا بهم، والجن خدموهم بما يريدون، وأحضروا لهم ما يطلبون، ومن ذلك إخبارهم بنوع المرض، وأسبابه، مما يطلع عليه الجن دون الإنس وقد يكذبون فإنهم لا يُؤمَنون، ولا يجوز تصديقهم. والله أعلم»[٣].

وفي «الآداب الشرعية»: «قال أحمد.. في الرجل يزعم أنه يعالج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم، أو يزعم أنه يخاطب الجن، ويكلمهم، ومنهم من يخدمه. قال: ما أحب لأحد أن يفعله تركه أحبّ إليّ»[٤]، والكراهة عند الإمام أحمد بمعنى التحريم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٤٥، أبواب: الأمثال عن رسول الله، باب: ما جاء في مثل الله لباده، برقم (٢٨٦١)، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي ٦/ ٣٦١.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٣/ ٨٢.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (المجموعة الثانية) ١/ ٩٢.

(٤) الآداب الشرعية: ابن مفلح ١/ ١٩٨.

○ أن الاستعانة بالجن فيما تُعتقد إباحته ذريعة إلى استخدامهم فيما يُقطع بتحريمه، لا سيما والمشاهَد توسع الناس في مثل هذه الأمور. ففتح هذا الباب يؤدي إلى مفاسد عقدية خطيرة، وحسمها بالمنع تشهد له نصوص الشريعة(١). كما أن مثل هذا الفعل يشبه أفعال السحرة، مما قد يُلبس على العوام التمييز بين الحق والباطل، فيتقبلون ما يفعله الفجرة بسبب تمهيد مستخدمي الجن.

○ وأخيراً، لا بد من الإشارة إلى أن الجن خلق من خلق الله، جبلوا على الضعف كغيرهم، ويجهلون كثيراً ويخطؤون، ولا يعلم أحد منهم الغيب، ألم تر إلى قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

---

(١) وسئل الإمام ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ عن حكم استخدام الجن من المسلمين في العلاج إذا لزم الأمر؟ فأجاب بقوله: «لا ينبغي للمريض استخدام الجن في العلاج ولا يسألهم، بل يسأل الأطباء المعروفين، وأما اللجوء إلى الجن فلا؛ لأنه وسيلة إلى عبادتهم وتصديقهم؛ لأن في الجن من هو كافر، ومن هو مسلم، من هو مبتدع، ولا تعرف أحوالهم، فلا ينبغي الاعتماد عليهم، ولا يسألون، ولو تمثلوا لك، بل عليك أن تسأل أهل العلم والطب من الإنس. وقد ذم الله المشركين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦]، ولأنه وسيلة للاعتقاد فيهم والشرك، وهو وسيلة لطلب النفع منهم، والاستعانة بهم، وذلك كله من الشرك».
انظر: مجلة الدعوة، العدد ١٦٠٢: ٣٤.

الفصل الرابع

مكانة الإنسان وأثره في تشكيل الواقع والمصير

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظرة الإسلام للإنسان، ودوره في واقعه ومصيره.

المبحث الثاني: مكانة الإنسان عند حركة «العصر الجديد» وأثره في تشكيل واقعه ومصيره.

المبحث الثالث: نقض نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان وقدراته.

المبحث الأول

مكانة الإنسان في الإسلام ودوره في واقعه ومصيره

لقد جاء الإسلام تبياناً لكل شيء، وواضعاً كل شيء في موضعه، موضحاً مكانة الإنسان بين المخلوقات، ومبيناً حدود قدراته وإمكانياته، ليعلم الإنسان قدره ومقامه، ويعمل بناء عليه، لا يتجاوزه، ولا يقصر عنه.

وفي هذا المبحث سيتم تناول مكانة الإنسان في الإسلام، ودوره في واقعه ومصيره، وذلك من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تكريم الإسلام لبني آدم.

المطلب الثاني: دور الإنسان في تشكيل واقعه الدنيوي.

المطلب الثالث: دور الإنسان في تحديد مصيره الأخروي.

وفيما يلي تفصيلها:

المطلب الأول

تكريم الإسلام لبني آدم

لقد كرم الله الإنسان، وفضله على كثير من المخلوقات، حيث إن الرب ﷻ قد حباه بقدرات، وألقى عليه مسؤوليات تميزه عن غيره من الكائنات، حتى

فاقت منزلته منازل أكثر خلق الله. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقد اختُلف في تفضيل صالحي البشر على الملائكة[١]

قال ابن حزم: «فإنما فضل الله تعالى ـ بنص كلامه ﷻ ـ بني آدم على كثير ممن خلق، لا على كل من خلق، وبلا شك أن بني آدم يفضلون على الجن، وعلى جميع الحيوان الصامت، وعلى ما ليس حيواناً»[٢].

أما الملائكة، فقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية في المفاضلة بينهم وبين بني آدم، حيث قال: «الملائكة أفضل باعتبار البداية لأنهم خُلقوا من نور، واصطفاهم الله لنفسه، وبنو آدم أفضل باعتبار النهاية لأنهم هم الذين يكونون في جوار الله في الجنة، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم، فهم أفضل باعتبار النهاية»[٣].

ومما رفع قدره وميزه عمن سواه تلك الإرادة التي أودعها الله فيه، وجعلها مناط التكليف، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فهذه المسؤولية هي التي جعلته يتبوأ مكانة خلافة الله في الأرض، وسيادة العالمين. ولكنه سيد خاضع مذلل لسيده وخالقه الذي منحه الملك والسيادة.

وتظهر كرامة بني آدم من جوانب متعددة، من أبرزها:

١ ـ إكرامه في خلقته.

٢ ـ كفالة أمنه.

٣ ـ إكرامه بمنحه المشيئة والاختيار.

٤ ـ تسخير المخلوقات له.

٥ ـ إكرام الإنسان بالإسلام، وهي كرامة خاصة.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية: ابن أبي العز: ٣٨١، وشرح العقيدة السفارينية: ابن عثيمين ص٤٤٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ١٨/٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣٤٢/٤.

١ ـ إكرام الإنسان في خلقته:

لقد أكرم الله الإنسان بأن أحسن خلقه، وشرف هيئته، ورزقه العقل والإدراك، وأمر الملائكة بالسجود له. «قال بعض أهل العلم: من تكريمه لبني آدم خلقه لهم على أكمل الهيئات وأحسنها»[١]، ومن ذلك:

- أن الإنسان يمشي قائماً منتصباً على رجليه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع[٢].
- ومنه: أنه ﷻ جعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يستطيع أن يدرك بها المعارف ويزيل عن نفسه الجهل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].
- ومنه: أنه يأكل بيديه، لا كغيره من المخلوقات التي تأكل بفمها من الأرض مباشرة، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. «هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل»[٣].
- ومنه: أنه رفع قامته، وخلقه في أحسن تقويم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]

قال ابن القيم رحمه الله ملخصاً معاني الإكرام: «فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها من العقل، والعلم، والبيان، والنطق، والشكل، والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقد المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر، والطاعة، والانقياد»[٤].

٢ ـ إكرام الإنسان بكفالة أمنه:

لقد أكرم الشرع الإنسان حيث كفل له أن يعيش في أمان، لا يعتدي عليه أحد ـ إلا بحق، ولا يعتدي على أحد ـ إلا بحق، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا

---

(١) أضواء البيان: الشنقيطي ٣/ ١٧٥.
(٢) انظر: المرجع السابق ٣/ ١٧٥.
(٣) معالم التنزيل: البغوي ٣/ ١٤٥.
(٤) مفتاح دار السعادة: ابن القيم ١/ ٢٦٣.

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

«وإذا كان الله قد ضمن التكريم للإنسان، فإن ذلك يعني ـ ضمناً ـ أن على الإنسان أن يكرم أخاه الإنسان، وألا يعتدي عليه أو ينكر حقه. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد واجب المسلم في منع الظلم، والاعتداء والحيف على الحقوق، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى محذراً من عواقب الظلم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]»[1].

٣ ـ إكرام الإنسان بأن وهبه المشيئة والاختيار:

لقد أكرم الله البشرية بأن أعطى الإنسان التصرف في شؤون نفسه، وحمّله مسؤولية كسبه واختياره، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]. وجعل له حرية اختيار مطعمه، وملبسه، ومركبه، غير أنه قيد تلك الحرية بأوامر الله ونواهيه.

ولذلك «فلا يجوز لأحد أن يجهل أن الإسلام ـ دون سائر الأديان ـ دعا إلى الحرية، وجعل إليها منافذ عديدة، ورغَّب في تحقيقها، بما جعل الله من الأجر الجزيل لمن حققها، ونهى عن الكبت الذي يكون سببه طغيان القوي ضد الضعيف، وتسلط الطغاة على المستضعفين دون وجه شرعي»[2]، أما الحرية التي يُراد بها التحلل من قيود القيم والمبادئ التي دعا إليها الدين، والانفلات عن الآداب والأخلاق، فهي ليست من الإسلام في شيء ـ بل هي عودة إلى الحياة البهيمية من أوسع الأبواب.

٤ ـ إكرام الإنسان بتسخير المخلوقات له:

ومما يدل على تكريم الإنسان أن الله ﷻ قد سخر له كل ما في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣]، «فجميع ما في الأرض مسخر لبني آدم، حيواناتها لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها،

---

(١) حقوق الإنسان والقضايا الكبرى: كامل الشريف ص٦.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة: د. غالب عواجي ٢/ ١١٨٧.

وثمارها يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها»[١]. وقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، «فذلك كله لكم، تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم»[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢، ٣٣]. وفي كتاب الله تعالى تأكيد شديد على كرامة الإنسان، وأن جميع ما في هذا الكون إنما خُلِقَ له ومن أجله، وسخره الله لنفعه.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم»[٣].

٥ ـ إكرام الإنسان بالإسلام:

إن أعظم ما أكرم الله به الإنسان هو إرساله إليهم رسلاً منهم، يهدونهم إلى صراطه المستقيم، وهذه الكرامة خاصة بأهل الإيمان الذين أنعم الله عليهم بالهداية، فإن النعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة.

- أما النعمة المطلقة: فهي نعمة الإسلام الذي به تتحقق السعادة الأبدية، وهي الصراط المستقيم والطريق القويم.
- وأما النعمة المقيدة: كنعمة العافية، وحسن الخَلْق، ونعمة الأمن، وأمثال ذلك فيشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر[٤].

قال ابن القيم: «النعم المقيدة، لما كانت استدراجاً للكافر، ومآلها إلى العذاب والشقاء، فكأنها لم تكن نعمة، وإنما كانت بلية، كما سماها الله تعالى في كتابه كذلك، فقال تعالى: [الفجر: ١٥ ـ ١٧]؛ أي: ليس كل من أكرمته في

(١) تيسير الكريم المنان: ابن سعدي ص٤٥٥.
(٢) جامع البيان: الطبري ١٨/ ٦٧٧.
(٣) جامع البيان: الطبري ١٧/ ٥٠١.
(٤) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ٢/ ٣٢ ـ ٣٦.

الدنيا، ونعمته فيها فقد أنعمت عليه، وإنما كان ذلك ابتلاء مني له واختباراً»[١]

ولذلك فإن الكرامة الحقة هي كرامة الدين، فإذا اختار الإنسان الكفر سلبه الله هذا التكريم. قال تعالى: [التين: ٤ ـ ٦]، وانتقل من كونه مفضلاً على جل الخلائق إلى كونه معدوداً في شرارهم، فقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

مسألة: أثر الديانة في تكريم الإنسان:

سبق أن الدين هو أبلغ وجوه الكرامة الإنسانية، وفيه التنافس والتفاضل، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلا فرق بين الناس في الكرامة باللون، أو العرق، أو النسب، وهو ما قرره رسول الله ﷺ في خطبته في وسط أيام التشريق، حيث قال: «**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**»[٢]. ولذلك لا ينبغي أن يفهم من النصوص الدالة على تكريم الإنسان أن الناس في الكرامة سواء، بل إن الله سبحانه تعالى ذمَّ الكافرين في كتابه العزيز في غير موضع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال في بعض أهل الكتاب: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجمعة: ٥]، وحكم بنجاسة المشركين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

فعلم من هذه النصوص ـ وغيرها ـ أن الإنسان قد يكون مكرماً في خلقته، مهاناً في دينه وكفره. وقد نقل عن بعض السلف قوله: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ٢/ ٣٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٨/ ٤٧٤، برقم (٢٣٤٨٩)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ١/ ٤١٢.

من عصاه»[١]. فإن العزة والكرامة مقرونة بالطاعة، والذلة والمهانة مقرونة بالمعصية، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، «ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته»[٢].

فالمقصود: أن الناس وإن تساووا في كرامة الخلقة، فإنه قد يكون بينهم في كرامة الدين كما بين السماء والأرض.

المطلب الثاني

دور الإنسان في تشكيل واقعه الدنيوي

يعلم المسلم أنه إنما خلق في هذه الأرض لتحقيق غاية وهي عبادة الله ﷻ، وعمارة الأرض وإقامة العدل، فهو لا يعيش على هامش الحياة دون أن يكون له دور فعال في مجرى حياته، وتشكيل واقعه، غير أن هذا الدور مقيد بمحدودية قدرته، وإيمانه بالقدر خير وشره. فالمسلم يسعى في تحصيل أسباب النجاح، وإذا مرض تداوى وطلب موارد الشفاء، وهو ـ مع ذلك ـ يجمع بين فعل الأسباب والتوكل على الله.

١ ـ دور الإنسان في تحقيق النجاح:

تتضمن كلمة «النجاح» ـ في الاصطلاح المعاصر ـ عدداً من المعاني التي يكمّل بعضها بعضاً، فهناك النجاح الدراسي، وهناك النجاح الوظيفي والمالي، وهناك النجاح الاجتماعي، وغيرها من أنواع النجاح، وكلها تعتمد في تحقيقها على أمرين اثنين:

- توفيق الله الإنسان للنجاح، وتقديره ﷻ له.
- ثم إتقان السبب الموصل إلى النجاح.

فإذا فعل الإنسان الأسباب اللازمة بإتقان، ووفقه الله للوصول إلى هدفه، تحقق النجاح لا محالة، فالإنسان مكلف بفعل الأسباب المادية المباحة، فهي

(١) الجواب الكافي: ابن القيم ص١٧٩.

(٢) الجواب الكافي: ابن القيم ص١٨٠.

التي تطالها قدرته. أما التيسير والتوفيق فهو بيد الله ﷻ خاضعاً لقدَره وحكمته، لا حيلة للإنسان سوى سؤال الرب أن يمنحه إياه.

غير أنه لا بد من التنبه إلى أن السعي مجرد سبب، له حكم الأسباب فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ومنها ما هو مباح. ولا يلزم ـ بالضرورة ـ أن تتحقق النتيجة عند الإتيان بالسبب ـ بل إنه قد يرزق من لم يسع ويُمنع من سَعَى من الرزق[١]. وهذا الباب متعلق بالإيمان بالقدر، لا تعلق له بلزوم العمل، فإن ترك العمل بالأسباب مع التطلع للمسبب موجب للذم، وهو العجز المذموم. «ومن هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح للرجل الذي قضى عليه، فقال: **«حسبي الله ونعم الوكيل»**، فقال ﷺ: **«إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيِّس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»**[٢] فهذا قال: **«حسبي الله ونعم الوكيل»** بعد عجزه عن الكيِّس[٣]، الذي لو قام به، لقضي له على خصمه، فلو فعل الأسباب التي يكون بها كيِّساً، ثم غُلب فقال: **«حسبي الله ونعم الوكيل»** لكانت الكلمة قد وقعت موقعها»[٤].

ولذلك قال النبي ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[٥]. ففيه إشارة إلى أن الإنسان قد يحرص على ما ينفعه، ويفعل الأسباب اللازمة تاركاً العجز، ثم ـ مع ذلك ـ يحصل له خلاف

---

(١) انظر: فتح المجيد: عبد الرحمٰن بن حسن ص٩١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٣١٣، كتاب: القضية، باب: الرجل يحلف على حقه، برقم (٣٦٢٧)، والإمام أحمد في مسنده ٣٩/ ٤٠٨، برقم (٢٣٩٨٣)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب: ١٢٥ برقم (١٣٨).

(٣) قال ابن فارس «مقاييس اللغة» ٥/ ١٤٩: «الكيِّس في الإنسان: خلاف الخرق؛ لأنه مجتمع الرأي والعقل، يقال: رجل كيس ورجال أكياس. وأكيس الرجل وأكاس، إذا ولد له أكياس من الولد». وفي الحديث: **«الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»**. أخرجه: الترمذي في سننه ٤/ ٦٨٣، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، وضعفه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٣/ ١٤٥٤ برقم (٥٢٨٩).

(٤) زاد المعاد: ابن القيم ٢/ ٣٣٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٢، كتاب: القدر، باب: ٨، برقم (٢٦٦٤).

مقصوده قدراً من الله، ففي مثل هذه الحال يرشده النبي ﷺ إلى التسليم للقدر، وعدم التحسر على فوات المطلوب، ولوم النفس، فإنه لو قدر لكان، ولكن الله لم يكتبه، فلزمه الرضى.

«والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه، مما شرعه الله تعالى لعباده، من الأسباب الواجبة، والمستحبة، والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه، ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله»[(١)].

٢ ـ دوره في تحقيق الشفاء:

خُلق الإنسان ضعيفاً تعتريه الأمراض والأسقام، إذ هو في دار بلاء وامتحان، ولم يسلم من ذلك أنبياء الله ﷺ ـ أشرف خلق الله، وأحبهم إليه. فالمرض من جملة البلاء الذي يصيب الإنسان لعدد من الأسباب، وهي ليست محصورة في العقاب كما تقرره بعض الفلسفات، فقد يُبتلى المؤمن تكفيراً لما اقترفه من المعاصي، وقد يبتلى اختباراً وامتحاناً، وقد يُبتلى رفعاً للدرجات، واستزادة من الحسنات[(٢)]. ولا فرق في ذلك بين كريم ووضيع، أو غني أو فقير. وقد أدرج **البخاري** رحمه الله تحت باب: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول) قوله ﷺ: «**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»[(٣)]. وهذا ـ بلا شك ـ ليس من أجل أن الأنبياء أعظم ذنباً من غيرهم، وإنما هو رفعة لدرجاتهم ومنازلهم في الدار الآخرة. كما أنه من المشاهد وجود أفراد من البشر يتقلبون في أنواع من النعيم، قد بُسط لهم الرزق، وأُلبسوا لبوس العافية مع إقامتهم على الذنوب ومبارزتهم الله

---

(١) فتح المجيد: عبد الرحمٰن بن حسن ص٤٦٢.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان: ابن القيم ص٥٥٨ ـ ٥٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٥، كتاب: المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، برقم (٥٦٤٨)، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩١، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ١٤، برقم (٢٥٧١).

بالمعاصي، فهل يظن عاقل أن هذا النعيم الذي يعيشه أحدهم هو دليل على رضى الرب ﷻ عنه؟ أو على أنه لم يقترف ما يستحق به العقاب؟ بل هو استدراج وامتحان، يمهله الله تعالى حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر.

وليس في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] دلالة على أن المرض لا يكون إلا من عند النفس، أو أنه ليس من عند الله، وإنما ذكر العلماء أسباب متعددة لنسبة المرض إلى النفس والشفاء إلى الله، من أبرزها:

○ حسن التأدب مع الله، بحيث لا يُنسب المكروه إليه ﷻ، رغم أنه هو الخالق له، وهو غير خارج عن تقديره. قال **ابن أبي الخير**: «فيقال: يا خالق الشمس والقمر، ويا منزل الأمطار ويا منبت الأشجار ومخرج الثمار، ولا يقال: يا خالق القردة والخنازير والعذرة، وإن كان خالقاً للجميع، وكذلك لا يقال: يا خالق المعاصي، وإن كان خالقاً لها، وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»»[١].

○ أن إضافة **إبراهيم** ﵇ المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله، وإن كانا معاً فِعْلَ الله بإجماع المسلمين، هو لأن سبب المرض قد يكون منه، إما بتناول ما يضُرُّه، وإما بذَنْبٍ يرتَكِبُهُ، والشفاء لا يُضَافُ إلَّا إلى الله تعالى، وإن كان العبد سببه؛ لأنه على كلِّ تقديرٍ من نِعَمِ الله تعالى التي يجب شكرها، وأقل الشكر الاعتراف بها[٢].

فالشفاء فلا يقدر عليه إلا الله، ولا يُنسب إلا إليه. قال **الطبري في تفسير** الآية: «يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه»[٣]، وقال **ابن كثير**: «لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يُقدّر من الأسباب الموصلة إليه»[٤]، وقال **ابن منده**: الآية «تدل على وحدانية الخالق، وأنه الممرض المداوي، الشافي لعباده»[٥].

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: ابن أبي الخير ٢/٣٤٨، وانظر: العواصم من القواصم: ابن الوزير ٥/٤٣٠.
(٢) العواصم من القواصم: ابن الوزير ٧/١١٤ (بتصرف يسير).
(٣) جامع البيان: الطبري ١٩/٣٦٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٦/١٤٧.
(٥) التوحيد: ابن منده ص٢٩٦.

وزيادة «لفظة «هو» في الإطعام والشفاء لأنهما قد يُنسبان إلى الإنسان، فيقال: زيد يُطعِم، وعمرو يداوي. فأكد إعلاماً بأن ذلك في الحقيقة من الله»[١].

ومما يدل على أن الشفاء من خصائص الرب ﷻ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: **«اللَّهُمَّ ربّ الناس، أذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»**[٢].

وإن كان لا بأس بإثبات الشفاء في الدواء عند تعيينه بالطريق الموصل إليه، شريطة الاعتقاد بأن الله تعالى هو الشافي[٣]. ولكن لأن «العرب كانوا يرون أن الشافي لما لا شفاء له بالدواء هو الكي، ويعتقدون أن من لم يكتو هلك، فنهاهم عنه لأجل هذه النية، فإن الله تعالى هو الشافي»[٤].

فالمقصود: أن الذنب هو أحد أسباب البلاء، وليس هو السبب الوحيد له، وفي سياق الآيات الواردة في نسبة المصائب إلى الناس موعظة للمؤمنين ودعوة لأن يراجع أحدهم نفسه عند وقوع البلاء فيتوب إلى ربه، فإنه قد أصاب ذنباً لا محالة.

ثم إن الله تبارك وتعالى قد شرع لعباده التداوي وطلب الشفاء، فقال ﷺ: **«تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء»**[٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ»**[٦]. فهذه الأحاديث وغيرها تدل على مشروعية التداوي، وهو مذهب الجمهور[٧]، هذا من

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري ٥/ ٢٧٤، وانظر: بصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي ١/ ٣٤٧، ومن بلاغة القرآن: أحمد بدوي ص١١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢١، كتاب: المرضى، باب: دعاء العائد للمريض، برقم (٥٦٧٥)، ومسلم ٤/ ١٧٢١، كتاب: السلام، باب: ١٩ (استحباب رقية المريض)، برقم (٢١٩١).

(٣) انظر: عمدة القاري: العيني ٢١/ ٢٣١.

(٤) نيل الأوطار: الشوكاني ٨/ ٢٣٧، وانظر: عمدة القاري: العيني ٢١/ ٢٣١.

(٥) أخرجه أبو داوود في سننه ٤/ ٣، كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوى، برقم (٣٨٥٥)، والترمذي في سننه ٤/ ٣٨٣، أبواب: الطب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في التداوي والحث عليه، برقم (٢٠٣٨)، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٢/ ١٢٨١، برقم (٤٥٣٢).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٢٩، كتاب: السلام، باب: ٢٦، برقم (٢٢٠٤).

(٧) انظر: شرح مسلم: النووي ٣/ ٩٠.

حيث الأصل، أما من حيث وسائل الاستشفاء فإن الحكم يختلف بحسب حكم الوسيلة المستخدمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الناس قد تنازعوا في التداوي هل هو مباح، أو مستحب، أو واجب. والتحقيق: أن منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب»[(١)].

ويقتصر دور الإنسان في إزالة الضرر عن نفسه في أمرين:

- طلب الدواء الحسي الثابت نفعه كونياً.
- سؤال الله العافية ابتداء، أو سؤاله أن ينفع بالأسباب الحسية.

فالسبب الحسي لا يمكن أن يؤدي دوره إلا بإذن الله، وبقدر من الله، ومهما بذل الإنسان من الأسباب المادية والنفسية فإنه لا يمكن أن يزيل الداء عن نفسه أو عن غيره إلا بإرادة الله، بل لو اجتمع أهل الأرض جميعاً لشفاء إنسان من مرضه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، قال ﷺ: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»**[(٢)].

وقد قال الشيخ سليمان بن عبد الله عن الأسباب إنها «لا تستقل بالمطلوب، بل تتعاطى عن غير ركون إليها. ومع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع لم يحصل المقصود. وهو سبحانه ما شاء كان، وإن لم يشأ الخلق، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الخلق»[(٣)]. لكن قد يتخلف المسبب عنه مع قيام السبب إذ الضار، والنافع، والمعطي والمانع هو الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وكتخلف إحراق النار عن إبراهيم ﷺ حين وضع فيها.

فالدواء ـ أو أية وسيلة علاجية ـ وإن كانت من الأسباب المشروعة، لا يلزم نفعها، ونحن نشاهد المرضى، وقد شخصوا بذات المرض، وتلقوا العلاج نفسه بعضهم يتماثل للشفاء، وبعضهم تتردى حاله، وبعضهم يتخطفه الموت،

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٨/١٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٦٧ برقم (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في تحقيقي مشكاة المصابيح ٣/١٤٥٩، برقم (٥٣٠٢).

(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق: عبد الله بن سليمان ص١٧٠ ـ ١٧١.

ومنهم من يعافيه الله تعالى دون أن يصيب شيئاً من الدواء.

٣ ـ الجمع بين العمل والتوكل:

قد يُشكل على بعض الناس الجمع بين فعل الأسباب والتوكل على الله، ويظن أن بينهما تناقضا، فيلجأ إلى ترك العمل، والتخاذل عن فعل الأسباب، وكل ذلك سوء فهم مذموم في شرع الله.

فالتوكل عبادة قلبية واجبة، أمر الله بتحقيقها في غير موضع من القرآن فقال ﷻ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال ﷻ على لسان نبي الله شعيب ﷺ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولو وكل الإنسان إلى نفسه لوكل إلى ضعف وعجز. ولكن ذلك التوكل لا يعني ترك الأسباب، فالمأثور عن رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ﷺ هو تعاطي الأسباب المشروعة، مع عدم تعلق القلب بها، وكمال التعلق بالله تبارك وتعالى.

فأقرب تعريف للتوكل: «هو الاعتماد على الله ﷻ في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها»[(١)].

وقول عامة الفقهاء: «أن التوكل على الله هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض، واتّباع سُنّة نبيّه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب، من مطعم، ومشرب، وتحرز من عدو، وإعداد الأسلحة، واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة. وإلى هذا ذهب محققو الصوفية، لكنه لا يستحق اسم التوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب، والالتفات إليها بالقلوب، فإنها لا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضراً، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الأسباب، فقد انسلخ عن ذلك الاسم»[(٢)].

إذن فلا بد ـ في التوكل ـ من أمرين:

- **الأول:** أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً.
- **الثاني:** فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله، فكأنه جعل

---

(١) القول المفيد: ابن عثيمين ٢/ ٨٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٤/ ١٨٩.

السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه. ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب، فقد طعن في حكمة الله لأن الله جعل لكل شيء سبباً، ولأن الحكيم يربط الأسباب بمسبباتها.

«وهذا موضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطاً، فأحد الطرفين عطل الأسباب محافظة على التوكل، والثاني: عطل التوكل محافظة على السبب، والوسط: علم أن حقيقة التوكل لا يتم إلا بالقيام بالسبب، فتوكل على الله في نفس السبب، وأما من عطل السبب وزعم أنه متوكل فهو مغرور مخدوع متمن»[١]. وقد قالت طائفة من العلماء إن الالتفات إلى الأسباب شرك فِي التَّوْحِيد، ومحو الأسبَاب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكُلِّيَّة قدح في الشَّرع، وإنما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشَّرع[٢].

والنبي ﷺ ـ بلا شك ـ أعظم المتوكلين، ومع ذلك لم يمنعه توكله من الأخذ بالأسباب الظاهرة فكان ﷺ يتزود في السفر، وظاهر بين درعين في معركة أُحد، واستخدم الأدلاء في سفره، وكان يتقي الحر والبرد بلباسه، ولم ينقص ذلك من توكله شيئاً[٣]. «فالأسباب المنصوص عليها لا تنكر، ولا يتكل عليها إذ في إنكارها نقص في العقل، وفي الاتكال عليها شرك في الدين، وكل من الإنكار والاتكال منتف شرعاً... ولا محيص عن الأخذ بالأسباب، فليس المتوكل من فتح للسارق الباب، ولا من قال: أنا متوكل أستغني عن الطعام والشراب. قال أفضل الأحباب ﷺ لمن سأل: أيعقل الناقة، أم يتكل؟: «**اعقلها وتوكل**»[٤]. وأفضل المتوكلين عليه الصلاة والسلام كان أشد عباد الله حرصاً على فعل الأسباب، فقد أمر ﷺ بإطفاء السراج، والتسمية، وإغلاق الأبواب، ونفض الفرش، وطي الثياب، وحفظ الصبيان أول الليل لانتشار الشياطين. وهذا الباب

---

(١) الروح: ابن القيم ص٢٥٥.

(٢) التحفة العراقية: ابن تيمية ص٥٢.

(٣) انظر: القول المفيد: ابن عثيمين ٢/ ٨٧، وانظر: تلبيس إبليس: ابن الجوزي ص٢٦٧.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٦٨، برقم (٢٥١٧) وقال: وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٢٤٢ برقم (١٠٦٨).

لا يحصيه العادون من سنن المرسلين فالأخذ فيها لا ينافي التوكل»[١]. فيكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده، دون كل ما سواه، ليتم له سببه وينفعه، ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله[٢].

ويوضح ابن القيم هذا المفهوم قائلاً: إن «رسول الله ﷺ وأصحابه لما قيل لهم بعد انصرافهم من أُحد: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فتجهزوا، وخرجوا للقاء عدوهم، وأعطوهم الكيْس من نفوسهم، ثم قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فأثرت الكلمة أثرها، واقتضت موجبها، ولهذا قال تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. فجعل التوكل بعد التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها»[٣]

كما رُوي أن رجلاً قال للإمام أحمد رحمه الله: أريد الحج على التوكل، فقال له: «فاخرج في غير القافلة»، قال: لا، قال: «على جرب الناس توكلت»[٤]! وسئل عن قوم لا يعملون، ويقولون: نحن متوكلون، فقال: «هؤلاء مبتدعة»[٥].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً عدم المنافاة بين التوكل وفعل السبب: «أن السبب المأمور به، أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب، بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب. إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب»[٦]. «فالتوكل لا ينافي

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق: عبد الله بن سليمان: ١٧٠، وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي ١/ ١٤، وشرح النووي على مسلم ٢/ ٢١١.

(٢) فتح المجيد: عبد الرحمٰن بن حسن ص٤٦٢ (بتصرف يسير).

(٣) زاد المعاد: ابن القيم ٢/ ٣٣٠.

(٤) انظر: تلبيس إبليس: ابن الجوزي ص٢٥٢.

(٥) انظر: الآداب الشرعية: ابن مفلح ٣/ ٢٧٠.

(٦) الفتاوى الكبرى: ابن تيمية ١/ ١٠٧، ومجموع الفتاوى: ١٨/ ١٧٩، وانظر: جامع العلوم والحكم: ابن رجب ٢/ ٤٩٨.

تعاطي الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب وهي عمل البدن»[١]

ثم إنه لا بد أن يُعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

- «**أحدها**: أنها لا تستقل بالمطلوب، بل تتعاطى عن غير ركون إليها، ومع هذا فلها موانع، فان لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع، لم يحصل المقصود. وهو سبحانه ما شاء كان، وإن لم يشأ الخلق، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الخلق.
- **الثاني**: أنه غير جائز اعتقاد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم، أو بما يخالف الشريعة، كان مبطلاً في إثباته، آثماً في اعتقاداته.
- **الثالث**: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ شيء منها سبباً إلا أن يكون مشروعاً، إما استحباباً أو مأذوناً، فإن العبادات مبناها على التوقيف»[٢].

أما الطائفة التي قامت بالأسباب، ورأت ارتباط المسببات بها شرعاً وقدراً، وأعرضت عن جانب التوكل، فهي وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته، «فليس لها قوة أصحاب التوكل، ولا عون الله لهم، وكفايته إياهم، ودفاعه عنهم، بل هي مخذولة عاجزة، بحسب ما فاتها من التوكل. فالقوة كل القوة في التوكل على الله، كما قال بعض السلف: «من سرَّه أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله» فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل»[٣].

المطلب الثالث

دور الإنسان في تحديد مصيره الأخروي

يسعى جميع البشر الذين يؤمنون بالحياة بعد الموت ـ أيا كانت تلك الحياة ـ إلى نيل نوع من النجاة أو الخلاص، وتختلف السبل التي يسلكها الإنسان لتحقيق تلك الغاية من معتقد لآخر، كما تتنوع مصادر تحصيلها. كما يختلف دور

(١) فتح الباري: ابن حجر ٦/ ٨٢، وانظر: ذم الهوى: ابن الجوزي ص٦٣٣.

(٢) التوضيح: سليمان بن عبد الله ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) زاد المعاد: ابن القيم ٢/ ٣٣١، وانظر: جامع الرسائل: ابن تيمية ١/ ٨٧.

الإنسان في نجاة نفسه حسب المعتقد الذي يتبناه. أما في العقيدة الإسلامية، فإنه يمكن تلخيص دوره في النقاط التالية:

- أن الإنسان مكلف بفعل الأسباب الموصلة إلى نيل الجزاء الأخروي.
- أن تلك الأسباب تكمن في اتباع الرسل، لا وفقاً لأهواء البشر.
- أن اتباع الرسل يتضمن الاعتقاد والقول والعمل.
- أن للإنسان قدرة على اختيار طريقه تحت مشيئة الله وإرادته.

وفيما يلي مزيد إيضاح لما سبق:

١ ـ النجاة الأخروية منوطة باتخاذ سببها:

لقد خلق الله الجنة وما فيها من النعيم مقراً نهائياً لصالحي الثقلين، فمن أحسن العمل من الثقلين وأطاع الله ﷻ متبعاً الرسل رُزق التنعم في جنان الخلد. ولكن ما هي العلاقة بين هذا النعيم وما يسبقه من عمل في الحياة الدنيا؟

لقد ضل في هذا الباب عدد من الفرق الإسلامية فقالت الجبرية: ليس للأعمال ارتباط بالجزاء البتّة، وجوّزوا أن يعذّب الله من أفنى عمره في الطّاعة، وينعّم من أفنى عمره في الكفر والمعصية، وجعلوا ذلك راجعاً إلى محض المشيئة، كله سواء بالنسبة إليه. واستدلوا بقوله ﷺ: «**قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[1]، فظنوا أن المقصود بالحديث قطع الارتباط بين الجزاء والعمل.

وقالت القدرية: إن الجزاء عوض عن العمل مكافئ له، واعتبروه كالثمن المقابل للمثمن، وهم بذلك يوجبون على الرب تبارك وتعالى مكافأة المحسن على وجه المقايضة لا منة منه وتفضلاً. وهؤلاء استدلوا بالآيات الدالة على أن الجنة توهب لمن عمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٠، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: ١٧، برقم (٢٨١٦).

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ومثلها في القرآن كثير[١].

أما أهل السُّنَّة فقد وفقهم الله للحق في هذه المسألة، وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، وهي من توفيق الله وفضله، وليست قدرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه ﷻ، فلو عذّب أهل سمٰواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالمٍ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم.

قال ابن حزم: «لو عمل الإنسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئاً؛ لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى؛ لأنه المبتدئ لكل ما في العالم والخالق له، فلولا أن الله تعالى رحم عباده، فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة، لما وجب ذلك عليه، فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجرداً دون رحمة الله تعالى، لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي أطاعوه بها».

ويكمن الفصل بين القول الحق والأقوال المبتدعة في الجمع بين الأدلة، وتحديد نوع الباء في كل منها فلا تناقض بين الآيات التي تجعل الجنة جزاء للعمل، وبين الحديث النافي لذلك؛ لأن توارد النّفي والإثبات ليس على محلٍ واحدٍ، فالمنفي باء الثمنيّة، واستحقاق الجنّة بمجرّد الأعمال، والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببيّة. فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، والباء التي في الآيات باء السبب؛ أي: بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله[٢].

قال ابن رجب: «فالمراد ـ والله أعلم ـ أنَّ العملَ بنفسه لا يستحقُّ به أحدٌ

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ص٤٤٠.

(٢) انظر: تجريد التوحيد المفيد: المقريزي ص٥٧ ـ ٥٨، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ٢/٦٤٣، وإيثار الحق: ابن الوزير ص٣٤١، والعواصم من القواصم ٧/٢٩٩، وتفسير القرآن الكريم: ابن القيم ص٨٩، وغاية الأماني: الألوسي ١/٣٦٥، والكشف المبدي: محمد الفقيه ص٢٩٤، وجامع الرسائل: ابن تيمية ١/١٤٥، وحادي الأرواح: ابن القيم ص٨٨، وفتح الباري ١١/٢٩٦، وعمدة القاري: العيني ١/١٨٤، ودليل الفالحين: ابن علان ٢/٣٥٤.

الجنَّة لولا أنَّ الله جعله ـ بفضله ورحمته ـ سبباً لذلك، والعملُ نفسُه من رحمة الله وفضله على عبده، فالجنَّةُ وأسبابُها كلٌّ من فضل الله ورحمته»[١].

وقال بعض العلماء: «العمل لا يوجب دخولَ الجنَّةِ لِذَاتِهِ، وإنَّما يوجبه لأن الله بفضله جعله علامة عليه، وأيضاً لمَّا كان الموفق للعمل الصَّالح هو الله تعالى ـ كان دخول الجنَّة في الحقيقة ليس إلّا بفضل الله»[٢]

وقال آخرون: «لا معارضة بين النصين، إذ الدخول بفضل من الله وبعد الدخول يكون التوارث، وتكون الدرجات، ويكون التمتع بسبب الأعمال. فكلهم يشتركون في التفضل من الله عليهم بدخول الجنة، ولكنهم بعد الدخول يتفاوتون في الدرجات بسبب الأعمال»[٣]. ويؤيده قول **ابن عباس** رضي الله عنه: «إنهم يدخلونها بالرحمة، ويقتسمون المنازل بالأعمال الصالحة»[٤].

٢ ـ دخول الجنة لا يكون إلا باتباع الرسل:

أما وقد تقرر أن دخول الجنة منوط بفعل الأعمال الصالحة، لزم تحديد معيار الصلاح، لئلا يكون راجعاً لميول البشر وأهوائهم. ولم يكن الرب جل جلاله ليترك الناس على ما هم عليه دون أن يدلهم إلى طريق الهداية والنجاة، فقد أنزل إليهم الشرائع، وبعث إليهم الرسل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة فكان الإسلام هو الطريق الأوحد لتحقيق السعادة، والنجاة في الدار الآخرة[٥].

إن الإسلام إذا أطلق ـ بعد مبعث النبي ﷺ ينصرف إلى التعاليم التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، المبني على الأركان الخمس. وهذا هو ما يُسمى الإسلام الخاص، لا يدخل الجنة إلا من اتخذه ديناً، وعمل به، وقد قال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا**

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ٢/ ٧٩٩.
(٢) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل ٩/ ١٢١.
(٣) أضواء البيان: الشنقيطي ٨/ ٤٠٤، وانظر: شرح البخاري: ابن بطال ١٠/ ١٨٠، وحادي الأرواح: ابن القيم ص٨٨.
(٤) فيض القدير: المناوي ١/ ٥٥٢.
(٥) انظر: جامع المسائل: ابن تيمية ٦/ ٢٩.

نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[١].
فلا يجوز الانحراف عنه، ولا الابتداع فيه وهو الصراط المستقيم الذي لا يوصل إلى الله سواه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي البخاري عن **أبي هريرة** ـ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢]، وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه**»[٣].

قال **ابن تيمية** رحمه الله: «فقوله في هذا الحديث: ومبتغ في الإسلام سُنَّة جاهلية. يندرج فيه كل جاهلية مطلقة، أو مقيدة: يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة، أو وثنية، أو مركبة من ذلك أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها، فإن المعنى واحد»[٤].

أما الإسلام العام الذي لا يقبل الله ـ من الأولين والآخرين ـ غيره، فهو التوحيد المجرد من الشرك، وهو مقرون باتباع كل قوم لنبيهم، فأتباع الرسل كلهم مسلمون بهذا المعنى، وهذا هو الإسلام المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، وفي قول نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، ودعاء يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. فهؤلاء الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ليسوا من أتباع محمد ﷺ، ولا هم من أمته، ومع ذلك فهم مسلمون، بمعنى الإسلام العام. قال **شيخ الإسلام**: «وأما الكتب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤، كتاب: الإيمان، باب: ٧٠، برقم (١٥٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٩٢، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب: الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، برقم (٧٢٨٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٦، كتاب: الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، برقم (٦٨٨٢).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

السماوية المتواترة عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فناطقة بأن الله لا يقبل من أحد ديناً سوى الحنيفية، وهي: الإسلام العام، عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بكتبه، ورسله، واليوم الآخر»[١] وهذا النوع من الإسلام ـ لا غيره ـ هو مقبول بعد البعثة، حيث أرسل النبي ﷺ إلى الناس عامة إلى يوم القيامة.

ولذلك فإنه إذا قرنت النجاة بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥][٢]، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فإنه يفهم منه الإسلام العام إذا أريد به ما قبل مبعث النبي ﷺ، أما بعد بعثته فإن الإسلام العام مطابق للإسلام الخاص ـ لا وجود له منفصلاً عنه، ولا طريق إلى النجاة ـ اليوم ـ سوى باتباع خاتم النبيين ﷺ.

غير أن دعوى الإسلام لا تكفي، بل يلزم معها اتباع حقيقي للرسول ﷺ، ظاهراً وباطناً. «فالله تعالى أوجب ـ في كتابه ـ محبته ومغفرته لمتبعي رسوله ﷺ، وجعلهم الفرقة الناجية، والجماعة المتبعة، فقال ﷻ لمن ادَّعى أنه يحب الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١]»[٣].

وقد جعل الله تبارك وتعالى طاعة الرسول ﷺ من طاعته حيث قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠]، قال **السفاريني**: «ومن المعلوم أن الله ـ تعالى ـ أرسل الرسل، وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت به، وتطاع فيما أمرت»[٤].

وطاعة النبي ﷺ مطلقة وتصديقه في كل ما أخبر غير مشروط، وذلك أن

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣٥/١٨٨، وانظر: المجموع: النووي ٩/٧٠.

(٢) قال أبو جعفر: «يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يطلب ديناً غيرَ دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، يقول: من الباخسين أنفسَهم حظوظَها من رحمة الله ﷻ».
جامع البيان: الطبري ٦/٥٧٠.

(٣) اعتقاد أئمة الحديث: أبو بكر الإسماعيلي ص٧٩.

(٤) لوامع الأنوار البهية: السفاريني ١/٣٠٩، وانظر: شرح الطحاوية: ابن أبي العز ص٥٠٤.

النبي ﷺ «إذا أخبر بما أنبأ الله، وجب الإيمان به؛ فإنّه صادق مصدوق، ليس في شيء مما أنبأه الله به شيء من وحي الشيطان. وهذا بخلاف غير النبيّ؛ فإنّه وإن كان قد يُلهم، ويحدث، ويوحى إليه أشياء من الله، ويكون حقّاً، فقد يلقي إليه الشيطان أشياء. ويشتبه هذا بهذا؛ فإنه ليس نبيّاً لله؛ كما أنّ الذي يأمر بطاعة الله غير الرسول، وإن كان أكثر ما يأمر به هو طاعة الله، فقد يغلط ويأمر بغير طاعة الله، بخلاف الرسول المبلّغ عن الله؛ فإنه لا يأمر إلا بطاعة الله»[1].

وقد أقسم الله سبحانه بذاته المعظمة على اشتراط طاعة النبي ﷺ وتحكيمه عند الخلاف في تحقيق الإيمان، فقال عز من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وأخبر النبي ﷺ - في غير حديث - بوجوب التزام المسلم السُّنَّة ونبذ البدعة كما في قوله ﷺ: **«عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[2]. وقد بيَّن عليه الصلاة والسلام أن ترك الاتباع والسُّنَّة يؤدي إلى الفرقة والضلال، فعن **عبد الله** رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: **«هذا سبيل الله مستقيماً»** قال: ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: **[هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه]** ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣][3]. وقال ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسُنَّة نبيّه»**[4].

فالمقصود: أن دخول الجنة، وتحقيق النجاة في الآخرة لا يكون إلا عن

(١) النبوات: ابن تيمية ٢/ ٦٨٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٢٠٠، كتاب: السُّنَّة، باب: في لزوم السُّنَّة، برقم (٤٦٠٧)، وأحمد في مسنده ٢٨/ ٣٧٥ برقم (١٧١٤٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٥٨ برقم (١٦٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧/ ٤٣٦ برقم (٤٤٣٧)، والنسائي في السنن الكبرى ١٠/ ٩٥، كتاب: التفسير، سورة الأنعام، برقم (١١١١٠)، وحسنه الألباني ١/ ٥٨، برقم (١٦٦).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٥/ ١٣٢٣، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، برقم (٣٣٣٨)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٦٦ برقم (١٨٦).

طريق الإسلام، والإسلام لا يكون إلا باتباع الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

٣ ـ الإيمان يتضمن القول والعمل:

لقد قرن الإيمان بالعمل في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٩].

وقد أجمع أهل السُّنَّة على أن الإيمان المنجي هو قول واعتقاد وعمل[١]، «حكى الإمام **الشافعي** إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً»[٢]. وقال الإمام **مالك**: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٣]، وقال **شيخ الإسلام**: «فبيَّن [الله] أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولا يكون الدين في محل الرضى

---

(١) انظر: التمهيد: ابن عبد البر ٩/٢٣٨، وأصول السُّنَّة: أحمد بن حنبل ص٣٤، وشرح السُّنَّة: البربهاري ص٥٢، واعتقاد أئمة الحديث: الإسماعيلي ص٦٣، ولمعة الاعتقاد: ابن قدامة ص٢٦، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/١٦٥.

قال **عبد الرزاق**: «سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وهذا قول ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك».

شرح النووي على مسلم ١/١٤٦.

(٢) التوضيح: سليمان بن عبد الله ص٨٠.

(٣) السُّنَّة: عبد الله بن أحمد بن حنبل ص١٧٣.

ومثله قال مجاهد ص٣١١، وجرير بن عبد الحميد ص٣١٥، ويحيى بن سليم، وابن جريج، وأبو إسحاق الفزاري، وابن المبارك، والنضر بن شميل، وابن عياش ص٣١٦، والحسن والفضيل بن عياض ص٣١٧، وخالد بن الحارث ص٣٣٦، وعبد الرزاق ص٣٤٢، وسفيان بن عيينة ص٣٤٦، وغيرهم كثير.

وانظر: أصول السُّنَّة: الإمام أحمد ص٣٤، وشرح السُّنَّة: المزني ص٧٧، وشرح السُّنَّة: البربهاري ص٥٢، واعتقاد أهل الحديث: الإسماعيلي ص٦٣، والتنبيه والرد: الملطي ص١٥، وأصول السُّنَّة: ابن زمنين المالكي ص٢٠٧، ولوامع الأنوار ١/٤٠٣، وجامع البيان: الطبري ٢٢/٣١٤، وجامع العلوم والحكم: ابن رجب ١/١٠٤، وفتح الباري: ابن رجب ١/٥، وفتح الباري: ابن حجر: ٤٧.

والقبول إلا بانضمام التصديق إلى العمل»[١].

فالجنة ـ لمن طلبها ـ تحتاج إلى بذل الجهد، ولا يكفي في ذلك التشهي والتمني، ففي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «**إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمّ أوفيكم إيّاها**»[٢]. وقال **الحسن البصري**: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر بالقلب وصدقه العمل»، فالتحلي المظاهر، والتمني الكلام[٣].

٤ ـ للإنسان مشيئة واختيار داخلة تحت مشيئة الرب ﷻ وقدره:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة**»، قالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟! قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلِق له؛ أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسييسّر لِعمل أهل السّعادة، وأمّا من كان من أهل الشّقاوةِ، فسييسّر لِعمل أهل الشّقاوة**» ثمّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥ ـ ٧][٤].

يوضّح حديث رسول الله ﷺ أنه لا تعارض بين قضاء الله وقدره وبين تكليف الإنسان بالاختيار، فإن الله قد أودع فيه القدرة والتمييز، وإلا لما كان أهلاً للتكليف، فالأدلة على ثبوت مشيئة العبد كثيرة جداً، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾ [الإنسان: ٣]، «قال مجاهد: أي بيّنّا له السبيل إلى الشقاء والسعادة... ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي أيهما فعل فقد بيّنّا له»[٥]. ومنها قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٥٧]، غير أن مشيئة العبد ليست مطلقة، وإنما

---

(١) الإيمان: ابن تيمية ص٢٨٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٤، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ١٥، برقم (٢٥٧٧).

(٣) انظر: الإيمان: ابن تيمية ص٢٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٧١، كتاب: التفسير، باب: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ برقم (٤٩٤٩)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣٩، كتاب: القدر، باب: ١، برقم (٢٦٤٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٩/ ١٢٢.

هي خاضعة لمشيئة الله ﷻ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

فإن قيل: كيف يريد الله الظلم والكفر والمعاصي؟ قيل الإرادة والمشيئة في كتاب الله نوعان: إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية. أما الأولى: فهي مرادفة للقدر والخلق ويتحتم وقوعها قدراً، ولكن لا تستلزم المحبة والرضا، وأما الثانية: فهي الأمر الشرعي وهي تستلزم المحبة الرضا ولكن لا يلزم وقوعها قدراً[(١)].

فالمقصود: أن الله أودع في الإنسان قدرة على اختيار الإيمان أو الكفر، الطاعة أو المعصية، ولكن اختياره ـ كما هو حال كل ما في الكون ـ لا يخرج عن إرادة الله وقدره.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٨/ ١٣٤، وشفاء العليل: ابن القيم ص٤٨.

المبحث الثاني

مكانة الإنسان وقدراته عند حركة «العصر الجديد»

تتعدى منزلة الإنسان في حركة «العصر الجديد» المنزلة الطبيعية التي حددتها الديانات ذات الأصول السماوية، وكثير من الفلسفات الوضعية، فتجعل له كوامن غير محدودة، وقدرات خارقة في طور الخمول.

إن هذا الانحراف الكبير في معتقدات الحركة مرتبط ـ بشكل وثيق ـ باعتقادهم الأساس بوحدة الوجود، إذ الإنسان في ذاته غير محدود، وهو «إلٰه» بالمعنى المطلق الإلحادي الذي يتبنونه. ولذلك فإن نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان وقدراته تعتبر نتيجة حتمية لمعتقدات الحركة الأخرى، ويمكن توضيح هذه النظرة من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تأليه الإنسان عند حركة «العصر الجديد».

المطلب الثاني: قدرات الإنسان غير المحدودة في تشكيل واقعه وأقداره.

المطلب الثالث: خلاص البشرية في معتقد حركة «العصر الجديد».

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المطلب الأول

تأليه الإنسان عند حركة «العصر الجديد»

لا يتوارى أتباع حركة «العصر الجديد» في تصريحهم بتأليه الإنسان أو إعلان مكانته العليا حسب معتقدهم. وكما مر معنا ـ عند الحديث عن النشأة الكونية والتناسخ ـ فإن أصل الوجود ـ عند القوم ـ واحد، يعبر عنه كثير منهم بـ «الإلٰه»، والذي هو ليس إلا وجوداً مطلقاً، ثم إن ذلك «الإلٰه» تشكل في المادة وتجسد في المحسوس، ومع طول المدة ابتعد عن طبيعته ونسي أصله وهو في أبسط أشكال المادة. ثم أخذت هذه الكائنات البدائية بالتطور والنشوء والارتقاء إلى أن تشكلت في أرقى أشكال الوجود المادي المتجسد في الإنسان الذي يحمل بداخله «شرارة الإلٰه». ولذلك فإن أسمى غايات حركة «العصر الجديد» هي استخراج تلك الشرارة، وإطلاق القدرات الكامنة، وتحرير الإلٰه الذي بداخل كل إنسان، ومن ثم تدرك البشرية حقيقتها الإلٰهية!

إن هذا هو معتقد حركة «العصر الجديد» في طبيعة الإنسان وحقيقته، وعبه تُبنى كثير من التطبيقات التي تروج لها الحركة تحت ستار تنمية الذات والقدرات البشرية الكامنة. وهو ما سيتم التطرق له بالتفصيل في الباب الأخير بإذن الله. أما في هذا المبحث فيُكتفى باستعراض أقوال بعض رموز حركة «العصر الجديد» في مكانة الإنسان وطبيعته الإلٰهية.

لا يعد القول بتأليه الإنسان في الغرب وليد هذه الحركة، بل هو معتقد متأصل في جل التوجهات الباطنية الغربية[١]، لا سيما المذهب الأم لهذه الحركة: الثيوصوفي.

ففي كتاب «الموت وما بعده» تصرح آني بيسانت بمعتقدها في الإنسان قائلة: «الإنسان إلٰه في المقام الأول، شرارة من الحياة الإلٰهية»[٢]، وتوضح أنه إلٰه كامن في طور النشوء والارتقاء[٣].

---

(١) وقد كان إهداء كتاب «دورة في المعجزات» «إلى الإلٰه الذي يعيش بداخلك».

(٢) Death and After-Annie Besant: 21.

(٣) انظر: Death and After-Annie Besant: 23.

ثم تؤكد آلس بيلي هذا التصور بقولها: «إن تطور الإنسان ليس سوى مرور من حالة وعي إلى أخرى، وهو توسعات متعاقبة، ونمو للملكة الإدراكية التي تشكل الصفة المهيمنة على «المفكر» الذي بداخلك. إنه التقدم من الوعي المتركز في الشخصية والذات الدنيا ـ أو الجسد، إلى الوعي المتركز في الذات العليا أو النفس أو الروح، ومن ثم الوعي المتركز في المطلق أو الروح الكوني، حتى يصبح الوعي إلٰهياً في النهاية»[١].

وتبين العوامل التي يتطلبها الكمال البشري، فتقول: «في الإنسان الكامل على المستوى الفيزيقي تكون جميع المراكز تحت السيطرة التامة، وجميع طاقاتها توظف بشكل صحيح، وتكون الإرادة الروحانية للإله الذي في الداخل هي العامل الرئيس»[٢]، مشيرة إلى أن الكمال البشري لا يتحقق إلا بإدراك الإلٰهية الكامنة.

إن اكتشاف «الإلٰه» الذي في الإنسان يعد من ضرورات الارتقاء بالوعي، فهو المرحلة التي يكتشف فيها حقيقة ذاته، وفي ذلك تقول بيسانت: «يجب على كل نفس التحقق بنفسها[٣]، كما يجب عليها أن تكتشف ما بداخلها، مستحضرة دائماً أن مملكة الرب هي في الداخل»[٤]. وتقول في الكتاب نفسه: «تأتي لحظة في وجود الإنسان يقف وجهاً لوجه مع نفسه الحقيقية، ويعلم أنه تلك النفس حقيقة، وليست فقط نظرية، ويصبح واعياً بالإلٰه الذي في داخله»[٥].

ومما يُدرَّس في مؤسسة فندهورن الإسكُتلندية أن «الإلٰه» ـ ومصدر العلوم كلها ـ يكمن في داخل الإنسان[٦]، ومن أبرز مراجعهم هناك ما دُوِّن من أفكار آيلين كادي، والتي كانت تزعم أنها بإملاء من «الإلٰه» الذي بداخلها[٧].

أما ديباك شوبرا، فيتحدث عن الصوت الذي يُسمع من الداخل قائلاً: «إن

---

(١) Initiation-Alice Bailey: 13.

(٢) Initiation-Alice Beiley: 181.

(٣) المقصود تجربة المراحل العليا من «الوعي» التي تعتبر قمة مراحل التطور والارتقاء.

(٤) Initiation-Alice Bailey: 29.

(٥) Initiation-Alice Bailey: 103.

(٦) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 96.

(٧) انظر: Children of the New Age-Steven Sutcliffe: 60.

له رغبة واحدة فقط، وهي أن تتذكر طبيعتك الجوهرية كشرارة من الإلٰه»[١]. ويعبر عن ما يعتقده في طبيعة البشر بقوله: «في الحقيقة، نحن آلهة مقنَّعة، وأجنة الآلهة التي في داخلنا تسعى لأن تتحقق بشكل كامل»[٢].

وفي «الأرض الجديدة» يتحدث إكهارت تولي عما يراه خطورة التركيز على الذات، وعلى الفروق بين البشر مما يجعلكم «تصبحون لا تحسون بإنسانيتكم المشتركة، ولا باشتراككم في الحياة الواحدة التي يتفرع عنها البشر كلهم، ولا بألوهيتكم المشتركة»[٣].

ويسهب تولي في إنكار «الذات» أو الـ «أنا» واعتبارها وهماً يقف في طريق إدراك الحقائق، قائلاً: «بإذنك، تتوصل إلى ذاتك الحقيقية، واسعة وفسيحة. تصبح كاملاً. لا تعود جزءاً، كما هي نظرة الذات لنفسها. بل تبرز طبيعتك الحقيقية، التي هي واحدة مع طبيعة الإلٰه»[٤].

ويصف بنجمن كريم المايتريا المنتظر مشيراً إلى معتقده في تأليه البشر: «إنه يمثل كل شيء تتصوره عن الإلٰه. إنه ليس الإلٰه بالطبع، إلا كما نحن جميعاً آلهة، ولكنه يحمل قداسة وحرمة الإلٰه»[٥]، ثم يصرح في موضع آخر بأن: «الإلٰه والإنسان واحد، لا فرق بينهما»[٦]. وينقل عن المايتريا قوله: «أصحابي، قد أتى الزمان لتوسع حقيقة الإلٰه، لتعلموا أن معرفة الإلٰه فعل خلاق، لمعرفة الإلٰه لا بد من المشاركة في الألوهية ذاتها، فقط عندئذ يمكننا معرفة حقيقة وجودنا. في الزمان القادم، ستكون هذه المعرفة بين يديك»[٧].

كما يسخر رامثا (جي زي نايت) من التعاليم الأصولية التي تقرر بأن الإلٰه مباين للإنسان متميز عنه، فيقول: «منذ دهور وأنت تلقن بأن الإلٰه خارج مملكتك، في مكان ما في قامات الفضاء وكثير منكم آمنوا بهذا وتقبلوه كحقيقة.

---

(١) The Seven Spirtual Laws of Yoga-Deepak Chopra: 8.

(٢) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 7.

(٣) A New Earth-Eckhart Tolle-74.

(٤) A New Earth-Eckhart Tolle: 113.

(٥) The Awakening of Humanity-Benjamin Crème: 23.

(٦) The Awakening of Humanity-Benjamin Crème: 119

(٧) The Awakening-Benjamin Crème: 54

ولكن الإله، العلة الأولى لكل الحياة، لم يكن يوماً خارج ذاتك. إنه إياك»[(١)]!

المطلب الثاني

قدرات الإنسان غير المحدودة في تشكيل واقعه وأقداره

لا شك أنه مما يلزم القول بتأليه الإنسان أو على أقل تقدير احتوائه على شرارة إلهية القول بأنه يمتلك قدرات خارقة كامنة أو متحققة. وهو ما التزمته حركة «العصر الجديد» دون تردد، وظهر جلياً في التنظير والتطبيق. فكان من أبرز تلك القدرات التي نُحلت الإنسان: القدرة على التحكم بواقعه وأقداره المستقبلة.

إن «الفكر» عند حركة «العصر الجديد» هو المتحكم في مجرى الواقع، وهو المتصرف الرئيس في أقدار الإنسان، ولذلك يعتقد أولئك أنه من خلال سيطرة الإنسان على أفكاره، يمكنه تشكيل واقعه حسب إرادته. وكل ما يحصل في الكون ـ وفقاً لهذه النظرة المنحرفة ـ هو بتوجيه من الفكر البشري، سلبه وإيجابه.

يرجع هذا المعتقد ـ في أصله ـ إلى فكرتين أساسيتين:

- **الأولى**: نابعة من الفلسفة الشرقية التي تجعل الوجود المادي وهم، ليس له وجود خارج الذهن، وبالتالي يمكن تحويره وتشكيله من خلال تعديل الفكر.
- **الثانية**: الفلسفة الباطنية التي تجعل «الوعي» هو الوجود الأول، وهو «الإله» والحقيقة المطلقة، وكل ما في الوجود ليس إلا تجسيداً لذلك الوعي. فإذا أدرك الإنسان حقيقته الإلهية، التي هي وعي مجرد، أمكنه التحكم في الواقع من خلال تحوير الوعي.

والفكرتان متقاربتان.

يقول رامثا (جي زي نايت) مقرراً بأن «الإله» ـ عنده ـ ليس شيئاً سوى الفكر: «ما هو الإله في أسمى أشكاله؟ الفكر. الأب ـ المنبر الذي تخَلُق من خلاله حياتك، مادة كل شيء وطاقته الحياتية ـ هو في المفهوم الأكبر: الفكر، فالفكر هو الخالق الأعظم لكل ما كان وما هو كائن وما سوف يكون»[(٢)].

---

(١) The White Book-Ramtha (j.Z Knight): 69.

(٢) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 58.

فالموجد الخالق هو الفكر، أو الوعي، وإنما يسمى «إلٰهاً» على سبيل المجاز.

وفي كتاب «قوانين التجلي» يوضح ديفد سبانغلر الطريقة التي يمكن من خلالها تشكيل الواقع، فيقول: «كما أفكر في قلبي، كذلك أكون، وكما أكون أخلق عالمي، أجذب بيئتي، أشكل وجودي»[١]. ثم يصرح بأن قدرته على تشكيل واقعه هي بسبب وحدته مع «الإلٰه»، قائلاً: «من خلال وحدتي مع الإلٰه، أكون واحداً مع الكائنات كلها، ومن خلال هذه الوحدة يمكنني أن أكون المجلي[٢] الأسمى»[٣].

لقد حدد ديباك شوبرا سبعة قوانين لتحقيق النجاح، يوضح كل منها جانباً من الفلسفة الباطنية لحركة «العصر الجديد» والمتعلقة بتشكيل واقع الإنسان وتحقيق أهدافه، وهي ملخصة بالتالي:

- **القانون الأول**: «قانون القوى الكامنة. يرتكز هذا القانون على الحقيقة القائلة بأننا ـ في حالتنا الجوهرية ـ وعي صرف»[٤]، وتُجعل هذه المعرفة هي السبيل إلى تحقيق الأهداف جميعها، حيث إن إدراك هذه «الحقيقة» يمنح الإنسان قوة دائمة؛ لأن القوة المرتبطة بالذات تزول بزوال سببها. ويمكن تطبيق هذا القانون من خلال ممارسة الصمت المطول، وتقنيات التأمل.

- **القانون الثاني**: «قانون العطاء، يمكن تسميته بقانون العطاء والتلقي لأن الكون يعمل بتبادل فعال»[٥]، وهذا القانون يشبه المثل الذي يقول: كما تدين تدان، إلا أن الدين في قانون شوبرا ليس مرتبطاً بالجزاء، أو العقاب الإلٰهي، أو القدر، وإنما هو فرع عن القانون الأول. فالإنسان «فكر» يسبح في عالم من الفكر، وللفكرة القدرة على التجسد، وعندما يصدر عن الإنسان فكرة، أو فعل ما، فإن الكون يردها إليه بشكل مماثل.

- **القانون الثالث**: «قانون الكارما. الكارما هي كل من الفعل ونتيجة ذلك

---

(١) The Laws of Manifestation-David Spangler: 62.

(٢) أي: الذي يخرج الكائنات من العدم إلى الوجود، فتصبح ظاهرة جلية، وهي بمعنى الموجد والمظهر.

(٣) The Laws of Manifestation-David Spangler: 62.

(٤) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 1.

(٥) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 13.

الفعل، إنها السبب والأثر في الوقت ذاته»[١]. وهو مقتبس من فلسفة هندوسية أصيلة تقرر بأن كل شيء إنما يحدث كنتيجة لفعل آخر، سواء في هذه الحياة أو حياة سابقة.

ـ **القانون الرابع**: «قانون الجهد الأقل»[٢]، وهنا يرى أن الجهد الأقل يحقق نتائج أكبر، كما العشب لا يبذل جهداً لينمو، والورد لا يبذل جهداً ليزهر، ولا الأرض لتدور، وكما هي طبيعة الشمس أن تشرق، «فطبيعتنا البشرية أن نجعل أحلامنا تتجلى في صورة مادية، بسهولة ومن غير جهد»[٣]، ولكن بشرط الانسجام مع الكون، وإدراك حقيقة النفس.

ـ **القانون الخامس**: «قانون النية والإرادة، ويرتكز هذا القانون على أن الطاقة والمعلومات توجد في كل مكان في الكون»[٤]، ويقرر شوبرا بأن الحاكم في الكون ـ الذي هو في الحقيقة الوعي، أو الإمكانات غير المحدودة ـ هو رغبات الإنسان وإراداته.

ـ **القانون السادس**: «قانون عدم التعلق، وينص على أنه من أجل الحصول على أي شيء مادي في الكون، يجب أن تتخلى عن تعلقك به»[٥]. وهو يعتبر أن التوصل إلى عدم التعلق «ينبني على الاعتقاد الجازم بقوة ذاتك الحقيقية»[٦]، ويرى أن سبب التعلق هو الشك في إمكانية الحصول على المطلوب، فإذا أدرك الإنسان أنه بإمكانه الحصول على كل ما يريده، في أي وقت يريده، لم يكن للتعلق بالأشياء معنى.

ـ **القانون السابع**: «قانون دهارما (Dharma) دهارما هي كلمة سانسكريتية تعني: الغاية في الحياة. وينص قانون دهارما على أننا تجسدنا في الشكل المادي لتحقيق هدف ما. فمجال الإمكانات غير المحدودة هو جوهر الألوهية، والإله

---

(١) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 20.

(٢) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 29.

(٣) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 30.

(٤) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 38.

(٥) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 48.

(٦) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 49.

يأخذ شكل الإنسان ليحقق هدفاً»[١]. ثم يقول موضحاً هذا الهدف الذي يسعى إليه الجميع: «يجب أن نكتشف بأنفسنا أن في داخلنا إلٰه أو إلٰهة في صورة جنين يريد أن يولد، فيعبر كل منا عن طبيعته الإلٰهية»[٢].

وخلاصة الأمر: أن حركة «العصر الجديد» ترى أن للإنسان القدرة المطلقة على تشكيل واقعه، وتحديد مصيره من خلال الفكر المجرد، سواء لاعتقادهم بأن الوجود في الذهن فقط، أو لاعتقادهم بأن الوجود هو من تجليات الوعي.

المطلب الثالث

خلاص البشرية في معتقد حركة «العصر الجديد»

تختلف نظرة الفلسفات المتنوعة لطبيعة المعاناة البشرية، أما حركة «العصر الجديد» فتتمثل المعاناة في وجهين:

- في الانحباس في المادة، والبعد عن الطبيعة الإلٰهية المطلقة.
- وفي تناسخ الأرواح.

وبإدراك الطبيعة الإلٰهية، وتجربتها بشكل كامل، يتخلص الإنسان من وجهي المعاناة حسب اعتقاد أتباع الحركة. ويبقى السؤال عن مسألتين:

كيف يتم تحديد الطريق إلى الخلاص؟

وما هي طبيعة الخلاص الذي ينشده القوم؟

وفيما يلي الإجابة على المسألتين:

١ ـ كل إنسان مسؤول عن تحديد طريقه في الخلاص:

لا يعترف أتباع حركة «العصر الجديد» بطريق محدد لتحقيق الخلاص، فالتدين المنظم ليس من الأساليب الرائجة في الحركة الانتقائية، بل يُترك لكل إنسان تحديد الطريقة التي تناسبه في رحلته الروحانية. وبخلاف الأديان المنظمة، فإن حركة «العصر الجديد» لا تُنَصِّب لأتباعها قادة روحانيين، أو رجال دين تجب طاعتهم، واتباع تعاليمهم، و«عادة ما يعتقد العصرانيون الجدد، والوثنيون

---

(١) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 55.

(٢) The Spiritual Laws of Success-Deepak Chopra: 57.

الجدد، بأن الأفراد مسؤولون عن حياتهم الروحانية الخاصة»[١]، وإن كانوا قد يستعينون ببعض الأدلة الروحانيين، ورجال الدين، كما يستشيرون الكهان والمنجمين، لكنهم لا يلتزمون ـ في العادة ـ قول واحد منهم. كما يدمجون بين فلسفات الخلاص في ديانات متنوعة كالهندوسية، والبوذية، والطاوية، والديانات المصرية القديمة، وغيرها[٢].

٢ ـ الجنة المنشودة هي في داخل الإنسان:

إن الخلاص الذي يطلبه أتباع حركة «العصر الجديد» لا يتمثل في دار نعيم حسي في عالم أخروي، والنجاة ـ عندهم ـ لا علاقة لها بالجنة أو النار، ولا ارتباط لها مباشر بالموت وما بعده، وإنما هي حالة من الوعي المتطور، يتحرر فيه الإنسان من قيود المادية البشرية، ويعيش الإلٰهية المطلقة.

يقول تولي متحدثاً عن هذا التحول في الوعي وتسمياته المتنوعة: «في الهندوسية (وفي البوذية) أحياناً يسمى: الاستنارة. وفي تعاليم عيسى يسمى: الخلاص. التحرر واليقظة هي مصطلحات أخرى تستخدم للتعبير عن هذا التحول»[٣].

ثم يبين مفهوم الجنة في فكره المُنحرف قائلاً: «إن الأساس الذي تقوم عليه الأرض الجديدة هو إقامة «جنة» جديدة ـ وهي الوعي المتيقظ. الأرض ـ أو الحقيقة الخارجية ـ ليست سوى انعكاسٍ لها. إن بزوغ جنة جديدة، وأرض جديدة تبعاً لها ليست أحداثاً مستقبلية تحقق لنا الحرية، إذ لا يوجد شيء يمكنه أن يمنحنا الحرية، فقط اللحظة الحالية تستطيع فعل ذلك. إن إدراك هذه الحقيقة هو (اليقظة)... فالجنة الجديدة، أو الوعي المتيقظ، ليست حالة مستقبلية يمكن أن تتحقق. الجنة الجديدة والأرض الجديدة تبزغ الآن في داخلك هذه اللحظة.. ماذا قال عيسى لأتباعه؟ (الجنة هنا في داخلكم)»[٤].

ويقول ديباك شوبرا ملغياً مفهوم الجنة والنار الحسيتين: «الكل فعل يكسب

---

(١) New Age & Neo-pagan Religions in America-Sara Pike: 14.

(٢) انظر: New Age & Neo-pagan Religions in America-Sara Pike: 14.

(٣) A New Earth-Eckhart Tolle: 13.

(٤) New Earth-Eckhart Tolle: (306-309). A.

الإنسان كارما سيئة تهوي بالروح إلى ولادته التالية، هناك فرصة لتسوية الميزان من خلال الكارما الحسنة. إن تناسخ الأرواح يسمح للإنسان بتجربة الجنة والنار مرات متتالية إلى غير نهاية، وحتى تتحقق الموكشا، أو التحرر. تنهي الموكشا دوامة الجنة والنار إلى الأبد، عندما ترجع الروح إلى حالتها الأصلية كوعي محض. قطرة من النعيم في بحر من النعيم»[(١)]. وهو يلغي حتمية الحساب وحسمه، ويجعل الأمر مفتوحاً إلى غير نهاية..

وعلى كل حال، فإن «جنة» حركة «العصر الجديد» سواء سميت موكشا، أو نيرفانا، أو إشراقاً، أو استنارة، أو تنويراً لا تعلق لها بمفهوم الجنة في الديانات السماوية، لا سيما الإسلام، فهي:

١ ـ ليست مكاناً أو زماناً، بل هي حال يطرأ على السالك.

٢ ـ أنها لا تخضع للسببية، ولا هي نتيجة لعمل، أما الجنة فهي ثواب للمؤمن على إيمانه وعمله.

٣ ـ أنها غير مشروطة بالإيمان، بل هي في متناول الجميع على اختلاف مذاهبهم واعتقاداتهم. وهي غير متعلقة بأي قوة خارقة، بل هي إنجاز فردي بحت[(٢)].

---

(١) Life After Death-Deepak Chopra: (105-106).

(٢) انظر: الحكمة البوذية: حلقة الدراسات الهندية ص٢٩.

المبحث الثالث

نقض نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان وقدراته

تتعارض نظرة حركة «العصر الجديد» لطبيعة الإنسان ومكانته في الكون مع الأصول العقدية التي يقوم عليها الإسلام، كما يناقض اعتقادهم بقدرات الإنسان المطلقة النصوص الشرعية التي تنص على محدودية تلك القدرات، وضعف الإنسان، وعبوديته.

ويمكن إجمال مخالفة نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان وقدراته في النقاط التالية:

(١) لا إله لا الله:

عند تأمل ما يقوله أتباع حركة «العصر الجديد» عند حديثهم عن طبيعة الإنسان، نجد مصطلح «الإله» يتكرر كثيراً، فالناس ـ عندهم ـ كلهم آلهة، بأعدادهم التي لا تكاد تُحصى، وهذا ـ بلا شك ـ مناقض لصريح القرآن الذي يحكم بوجود إله واحد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

فالقول بتعدد الآلهة شرك أكبر مخرج من الملة، يبيح الدم والمال،

ويوجب البراء التام. وفي الصحيح قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فمن قال: لا إلٰه إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»[١]، وهؤلاء لا يقولون بإلهين أو ثلاثة، بل الآلهة في اعتقادهم تزيد على أعداد البشر!

وهذا القول ـ مع خطورته ـ ليس تعبيراً دقيقاً عن عقيدة «العصر الجديد»، فإنهم ـ وإن عبروا بالإلٰه ـ فإنهم إنما يريدون «الرب»، وفق تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية[٢]. فالإلٰه الذي في داخل الإنسان ليس إلٰهاً معظماً معبوداً، بل هو مُوجِد، متصرفٌ، مدبر! فشرك هؤلاء هو في الربوبية، «وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلٰهيّة والربوبيّة، واستناد الخلق إلى غيره ﷻ ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم»[٣]، ولأن النفوس البشرية مفطورة على الإيمان برب خالق رازق، وإنما كان جل انحرافهم في توحيد العبادة[٤].

وعند التحقيق تجد أن إلٰه ـ أو حتى رب ـ حركة «العصر الجديد» ليس له وجود حقيقي، فهو إما فكر، أو وعي، أو وجود مطلق لا وجود له في الخارج. فيكون قولهم أقرب للإلحاد وإن ادعوا إثبات «إلٰه» ما. وعلى كلا القولين، فهم مشركون في توحيد الربوبية، سواء كان شركهم بالتعطيل أو بالأنداد[٥].

(٢) الإنسان يولد عبداً ويموت عبداً ويبعث عبداً:

العبودية نوعان:

- **العبودية العامة**: هي عبودية القهر، والتسخير، والملك، والتسيير، وهذه تعمّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٥١، كتاب: الإيمان، باب: ٨، برقم (٣٢).

(٢) انظر: تجريد التوحيد: المقريزي ص٢٠، والجواهر المضية: محمد بن عبد الوهاب ص٣٧.

(٣) تجريد التوحيد: المقريزي ص١٦، وانظر: جامع الرسائل: ابن تيمية ٢/٣١، والجواب الكافي: ابن القيم ص١٣٠، والبراهين: عبد اللطيف آل الشيخ ص٦٩، وغاية الأماني: محمود شكري الألوسي ص٣٦٩، العقيدة الصحيحة وما يضادها: ابن باز ص٢٥.

(٤) انظر: تجريد التوحيد: المقريزي ص١٤، واقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ٢/٣٥٨، وكشف الشبهات: محمد بن عبد الوهاب ص٥، وتيسير العزيز الحميد: سليمان بن عبد الله ص٤٥٣.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١/٩٢، والجواب الكافي: ابن القيم ص١٣٠، وتيسير العزيز الحميد: سليمان بن عبد الله: ٢٦، وتجريد التوحيد المفيد: المقريزي ص٢٤.

جميع الخلق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، سواء أقروا بذلك، أم أنكروه.

- **والعبودية الخاصة**: هي عبودية التأله، والطاعة، والمحبة، وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، الذين استجابوا لداعي الله[1].

وقال ابن القيم: «العبودية نوعان: عامة وخاصة. فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣]. وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد ألوهيته»[2].

فلا الإنسان في أصله إله، ولا هو إله في الحال، ولا يؤول أمره إلى الألوهية أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩].

فالإنسان عبد، شاء ذلك أم أبى، ومن لم يعبد الله باختياره كان عبداً له قسراً.

(٣) قدرات الإنسان محدودة:

عندما تمنح حركة «العصر الجديد» الإنسان قدرات غير محدودة، فإنها تناقض الحس والعقل الصريح، فضلاً عن النقل الصحيح. فرغم تكريم الدين الإسلامي للإنسان، إلا أنه يعرفه ضعفه، ولا يجاوز به قدره.

---

(١) انظر: التفسير القيم ص٩٩ ـ ١٠٠، وإعلام الموقعين: ابن القيم ٢/ ١٢٠، وفتح المجيد: عبد الرحمٰن بن حسن ص٤٤٢ ـ ٤٤٣، وقرة عيون الموحدين ص٢٢٤، وحاشية كتاب التوحيد: ابن قاسم ص٣٣٢، والقول المفيد: ابن عثيمين ١/ ٣٣.

(٢) مدارج السالكين: ابن القيم ١/ ١٢٥، وانظر: العبودية: ابن تيمية ص٥٠، وجامع البيان: الطبري ٢/ ٥٣٩.

قال الله تعالى في وصف طبيعة الإنسان الأصيلة: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أن خلقه من ماء مهين، بيانه قول الله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]». وقال **ابن كيسان**: «يستميله هواه وشهوته، ويستطيشه خوفه وحزنه»[١]. وفي «المحرر الوجيز»: «ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية في مخرج التفضل؛ لأنها تتناول كل ما خفف الله تعالى عن عباده، وجعله الدين يسراً، ويقع الإخبار عن ضعف الإنسان عاماً، حسبما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الأغلب»[٢]

وبيَّن جَلَّ جَلَالُهُ الأطوار التي يتقلب فيها الإنسان بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: ٥٤]. وقال النبي ﷺ لأحد أصحابه: «**ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة**» ثم قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣]، ففيه براءة من حول الإنسان وقوته، والتجاء إلى قوة الله تبارك وتعالى وحوله.

وقال رسول الله ﷺ مبيناً اعتماده التام على ربه: «**دعوات المكروب: اللَّهُمَّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»[٤]. وفي رواية: «**يَا حَيّ يَا قيوم بِرَحْمَتك أستغيث**»[٥].

وقوله: «**«فلا تكلني»**؛ أي: لا تتركني، «**إلى نفسي طرفة عين**»؛ أي: لحظة ولمحة، فإنها أعدى لي من جميع أعدائي، وإنها عاجزة لا تقدر على قضاء حوائجي. قال **الطيبي**: «الفاء في «**فلا تكلني**» مرتب على قوله: «**رحمتك أرجو**»، فقدم المفعول ليفيد الاختصاص، والرحمة عامة، فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله، كأنه قيل: فإذا فوضت أمري إليك فلا تكلني إلى نفسي؛ لأني لا

---

(١) الكشف والبيان: الثعلبي ٣/٢٩١، ومعالم التنزيل: البغوي ١/٦٠٢، وانظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجاج ٢/٤٤.

(٢) المحرر الوجيز: ابن عطية ٢/٤١، وانظر: البحر المحيط: أبو حيان ٣/٦٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٨٧، كتاب: الدعوات، باب: قول لا حول ولا قوة إلا بالله، برقم (٦٤٠٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٤/٣٢٤، أبواب: النوم، باب: ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب: ١١٧، برقم (١٢١).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٥٣٩، أبواب: الدعوات، برقم (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/٨٦٨ برقم (٤٧٧٧).

أدري ما صلاح أمري وما فساده، وربما زاولت أمراً واعتقدت أن صلاح أمري، فانقلب فساداً، وبالعكس)»[١].

وفي دعاء الهم والحزن بيان لفقر الإنسان الجبلي، وتسليمه التام لقضاء الله وحكمه، فعن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن، فقال: اللَّهُمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً**»[٢].

فهذه الأحاديث ـ وغيرها ـ تؤكد معاني حقيقة التوحيد، والبراءة من حول النفس وقوتها[٣].

قال **ابن القيم** رحمه الله: «وفي قوله: [**اللَّهُمَّ رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إلٰه إلا أنت**] من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيديه، والاعتماد عليه وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه، أن يتولى إصلاح شأنه، ولا يكله إلى نفسه، والتوسل إليه بتوحيده مما له تأثير قوي في دفع هذا الداء. وكذلك قوله: «(**الله ربي لا أشرك به شيئاً**». وأما حديث **ابن مسعود** رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك**»، ففيه من المعارف الإلٰهية، وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب، فإنه يتضمن الاعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً؛ لأنْ مَنْ ناصيته بيد غيره، فليس إليه شيء من أمره، بل هو عان في قبضته، ذليل تحت سلطان

---

(١) مرقاة المفاتيح: علي القاري ٤/١٦٩٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢٤٦ برقم (٣٧١٢)، والحاكم في المستدرك ١/٦٩٠، كتاب: الدعاء والتهليل والتكبير والتسبيح والذكر، برقم (١٨٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٣٨٣ برقم (١٩٩).

(٣) وجاء في حديث رواه الإمام أحمد: «**وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك**». أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥/ ٥٢٠ برقم (٢١٦٦٦)، والحديث ضعيف لكن معناه صحيح.

قهره»[١]. قال: «والخذلان: أن يخلي الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله إليها، والتوفيق ضده: أن لا يدعه ونفسه، ولا يكله إليها، بل يصنع له ويلطف به ويعينه، ويدفع عنه، ويكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه، فمن خلى بينه وبين نفسه فقد هلك كل الهلاك»[٢].

كما أن الإنسان يعلم من نفسه أنه ـ مهما قويت إرادته وعلت همته ـ لا يستطيع إدراك كل ما يبتغيه، وتقصر قواه عن كثير مما يتمناه، وإلا لما بقي في نفس إنسان حاجة، ولما احتاج أحد إلى أحد. والواقع خلاف ذلك. ولو قيل: إن ذلك راجع إلى عدم اكتشاف هؤلاء طبيعتهم الحقيقية، قيل: فأين أولئك الذين اكتشفوا تلك «الحقيقة»؟ فلا نجد إنساناً على وجه المعمورة فعالاً لما يريد، لا تصيبه الأسقام والأوجاع، ولم يفقد ـ يوماً ـ عزيزاً أو حبيباً، قادراً على مواجهة الموت، وتحدي المنايا.

ويُروى عن **الحسن البصري** رحمه الله أنه قال: «مسكين ابن آدم محتوم الأجل، مكتوم الأمل، مستور العلل. يتكلم بلحم، وينظر بشحم، ويسمع بعظم. أسير جوعه، صريع شبعه، تؤذيه البقة، وتنتنه العرقة، وتقتله الشرقة. لا يملك لنفسه ضرّاً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً»[٣].

(٤) فلسفة الكارما مخالفة للعقيدة الإسلامية:

تعتمد حركة «العصر الجديد» في تفسيرها لأقدار البشر المتنوعة على فلسفة الكارما الهندوسية الأصل، حيث يعتبر كل حدث في حياة الإنسان نتيجة لفعل قام به، وهذه الفلسفة تتعارض مع العقيدة الإسلامية من عدة جوانب:

ـ **أولاً**: أن القول بالكارما يلقي باللوم على المصاب في جميع الأحوال، فما أصابه هو بسبب فعل فعله، سواء ذكره أو لم يذكره. إن هذه النظرة الجائرة للأسباب الكامنة وراء البلاء هي مما عزز الطبقية المقيتة في المجتمع الهندوسي، فالفقير، والمريض، والمعاق، والوضيع، كل منهم مستحق لما يصيبه، جانٍ على نفسه مطلقاً. بينما الغني الصحيح، صاحب الجاه، قد ترقَّى في دورة التناسخ

---

(١) زاد المعاد: ابن القيم ١٨٩/٤.
(٢) التفسير القيم ٢١٩/١، وزاد المعاد: ابن القيم ١٨٩/٤.
(٣) أدب الدنيا والدين: الماوردي ص٩١.

بفعل يده. ولذلك فإن هذا الاعتقاد يصيب المريض بالهم والغم، حيث يُعاقب على ذنب قد لا يعرفه، ولا يذكره، ولا سبيل إلى التوبة منه. ولا يصح حمل هذه النظرة المجحفة على ما ورد في الشرع من كون المصائب تصيب العبد بذنبه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، أو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أو قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فإن الذنب الذي يُعاقب عليه الإنسان هو ذنبه، والتقصير من عند نفسه، يعيه ويعلمه. ثم إن أسباب البلاء الذي يصيب الإنسان ليست محصورة في العقاب، فقد يبتلى المؤمن تكفيراً لما اقترفه من المعاصي، وقد يبتلى اختباراً وامتحاناً، قد يُبتلى رفعاً للدرجات، واستزادة من الحسنات[1]. وأنبياء الله ورسله هم أشد الناس بلاء، وهذا ـ بلا شك ـ ليس من أجل أنهم أعظم ذنباً من غيرهم، وإنما هو رفعة لدرجاتهم ومنازلهم في الدار الآخرة. كما أنه من المشاهد وجود أفراد من البشر يتقلبون في أنواع من النعيم، قد بُسط لهم الرزق، وأُلبسوا لبوس العافية مع إقامتهم على الذنوب ومبارزتهم الله بالمعاصي، فهل يظن عاقل أن هذا النعيم الذي يعيشه أحدهم هو دليل على رضى الرب عنه؟ أو أنه لم يقترف ما يستحق به العقاب؟ إنما هو استدراج وامتحان، يمهله الله تعالى، حتى إذا أخذه أخذ عزيز مقتدر.

ـ **ثانياً**: أن فلسفة الكارما مقترنة بالقول بالتناسخ، حيث يقف القائلون بالكارما عاجزين عن تفسير بعض الحالات التي تحدث للبشر؛ كأمراض الأطفال وابتلاءاتهم، أو سلامة الظالم طيلة حياته، وشقاوة المظلوم طيلة حياته، فقالوا: إن ما يحدث للإنسان الآن ـ إن لم يكن له تفسير مقبول ـ هو نتيجة فعل له في حياة سابقة، كما أن من لم يلاق جزاءه في هذه الحياة، سيلقاه في حياته اللاحقة. وقد سبق إيضاح حكم القول بالتناسخ في الفصل السابق، فليرجع إليه.

ـ **ثالثاً**: يلغي القول بالكارما قيم الاحتساب والعطاء، فإن العطاء عند هؤلاء يكون على سبيل المقايضة، ولا يُلتفت إلى الأجر الأخروي والمثوبة

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان: ابن القيم ص٥٥٨ ـ ٥٦٣.

المنتظرة من الله ﷻ لا سيما أنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً وإنما يفعل الإنسان ليتلقى، ويعطي فقط ليأخذ.

(٥) القول بتأثير الفكر في الواقع أخطر من قول القدرية نفاة القدر:

اشتهر قول القدرية[١] ـ منكري القدر ـ بأن العباد خالقين لأفعالهم، وقول حركة «العصر الجديد» أشد خطورة من قول أولئك، فالقدرية يحصرون قولهم في أفعال العباد بينما يعم قول الحركة كل ما يحدث في الوجود، فالفكر هو المدبر المتصرف في الكون، وبناء عليه يتشكل الواقع. وهذا القول إنكار للقدر بالكلية، ونسبة للأمر الكوني إلى الإنسان، وهو شرك أكبر إن اعتُقد أن الفكر صانع الواقع ـ وهو اعتقادهم ـ وشرك أصغر إن اعتُقد أنه سبب في تشكيله بينما المدبر هو الله، وهو قول افتراضي لم يقل به أحد من رموزهم فيما اطلعت عليه.

قال **ابن عمر** ﷺ: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحُدْ ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر»، ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره**»[٢]. وهكذا هي سنة المرسلين، فلم يذكر عن أحدهم أنه عاش حياة الكمال، أو سلم من البلاء، بل عكس ذلك هو واقعهم، ولو كان الأمر كما يقول أتباع حركة «العصر الجديد» لشكل الرسل أكمل واقع لرسالاتهم، وانتصروا على الكافرين، وأبقوا على أرواح المقربين منهم من المؤمنين. فلما كانت حياة الأفاضل كذلك، علم أن غيرهم أبعد منهم عن تحقيق الكمال، وصناعة الواقع المثالي.

---

(١) **القدرية**: يقصد بالقدرية ـ إذا أطلقت ـ المعتزلة نفاة القدر، وهم فرق كثيرة يجمعها كلها في بدعتها أمور منها: نفي الصفات الأزلية، وإنكار رؤية الباري في الآخرة، والقول بخلق القرآن، وقولهم: لا يخلق الله فعل العبد، فزعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، ولأجله سموا: قدرية، وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، وكما أجمعوا على أنه لا يغفر لمرتكبي الكبائر.

انظر: التنبيه والرد: الملطي ص١٦٥، والفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي ص٩٣، والتبصير في الدين: الأسفراييني ص٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٩، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ، برقم (٥٠)، ومسلم في صحيحه ١/٣٦، كتاب: الإيمان، باب: ١، برقم (١).

قال شيخ الإسلام: «مذهب أهل السُّنَّة في هذا الباب ـ وغيره ـ ما دل عليه الكتاب والسُّنَّة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو: أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد، وأنه ـ سبحانه ـ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[1].

إن هذا القول ـ بلا شك ـ يقطع تعلق الإنسان بربه[2]، إذ يجعل الإنسان قادراً على الوصول إلى نجاحه بنفسه، وشفاء أسقامه، وتحقيق سعادته بذاته وبأفكاره، وليس على «الكون» سوى الاستجابة لمتطلباته. وهو يلغي أهمية الدعاء الذي هو مخ العبادة بتأملات شرقية مبتدعة. يقول ﷺ معلماً الأمة التوحيد النقي: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[3]، وبيَّن الله ﷻ المصدر الحقيقي للعافية التي يطلبها كل مريض على لسان خليله ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠].

فالقدر ليس طوعاً لفكر الإنسان، أو قيداً لأمنياته، بل هو صادر عن الحكمة الإلٰهية، من لدن عليم خبير، لا يعطي الإنسان كل ما يريده دون تمحيص وتقدير، ولو كان الإنسان خالقاً لواقعه لكان القدر خاضعاً لحكمته هو، ليس «الإلٰه» سوى وسيلة لإيصال المطلوب.

ثم لو افترضنا تعارُض فكر أحدهم مع آخر، فأراد الأول مولوداً ذكراً وأراد الآخر أنثى، أو أراد الأول يوماً مطيراً، وأراد الآخر يوماً مشمساً، فما الذي سيحصل في الكون؟ إما أن يتحقق مرادهما، وهو محال لاستحالة الجمع بين النقيضين، أو أن لا يتحقق مراد أحد منهما، أو أن يتحقق مراد أحدهما، وعلى الاحتمالين الأخيرين يبطل قولهم بالاطراد. وهذا يشبه دليل التمانع الذي استدل

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/٤٤٩.

(٢) والمقصود هنا عندما يتبنى هذه الفلسفات أبناء الإسلام ظناً منهم أنها لا تعارض بينها وبين الشرع، وهو ما سيأتي توضيحه في الباب الأخير بإذن الله.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٦٧ برقم (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٣/١٤٥٩ برقم (٥٣٠٢).

به المتكلمون على الربوبية[١]، ولا عجب فإن القول بخلق الواقع يجعل البشر أرباباً من دون الله.

وهنا لا بد من التمييز بين أمرين مختلفين تماماً، قد يورث الخلط بينهما لبساً، فقول حركة «العصر الجديد» في أثر الفكر في الواقع ليس هو ما يسمى «التفكير الإيجابي» أو ما يعرف شرعاً بالفأل، فإن الأول مجرد عن تأثير أي فعل آخر، فالمؤثر هو الفكر الصرف، ولا يلزم القيام بفعل حسي، أو الإتيان بسبب، فإن مجرد التفكير كاف في تحوير الواقع وتحديد المصير. أما الفأل والتفكير الإيجابي إذا لم يقترنا بالعمل، وفعل السبب المؤثر، فإنهما مجرد أماني فارغة، لا يقول بتأثيرهما عاقل[٢].

(٦) الإغراء بالخلود دعوة قديمة:

إن مما تروج له حركة «العصر الجديد» ـ ضمن قولها بالنشوء والارتقاء ـ أن غاية الإنسان الترقي إلى كائن نوراني خالد، «إله» لا يقبل الفناء أبداً، ولا حدود لوجوده على الإطلاق. وهذه دعوة إبليسية متجددة كانت سبباً في إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وربما تكون سبباً في حرمان أبنائه من دخولها ثانية. يقص الله تعالى الحادثة الأولى في كتابه العزيز، فيقول: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠، ٢١]، قال ابن عباس: «فخرج إليه فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت مَلِكًا مثل الله عز وجل، أو تكونا من الخالدين، فلا تموتان أبدًا»[٣]. وذلك «ظناً منه أنهما يؤثران الخلود؛ لما في ذلك من السلامة من الأمراض، والأسقام، والأوجاع، والآفات، والموت؛ لأن الخالد في الجنة هذه حاله»[٤].

---

(١) انظر: درء التعارض: ابن تيمية ٩/٣٥٢، وشرح الطحاوية: ابن أبي العز ١/٢٨.

(٢) وسيأتي مزيد تفصيل لتطبيق هذه الفلسفة واقعياً عند الحديث عن جذب القدر وكتاب السر، في الباب القادم.

(٣) جامع البيان: الطبري ١/٥٢٦، وانظر: معالم التنزيل: البغوي ٢/١٨٤، وأضواء البيان: الشنقيطي ٤/١١١

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٤/٣٥٨.

«فإن قيل: فإذا كان آدم ﷺ قد علم أن له عمراً مقدراً، وأجلاً ينتهي إليه، وإنه ليس من الخالدين، فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾؟

فالجواب من وجهين:

- **أحدهما**: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء، بل هو المكث الطويل...
- **الثاني**: أن إبليس لما حلف له، وغره، وأطمعه في الخلود، نسي ما قدر له من عمره»[1].

وللشيطان طُرق خبيثة في إضلال بني آدم، فهو يغريهم بالمحال الذي لا طريق إليه، ويُلبّس عليهم في الأسماء تزييناً للباطل وإمعاناً في الإضلال[2].

يقول ابن القيم معلقاً على هذا الحدث الجسيم في تاريخ البشرية: «كذبهما عدو الله وغرَّهما، وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التى تحب النفوس مسمياتها.. فلما سماها شجرة الخلد، قال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة، ولا تموتا فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم ﷺ قد علم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه، أنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهوة»[3].

أما خلود البشر في الجنة أو النار التي أخبر الله عنها في مثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، فليس خلوداً ذاتياً لا يقبل التحول إلى الفناء، وإنما هو خلود بموجب إرادة الرب ﷻ يحتمل الفناء في ذاته ولكنه يمتنع قدراً لوعد الله به[4]. أما الخلود الموعود في حركة «العصر الجديد» فهو ذاتي مطلق، إذ الإنسان قد تحول ـ

---

(١) حادي الأرواح: ابن القيم ص٣٦.
(٢) شعب الإيمان: البيهقي ٩/ ٤١٣.
(٣) إغاثة اللهفان: ابن القيم ١/ ١١٢ ـ ١١٣.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمٰن البراك: ٣١٨، وانظر: معارج القبول: الحكمي ص٨٦٣.

بزعمهم - إلى طبيعة «الآلهة» التي لا تفنى ولا تبيد، ولا يكون إلا ما تريد!

(٧) اعتقاد بأن الخلاص في الداخل ومن الداخل كفر:

لا يؤمن أتباع حركة «العصر الجديد» بوجود جنة حسية يدخلها المؤمنون، وينعمون فيها بأنواع من النعيم. بل جنتهم هي في داخل الإنسان، تتحقق عند إدراكه لطبيعته «الإلٰهية». وهذا القول مع كونه كفر على ظاهرة، فإنه يتضمن كفراً إضافياً هو إنكار الجنة والنار اللتين تواترت النصوص على إثباتهما، ووجوب الإيمان بهما[1]. ففي الصحيح من دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل: «**ولك الحمد، أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق**»[2]. «وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله، وحقية رسله ﷺ، وحقية وعده الصادق. وهما - أي: الجنة والنار - من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته، ووقوعه في غير ما موضع من كتابه»[3]. وفي الحديث «الإقرار بالبعث بعد الموت، والإقرار بالجنة والنار»[4]، وإشارة إلى أنهما موجودتان[5].

وقوله: [**والجنة حق، والنار حق، والساعة حق**] يحتمل وجهين:

- **أحدهما**: أن خبره تعالى بذلك حق، لا يدخله باطل، ولا كذب، ولا تحريف، ولا تغيير، وهو متحقق لا شك فيه.
- والثاني: أن خبر من أخبر عنه بذلك وبلغه حق[6].

قال **ابن القيم** رحمه الله: «ونؤمن أن.. الجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان، لا يبيدان، ولا يفنيان»[7].

---

(١) انظر: العقد الثمين: ابن غنام ص٨٢، ومعارج القبول: الحكمي ٢/ ٨٥٩، وفتح المجيد: عبد الرحمٰن بن حسن ص٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٤٨، كتاب: الجمعة، باب: التهجد بالليل وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، برقم (١١٢٠).

(٣) معارج القبول: حافظ الحكمي ٢/ ٨٥٧.

(٤) شرح صحيح البخاري: ابن بطال ٣/ ١٠٩. وانظر: عمدة القاري: العيني ٧/ ١٦٧.

(٥) فتح الباري: ابن حجر ٣/ ٤، وانظر: شرح سنن أبي داود: العيني ٣/ ٣٨١.

(٦) انظر: المنتقى: الباجي ١/ ٣٥٩، وشرح النووي على مسلم ٦/ ٥٥.

(٧) اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ٢/ ١٧٧.

ودخول الجنة والنجاة من النار معلق بالتصديق بهما، والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله ﷻ يوم القيامة لأهل النار: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾ [يس: ٦٣، ٦٤]. والإيمان بالجنة والنار من الإيمان باليوم الآخر[(١)].

قال شيخ الإسلام: «أن التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق، ورسوله حق، والجنة حق، والنار حق، وهذا علمه أوجب له محبة الله، وخشيته، والرغبة في الجنة، والهرب من النار والآخر علمه لم يوجب ذلك، فعلم الأول أكمل؛ فإن قوة المسبب دل على قوة السبب»[(٢)].

كما أن اعتقادهم بأن الطريق إلى الخلاص ينبع من داخل الإنسان، دون أي توجيه خارجي، كفر. ومن اعتقد أن أحدًا يسعُه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر[(٣)]. وقد سبق استعراض النصوص الدالة على وجوب اتباع النبي ﷺ، وكفر من سلك طريقاً غير طريقه بعد مبعثه.

وبهذا تتضح مخالفة حركة «العصر الجديد» للعقيدة الإسلامية، وأن فلسفتها في الإنسان ودوره في تشكيل واقعه ومصيره فلسفة كفرية، خارجة عن أقوال أهل الإسلام قاطبة.

---

(١) انظر: النبوات: ابن تيمية ص٢٢١، ومجموع الفتاوى: ٣٠/ ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٩/ ٩٦، ومعارج القبول: حافظ الحكمي ٢/ ٨٥٧. ولوامع الأنوار: السفاريني ٢/ ٦٤، التنبيهات اللطيفة: ابن سعدي ص٨٦.

(٢) الإيمان: ابن تيمية ص١٨٥، وانظر: لوامع الأنوار: السفاريني ١/ ٤١٤.

(٣) انظر: نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب: ابن باز: ٤، والإيمان: عبد الله الأثري ص٢٩٦.

الفصل الخامس

معيار الحقائق والقيم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقصود بالحقائق ومفهوم القيم.

المبحث الثاني: معيار الحقائق والقيم في الإسلام.

المبحث الثالث: معيار الحقائق والقيم عند حركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: نقض نسبية الحقائق والقيم، وبيان مخالفتها للعقيدة الإسلامية.

المبحث الأول

المقصود بالحقائق ومفهوم القيم

المطلب الأول

الحقائق

قبل الحديث عن مفهوم الحقائق في الإسلام، وفي حركة «العصر الجديد»، كان لا بد من التقديم بتعريف الحق والحقيقة، في كل من: اللغة، والاصطلاح.

أولاً: الحق والحقيقة في اللغة:

قال ابن فارس: «الحاء والقاف أصل واحد. وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض الباطل»[1]. «والحَقُّ: واحد الحُقوقِ»[2]، الحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق»[3].

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس ٢/١٨، وانظر: الصحاح: الجوهري ٤/١٤٦٠، والقاموس المحيط: الفيروزآبادي ص٨٧٥.

(٢) الصحاح: الجوهري ٤/١٤٦٠.

(٣) لسان العرب: ابن منظور ١٠/٤٩.

والحقيقة: خلاف المجاز. والحَقيقةُ: ما يَحِقُّ على الرجل أن يحميّه. وفلانٌ حامي الحَقيقَةِ. ويقال: الحَقيقَةُ: الرايةُ. وقيل: الحقيقة الحرمة، والحقيقة: الفناء[١]. وجمعها: حقائق، وهو ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه[٢].

ثانياً: الحق والحقيقة في الاصطلاح:

قال الجرجاني: الحق «في اصطلاح أهل المعاني هو: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك»[٣].

«والحق والباطل يُستخدمان في المعتقدات، أما الصدق والكذب فيستخدمان في المجتهدات»[٤]، ويطلق الحق على ما له وجود حقيقي، وليس وهمياً[٥].

أما الحقيقة فهي: «مطابقة الفكر للواقع، أو كما يقول المتكلمون: مطابقة ما بالأذهان للأعيان»[٦]، وتطلق على «الشيء الثابت قطعاً ويقيناً»[٧].

وفي كتاب «التعريفات»، الحقيقة هي: «الشيء الثابت قطعًا ويقينًا، يقال: حق الشيء، إذا ثبت، وهو اسم للشيء المستقر في محله، فإذا أطلق يراد به ذات الشيء الذي وضعه واضع اللغة في الأصل»[٨].

ويفرق بعضهم بين الحقيقة ـ باللفظ المفرد المعرف ـ والحقائق، حيث اعتبرت الحقيقة مضموناً واحداً ثابتاً ومطلقاً، بينما الحقائق تعتبر قضايا جزئية، أو نسبية في الميادين المختلفة[٩].

---

(١) الصحاح: الجوهري ٤/ ١٤٦١، ومقاييس اللغة: ابن فارس ٢/ ١٧، ولسان العرب: ابن منظور ١٠/ ٥٢.
(٢) انظر: لسان العرب: ابن منظور ١٠/ ٥٤.
(٣) التعريفات: الجرجاني ص٨٩.
(٤) المعجم الفلسفي: صليبا ١/ ٤٨١.
(٥) انظر: المعجم الفلسفي: صليبا ١/ ٤٨٢.
(٦) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية: ٨١، وانظر: المعجم الفلسفي: صليبا ١/ ٤٨٥.
(٧) المعجم الفلسفي: صليبا ١/ ٤٨٥.
(٨) التعريفات: الجرجاني ص٩٠.
(٩) الحقيقة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي: ٥.

المطلب الثاني

القيم

فيما يلي تعريف القيمة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: القيمة في اللغة:

القيمة في اللغة: «واحدة القِيَم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قومت السلعة.. والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦]؛ أي: في التوجُّه إليه دون الآلهة. وقومت الشيء فهو قَويمٌ؛ أي: مُستَقيم... وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، إنما أنّثه لأنه أراد الملة الحنيفية. والقوامُ: العَدْلُ. قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقوامُ الرجل أيضاً: قامَتُهُ وحسن طوله»[١]، «واستقام: اعتدل، وقومته: عدلته»[٢].

«والقيِّمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجه... وفي الحديث: قالوا: يا رسول الله لو قومت لنا، فقال ﷺ: «الله هو المقوم»[٣]؛ أي: لو سعرت لنا، وهو من قيمة الشيء؛ أي: حددت لنا قيمتها... والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه»[٤].

وقوله: «﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]؛ أي: يديمون فعلها، ويحافظون عليها. والقِيَامُ والقِوَامُ: اسم لما يقوم به الشيء؛ أي: يثبت، كالعماد والسّناد: لما يعمد، ويسند به»[٥]

فمعاني القيمة في اللغة تدور حول: الثبات، والدوام، والاعتدال، والعدل، والثمن، والقدر.

---

(١) الصحاح: الجوهري ٥/٢٠١٧.

(٢) القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص١١٥٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨/٣٢٨ برقم (١١٨٠٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٤) لسان العرب: ابن منظور ١٢/ ٥٠٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ص٦٩٠.

ثانياً: القيمة في الاصطلاح:

تعتبر «القيم» من المصطلحات الشائكة التي يصعب الاتفاق على تحديد تعريف معين لها، لا لغموضٍ في معناها، ولكن لتفاوت الأقوال في ماهيتها. ومع ذلك، فإنه يمكن الاتفاق على أنها مقياس ـ أو معيار ـ يُحكم بمقتضاه، ويُقاس به، ويُحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه، وإنما يقع الخلاف في تحديد هذا المقياس أهو الإنسان، أم الدين، أم المجتمع[(١)].

كما عُرفت القيمة بأنها: «خاصية شيءٍ يعتبر قابلاً للرغبةِ فيه إذا التفتنا إلى ناحية التجريد فيها، أو بأنها الشيء الذي يعتبر قابلا للرغبة فيه من حيث هو قابل للرغبة، إذا التفتنا إلى ناحية التعيين فيها»[(٢)].

وقديماً، عبر الفلاسفة عن مفهوم القيم بمصطلحات متنوعة، تساعد في تقريب معناها والدلالة عليه، فعبروا عنها بالخير، والكمال، والمثل الأعلى، والمعيار[(٣)]. وتشتمل القيم الإنسانية على: القيم العقلية المتعلقة بالحق، والقيم الأخلاقية المعلقة بالخير، والقيم الجمالية المتعلقة بالجمال[(٤)].

ثم اختُلف في كون القيم:

• ذاتية نسبية: مردها إلى الأفراد، أو إلى معايير متغيرة. وينتج عن هذا امتناع وجود حق بالذات، أو خير بالذات، أو جمال بالذات؛ لأن كل ذلك راجع إلى القياس والفكر، والرغبة والشعور، وهي متغيرة غير ثابتة، مستحقاً للتقدير من أجل غرض معين[(٥)] وهؤلاء يرفضون وجود أي سلطة خارجية، سواء كانت الدين، أو المعتقد، أو الموروثات الثقافية، أو التقاليد[(٦)].

---

(١) انظر: التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية: محمد إبراهيم كاظم ص١١، ونظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص٦٢.

(٢) نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص٣٢.

(٣) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١١.

(٤) انظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص٤٦، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٢٨.

(٥) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٣٨، والمعجم الفلسفي: صليبا ٢/ ٢١٣.

(٦) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٥٣.

• أو موضوعية مطلقة: مستقلة عن الأفراد، والمصالح، والمتغيرات، فهي تتضمن قيمتها في باطنها، وهي غير قابلة للجدل، تتخطى الزمان والمكان، ثابتة لا تتغير. فيكون الحق، أو الخير أو الجمال مستحقاً للتقدير لذاته، لا من أجل غرض معين[١]. وإن كان «ليس من اللازم لمن يقول بأنها غاية تنشد لذاتها أن يسلم بموضوعيتها، وإطلاقها، ووحدتها. فقد تعدها طائفة من الفلاسفة غاية في ذاتها، ولكن على أن يكون لكل ذات فردية غاياتها المطلقة الخاصة، التي تتعدد بتعدد الأفراد والذوات»[٢].

(١) انظر: المرجع السابق ص٣٧ ـ ٣٨، والمعجم الفلسفي: صليبا ٢/٢١٣.

(٢) نظرية القيمة في الفكر المعاصر: صلاح قنصوة ص٥٤.

المبحث الثاني

معيار الحقائق والقيم في الإسلام

لما كانت معرفة المعيار الذي ترجع إليه الحقائق والقيم ذات أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، جاء الإسلام ليبينه للناس بكل صراحة ووضوح، وهو ما سيتم تناوله في هذا المبحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الحق في العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: القيم في العقيدة الإسلامية.

وتفصيلها كالتالي:

المطلب الأول

الحق في العقيدة الإسلامية

لقد جاءت رسالة الإسلام واضحة صريحة في تحديد معيار الحق، ووصف ما عداه ـ دون تردد ـ بالباطل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، وبين الرب ﷻ أن مصدر الحق واحد ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، وطريق معرفته هو: الكتاب

والسُّنَّة[١]. فـ «كل ما جاء من عند الله ـ فيما يتعلق بمبادئ العقيدة وأصول العلم والمعرفة ـ هو حق. وهو حق ـ أيضاً ـ لأنه يحمل في داخله أدلته الكافية، لكي يتوصل العقل إلى الحق في ذلك»[٢]. والحق الغيبي المطلق لا يمكن رد معرفته إلى الحس المجرد، إذ الحواس قد تحمل إدراكات مضطربة، ولذلك لزم التزام ما جاء به الشرع، وهو ما يؤيده العقل ويسانده[٣].

ثم إن الحق واحد لا يتعدد[٤]، بدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]. قال ابن كثير: «وحد تعالى لفظ النور، وجمع الظلمات لأن الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة، كما قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق، وانتشار الباطل، وتفرعه، وتشعبه»[٥]. فـ «سبيل الحق واحد، ومقتضى حجته كذلك، ومقتضى الهوى متعدد، وسبله متعددة المسالك ولهذا وحد سبيل الحق وجمع ضده»[٦].

قال ابن القيم: «فإن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، ولا بالأهواء والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ،

---

(١) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٣٠.
(٢) المرجع السابق ص١٥١.
(٣) انظر: القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص٥٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/ ٦٨٥، ٣/ ٣٦٧، ومعارج القبول: الحكمي ٣/ ١٢٤٢، فتح القدير: الشوكاني: ١٧١، والتحرير والتنوير: ابن عاشور ٢/٣٠٨، وأضواء البيان: الشنقيطي ١/١٥٨، وأحكام القرآن: الجصاص ٢/ ٣١٤، وبصائر ذوي التمييز: الفيروزآبادي ١/ ٢٣٩، المبسوط: السرخسي ٥/ ٢٦، الفتاوى الكبرى: ابن تيمية ٥/ ٥٥٦، اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم ٢/ ٦٦.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/ ٦٨٥، وانظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٧/ ٢٧٨.
(٦) العقد الثمين: ابن غنام ص١٩٥.

من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة»[١].

وقد جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**»[٢]. وفي «مسند الإمام أحمد» قوله عليه الصلاة والسلام: (**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»[٣].

فقوله ﷺ: (إلا واحدة) نص على أن الحق واحد لا يختلف، إذ لو كان الحق متعدداً كالباطل لما قال: «**إلا واحدة**»، ولأن الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق، فهي الحاكمة بين المختلفين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف، لم يكن في الرد إليها فائدة[٤].

ومما يدل على انفراد الحق حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطّاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»[٥].

فإن قيل: قد ورد تعدد السبل في قوله تعالى: ﴿...قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، مع أن سبيل الله واحد، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قيل: «الجمع بين الآيتين أن يقال: إن سبيل الحق واحد، لكن له فروع وشعب،

---

(١) التفسير القيم ص١١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣٧، كتاب الإيمان، باب: ٧١، برقم (١٥٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨/١٢٥ برقم (١٦٩٣٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/٤٠٩ برقم (٢٠٤٢ - ٩٠٧) بلفظ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي: الجماعة**».

(٤) انظر: الاعتصام: الشاطبي ص٧٥٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٧/٢٠٧ برقم (٤١٤٢)، وحسنه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ١/٥٨ برقم (١٦٦).

من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وجهاد، وبر، وصلة، وما أشبه ذلك، فهذه سبل لكنها تجتمع كلها في سبيل واحد، وأيضاً لا يمكن أن تطلق سبل ويراد بها الإسلام، وإنما تضاف كما في قوله: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، فإذا كانت كلها مؤدية إلى السلام فهي الإسلام»[(١)]

قال **ابن القيم**: «أن طريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة، فإنها لا ترجع إلى شيء موجود، ولا غاية لها يوصل إليها، بل هي بمنزلة بنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد»[(٢)].

وإذا كان لا يمكن أن يقع الحق في موضعين متناقضين، فمن الأولى أن يمتنع اجتماع الحق والباطل في موضع واحد، أو عقيدة واحدة. فالحق لا يمكن أن يكون باطلاً من أي وجه، والباطل لا يمكن كونه حقاً من أي وجه[(٣)].

وباختصار، فإنه يمكن تحديد موقف العقيدة الإسلامية من الحق في ثلاثة نقاط:

- أن الحق مصدره الكتاب والسُّنَّة، ويؤيده العقل ويسانده.
- أن الحق واحد غير متعدد.
- أن الحق مطلق: فلا يجتمع الحق والباطل في موضع واحد.

المطلب الثاني

القيم في العقيدة الإسلامية

لقد جاء رسول الله ﷺ معلماً أميناً، هادياً للبشرية، ففصل لهم أمر دينهم دقيقه وجليله، ولم يترك شيئاً يحار فيه المؤمن لا يجد له في الإسلام أصلاً، فالإسلام دين شمولي يتضمن كل ما يحتاجه الإنسان في قواعد كلية، ومعايير قياسية، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولم تكن الفضائل والقيم في معزل عن ذلك

(١) شرح مقدمة التفسير لابن تيمية: ابن عثيمين ص١٦.
(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم ١/١١٩.
(٣) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٥٣.

التبيان، إذ فصل الله تبارك وتعالى بين الخير والشر وبين الخبيث والطيب. بل إن الإسلام دين القيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. فالقيم الإسلامية مصدرها الكتاب والسُّنَّة[١]

و«للدين أثره في حياة الفرد والمجتمع، فهو يضع من المبادئ والقيم ما ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه. والقيم الدينية ليست مبادئ نظرية، ولكنها سلوك، وعمل، وواقع حياة، وهي تتجه إلى تكوين الفرد الصالح»[٢]. إن «ربانية المنبع القيمي هنا، أو بتعبير آخر: ربط القيمة الإنسانية العلمية الحركية هنا بالمنبع العلوي، وهو الله ﷻ، يكسب القيمة سمواً من ناحية، ويمنحها قوة ورسوخاً من ناحية أخرى»[٣].

يتميز مفهوم القيم في الإسلام بأمور، منها:

- أنه مستمد من شرع الله، وموزون بميزان الكتاب والسُّنَّة.
- تميزه بالوضوح، والجلاء، والتوسط[٤].

وإذا أردنا أن نحدد وصف القيمة في الإسلام من حيث النسبية والإطلاق[٥]، لزمنا التميز بين معنيين قد يسبب الخلط بينهما التباس:

الأول: القيم الشرعية التي مصدرها الشرع، والتي يتعلق بها الثواب والعقاب، فهي مطلقة لا تخضع للأذواق والعقول، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، وإن كانت قد تُدرك بالعقل أحياناً. والقول بأنها قيم مطلقة أنها لا يعني أنها لا تتغير بتغير الصفات، فإن كل قيمة تعتبر حسنة بصفة محددة، يبقى حسنها ما دامت الصفة، فإذا تغيرت الصفات تغير الحكم، ولا يؤثر ذلك على الحكم عليها بالإطلاق. قال **شيخ الإسلام**: «ومن الناس من يظن أن الحسن

---

(١) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٣٠.

(٢) القيم الدينية والمجتمع: محمد كامل حتة ص٥.

(٣) المدخل إلى القيم في الإسلام: د. جابر قميحة ص١٢٩.

(٤) انظر: القيم بين الإسلام والغرب: د. مانع المانع ص٢٣.

(٥) نسبية القيم تعني ارتباطها في وجودها بوهم، أو ظرف، أو شيء، أو شخص، أو وعي. أما مطلقيتها فإنها تعني عدم ارتباطها في وجودها بسبب من الأسباب التي تجعل منها قيماً نسبية.

انظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص١١٧.

والقبح صفة لازمة للموصوف، وان معنى كون الحسن صفة ذاتية له هذا معناه، وليس الأمر كذلك، بل قد يكون الشيء حسناً في حال، قبيحاً في حال، كما يكون نافعاً ومحبوباً في حال، وضاراً وبغيضاً في حال»[١].

وهذه القيم إما أن تكون:

- مشتملة على مصلحة ظاهرة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما هو في العدل مثلاً، فكونها قيمة قد يعلم بالعقل ولو لم يثبت ذلك في الشرع، فهو - في هذه الحال - أثبت صفة الفعل، لا أنه أعطاه صفة لم تكن.
- أو لا تشتمل على مصلحة ظاهرة، فإنها إنما أصبحت قيمة حسنة بخطاب الشارع، ولولاه ما تبين حسنها من غيره[٢].

الثاني: القيم الاجتماعية، وهي أمور لا تعلق لها بالشرع، مما قد تعتبره المجتمعات قيماً باعتبار ملاءمته للطبع أو منافرته له، أو باعتبار الشيء صفة كمال أو نقص، أو باعتباره ضاراً أو نافعاً مما لم يرد الشرع بمدحه أو ذمه، فهذا مصدره العقل من غير توقف على الشرع، لا خلاف في ذلك[٣]، وهي أمور نسبية تختلف وتتغير باختلاف الزمان والمكان[٤]. فالجمال - مثلاً - قيمة نسبية، إذ هو وصف خارج عن الذات، وليس له وجود متفق عليه. وهذا النوع لا يترتب عليه أحكام إلا كما يترتب على الأعراف[٥].

فالمعيار الأساس المُطلق، الحاكم على كل المعايير، هو شرع الله ﷻ المبين بالوحي، والعقل يهتدي بالوحي في اكتشاف الحسن والقبيح، كما أنه يهتدي بالتجربة في نطاق المحسوس. فهناك معيار مطلق في الإسلام، وهناك معايير نسبية مردها إما إلى العقل، أو إلى الفطرة، أو إلى التجارب والعوائد البشرية.

أما إنكار ثبوت أي قيمة إلا بورود الشرع بإثباتها، فلا يقول به عاقل، وقد

---

(١) الرد على المنطقيين: ابن تيمية ص٤٢٢.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/ ٤٣٤.
(٣) انظر: الرد على المنطقيين: ابن تيمية ص٤٢٢، ومجموع الفتاوى ٨/ ٩٠، ٣٠١.
(٤) انظر: المدخل إلى القيم في الإسلام: د. جابر قميحة ص١٢٩.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/ ٦٧٧، ١١/ ٦٧٦.

قال النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[١]. مثبتاً وجود الأخلاق الحميدة التي تعبر عن القيم قبل مبعثه ﷺ. قال **ابن القيم** رحمه الله مستنكراً هذا القول: «هذا المذهب ـ بعد تصوره، وتصور لوازمه ـ يجزم العقل ببطلانه، وقد دل القرآن على فساده في غير موضع، والفطرة أيضاً، وصريح العقل. فإن الله ﷻ فطر عباده على استحسان الصدق والعدل، والعفة والإحسان، ومقابلة النعم بالشكر، وفطرهم على استقباح أضدادها، ونسبة هذا إلى فطرهم وعقولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المسك ورائحة النتن إلى مشامهم»[٢].

التحسين والتقبيح:

تتعلق مسألة التحسين والتقبيح بموقف المسلم من القيم من حيث الذاتية والموضوعية والنسبية والإطلاق، وتصورها يعين على فهم معيار القيم. فإن للمسلمين في التحسين والتقبيح ثلاثة أقوال[٣]:

القول الأول: أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والذي يحكم بالحسن والقبح هو العقل، والشرع مجرد كاشف لهاتين الصفتين. وهذا هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم[٤].

القول الثاني: العقل لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه قبل ورود الشرع، فإنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع، إذ التحسين والتقبيح إنما يتلقى من الشرع. وقالوا: لو حسن الشرع ما قبحه، وقبح ما حسنه لم يكن ذلك ممتنعاً. وهذا هو قول الأشاعرة ومن وافقهم[٥].

القول الثالث: التفصيل في المسألة، إذ أن قصر التحسين والتقبيح على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤/٥١٣ برقم (٨٩٥٩)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١١٢ برقم (٤٥).

(٢) مدارج السالكين: ابن القيم ١/٢٤٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/٤٣٤ ـ ٤٣٦، ومنهاج السُّنَّة ١/٣١٦ ـ ٣١٧، ودرء التعارض ٩/٤٩ ـ ٦٢، وشرح الأصفهانية ص١٦١، والجواب الصحيح ١/٣١٤ ـ ٣١٥.

(٤) انظر: المغني: القاضي عبد الجبار ٦/٢٦ ـ ٣٤، والمعتمد في أصول الفقه: أبو الحسين البصري ١/٣٦٣، والبحر الزخار: ابن المرتضى ١/٥٩.

(٥) انظر: الإرشاد: الجويني: ٢٢٨، والمحصل: الرازي ص٢٠٢، والمواقف: الإيجي ص٣٢٣.

العقل لا يصح، ونفي دور العقل مطلقاً في التحسين والتقبيح أيضاً لا يصح، فالأفعال تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

○ **الأول**: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كمصلحة العدل ومفسدة الظلم، فهذا قد يُعلم بالعقل ويؤيده الشرع، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا ما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة عقلاً، ولو لم يبلغهم تقبيحها من الشرع، وهذا القول يخالف قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

○ **النوع الثاني**: الأفعال التي تكتسب صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع، فإذا أمر الشارع بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً.

○ **النوع الثالث**: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به ذاته، كما أمر إبراهيم ﷺ بذبح ابنه، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣] حصل المقصود. فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به.

قال **شيخ الإسلام**: «وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع. وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب»[(١)].

فمذهب أهل السُّنَّة في هذه المسألة هو التوسط، حيث قالوا بأن الحسن والقبح يدركان بالعقل، ولكن ذلك لا يستلزم حكماً في فعل العبد حتى يرد به الشرع، ويستحق الفعل الأمر والنهي والثواب والعقاب من الشارع بما لا يتناقض مع العقل، فلا يأمر بنقيض ما أدرك العقل حسنه، أو ينهى عن نقيض ما أدرك العقل قبحه، عملاً في ذلك بمقتضى الحكمة التي هي صفة من صفاته ﷻ، وهذا هو قول عامة السلف وأكثر المسلمين[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/٤٣٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٤٢٨ ـ ٤٣٦ و١١/٦٧٦ ـ ٦٧٧، ومفتاح دار السعادة: ابن القيم ص٣٣٤ ـ ٤٤٦، وشفاء العليل ص٣٩١ ـ ٤٣٤، ومدارج السالكين ١/٢٣٠، لوامع الأنوار البهية: السفاريني ١/٢٨٤.

المبحث الثالث

معيار الحقائق والقيم عند حركة «العصر الجديد»

لقد طرق مبحث «القيم» عند الفلاسفة منذ عهد بعيد، وربما كانت نواته الأولى في نظرية المثل عند **أفلاطون**، حيث جعل الخير ـ أو القيمة ـ هو سبب وجود الوجود، وقال أن «الإله» هو مصدر القيم، مؤيداً بذلك القيم الموضوعية، والمبادئ المطلقة[1]. أما السفسطائيون فجعلوا الإنسان هو مقياس كل شيء، مما كرس ذاتية القيم، والحقائق النسبية[2]. وفي القرن التاسع عشر «اهتم نيتشه[3]

---

(١) انظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص١٣٢، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٦٨ ـ ٧٢، ونظرية القيمة في الفكر المعاصر: صلاح قنصوة ص٦٤، ١٠٩.

(٢) انظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص١٣٠.

(٣) نيتشه: هو فريدريك فلهم نيتشه، ثالث ثلاثة في الفلسفة الألمانية. ولد في عام ١٨٤٤، وكان مجنوناً، ملحداً، مصاباً بداء العظمة حتى ادعى الألوهية. آراؤه مليئة بالتخبط، والخلط، قائمة على الإلحاد، ونقد الأديان، والغيبيات، بالإضافة إلى نفي العقل. تبنى نيتشه نظرية التطور، ونادى بتحطيم القيم التقليدية والمذاهب الأخلاقية. توفي ١٩٠٠م.
انظر: معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي ص٦٧٧، وتاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٣٩٣.

ببحث مشكلة القيمة، وكان ـ في الحقيقة ـ صاحب مذهب في القيمة زعزع فيه اليقين في القيم المعروفة»[١]. وفيه ظهر المنهج التجريبي فاستخف أصحابه بالحقائق الثابتة والقيم المطلقة، مؤكدين القول بالذاتية، والنسبية[٢].

أما في الديانات الشرقية فقد انتشر القول بذاتية الحقائق والقيم، فالقيمة عند الهندوس تتحقق عند الاتحاد بالمطلق، أو إدراكه، وعن طريق تجربة تصفية الروح[٣]، وفي البوذية تتحقق بالتحرر من التناسخ[٤].

و حركة «العصر الجديد» تعتبر امتداداً للفلسفات النسبية، فهي لا تعتقد بوجود حقيقة مطلقة، ولا قيم موضوعية، بل الكل عندها ذاتي نسبي، ويمكن إيضاح موقف الحركة من الحقائق والقيم من خلال مطلبين:

المطلب الأول: موقف حركة «العصر الجديد» من الحق.

المطلب الثاني: موقف حركة «العصر الجديد» من القيم.

المطلب الأول

موقف حركة «العصر الجديد» من الحق

لما كان مصدر الحقائق عند حركة «العصر الجديد» هو الشعور الفردي، كان الحق عند الحركة ذاتياً نسبياً، يختلف باختلاف صاحبه، فما يحس أحدهم بأنه حق، قد يكون باطلاً بإحساس شخص آخر. ولا يوجد معيار تقاس به الحقائق سوى النفس البشرية، ولذلك فإنه لا يصح لأحد ـ أيّاً كان ـ أن يعتقد أن الحق المطلق فيما يعتقده.

إن القول بالنسبية هو من الأمور التي أدت إلى القول بوحدة الأديان، وصحة المعتقدات جميعاً، سواء في حركة «العصر الجديد»، أو الثيوصوفي ـ المذهب الأم للحركة. تقول آني **بيسانت**: «لا يجب على أي إنسان ـ عندما

---

(١) القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٧، وانظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر: د. الربيع ميمون ص٨٨.

(٢) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٦ ـ ٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٧، و Catholics and the New Age: 34-Mitch Pakwa.

(٤) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص١٨.

يصبح ثيوصوفياً ـ أن يتوقف عند كونه مسيحيّاً، أو بوذيّاً، أو هندوسيّاً فإنه سيحصل على تصور أعمق لمعتقده، وفهم أوسع لتعاليمه المقدسة»(١).

كما تقول آلس بيلي في كتاب «التأهيل»: «يجب على كل نفس أن تتحقق بنفسها(٢)، كما يجب عليها أن تكتشف ما بداخلها، مستحضرة دائماً أن مملكة الرب هي في الداخل، وأن الحقائق التي تدرك في الوعي الفردي هي وحدها التي تحمل أي قيمة»(٣).

بينما يوضح **ديفيد سبانغلر** ـ أبرز المتحدثين عن فكر حركة «العصر الجديد» ـ مفهومه للحق قائلاً: «إنه يعني قابلية تمييز الفعل الصحيح في وقت محدد. الحق لا يحمل كل شيء في ذاته، وإنما يحمل ما هو حق أو صادق في ذلك الزمان والمكان، دون الحاجة إلى الحكم بالصحة أو بالخطأ المطلق على الشخص، أو الشيء، أو المبدأ الواقع تحت ذلك التمييز»(٤).

إن الحقيقة المطلقة ليس لها وجود في فلسفة **رامثا**، ومما جاء في الكتاب الأبيض قوله:

«اعلم انه ليس لشيء نهاية، وأنه لا يوجد لشيء حقيقة مطلقة. كل شيء هو في اللحظة، وهناك مزيد آت دوماً»(٥)، وفي موضع آخر يقرر أن الحق ملك لكل أحد، فلا وجود للباطل في فلسفته المنحرفة، وفي ذلك يقول: «إن الجميع دائماً في قمة الحق، بغض النظر عن وجهات نظرهم»(٦).

وتحت عنوان: الحق نسبي أم مطلق، يقول **إكهارت تولي**: «في ما عدا الحقائق الواضحة، والقابلة للإثبات، يعد الاعتقاد (بأني على حق، وأنت على باطل) خطراً على العلاقات الاجتماعية، فضلاً عن التفاعل بين الأمم، والقبائل، والأديان، وما إلى ذلك»(٧).

---

(١) The Ancient Wisdom-Annie Besant: 7.

(٢) المقصود تجربة المراحل العليا من «الوعي» التي تعتبر قمة مراحل التطور والارتقاء.

(٣) Initiation-Alice Bailey: 29.

(٤) Revelation-David Spangler: 84.

(٥) The White Book-Ramtha: 262.

(٦) The White Book-Ramtha: 160.

(٧) A New Earth-Eckhart Tolle: 45.

ثم يتحدث عن محاربة النصرانية للاعتقاد بنسبية الحقائق، وعن عدد من المواقف التاريخية التي أساء فيها الناس استخدام اعتقادهم بأهلية الحق في الظلم والقتل، حتى قال: «إن الكنيسة الكاثوليكية على حق عندما تعتبر النسبية ـ الاعتقاد بعدم وجود حقائق مطلقة ترشد سلوك الإنسانية ـ من شرور عصرنا الحاضر ولكنك لن تجد الحقائق المطلقة إذا بحثت عنها حيث لا وجود لها، في العقائد، والنظريات، أو مجموعات الأنظمة والقصص. ما هي الصفة المشتركة بينها؟ جميعها تتشكل من الأفكار. قد يكون الفكر أقوى دليل على الحق، ولكنه ليس هو الحق. ولذلك يقول البوذيون: «الأصبع الذي يشير إلى القمر ليس هو القمر». جميع الأديان حق وباطل في الوقت ذاته، بحسب استخدامك لها»[١].

ويستمر في توضيح الاستخدام الخاطئ للدين من وجهة نظره قائلاً: «إذا اعتقدت أن دينك هو الحق، فأنت تستخدمه لخدمة ذاتك، وإذا استخدم الدين بهذه الطريقة فإنه يتحول إلى أيديولوجيات، ويخلق شعوراً وهميا بالتفوق، بالإضافة إلى الانقسام والصراع بين البشر»[٢].

ويوضح الحقيقة المطلقة ـ في نظره ـ بقوله: «لا توجد سوى حقيقة مطلقة واحدة، تنبع منها جميع الحقائق الأخرى. عندما تجد هذه الحقيقة ستسير أفعالك معها بانتظام.. الحق ملازم لحقيقتك. نعم أنت هو الحق، إن بحثت عنه في مكان آخر ستنخدع في كل مرة»[٣].

فتولي عندما يدعي أنه يعتقد بحقيقة مطلقة، ثم يجعلها الإنسان، هو ـ في الواقع ـ ينقض قوله بنفسه، إذ الإنسان لا يمكن أن يوصف بالإطلاق، بل هو منبع النسبية إذا اعتُبر معيار الحق دون غيره. أما ما يصدر عنه من أقوال وأفعال فقد يوصف بعضه بأنه حق، ولكن معيار الحُكم ليس هو الإنسان نفسه، وإنما هو مصدر خارج عنه بالتأكيد.

---

(١) A New Earth-Eckhart Tolle: 45.

(٢) A New Earth-Eckhart Tolle: 46.

(٣) A New Earth-Eckhart Tolle: 46.

المطلب الثاني

القيم عند حركة «العصر الجديد»

قد تعد رؤية حركة «العصر الجديد» لفلسفة القيم متفرعة عن نظرتها للحقائق، فإن القول بنسبية الحق لا بد وأن يشمل كل ما يمكن أن يعتبر حقيقة، ومن ذلك مفهوم القيمة في منظور الحركة.

إن القول باستقلالية القيم ليس وليد حركة «العصر الجديد»، بل هو من سمات عدد من المذاهب الفكرية المعاصرة التي تأثرت بأفكار كانت، وهو ظاهر في عدد من المدارس الغربية منذ عصر التنوير. وهذا القول هو مما مهد لأتباع حركة «العصر الجديد» ـ وأمثالهم ـ تبني مبدأ النسبية.

ينبع القول بذاتية القيم والأخلاق عند حركة «العصر الجديد» من عدد من المعتقدات التي تتبناها الحركة، منها اعتقادهم بأن الطبيعة البشرية غير فاسدة ـ في الجملة ـ وأن الاستقامة تصدر عنها بشكل طبيعي فطري[١]. وهذا القول مما يؤول بالأفراد إلى التخلي عن المسؤولية الاجتماعية، حيث يعمل كل فرد على إشباع رغباته الخاصة، والتي تكون مبنية على مبادئه الشخصية التي يخترعها بنفسه، معتقداً أنه بذاته معيار الصلاح والفساد[٢]. فتتخطى «الحريات الفردية» حقوق الآخرين، ولا يعود الإنسان يفكر في غير مصلحة نفسه!

يقول رامثا (جي زي نايت) مبيناً أن الإنسان ـ بعد إدراكه لألوهيته ـ لا يلزمه الالتزام بأي قيد أخلاقي، أو قيمي، أو قانوني: «عندما تتعرف على الحقيقة التي تكمن في ذاتك، ستجاوز محدوديتك إلى ألوهيتك. وبينما يسمح الآخرون لأنفسهم بأن تحكمهم القوانين، والأخلاق، والمثل، ستكون أنت كائناً حراً، فإنك لن تتبع أية حقيقة سوي حقيقة نفسك»[٣]. ثم يؤكد انحلال تعاليمه من كل قيد أو خُلق: «إن هذه التعاليم ليست مفهوماً دينياً، فالأديان مبنية على العقائد، والقيود، وكثير من الأحكام. أنا لست معلماً للدين، فإنه قد تسبب

(١) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 108.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 105.

(٣) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 160.

بالفرقة والآلام في هذا العالم. إن هذه التعاليم هي معارف... إن هذه التعاليم خالية من القوانين، لا تحمل أية قانون إذ القوانين قيود تعيق الحرية»[١].

ولا تبالي مارلين فرغسون - في سبيل تحقيق «قدراتها الكامنة» - إن كان الثمن هو الأخلاق التي تنظم العلاقات الشخصية والاجتماعية، فهي تقول: «مهما يكن الثمن في العلاقات الشخصية، نكتشف أن أعلى مسؤولية نحملها، أخيراً وحتماً، هي تحقيق قدراتنا الكامنة - وأن نكون كل ما يمكننا أن نكون»[٢].

إن القول بذاتية القيم لا يُقصد به نسبية صفة خارجة عنها، كأن يعتقد أن تختلف معتقدات الأشخاص فيما يعد من الفضائل، فاختلاف الناس لا خلاف عليه، وإنما المقصود بذاتية القيم - كما يؤكد سبانغلر - أن الفعل في ذاته يحتمل أن يكون فضيلة أو رذيلة في الظرف نفسه، وأن الفعل أو المبدأ هو - في الواقع - حق بالنسبة لشخص، وباطل - فعلاً - بالنسبة لآخر. في هذه النظرة لا يوجد أي حق مطلق ينطبق على الناس كلهم، واستقامة الفعل وصلاحه يقاس بالإحساس أو الشعور الذي يعطيه الفعل للإنسان، ولذلك لا يستلزم أي حكم خارجي، أو تبريراً، أو تحقق موضوعي. لا يمكن الحكم على اعتقاد أحد بالخطأ، وفي الوقت ذاته، لا يمكن تعميم ذلك الاعتقاد على كل أحد. إن النسبية والذاتية عند حركة «العصر الجديد» يمكن تعميمها وتطبيقها على شتى فروع نظرية المعرفة[٣].

ومن أبرز القيم التي تصنف في أعلى سلم القيم التي اتفق عليها أتباع حركة «العصر الجديد» هي تلك المتعلقة بالأفكار النسوية، والاهتمام بالبيئة، وبعض القضايا السياسية العالمية[٤]، وإن كانت هذه الاهتمامات ليست محصورة على أتباع الحركة، ولا تعد دلالة على الانتماء لها، وسيأتي مزيد تفصيل لها في الباب الثالث بإذن الله.

---

(١) The White Book-Ramtha (J.Z Knight): 49.

(٢) The Aquarian Conspiracy-Marlyne Ferguson: 430.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (103-104).

(٤) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 100.

المبحث الرابع

نقض النسبية في الحقائق والقيم وبيان مخالفتها للعقيدة الإسلامية

لا شك أن القول بالنسبية ـ سواء في الحقائق أو القيم ـ مناقض لأوضح مسلمات الدين، وهو باب يلج من خلاله كل من أراد التحلل مما من شأنه تنظيم الحياة والعلاقات الاجتماعية.

أما القول بنسبية الحق، فإنكار للدين بالكلية، وتكذيب للنبي ﷺ، وجميع الرسل من قبله. ومما يدل على بطلان القول به ما يلي:

- أن الله ﷻ أرسل الرسل لدلالة الناس على الحق، ولو كان الحق غير منضبط، لما كان ثمة هدف من الرسالة، فالمؤمن على حق، والمشرك على حق، بل والملحد على حق! كل بحسب نظرته ومعتقده.
- أن الله حدد طريق النجاة، وبين ﷺ أنه طريق واحد غير متعدد، ولو كان الحق نسبياً لتعددت طرق النجاة وتنوعت.
- أن النبي ﷺ أُمر بقتال المشركين وجهادهم، ولو كان الحق نسبيّاً لما أمر الله بقتل من قد يكون على حق.

- أن الله تعالى لما خلق الجنة والنار، خلقهما ليميز بين جزاء أصحاب الحق وجزاء أصحاب الباطل، ولو قيل بنسبية الحق لما كان أحد يستحق دخول الجنة إذ الحق الذي يعتقده يحتمل كونه باطلاً، ولا أحد يستحق دخول النار؛ لأن الباطل الذي يعتقده يحتمل أن يكون حقاً.
- في القول بنسبية الحق تعطيل للدعوة إلى الله التي أُمر بها المسلم، فلا يصح تعميم ما يعتقده الإنسان حقاً على غيره، فإن ما تدعو إليه حق لك، باطل لغيرك، وما عند الآخر باطل لك، حق لغيرك.
- أن القول بنسبية الحق يذيب الفوارق بين المؤمن والكافر، ويقضي على معالم الولاء والبراء، فكل الناس على حق، وإن اختلفت مذاهبهم ومعتقداتهم.
- أن هذا القول يحطم الهوية القائمة على المبادئ الراسخة، ويشكك في مصداقية المعتقدات أيّاً كان مصدرها.
- أن تطبيق نسبية الحق محال في الواقع، إذ من الممتنع عقلاً الجمع بين النقيضين، أو انتفاؤهما، ولو اعتقد أحدهم أن النبي صادق، واعتقد الآخر أنه كاذب، ما أمكن أن يجتمع في رجل واحد صدق دعوى النبوة وكذبها، كما لا يجتمع في جسد واحد موت وحياة.
- أن القول بالنسبية يقضي على فائدة أي مناظرة أو حوار يهدف للوصول إلى الحق.
- ومع القول بالنسبية يمتنع الإنكار على أي إنسان فعله، سواء كان ذلك المنكر شرعياً أو ليس كذلك.
- كما أن قولهم بالنسبية في الحق ينقض ذات قولهم بالنسبية، فإن القول بالحق النسبي هو حق نسبي، فيكون القول بالحق المطلق حق كذلك، فيبطل قولهم بأن الحقائق كلها نسبية.

وقد رد علماء أهل السُّنَّة على القائلين بنسبية الحق في معرض ردهم على السفسطائية ومن تبعهم. فقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً أن هذا القول مردود بالعقل، قبل أن يرده الشرع: «حُكي عن بعض السفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات، ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها، يوافقها الاعتقاد تارة، ويخالفها أخرى، بل جعل الحق في كل شيء، ما اعتقده

المعتقد، وجعل الحقائق تابعة للعقائد. وهذا القول على إطلاقه وعمومه، لا يقوله عاقل سليم العقل»[١].

وقال كَلَلهُ: «هذا المذهب أوله سفسطة، وآخره زندقة يعني: أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه. . . وأما كون آخره زندقة فلأنه يرفع الأمر والنهي والإيجاب، والتحريم، والوعيد في هذه الأحكام، ويبقى الإنسان إن شاء أن يوجب، وإن شاء أن يحرم، وتستوي الاعتقادات والأفعال وهذا كفر وزندقة»[٢].

وورد في «تلبيس إبليس» رد على أمثال أولئك، وفيه أنه: «قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً، ويجده غيره حلواً. قالوا: وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد حدوثه، واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً. وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم: أقولكم صحيح؟ فسيقولون: هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا. قلنا: دعواكم صحة قولكم مردودة، وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم!

ومن شهد على قوله بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه»[٣].

كما رد ابن حزم هذا القول المنحرف في كتابه «الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل» قائلاً: «ويقال ـ وبالله التوفيق ـ لمن قال: هي حق عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل: إن الشيء لا يكون باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل، وإنما يكون الشيء حقاً بكونه موجوداً ثابتاً، سواء اعتُقد أنه حق، أو اعتُقِد أنه باطل. ولو كان غير هذا لكان معدوماً موجوداً في حال واحد في ذاته، وهذا عين المحال. وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هي عنده حق، فمن جملة تلك الأشياء التي تُعتَقد أنها حق

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٩/ ١٣٥.
(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٩/ ١٤٤.
(٣) تلبيس إبليس: ابن الجوزي ص٣٩ ـ ٤٠.

عند من يعتقد أن الأشياء حق بطلانُ قولِ من قال إن الحقائق باطلة، وهم قد أقروا أن الأشياء حق عند من هي عنده حق. وبطلان قولهم من جملة تلك الأشياء، فقد أقروا بأن بطلان قولهم حق!! مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل ألبتة، إذ حسُّه يشهد بخلافها. وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المُتَنَطِّعين على سبيل الشغب. وبالله تعالى التوفيق»[١].

أما القول بذاتية الأخلاق والقيم، فباطل من وجوه متعددة، كذلك:

- أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بامتداح بعض الأعمال وتحسينها، وذم غيرها وتقبيحها، والقول بالنسبية في القيم رد لتحسين الشرع وتقبيحه.
- أن إرجاع القيم والفضائل ـ بتمامها ـ إلى آراء الناس وأهوائهم يقضي على المنظومة الأخلاقية في المجتمعات البشرية، ويدمر الأواصر الاجتماعية[٢]. فكل فرد من المجتمع يتصرف بناء على مصلحته الفردية من دون نظرة شمولية إلى المجتمع ككل تنظم الحقوق والواجبات على حد سواء. فتصبح الفضيلة مرادفاً للمصلحة، لا سيما في المجتمعات المادية المعاصرة.
- أنه لا يبقى مع القول بذاتية القيم أي معيار للأخلاق، وينعدم التفاضل الأخلاقي، مما يقود المجتمعات إلى انحدار أخلاقي مع غياب المحفز المعنوي الذي يصاحب الالتزام بالقيم الحميدة والفضائل في العادة[٣].
- أن إرجاع المعرفة للمشاعر والأحاسيس «يقضي على الحد الفاصل بين الحق والباطل، ويجعل التمييز بينهما بلا معنى على الإطلاق»[٤]. وهو ما يقودنا إلى مسألة مهمة، يحسن تناولها في هذا السياق:

مسألة: إرجاع المعرفة للشعور والإحساس.

ربما احتج بعض القائلين بنسبية الحقائق والقيم بأن النفس البشرية مصدر صحيح لتحصيل تلك المعرفة، سواء جعلوا ذلك بالفطرة أو بالإلهام، مستغنين

---

(١) الفصل: ابن حزم ص١٤ ـ ١٥.

(٢) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص٥٤.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 104.

(٤) نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والموضوعية: د. الربيع ميمون ص٥٩.

بها عن المصادر الصحيحة النابعة من الوحي. فكان مما استدلوا به على انحرافهم:

- قول النبي ﷺ: «**استفت قلبك، واستفت نفسك** ـ ثلاث مرات ـ **البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**»[1]. فقالوا: أرجع الفتوى للقلب لا لأهل العلم.
- وقصة الخضر مع موسى ﷺ، حيث استغنى بعلمه الخاص عن الوحي الذي جاء به النبي.

وقد رد العلماء كلتا الشبهتين بردود لا تدع مجالاً للتردد، أو الشك.

أما الحديث فقد ضعفه بعض العلماء[2]، وعلى القول بصحته، فإنه لا يصح الاستدلال به على ما أرادوا لأمور:

«**أحدها**: أن كل ما لا نص فيه بعينه قد نصبت على حكمه دلالة، فلو كان فتوى القلب ونحوه دليلاً لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه معنى، فيكون عبثاً، وهو باطل.

والثاني: أن الله تعالى قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. فأمر المتنازعين بالرجوع إلى الله والرسول دون حديث النفوس، وفتيا القلوب.

والثالث: أن الله تعالى قال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فأمرهم بمسألة أهل الذكر ليخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه من أمر محمد ﷺ ولم يأمرهم أن يستفتوا في ذلك أنفسهم.

والرابع: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ احتجاجاً على من أنكر وحدانيته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ [الغاشية: ١٧] إلى آخرها. فأمرهم بالاعتبار بعبرته، والاستدلال بأدلته على صحة ما جاءهم به، ولم يأمرهم أن يستفتوا فيه نفوسهم، ويصدروا عما اطمأنت إليه قلوبهم، وقد وضع الأعلام والأدلة، فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة أن يستدل بأدلته على ما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٩/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ برقم (١٨٠٠٦)، وقال الألباني: حسن لغيره «صحيح الترغيب والترهيب» ٢/ ١٥١ برقم (١٧٣٤).

(٢) انظر: تحقيق المسند لشعيب الأرنؤوط ٢٩/ ٥٣٣.

دلت، دون فتوى النفوس، وسكون القلوب من أهل الجهل بأحكام الله»[(١)]

فالحديث ليس معناه أن المرء يعرض ما جاء عن النبي ﷺ من الأخبار الغيبية على قلبه، فما وافق قلبه منها قبله، وما لم يوافقه لم يقبله، وإنما معناه التورع عن الشبهات، وترك ما حاك في النفس[(٢)]، وهو «منه ﷺ إحالةٌ للمتورّع على غلبات الظنون»[(٣)]، ولا دليل فيه البتة على اعتبار الإلهام: لأنه لم يقل أحد ممن يعتد بقوله إن المفتي الذي تُتلقى الأحكام الشرعية من قبله هو القلب، بل في الحديث: التحذير من الشبهات؛ لأن الحرام بيِّن، والحلال بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة لا يعلمها كل الناس. فإن قلب المؤمن لا يطمئن لما فيه الشبهة، والحديث أشبه بقوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[(٤)(٥)]. وقد أورده أكثر العلماء في معرض الحديث عن التورع عن الشبهات[(٦)]. فليس الحديث «تفسيراً للبر والإثم بالمعنى الشرعي ولا اللغوي، وإنما هو بيان لما يطلبه السائل من الفرقان بين ما يشتبه من البر والإثم؛ فيشك الإنسان هل هو منهما أم لا، فأحاله ﷺ في ذلك على ضميره ووجدانه، وأرشده إلى الأخذ بالاحتياط الذي تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وإن خالف فتوى المفتين الذين يراعون الظواهر دون دقائق الاحتياط الخفية، وكان ﷺ يجيب كل سائل بحسب حالته»[(٧)].

قال **ابن القيم**: «لا يجوز العمل بمجرد فتوى المفتي إذا لم تطمئن نفسه، وحاك في صدره من قبوله، وتردد فيها؛ لقوله ﷺ: «**استفت نفسك وإن أفتاك**

---

(١) الاعتصام: الشاطبي ص٦٦١.
(٢) انظر: إتحاف الجماعة: حمود التويجري ٣/ ١٣.
(٣) نهاية المطلب: أبو المعالي الجويني ١٥/ ٣٢٠.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٦٨، أبواب: صفة الجنة والرقائق والورع، برقم (٢٥١٨) وقال: حديث صحيح، والنسائي في سننه ٨/ ٣٢٧، كتاب: الأشربة، باب: الحث على ترك الشبهات، برقم (٥٧١١)، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٢/ ٨٥٤ برقم (٢٧٧٣).
(٥) انظر: أضواء البيان: الشنقيطي ٣/ ٣٢٦، والجموع البهية للعقيدة السلفية: المنياوي ٢/ ٥٠٨.
(٦) انظر مثلاً: صيد الخاطر: ابن الجوزي ص١٦٢، رياض الصالحين: النووي ص٢٠٨.
(٧) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ٦/ ١٠٧.

الناس وأفتوك»، فيجب عليه أن يستفتي نفسه أولاً، ولا تخلصه فتوى المفتي من الله إذا كان يعلم أن الأمر في الباطن بخلاف ما أفتاه، كما لا ينفعه قضاء القاضي له بذلك، كما قال النبي ﷺ: «**من قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من نار**»، والمفتي والقاضي في هذا سواء، ولا يظن المستفتي أن مجرد فتوى الفقيه تبيح له ما سأل عنه إذا كان يعلم أن الأمر بخلافه في الباطن، سواء تردد أو حاك في صدره، لعلمه بالحال في الباطن، أو لشكه فيه، أو لجهله به، أو لعلمه جهل المفتي أو محاباته في فتواه، أو عدم تقييده بالكتاب والسُّنَّة، أو لأنه معروف بالفتوى بالحيل والرخص المخالفة للسُّنَّة، وغير ذلك من الأسباب المانعة من الثقة بفتواه وسكون النفس إليها؛ فإن كان عدم الثقة والطمأنينة لأجل المفتي يسأل ثانياً وثالثاً حتى تحصل له الطمأنينة؛ فإن لم يجد فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والواجب تقوى الله بحسب الاستطاعة»[1].

وقال الإمام **الشنقيطي** مؤكداً هذا المعنى: «ولا شك أن المراد بهذا الحديث ـ ونحوه ـ الحث على الورع وترك الشبهات.. وأن ترك الحرام والاستبراء للدين والعرض لا يتحقق إلا بتجنب الجميع؛ لأن ما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب، فهذا يحيك في النفس ولا تنشرح له، لاحتمال الوقوع في الحرام فيه كما ترى، وكل ذلك مستند لنصوص الشرع لا للإلهام»[2]. ومما يدل على ذلك قول بعض الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح: «مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسُّنَّة»[3].

ثم إنه ليس كل قلب يُستفتى، وإنما «القلوب الصافية المنورة بذكر الله، الزاهدة فيما سوى الله، فإنها إذا كانت بهذه الصفة لا يتجلى فيها إلا الحق، ولا تسكن إلا إلى الحق، بخلاف القلوب المخوضة بحب الدنيا والهوى، فلا تفتي إلا بما يوافق هواها»[4].

قال **القرطبي**: «وقد جاء فيما ينقلون: «استفت قلبك وإن أفتاك

---

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم ٤/ ١٩٥.
(٢) أضواء البيان.
(٣) انظر: أضواء البيان: الشنقيطي ٣/ ٣٢٦.
(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة ٣/ ٢٦٣.

المفتون»[١]، ويستدلون على هذا بالخضر، وأنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، فإنه يلزم منه هد الأحكام، وإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ»[٢].

وأما استدلالهم بقصة الخضر عليه السلام فإن الراجح أنه نبي، قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] يقتضي أن الخضر نبي»[٣]. الجمهور على ثبوت نبوته، وأنه كان يوحى إليه، وقيل: هو عبد صالح، وليس بنبي[٤]، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا يمكن أن تكون إلا بوحي الله[٥].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وهو جمع واختصار من أكثر من رواية:
- «**استفت قلبك، واستفت نفسك، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**» سبق تخريجه.
- «**البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون**» أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٩/٣٧٨ ـ ٣٧٩ برقم (١٧٧٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٥٧٧ برقم (٢٨٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٧/٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١١/٣٩.

(٤) وفي حال القول بعدم نبوته، فقد يقال: إن علمه ليس خارجاً عن ما يمكن معرفته، أو يقال: إنها من قبيل الكرامات «ويقول قائل هذا القول: إنه ليس في قصة الخضر شيء من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس، وإنما فيها علمه بأسباب لم يكن علم بها موسى». درء التعارض: ابن تيمية ٨/٤٢٩.
وانظر: الفرقان: ابن تيمية ص١٤٠ ـ ١٤١، وجامع المسائل: ابن تيمية ٤/٦٧.

(٥) انظر: المحرر: ابن عطية ٣/٥٢٩، وروح البيان: إسماعيل حقي ٥/٢٨١، والبحر المحيط: أبو حيان ٧/٢٠٤، والتحرير والتنوير: ابن عاشور ١٦/١٦.

الباب الثالث

أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثارها في الواقع

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية.

الفصل الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث.

الفصل الثالث: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم.

الفصل الرابع: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه.

توطئة

شكلت التيارات الباطنية خطراً على العالم الإسلامي منذ بداية القرن الثاني للهجرة[1]، وهي لا تزال تهدد جناب التوحيد حتى اليوم، إلا أن أساليبها تتغير، وتتلون وتتبدل بحسب الظروف والأحوال. ولعل تهديد الفكر الباطني ـ للعالم أجمع ـ في العصر الحديث أكثر خطورة من ذي قبل، إذ طرق بفلسفته أبواباً متعددة، وسلك في نشر مبادئه مجالات مختلفة، فكان من أبرز من يمثله في الزمن الحاضر حركة «العصر الجديد».

لقد كان لحركة «العصر الجديد» انتشار واسع في العالم الغربي، وتبنت بعض أفكارها جهات رسمية وغير رسمية منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، وأصبح يُروج لمبادئها علناً، حتى تنبهت الكنيسة ورجال الدين إلى خطرها على المعتقد النصراني المحرف، فأخذوا يجابهونها باللسان والقلم، ويبذلون الجهد في تخليص رعاياهم من شراكها.

ثم إنه مع الانفتاح التقني والمعلوماتي، أصبح ما يتم تداوله في الشرق أو الغرب يفد إلى العالم الإسلامي دون سابق نذير، ويتغلغل في المجتمعات المسلمة بوسائل ظاهرة وخفية. وأفكار حركة «العصر الجديد» ليست مستثناة من ذلك.

إن فكر حركة «العصر الجديد» لما دخل إلى العالم الإسلامي ـ في السنوات القليلة الماضية ـ لم يدخل من خلال التقرير والتنظير، فإنه ـ والحال تلك ـ سيُفضح ابتداء ويكشف انحرافه فيرفض، ويُصد، ولكنه أُدخل بطرق

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية: لويس ص٩٨، والفرق بين الفرق: البغدادي ص٢٥٠، وكشف أسرار الباطنية: ابن مالك ص٣٣.

ملتوية، وأساليب برّاقة لبّست على الناس أمرهم، ودست السم في العسل. ورغم أن فكر الحركة لم يصل ـ ولله الحمد ـ إلى جميع المستويات التي توصل إليها في العالم الغربي، إلا أن وجوده أصبح حقيقة لا يمكن إنكارها، أو التغافل عنها، كما أصبح عدد المقتنعين بتطبيقات الحركة يتزايد بشكل مخيف وملحوظ، وهو ما ينذر بخطر قادم لا بد من التنبه إليه، والتصدي له.

لقد تنوعت تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثار فكرها في بلاد المسلمين، كلها تتبنى مبادئ متشابهة، وفلسفة موحدة، يختلف توظيفها باختلاف المجالات، وهي نادراً ما تشير إلى اسم الحركة أو تنسب إليها شيئاً من أفكارها، تماماً كما هو الحال في الغرب ـ أو أكثر منه قليلاً. وأنا أجزم أن عدداً كبيراً ممن يروجون لهذه التطبيقات لا يعون الخلفيات الفلسفية، ولا المخالفات العقدية ـ بل اللوازم الكفرية لما يمارسونه، ويدعون إليه، ولكنهم إنما أُتوا من قبل جهلهم، لاعتقادهم أن فيها نفعاً معنويّاً أو ماديّاً، أو لرغبتهم في الشهرة، أو المال. وهذا ليس اعتذاراً لما يتسبب فيه أمثال أولئك من إفساد للعقول والعقائد، ولكنه توضيح لبعض حالهم، وأن كثيراً منهم لو تبين له حقيقة تلك التطبيقات لرجع عنها وتبرأ منها، مما يؤكد لزوم القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر العلم، والتحذير من الانخراط في تلك الممارسات الباطنية المنحرفة.

غير أن ممن يروجون لتطبيقات حركة «العصر الجديد» في المجتمعات الإسلامية أقواماً لا تخفى عليهم حقائقها، هم على علم ودراية بالفلسفات الباطنية التي تقوم عليها، مع تواصلهم المباشر مع شخصيات شرقية وغربية تتبنى الفكر الباطني للحركة بكل صراحة، وهؤلاء لا بد من كشف حقيقة ما يدعون إليه، والأخذ على أيديهم، إبراء للذمة، ومعذرة إلى الله ﷻ.

أما أبرز التطبيقات التي تسربت عبرها أفكار حركة «العصر الجديد» إلى العالم الإسلامي فيمكن إجمالها فيما يلي، علماً أن من تلك التطبيقات ما هو من نتاج رواد الحركة، ومنه ما هو سابق لوجودها ولكنه وافق مبادئها فوظف في نشرها، والترويج لها.

فمن هذه التطبيقات:

ـ علوم الطاقة والتطبيقات المتعلقة بها، كفتح الشاكرات، وتحليل الهالات،

والفونغ شوي[١] وغيرها.

- بعض ممارسات الطب البديل القائمة على الفلسفات الباطنية، كالماكروبايوتك، والريكي، وغيرها.
- تمارين الاسترخاء والتأمل الباطني، كاليوغا الهندوسية، والتأمل التجاوزي.
- البرمجة اللغوية العصبية.
- بعض دورات تنمية الذات، كتلك التي تركز على العملاق الذي في الداخل، أو المشي على الجمر.
- الباراسيكولوجي، وما يتعلق بالخوارق، كالتحريك عن بعد، والتخاطر، والخروج من البدن، وغير ذلك.
- العقل الباطن، والتطبيقات الباطنية المتعلقة به.
- تحضير الأرواح، والتخاطب معها، والاستعانة بها.
- قانون الجذب، وكتاب السر، وما يتعلق بخلق الإنسان لواقعه.
- كما يعتبر الإعلام المرئي، كالأفلام والمسلسلات، والإعلام المقروء، كالكتب والمجلات من الوسائل التي أسهمت في نشر فكر الحركة.

إن فيما سبق من التطبيقات[٢] تلخيصاً لأبرز الوسائل التي وُظفت في نشر فكر حركة «العصر الجديد»، وهذا لا يعني حصرها فيما ذكر، ولا القول بأن جميع تلك التطبيقات لا تمارس إلا ضمن إطار الحركة، وإنما المقصود بيان أكثرها استخداماً في هذا المجال، وسيأتي تفصيلها في فصول هذا الباب بإذن الله. كما سيتم التطرق لبعض آثار حركة «العصر الجديد» في مجالات قد لا يكون لجميعها وجود ظاهر في العوالم الإسلامية، لا سيما ما كان متعلقاً بالمؤسسات الرسمية، وإنما لزم ذكرها إتماماً للفائدة، وتبياناً لمظان وقوع ذلك الأثر ليتم التصدي لأي خطر مترقب[٣].

---

(١) **الفونغ شوي**: فن صيني قديم يحدد كيفية ترتيب المساحات بطريقة تسمح للطاقة الكونية بالسريان في المكان المحدد.
انظر: Feng Shui-Geddes & Grosset: 13.

(٢) يأتي تفصيلها في فصول هذا الباب بإذن الله.

(٣) وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من الدجال، ولم يكن قد خرج فيهم، وحذرهم من أفعال لم تظهر عليهم، كما في حديث: «**صنفان من أهل النار لم أرهما**»، وغيره، ورغم أن خطاب النبي ﷺ موجه للسابقين واللاحقين على حد سواء، إلا أنه يستفاد منه تهيئة الأمة لشر محتمل الوقوع. =

لم يقتصر نشر فكر حركة «العصر الجديد» على أفراد تبنوا مبادئها الهدامة، بل قد أُنشئت من أجل ذلك عدد من المراكز التي تروج لتطبيقاتها المتنوعة، وتستقطب شخصيات معروفة للمشاركة في ذلك. ومن أبرز تلك المراكز في عالمنا العربي: مركز الراشد للتنمية البشرية.

مركز الراشد للتنمية البشرية:

أسس أول فرع لمركز الراشد عام ١٩٩٦م، ثم انتشرت فروعه حتى بلغت ـ عند كتابة هذه السطور ـ ثلاثة عشر فرعاً في العالم الإسلامي. وتتحد رسالة المركز ـ كما ينص عليه في موقعهم الرسمي ـ في «مساعدة الآخرين على إسعاد أنفسهم، وتنوير مجالات حياتهم المختلفة». ويقدم من أجل تحقيق هذه الرسالة عدداً من البرامج التي تحمل طابع حركة «العصر الجديد»، كخدمة «الأورا»، أو تصوير هالات الطاقة المحيطة بالجسم، وتحليلها[١].

كما ينص الموقع على أن «لدى الشركة مجموعة من البرامج الجماهيرية التدريبية (Big Events) ومع نخبة من الشخصيات العالمية والعربية، **والتي تعمل في نفس المجال والتخصص**»، ثم ذكرت عدة شخصيات، منها:

• **د. صلاح الراشد:** هو ناشط كويتي، ورئيس مجلس إدارة مركز الراشد. حصل على الدكتوراه في علم النفس الإدراكي، والماجستير في الدراسات الإسلامية، والبكالوريوس في علم الاجتماع والنفس. له قراءات مسجلة للقرآن الكريم في بداية عمله[٢]، ولكنه تحول إلى الغناء في السنوات الأخيرة، فسجل عدداً من الأغنيات التي تحمل رسائل فلسفية. له عدد من الإصدارات التي صنفت على أنها من أكثر الإصدارات العربية مبيعاً في مجال التنمية البشرية. كما سجل برنامجاً بعنوان: «رسالة من الكون»[٣] بُث على قناة: سمارتس واي

= أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٠، كتاب: اللباس والزينة، باب: ٣٤، برقم (٢١٢٨).

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز الراشد: www.alrashed.net.

(٢) وقد تولى إمامة أحد المساجد بالكويت فترة من الزمن، وأشرطة محاضراته تباع في التسجيلات الإسلامية، مما جعل كثيراً من الناس يتقبلون آراءه دون نظر أو تمحيص، ولعل هذا التوجه طرأ عليه لاحقاً، والله أعلم.

(٣) سيأتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل الأخير من هذا الباب بإذن الله.

(Smarts Way) المرئية، ويُذكر أنه شوهد من قبل أكثر من مليون عربي. وهو يروج ـ حالياً ـ لأفكار مشوهة عن السلام والمحبة والتنوير بقيادته لكل من (سلام إنترناشونال) و(نادي: جوي ١٢)[١]، ويسعى لتأهيل ٣٠٠ سفير عربي في السلام والمحبة والتنوير لقيادة حقيقية للعرب[٢]. ولصلاح الراشد اهتمام بمجالات متعددة يظهر في كثير منها فكر حركة «العصر الجديد»[٣].

● **د. روجر كالهان** (Roger Callahan): هو مختص في علم النفس، حاصل على الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي من جامعة ساراكوز بالولايات المتحدة، اشتهر بأنه ابتكر طريقة «العلاج بحقل التفكير» (Though Field Ø Therapy TFT)، وهي طريقة حديثة تعتمد على فلسفة الطاقة الشرقية، وتتلخص في النقر الخفيف على مواضع معينة من «مسارات الطاقة» (meridians)، وموازنة طاقة الجسم لعلاج الأمراض النفسية، والمشاكل العاطفية[٤].

● **د. مسارو إيموتو** (Masaru Emoto): هو كاتب ياباني متخصص في العلاقات الدولية، ورمز من رموز حركة «العصر الجديد»، اشتهر باهتمامه ببلورات الماء[٥]، حيث يزعم بأن لوعي الإنسان وفكره أثراً على بنية الجزئيات المائية. وأطلق على هذه العملية اسم: هادو (HADO). تتلخص تجاربه ـ غير العلمية ـ في تعريض الماء إلى كلمات مكتوبة أو صور، أو أصوات محددة، ومن ثم تجميد الماء، وتصوير البلورات المتشكلة منه، فبعضها يظهر بشكل متناسق وجميل، وبعضها يظهر بشكل مشوه غير منتظم، بحسب حسن المؤثر، أو قبحه[٦].

● **د. إبراهيم الفقي**: هو خبير مصري ومدرب عالمي في البرمجة اللغوية

---

(١) يأتي الحديث عنهما في الفصل الثالث من هذا الباب بإذنه تعالى.

(٢) تصفح صفحة صلاح الراشد على الفيس بوك: www.facebook.com/salahsalrashed.

(٣) وهو ما سيتضح في ثنايا هذا الباب بإذن الله.

(٤) انظر: Tapping the Helar Within-Roger Callahan: (3-4), and The Skeptics Dictionary-Carroll: 380. وتصفح الموقع الرسمي لروجر كالهان: www.rogercallahan.com

وقد فصلت في حقيقة الطاقة ومساراتها، وحكم التداوي المبني عليها في بحث سابق بعنوان: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: دراسة عقدية. يمكن مطالعته للاستزادة.

(٥) جزيئات الماء الصغيرة التي تظهر بعد تجميده.

(٦) انظر: The Hidden Massages of Water (Epilogue). - Masaru Emoto: (159-160)

يأتي تفصيله في الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله.

العصبية، والتنويم الإيحائي، والريكي[١]. حصل على الدكتوراه في الميتافيزيقيا من جامعة لوس أنجلس بالولايات المتحدة، ودرب أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ شخص في دوراته ومحاضراته باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية[٢]، له كثير من المؤلفات التي تتناول التنمية وتطوير الذات، تشوب عدد منها لوثات حركة «العصر الجديد»[٣].

● **د. جون غريندر** (John Grinder): هو كاتب أميركي متخصص في اللغويات، وضع أصول البرمجة اللغوية العصبية بالتعاون مع **ريتشارد باندلر** (Richard Bandler) وسيأتي التعريف بهما، والتفصيل عن البرمجة في مبحث منفرد من هذا الباب ـ بإذن الله.

● **د. ديباك شوبرا** (Deepak Chopra): وهو طبيب هندي الأصل، سبق التعريف به والتطرق لفلسفته الإلحادية في البابين السابقين.

فمن خلال استعراض هذه الأسماء، والتطبيقات التي سيتم التطرق لها في الفصول القادمة مما يروج له مركز الراشد، يتضح أن هذا المركز هو من أبرز المروجين لأفكار حركة «العصر الجديد» وممارساتها في العالم العربي والإسلامي.

أما من حيث الأفراد؛ فتعتبر مريم نور أكثرهم حماسة لفكر الحركة، ومن أوائل العرب الذين روجوا لتطبيقاتها محلياً.

ينقسم هذا الباب الثالث والأخير إلى أربعة فصول، كل فصل يتناول جانباً من تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثارها، التي هي ثمرة البحث وغايته:

الفصل الأول: أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية.

الفصل الثاني: آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث.

الفصل الثالث: آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم.

الفصل الرابع: آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه.

---

(١) يأتي التعريف به في المبحث الخامس للفصل الأول من هذا الباب بإذنه تعالى.

(٢) انظر: الطاقة البشرية والطريق إلى القمة (المقدمة): إبراهيم الفقي ص٦ ـ ٧.

(٣) وقد توفي حديثاً في ١٠ فبراير ٢٠١٢م على وجه التحديد إثر حريق اندلع في سكنه في مصر. تصفح موقعه الرسمي: www.ibrahimelfiky.com

الفصل الأول

أبرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» في العلوم النفسية والصحة الجسمية

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد: النظريات الممهدة لإقحام فكر حركة «العصر الجديد» في ما يُنسب إلى العلوم النفسية.

المبحث الأول: علم نفس «ما بعد الذات».

المبحث الثاني: التقنيات النفسية.

المبحث الثالث: علم النفس الـ ما ورائي (البارا سيكولوجي).

المبحث الرابع: البرمجة اللغوية العصبية.

المبحث الخامس: روحانية «العصر الجديد» والصحة الجسمية.

تمهيد

النظريات الممهدة لإقحام فكر حركة «العصر الجديد» في ما يُنسب إلى العلوم النفسية

لقد عُرِّف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس السلوك الإنساني في الأسوياء وغيرهم، بهدف التوصل إلى القوانين التي تحكمه[١]. وقد مر هذا العلم بثلاث مراحل كبرى:

١ ـ **المرحلة الأولى**: ارتبط فيها علم النفس بالفلسفة اليونانية، وإليها يُعزى ابتكار مفهوم «النفس» (Psyche) لوصف السلوك البشري الذي لا يتعلق بالبدن.

٢ ـ **المرحلة الثانية**: وتبدأ من منتصف القرن الثامن عشر، انفصل فيها علم النفس عن الفلسفة واللاهوت، وارتبط بدراسة وظائف الأعضاء والطب التجريبي، وقد أثار هذا الارتباط بعض الآراء المتطرفة التي رأت أن لا وجود لعلم النفس دون كونه عضوياً أو فسيولوجيّاً. وفي هذا المناخ تشكلت جبهة جديدة أسهمت آراؤها في بروز المرحلة الثالثة.

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: هي مرحلة استقلال علم النفس منهجاً وموضوعاً، بدأ فيها الباحثون يبتكرون طرقاً وأساليب جديدة في فهم النفس وعلاجها، رغم تأثر تلك الطرق بالخلفيات العلمية، والمعتقدات الفلسفية لعلماء النفس[٢].

---

(١) انظر: الإنسان وعلم النفس: د. عبد الستار إبراهيم ص٢٩، والمدخل إلى علم النفس الحديث: ركس ومرغريت تايت ص٨.

(٢) انظر: الإنسان وعلم النفس: د. عبد الستار إبراهيم ص٣١ ـ ٣٧.

لقد وجدت بعض المدارس داخل دائرة العلوم النفسية مهدت لظهور فلسفات حركة «العصر الجديد» حول طبيعة العقل البشري، وقدراته الخارقة تحت مظلة «علم النفس». ففي القرن التاسع عشر ـ والذي يعتبر عصر العلم التجريبي ـ ظهر اهتمام بعض علماء النفس بالجوانب الحدسية والغريزية لعقل الإنسان، وبفهم العلاقة التي تربط بين الفلسفات الباطنية وأعماق العقل البشري. ولكن هذا العالم المجهول بقي بلا اسم حتى جاء فرويد بالتحليل النفسي (Psychoanalysis)، وأعطى هذا الجانب الغامض من العقل اسماً، فأطلق عليه: العقل الباطن، أو الـ لا شعور، واكتسب هذا المفهوم «الشرعية» العلمية من خلال نظرياته في التحليل النفسي[(١)].

ورغم أن فرويد يُعد من أوائل الباحثين في علم النفس العُمقي الذي يتناول العلاقة بين الوعي والـ لا وعي، إلا أن نظريات تلميذه كارل يونغ ـ بأبعادها الباطنية والغنوصية ـ كانت هي الأساس الذي بَنَت عليه حركة «العصر الجديد» مزاعمها المنسوبة إلى علم النفس فيما بعد[(٢)].

إن علم النفس الحديث يقع في قنطرة بين العلم التجريبي والفلسفة، يأخذ من هذا وذاك، ولذا فإنه يكثر فيه التأثر بالخلفيات الثقافية والاعتقادية لمنظِّريه، حاله كحال سائر العلوم الإنسانية، وإن كان ليس علماً إنسانياً بحتاً، يعتمد في بعض جوانبه على التجربة والدليل. وبناء على ذلك فإنه «كلما كانت النظريات التي يقول بها علماء النفس الغربيون ناشئة عن نتائج بحوث تجريبية، فهي مقبولة من وجهة نظر إسلامية. وكلما كانت ناشئة عن نظرياتهم الفلسفية، وتصوراتهم الإلحادية عن الإنسان والكون والحياة، كانت غير مقبولة»[(٣)].

هذا، وإن نقد بعض مدارس علم النفس الحديث لا يعني إنكار الفوائد التي قدمها هذا العلم للبشرية، والتي بُنيت على أُسس علمية صحية، وإنما هو

---

(١) انظر: الإنسان وعلم النفس: عبد الستار إبراهيم: ٥٠، وعلم النفس الإكلينيكي: جوليان روتر ص١٠٥ ـ ١٠٦، والمدخل إلى علم النفس الحديث: ركس ومارغرت نايت ص٣٦٠ ـ ٣٦١، و

The Implications of New Age Thought-Irnhild Hom: 111.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Imhild Hom: 111.

(٣) مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي: ٦٨.

تنقيح وتمحيص لما فيه من شوائب اعتقادية، ربما تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة. وما أقدمه في هذا الفصل ليس نقداً منهجياً، أو فنياً للنظريات المطروحة، فهذا من شأن أهل الاختصاص، وإنما هو استعراض لأبرز المشتبهات والمخالفات العقدية التي نظَّر لها بعض علماء النفس، مما له تعلق بحركة «العصر الجديد» المعنية بهذا البحث.

وفيما يلي عرض موجز للنظريات التي مهدت لنسبة أفكار حركة «العصر الجديد» الباطنية إلى العلوم النفسية، ألحقت بها إيضاحاً مختصراً للإشكاليات المتعلقة بمفهوم «العقل الباطن» وتعلقها بالاعتقاد.

أولاً: نظريات فرويد في التحليل النفسي:

ولد سِغمُند فرويد (Sigmund Freud) عام ١٨٥٦م لأبوين يهوديين، فيما كان يُعرف بتشيكوسلوفاكيا، ثم انتقل مع أسرته إلى ڤيينا بالنمسا ودرس الطب في الجامعة هناك، حتى حصل على الدكتوراه في عام ١٨٨١م. اهتم فرويد بالدراسات المتعلقة بالجهاز العصبي ونشر عدداً من الأبحاث في الموضوع ذاته.

وأثناء ممارسته للعلاج النفسي، عرض عليه أحد زملائه ـ الذين يستخدمون التنويم الإيحائي[١] في علاج المرضى ـ قصة مريضة تحدثت أثناء التنويم عن أحداث لم تكن تذكرها في حال اليقظة، فأثار الموضوع اهتمامه، وبعدها بمدة أصبح فرويد نفسه يمارس هذا النوع من العلاج، إلى أن توصل إلى أن الأعراض المرضية والهستيرية تنشأ عن كبت الميول والرغبات، واقترح طريقة «التفريغ» في العلاج بحيث يحث المعالج المريض أثناء التنويم على تذكر الحوادث، والخبرات الماضية، والتنفيس عن العواطف والانفعالات المكبوتة. وجعل الكبت الغريزي هو السبب الرئيس للاضطرابات النفسية.

---

(١) التنويم الإيحائي (Hypnosis): هو رقاد ناقص ينجم عن الإيحاء، فيكون وعي الإنسان في حالة متغيرة بحيث تضعف بعض قدراته وتتقوى بعضها، ويكون في حالة استعداد أكبر لتلقي الرسائل المقترحة.

انظر: استكشاف أغوار الذهن: بيير راكو: ١٣، و Hypnotherapy & Hypnoanalysis- Brown & Fromm: 3.

والمقصود تقريب المعنى، وإلا فثمة جدل واسع في حقيقة التنويم بين علماء النفس.

ثم إنه عدل عن التنويم، وبدأ يحث مرضاه على التفريغ من خلال الإيحاء الذي يمارسه أثناء اليقظة، ثم تجاوز ذلك، وأصبح يشجع المرضى على الكشف عن الرغبات المكبوتة ونقلها إلى الشعور بدلاً من التفريغ، ليواجه المريض الصراع الذي فشل في حله سابقاً. وهذه الطريقة هي التي أطلق عليها: التحليل النفسي (Psychoanalytic Psychology)[١].

ترجع محتويات الـ لا وعي عند فرويد إلى «ميول طفولية مكبوتة بسبب طبيعتها غير الملائمة. والكبت سياق يبدأ في الطفولة المبكرة تحت تأثير الأخلاق السائدة في البيئة، ويظل طوال الحياة. بالتحليل، تزول المكبوتات، وتغدو الرغبات المكبوتة شعورية، وفي متناول الوعي»[٢]. فالمحرك الرئيس للسلوك البشري ـ عند فرويد ـ هو الغرائز الكامنة في الـ لا وعي، والأمراض تتولد من الكبت، والصراعات الخفية فيه[٣]، فقد قسم النفس إلى ثلاثة أقسام دائمة الصراع: شعوري، قبل شعوري، ولا شعوري، وجعل الـ لا شعور ـ أو العقل الباطن ـ مقر الذكريات والرغبات المكبوتة[٤]. كما ربط الأحلام بالـ لا شعور الشخصي، والرغبات المكبوتة، واستخدام تحليلها في العلاج النفسي[٥].

لقد كانت أفكار فرويد ثورة في العلوم النفسية الغربية، غيرت مجرى التفكير السائد، والنظرة إلى الإنسان، إلا إنه لم يحظ بتأييد في الأوساط العلمية والطبية حتى عام ١٩٠٢م، عندما التف حوله عدد من الأطباء الشباب ـ وغيرهم من أهل الأدب والفنون ـ المعجبين بنظريته الجديدة. وكان من أبرز هؤلاء: د. كارل يونغ[٦].

---

(١) انظر: الموجز في التحليل النفسي (المقدمة): فرويد ص٩ ـ ١٨.

(٢) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل بونغ ص٩٣.

(٣) انظر: الموجز في التحليل النفسي: فرويد ص٣٤، والعلاج النفسي الحديث: د. عبد الستار إبراهيم ص١٤، علم النفس الجديد: موكيالي ص١٣ ـ ١٥.

(٤) انظر: الموجز في التحليل النفسي: فرويد ٤١ ـ ٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق ص٥٤.

(٦) انظر: الموجز في التحليل النفسي (المقدمة): فرويد ص٩ ـ ١٨، ومدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص٧٤.

يتلخص دور سغمند فرويد ـ في التمهيد لفلسفة حركة «العصر الجديد» ـ في تقديمه مفهوم «العقل الباطن» إلى العلوم النفسية، فرغم وجود من سبقه في عرض أفكار مشابهة لقوله في الـ لا وعي، إلا أن الفضل في بلورة المفهوم وإدراجه في مصطلحات علم النفس يرجع ـ دون شك ـ إلى فرويد[١]. ومن خلال ممارسته للتنويم الإيحائي وتحليل الأحلام اتخذت حركة «العصر الجديد» مدخلاً لأفكارهم في الوساطة الروحية، فهي ـ وإن كانت موجودة أصلاً في التقاليد الروحانية القديمة ـ إلا أنها لم تكتسب نوعاً من الشرعية، أو القبول في الأوساط العلمية إلا بعد توظيف فرويد لها في نظرياته النفسية[٢].

ومع ما سبق، فإننا لا نجد لفرويد كثير ذكريات في أدبيات «العصر الجديد»، فالفرق بينها وبينه متأصل، ولا يربط بينهما رابط سوى اشتراكهم في أصل القول بالـ لا وعي، والعقل الباطن، وإلا فهما مختلفات ـ أيضاً ـ في تفاصيل ذلك. ثم إن سغمند فرويد كان مادياً ملَحداً، يُعظم العلم والمنطق[٣]، وهو ما لا يتوافق مع توجهات حركة «العصر الجديد» الروحانية، ولا يشبع رغبات الحركة من هذا الوجه، كما أنه يؤكد الطابع الشخصي للنفس البشرية[٤]، مما يتناقض مع نظرة الحركة المطلقة للنفس، والتي تقوم على الاعتقاد بوحدة الوجود. أما كارل يونغ فقد اتفقت جوانب كثيرة من أفكاره مع فلسفات حركة «العصر الجديد»، حيث كانت تحتمل تفسيرات باطنية تتوافق مع مبادئ الحركة، ولذلك كانت أفكار يونغ مطية يركبها هؤلاء ليضفوا على الفكر الباطني طابعاً علمياً مزيفاً.

ثانياً: نظريات يونغ في علم النفس التحليلي:

ولد كارل غوستاف يونغ (Carl Gustav Jung) في عام ١٨٧٥م بسويسرا، ودرس فيها الطب، حتى عُيِّن طبيباً في مستشفى الأمراض العقلية هناك عام ١٩٠٠م. التقى بفرويد عام ١٩٠٧م، وأثمر اللقاء صداقة استمرت عدة سنوات،

(١) انظر: علم النفس الجديد: موكيالي ص١٦.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thougth-Irmhild Hom: 113.

(٣) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص٨٢.

(٤) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٧٨.

لكنها اضمحلت مع انتقادات يونغ لنظريات التحليل النفسي، إلى أن انتهت تماماً في عام ١٩١٣م.

لقد قام **يونغ** بإرساء قواعد الطب النفسي التحليلي الجديد، وسعى لإثبات ما ذهب إليه **فرويد** نظرياً بطرق تجريبية، حتى استقل عنه بمدرسة خاصة عرفت لاحقاً بعلم النفس التحليلي (Analytical Psychology) تمييزاً لها عن مدرسة فرويد المعروفة بمدرسة التحليل النفسي (Psychoanalytic School)[(١)].

ثم إن كارل يونغ ترك الممارسة الطبية، وانشغل في البحث في الـ لا وعي، أو الخافية[(٢)] (Unconscious)، مما أسهم في ابتعاده عن تخصصه، وانتقاله منه إلى دراسة سلوكيات وطبائع الأقوام البدائية، فتنقل بين القبائل الإفريقية، والهندية، والمكسيكية، والهنود الحمر، وغيرهم. كما توثقت صلته بالثقافة الشرقية، وفلسفتها، وبالأساطير الدينية بشكل عام، فقد كان واسع الاطلاع متبحراً في الميثولوجيا، وعلم مقارنة الأديان، ملماً بثقافات كثير من بلدان العالم. مات يونغ في ٦ حزيران ١٩٦١م[(٣)].

لقد كان لاهتمام يونغ بالعلوم الباطنية الاستسرارية، والـ ما ورائيات أثراً كبيراً في نظرياته النفسية، مما جعل فكره مرتعاً خصباً يستمد منه أتباع حركة «العصر الجديد» الدلائل على نظرتهم للإنسان والكون، وفيما يلي استعراض لأبرز سمات فكر كارل يونغ ومبادئه المتعلقة بعلم النفس، والتي وظفت في تأييد فلسفة الحركة:

ـ لقد تبنى يونغ فلسفة فرويد في الـ لا وعي، بل جعله أساساً لفكره، إلا أن فرويد كان يرى خصوصية العقل الباطن، بمعنى أن ما يحويه الـ لا شعور من ذكريات، أو معلومات، فهي متعلقة بالفرد ذاته، قد انطبعت في مراحل متنوعة من حياته، بينما جعل يونغ للعقل ثلاثة مستويات: الوعي، والـ لا وعي

---

(١) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: د. محمد نجاتي ص٦٨، والعقل الباطن: موسى سلامة ص٨.

(٢) تستخدم هذه الكلمة في كثير من ترجمات مؤلفات كارل يونغ.

(٣) انظر: علم النفس التحليلي (المقدمة) كارل يونغ ص١٥ ـ ١٩، وThe Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25614.

الشخصي، والـ لا وعي الكلي أو الجمعي، فالـ لا وعي الشخصي يحوي: الذكريات المكبوتة، والانطباعات غير المدركة. بينما الـ لا وعي الجمعي: يُمنح للإنسان مع ولادته، فلا تعلق له بحياته، بل هو حصيلة الخبرات الروحانية للبشرية جمعاء[(١)]. يقول يونغ موضحاً حقيقة الـ لا وعي الجمعي عنده: «تحتوي الخافية الجامعة[(٢)] على جماع الميراث الروحي للتطور البشري، الذي يولد من جديد في البنية العقلية لكل إنسان»[(٣)]، ويقول: «إن ما يتحرك فينا هو تلك القاع الموغلة في البعد؛ أعني تلك النماذج من العقل البشري التي لا سبيل إلى تذكرها؛ لم نكتسبها، بل ورثناها من عصور الماضي السحيق»[(٤)].

فالمعلومات والذكريات التي في هذا المستوى من العقل ليست خاصة بالفرد بل هي مستقاة من معارف وخبرات غيره من البشر عبر الأزمنة[(٥)].

إن القول بوجود لا وعي جماعي داخل عقل الإنسان ـ الذي يسلبه صفة الفردية والاستقلال، ويجعل له نوع اتصال بغيره ـ شجع الممارسات الغنوصية عند حركة «العصر الجديد»، حيث يسعى أتباعها للتواصل مع العقل الكلي، والإفادة من العلوم المودعة فيه مباشرة.

ـ لما كان كارل يونغ مطلعاً متمكناً من الديانات الشرقية، لا سيما الهندوسية والطاوية والبوذية، ظهر ذلك في فكره ونظرته لعلم النفس البشرية، فقد كان يوازي ويقارن بين الفلسفات الشرقية والعلوم النفسية، وكثيراً ما كان يقدم «حكمتها» على نظريات الفكر الغربي[(٦)]. ومن المبادئ الأساسية في فلسفة يونغ:

---

(١) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٤٦ ـ ٤٧.
(٢) الخافية الجامعة هي الـ لا وعي الجمعي، فالاختلاف راجع إلى تنوع الترجمات.
(٣) البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٥٨.
(٤) المرجع السابق ص٤٧.
(٥) وهنا لا يمكن أن يقال الـ لا وعي الجمعي على مفهوم «الفطرة» في الإسلام، ولا على ما ورد من أخذ الميثاق من بني آدم، لسببين: الأول أن تلك «الذاكرة» ـ إن صح التعبير ـ هي خاصة بالفرد، وليست من خبرات غيره، والثاني: أنه قد ورد النص بإنكار العلم السابق للولادة، وأنه إنما يُكتسب بعدها. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨].
(٦) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ: ١٠٤، والبنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ: ٤٣، و Jung and the New Age-David Tacey: 42.

المتناقضات المتكاملة، وهو مبدأ مبرز في الفلسفة الشرقية، يُعبَّر عنه بالـ ين يانغ (Yin Yang)، فهو يرى أن هذه المتناقضات المتلازمة متداخلة في عقل الإنسان، والهدف هو تحقيق انسجامها وتوحيدها[١]. وفي المقابل، فإنه يحاول إعطاء بعض الفلسفات الشرقية ـ كالطاو مثلاً ـ تفسيرات نفسية[٢]، ويحلل النفس، ويفسر الأحلام بناء على تأويلات الرموز الباطنية[٣]. فهذا الخلط الظاهر بين العلم والخرافة ـ خاصة ما له تعلق بالفلسفة الشرقية ـ هو من أبرز الأساليب التي تستخدمها حركة «العصر الجديد» في نشر أفكارها، وقد وجدت لها سابقاً ومستنداً في فكر يونغ.

ـ فسر كارل يونغ ما يعرف بالفناء، أو النشوة في الممارسات الدينية الباطنية بأنه نوع من الوصول إلى أجزاء مجهولة من العقل، وجعلها ممارسات طبيعية، بل غاية مقصودة في علم النفس[٤]. يقول يونغ: «عن طريق فهمنا للخافية نحرر أنفسنا من سلطانها. إن هذا هو الغرض من التعاليم التي اشتمل عليها النص الصيني»، ثم يصف الفناء الشرقي المذكور في النصوص الصينية بقوله: «هذا الوصف للإتمام[٥] يصور حالة نفسية، ربما كان خير وصف لها هو انفصال الواعية عن العالم، وانسحابها منه إلى نقطة فوق هذا العالم، إن صح التعبير»[٦]. وقد كان هذا مدخلاً واسعاً للممارسات الروحانية الشرقية التي تروج لها حركة «العصر الجديد» على أنها ممارسات علمية، لا تعلق لها بمعتقد، ولا دين.

ـ إن من الأهداف التي ينشدها يونغ من خلال نظرياته في علم النفس نقل العقل الباطن إلى الوعي وتوحيدهما، ليعود إلى طبيعته الحقيقية، ويتحرر من الأنماط الاجتماعية. ويظهر التشابه بين نظرته وبين فلسفة حركة «العصر الجديد»

---

(١) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص١٢٠.

(٢) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص١١٥ ـ ١١٧، و New Age Encyclopedia-Whitworth: 45.

(٣) انظر: القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص١١٨.

(٤) انظر: The Implication of New Age Thought-Irmhild Hom: 118.

(٥) الفناء أو النشوة.

(٦) القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص١٣٩.

في قوله: «لقد كان الانفصال عن وحدة الوعي الإلٰهية عملاً عدائياً لإزالة الانصهار مع الكل»[١].

- يرى يونغ - كحركة «العصر الجديد» - بأن معاناة البشرية تعود إلى فقدانها الصلة بروحانيتها، ويوافق الحركة في أن التدين فشل في إشباع تلك الميول. ولكن خلافاً لفرويد فإن المنطق والعلم لا تشكل البديل عن الدين عند يونغ، بل البديل - في رأيه - هو الانغماس في العقل الباطن، والتواصل مع الروح[٢]. أما الدين فليس سوى وسيلة للتصالح مع الخافية، يختلف بحسب حاجاتها[٣]، وفي كتاباته إشارات إلى أنه يرى نسبية الحقائق[٤].

- يشير يونغ في بعض مؤلفاته إلى أن «الإلٰه» ليس حقيقة خارجية، وإنما هو تجربة نفسية نسبية، فالإلٰه هو حقيقة عقلية للتجربة المباشرة[٥]. ويرى يونغ أن مصطلح «الإلٰه» قد ارتبط بمفاهيم محددة، ويجعله - كحركة «العصر الجديد» - تجربة في الـ لا وعي، وقد يكون المرادف «للإله» في فلسفته هو: العقل الباطن، أو الـ لا شعور[٦]. يقول في كتابه «القوى الروحية وعلم النفس»: «إن من يظنون أن الله يُنتقص منه لو أننا فهمناه شيئاً يتحرك في النفس، مثلما هو قوة محركة لها؛ أي: لو فهمناه (عقدة مستقلة)، إن هؤلاء أنفسهم قد يخضعون لعواطف لا ضابط لها»[٧]. فالعلم و«الإلٰه» كلاهما في داخل الإنسان، ويوجد من أقواله ما فيه إشارة إلى تأليه النفس البشرية.

- لا يرى كارل يونغ حرجاً في الاستعانة بالطرق الباطنية والغنوصية للتوصل إلى العقل الباطن، والتعامل معه[٨].

---

(١) Civilization in Transition-Carl Jung: 140.

(٢) انظر: Makers of Psychology: - Harvey Mindess: 86, and The Implications of New Age Though-Irmhild Hom: 116.

(٣) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٥٨ - ٥٩.

(٤) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٢٤.

(٥) انظر: The Implications of New Age Thougth-Irmhild Hom: 117.

(٦) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٥٣ - ٥٤.

(٧) القوى الروحية وعلم النفس: كارل يونغ ص١٤٧.

(٨) انظر: Civilization in Transition-Carl Jung: (83-86).

ـ لم يكن يونغ يستنكر كثيراً من الممارسات الروحية؛ كالتنجيم، وتحضير الأرواح، وغيرها ـ بل ويراها نافعة، كما كان يربط بين الخافية الجامعة وبين التنجيم[١]، وهذه الممارسات منتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد».

ـ يرى يونغ أن الخافية تمكن الإنسان من أمور خارقة للعادة[٢]، وقد بنت حركة «العصر الجديد» على هذا الاعتقاد كثيراً من تطبيقاتها المعاصرة.

وبسبب ما سبق إيراده، فإن أتباع حركة «العصر الجديد» يكثرون من الاحتجاج بأقوال كارل يونغ[٣]، غير أن نظريات يونغ ذاته ـ دون إضافات حركة «العصر الجديد» وتفسيراتها ـ غير مقبولة أصلاً عند كثير من علماء النفس.

ثالثاً: إشكالية العقل الباطن:

العقل الباطن هو العقل الـ لا واعي، أو الـ لا شعور، لا يخضع لإرادة الإنسان، ولا سيطرته المباشرة، ويرى بعضهم أنه مصدر الأخلاق، والميول، والأمزجة، وأنه مصدر الأمراض النفسية كذلك. وقد سبق أن أول من عمد إلى دراسة هذا العقل هو فرويد، وأن يونغ ـ الذي يعد أبرز تلاميذه ـ شارك معلمه الاهتمام بالعقل الباطن مع مخالفته له في بعض المسائل[٤].

إن مصطلح «العقل الباطن» مصطلح حمَّال أوجه، يمكن تشبيهه بالألفاظ المجملة التي لم يرد الشرع بنفيها، ولا إثباتها، فهو يحتمل معنى حقاً، ويحتمل معنى باطلاً، والحكم عليه فرع عن تصوره المقصود به. ولذلك فإنه إذا طُرح تساؤل عن حقيقة العقل الباطن، أو عن حكم الاعتقاد بوجوده، لا يمكن أن يقتصر الجواب على النفي أو الإثبات، دون التفصيل في الماهية التي ينبني عليها ذلك الحكم، وإرجاعه إلى خلفيته العلمية التجريبية، أو الفلسفية العقدية، مع التنبه إلى أن من يتحدث عن العقل الباطن بمعناه الفلسفي كثيراً ما يتستر تحت المصطلحات العلمية، والألفاظ الموهمة.

---

(١) انظر: البنية النفسية عند الإنسان: كارل يونغ ص٥١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٠٨.

(٣) انظر: Jung and the New Age-David Tacey: 22, New Age Encyclopedia-Whitworth: 133, and The New Age Movement-Paul Young: (22-23).

(٤) انظر: العقل الباطن: موسى سلامة ص٧.

يتحدث بعض علماء النفس أو الأطباء النفسيون عن العقل الباطن، أو الـ لا وعي ويقصدون به الجانب من العقل البشري الذي يعتبر محلاً لتخزين العواطف، والمعلومات، والذكريات مما يكتسبه الإنسان نفسه خلال مراحل مختلفة من حياته، ولكنها لا تمكث في العقل الواعي لأسباب متنوعة، منها: عدم الحاجة إليها، أو شدة إيلامها، أو غير ذلك من الأسباب. لكنها تبقى كنوع من الانطباعات في الـ لا وعي، وقد تؤثر على عقله الواعي دون أن يدرك الإنسان الدوافع الخفية لمشاعره، وأفعاله[١].

فالمقصود: أن العقل الباطن إذا انطبع فيه أمر ما فإنه إنما يغير شعور صاحبه أو نظرته أو سلوكه، وليس له أثر ـ أياً كان ـ على الحقيقة الخارجية إلا من خلال الفعل أو السلوك. فإذا اعتقد إنسان أن فلاناً لا يحبه، فإن ذلك لا يحيل الظن إلى حقيقة، وإنما قد يراه الظان كذلك، أو قد يتحقق المظنون بسبب فعل الظان وتصرفاته، لا بسبب ما انطبع في عقله الباطن.

هذا ما يقوله بعض علماء النفس بناء على التجربة والاستقراء، وقد يؤيده الواقع، ولكنه افتراض يرجع القول بثبوته أو عدمه، وبوسائل الانتفاع به في العلاج النفسي وتصحيح السلوك ـ إلى أهل الخبرة والاختصاص، فلا تعلق به بالاعتقاد، ولا يظهر منه ما قد يخل به. ولكن يبقى القول بضرورة الاعتدال في تنزيله، فلا يعظم حتى يقدم على العقل الواعي الذي كُرِّم الله ﷻ به الإنسان، والذي هو مناط التكليف. وأن لا تعلق به شيء من العبادات أو تفسر به لئلا يقع المرء في البدع والابتداع[٢].

أما العقل الباطن بمعناه الفلسفي، ذو الأبعاد الباطنية، فهو المقصود في

---

(١) انظر: العقل الباطن: موسى سلامة ص٩١، و The Discovery of the Unconscious-Ellenberger: 47, and Conscious and Unconscious-Michael Jacobs: (72-73).

فمثلاً: عندما يحصل لأحدهم حدث سار وهو يشتم رائحة عطر محدد، ترتبط الرائحة بالحدث المفرح، وينطبع ذلك الارتباط في الـ لا شعور، فإذا شم الإنسان الرائحة نفسها انتابه شعور بالفرح، أو الحنين الذي قد لا يعلم مصدره، أو عندما يُخبر أحدهم بأن فلاناً لا يحبه أو يريد به سوءاً، فإن لا يلبث أن يرى ذلك الشخص حتى يفسر أفعاله بناء على الخلفية التي انطبعت في عقله الـ لا واعي، رغم أن الخطاب الأول كان للعقل الواعي.

(٢) وفي المسألة مزيد تفصيل لا يحتمل المقام الإطالة فيه.

ممارسات حركة «العصر الجديد»، وهو الذي يحرم الاعتقاد به، أو الاعتماد على فكرته في تنمية الذات، أو مداواة النفس. ولبيان المفهوم الفلسفي للعقل الباطن سأستعرض بإيجاز بعض ما جاء في أكثر الكتب التي تناولت هذا الموضوع شهرة، وأكثرهم مبيعاً في العالم، وهو كتاب: «قوة عقلك الباطن» لـ د. جوزيف ميرفي (Joseph Murphy)[(١)]:

يتساءل ميرفي في بداية الكتاب: «لماذا يوجد إنسان سعيد وآخر حزين؟ ولماذا يوجد إنسان فرح وثري، وآخر بائس فقير؟...»[(٢)]، ليصل إلى الإجابة التي تتناسب مع عنوان الكتاب، فيرجع السبب إلى عقل الإنسان الباطن.

ثم يتحدث عن أهمية الدعاء والصلاة بكلمات توهم القارئ بأن المؤلف يريد المفهوم الديني للدعاء، ويقول: «سألني الكثير من الناس في أنحاء العالم آلاف المرات: لماذا أتضرع وأدعو كثيراً، ولا يستجاب لي؟»، فلم تكن الإجابة كما قال النبي ﷺ: **«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»**[(٣)]، مرجعاً ذلك إلى محض إرادة الله وحكمته، وإنما أرجع الحرمان إلى عدم استجابة العقل الباطن! فالدعاء عنده ليس عبادة، بل إن اعتقاد المرء، وإلى من يوجه الدعاء ليس من المهم، إذ المقصود هو إرسال رسائل إيجابية إلى عقل الإنسان الباطن، فيقول: «ليس ما أعتقد فيه هو ذلك الشيء الذي يتحقق نتيجة لتضرع الإنسان وصلاته. فالاستجابة للتضرع والصلاة تنتج عندما يستجيب العقل الباطن للصورة الذهنية، أو الفكر في العقل الواعي للإنسان. وهذا الاعتقاد يتحقق في جميع الأديان في العالم، وهو

---

(١) جوزيف ميرفي: كاتب أيرلندي ولد في أيرلندا عام ١٨٩٨م، ودرس فيها الكهنوت. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة، وانضم إلى كنيسة العلم اللاهوتي التابعة لحركة «الفكر الجديد» فكان يلقي فيها المحاضرات كل يوم أحد. يعتبر من كبار رموز حركة القدرات البشرية الكامنة. له عدد من المؤلفات أشهرها كتاب: قوة عقلك الباطن الذي بيع منه ملايين النسخ وترجم إلى ١٧ لغة. توفي عام ١٩٨١م.
تصفح الموقع الرسمي لجوزيف ميرفي: www.dr-joseph-murphy.com.Bio

(٢) قوة عقلك الباطن: جوزيف ميرفي: المقدمة (غير مرقمة).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨/٢١٣ ـ ٢١٤ برقم (١١١٢٣).

السبب في أن كل الأديان صادقة، وحقيقة تتقبلها النفس، فالمسيحية، والإسلام، واليهودية تستجيب للصلوات، ليس من أجل عقيدة معينة أو دين أو نسب أو طقوس أو شعائر أو أدعية أو قرابين. وإنما الاستجابة فقط سبب إيمان أو قبول العقل لما يُصلُّون من أجله، فقانون الحياة هو قانون الاعتقاد، والاعتقاد يمكن إيجازه بأنه الفكر الذي في عقل الإنسان»[(١)].

ونجده يحتج بقول رالف إمرسون الملقب بجد حركة «العصر الجديد: (كل الرجال لهم طريقة واحدة في التفكير) ويقول «هذا هو القول المأثور للكاتب والفيلسوف الأمريكي رالف والدو إمرسون، إن القوى المعجزة الفاعلة لعقلك الباطن موجودة قبل مولدك ومولدي، وقبل وجود العالم، وتاريخ الحقائق الأبدية العظيمة، ومبادئ الحياة تسبق جميع الأديان»[(٢)]. مقرراً اعتقاد حركة «العصر الجديد» في أسبقية وجود الفكر أو «الوعي» على الوجود المادي.

إن العقل الباطن ـ بمفهومه الفلسفي ـ هو الخالق المبدع من دون الله، فما يريده الإنسان يوصله لعقله الباطن، وهو بدوره يحول تلك الأفكار إلى واقع. يقول جوزيف ميرفي: «وكل ما عليك أن تفعله هو أن تلتحم عاطفياً وذهنياً مع الخير الذي تتمنى تجسيده، وتبعاً لذلك سوف تستجيب القوى المبدعة لعقلك الباطن»[(٣)].

والعقل الباطن ـ في اعتقاد المؤلف ـ هو مصدر العلم الذي لا حد له، والقوة التي لا تُغلب، كما في قوله: «تكمن في أعماق عقلك الباطن حكمة لا حدود لها وقوة مطلقة، وإمداد لا نهائي لكل ما هو ضروري، والتي تنتظر من يخرجها من مكمنها»[(٤)].

و لئلا يقال إن العقل الباطن مجرد سبب، يؤكد د. جوزيف أنه قانون لا يتخلف أبداً: «لا يجب عليك أن تعتقد أن قواعد الكيمياء والفيزياء والرياضيات تختلف عن قواعد ومبادئ عقلك الباطن»[(٥)]، فكما الماء يتمدد بالبرودة في جميع

(١) قوة عقلك الباطن: جوزيف ميرفي: المقدمة (غير مرقمة).
(٢) المرجع السابق: المقدمة (غير مرقمة).
(٣) المرجع السابق: المقدمة (غير مرقمة).
(٤) المرجع السابق ص٣.
(٥) المرجع السابق ص٥.

أنحاء العالم، كذلك العقل الباطن يجسد الرغبات في أرض الواقع!

ثم إن العقل الباطن بيده مفاتيح عافيتك، وهو القادر على شفاء مرضك، وفي هذا يقول: «عقلك الباطن هو المسؤول عن أجهزة جسمك، ويستطيع أن يشفيك»[1]. بل يتعدى الشفاء إلى فعل الخوارق والمعجزات: «تستطيع أن تكتشف قدرة عقلك الباطن على صنع المعجزات، من خلال إبلاغه بوضوح قبل توجهك للنوم أنك ترغب في إنجاز شيء محدد»[2]، وستجده قد تحقق في الصباح!

وتأكيداً على الترابط بين الفلسفات الباطنية المتنوعة، يستدل ميرفي بالقانون الهرمسي: «مثل ما في السماء (عقلك الخاص بك) فإن على الأرض (جسدك وبيئتك)، وهذا هو قانون الحياة»[3].

وهو يقلل من شأن الحق المطلق، ويشير إلى نسبية الحقائق بقوله: «سواء كان الشيء الذي تؤمن به حقيقياً، أو غير ذلك، فإنك ستحصل على النتائج، فإن عقلك الباطن يستجيب للفكرة التي في عقلك الواعي. ضع الإيمان والثقة كفكرة في عقلك، وسيفي ذلك بالغرض»[4]، فالحقيقة المطلقة هي: العقل الباطن.

وعندما ينصح المريض بالصلاة التي يقول عنها: «يوصف أحياناً العلاج بالصلاة بالعلاج العقلي»[5]، أو بالصلاة لمريض غائب، فإن مقصوده ليس الافتقار إلى قاضي الحاجات ﷻ وإنما من خلال «قانون العقل المبدع»!![6].

إن العقل الباطن عند ميرفي هو الرازق الوهاب، يبين ذلك قوله: «إن الثروة ـ ببساطة ـ هي اقتناع الفرد الراسخ بقدرة العقل الباطن. على أنك لن تصبح مليونيراً بمجرد قولك: (أنا مليونير)، سوف ينمو الشعور والوعي بالثروة من خلال ترسيخ فكرة الثروة والغنى داخل عقلك»[7]، وحتى لا يقال إن

---

(١) المرجع السابق ص١٤.
(٢) المرجع السابق ص٣٢.
(٣) المرجع السابق ص٣٩.
(٤) المرجع السابق ص٥٩.
(٥) المرجع السابق ص٦٣.
(٦) انظر: المرجع السابق ص٦٨ ـ ٦٩.
(٧) المرجع السابق ص١١١.

المقصود العمل بما يمليه العقل يصرح ميرفي أن العقل الباطن يُوجد الغنى بذاته: «وسوف تجد هذه الأفكار البناءة طريقها إلى بنك عقلك الباطن، ومن ثم تجلب لك الغنى والرفاهية»[١]، ويجزم بأن «الفقر مرض عقلي»![٢]. والذي يحدد مستقبلك، ويقدر قدرك هو عقلك الباطن كذلك، فانظر قوله: «مستقبلك يحدده عقلك الباطن»[٣] وقوله: «إن مستقبل بلد يوجد في العقل الباطن الجماعي لسكان هذا البلد»[٤].

بل إن السعادة يمنحها العقل الباطن، كما يظهر في قوله: «هذا هو معنى الثقة بالله (القوانين الروحية للعقل الباطن) تؤدي إلى السعادة»[٥]، وهو هنا يصرح بأن «الإلٰه» يفسر بالقوانين الروحية للعقل الباطن.

إن هذا الكفر البواح يباع في مكتبات المسلمين، ويروج على أنه من العلوم النفسية النافعة، ووسائل تنمية الذات، فهل يخفى انحراف هذه الأقوال على من تأملها؟ أم إنها تنشر في أوساط جهال الشباب الذين يغرهم التعريض بالمصطلحات العلمية، والتلبيس بالألفاظ الشرعية؟

وخلاصة الأمر: أن العقل الباطن مصطلح غير محدد، يُستخدم كثيراً في الترويج للفلسفات الباطنية من خلال ما يُنسب إلى العلوم النفسية. فلا ينبغي التسليم بقبول جميع المفاهيم التي تُمرر باسم العقل الباطن ظناً أن مَن أثبت وجوده من علماء النفس الثقات إنما أراد ذلك المعنى الباطل، وليس الأمر كذلك. والله أعلم.

---

(١) المرجع السابق ص١١٤.
(٢) المرجع السابق ص١٢٣.
(٣) المرجع السابق ص١٦٤.
(٤) المرجع السابق ص١٦٤.
(٥) المرجع السابق ص١٩١.

المبحث الأول

علم النفس الإنساني و«ما بعد الذات»
(Humanistic & Transpersonal Psychology)

ظهر بعد الحرب العالمية الثانية تغيّر كبير في مجال العلوم النفسية، حيث برز عدد من المختصين الذين ثاروا على التوجهات التي كانت تسود مدارس علم النفس في ذلك الوقت[١]، كتلك التي ألغت دور العقل الواعي في توجيه السلوك البشري، حتى أصبح الإنسان كالحيوان الذي تحركه غرائزه البدائية. فنادى هؤلاء العلماء «بأنسنة» العلوم النفسية، والنظر إلى الإنسان بشمولية أكبر، مستقين كثيراً من آرائهم من الفلسفة الوجودية. ولما تشكلت لهم مدرسة واضحة المعالم في منتصف القرن العشرين، أُطلق على هذا الاتجاه الجديد اسم: علم النفس الإنساني (Humanistic Psychology)، واعتبروا مدرستهم «القوة الثالثة»[٢] في العلوم النفسية.

(١) وأبرزها: مدرسة التحليل النفسي، والمدرسة السلوكية. وقد كانت المدرسة السلوكية تؤكد على أن «الوعي» عملية، وليس وجوداً مستقلاً، ولذلك لم تكن دراسته في علم النفس أمراً شائعاً حتى ظهر علم النفس الإدراكي (Cognitive Psychology).

(٢) القوة الأولى هي: مدرسة التحليل النفسي، والقوة الثانية هي: المدرسة السلوكية.

وتُعرَّف المناهج الإنسانية في العلاج النفسي في موسوعة «العصر الجديد» بأنها: «أنواع من العلاجات النفسية التي تركز على الشخص، فإنك تُعالج على أنك فرد، لا على أنك حالة مرضية، وتُشجع على إيجاد حلولك الخاصة بك»[١].

لقد وفرت النظرة الشمولية للإنسان في علم النفس الإنساني، ونظرته متعددة الأبعاد، مظلة واسعة لظهور أساليب جديدة في العلاج النفسي. بل إن عدداً من رواد هذا العلم رأوا أن علم النفس الإنساني أغفل عاملاً مهماً في النفس البشرية ولم يعطه اهتماماً كافياً، ألا وهو الجانب الروحاني الباطني. فمع ازدياد الاهتمام بالفلسفات الشرقية، والتيارات الباطنية في ستينيات القرن العشرين، وانتشار استخدام العقاقير المؤدية إلى الهلوسة، رأوا أنه من اللازم تضمين علم النفس دراسات لحالات النشوة، أو «الفناء»، وغيرها من الأحوال الباطنية، وما يتعلق بالوعي الكوني[٢].

وفي عام ١٩٦٧م اجتمع عدد من المختصين في إحدى مدن ولاية كاليفورنيا بهدف تكوين علم نفس جديد، يتضمن جميع أطياف الخبرات الإنسانية، وحالات الوعي الخارجة عن العادة. فكانت النتيجة هي ما أطلقوا عليه: علم نفس «ما بعد الذات» (Transpersonal Psychology)[٣]. وبعدها بمدة يسيرة تشكلت جمعية علم النفس «ما بعد الذات» (Association of Transpersonal Psychology ATP) وغيرها من الجمعيات التي تهتم بالأبحاث المتعلقة بهذه المدرسة الجديدة[٤]. ووصف هذا الاتجاه الجديد «بالقوة الرابعة» في العلوم النفسية[٥].

---

(١) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 127.

(٢) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Battista: (9-15).

(٣) قد تكون أقرب ترجمة لكلمة Transpersonal هي: ما بعد الذات، أو ما يتجاوز الشخص، وبعضهم يطلق عليه «المابعدذاتي»، ويراد بعلم نفس ما وراء الذات: العلم الذي يدرس النفس الخاصة، ويتجاوزها إلى مستويات أكثر عمقاً من الخبرات البشرية، فهو علم نفس و«زيادة».

انظر: دراسة في علم السيكوباثولوجي: أ. د. يحيى الرخاوي: ٥٢، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Battista: xviii.

(٤) Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 10

(٥) انظر: Perspectives on the New Age-Gordon Melton: 42, and Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: 9, and Children of the New Age-Sutcliffe: 22.

اهتم علم نفس «ما بعد الذات» بدراسة القيم الإنسانية، كمعاني الحرية والروحانية، وذهب إلى أن علم النفس لا بد أن يخدم احتياجات وأهداف المجتمعات البشرية. وقد كان من أبرز علماء النفس الذين أسهموا في تشكيل هذه المدرسة هم: أبراهام ماسلو[١] (Abraham Maslow) وآنثني سوتيتش[٢] (Anthony Sutich)[٣].

لقد اعتبر بعض الباحثين الطبيب النفسي كارل يونغ من أوائل الممارسين لعلم نفس «ما بعد الذات»، رغم تقدمه عليها كمدرسة مستقلة من حيث الزمان[٤]. وعلى أية حال، فإنه لا شك أن نظريات كل من فرويد ويونغ في العلوم النفسية مهدت لتقبل فلسفات حركة «العصر الجديد»، حيث أوجدت آراؤهم بيئة ملائمة لظهور أفكار الحركة، بات فيها العقل الباطن والـ لا وعي أكثر واقعية من العقل الواعي وإدراكه للمحيط الخارجي، فمن خلاله أصبح أتباع حركة «العصر الجديد» يدّعون التواصل مع النفس العليا التي في داخلهم، لتملي عليهم العلوم والحقائق حول الحياة والكون والنفس. لكن المؤثر الرئيس في فكر الحركة والمصدر الذي تستدل وتستشهد منه، هو: علم النفس الإنساني وعلم نفس «ما بعد الذات»، وأفكار أبراهام ماسلو على وجه الخصوص[٥].

لقد حدد ماسلو هرماً لاحتياجات الإنسان النفسية، وجعل على قمة الهرم

---

(١) أبراهام ماسلو: هو عالم نفس أميركي ولد عام ١٩٠٨م، حصل على الدكتوراه من جامعة وسكونسون عام ١٩٣٤م، ويعتبر من رواد علم النفس الإنساني. له عدد من المؤلفات، أشهرها: الحوافز والشخصية، ونحو علم نفس الوجود. توفي ١٩٧٠م وعمره ٦٢ سنة.
انظر: The Columbieu Encyclopedia 6th Edition: 31170.

(٢) آنثني سوتيتش: من رواد علم نفس «ما بعد الذات»، ولد عام ١٩٠٧م، وأصيب بحادث أقعده تماماً عندما كان عمره ١٨ عاماً. وفي عام ١٩٣٨م أصبح مرشداً نفسياً لجمعية للمكفوفين، وفي ١٩٤١م أقام مركزاً خاصاً لعمله. توفي عام ١٩٧٦م.
انظر: The Journal of Humanistic Psychology Vol. 16 No. 3, Summer 1976.

(٣) انظر: مدخل إلى علم النفس الإسلامي: محمد نجاتي ص٨٦ ـ ٨٨، وعلم النفس الجديد: موكيالي: ٦٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry and Psychology-Scotton & Battista: 52.

(٤) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry and Psychology-Scotton & Battista: 39.

(٥) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 117.

حاجته إلى «تحقيق الذات» (Self-Actualization) التي تتأتى بعد قضاء جميع حاجات الإنسان النفسية، ليصل إلى أقصى إمكاناته الكامنة. أطلق ماسلو على هذه الخبرة: «تجربة القمة» (Peak-Experience)، ثم أضفى عليها بعداً باطنياً، وجعلها تجربة تجاوزية تتمثل في وحدة الإنسان مع الكون، وهو يصرح بأن هذه الوحدة ظاهرة متمشية مع الطبيعة، ولا تعد أمراً مخالفاً للسنن الكونية، ولا خارقاً للعادات. ويفترض د. أبراهام أن كثيراً من رجال الدين ورموزه قد توصلوا ـ بالفعل ـ إلى هذه الحالة من الوحدة، واختبروا «تجربة القمة»، ولكنهم ـ أو أتباعهم ـ أخطؤوا في تفسيرهم لتلك التجربة بناء على معطيات عقدية، وخلفيات دينية[١].

إن هذا هو النهج الذي اتبعه جُل علماء نفس «ما بعد الذات»، حيث اعتبروا أن الأحوال الروحانية والباطنية ليست سوى ظواهر طبيعية يمكن تحصيلها بالإعداد، والتدريب المنتظم. وهم ـ مع ذلك ـ يعترفون ببعض الممارسات الدينية كاليوغا، والتأمل الباطني، والتمتمات البوذية، كوسائل مقبولة وطبيعية للتوصل إلى غايتهم في «تحقيق الذات» الذي يعبرون به عن النشوة، أو الفناء. فمع اعتبارهم المقامات الباطنية ظواهر طبيعية لا تعلق لها بالدين، لا يأنفون من توظيف الممارسات الدينية ـ خاصة الشرقية ـ في تحصيل مبتغاهم ـ بل يرى بعضهم أن للإنسان «طبيعة إلٰهية» بشكل أو بآخر[٢].

لقد كان علم نفس «ما بعد الذات» ثورة على العلوم النفسية التي تعظم الجوانب المادية وتحقر من الخبرات الروحانية، وتعتبرها خرافات، وأساطير بدائية، وتفسر الأحوال الباطنية للوعي بأنها نوع من الخلل أو المرض العقلي. فالمدرسة الجديدة تعارض وصف الشامان بالفصام، أو بوذا بالذهان، أو اعتبار الأحوال الباطنية خيالات وأوهاماً. ويرون أن تلك الأوصاف راجعة إلى التعصب العرقي في الغرب، وإلى بنية العقلية الغربية، حيث يخطؤون في تفسير المظاهر الطبيعية بالأمراض العقلية والنفسية، انطلاقاً من خلفياتهم الثقافية[٣].

---

(١) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: (117-118).

(٢) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 119.

(٣) وفيما يخص أحوال الأنبياء والأولياء، تقف المدرستان على طرفي نقيض، فالمدارس =

وقد وجه كثير من المختصين الانتقاد لعلم نفس «ما بعد الذات» باعتباره مدرسة تتبع مناهج «غير علمية» في الدراسة البحث[١].

وقد توصلت هذه المدرسة إلى الثقافة الشعبية في صورة حركة القدرات البشرية الكامنة، ومن خلال معهد إيلسن[٢]. بينما ظهرت العلاقة بين علم نفس «ما بعد الذات» وبين حركة «العصر الجديد» في عام ١٩٧٨م، عندما أقيم مؤتمر في كاليفورنيا بعنوان: (الوعي والكون) تحت رعاية مجلة علم نفس «ما بعد الذات»، حيث استضيف فيه عدد من الشخصيات البارزة في الحركة[٣]. ورغم أن ظهور مدرسة علم نفس «ما بعد الذات» كان سابقاً لظهور حركة «العصر الجديد» أو على الأقل متزامناً مع ظهورها، إلا أن الاحتجاج بهذا العلم أصبح من سمات الحركة، فهي تروج له اليوم، وتطرحه كداعم لفكرها المنحرف[٤]، بل اعتبرت مارلن فرغسن الروحانية وعلم نفس «ما بعد الذات» الفجر الطالع لعصرٍ جديد، ووعياً متقدماً يجعل النظرة الأحادية للثقافة الغربية تتجاوز ذاتها إلى ثقافات أخرى متنوعة[٥].

إن علم نفس «ما بعد الذات» يتوافق مع كثير من مبادئ حركة «العصر الجديد»، ويشترك معها في خلطِه بين العلوم التجريبية والفلسفات الباطنية، ومن تلك الفلسفات المؤثرة فيه ما يلي:

(١) الهندوسية:

تعتبر الهندوسية من أقدم الثقافات التي اهتمت بتحوير الوعي من خلال

= التقليدية تجعل ما يصيب الأنبياء أثناء الوحي وما يحكونه عن أحوالهم الخارقة من أنواع الأمراض العقلية، أو النفسية، وفي المقابل تنفي مدرسة علم نفس ما بعد الذات هذا الادعاء، ولكنها تجعل تلك الأحوال أموراً طبيعية يمكن أن تحصل لأي أحد، وليست خاصة بالأنبياء دون غيرهم.

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: 12.

(٢) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinene & Battista: (9, 82).

(٣) انظر: Psychology as Religion-Paul C. Vitz: 119.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Gordon Melton: 13, and Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 13.

(٥) انظر: The Aquarian Conspiracy-Marilyn Fergasum: 65.

اليوغا، وممارسات أخرى، ولذلك يرى علم نفس «ما بعد الذات» أنه لا بد من الاستفادة من تلك الخبرات العريقة، ويعتبر الفلسفة الهندوسية مكملة لعلم النفس الغربي، فهو يتناول الوعي الأدنى، والهندوسية تتناول الوعي الأعلى[١].

(٢) البوذية:

يرجع اهتمام البوذية بالوعي إلى ما يقارب ٢٥٠٠ عام، حيث رأت أن التخلص من أنواع العذاب يتحقق من خلال تعديل الوعي، والوصول إلى النيرفانا، ولذلك يعتبر التأمل الباطني من أهم الممارسات البوذية. وعلم نفس «ما بعد الذات» ينظر إلى عدد من الأمراض النفسية من المنظور البوذي، فيعتبر المرض ناتجاً عن عقل المريض، ويتطلب نوعاً من إعادة هيكلة الوعي[٢].

(٣) الغنوصية:

قد تعتبر الغنوصية المسيحية من أبرز الجذور الغربية لعلم نفس «ما بعد الذات»، ويعتبر تعظيم الذات البشرية ـ خاصة إمكاناتها العقلية ـ إلى درجة كبيرة، والقول بوحدة الوجود هو الرابط بينهما[٣].

(٤) الكبالات:

تقسم الكبالا العالم إلى أربعة مستويات:

- مستوى الجسد: عالم الطقوس والعبادات الظاهرة.
- ثم الروح: عالم المعارف والقيم.
- ثم الخلق: عالم الفكر والفلسفة.
- ثم الفيض: وهو عالم الوجود، والحدس، والغنوص، والتأله.

كما تجعل للحقيقة عشرة أبعاد متمثلة شجرة الحياة التي سبقت الإشارة إليها.

وعلم نفس «ما بعد الذات» يستفيد من هذا التقسيم المفصل للأحوال

---

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (104-113).

(٢) انظر: المرجع السابق ص١١٩ ـ ١٢٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٣٩.

الداخلية والتجاوزية، ويرون أنه يمكن الاستعانة بها في دقة التشخيص، حيث يحدد موضع الخلل في أي عالَم أو أي بُعد من أبعاد الحقيقة، ليتم - بزعمهم - تحقيق التوازن، ومن ثم التعافي من المرض النفسي أو العقلي. علماً أنه لا يلزم في نظرهم التقيّد بالمصطلحات اليهودية، وإنما يمكن الاستفادة منها وتطبيقها على أي من المعتقدات الباطنية التي يعتقدها المعالج، أو المريض[١].

(٥) الشامانية:

سبق أن الشامان هم أشخاص يقومون بتحوير وعيهم بطرق متنوعة، ويرون أن ذلك يمكنهم من الانتقال إلى عوالم مختلفة، والتخاطب مع الأرواح التي تسكنها، بقصد شفاء المرضى، أو جلب نفع ما للقبيلة.

يصل الشامان إلى الوعي المحور - أو ما يسمونه رحلة الأرواح - بطرق نفسية كالعزلة والأدعية، والرياضات، والترانيم[٢]، أو بطرق مادية: كتناول الأعشاب المخدرة التي تؤثر في الإدراك. والتجارب التي يعيشها هذا الذي غاب عقله هي محل اهتمام علم نفس «ما بعد الذات»، فهم لا يعتبرونه نوعاً من السُّكر، أو مجرد هلوسة، وإنما يرونه انتقالاً من مستوى إلى مستوى آخر من الوعي[٣]. كما يرون أن الشامانية تُقدم نموذجاً مهماً للعلاج، حيث يرجع الإنسان - من بعد غيبوبته العقلية - أكثر قوة ونشاطاً، وبإحساس أعمق للمعاني الروحانية، والهدف من الحياة (!)[٤].

من التطبيقات التي تروج لها حركة «العصر الجديد» من خلال علم نفس «ما بعد الذات»:

لا شك أن حركة «العصر الجديد» استغلت علم نفس «ما بعد الذات» في تمرير فلسفاتها الباطنية المنحرفة، ليس لأنه علم معتبر يُعتد به - فقد مر معنا ما

---

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (123-130).

(٢) يكون ذلك من خلال الهز الشديد للرأس أو الجسد، أو الاستماع إلى الضرب السريع على الطبول، أو غير ذلك من الطرق التي يحصل بها تحوير الوعي وغياب الإدراك.

(٣) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (97-98).

(٤) انظر: المرجع السابق ص١٠١.

يتضمنه من ضلالات ـ ولكن لأنه منسوب إلى العلوم النفسية التي لها ثقل في الأوساط العلمية. وبمجرد استخدام المصطلحات العلمية أو الطبية، والاحتجاج بدراسات لم تُضبط بالمنهج العلمي الحديث، تلتبس الأمور على العوام، ولا يعود كثير منهم يميز بين الفلسفة والعلم.

وسأعرض في المبحث التالي لثلاثة أمثلة يظهر فيها هذا الخلط المتعمَّد، والذي يصور الفلسفات الباطنية، ومفاهيم التناسخ والاتحاد، على أنها علوم تجريبية يتوصل بها الإنسان إلى الاستقرار النفسي، وطمأنينة القلب:

أولها: التأمل التجاوزي.

وثانيها: العودة إلى الحياة السابقة.

وثالثها: التنويم الإيحائي.

المبحث الثاني

التقنيات النفسية

(Psycho-tecnologies)

تستخدم حركة «العصر الجديد» عدداً من التقنيات النفسية التي يُقصد منها تحصيل الاستقرار النفسي، ومعالجة بعض الاضطرابات النفسية من خلال الدخول في حالات مغايرة من الوعي (Altemate Consciousness). ولكنه يصعب على الباحث حصر هذه التقنيات وتحديدها، حيث إنها في تجدد مستمر، وهي تتراوح بين ممارسات ضاربة في القدم كاليوغا الهندوسية، وبين تطبيقات حديثة نسبياً كالتأمل التجاوزي[١].

وسأتناول في هذا المبحث ـ بإذن الله ـ ثلاثة أمثلة للتقنيات النفسية التي تقوم على تحوير الوعي، وتمرِّر الفلسفات الباطنية القديمة في صور عصرية براقة ـ لا على سبيل الحصر. فإن المقصود بيان نماذج من التطبيقات التي توظفها حركة «العصر الجديد» وتروج لها، ليتمكن القارئ ـ بعد التعرف على أساليبهم وأبرز سماتهم ـ من القياس عليها، والتنبه للمخالفات العقدية في غيرها. وهي كالتالي:

---

(١) انظر: The Implications of New Age Though-Irmhild Hom: 46.

المطلب الأول: التأمل التجاوزي.

المطلب الثاني: التنويم الإيحائي.

المطلب الثالث: العلاج باسترجاع الحياة السابقة.

المطلب الأول

التأمل التجاوزي

إن من أبرز أنواع التأمل المنتشرة في أنحاء العالم اليوم، والتي حظيت باهتمام كثير من علماء علم نفس «ما بعد الذات» هي ما يسمى بالتأمل التجاوزي (Trancsendental Mdeiation Ø)[١]. وهو نوع من أنواع التأمل الهندوسي، يوصف بأنه: تقنية عقلية تتيح للعقل تجربة مراحل أكثر نقاوة من الفكر، بشكل تدريجي، حتى يصل إلى مصدر الفكر (الوعي الخالص)، حيث يُعطى كل متدرب «مانترا» (Mantra)[٢] خاصة به، يصل من خلال ترديدها إلى تلك المراحل المتقدمة من الوعي[٣].

تعود أصول التأمل التجاوزي إلى عصور ضاربة في التاريخ، فهو مستمد من النصوص الفيدية المقدسة عند الهندوس. وبحسب ما يقرره **مهاريشي يوغي** (مبتكر التأمل التجاوزي) فإن إحياء هذه الفلسفة قد حصل أربع مرات عبر التاريخ:

١ - في تعاليم الإلٰه الهندوسي: كرشنا.

---

(١) وهو مسجل بعلامة تجارية، فمؤسسة مهاريشي هي منظمة تجارية تحفظ من خلال تسجيل منتجها (الذي هو التأمل) حقوقها القانونية والمالية، فلا يسمح لأحد تعليم التأمل التجاوزي، والكسب من ورائه إلا من خلال مؤسسة مهاريشي.

(٢) المانترا: هي صيغ تلاوات هندوسية مقدسة، تكرر بأعداد غير محددة. وتتكون المانترا من مقطع صوتي أو أكثر يصل إلى مائة مقطع، بعض هذه المقاطع بلا معنى ظاهر، وبعضها ترديد لأسماء الآلهة. ومن أشهر هذه المانترات على الإطلاق هو: (أوم) (aum)، الذي يرمز لوحدة الوجود.

انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: الأعظمي ص٦٠٣ ـ ٦٠٤، و Hinduism-Luis Reno: (31-33), and Hinduism-Cybelle Shattuck: (75-76)

(٣) انظر: Mosby's Complementary Medicine-Freeman & Lawlis: 168.

٢ ـ ثم في تعاليم بوذا.

٣ ـ ثم في تعاليم شانكارا.

٤ ـ وأخيراً في تعاليم غورو ديف[١] المعلم الخاص لـ مهاريشي، الذي كان يوصي بوجوب إيصال «الاستنارة» الهندوسية إلى البشرية جمعاء.

وبعد وفاة المعلِّم قام مهاريشي بحمل رسالته، فابتكر طريقة التأمل التجاوزي لتحقيق هدف الاستنارة العالمية، والتي هي ـ في الحقيقة ـ عودة بالبشر إلى ضلالات وحدة الوجود.

في عام ١٩٥٨م أعلم مهاريشي عزمه على نشر رسالته الهدامة حول العالم، فكانت البداية في الولايات المتحدة، لكن لما أدرك مهاريشي أن الأوضاع في أميركا مختلفة عنها في موطنه الهند، إذ لم تكن الدعوات ذات الطابع «الديني» مقبولة على الصعيد الرسمي، اضطُر إلى إطلاق التسميات الموهمة ليضمن رواج دعوته، وقد نجح في ذلك حتى أتيح له التحدث والإلقاء في أكثر الجامعات الأميركية شهرة.

بعدها انتشرت مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء الولايات المتحدة وتأسست بها (جامعة مهاريشي العالمية)، وهي جامعة قائمة على فلسفته تعمل على تخريج مدربين للتأمل التجاوزي. كما أُنشئت معاهد، وقنوات تلفزيونية، وكتب ومنشورات تقدر بملايين الدولارات، أُخذت من جيوب الأمريكان السُّذَّج اللاهثين وراء السعادة[٢]. ورغم التعتيم الذي تحرص عليه الحركة مازال كثير من الباحثين الغربيين يرون أن المهاريشية حركة دينية جاء بها مهاريشي إلى الغرب[٣]. ولهم مركز في لبنان يحمل اسم (مركز مهاريشي الصحي الثقافي)

---

(١) غورو ديف: هو سوامي براهماننداا ساراسواني، ولد في عام ١٨٦٩م، وقضى غالبية عمره في التنسك الهندوسي، وقد اشتهر بين الهندوس بالقديس المستنير. توفي عام ١٩٥٢م.
انظر: Transoendental Mediation, Relaxation or Religion - Ronald L. Carison: (13-14).

(٢) انظر: Transcendental Mediation, Relaxation or Religion - Ronald L: (11-24), and TM Wants You, A Christian Response-Haddon & Hamilton: (11-17), and Philosophers and Religious Leaders-Christian D. Von Dehsen: 120, and Film-Flam! Psychics, ESP Unicoms and other Delusions-James Randy: (94-95).

(٣) انظر: The Oxford Handbook of New Religious Movements-edited by: James R. Lewis: 448.

أنشئ عام ١٩٩٥م. بينما كانت (حركة التأمل التجاوزي) قد تأسست منذ عام ١٩٧٣م في البلد نفسه[١].

وقد قام مهاريشي بتوجيه دعوته إلى الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٤م عبر قناة العربية الإخبارية، زاعماً أنه عند تجنيد ثمانية آلاف شخص للتدرب على التأمل ستُحل جميع المشاكل المزمنة للمنطقة، وطرح اقتراحه على أنه الخيار الوحيد أمام أبناء الشرق الأوسط لحل أزماتهم، وإلا فليس أمامهم سوى «الصواريخ والدمار»[٢]! وعرضت قناة الـ mbc الفضائية مقابلة مع إحدى مدربات التأمل التجاوزي في برنامج (صباح الخير يا عرب) بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٩م، زعمت فيه أنه يزيد من ذكاء الأطفال، ويساعد في شفاء ٩٠٪ من الأمراض[٣]!

يُطلق على تعاليم مهاريشي الهندوسية كلمة «برامج» أو «تقنيات التأمل» (TM Programs) لإضفاء الصفة الـ لا دينية عليها، وهو أمر يحرص على تأكيده المنظمون والمسوقون[٤]. ورغم ذلك صُنِّفت حركة مهاريشي على أنها من الحركات الباطنية الاستسرارية، فهي تقصر علومها على فئة معينة فقط، وهم الذين يلتحقون بالتنظيم ويمرون بطقوس التأهيل[٥]. فإنه من الواضح كون تلك الطقوس الغربية ـ والمانترات[٦] المستخدمة في التأمل ـ تحمل طابعاً دينياً شرقياً، ولكن الواقع ـ الذي لا شك فيه ـ هو أن تأمل مهاريشي قائم في باطنه على الفلسفة الهندوسية كلياً، ولكن لجهل كثير من الناس بسمات تلك الديانة يصعب عليهم التعرف على ملامحها.

إن الأصول الهندوسية التي يعتمد عليها التأمل التجاوزي ـ وتؤيدها حركة

---

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي:
الحركة في لبنان معلومات عن الموقع التأمل التجاوزي ـ عربي www.maharishitm.org
كما يوجد في لبنان كذلك: جامعة مهاريشي الفيدية، جامعة مهاريشي أبو رفيدا، معهد مهاريشي للإدارة، شركة منتجات مهاريشي الأيورفيدية، وجمعية مهاريشي أبو رفيدا. (تصفح الموقع السابق).

(٢) تصفح مقابلته مع قناة العربية على موقعهم الرسمي.

(٣) تصفح الموقع الرسمي لقناة mbc: روح وجسد صباح الخير يا عرب www.mbc.net

(٤) انظر: Transcendental Mediation, Relaxation or Religion. - Ronald L. Carison: 23

(٥) انظر: المرجع السابق ص٤٥٧.

(٦) ألفاظ طقوسية تكرر في العبادات الهندوسية، ومن أشهرها مانترا (أوم).

«العصر الجديد» ـ كثيرة ومتشعبة، ولكن يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

١ ـ عدم التركيز على الاعتقاد في مقابل السلوك. وهو ظاهر في دعوة مهاريشي حيث لا يأمر أتباعه بتغيير أديانهم، وإنما بدمج تعليماته فيها[١].

٢ ـ أن «الحقيقة» لا يمكن أن تُعرف ولكن لا بد أن تختبر (تُحس، أو تُجرب)، فلا يُكتفى بمعرفة الحقيقة بل لا بد أن تكون أنت وهي شيئاً واحداً.

٣ ـ وحدة الوجود: حيث يصرح مهاريشي بأن كل ما في الوجود واحد، وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل التجاوزي[٢].

كما جعل مهاريشي للوعي سبعة مستويات[٣]: «اليقظة، الحلم، النوم، الوعي المتجاوز، الوعي الكوني، الوعي الإلٰهي، الوعي الواحدي (بالوحدة)»[٤].

لقد أثار هذا التقسيم الدقيق لمستويات الوعي المختلفة، بالإضافة إلى الطرق العملية التي يقدمها التأمل التجاوزي للتنقل بين تلك المستويات، اهتمام بعض المختصين في علم نفس «ما بعد الذات»، فقاموا بإجراء دراسات متعددة حول الآثار الإيجابية والمنافع النفسية المزعومة للتأمل (Mediation) في محاولة منهم للربط بين الممارسات المتعلقة بالوعي وبين العلم التجريبي الحديث، وإثبات الفوائد النفسية التي تتحقق من خلال التأمل الباطني[٥]. فتوافقت توجهات ماسلو مع برامج مهاريشي في نشر التأملات الباطنية على أنها تقنيات نفسية لا تعلق لها بالمعتقدات الدينية[٦].

---

(١) انظر: TM. Is it Only Mediation - Horold J. Berry: (10-11).

(٢) انظر: المرجع السابق ص٩، و - Transcendental Mediation, Relaxation or Religion Ronald L. Carison: (46-47), and The Oxford Handbook of New Religious Movements-edited by: James R. Lewis: 104.

(٣) والصحيح أنه ليس للوعي سوى ثلاثة مستويات، هي: اليقظة، المنام، الحلم.
انظر: Flim-Flam! Psychics, ESP Unicoms and other Delusions-James Randy: 94.

(٤) Science of Being and Art of Living-Maharishi Mahesh Yogi: xvi.

(٥) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (167-171).

(٦) انظر: Religion and Psychology-Jonte-Pace & Parsons: 243.

يحاول المسوقون للتأمل التجاوزي دعم مزاعمهم بالوصول إلى حالة عالية من الوعي، وما يتبعها من فوائد، بأعداد كبيرة من الدراسات «العلمية» والرسوم البيانية[١]، إلا أنها ـ في الغالب ـ لا تعدو كونها دراسات تسجل الفوائد المترتبة على تمارين الاسترخاء أياً كان نوعه، فلا يبق ما يميز التأمل التجاوزي سوى الـ مانترا وطقوس التأهيل السرية وعقيدة وحدة الوجود[٢]!

ولو افترضنا ـ جدلاً ـ أنه ثبت لهذا التأمل الهندوسي نفع للعقل، أو البدن، فإن ذلك لا ينقله إلى دائرة المباح، كما أن المنافع المرجوة من الخمر أو السحر لا تجعل أياً منها مباحة[٣]، وإنما يجدي البحث في نفعها إذا كانت خالية من المخالفات الشرعية في ذاتها[٤].

---

(١) ومما يذكر عن مهاريشي قوله: بأن كل ما يدعيه سيثبته العلم في المستقبل مع مرور الزمن، وهو ما يعلمه المعلمين الهندوس المستنيرين منذ زمن طويل. فإن كان الأمر لم يثبت بعد في رأيه، فماذا تعني القوائم المطولة من الدراسات المؤيدة؟!

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين: ١١٠، و Film-Flam! Psychics, ESP Unicoms and other Delusions-James Randy: (95-97). And Mosby's Complementary Medicine-Freeman & Lawllis: (169-170), and The Skeptics Dictionary-Todd Carroll: 381.

(٣) سأتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في نهاية هذا الفصل بإذن الله.

(٤) ولا شك أن في هذه الممارسة وما شابهها تشبهاً بعبادات الهندوس التي أجمع العلماء على تحريمها. فالتشبه بالكفار ينقسم إلى قسمين رئيسين: مشابهتهم فيما هو من ديننا، ومشابهتهم فيما ليس من ديننا. أما الأول: فلا خلاف أنه غير مُعتبر، وإنما المعتبر ما أمر به الشرع ـ وجوباً أو استحباباً ـ دون الالتفات إلى اشتراك جماعات من الكفار مع المسلمين فيه. وأما القسم الثاني، وهو التشبه بالكفار فيما ليس من ديننا، ففيه تفصيل يمكن إيجازه في التالي:

أولاً: أن يكون العمل من خصائص دينهم، فلا يخرج فاعله عن إحدى حالتين:

* أن يكون عالماً بأن ذلك العمل من خصائص دينهم، ويكون فعله:

- إما لمجرد موافقتهم، وهو قليل.
- وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل.
- وإما لشبهة فيه تخيّل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة.

وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر وقد يصير كفراً بحسب الأدلة الشرعية.

* أن لا يكون عالماً بأن العمل من خصائص دينهم، وهذا يكون لفعله صورتان:

- أن يكون الفعل على الوجه الذي يفعلونه.

=

علماً أن هذه الأنواع من التأمل، والتي تعمل على تغييب العقل، والعبث بالوعي، قد تتسبب بنتائج عكسية تتراوح ما بين القلق والاكتئاب، أو التشنجات العضلية والعصبية، وتصل إلى الذهان، أو الإعاقات العقلية، والجسدية المؤقتة[١].

المطلب الثاني

التنويم الإيحائي (Hypnosis)

يعرف التنويم الإيحائي[٢] في موسوعة الصحة العقلية بأنه: «تفاعل اجتماعي يستجيب فيه أحد الأشخاص (محل التنويم) لإيحاءات[٣] شخص آخر (المنوِّم) من أجل تحقيق تجربة تخيلية تتعلق بتغيير في الإدراك، والذاكرة، والسيطرة الإرادية على الفعل. في الحالة التقليدية، ترتبط ردود الفعل السابقة بدرجة من القناعة الشخصية التي تقترب من التوهم، وتجربة الـ لا إرادة التي

= ـ أو يكون مع نوع تغيير في الزمان، أو المكان، أو الفعل، ونحو ذلك، وهو غالب ما يبتلى به العامة، وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك.
فهذا يُعرَّف صاحبه حكمه، فإن لم ينته صار من القسم الأول.
ثانياً: أن لا يكون من خصائص دينهم، ولا هو في الأصل مأخوذاً عنهم ولكنهم يفعلونه كذلك، فهذا ليس فيه محذور المشابهة، ولكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة.
اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ص٤٩١ ـ ٤٩٢ (بتصرف).

(١) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (172-173).

(٢) وهو ما يسمى في العرف الشعبي: التنويم المغناطيسي، وهذه التسمية راجعة إلى نظرية مزمر في أن جميع الأمراض ناتجة عن اختلال في توازن قوى طبيعية، تسمى المغناطيسية الحيوانية (Animal Magnetism)، والتي رأى أنها تعالج من خلال إعادة توزيع السائل المغناطيسي في الجسم، مما كان ينتج عنه نوبات من الصرع يسميها أزمات. ولكن مع إحدى تجارب تلاميذ مزمر اكتشف أن الشخص لم يصرع، وإنما دخل في حالة من الاستجابة التامة، لم يذكر عنها شيء بعد الإفاقة.
انظر: Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/468.

(٣) **الإيحاء** (Suggestion): هو عملية ـ غير مباشرة بالعادة ـ تعمل على تغيير سلوك أو تفكير شخص ما، مع عدم إدراك الموحى إليه بذلك.
انظر: استكشاف أغوار الذهن التنويم المغناطيسي: بيير داكو: ٢٤، و Hypnotism: An Objective Study in Suggestibility-Weitzenhoffer: 3.

تقترب من الإلزام»[١].

وفي تعريف آخر: «هو حالة مستحثة بشكل غير طبيعي، عادة ما تشبه النوم ولكنها متميزة عنه فسيولوجياً. تتميز بالقابلية العالية للإيحاء، ونتيجة لذلك يمكن استحثاث أوضاع متغيرة من الشعور، والحركة، والذاكرة أكثر منه في حالة الإنسان الطبيعية»[٢].

أما التنويم الذاتي فإنه يحصل من خلال تركيز الشخص على فكرة، أو تكرار ألفاظ محددة لمدة معينة، أو إطالة النظر في نقطة محددة، حتى يصل الإنسان إلى حالة متغايرة للانتباه الطبيعي[٣].

إذا أردنا تتبع بدايات استخدام التنويم في العلوم النفسية سنجدها ترجع إلى تجارب مزمر في القرن الثامن عشر، ورغم أن نظرياته لم تلق القبول في المجتمع العلمي، إلا أن ممارساته لم ينقطع تطبيقها. وأصبح علماء النفس يخوضون تجارب في التنويم، ويبحثون في نتائجه، مختلفين في مصداقيته، وتفسير آثاره. حتى ازداد الاهتمام به بعد الحرب العالمية الثانية، وأنشئت في الغرب منظمات متخصصة في التنويم، والبحوث المتعلقة به[٤]. أما سغمند فرويد فقد أضاف إلى نظريات التنويم فلسفته في العقل الباطن، ودور الرغبات الغريزية في قيادة السلوك[٥].

ومن أجل توضيح المسألة أكثر يمكن تقسيم التنويم الإيحائي إلى أربعة أقسام:

○ **الأول**: ما له تعلق بالسحر، أو الاستعانة بالجن، أو الشياطين، حيث قد يسميه الفاعل تنويماً، محاولاً إضفاء صفة علمية عليه، وتمريره على أنه

---

(١) Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/467.

(٢) Hypnotism: An Objective Study in Suggestibility-Weitzenhoffer: 3.

(٣) انظر: التنويم المغناطيسي: نبيل غالي ص٢٩، وغير مجرى حياتك مع التنويم المغناطيسي، دار الرشيد ص٤١ ـ ٥٩.

(٤) انظر: استكشاف أغوار الذهن التنويم المغناطيسي: بيير داكو ص٣ ـ ٦، والتنويم المغناطيسي: نيل غالي ص١٣، والباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص٥٥، والتنويم الإيحائي: روجيه الخوري، و Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/468.

(٥) انظر: استشكاف أغوار الذهن التنويم المغناطيسي: بيير داكو ص١١٧ ـ ١١٩.

ممارسة طبية مقبولة. قال ابن القيم: «والسحر الذي فيه تقرب إلى الشياطين، أو الكواكب ونحوها، شرك باتفاق المسلمين، وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرب إليه، إما بذبح باسمه، أو بذبح يقصد به هو، فيكون ذبحاً لغير الله، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق. والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان ـ فهو عبادة له، وإن سماه بما سماه به، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه»[١]. وقال **شيخ الإسلام**: «لا يستطيع أحدٌ أن يُسخّر الجنّ مطلقاً لطاعته، ولا يستخدم أحداً منهم إلا بمعاوضة؛ إما عمل مذموم تحبه الجن، وإما قول تخضع له الشياطين؛ كالأقسام، والعزائم»[٢].

وهذا النوع لا شك في تحريمه من وجهين: **أولهما**: استخدامه للسحر والشياطين، وهذا من الشرك، **والثاني**: خداعه للناس، وتلبيسه عليهم[٣]. «وقد استفاض في الناس وشاع تحريم الخداع»[٤].

○ **الثاني**: ما يستخدم للتوصل إلى أحوال باطنية وتحصيل «الحقائق الغنوصية»؛ كالاتحاد بالكون، أو الإله، أو ما تستخدم فيه الممارسات الدينية كاليوغا، أو الأوراد الصوفية، أو غيرها.

فهذا أيضاً محرم لتحريم وسائله وغاياته، ولا يجوز الاستشفاء به ـ ولو افترضنا وجود منفعة فيه. وقد سبق التفصيل في ذلك في مواضع متعددة.

---

(١) بدائع الفوائد: ابن القيم ٢/ ٢٣٥.

(٢) النبوات: ابن تيمية ٢/ ١٠١٤.

(٣) وقد صدرت فتوى عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية لهذا القسم خاصة، ونصها:
«التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المنوّم على المنوَّم فيتكلم بلسانه، ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المُنوِّم، وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المُنوِّم إليه، ويجعل ذلك الجني المُنَوَّم طوع إرادة المُنَوِّم، يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المُنَوِّم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي، واتخاذه طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة، أو ضالة، أو علاج مريض، أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المُنَوِّم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم».
فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨، برقم (١٧٧٩).

(٤) نهاية المطلب: الجويني ٥/ ٤٣٨، وانظر: الوسيط: أبو حامد الغزالي ٣/ ٦٦.

○ **الثالث**: ما لا تعلق له بالقسم الأول، وهو ما كان نتيجة البحث والتجربة.

فهذا يُرجع فيه لأهل الاختصاص، ويُنظر في تطبيقاته، ويوازن بين مصالحه ومفاسده، ثم يُصدر الحكم عليه بناء على ذلك. فإن ثبت نفعه فالأصل فيه الإباحة، إلا إن تضمن محرماً ـ غير ما ذُكر ـ أو أفضى إليه، وقد يُمنع سداً للذريعة لما يحصل الخلط بين هذه الأقسام في كثير من الأحيان، خاصة الأخيرين منهما، حيث قد لا يتمكن المريض ـ وأحياناً المعالج ـ من التمييز بينهما، أو التنبه للأهداف، أو الوسائل الباطنية التي توظف فيه، مع ما قد يحصل فيه من استغلال للمريض الذي غاب عن الوعي جزئياً أو كلياً[(١)]، ولهذا فالمنع لأجل ذلك أقرب، أو في أقل الأحوال تقييده بشروط صارمة.

○ **أما القسم الرابع**: فهو التنويم المسرحي، والذي يؤتى به للتسلية والاستعراض، ويُستخدم فيه الإيحاء، والإرباك النفسي، وغير ذلك.

وهذا يمنع لما فيه من تغييب للعقل لغير حاجة، فيقاس على المفتر والمسكر، والله أعلم.

قال **النيسابوري**: «قول عمر ومعاذ: (الخمر مذهبة للعقل). فإنه يوجب أن كل ما كان مساوياً للخمر في هذا المعنى إما أن يكون خمراً، وإما أن يكون مساوياً للخمر في علة التحريم»[(٢)]. وقال **ابن رجب**: «واعلم أن المسكر المزيل للعقل نوعان:

ـ **أحدهما**: ما كان فيه لذة وطرب، فهذا هو الخمر المحرم.. وفي سنن أبي داود.. عن **أم سلمة** رضي الله عنها، قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[(٣)] والمفتر: هو المخدر للجسد، وإن لم ينته إلى حد الإسكار.

ـ **والثاني**: ما يزيل العقل ويسكر، لا لذة فيه ولا طرب، كالبنج ونحوه،

---

(١) يتفق القائلون بنفع التنويم أن المريض لا يكون على مستوى التنبه الطبيعي، ولكن بعضهم يقول بفقد سيطرته على نفسه تماماً، وبعضهم يقول أنه يكون أكثر تقبلاً للإيحاء، مع بقاء إرادة غير كاملة.

(٢) غرائب القرآن: النيسابوري ص٦٠٢.

(٣) رواه أبو داود في الأشربة (٣٦٨٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٧٣٢).

فقال أصحابنا: إن تناوله لحاجة التداوي به، وكان الغالب منه السلامة جاز.. وإن تناول ذلك لغير حاجة التداوي، فقال أكثر أصحابنا كالقاضي وابن عقيل، وصاحب (المغني) إنه محرم؛ لأنه تسبب إلى إزالة العقل لغير حاجة، فحرم كشرب المسكر... وقالت طائفة منهم ابن عقيل في (فنونه) لا يحرم ذلك؛ لأنه لا لذة فيه»[١].

علماً أن للتنويم ـ عند من يعتقد به ـ مستويات، تنويم جسدي عميق، ونوم مغناطيسي خفيف، ونوم مغناطيسي متوسط، ونوم مغناطيسي عميق، وهذا الأخير قد يستخدم فيه التنويم كنوع من المخدر[٢]، ولكنه لا ينفع إلا لمن لديه قابلية لتقبل الإيحاء[٣]

ومن أمثلة استخدام التنويم الإيحائي في تمرير العقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، وفي التوصل إلى مراحل عليا من الوعي تتمثل في الاتحاد بالكون، أو تحقيق ألوهية الذات، ما يقوله مؤلف كتاب «التنويم الإيحائي للعصر الجديد» في مقدمته: «لهذا الكتاب العملي ثلاثة أهداف: الهدف الرئيس: هو أن أقدم بحثاً شاملاً حول التنويم الإيحائي وتطبيقاته المتعلقة بمفاهيم العصر الجديد كتناسخ الأرواح، والكارما، والإسقاط النجمي، وغيرها. هدفي الثاني: هو تعليمك كيف توصل نفسك إلى نشوة تنويمية لتجرب طرقاً ميتافيزيقية متنوعة، مع العودة إلى الحياة السابقة، والتقدم إلى الحياة اللاحقة، وحتى التواصل مع العقل العالي[٤]، والخروج عن الجسد، وتقنيات الترقي في المستويات الروحية. وأخيراً: سأقوم بإرشادك إلى كيف تكون معالجاً بالتنويم

---

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ٢/ ٤٦٥.

(٢) انظر: غير مجرى حياتك مع التنويم المغناطيسي، دار الرشيد: ١١٥، و Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/471.

(٣) الألم أمر نسبي، يختلف الشعور به من شخص إلى آخر. ولذلك قد يفقد الشخص الذي لديه قابلية للتنويم الإحساس بالألم، وذلك لأن الألم متعلق بالإدراك فإذا كان الانتباه منصرفاً عن محل الألم قل الإحساس به، وهذا أمر مشاهد محسوس.
انظر: Encyclopedia of Mental Health-Freidman-2/471.

(٤) وهو يعرف العقل العالي (Super conscious mind) بأنه: النفس العليا أو الطاقة الكاملة التي تمثل الروح، وهي تأتي من المستوى الإلهي مباشرة.
انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 220.

الإيحائي الخاص بالعصر الجديد، إن كان هذا ما تريده». ثم يقول: «قبل أن تقرأ هذا الكتاب، لا بد أن تتذكر مبدأ كونياً عاماً، لا توجد حقائق مطلقة، وهذا يتضمن قولي السابق»[١].

وفي وصفه لنوع من التنويم سماه «التطهير» يقول: «إن أساس عملية النمو الروحاني من خلال التنويم الإيحائي هو ما أسميه (التطهير). التطهير هو مجرد تقديم العقل الباطن للعقل العالي في الشخص (النفس العليا)... العقل العالي هو العقل الباطن في صورته الكاملة. إنه بقايا الطاقة الإلٰهية، وهو الذي سيتحد به عندما نكمل أنفسنا، ونرتقي لمستويات أعلى»[٢][٣]. فمن خلال التنويم يتم الاتحاد بين العقل الباطن الخاص، وبين العقل العالي الإلٰهي، ولا يخرج الهدف هنا عن الأهداف التي يقصدها عموم الباطنية وأهل التصوف. ثم يوضح هذا المفهوم بصراحة أكبر في قوله: «عندما يصل معدل الكارما إلى صفر، تتمكن الروح من الارتقاء إلى مستويات أعلى، وتجتمع بالإلٰه»[٤].

ومن الأهداف الأخرى التي يسعى إليها أتباع حركة «العصر الجديد» من خلال التنويم: التواصل مع الأرواح. فإن الإنسان عند خضوعه للتنويم الإيحائي يُفترض أنه أصبح في تجربة وعي مغاير، ينتقل عبره من مستوى المادة إلى مستوى أكثر رقياً، وهناك يلتقي بالكائنات التي تقطن ذلك المستوى من الوعي[٥].

ثم تتداخل تطبيقات التنويم الذاتي مع معتقدات باطلة أخرى حول الـ لا وعي، فيُجعل التنويم وسيلة للتوصل إلى العقل الباطن وما يُنسب إليه من القدرات الخارقة. ومن أجل ذلك نجد مفاهيم المعتقدات الباطنية منتشرة في المؤلفات التي تتناول التنويم الإيحائي من منظور حركة «العصر الجديد». ولعل

---

(١) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: ix.

(٢) المستوى (Plane): هو بعد من أبعاد الكون، حيث يوجد خمسة مستويات دنيا تمثل دورة الكارما، وفيه يختار العقل الباطن حياته اللاحقة. وهناك سبعة مستويات عليا، وأعلاها المستوى الإلهي، أو النرفانا، أو «كل ما في الوجود».
انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 177.

(٣) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: (13-14).

(٤) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 82.

(٥) انظر: New Age Hypnosis-Bruce Goldberg: 177.

كتاب كارل لولن[١]: (تمكين الذات من خلال التنويم الذاتي) يعد نموذجاً واضحاً لهذا التوجه. فهو يربط التنويم الإيحائي بالديانات الوثنية والمعتقدات الباطنية، لا سيما الـ كبالا التي يوليها اهتماماً خاصاً[٢].

وبناء على ما سبق، فإننا نجد أن الأفعال الخارقة تعتبر من النتائج المنسوبة إلى التنويم الإيحائي، ومن يتقن هذا الفن يتمكن من شفاء الجراح الخطيرة ـ مثلاً ـ بمجرد الدخول في حالة من التنويم الذاتي العميق[٣].

أما كتاب صلاح الراشد المسمى «دليل مستخدمي التنويم» فإنه يحتوي على خلط كبير بين النظرات المختلفة للتنويم الإيحائي، فرغم أنه ينتسب إلى المدرسة التجريبية في التنويم إلا أنه يشير إلى عدد من المفاهيم الباطنية في ثنايا الكتاب، مع ما فيه من مغالطات علمية أتركها لأهل الاختصاص.

يتحدث الراشد عن مرحلة «النشوة» التي يتوصل إليها الإنسان من خلال التنويم الإيحائي، وينسبها إلى الشرع، حيث فسَّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٤] [الرعد: ١١]، بأن تغيير الواقع «يبدأ من

---

(١) كارل لولن (Carl Liwellyn Weschcke): هو رجل أعمال أميركي، ورئيس أكبر دار نشر تهتم بمطبوعات حركة «العصر الجديد»، وهو ساحر تقلد منصب كاهن أعلى في دوائر الويكا. لعب دوراً مهماً في نشر الديانات الوثنية الحديثة التي قضى عمره في دراستها إلى جانب ممارسات حركة «العصر الجديد»، يعمل الآن على دراسة النظريات الكمية من وجهة نظر باطنية والكبالا، والتنويم الذاتي، والتأليف.
انظر: Self-Empowerment Through Self-Hypnosis-Carl L.Weschcke: 1.

(٢) انظر: Self-Empowerment Through Self-Hypnosis-Carl L. Weschcke: (120-128, 138, 161).

(٣) انظر: Hypnosis for Beginners-William Hewitt: 186.

(٤) قال الطبري «جامع البيان» ٦/ ٣٨٢: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره». وقال البغوي: (معالم التنزيل ٣/ ١١): «إن الله لا يغير ما بقوم، من العافية والنعمة، حتى يغيروا ما بأنفسهم، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم»، وقال القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» ٩/ ٢٩٢: «الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم بالإصرار على الكفر، فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم النقمة». وقال ابن سعدي «تيسير الكريم المنان» ص٤١٤: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها، فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى =

الداخل»[١]؛ أي: بتغيير الوعي والنظرة والإدراك. ثم يوضح مفهومه «للنشوة» قائلاً: «ويرى فطاحلة علماء الصين من ممارسي لعبة التشيكونغ (Qiqong)[٢] أن الشخص إذا دخل في حالة ما يسمونه الخلاء (Emptiness) فإنه يستطيع أن يحل أي مشكلة نفسية أو جسمانية أو روحانية. هذه المرحلة هي «النشوة» في التنويم، وعند الصوفية في الإسلام «الفناء»، وعند البوذيين «النيرفانا»»[٣].

إن هذه المصطلحات التي ذكرها الراشد ـ في تقريبه لمعنى النشوة ـ هي مفاهيم فلسفية باطنية لا تمت للعلم التجريبي بصلة، بل تشير إلى منزلة الاتحاد التي تؤمن بها كل من الطاوية والبوذية وغلاة الصوفية التي أحال إلى تجاربها في توضيحه.

ثم يزيد الأمر لبساً عندما يشبه هذه الأحوال الباطنية بما يستشعره «المؤمن في قيامه بالليل، أو في متعة سجوده، أو في تكرار الذكر»[٤]! تلك الحالة من القرب من الله التي لا تمت للأحوال السابق ذكرها بصلة.

ويقسم الراشد العقل إلى ثلاث مستويات: «الواعي، والباطن، والعالي»[٥]. أما العقل الباطن فقد سبق الحديث عن الإشكالات المتعلقة بتفسيراته المختلفة، وأما العقل العالي فهو افتراض فلسفي باطني لا يوجد ما يدل عليه في العلم الحديث. وله أصول في فلسفة اليوغا الهندوسية وفي الفلسفة البوذية وغيرها، وهو مرادف للوعي المطلق الذي سبق الحديث عنه في الباب الثاني، والذي يُنسب إليه

= طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير، والسرور، والغبطة، والرحمة».

وليس في كتب السلف ما يدل على المعنى الذي يشير إليه الراشد.

(١) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٢٣.

(٢) التشي كونغ: مجموعة من التمارين الجسدية وأساليب ضبط التنفس المنتشرة في الصين، والتي يُقصد منها زيادة وتنشيط الطاقة (تشي)، حيث يُعتقد أن المرض ناتج عن ركودها أو نقصانها.

انظر: كتاب الطب النفسي: محمد شهاب ص١٣٧، وتعلم التشيكونغ: جاي سوانسونغ ص٥، ١١.

(٣) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٢٤.

(٤) المرجع السابق ص٢٤.

(٥) المرجع السابق ص٢٦.

التدبير والإيحاد. ولا يظهر من كلام المؤلف ما ينفي هذا المفهوم أو يؤيده في هذا الكتاب، ولكن قد يظهر شيء من ذلك عند حديثه عن القوانين الكونية الذي سأستعرضه في الفصل الأخير بإذن الله. وإن كان استشهاده بكتاب **جوزيف ميرفي** (قوة عقلك الباطن) واعتقاد **ميرفي** «أن الإنسان يستطيع أن يحقق ما يريده في ذاته طالما كان هدفه واضحاً وطالما كانت طرقه صحيحة»[١] أمر خطير، خاصة وقد مرت معنا آراء ميرفي الباطنية التي عبر عنها في كتابه المشهور.

ثم يشير إلى كتاب ديباك شوبرا: العلاج الكمي (Quantum Healing)، الذي يجعل التشافي الداخلي أساساً في العلاج - بل هو العلاج بحد ذاته[٢]، ولا يشك مطلع على كتابات شوبرا في الخلفية الهندوسية الباطنية التي ينطلق منها في فلسفته العلاجية[٣].

ويختم صلاح الراشد كتابه بفتوى تجيز التنويم الإيحائي، وينتقد من يفتي بحرمته واصفاً الفتوى بأنها «تنطلق من قلة علم ودراية في هذه الفنون» ويشبه القائلين بالحرمة بمن يحرم «السرحان، والقيلولة، والتأمل، والتدبر، والتفكر، والجلوس في حديقة جميلة والتخيل، والاسترخاء، وما شابه ذلك»[٤]، وشتان بين ما ذُكر وبين التنويم الإيحائي المبني على الفلسفات الباطنية. وإن كنت لا أخالفه في أن الفتوى في مثل هذه المسألة تحتاج إلى اطلاع واسع، وإلمام بالأصول والتطبيقات، مع الإحاطة بالأوجه التي تحتملها هذه الممارسات.

وعلى أية حال، فإن التنويم الإيحائي من التطبيقات الحديثة التي لا يمكن الحكم عليها إلا بعد تصور حقيقتها، فإن كان يعتمد على محرم، أو يفضي إلى محرم فهي محرمة، كأن يكون فيه استخدام للسحر أو الاستعانة بالجن، أو بالممارسات الباطنية، وإن خلت من المحرم بقيت على أصل الإباحة.

---

(١) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٢٧.
(٢) انظر: دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٥٧.
(٣) وهنا ليست الإشكالية بالاستدلال بقول عالم في مسألة مادية مع مخالفته في الفلسفة أو الاعتقاد، فإن شوبرا قد بنى فلسفته العلاجية على المفاهيم الهندوسية الباطنية، وهو لا يسعى في إخفاء ذلك. وعندما يتحدث عن الاستشفاء الداخلي، أو الذاتي فهو يتحدث عن نظرته للوجود وتأليهه للذات البشرية التي لديها القدرة على الشفاء الذاتي.
(٤) دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٨٩.

المطلب الثالث

العلاج باسترجاع الحياة السابقة

تعتبر تقنية العلاج بالحياة السابقة (Past Life Regression) من الممارسات المنتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد»[١]، وتقوم ـ بشكل رئيس ـ على الاعتقاد بتناسخ الأرواح[٢]، حيث يُعتقد أن ما قد حصل للإنسان في حيواته السابقة يكون منطبعاً في عقله الباطن، ومن ثم يقود سلوكه وانفعالاته في حياته الحالية دون وعي منه أو إدراك. ومن أجل التعامل مع تلك «الذكريات»، لا بد للإنسان أن يغوص في عالم الـ لا وعي ليتعرف على حياته السابقة، وما كان فيها من أحداث[٣].

ويرى الذين يؤمنون بهذه الأساليب العلاجية الباطنية أنها تعالج نطاقاً واسعاً من الأمراض والاضطرابات، منها: الاعتلالات السلوكية، والأمراض الجسدية، والآلام غير المفسرة، وأنواع الفوبيا، بالإضافة إلى التعرف على هدف الإنسان في الحياة، وإيضاح القيم والمعتقدات، كما تمكنه من التعرف على الأشخاص الذين شاركوه حياة سابقة لتتبين له طبيعة المشاعر والعلاقات التي تربطه بهم حالياً، وفيها تفسير لمشاكل الزواج والطلاق، ومشاكل الطفولة، وغيرها مما لا يكاد يمكن حصره[٤]!

أما طريقة العلاج بها، فغالباً ما يستخدم نوع من التنويم الإيحائي يمكن المريض من التوصل إلى مستوى الوعي الذي تمكث فيه الانطباعات الناتجة عن حياة الإنسان السابقة بزعمهم[٥]، ويصف أحد الممارسين تهيئة المريض لاسترجاع «ذكرياته» جاعلاً ذلك من خلال الخطوات التالية:

---

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 175.

(٢) مرت الأدلة على تكفير القائلين بتناسخ الأرواح في الباب الثاني.

(٣) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: (15-16). And A Practical Guide to Past Life Regression-Mclain: (2-6), and Life Without Guilt-Hazel Denning: (15-34).

(٤) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: (16-41) and A Practical Guide to Past Life Regression-Mclain: (87-116), and Life Without Gult-Hazel Denning: (47-54).

(٥) انظر: قوى العقل الفيزيائية: روجيه الخوري ص١٥٣ ـ ١٥٤، و New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 175.

- توفير الجو المريح للمريض ومساعدته على الاسترخاء التام.
- الاستماع إلى أنغام لا تنتمي لثقافة معينة، وأفضلها المنسوبة إلى «العصر الجديد».
- التحدث مع المريض عن ما يهدف إليه من الجلسة، وما يتوقعه منها.
- قيادة المريض في عودته إلى الحياة السابقة من خلال التخييل والتصوير[١].
- إعطاء المريض الإحساس بالأمان، والتجاور معه ببطء وهدوء[٢].
- وبعض الممارسين يستخدم طرقاً مطابقة لأوضاع اليوغا[٣].

إن هذه الأجواء التي يصنعها الممارسون لهذه التقنية النفسية كفيلة بأن تجعل الإنسان يسرح بخياله فينسج القصص والحكايات. وقد ذكر أحد الباحثين أنه لا يلزم المعالج الذي يريد المريض أن يسترجع «الذكريات» الزائفة عن حياة سابقة سوى القيام بثلاث خطوات فقط:

- أن يطرح فكرة العلاج باسترجاع الحياة السابقة.
- أن يظهر قبوله للفكرة أو على الأقل المحايدة تجاه هذه الطريقة العلاجية.
- إرشاد المريض إلى الاسترخاء، وقيادته في رحلته إلى حياة السابقة.

بعدها يتهيأ غالبية المرضى لتقبل الصور الذهنية التي يرونها ـ أيّاً كانت تلك الصور ـ على أنها حقائق عن حياة عايشوها في زمان مضى عادت إليهم في شكل ذكريات[٤].

قد لا يتمكن الإنسان من إنكار واقعية التجربة التي يمر بها المريض، وينكرها تماماً، فإنه قد يرى صوراً ذهنية وأحداثاً وأماكن ليست مألوفة لديه، لا سيما مع سبق من المقدمات، إلا أن الإشكال يقع في وصف هذه الصور

---

(١) فيقال له مثلاً: تخيل أنك في حقل كبير، وأنك تعود إلى الوراء. أو تخيل أنك أمام بوابة كبيرة ووراءها حياتك السابقة. أو أن عقارب الساعة تدور بالعكس، وما إلى ذلك من العبارات الفارغة.
انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 175.

(٢) انظر: Past Life Regression-Mart Lee LaBay: 48.

(٣) انظر: Past Life Regression-Mclain: (37-45), A Practical Guide.

(٤) انظر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 68.

ابتداء بأنها «ذكريات»، ثم لما لم يستطع المريض ربطها بسياق معروف ـ وبسبب إملاء سابق[١] أو خلفية اعتقادية ـ ينسب تلك «الذكريات» إلى حياة سابقة.

إن تقويم المريض لما يراه في حال الإيحاء يعتمد بشكل كبير على ما يؤمن به ويعتقده، بل إن الاعتقاد يعد مؤثراً في أنماط الخيال. فالذي يؤمن بتناسخ الأرواح ـ مثلاً ـ سيجد تقبلاً نفسياً للتخيلات المتعلقة بالحياة السابقة، بخلاف من ينكر ذلك. وهذا الذي ينكر تناسخ الأرواح، وإن تصورت له قصص وأحداث، فإنه لن يفسرها كالأول ولن يأخذها على محمل الجد[٢].

ولكن ما هي حقيقة الصور الذهنية التي يراها المريض؟

يرى الباحثون في العلوم النفسية أن ما يتصوره الإنسان حال التنويم الإيحائي لا يخرج عن احتمالين:

الأول: أن يكون ما يراه المريض من نسج خياله، حيث هيئت له الظروف المناسبة لأن ينطلق دون حد وقيد، وقد يكون ذلك بقيادة المعالج وإرشاده.

الثاني: أن يكون ما يراه ذكريات بالفعل، ولكنها ذكريات مبتورة من مراحل مختلفة من حياته الحالية، قد لا يتذكر الإنسان سياقها، أو شيئاً مما يتعلق بها. وهذا يحدث كثيراً في العقل البشري لحكمة من الله ﷻ ورحمة منه[٣].

---

(١) من المعالج أو غيره.

(٢) انـظـر: Intersections in Basic and Applied Memory Research-Payne & Conrad: (246-253). And The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly: 97.

(٣) اشتهرت في ستينيات القرن العشرين قصة امرأة أمريكية اسمها روث سمنز (Ruth Simmens) التي أصبحت برايدي مرفي (Bridey Murphy) تحت تأثير التنويم الإيحائي. فألفت كتاباً اسمه: «البحث عن برايدي مرفي»، فيه تفاصيل حياة برايدي. لقد اعتقدت روث أنها كانت برايدي في حياة سابقة في القرن التاسع عشر في أيرلندا. واعتبر كثير من الناس ما ذكرته روث دلالة على أن تناسخ الأرواح حق. حتى قام أحد الباحثين في قضية روث بالكشف عن أنها سبق لها أن جاورت امرأة اسمها برايدي مرفي، وأن لها عدد من الأقارب الذين يسكنون أيرلندا، فاختلطت عليها الذكريات وأساءت تفسيرها. هذا إذا افترضنا أن ذلك لم يكن أمراً متعمداً.
فالمقصود: أن ذاكرة الإنسان قد تختزن معلومات قد لا يذكر تجربته معها، وإنما بقي في ذهنه أجزاء منها.
انـظـر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 67, and The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly 97.

ولا توجد طريقة معتمدة للتمييز بين الذكريات المبتورة وبين التخيل. إلا أنه في كلتا الحالتين لا مكان لنسبة تلك الصور إلى حياة سابقة.

إن مثل هذا النوع من العلاج لا يجوز استخدامه ـ بلا شك ـ لأسباب شرعية ظاهرة تتلخص في تكفير القائلين بالتناسخ، كما يمنع لأسباب مادية كذلك[١]، ترجع إلى الأضرار الصحية المحتملة، والتي يذكرها بعض المختصين، منها:

- احتمال تردي حالة المريض حيث يفقد صلته بالواقع أكثر من ذي قبل.
- التسبب في الأخطاء التشخيصية، بسبب إغفال الطبيعة المعقدة للعقل البشري والاكتفاء بتفسيرات ساذجة[٢].

وممن روج للعلاج بالعودة إلى الحياة السابقة في العالم العربي والإسلامي الكاتب والمدرب الكويتي: وليد الرجيب[٣]. يذكر الرجيب في موقعه ـ بعد أن تحدث عن تناسخ الأرواح واستنكار الناس لكل جديد[٤] ـ ما يلي:

«. . . وأنا أعرف أن الناس سيعتادون على موضوع الحياة السابقة، والدليل هذا الإقبال الكبير على جلسات العودة للماضي، بل أن كثير من الناس أخذوا جلسات خارج الكويت، ويعرفون هذا الأمر جيداً، إذاً ليس مهماً أن تؤمن بهذا الأمر، لكن نتائجه العلاجية باهرة.

---

(١) وذلك أن بعض المعالجين الغربيين قد لا يعتقدون بتناسخ الأرواح، ولكنهم رأوا أن هذه الطريقة قد تجدي مع بعض المرضى فاستخدموها من هذا الباب، مع علمهم أن ما يراه المريض هو من خياله أو ذكريات سابقة. غير أن هذا لا يمكن أن يبرر للمعالج المسلم، لا سيما وأن ضرره يشمل الدين والبدن.

(٢) انظر: Theater of Disorder-Brant Wenegrat: 68.

حيث قد يفسر الخوف من الأماكن المرتفعة بأن المريض سقط من مكان مرتفع في حياة سابقة، والوسواس بسبب المرض أو فقدان حبيب في حياة سابقة. . . وهكذا.

(٣) وليد الرجيب: هو استشاري نفسي واجتماعي، من سكان الكويت. ممارس ريكي، ومدير عام مركز الرجيب للاستشارات النفسية والاجتماعية. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة الكونية ريكي، وعلم وفن التنويم.

تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: من هو www.alrujaibcenter.com

(٤) وقد استنكر هذا النوع من التنويم صلاح الراشد في كتابه دليل مستخدمي التنويم باعتباره مخالفاً للعقيدة الإسلامية.

انظر: دليل مستخدمي التنويم: صلاح الراشد ص٤٩.

تشير الكثير من الدراسات[١] على وجود حيوات ماضية، وعلى إمكانية الرجوع لها كذاكرة، إذ أن الإنسان يحمل معه أرث بدني ونفسي وذهني[٢] من حياته السابقة. وبعد أن كانت العلوم الشرقية تعتمد على الطاقة والتأمل والتدريب للوصول إلى الحياة الماضية، بدأ المعالجون بالتنويم في العصر الحديث استخدام العودة للحياة الماضية لعلاج الأمور التي لا يمكن حلها في الحياة الحالية، فمثلاً: كثير من حالات الفوبيا (الخوف الشديد) تعالج بحلها بالحياة السابقة، مثل: يمكن أن يكون الخوف من الماء سببه موت الشخص غرقاً، ففي الحياة السابقة وجد المعالجون حلول[٣] وتفسيرات يصعب تفسيرها في حياة الشخص الحالية، بل سجل المتعاملون مع الروحانيات أفلاماً وتسجيلات صوتية تثبت هذه الإمكانية، وهناك الكثير من القصص المعروفة لدى العلماء حول هذا الأمر، ومدونة في كتب هامة... وأنا أيضاً استخدمت هذه الطريقة للعلاج، كانت المشكلة الوحيدة بمن يرضى بهذه الطريقة إذا كان التنويم يلقى استنكاراً حتى الآن، لكنني كنت سعيداً عندما رضي أحد المتزمتين دينياً أن أستخدم معه هذه الطريقة، وكان سعيداً بأن تخلص من مشكلته»[٤] (!)

نموذج لدورة يقيمها مركز الرجيب في العودة إلى الحياة السابقة:

- «ورشة العودة للحياة السابقة.
- المدة: ساعتين[٥].
- ماذا تتعلم؟

١ ـ اعرف من كنت في الحياة السابقة أو الحيوات التي سبقتها.

٢ ـ عالج المشكلات النفسية والبدنية الموروثة من الحياة السابقة.

---

(١) سبقت الإشارة إلى تلك الدراسات الخالية من أية دلالة في الباب الثاني، ثم كيف يستدل المسلم بدراسة ـ أيّاً كانت ـ على ما يتعارض مع صريح الكتاب والسُّنَّة وينقض أصلاً من أصول الدين المعلومة منه بالضرورة؟!

(٢) كذا في الأصل، والصحيح: إرثاً بدنياً، ونفسياً، وذهنياً.

(٣) حلولاً.

(٤) تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب: www.alrujaibcenter.com

(٥) كذا في الأصل، والصحيح: ساعتان.

٣ ـ جد تفسيراً لمشاعرك وأحاسيسك التي لم تجد لها تفسيراً.

٤ ـ اكتشف معنى العلامات البدنية، مثل الوحمة، وغيرها.

٥ ـ ليس للأمر علاقة بمعتقداتك أو مبادئك.

٦ ـ رحلة ممتعة، ونتائج علاجية باهرة»[١].

نسأل الله أن يثبتنا على الحق، ويهدينا وإياهم سواء السبيل.

(١) تصفح الموقع الرسمي لمركز الرجيب للاستشارات النفسية والاجتماعية: ورشة العودة للحياة السابقة، استعراض الدورات التخصصية www.larujaibcenter.com

المبحث الثالث

علم النفس الــ ما ورائي (الباراسيكولوجي)
(Parapsychology)

لقد سنَّ الله للعالم الذي يعايشه الإنسان سنناً وقوانين كونية لا تكاد تتخلف، وربط ﷻ الأسباب بمسبباتها بروابط مطَّردة، ولكنه أراد لهذه السنن أن تُخرق في حالات نادرة، لحِكم يقدرها سبحانه. فمن الخوارق ما يُنسب إلى الله ﷻ ومنها ما يُنسب إلى الشيطان[1]، ومنها أمور يظن الشاهد أن فيها خرقاً للعادة، وليس الأمر كذلك، بل هي توظيف للسنن الكونية بطرق غير مألوفة.

إن الخوارق ـ بلا شك ـ مما يثير اهتمام الإنسان وفضوله، إن قُدِّر له رؤية شيء منها أو السماع عنه، ولكن دراسة تلك الظواهر وفق منهج تجريبي حديث لم يوجد إلا في العصور المتأخرة. ففي عصر ما قبل النهضة بالغرب، لم تخضع

(١) وهذا فقط من حيث النسبة لما في الخارق من الشر، وإلا فإنه ليس في الكون حادث يحدث دون إذن الله ﷻ وقد قال تعالى في السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الظواهر الطبيعية لدراسة منهجية دقيقة ـ فضلاً عن الظواهر الخارقة، ومع مجيء عصر النهضة العلمية بدأت تتشكل مناهج منظمة لدراسة الظواهر الطبيعية[(١)].

وبعد مدة من الزمن، في القرن التاسع عشر على وجه التحديد، أبدى بعض المنتسبين إلى العلوم التجريبية اهتماماً بمسألة الخوارق، خاصة مع ظهور مزاعم القائلين بأن التنويم الإيحائي قد يؤدي إلى آثار خارقة للعادة، ومع انتشار ما يُسمى بالوساطة الروحية، وغيرها من الظواهر الغامضة. وعندئذ اعتبرت دراسة الخوارق البشرية فرعاً ـ غير شرعي ـ للعلوم النفسية، وأطلق عليها علم الباراسيكولوجي، أو علم النفس الـ ما ورائي، وأنشئت جمعية البحث في الظواهر النفسية الخارقة في (Society for Psychical Research) بريطانيا عام ١٨٨٢م، وهي إحدى أوائل المؤسسات التي أولت اهتماماً بالباراسيكولوجي، ثم لحقتها تجمعات مشابهة في الولايات المتحدة الأميركية[(٢)].

يتكون مصطلح الباراسيكونوجي لغوياً من مقطعين: الأول هو «البارا»، ويعني بالقرب من أو بجوار، و«سيكولوجي» وتعني علم النفس. فإذا أردنا ترجمة المركب حرفياً كان المعنى: ما يجاور علم النفس[(٣)]، غير أن الأقرب ترجمته بما وراء علم النفس[(٤)]، ولم يشتهر استخدام أي منهما وإنما استخدم اللفظ المعرب، وهو ما سأستخدمه في هذا المبحث تفادياً لأي لبس.

يهتم الباراسيكولوجي بدراسة القدرات النفسية الخارقة التي لا يظهر لها تفسير مادي، ولذلك يسمى أحياناً: علم النفس الغيبي. إلا أنه لا بد من التمييز بين من يزعم هذه القدرات الخارقة وبين من يسعى لدراستها (Parapsychologist)، فالأول هو محل دراسة الثاني وبحثه[(٥)].

وقد عُرِّف الباراسيكولوجي بأنه: «علم يدرس الظاهرات الغريبة المستغلقة

(١) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١١، والباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص٢٥ ـ ٣١.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١٢ ـ ١٣، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٤، والباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص١٥.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص٣٢.

(٤) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١١.

(٥) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٤، ١٧.

على الفهم والخارقة للطبيعة. . . وغير المألوفة، والـ لا معقولة أحياناً، ويحاول أن يجد لها التفسير العلمي والفكري المناسب»[١]. ورغم نسبته إلى العلوم النفسية[٢]، إلا أن الأولى والأصح ـ بالنظر إلى موضوعه ـ نسبته إلى العلوم الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) لا إلى علم النفس.

يختلف تقبل الباراسيكولوجي كعلم من ثقافة لأخرى، بناء على الاعتقاد بصحة وجود الظواهر الخارقة، والجدوى من دراستها من عدمه. أما في الغرب، فالغالبية العظمى من العلماء التجريبيين لا يعتبرون الباراسيكولوجي من العلوم المعتبرة، وكثيراً ما يشككون في مصداقيتها[٣]. وقد اختتم ـ في عام ١٩٨٨م تقرير الأكاديمية الوطنية الأميركية للعلوم (U.S National Academy of Sciences: ANS) بأنه: «لم يظهر من خلال البحث الذي أجري على مدى ١٣٠ سنة مسوغ للاعتقاد بوجود أية ظواهر باراسيكولوجية»[٤]. ولا تعود دراسة الباراسيكولوجي ـ في نظري ـ بأي منفعة دينية أو دنيوية سوى هدر الأموال والأوقات، رغم التسليم شرعاً بوجود بعض أنواع الخوارق على الحقيقة. فإن موضوع بحث الباراسيكولوجي هو الظاهرة الخارقة للعادة، وبعد ثبوتها يسعى إلى تفسيرها وكشف أسرارها. غير أن ذلك لم يتحقق خلال ما يزيد على مائة عام، ولعل السبب في ذلك راجع على أمرين:

الأول: أن جُل ما يظهر أنه خارق للعادة ليس كذلك، بل هو مركب من

---

(١) الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي: ٣٢، وانظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص١٥.

(٢) ويصنفه كثير من العلماء على أنه من العلوم الزائفة (Pseudo-Science)، وهو لفظ يطلق على المعتقدات الخرافية ـ عادة ـ إذا قدمت للناس باستخدام مصطلحات العلوم التجريبية.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص٣٤، ٤٨.
وقد تكون أكثر البلدان تقبلاً لظواهر الباراسيكولوجي هي: روسيا، وقد أخضعت بعضها لدراسات «علمية» زعموا أنها تخطتها غير أنه لم يمكن محاكاتها في المختبرات الغربية. وقد أرجع بعض الباحثين ذلك التفاوت ـ خاصة في زمن الحرب الباردة ـ كان فيها التنافس بينها وبين الولايات المتحدة في مجالات متعددة، ربما ارتأى الروس أن يتفوقوا على الأمريكان في مجال الباراسيكولوجي، وإثبات أن لديهم قدرات خارقة لا يستطيعها عموم البشر.

(٤) Enhancing Human Performance-Druckman & Swets: 22.

حيل، وأوهام، وخدع نسية، أو بصرية. وهو ما سأعرج عليه لاحقاً.

الثاني: أن ما كان خارقاً للعادة على الحقيقة ـ وإن كان يشاهد في الواقع أحياناً ـ لا يخضع لقوانين الحس، وكيفية حصوله من أمر الغيب، ومعلوم أن الأمور الغيبية لا يمكن أن تقاس بالوسائل الحسية المادية، إذ لو أمكن ذلك لانتقل الغيب إلى الشهادة، ولم يكن في امتداح المؤمن بالغيب ـ الذي يفصل بين الإيمان والإلحاد ـ مزيَّة. ثم إن ما أمكن تفسيره، وظهرت أسبابه، أمكنت محاكاته، وما أمكنت محاكاته لم يكن خارقاً للعادة.

ولذلك فإن موضوع البحث الباراسيكولوجي لا يخرج عن احتمالات ثلاثة: أن يكون خدعة أو حيلة: فلا يعتبر خارقاً أصلاً. وأن يكون قابلاً للتفسير حسب القوانين الفيزيائية، أو الكيميائية، أو غيرها: فإنه يتفق مع العادة الكونية، ولا يعد خارقاً بل يُرجع إلى العلم الذي يختص به. أو أن يكون خارقاً حقاً: فهذا ـ مع ندرة حصوله ـ مما لا يمكن دراسته ولا تفسيره؛ إذ هو من الأمور الغيبية التي لا تنطبق عليها سنن عالم الشهادة. وبذلك يبطل هذا العلم من أساسه.

وعلى أية حال، فإن الباراسيكولوجي علم قائم له أنصار ومؤسسات، في العالم الغربي، والشرقي، والعربي على حد سواء. وقد وَجدَت فيه حركة «العصر الجديد» مرادها، حيث إن الحركة التي تُبشِّر بألوهية النفس البشرية، تَنسِبُ إليها ـ بلا شك ـ قدرات فوق طبيعية[1]، وهي بذلك تجعل الخوارق في متناول كل أحد، شريطة أن يكتشف قدراته الكامنة، أو قواه الخفية، و«يدرك» حقيقته الإلٰهية.

وإني ـ في هذا المبحث ـ لا أزعم أن كل من صحح علم الباراسيكولوجي، أو انتسب إليه، يكون معتقداً بتأليه الذات، ووحدة الوجود ولا بد، بل منهم من يعتمد على تفسيرات مغايرة لذلك كلياً[2]، ولكن المقصود: أن هذا العلم الزائف الذي ينتسب إلى علم النفس، ويستخدم الألفاظ والمصطلحات العلمية، قد وُظف في تمرير عقائد حركة «العصر الجديد»، وجُعِلَ «حجة» يَحتج

---

(١) وبناء على مثل هذه المعتقدات ربطت الباراسيكولوجي بالخوارق عند دراويش التصوف. انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص٥.

(٢) لم يثبت شيء منها ـ حتى يومنا ـ وفق معايير المنهج العلمي الحديث، ولا يتفق أي منها مع أصول الشرع ومقاصده.

بها أتباع الحركة في محاولة إثباتهم الفلسفة الباطنية من خلال ما يعتبرونه علماً.

«إن أية دراسة للبراسيكلوجيا، وظواهرها المتنوعة، لا بد أن تتطرق إلى مفهوم «الوعي» الإنساني، ودلالاته، وخصائصه المختلفة، ويعود هذا إلى إجماع الباراسيكولوجيين على أن حدوث معظم الظواهر الباراسيكولوجية يكون عادة مرتبط[1] بشكل وثيق بحالة وعي شخص أو أشخاص معينين من ذوي الصلة بالظاهرة؛ أي أن الظاهرة الخارقة هي نتاج لتفاعلات معينة للوعي البشري مع العالم الخارجي. ويعتقد الباحثون بأن معظم التأثيرات الباراسيكولوجية للوعي تأتي من خلال ما يعرف بحالات الوعي المتغايرة»[2]. ومن خلال مفهوم الوعي أصبحت ظواهر الباراسيكولوجي من أبرز سمات حركة «العصر الجديد».

تتناول الباراسيكولوجي موضوعات متعددة لا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، ولذلك سأقتصر فيها على ما كثر استخدامه بناء على فلسفة «العصر الجديد» وفسر وفقاً لمعتقداتهم. ومن ذلك ما يلي:

- التخاطر، وقراءة الأفكار.
- الشعور بما يحدث عن بعد.
- التأثير في المادة وتحريكها عن بعد.
- جلب الأشياء البعيدة، وإيجاد المادة من العدم.
- التكهن بالمستقبل ومعرفة الماضي من خلال لمس الأشياء، أو دونه.
- التغلب على قوى الطبيعة والقوانين الكونية[3].

وإذا تأمل المنصف هذه القدرات «الخارقة»، علم أنه لم يعد للرب ـ عند القوم ـ خصيصة، فعلم غيب الحاضر، والماضي، والمستقبل رهن إرادة الإنسان، والتأثير في المادة طوع مشيئته المجردة، بل إنه قادر على إيجاد المخلوقات من العدم! لقد أصبحت الربوبية التي فُطر الإنسان على إفراد الله بها، وأجمع عليه عقلاء البشرية، محل مشاركة لا انفراد.

---

(١) الصحيح: مرتبطاً.

(٢) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال نصار حسين ص٩٤.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص١٧ ـ ١٩.

وإليك تفصيل أبرز تلك الخوارق المدعاة:

(١) التخاطر (Telepathy):

التخاطر مصطلح يراد به: «انتقال أفكار وصور عقلية بين كائنات حية دون الاستعانة بأية حاسة من الحواس الخمس»[١]، أو أي من وسائل الاتصال الحسية[٢]. وبتعبير آخر أكثر صراحة: معرفة ما في الصدور.

ليس للتخاطر ـ عند من يعتقد به ـ حد، والتواصل من خلاله لا تؤثر فيه الحواجز ولا المسافات، فالقريب والبعيد سواء، ولا فرق بين من هو في قعر البحر، أو من هو على قمم الجبال. ويمكن ـ بزعمهم ـ التخاطر مع من هو في داخل حجرة «فرادي»[٣]، والتي صممت لتمنع تسرب أي إشعاع، أو تيار إلى داخلها[٤].

يعد التخاطر من أكثر الدعاوى الباراسيكولوجية انتشاراً، فكثيراً ما يتحدث الناس عن توارد الأفكار، أو التفكير في ذات الشيء في الوقت نفسه، ولكنهم لا يعيدون الأمر إلى الصدفة، أو الاتفاق، بل يبحثون عن تفسيرات غامضة لمثل هذه الظواهر التي لا يعدو كثير منها كونه مجرد دعوى. وتكثر القصص المروية في ذلك، بلا سند، ولا رجال[٥]. فلو أن رجلاً ما وقع في حفرة، وأحس آخر بدافع يدفعه إلى ذلك المكان، لجُعل ذلك من باب التخاطر، واستُدل به على صحة تلك المزاعم[٦]. ولا يحال ذلك إلى قدر الله الذي لم يرد للأول الموت فساق إليه من يجده وينقذه. أو إلى إجابة دعوة المضطر التي يجاب فيها المؤمن والكافر، أو غير ذلك من الأسباب.

---

(١) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١٦، ص١٨، والباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص٩٩، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 187.

(٢) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٧.

(٣) حجرة فارادي: وتسمى أحياناً قفص فارادي، هي غرفة مصنوعة بطريقة دقيقة، يمكن أن يجري بداخلها اختبارات كهربائية عالية الحساسية دون تأثير الحقول الخارجية.
انظر: Encyclopedic Dictionary of Physics-Thewlis & others 2/70.

(٤) انظر: التخاطر: روجيه الخوري ص١٥٤.

(٥) انظر: القدرات الخفية: مارك أوريف ص٣٠ ـ ٣٧.

(٦) انظر: التخاطر عن بعد والاستبصار: غاي ليون ص٣٧.

ولما كان التخاطر دعوى لا تخضع لتجربة منضبطة قابلة للإعادة، وليس له نظرية توضحه، أو كيفية يمكن تحديدها، اختلف أنصار التخاطر في تفسير هذه الظاهرة الغريبة التي ادعوا وجودها على أقوال متعددة، فردَّ التخاطر إلى العقل الباطن أحياناً، وإلى العقل الظاهر أحياناً أخرى[١]، إلا أن التفسير الذي ارتضته حركة «العصر الجديد» هو ذلك الذي يُرجع التخاطر إلى طاقة غامضة كتلك التي تُذكر في فلسفة الشرق الباطنية[٢].

لقد تحدثت آلِس بيلي عن التخاطر في كتابها «التخاطر والمركبة الأثيرية» موضحة علاقة التخاطر بالمعتقدات الباطنية للثيوصوفي، والتي تتبناها حركة «العصر الجديد»، حيث قالت: «عند تناول موضوع التخاطر، لا بد أن نستحضر بعناية أن الجسم الأثيري لكل شكل في الطبيعة هو جزء متكامل من الشكل الجوهري للإله نفسه ـ ليس الشكل المادي الكثيف، ولكن الشكل الذي يعده الأيزوتيريون، المادة المكونة للأشكال. نستخدم لفظ «الإله» للتعبير عن الحياة الواحدة التي تحيا بها جميع الأشكال التي تقطن المستوى الموضوعي الخارجي، ولذلك فإن الجسم الطاقي ـ أو الأثيري ـ لكل إنسان هو جزء من الجسم الأثيري للكوكب نفسه، وهكذا من المجموعة الشمسية كذلك. وفي هذا المحيط يعتبر كل إنسان على صلة بكل ما سواه من صور الحياة الإلٰهية، صغرت أو عظمت»[٣]. فإن التواصل بين الكائنات ـ باعتقاد بيلي ـ هو بسبب كونها جميعاً أجزاء من الوجود الكلي، أو «الإله»، فكأن الإنسان عندما يتواصل مع غيره يتواصل مع ذاته، ولذلك فإن التخاطر يكون ممكناً عند إدراك هذه الوحدة[٤]. فالاعتقاد بالتخاطر نابع من الاعتقاد بوحدة الوجود[٥]. وقد استخدمت أنواع من

---

(١) انظر: التخاطر: روجيه الخوري ص١٢٦ ـ ١٣٠.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص٥٣.

(٣) Telepathy and the Etheric Vehicle-Alice Baily: 2.

(٤) Telepathy and the Etheric Vehicle-Alice Baily: (3-5).

(٥) انظر: Awakening our Psychic Powers-Thomas Casey: 22.

وذلك أن الكون كله عند القائلين بوحدة الوجود في حركة «العصر الجديد»: وعي، ومن خلال الاتصال بالوعي الكلي يمكن للإنسان إرسال أفكاره لأي إنسان كان، أو قراءة أفكار أي إنسان؛ لأن الوعي الكوني يعمل كسجل للوعي الفردي.

التخاطر من قبل مؤسسي فندهورن للاسترشاد حول قضايا المؤسسة ومستجدات «العصر الجديد»[١].

لقد تم اختبار مدعي القدرة على التخاطر مراراً في أجواء محكمة، ومع ذلك لم ينجح أحد منهم في تجاوز عدد الإصابات التي تجيزها الصدفة[٢]. ومن أشهر الأساليب المستخدمة في اختبار التخاطر وغيره من الظواهر الباراسيكولوجية ما يُعرف ببطاقات «زينر» (Zener Cards)، وهي عبارة عن خمس وعشرين بطاقة، رُسمت عليها خمسة أشكال، ينظر شخص ما إلى واحدة منها، بينما يحاول المدعي معرفة الصورة من خلال قراءة أفكار ذلك الذي ينظر إليها. وهذا الاختبار - كغيره من اختبارات الباراسيكولوجي - لا بد أن يجري بدقة فائقة؛ ليتم استبعاد أي محاولة للغش، أو التلاعب[٣].


بطاقات زينر

ويتفق الناقدون وبعض المؤمنين بالتخاطر على أن كثير من دعاوى قراءة الأفكار وتواردها يمكن إرجاعه - في الواقع - إلى ما يُعرف بـ«القراءة الباردة» أو (Cold Reading)[٤].

---

(١) انظر: Children of the New Age-Sutcliffe: 64.

(٢) انظر: Telepathic Group Communication of Emotions as a Function od Belief in Telepathy-Jan Dalkuist, Science Religion & Naturalism-William Drees: 242.

(٣) انظر: A Skeptics Handbook to Parapsychology-Paul Kurtz: 106, and The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly: 136.

(٤) انظر: Criticism and Controversy in Parapsychology: An Overview-Eberhard Bauer, European Journal of Parapsychology, vol: 5: 141-166, and Testing Alleged Mediumship: Methods and Results-Richard Wiseman, British Journal of Psychology, vol: 96: 165.

القراءة الباردة هي: مجموعة من الأساليب التي يستخدمها الممارس ليظهر أن لديه معلومات تفصيلية عن الشخص الآخر، من أجل إقناعه أنه يعرف عنه أكثر مما يعرفه في الواقع. فهم يوظفون التخمين عالي التوقع، ويستدلون بقرائن ظاهرة على معلومات خافية، حتى يظن الناس أن لهم طرق خفية في معرفة الغيب، كالتخاطر، أو التواصل مع الأرواح ونحو ذلك، وليس الواقع سوى تخمين محترف!

أما القراءة الحارة (Hot Reading) فهي تحصيل معلومات حقيقية عن الشخص بشكل سري، وإخبار الشخص عنها ليظهر القارئ وكأنه يعلم الغيب.

انظر: The Full Facts Book of Cold Reading.

ومع تكرار فشل التخاطر في التجارب المخبرية، لا يزال بعضهم يسعى جاهداً في ربطه بالعلوم التجريبية، فيقارن التخاطر ـ مثلاً ـ بالظواهر الطبيعية التي قد يجهل الإنسان، الأسباب الكامنة وراء سلوكها، كالكهرباء[1]، متجاهلاً الفروق الواضحة بين الظاهرتين، فالكهرباء ـ خلافاً للتخاطر ـ تخضع لنوع من الحس، ويمكن أن تقاس بالمقاييس المادية، كما أن سلوكها متوقع وقابل للتنبؤ، وهو ما لا ينطبق بأية حال على ظاهرة التخاطر.

إن أولئك الذين يؤمنون بأن التخاطر حق واقع، قد يؤيدون ما يذهبون إليه بتجاربهم الشخصية، والتي ربما تكون صادقة في بعض الأحيان، ولكن الخطأ يكمن في تفسيرها، حيث جعلوا تلك التجارب من نوع الظواهر الباراسيكولوجية. والذي يؤكد عليه عدد من العلماء أن «الأفكار» التي ترد إلى عقل الإنسان ويظنها واردة إليه من غيره، هي في كثير من الأحيان أفكاره هو. وقد يكون ذلك من أعراض مرض كالفصام يحتاج إلى العناية الطبية، ويمكن زوالها بتناول العقاقير المناسبة. وهؤلاء ـ أصحاب التجارب الصادقة ـ هم أكثر الناس عرضة للتصديق بخرافات الباراسيكولوجي[2].

ولو تأمل الإنسان نصوص الشريعة لعلم ـ حتماً ـ أن معرفة ما في صدور الناس يقيناً دون قرينة أمرٌ محال، بل إن الله ﷻ اختص نفسه بالاطلاع على ما في الصدور في غير آية من القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣، ١٤]، مبيناً ﷻ أنه خالق كل شيء فلا يخفى عليه من أمر خلقه شيء، ولو كان الإنسان بإمكانه معرفة ظاهر الأمر وباطنه لما كان لتخصيص ذلك في حق الخالق معنى. ومما يدل على أن ما في قلوب البشر من أمر الغيب قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. قال الطبري رحمه الله: «ما كان الله ليدع المؤمنين ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من التباس المؤمن منكم

(١) انظر: التخاطر عن بعد والاستبصار: غاي ليون ص٦٤.

(٢) انظر: Telepathy in Mental Illness: Deluge or delusion - Bruce Grayson-Journal of Nervous and Mental Disease, Vol. 165 (3), Sep 1977: 184-200.

بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يعني بذلك: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾ وهو المنافق المستسرُّ للكفر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما ميَّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم»[(١)].

ثم إن معرفة ما يخبئه الإنسان في صدره مناف للضعف الذي خلق الله عليه البشر، قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**»[(٢)]، فإذا كان خير البشر إطلاقاً ينفي قدرته على قراءة الأفكار، ومعرفة خبايا الصدور، فغيره ـ ممن هم دونه في الكرامة ـ أولى. ثم أنه لا يُتصور أن يعدل رسول الله ﷺ إلى حكم قد يكون فيه ظلم لأحد الخصمين، أو تضييعاً لحقه، مع وجود وسيلة بشرية تدله على موضع الحق. قال **القاضي عياض** في هذا الحديث: «وتجرى أحكامه ﷺ على الظاهر، ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده، ومخبآت ضمائر أمته» إلى أن قال: «وكل ذلك من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول، فيعلمه منه ما شاء، ويستأثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته، ولا يفصم عروة من عصمته»[(٣)]. «وخفي عليه ﷺ حال أهل الإفك حتى جاءه الخبر من الله، ويخفى عليه ﷺ أمور كثيرة يطول عدها، حتى يأتيه الوحي بخبرها»[(٤)].

وهذا العلم لا يمكن أن يتأتى أصلاً، ولا حتى بالاستعانة بالجن، فإن الجن لا يعلمون الغيب كذلك، ولا يمكنهم الاطلاع على ما في الصدور، وقد ثبت ذلك في قصتهم مع موت سليمان ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

---

(١) جامع البيان: الطبري ٧/ ٤٢٤.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٦٩، كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم، برقم (٧١٦٨)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٣٧، كتاب: الحدود، باب: ٣، برقم (١٧١٣).
(٣) الشفا: القاضي عياض ٢/ ١٨٧.
(٤) تأسيس التقديس: عبد الله أبا بطين ص٣٠.

ومع ذلك، فإنه يروج للتخاطر في دورات تدريبية تشرح للمتدرب معناها وتعطيه تدريبات عملية تساعده على تنمية هذه «الموهبة»، يُقام بعضها في عدد من الدول العربية والإسلامية[١].

(٢) الاستبصار (Clairvoyance):

الاستبصار هو معرفة ـ أو رؤية ـ أمر غائب عن الرائي مما لا تعلق له بأفكار غيره، كالأحداث البعيدة، أو الأشياء المادية المفقودة، أو المخبأة، بالحدس المجرد، دون الاستعانة بأي من الحواس، أو أي وسيلة اتصال حسية بالغائب[٢]. فيرسم صوراً أو يقول جملاً وعبارات تصف ذلك الغائب الذي رآه.

يعتمد الاستبصار في صورته الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد» على المعرفة الغنوصية المستمدة من الوعي الكلي، أو سجلات أكاشا. وهي تتحصل من خلال الطرق المعهودة في تلك التوجهات بدءاً بالتأمل الباطني، وفتح الـ شاكرات وانتهاء بالنشوة، أو الفناء. وقد يستعين مدعي الاستبصار على إيجاد حاجته بالإمساك بشيء من ممتلكات الغائب، أو لمسها، أو بمس شخصاً له تعلق بالغائب أحياناً[٣].

---

(١) ممن يقيم دورات التخاطر في العالم العربي: د. سامي الأنصاري: وعنوانها «دورة التخاطر» بإشراف البورد الإلكتروني للتدريب www.ebfet.org وتتضمن: ١ ـ البعد النفسي للتخاطر. ٢ ـ البعد البدني للتخاطر. ٣ ـ البعد الفيزيائي للتخاطر. ٤ ـ تمارين على التخاطر. ٥ ـ ربط التخاطر بالطبيعة. ٦ ـ كيفية عمل التخاطر. ٧ ـ علاقة التخاطر بالروح.

د. محمد هدب: يعطي دورة (دبلوم في الباراسيكولوجي)، وتتضمن: علم التخاطر، الاستبصار والرؤية عن بعد، تمارين زيادة القدرات فوق حسية، تقوية الحاسة السادسة، الهالة وتحليل ألوانها، تحريك الجمادات والأشياء عن بعد، الأصوات المعدنية والرسائل من العالم الآخر.

د. يوسف البدر: وعنوانها «علم التخاطر عن بعد»، وتتضمن: ما هو التخاطر عن بعد، أنواع التخاطر عن بعد، الشعور بعواطف الآخرين ما بين الشك واليقين، تبادل المعلومات مع الآخرين بدون الحواس الخمس. (في مركز الراشد).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري: ١٠١، والقدرات الخفية: مارك أوريف: ٨٠، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى: ١٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (187-188).

(٣) انظر: القدرات الخفية: مارك أريف: ٨٢، و An Overview of the New Age Movement-Reck: 64, and The New Age Cult-Martin: 125.

ولا شك أن هذه الدعوى تخالف صريح العقل والنقل، فإن مطابقة ما يذكره المستبصر بالواقع الغائب يخضع ـ في كثير من الأحيان ـ لنظرة المتلقي النسبية، حيث يمكنه تفسير العبارات العامة، أو الرسومات المبهمة لتتفق مع ذلك الغائب، وهذا أمر مشاهد. ولم يوجد على مر التاريخ من أصاب في وصف رؤيته للغائب في كل مرة، أو على الأقل في أكثر الأحيان[١]. والمحاولات الفاشلة في إثبات وجود الاستبصار جارية منذ منتصف القرن التاسع عشر[٢].

أما مخالفة الاستبصار للشرع فمن وجهين، **الوجه الأول**: من جهة المعتقدات الباطنية التي ينبني عليها، وقد سبق الحديث عنها في الباب الثاني، **والوجه الثاني**: من جهة مخالفته لأصول الإيمان بالغيب.

إن في الاستبصار ـ وكذلك التخاطر ـ ادعاءً ظاهراً لعلم الغيب، وهو ضرب من ضروب العرافة، إذ لا وسيلة مادية يستدل بها المستبصر على معرفة الغائب، وإنما يعتمد في ذلك على التخرص والحدس دون النظر في القرائن الحسية[٣]. قال البغوي رحمه الله: «العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة ونحو ذلك»[٤]. وقال ابن قدامة[٥]: «والعراف الذي يحدس ويتخرص»[٦]. «والفرق بين العراف والكاهن، أن الكاهن

---

(١) انظر: A Skeptic's Handbook of Parapsychology-Paul Kurtz: (101-103).

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Faivre & Needleman: 83.

(٣) وقد طرح السؤال التالي على اللجنة الدائمة للإفتاء: «أحياناً نفقد بعض المال، أو الذهب من المنزل، ونعتقد أنه سُرق، ونذهب لأحد الأشخاص ويعرف بالمخبر، ونشرح له ذلك، ويوعدنا خيراً، وأحياناً نسترجع المفقود، وأحياناً لا، فما حكم ذهابنا لهؤلاء الأشخاص؟» فكان الجواب: «لا يجوز ذهابكم إليه لأنه كاهن، وقد صح عن النبي ﷺ النهي عن إتيان الكهان، ونحوهم، وسؤالهم، وتصديقهم».
فتاوى اللجنة الدائمة ١/٦٠٧ برقم (٦٥٠٥).

(٤) شرح السُّنَّة: البغوي ١٢/١٨٢.

(٥) ابن قدامة: هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الحنبلي. أبو محمد موفق الدين. ولد عام ٥٤١هـ. كان من أئمة الفقه، والعلم، والحديث. له مصنفات كثيرة، منها: المغني، وروضة الناظر، والكافي وغيرها. توفي عام ٦٢٠هـ.
انظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ١٥/٢١٢، برقم (٧٦٤)، والبداية والنهاية: ابن كثير ٩/٤٧ ـ ٥٠، والأعلام: الزركلي ٤/٦٧.

(٦) المغني: ابن قدامة ٩/٣٢.

إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما»[١].

بل ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من ادَّعى معرفة أماكن المسروقات وما شابهها، أو ادَّعى إخبار الجن له بذلك، قال ابن نجيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض بيانه المكفّرات: «وبقوله: أنا أعلم المسروقات، بقوله: أنا أخبر عن إخبار الجن إيَّاي»[٢]. وإنما يكفر بقوله: أنا أخبر عن إخبار الجن إياي؛ لأن الجن كالإنس لا يعلمون الغيب[٣]. وقد قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وأكد انفراده تَعَالَى بعلم الغيب بنفيه عن خير الخلق ﷺ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

ولا يمكن استبعاد كون الاستبصار نوعاً من ادعاء علم الغيب بحجة أنه يعتمد على خواص بشرية مجهولة قد لا يعرفها الناس اليوم، فإن العلم بوجود الشيء لا يتحقق إلا بالأسباب الكونية أو بالأسباب الشرعية، وهذه «الخواص» لا دليل عليها من الحس، ولا من الشرع، بل الشرع يدل على بطلانها. ولو فُتح هذا الباب لوقع المسلمون في أنواع من الشرك بحجة جهل الناس بالأسباب.

ثم إن الأمر يزداد خطورة عندما يُخلط بين الفلسفة والدين، وتفسر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وفق الفلسفات الباطنية أو نظريات الباراسيكولوجي. يقول صاحب كتاب حقائق وغرائب: «ومن أشهر حالات الاستبصار في تراثنا الإسلامي تحذير عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحد قواده في ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل[٤]. وكان الخليفة حينئذٍ يصلي بالناس في المدينة، وتلقى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ٢٢.

(٢) البحر الرائق: ابن نجيم ٥/ ١٣٠.

(٣) انظر: منحة الخالق «حاشية البحر الرائق» ٥/ ١٣٠.

(٤) عن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب بعث جيشاً، وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب الناس يوماً، قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمناهم، فإذا بصائح يصيح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٦٩، برقم (٣٥٥)، واللالكائي في شروح أصول السُّنَّة ٧/ ١٤٠٩، برقم (٢٥٣٧). وقد اختلف في ثبوتها لعمر رضي الله عنه.

القائد التحذير على بعد مئات الأميال وعمل بموجبه»[١].

«وكل من يذكر تعريف الكرامة وحدَّها يقول: هي خرق الله العادة لوليه، لحكمة ومصلحة تعود عليه، أو على غيره، وعلى هذا التعريف لا فعل للولي فيها ولا إرادة»[٢]، ولا تُفسر الكرامات بالتفسيرات المادية، فضلاً عن التفسيرات الفلسفية الخرافية.

(٣) التأثير في المادة عن بُعد (Psychokinesis):

يعد التأثير عن بعد من القدرات التي تدعي حركة «العصر الجديد» إمكانية تحقيقها[٣]، ويراد بهذا النوع من الخوارق الباراسيكولوجية التأثير على الأشياء المادية بقوة نفسية مجردة، كتحريكها، أو رفعها، أو إشعال النار بها. ويعتقد من يؤمن بها أنها قوة بدائية تكمن في الـ لا وعي، ولكن طمست مع التطور والتعليم[٤]. وتطبيقات التأثير عن بعد عادة ما تقتصر على التأثير في أجسام صغيرة، ويستلزم التأثير عليها ـ بزعمهم ـ جهداً ـ ذهنياً هائلاً، فالنتائج المرجوة من هذه التمارين لا تستحق الجهد الذي يدّعون بذله فيها.

ولعل من أشهر الذين ادَّعوا التأثير في المادة عن طريق العقل: الممارس اليهودي يري غلر[٥] (Uri Geller)، حيث ادَّعى قدرته على ليِّ المعادن القاسية

---

(١) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٨.

(٢) تحفة الطالب: عبد اللطيف آل الشيخ ص٧٣ ـ ٧٤.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 179, and An Overview of the New Age Movement-Reck: 69.

(٤) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي: ٥٩.

(٥) يري غلر: ولد في تل أبيب عام ١٩٤٦م، وادعى أنه وهب قدرات خارقة تشبه تلك التي أعطيها الأنبياء ﷺ، حيث يدعي أن مخلوقات فضائية هبطت عليه وهو في الحديقة وحده وعمره أربع سنوات تقريباً فوهبته إياها. فكانت موهبته التأثير على المادة بالفكر المجرد. أصبح بعدها يستعرض «قدراته» في النوادي اليهودية في فلسطين المحتلة، حتى بلغ النجومية العالمية، وانتقل إلى الولايات المتحدة، وأصبح الفيزيائيون يدرسون أعماله، وأطلقوا عليها «أثر غلر» The Geller Effect. لم يزل المتشككون الغربيون يهاجمونه، ويفضحون خدعه، حتى رضخ في السنوات الأخيرة فلم يعد يدعي أن ما يفعله ناتج عن قدرات خارقة، ولكن لا يزال بعض الناس يؤمن بذلك.

انظر: A Skeptics Handbook for Parapsychology-Paul Kurtz: (209-222).

(كملاعق الطعام والمفاتيح) بمجرد التركيز عليها[١]، ورغم استمرار فضح المتشككين لألاعيبه[٢] استمر غلر في ادعاء أن أفعاله ليست من قبيل الحيل، والخدع المسرحية، وإنما هي نتيجة قدراته الخارقة لمدة تزيد على الثلاثين عاماً، تبعه أثناءها كثير من علماء الباراسيكولوجي، واستدلوا بقدراته على ثبوتها، حتى كشف زيفه مؤخراً واعترف أنه لا يمتلك أي قدرات خارقة، وأنه رجل استعراض يريد تقديم عرض ممتع[٣].

وللتأثير في المادة عن بعد تطبيقات متنوعة، أبرزها ما يلي:

التحريك عن بعد (Telekinesis):

«يطلق على ظاهرة تحريك أجسام من دون لمسها بشكل مباشر باليد، أو بأحد أجزاء الجسم الأخرى، ولا باستخدام أية واسطة معروفة لنقل التأثير إلى الجسم، كالاستعانة بآلة ما، أو الهواء عن طريق النفخ.. إلخ. يشير الكثير من الباحثين إلى ظاهرة التحريك الخارق بما يعرف بالمصطلح الشهير: «العقل فوق المادة» (Mind Over Matter) من الواضح أن هذه التسمية تتضمن تفسيراً معيناً للظاهرة، وهي أنها عبارة عن تأثير للعقل على المادة من دون تدخل فيزيائي لأي جزء آخر من أجزاء الجسم»[٤]. ويرى بعضهم أن القدرة على تحريك الأشياء من مسافات بعيدة يكون عبر قوة خفية تنبع من عقل الإنسان الباطن، وقد يكون هذا التحريك بإرادة الإنسان، أو بغير إرادته أحياناً[٥]. تقول ممارسة التحريك عن بعد[٦] ـ وهي إحدى ممارسي الطاقة في السعودية، وممن يدعون القدرة على

---

(١) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٩.

(٢) انظر: قوى العقل الفيزيائية: روجيه الخوري ص١١٨ ـ ١٣٨.

(٣) Magische Welt Magazine, issue: November 2007.

(٤) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١٤، وانظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص١٩.

(٥) انظر: Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: 188.

(٦) التعليمات مكتوبة باسم مها هاشم، بالاسم الصريح كمستشارة في منتديات البرمجة اللغوية العصبية.

مها هاشم: هي مدربة في الطاقة، وأخصائية نفسية سعودية، هاجر أسلافها إلى روسيا، ثم إلى المملكة المتحدة حيث التحق جدها بالجيش البريطاني، ورحل إلى الهند، وهناك تزوج جدتها الهندية، تقول مها هاشم: «لحسن حظي علوم الطاقة متأصلة في أجدادي =

التحريك العقلي - في وصفها لخطوات تحصيل هذه القدرة الغريبة: «أغلق عيناك[١]. اشعر بالماء أمامك، اشعر بطاقته وادمجه بك. استشعر في مخيلتك الرابطة بينك والسائل. اشعر بنعومته، برودته. الآن حاول تقليد تلك المشاعر، مشاعر الماء، اشعر باتحادك مع الماء، أنت والماء واحد. بقدر ما تسيطر على طاقتك ستسيطر على الماء. افتح عيونك، انظر خلال السلطانية. أنت جزء منه، من الماء، وهو جزء منك، تذكّر علاقتك به، أعطه أمراً بالحركة بالضبط كما تعطي يدك أمراً بأن تتحرك، هذا سوف يدفع الماء للتحرك، فقط ركز طاقتك. سيبدأ الماء بالدوران في السلطانية، دائماً أعط أمراً بحركة قوية وسريعة، استمرّ في عمل هذا التمرين حتى ترى النتائج، لا تظن أن الأمر ضرب من الخيال، فقط ثق بي، لا تنسَ أن الشك سيجعل التمرين بلا فائدة»[٢]. ورغم أني أستبعد اعتقاد الممارِسَة بوحدة الوجود، ولا أعلم عنها ما يدل على هذا الاعتقاد، إلا أن عباراتها موهمة، لا سيما إذا قُرئت في مثل هذا السياق، قد توقع الناس في لبس من أمرهم، خاصة من لديه علم بالخلفية الفلسفية لتطبيقات حركة «العصر الجديد». أما حقيقة هذه الدعاوى فلا أظنها تخرج عن احتمالين: فإما أن تكون نتيجة توهم الممارس وخياله، خاصة وأنه يسبق هذه التمارين تدريبات ذهنية مرهقة قد تؤدي إلى الاضطراب في الرؤية أو في تحليلها. وإما أن تكون حيلة من الممارس توهم الملاحظ أنه يحرك الشيء المقصود دون مسه، وهذا هو حال أكثر هذه الادعاءات، خاصة ما تكرر منها، واشتهرت مشاهدته. وقد اطلعتُ على عدد كبير من هذه الادعاءات، لم يخلُ أي منها من خدعة أو حيلة تم كشفها لاحقاً.

وثمة احتمال ثالث، وهو أن يكون هذا التحريك بفعل من الجن، سواء

= الروس والهنود.. مما اختصر علي أموراً عدة». وهي تمارس وتعلم عدداً من تطبيقات حركة «العصر الجديد»، كالريكي، واليوغا، وعلوم الطاقة المختلفة.

تصفح الموقع الرسمي لمها هاشم من أنا؟ www.mahahashem.com

(١) الصحيح: عينيك.

(٢) تصفح: منتديات البرمجة اللغوية العصبية:

منتدى الطاقة تحت عنوان: تقنيات تحريك المواد عن بعد منتدى الطاقة والطب البديل www.nipnote.com تكتب مها هاشم في هذا المنتدى كمستشارة باسمها الصريح.

بعلم الممارس أو بدون علمه، إلا أنه ينبغي التوقف في هذا الاحتمال، إذ لم يرد نص ـ فيما اطلعت عليه ـ يُثبت إقدار عموم الجان على التأثير في المادة، أو تحريكها، أو أنهم يؤذن لهم بذلك(١)، بل قد يُستفاد من بعض النصوص نفي تلك القدرة عنهم، ففي البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً**»(٢). وفي رواية أحمد: «**فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء**»(٣). فهذه الأحاديث، وإن لم تكن دلالتها على المقصود صريحة، ففيها إشارة إليه تدعو للتوقف والتأمل. ورغم استبعاد تأثير الجن على المادة حقيقة في نظري(٤)، فإنه لا يُستبعد تأثيرها على ملاحظة الإنسان، وإدراكه بحيث يخيل إليه من فعلهم أنها تتحرك، وهذا كما يحدث في سحر التخييل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

الارتفاع عن الأرض أو الاسترفاع (Levitation):

ومن أمثلة التأثير عن بعد، وهو فرع عن التحريك عن بعد، ما يسمى بالاسترفاع، ويراد به الارتفاع عن الأرض مسافة يسيرة، ثم البقاء هكذا معلقاً في الهواء. وقد يرفع صاحب هذه القدرات حجراً أو صندوقاً صغيراً أو ما شابه ذلك، وقد يقوم برفع جسده، فيكون معلقاً لا يمس الأرض. وهذه الدعوى يقول بها كثير من الوسطاء الروحيين، وممارسو اليوغا من فقراء الهند، وبعض أهل التصوف، كنوع من تحدي قانون الجاذبية بالإرادة المجردة(٥). ويعد الطيران

---

(١) ولا يصح الاستدلال بقصة عرش بلقيس، وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، فإنه قد ثبت أن الجن قد سُخروا لسليمان ﷺ في أمور لا تحق لأحد من بعده.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٨/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، برقم (٣٣٤٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢/ ١٣٤، برقم (١٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٢٤٥ برقم (١٠٨٠).

(٤) هذه مسألة اجتهادية ليس عليها نص صريح، ولذلك يحتمل القول فيها الخطأ والصواب.

(٥) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص١٠٦، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص٢١.

اليوغي (Yogic Flying) إحدى تطبيقات برامج التأمل التجاوزي كنتيجة لترقي الوعي، والتي لا تعدو ـ في الواقع ـ قفزات منقطعة يقوم بها المتدرب وهو في وضعية اليوغا، ويصور أثناء القفز ليظهر وكأنه يطير[١].

الاستجلاب (Teleportation):

ويقصد به إحضار أشياء من أماكن بعيدة، بسرعة كبيرة، دون استخدام أية وسيلة نقل مرئية[٢]. وهنا يأتي تمثيل آخر من نصوص الشريعة، حيث يقول أحدهم: «وأكبر مثال لهذه القدرة ما يحدثنا به القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام والإتيان بعرش بلقيس: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠] يقول: «والملاحظ: أن الإتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن، وإنما من فعل إنسي عنده علم من الكتاب، والمشهور عند المفسرين المسلمين أنه آصف بن برخيا ابن خالة سليمان. ويمكن أن يقال إن هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على استحضار الأشياء، ونقلها في لحظات»!![٣]

وهذا القول؛ أي: القول أن ناقل العرش كان من الإنس، وإن كان قال به جمهور المفسرين، إلا أنه لا نص عليه من كتاب ولا سُنَّة[٤]، فالأقرب أنه من روايات بني إسرائيل التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب، وعلى افتراض صحة الرواية، فإن المفسرين نصوا على أنه كان من أولياء الله الذي يعلم اسم الله الأعظم، فدعاه به فانتقل العرش إلى قصر سليمان عليه السلام[٥]. قال البغوي: «واختلفوا فيه

---

(١) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 198, and The Skeptics Guide to the Paranormal-Lynne Kelly: (234-235).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين: ٢١.

(٣) حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص٢٠.

(٤) وقد ذكر القرطبي أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إن اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم**» الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٠٤، إلا أني لم أجده في أي من كتب السُّنَّة، وإنما أورد اللالكائي هذا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما. شرح أصول السُّنَّة ٩/ ٧٢.

(٥) انظر: جامع البيان: الطبري ١٩/ ٤٦١، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٣/ ٢٠٤، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٦/ ١٩٢.

فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان. وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[١]. وعلى هذا يكون الناقل هو الله ﷻ استجابة لدعاء وليه، لا أن الولي امتلك قدرات باراسيكولوجية خارقة!

وأشد من قولهم بالاستجلاب قولهم بالتكوين (Materialization)، وهو الإيجاد من العدم، فالفرق بينه وبين الاستجلاب أن الاستجلاب استحضار كائن له وجود مسبق، بينما التكوين استحضاره من العدم[٢]!!

إن العقل عند حركة «العصر الجديد» هو عبارة عن الوعي، والوعي المجرد هو الحقيقة المطلقة، وهو المكون المدبر، فإذا أدرك الإنسان وحدة الوجود أصبح هو الحاكم المسيطر على كونه، ولا يعد تحريك الأشياء، أو جلبها، أو حتى إيجادها من العدم أمراً مستغرباً بالنسبة إليه. فهذه هي الصورة الباطنية لتأليه العقل.

(٤) التنبؤ (Precognition):

يراد بهذه الظاهرة الباراسيكولوجية المزعومة القدرة على معرفة ما سيحصل في المستقبل، دون الاستعانة بالحواس الخمس، أو أي قرينة تشير إلى علاقة بين الحاضر والمستقبل وتسهل طريقة هذه المعرفة[٣]. وهي تعتمد عند أتباع حركة «العصر الجديد» على إحدى الوسائل التالية: كتاب الكهانة المقدس عند الطاوية كتاب (الـ يي تشنغ)[٤]، والذي يعتمد على فلسفتهم في الكون والوجود[٥].

---

(١) معالم التنزيل: البغوي ٣/ ٥٠٥.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص٢١، وحقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص٢١.

(٣) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص٩٧ ـ ٩٨، والباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١٦ ـ ١٧، و Textbook of Transpersonal Psychiatry & Psychology-Scotton & Chinen & Battista: (187-188).

(٤) انظر: الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة: سامي الموصلي ص٧١ ـ ٨٠، و New Age Encyclopedia-Whitworth: (129-130).

وقد تم توظيفه من قبل كل من كارل يونغ، وأليستر كرولي. (المرجع السابق).

(٥) انظر: آي تشنغ: رانيا مشلب ص١١ ـ ١٦.

أو الاتصال بسجلات أكاشا[1]، أو من خلال الأحلام التي يعتبرونها إشارات من العقل الـ لا واعي بمفهومه الباطني، ووسيلة لنقل العلوم الروحية والاستبصار[2].

وهذه الوسائل مع اعتمادها على فلسفة وحدة الوجود الباطلة، فإنها ـ باستثناء الأخيرة تعد من الكهانة المحرمة. ومعلوم تكفير أهل العلم للكاهن الذي يدعي علم الغيب[3]، والنصوص الدالة على شدة تحريم إتيان الكهان كذلك. كقوله ﷺ: «**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[4]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[5].

أما الرؤى والأحلام فقد قسمها المصطفى ﷺ إلى ثلاثة أقسام، فقال: «**والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**»[6]، فالتي من الله هي المبشرات التي قال فيها النبي ﷺ: «**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرى له**»[7]. ولا إشارة في الأحاديث للرؤيا التي تصدر عن العقل الباطن، إلا لمن ألّه الـ لا وعي، أما إن كانت الرؤى الصادرة عن الـ لا وعي هي ما حدث الإنسان به نفسه، فليست من المبشرات، ولا يُستدل بها على شيء.

ورغم أن الرؤى منها ما يكون فيه بشارة مستقبلية، إلا أنه يصعب تمييز

---

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 15, and Historical Dictionary of New Age Movements-York: 15.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: (87-90) and Historical Dictionary of New Age Movements-York: 83.

(٣) قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان ٢/١٩٩: «ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الاطلاع على الغيب أنه ادّعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه، وكذب القرآن الوارد بذلك، كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقوله هنا: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٥١، كتاب: الآداب، باب: ٣٥، برقم (٢٢٣٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد ١٥/٣٣١ برقم (٩٥٣٦)، والحاكم في المستدرك ١/٤٩، كتاب: الإيمان، برقم (١٥)، وقال: صحيح على شرطهما جميعاً ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٧٣، كتاب: الرؤيا، باب: ٤٢، برقم (٢٢٦٣).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٣٤٨، كتاب: الصلاة، باب: ٤١، برقم (٤٧٩).

الرؤيا الصالحة من غيرها، وما يعتقد الرائي ـ أو المعبر ـ أنه من الله قد لا يكون كذلك بالضرورة، فكون الرؤيا من الله أمر ظني لا يمكن الجزم به يقيناً.

ثم إنه إذا افترضنا صدق الرؤيا، فإن تفسيرها يحتاج إلى عالم بالتأويل، فليس كل من عبر الرؤى عبرها عن علم، ثم إن العالم بالتأويل قد يصيب وقد يخطئ. قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بعد أن سمع تعبيره لأحدى الرؤى: «**أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً**»[١]، وقد كان رضي الله عنه من أعلم الناس بالتأويل.

فالمقصود: أن الرؤيا الصالحة ـ وإن كانت تعد من المبشرات ـ لا يمكن أن تفيد علماً يقينياً، فثبوتها ظني، وصحة تأويلها ظني، فلا تعتبر مصدراً يُعتمد عليه في معرفة المستقبل ولا في تقرير قضايا الاعتقاد.

(٥) المشي على الجمر (Fire-Walking):

يعد المشي على فراش متقد من الجمر بقدمين حافيتين من ظواهر الباراسيكولوجي التي يُستدل بها على تفوق العقل على المادة[٢]. وقد كانت شعيرة تفعلها إحدى فرق النصارى[٣]، وهي من الطقوس الدينية عند البوذيين[٤] والهندوس[٥]، وتبنتها فئات من الروافض في الأزمنة الأخيرة[٦].

أما في الغرب، فقد كان المشي على الجمر ضمن الطقوس التي تمارسها بعض الجماعات الاستسرارية هناك على نطاق خاص ومحدود، حتى أخرجها تولي بُركان ـ (Tolly Burkan)[٧] مؤسس حركة المشي على الجمر العالمية ـ من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٩/٤٣، كتاب: التعبير، باب: من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، برقم (٧٠٤٦)، ومسلم في صحيحه ٤/١٧٧٧، كتاب: الرؤيا، باب: ٣، برقم (٢٢٦٩).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص٢٠.

(٣) انظر: A Guide to World Fairs and Festivals-Frances Shemanski: 217, and Firewalking and Religious Healing-Loring M. Danforth: 5.

(٤) انظر: Wondrous Events: Foundations of Religious Bellef-James McClenon: (118-119).

(٥) انظر: The Cult of Draupadi: On Hindu Ritual and the Goddess-Alf Hiltebeitel: (472-474), and Hindus: Their Religious Beliefs and Practices-Julius Lipner: (198-212).

(٦) تصفح الموقع الرسمي لصادق الحسيني الشيرازي (مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية): شعيرة المشي على النار محرم ١٤٢٦هـ أرشيف الأخبار www.s-alshirazi.com

(٧) تولي بوركان: ولد في عام ١٩٤٨م في مدينة نيو يورك. وبدأ نشر تعاليمه حول المشي =

نطاقها المحصور إلى نطاق عام غير محدود. ففي عام ١٩٧٧م كانت أول تجربة لـ بُركان في المشي على الجمر، انتقل بعدها ليكون أول مدرب لـ «العامة» في العام الذي يليه، حتى أصبحت الولايات الأمريكية المتحدة تشهد أكبر عدد من مشاة الجمر في التاريخ(١)، ولا شك أنه كان لحركة «العصر الجديد» دور بارز في الترويج لتلك الطقوس الشرقية الدخيلة ضمن جملة تروج له من التطبيقات المتنوعة(٢).

يفسر بُركان هذه الظاهرة الغريبة بتفسير فلسفي مادي، حيث يجعل للحالة الذهنية أثراً في التحكم بالوظائف الفسيولوجية للجسم البشري. ويضربُ مثالاً تقريبياً بتأثير الأفكار المجردة على حالة الجسد، إلا أنه يُغفل كون تلك الأفكار ذات تعلق مباشر بوظائفه(٣). فيرى أن «العقل الواثق» سبب في سريان الدم في الجسد، وعبر الأقدام الحافية مما يسهم في خفض حرارتها ومن ثم عدم احتراقها(٤). وإن كان من المسلَّم به ـ عقلاً ـ أن الخائف المضطرب هو من تتزايد ضربات قلبه دافعة الدماء في عروق جسده، مما يجعل الواثق المطمئن ـ خلافاً لنظرة تولي ـ أكثر عرضة للاحتراق!

بينما يفسر ـ بعضهم ظاهرة المشي ـ على الجمر بأنها خاضعة إلى التنويم والإيحاء(٥)، وهذا وإن كان وارداً في غير هذا الموضع، فإنه لا يمكن تطبيقه على هذه الظاهرة بالذات، إذ الإيحاء قد يُسهم في تسكين الشعور بالألم،

= على الجمر في السبعينيات. في عام ٢٠٠٨م توقف بوركان عن تعليم المشي على الجمر، واقتصر على الدروس والمحاضرات الخاصة. له ثمانية مؤلفات ترجمت إلى ١٣ لغة، يسكن حالياً في شمال كاليفورنيا.

تصفح الموقع الرسمي لتولي بوركان: www.stollyburkan.com.Bio

(١) انظر: Extreme Spirituality. Radical Approaches to Awakening-Tolly Burkan: 151.

وتصفح الموقع الرسمي لمؤسسة المشي على الجمر للبحث والتعليم (تولي بُركان) www.firewalking.com.firewalkinghistory

(٢) انظر: Children of the New Age-Sutcliffe: 21, and Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 197.

(٣) فعندما يفكر الإنسان بالطعام ـ مثلاً ـ يتهيأ جسده لأداء وظيفة المضغ والهضم، وعندما يشعر بالخوف يستعد بدنه ويتأهب للدفاع أو الهرب، وهكذا.

(٤) انظر: Extreme Spirituality-Tolly Burkan: 156.

(٥) انظر: Wondrous Events-James McClenon: (115-116).

وصرف الانتباه عنه، ولكنه لا يبطل خاصية الحرق في النار، أو القابلية للاحتراق في القدم[(١)].

يرتبط المشي على الجمر عند رواد «العصر الجديد» بمبدأ تحوير الوعي للتوصل إلى منازل عالية، يزول معها شهود ما عدا «الحقيقة»، فلا يتألم، ولا يتأثر بالعوارض الطبيعية. تقول إحدى المدربات: «إن النار قد تحرق، وقد تشفي، الفرق يكمن في إرادتنا وإيماننا، الجسد لا يمكن أن يمشي على الجمر، ولكن الروح تستطيع من خلال حركتها خلال الجسد... إن المشي على الجمر هو الانفتاح على الجميع من خلال تحوير الوعي... فإذا اعتقد الإنسان أن النار ستحرقه فإنها ستحرقه، ولكن حرارة النار ليست حقيقية، ولا يمكن أن تخدع الروح اليقظة»[(٢)]. فالوجود الخارجي ليس له حقيقة إلا في الذهن.

يقول تولي بركان مؤكداً أن الوعي هو صانع الواقع: «إن الحقيقة هي أنك أنت من يصنع معاناتك، كما أنك أنت من يصنع سعادتك، بحسب ما تفعله بوعيك»[(٣)]، فالمشي على الجمر هو وسيلة للانتقال إلى عالم لا يعرف المحال! وبمجرد المرور على الجمر المتقد يدرك الإنسان أن جميع الحدود والقيود التي يظنها واقعاً في حياته هي من نسج خياله فقط، وليس لها وجود إلا في ذهنه[(٤)]، ولو أصيب الإنسان بحروق أثناء مشيه على الجمر أُرجع السبب في ذلك على فشله في تحقيق الحالة الذهنية اللازمة لحمايته من النار[(٥)].

لقد فسر علماء الفيزياء المشي على الجمر عدة تفسيرات تخرجه من نطاق الخوارق، لعل أبرزها نظرية ضعف التوصيل الحراري التي تتلخص في التالي:

١ ـ أن الجمر ـ خاصة جمر الفحم ـ يعد من الموصلات الضعيفة للحرارة، فالحرارة تحتاج إلى وقت للانتقال إلى الجسم المباشر له.

٢ ـ أن الجمر يتصف بالخشونة فلا يلامس جميع أجزاء القدم في كل خطوة.

---

(١) ولذلك لا حجة لمن قد يستشهد بقصة بتر ساق عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ إن ثبتت؛ لأن انصرافه إلى صلاته ولذتها غلب شعوره بالألم، بينما لم يكن ذلك حائلاً دون القطع.

(٢) انظر: Religion, Identity and Change-Simon Coleman: 96.

(٣) انظر: Extreme Spirituality-Tolly Burkan: 13

(٤) انظر: Religion, Identit and Change-Simon Coleman: 95.

(٥) انظر: Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 101..

٣ ـ أن الخطوات السريعة على فراش الجمر تقلل من مدة الاتصال بين الجمر والجسد ومن ثم تسهم في ضعف انتقال الحرارة إلى القدمين(١).

فالواقع أن المشي على الجمر لا علاقة له بالقدرات الكامنة، أو إمكانات العقل الخارقة، وإنما هو متوافق مع السنن الكونية، خاضع للقوانين الفيزيائية في غالب الأحوال. ولكنه إيهام بأن حصل بسبب إطلاق القوى الخفية للإنسان، أو «العملاق» الذي بداخله. وهذه الممارسة مع ما فيها من مشابهة الوثنيين في عبادتهم، وخداع الناس وتعريضهم للخطر، مبنية على فلسفات باطنية خطرة، تجاوز البدن إلى الاعتقاد(٢).

علماً أن عدداً من دورات المشي على الجمر تقام في أنحاء متفرقة من المملكة(٣)، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية.

(٦) الخروج من الجسد (Out of Body Experience):

ينبني الاعتقاد بالخروج من الجسد ـ أو ما يطلق عليه الطرح الروحي، أو الإسقاط النجمي (Astral Projection) ـ على الاعتقاد بجسم نجمي أو أثيري غير الجسم المادي للإنسان، وبعالم أثيري يتحول فيه ذلك الجسم. حتى إن الإنسان

---

(١) انظر: Physics and Psychics-Victor J. Stenger: 102.

(٢) وللباحثة بحث مطبوع بعنوان: المشي على الجمر حقيقته وحكمه، يمكن الاطلاع عليه للاستزادة.

(٣) وممن يقيم هذه الدورات في العالم العربي:

سليمان العلي: يقيم دورات «أيقظ العملاق الذي بداخلك»، ويختمها بالمشي على الجمر، يهتف خلاله الحضور بأن «الجمر بارد! الجمر بارد!» ثم يمشون فوقه.

تصفح: موقعه الرسمي (مركز إطلاق القدرات للتدريب والاستشارات). www.etlak.net

رشاد فقيها: يقيم دورات بعنوان: «أيقظ العملاق» «أطلق قواك الخفية».

تصفح: صفحة رشاد فقيها الرسمية على الفيس بوك: www.facebook.com/r.Fakiha

حمود العبري: يقيم دورة خاصة بالمشي على الجمر، توصف بأنها «أمسية جماهيرية لإطلاق القدرات، وتحطيم القناعات المقيدة، واكتشاف القوة الكامنة باستخدام المشي على الجمر والمشي على قطع الزجاج المكسور».

تصفح: الموقع الرسمي لحمود العبري البرامج التدريبية www.dralabri.com

وقد تلقى كل من العبري وفقيها التدريب على يد ديباك شوبرا كما هو منصوص عليه في صفحاتهم الرسمية.

ليرى جسده الذي خرج منه، وزواياه من منزله لا يمكنه رؤيتها من موضع جسده[١]. ويرى الممارسون للخروج من الجسد أنها تجربة روحانية رهيبة يتحرر فيها الإنسان من قيود المادة، ويعيدونها «علمياً» إلى ما يسمى التجارب المقاربة للموت (Near Death Experience)، حيث يحكي أناس شارفوا على الموت قصصاً عن خروج أرواحهم من أبدانهم ومرورهم بتجارب روحانية جميلة ثم عودتها إلى الأبدان مرة أخرى[٢]، وهذه الظاهرة ـ بالطبع ـ يعتمد ثبوتها كلياً على روايات المجربين، وهي ـ إن صدقت رواياتهم ـ لا بد أن تكون خيالات وصور عقلية ربما أثارتها التجربة العنيفة، وذلك أن تلك الروايات لا تتوافق مع ما ثبت بالنصوص الشرعية عن قبض الأرواح وعالم البرزخ، أو حتى مقدماته، ورغم أن جل من سُجلت رواياتهم هم من غير المسلمين، إلا أن كثير منهم يصفون تجاربهم بالمتعة والنعيم، وهو ما لا يُتصور عند قبض روح الكافر ولا مقدماته[٣].

وهذا المعتقد نابع ـ في الأصل ـ من فلسفة اليوغا الهندوسية، ويدعيه أهل التصوف وأصحاب الخطوة، فتجد نساك هؤلاء وأولئك يزعمون التنقل إلى أماكن بعيدة في أوقات قصيرة، وأن بعضهم يُشاهد في مكانين في الوقت ذاته، ويرون إمكانية تحصيل هذه القدرة الخارقة بفعل رياضات متقدمة وتدريبات دقيقة[٤]. وله أصول في الفلسفات الباطنية الغربية كالهرمسية والأفلاطونية المحدثة والثيوصوفي[٥]، وإن كان التنقل في تلك التيارات هو في أبعاد غير مادية، بينما الممارسات الحديثة تتيح التنقل في العالم المادي بالإضافة إلى العوالم غير المادية. كما يوجد ذكر

---

(١) انظر: الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص١٩.

(٢) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص٢٢ ـ ٢٣، والتنويم الإيحائي: روجيه الخوري ص٤٥ ـ ٤٦.

(٣) من المعلوم أن ما يسمى «التجارب المقاربة للموت» لا يُقال ـ عند القائلين بها ـ أنها موت حقيقي وإنما يعتبرونها مقدمة له تحصل بخروج الروح من الجسد ومن ثم عودتها إليه، ولكن هذا لا يتوافق مع المعتقد الإسلامي الذي ينص على أن الروح لا تخرج منفردة من جسد الميت وإنما تقبض قبضاً، ويكون ذلك القبض والملائكة الذين يتولونه متناسباً مع حال العبد قبل موته، فلا يمكن أن يحس الكافر بنعيم حال قبض روحه.

(٤) انظر: حقائق وغرائب: محمد العزب موسى ص٢٣.

(٥) انظر: The Elements of Theology-Dodds, E.R. Proclus.

للخروج من الجسد في الديانات المصرية القديمة[١]، وإمكانية الخروج من الجسد «للحمكاء المستنيرين» أمر موجود في المعتقدات الطاوية كذلك[٢].

غير أن الذي ابتدأها بصورتها الحالية هي مدام **بلافاتسكي** وفلسفاتها في الثيوصوفي[٣]، كما اشتهر كل من **إيمانيول سويدنبرغ وألستر كرولي** بممارسة الخروج من الجسد[٤]. وهي ممارسة منتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد»[٥]، ويعتبر **أوشو** من كبار المروجين لها[٦].

لما انتقلت هذه الفلسفة إلى العالم الإسلامي، طُبقت على المفاهيم الشرعية، ولويت أعناق النصوص لتتمشى مع فلسفات الشرق الباطنية، ففسر الجسم الأثيري «بالروح» أو «النفس»، واستُدل على إمكانية خروج الروح من البدن في ما دون الموت بحالها عند النوم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢]، وحديث النبي ﷺ لما نام الصحابة ﷺ عن الصلاة: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء**»[٧]، فقاسوا خروج «الجسم الأثيري» من البدن يروح ويجيء ويتحول بمحض إرادته حيث أراد، على قبض روح الإنسان عند المنام. والقبض في اللغة ضد البسط، ويأتي بمعنى المسك والحبس[٨]، قال **القرطبي** في تفسير الآية: «فقيل: يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النائمة فيطلقها

---

(١) انظر: Encyclopedia of Occultism & Parapsychology (Out-of-the-body Travel) Melton, J. G.

(٢) انظر: The Story of Han Xiangzi-Yang Erzeng.

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 33.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 31.

(٥) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth 28, and An Overview of the New Age Movement-Reck: 63.

(٦) انظر: Osho, The Transmission of the Lamp, Chapter 3, Rebel Press.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: ٩/١٣٩، كتاب: التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة، برقم (٧٤٧١).

(٨) انظر: الصحاح: الجوهري ٣/ ١١٠٠، ولسان العرب: ابن منظور ٧/ ٢١٣.

بالتصرف إلى أجل موتها»[١]، فالروح المقبوضة ناقصة التصرف، وليست زائدة فيه.

ربما تكون المدربة **مها هاشم** أبرز من تحدث عن ظاهرة الإسقاط النجمي - أو أقام لها دورات تدريبية - في المملكة العربية السعودية، ولها دورة إلكترونية عبر الشبكة يمكن الاطلاع على أجزاء منها في موقعها الرسمي، تؤكد فيها أن الخروج من الجسد ليس نتيجة للإيحاء، وإنما هو خروج حقيقي، وانفصال مؤقت «للجسم الأثيري» عن الجسم المادي، مشبهة هذا الخروج بقبض الروح عند المنام. كما تبين مها هاشم أن الإسقاط النجمي يحصل بإرادة الشخص المجردة دون الاستعانة بالجن، أو العقاقير المهلوسة ولا بقراءة الترنيمات الشركية، وعندما ينفصل الجسم الأثيري ينتقل من العالم المشهود إلى «عالم الأفكار»[٢]. ولا نعلم ما هو عالم الأفكار هذا، إذ لم يثبت وجوده بالشرع ولا بالحس، وسياقه يوحي بأن المقصود به هو الوعي الصرف، لا سيما مع الإحالات الصريحة للفلسفة الشرقية ومفاهيم اليوغا التي تهدف إلى التحقق من وحدة الوجود.

تقول **مها هاشم** في وصفها الخطوات العملية للخروج من الجسد: «ترنيمة تستخدم طاقة الحرف في التأثير على الشكرات، لتساعد الشخص على تذكر واسترجاع الأحلام، وهي شكرة العين الثالثة، وشكرة التاج. وهي ترنيمة تقال عقلياً أي غير منطوقة يقولها الشخص... فتزيد قدرته على تذكر الأحلام. الترنيمة تكون نطق حرف الميم[٣] عقلياً بشكل متصل، وكالصدى تبدأ عادية وتتدرج في الخفوت إلى أن تنتهي منها، تعيدها عدة مرات، للتأثير على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٥/ ٢٦٠.

(٢) تصفح الموقع الرسمي لمها هاشم: الخروج من الجسد (الدرس الأول) المواضيع: www.mahahashem.com

(٣) إن هذه الترنيمة التي تذكرها مها هاشم وتنطق: «أم» تشبه إلى حد كبير الترنيمة الهندوسية التي تستخدم في التأملات الهندوسية: «أوم» وهي أشهر المانترات المستخدمة في الشرق، وتعني باختصار: وحدة الوجود. ورغم أن الممارسة - هدانا الله وإياها للحق - أنكرت وجود رابط بين «أم» و«أوم» مرجعة سبب اختيار حرف الميم إلى ظهور نفعه بالتجربة، إلا أن الشبه بينهما ظاهر، خاصة مع تأمل الخلفيات الثقافية للتطبيق نفسه.

الشكرات العلوية»[١].

إن دعاوى القدرة على الخروج من الجسد والتجول في أرجاء العالم المشهود أو غيره تفتقر إلى أي دليل حسي، وهي في الوقت ذاته تقوم على فلسفات غيبية لا أصل لها في الشرع، بل أصولها جميعاً ترجع إلى الديانات الشرقية والفلسفات الباطنية. وفي مقابل الخطر الذي تشكله هذه الممارسة المزعومة، لا يكاد يكون لها نفع يُذكر، سوى ما يدعيه أصحابها من الإحساس بالحرية واللذة.

أما إذا أردنا تفسير ما قد يظنه بعض الممارسين نوع من الخروج من الجسد، فإنه قد يكون أحد الاحتمالات التالية:

١ ـ أن يكون ما يشاهده الممارس نتيجة للخيال الفاعل المرتبط بالقناعات المترسخة، إذ إن التخيل القوي قد يلتبس على بعض الناس بالواقع.

٢ ـ أن يكون من الرؤى والمنامات، التي قد تكون من الله، وقد تكون من الشيطان، فالغالب من هذه الممارسات يحصل في المنام أو في حالة قريبة منه.

٣ ـ أن يكون من تلبيس الشيطان وتخييله، فيصور له ما هو موجود في الواقع حتى يظن الإنسان عند المقارنة أنه خرج من جسده حقيقة.

٤ ـ أن يكون نتيجة لبعض الأمراض العقلية أو النفسية التي تجعل الإنسان بمعزل عن الواقع، لا يمكنه التميز بين مخادعة عقله والواقع الحسي.

وربما استدل بعضهم بحادثة الإسراء والمعراج على إمكانية الخروج من الجسد، وهو أمر مردود بأمور:

○ أن القلة الذين قالوا أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط، ذكروا بأن ذلك من خصائص النبي ﷺ ومعجزاته، وأنه غيره لا يمكن أن تتجول أرواحهم خارج أجسادهم، ولا تفارقها ـ في غير القبض ـ إلا عند الموت.

قال ابن أبي العز: «أراد أن الروح ذاتها أسري بها، ففارقت الجسد ثم

---

(١) تصفح الموقع الرسمي لمها هاشم: الخروج من الجسد (الدرس الأول) المواضيع www.mahahashem.com

عادت إليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت»[(١)].

○ أن الراجح الذي عليه الدليل، أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً، لا بالروح فقط. ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]. وكلمة (العبد) إنما تصدق على مجموع الروح والجسد معاً، فلا يصح أن يقال: عبد على مجرد الروح منفردة، وكذلك لا يصح أن تطلق الجسد؛ لأن الجسد بلا روح هو جثة عبد وليس عبداً.
- أن الله ﷻ قد سبح نفسه ونزهها وقدسها في بداية الآية فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ والتَّسبيح إنما يكون عند الأمور العظام. فلو كان مناماً أو بالروح فقط لم يكن له كبير شأن حتى يُتَعَجَّبَ منه.
- أن ركوب النبي ﷺ على البراق يدل على أن الإسراء كان بجسده عليه الصلاة والسلام. لأن الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف.

وغير ذلك من الأدلة المعروفة في كتب التوحيد.

حقيقة ظواهر الباراسيكولوجي:

أختم هذا المبحث بحل بعض الإشكالات التي قد ترد في ذهن القارئ، وإن كان سبق ذكرها في مواضع متفرقة منه.

يسهل على المرء التنظير، والتقرير، والرد على من يدعي الخوارق مادام في معزل عن الأجواء التي تنتشر فيها، فإذا شاهد شيئاً منها بنفسه أصبح يداخله بعض التردد والشك، نظراً لما للرؤية من أثر على الاعتقاد. وعندما يرى الإنسان - بعينيه - من يمشي على الجمر، أو من يطير بالهواء، أو يكشف عن غيب، يصبح عرضة لتصديق الدعوى التي ترافق هذا الفعل «الخارق»، ويخلط بين إدراكاته الحسية والحقائق الخارجية، ظناً منه أن الأول دليل قطعي على الآخر.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز ص١٩٦.

وقبل الحديث عن حقيقة الظواهر الباراسيكولوجية المزعومة أؤكد على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات خوارق العادات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهو موجود فيها إلى يوم القيامة»[١]. فخوارق العادات ثابتة بالكتاب والسُّنَّة، لا ينكرها بالكلية إلا مبتدع.

وقد قسم العلماء خوارق العادات[٢] ـ بالاستقراء ـ إلى خمسة أقسام، هي كالتالي:

ـ **الكرامة**: وهي من خصائص الأولياء والصالحين ولا تكون بفعل منهم ولا قصد، يقول النووي مفرقاً بين السحر والكرامة: «أن السحر قد يكون ناشئاً بفعلها وبمزجها ومعاناة وعلاج، والكرامة لا تفتقر إلى ذلك. وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقاً دون أن يستدعيه أو يشعر به»[٣]، وقال السفاريني: «وأما الولي، فلا يلزم أن يعلم بولايته، ويستر كرامته ويسرها، ويجتهد على إخفاء أمره»[٤].

ـ **المعونة**: وهي تكون في التخليص من المحن والمضائق بما لا يحصل في العادة.

وهذه هبات من الله تبارك وتعالى، وعون للإنسان في دينه أو دنياه، وأما الخوارق التي تبعد صاحبها عن الله ﷻ[٥]، فهي:

ـ **الإهانة والاحتقار**: وهذا يعرف بقرائنه، كأن يدعي القدرة على رؤية المغيَّب فيعمى بصره دون سبب ظاهر.

ـ **المكر والاستدراج**: وهو ما يجب أن يخشاه من يتلبس بخوارق العادات.

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣/١٥٦.

(٢) فيما عدا معجزات الأنبياء.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/١٧٦، وانظر: فتح الباري: ابن حجر ١٠/٢٢٣.

(٤) لوامع الأنوار البهية: السفاريني ٢/٣٩٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١١/٢٢٤.

ـ **الأحوال الشيطانية**: وتكون على وجهين:

ـ أن يفعل الشيطان للإنسان أو يمكنه مما هو خارق لعادات البشر، وإن كان مقدوراً لجنس الجن، إما فتنة له وإضلالاً، وإما رضى بما هو عليه من الفسق والفجور. قال شيخ الإسلام: «فمنهم من ترفعه في الهواء، ومنهم من تدخله النار، ومنهم من يمشي ومعه ضوء... فإذا تاب الرجل، والتزم دين الإسلام، وصلى صلاة المسلمين، وتاب عما حرمه رب العالمين، واعتاض بسماع القرآن عن سماع الشيطان، ذهبت تلك الأحوال الشيطانية»(١).

ـ أن يتقرب الإنسان للشيطان بالكفر والشرك فيخدمه ويفعل له ما لا يمكنه فعله دون إعانة الشيطان له.

وهنا نعود إلى ما قد يُشاهد من ظواهر الباراسيكولوجي، فنحلّله وفق الخطوات التالية(٢):

أولاً: التحقق من أن المشاهد خارق للعادة حقاً:

لقد عرف شيخ الإسلام العادة بأنها: «التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين»(٣)، وخرقها هو: شق انتظامها وديدنها(٤). والمقصودة بالعادة هنا قوانين العالم المشهود والسنن الكونية المطردة(٥)، والخارق هو ما خالفها، فلا يخضع للتفسير الحسي، ولا يتضح بالتجربة. ولا يدخل في مفهوم الخوارق ما كان خارقاً لعادة قوم دون قوم مما يمكن التوصل إليه بالرحلة أو التعلم. وأما ما يكون معتاداً في مستقبل الزمان فيعتبر خرقاً لعادة أهل الزمن المتقدم حيث يتعذر الاتصال بين أهل الزمنين.

---

(١) المرجع السابق ١١/٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٢) قد يتداخل بعضها لكن فصلت فيه للإيضاح.

(٣) النبوات: ابن تيمية ص٣٥٢.

(٤) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس ٢/١٧٢، والقاموس المحيط: الفيروز آبادي ص١١٣٣.

(٥) إن المخترعات الحديثة تعد خارقة لعادات أهل البادية لعدم وجود نظائرها في مجتمعاتهم وهي ليست كذلك في المناطق المتحضرة، فلا تعتبر خارقة للعادة. وابتلاع السيوف والعصي قد يكون خارقاً لعادة غالبية البشر لكنه ممكن بالتدريب والتعلم، فلا يصنف من خوارق العادات. أما ما لا يكون ممكناً عند قوم ثم يتوصل إلى طريقة لتحقيقه في جيل لاحق، فإنه يعد خارقاً للعادة في الجيل الأول وإن لم يكن كذلك في الجيل اللاحق.

وعليه، إن الضابط في اعتبار خرق العادة هو: خروج الأمر عن نظائره في زمانه بحيث لا يمكن أن يتأتى بالتدريب، أو التعلم المجرد. وإن كان إخراج الظاهرة عن نظائرها قد يلتبس على غير المختصين.

فإذا تأملنا في بعض الظواهر الباراسيكولوجية وجدنا أنها لا تخرج عن القوانين والسنن الكونية، وإنما هي قوانين قد تكون مجهولة للمشاهد فيظن أنها من الخوارق، والأمر ليس كذلك. وفي هذه الأحوال لا بد من الاستعانة بالمختصين لتحديد توافق الظاهرة مع السنن الكونية من عدمه.

أما ما يعتمد على الدعاوى المجردة والروايات دون مشاهدة حسية فلا يقبل عند العلماء التجريبيين لأنه لا يخضع للدربة والاختبار، ولا يمكن دراسته بالمنهج العلمي الحديث، أو إدراكه حسياً[١]. ولا يصح قولهم بأن العلم لا يستطيع نفيه، فإن عدم القدرة على النفي ليس دليلاً على الثبوت بإجماع العقلاء. وقد ورد في الحديث أن «**البينة على المدعي**»[٢] لا على من أنكر. وقديماً قيل: ما أسهل الدعوى، وأعزّ المعنى!

ثانياً: التاكد من صحة تفسير الظاهرة المشاهدة:

فإن حركة «العصر الجديد» كثيراً ما تلبس على الناس بتفسيراتها الخاطئة للظواهر الطبيعية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يسمى بتصوير كيرليان (Kirlian Photography) الذي يعتمد على جهاز يصور جسماً ما مظهراً حوله هالات ملونة، تتفاوت في حجمها ولونها من جسم لآخر. فيزعم أتباع الحركة أن ما يصوره الجهاز هي هالات الطاقة (Auras) والأجسام الأثيرية للإنسان. فاعتُبرت تلك الصور إثباتاً لظواهر فوق طبيعية. والصحيح: أن الجهاز المذكور إنما يصور التفريغ الكهربائي الخارج من تلك الأجسام، والذي قد يتأثر بالتغيرات الحيوية داخل الجسم. فالذي يصوره الجهاز هو المنطقة الغازية المحيطة بالجسم، والتي تحولت جزيئاتها وذراتها إلى أيونات بفعل الشحنة الكهربائية المنبثقة من الجهاز

---

(١) انظر: الباراسيكولوجي: روجيه الخوري ص٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٣/٦١٨، أبواب الأحكام، باب: ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، برقم (١٣٤١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/٢٧٩، برقم (٢٦٦١).

مما يجعلها تشع بالنور. أما اختلاف الألوان والأحجام فهو راجع لاختلاف التركيب الغازي، والذرات الصادرة عن الجسم. كما تعتمد نتائج التصوير ـ بشكل أساس ـ على مدى رطوبة الجسم المصوَّر[١].

ثالثاً: التأكد من خلو الظاهرة من الخدع والحيل:

إن التحقق من خلو الظاهرة «الخارقة» من التحايل والغش من أهم الأساليب لكشف حقيقتها، ولكنه ـ بلا شك ـ من أصعبها. فإن المهتمين بعلوم الخوارق قد أتقنوا صنعتهم إلى حد خدعوا معه مراكز بحثية متخصصة، ومشروع ألفا (Alpha Project)[٢] من أظهر الأدلة على ذلك. وقد أسهم المتشككون الغربيون في هذا المجال إسهاماً كبيراً، فكفوا غيرهم مؤنة البحث فيه[٣].

والذي ظهر لي بعد بحث دام سنوات في مثل هذه الدعاوى، أن جلها قائم على نوع من الحيل. وهو داخل في الشعوذة المحرمة، لكن لا يتسع المقام للتفصيل في حكمها.

رابعاً: التأكد من أن الظاهرة الخارقة ـ لمن يمارسها بنفسه ـ ليست خدعة عقلية:

فإن العقل جزء من التكوين البشري للإنسان، يعتريه ما يعتري سائر

(١) انظر: Anomalistic Psychology-Warren H. Jones: 82, and The Skeptics Dictionary-Carroll: 189.

(٢) مشروع ألفا: كان مدعو الباراسيكولوجي يزعمون أن نقص الأدلة العلمية على ادعاءاتهم هو بسبب ضعف تمويل المراكز البحثية التي تعنى بخوارق العادات، فلما تبرع أحد التجار بمبلغ ضخم لأحد تلك المراكز قام جيمز راندي ـ وهو ساحر مسرحي، ومتشكك مشهور ـ بإرسال رجلين من عنده إلى ذلك المركز ليدعيا أن لديهما قدرات خارقة، بينما هما في الواقع متقنان لعمليات خفة اليد. فما كان إلا أن خُدع الباحثون بأنها قدرات حقيقية وقاموا بنشر ذلك. حينها أعلن راندي والمشتركان بالمشروع أنهما لم تكن لديهما أية قدرات تزيد على الحيلة وخفة اليد. مما أدى بالتشكيك بأي نتيجة بحثية تؤيد الباراسيكولوجي، ما لم تكن تستبعد احتمالية الحيلة باحترافية عالية.

انظر: The New Age: Notes of a Fringe Watcher-Martin Gardner: 13.

(٣) ومما يدل على أن هذه الظواهر الخارقة لا تعدو كونها ادعاءات فارغة أنه منذ الأزمنة القديمة والخرافيون يدعون أن لديهم قدرات خارقة، فما بال هذه القدرات لم تقدم للبشرية شيئاً، بينما قدمت العلوم التجريبية تسهيلات لا تكاد تحصى، ثم أين هذه القدرات الخارقة عندما تكون الأمم أحوج ما تكون لأمثالها، ليحذر الناس قبل الكوارث الطبيعية، ولينتصروا في الحروب، ويكتشفوا أدوية الأمراض المعضلة.

الحواس من الضعف والخطأ خصوصاً إذا تعرض لتمارين شاقة قد تفضي به إلى الإدراكات المغلوطة، والتصورات الوهمية.

يقول مؤلف كتاب «الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان»: «غالباً ما يعتبر الباراسيكولوجيون تأثير الوعي بأنه العلة الوحيدة وراء حدوث الظاهرة الخارقة المعينة. إلا أن كثير من المشككين ـ أيضاً ـ يعتبرون الظاهرة الباراسيكولوجية من نتاج الوعي البشري، أما الفرق بين موقف الاثنين، فهو أن الباراسيكولوجيون[1] يصرون على أن الظواهر الباراسيكولوجية ـ وإن كانت من خلق الوعي البشري ـ فإنها ظواهر حقيقية، ذات وجود موضوعي... بينما يعتبر المشككون هذه الظواهر موجودة في «وعي» الإنسان فقط؛ أي: أنها ظواهر ذاتية غير موجودة فعلاً في العالم الخارجي، وأن الإنسان «يتوهمها»، ولذلك لا يمكن البرهنة عليها، أو أن الإنسان يختلقها أساساً، وأنها ـ في الواقع ـ ليس لها وجود حقيقي»[2].

وأخيراً: كون الظاهرة المشاهدة من خوارق العادات.

وهذا مع ندرته الشديدة يظل احتمالاً وارداً، فإذا ثبت أن ظاهرة ما خارقة للعادة على الحقيقة، كان لا بد من تصنيفها وفق تقسيم الخوارق المذكور آنفاً، وذلك أن العادة ـ في الأصل ـ ثابتة لا تتغير، فالكون يجري وفق سنن وقوانين محددة لا تتخلف، يقول الله ﷻ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. ولا تُخرق العادة إلا للحجة، أو الحاجة، فإذا انعدما بقيت العادة كما هي[3].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكل ما يُظَن أنه خَرَقَه ـ أي: الرب تبارك وتعالى ـ من العادات فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات، فعادته وسُنَّته لا تتبدل، إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل. هذا قول الجمهور. أما من لا يثبت سبباً، ولا حكمة، ولا عدلاً، فإنهم يقولون إنه يخرق العادة، لا لسبب، ولا

---

(١) الصحيح: الباراسيكولوجيين.

(٢) الباراسيكولوجي بين المطرقة والسندان: جمال حسين ص٩٤ ـ ٩٥.

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية: ابن تيمية ٨/ ٢٠١.

لحكمة»[١]، إلى أن قال: «فإنه ـ سبحانه ـ قط لم يخرق عادة إلا لسبب يناسب ذلك»[٢].

فهذه الخوارق لا يمكن تصنيفها ضمن الكرامات؛ لأن الكرامة لا تكون إلا لأولياء الله، وما يذكرونه يفعله المسلم والكافر. وهي ليست معونة، إذ الحال الذي تكون فيه لا يقتضي إعانة خارقة. يبقى أن تكون من الأحوال الشيطانية، فإما أن يكون الممارس يستعين بالشياطين عمداً، وإما أن تضله الشياطين دون علمه بقصد الإضلال أو رضى بما هو عليه. والله تعالى أعلم.

(١) النبوات: ابن تيمية ص٣٥٣.

(٢) المرجع السابق ص٣٥٤.

المبحث الرابع

البرمجة اللغوية العصبية (NLP)

تعتبر البرمجة اللغوية العصبية (Neuro-Linguistic Programming) من التقنيات النفسية «التطويرية»[١] التي تفرعت عن علم نفس «ما بعد الذات»، ومن محاضن حركة «القدرات البشرية الكامنة»، ولكن نظراً لأهميتها آثرت إفرادها في مبحث مستقل، فهي من أكثر التقنيات المتعلقة بحركة «العصر الجديد» انتشاراً في المملكة العربية السعودية، وهي أكثرها إثارة للجدل.

إن الحديث عن البرمجة اللغوية العصبية ـ في دراسة عقدية صرفة ـ لا بد أن يتناول الخلفية الفلسفية التي نشأت فيها هذه التقنية، والمعطيات الفكرية التي انطلق منها مؤسسوها، مع دراسة أصولها، والقواعد التي تنبني عليها، دون الإسهاب في تقنياتها ونماذجها الفرعية، فإن البرمجة اللغوية العصبية من العلوم دائمة التجدد والاتساع، لا تكاد تُحصى مدارسها وتطبيقاتها. غير أن الذي يعنينا في هذا البحث ليس الدراسة التفصيلية للبرمجة، فإن ذلك يحتمل بحثاً مستقلاً،

---

(١) المقصود أنها لا تعنى فقط بمعالجة المشكلات النفسية، وإنما تتناول أساليب تعمل على تطوير الذات، والرقي بها.

وإنما المراد تناول ما كان منها متأثراً بالفلسفات الباطنية لحركة «العصر الجديد»، وبعض أساليب توظيفها لخدمة فكر الحركة.

ومن هذا المنطلق، سيتم تناول البرمجة اللغوية العصبية من خلال خمسة مطالب، مع تحري الشمول والإيجاز قدر الإمكان:

المطلب الأول: تعريف البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الثاني: نشأة البرمجة اللغوية العصبية وأبرز الشخصيات التي أسهمت فيها.

المطلب الثالث: الأصول التي تقوم عليها البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الرابع: نماذج من التقنيات المستخدمة في البرمجة اللغوية العصبية.

المطلب الخامس: تقويم البرمجة اللغوية العصبية.

وفي الصفحات التالية إيضاح لهذه المطالب:

المطلب الأول

تعريف البرمجة اللغوية العصبية

يُعدُّ التعريف الجامع المانع مدخلاً بالغ الأهمية إلى أي علم، وعليه تنبني التصورات المبدئية، والانطباعات الأولية عنه، إلا أن الباحث في مؤلفات مؤسسي البرمجة اللغوية العصبية لن يجد لها فيما كتبوه تعريفاً شاملاً مختصراً، يبين ماهيتها، ويوضح معناها الحقيقي[(١)]. وإذا نظرنا في مؤلفات مدربي البرمجة، والمهتمين بها، سنجد في كثير منها تعريفات غير محددة متباينة في الشكل والمضمون، لا ترفع الجهل بالبرمجة اللغوية العصبية عن القارئ المبتدئ، فمنهم من يعرفها بأنها: «دراسة بنيان الشخصية»[(٢)]، ومنهم من يقول

---

(١) يرجع بعض الباحثين غياب تعريف موحد للبرمجة اللغوية العصبية إلى الخلافات التي نشبت بين مؤسسي البرمجة والتي ألجأتهم للقضاء في أكثر من حالة.

انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L.Michael Hall: 16.

(٢) البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريش ص١٠.

نقله عن ديلتز، وديلوزيه، وغرندر، وباندلر، ومؤلف هذا الكتاب هو رئيس تحرير مجلة =

هي «علم كيفية تشفير العقل للتعلم والتجارب»[١]، ومنهم من يجعلها: «دليل المستخدم للعقل»[٢].

وهذه التعريفات ـ وأمثالها كثير ـ لا تميز البرمجة اللغوية العصبية عن غيرها من التقنيات التي نسبت تلك المزاعم إلى نفسها كذلك، وليس فيها إشارة إلى آلة عملها، ولا تربط بين ماهيتها، والاسم المركب الذي يُطلق عليها. ولذلك فإن أفضل طريقة لتقريب معنى البرمجة يكون عبر تفكيك اللفظ المركب الذي أصبح علماً على هذا العلم.

يتكون مصطلح البرمجة اللغوية العصبية من ثلاثة ألفاظ مركبة. لفظ (البرمجة): ويشير إلى أن الناس يتصرفون وفق برامج وأنظمة شخصية تتحكم في طرق تعاملهم مع شؤون الحياة المختلفة. و(اللغوية): وفيها إشارة إلى أساليب التعبير والتواصل التي تتم من خلالها البرمجة، سواء كانت منطوقة أو لم تكن، و(العصبية): وتشير إلى تأثر المخ والعمليات العصبية بالبرمجة اللغوية[٣].

وعليه، فإنه يمكن تعريف البرمجة اللغوية العصبية بأنها: تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلة التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان. ويحصل ذلك بتطبيق «نماذج» للتواصل، استُمدت من ممارسات شخصيات بارزة، ومزيج من العلوم النفسية، والإدارية، والفلسفية، يتم اختيارها بالطريقة الانتقائية.

قد لا تكون الجملتان اللتان في آخر التعريف مستفادتان من اسم البرمجة مباشرة، ولكنهما تعبران عن جزء أساس في آليتها، يلزم معرفته لفهم ماهية البرمجة اللغوية العصبية. ولعله يتضح المقصود بـ «النماذج» (Models)

= (رابورت) (Rapport) المتخصصة في البرمجة اللغوية العصبية.

(١) علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيسر وفيكرز ص٢.

(٢) المرجع السابق ص٣، وانظر: البرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص١٤.
وهو الوصف الذي أطلقه مايكل هال على البرمجة اللغوية العصبية.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص١٢، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص٣٩، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص٤ ـ ٥، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص١٤، والبرمجة اللغوية العصبية: آندرو برادبوري ص١٧، و NLP Master Practitioner Manual-Tad James: 2.

وسبب وصفها بالانتقائية (Eclecticism) في المطالب التالية بإذن الله.

المطلب الثاني

نشأة البرمجة اللغوية العصبية، وأبرز الشخصيات التي أسهمت في تشكيلها

إن تسليط الضوء على تاريخ جماعة، أو حركة ما يعين الدارس على فهمها وإدراك المصادر التي تنطلق منها مبادئها وأفكارها، كما تُسهم تلك المعرفة في تحديد الفئات التي قد تتقبل تلكم الأفكار، وتنجذب إليها. ومن خلال تصور البيئة التي نشأت فيها البرمجة اللغوية العصبية، والشخصيات التي أثرت في تشكيلها، يمكن للقارئ إدراك قابليتها لتشرب فكر حركة «العصر الجديد»، وأسباب التفات أتباع الحركة إليها.

ظهرت بدايات البرمجة اللغوية العصبية في الولايات المتحدة في سبعينيات القرن العشرين على يد كل من رتشرد باندلر (Richard Bandler) وجون غريندر[١] (John Grinder)[٢].

كان باندلر طالباً في قسم الرياضيات بجامعة (سانتا كروز) بكاليفورنيا، وهناك التقى بـ غريندر الذي كان يعمل أستاذاً بقسم اللغويات في الجامعة نفسها، حيث جمعهما اهتمامهما المشترك بدراسة مجموعة من التقنيات والأحوال النفسية، كالتنويم، وحالات الغشية العميقة، والهذيان، وغيرها[٣]. غير أن البداية الفعلية لتأسيس البرمجة اللغوية العصبية جاءت عقب درسٍ طلابي أعده رِتشرد حول تطبيق العلاج الغشتالطي (Gestalt)[٤] ـ الذي يستمد كثيراً من

---

(١) ولد باندلر عام ١٩٥٠م وغريندر في عام ١٩٤٠م، ولا يزال كل منهما حياً حتى كتابة هذه السطور.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٢، و Meta-Reflections on the History of NLP-L.Michael Hall: 5.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٣٦، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص١٥، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص٦، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص١١.

(٤) **العلاج الغشتالطي**: هي طريقة علاجية ابتكرها بيرلز بعد الحرب العالمية الثانية، تُرجع =

مفاهيمه حول الوعي والـ لا وعي من الفكر والفلسفة الشرقية[١] ـ في علم النفس والمعالجة النفسية، وقد برز اهتمامه بهذه النظريات بعد انشغاله بتفريغ تسجيلات صوتية لرائد العلاج الغشتالطي: فريتز بيرلز (Fritz Perls) كخدمة للمكتبة التي كان يعمل فيها، ولأن باندلر كان بارعاً في التقليد أصبح يحاكي أسلوب بيرلز وطريقته تماماً، فلاحظ غريندر ـ المشرف عليه في تلك الحلقة ـ أنه بمجرد محاكاة الأساليب اللغوية لـ بيرلز، ومنهجه في التواصل مع المرضى، تمكن باندلر من تحقيق ذات النتائج التي حققها بيرلز، وأصبح يُحدث تغيرات واضحة في حياة زملائه الطلاب الذين اشتركوا معه في التجربة. أو هكذا تُروى بدايات البرمجة.

لقد اعتبر كل من باندلر وغريندر تلك النتائج شبيهة بـ «السحر»، وعكفا على دراسة البنية اللغوية ومنهجية التواصل التي ظنَّا أنها موصلة إلى التغيير السريع في الفكر والسلوك، حتى قاما بتأليف كتاب ـ من جزأين ـ يشرح هذه الفكرة، أطلقا عليه اسم: (بُنية السحر) (The Structure of Magic)[٢]، علماً أنه ليس في هذا الكتاب تصريح باسم البرمجة اللغوية العصبية، وإنما تعريف بأساليبها، وحسب.

لم يكن فريتز بيرلز الشخصية الوحيدة التي تمت دراستها قُبيل تأسيس

= جذور الاضطرابات النفسية إلى عدم قدرة المريض على توحيد أجزاء من شخصيته في وحدة متكاملة وصحيحة، ويتميز عن علم النفس الغشتالطي التي هي مدرسة في علم النفس تفسر الظواهر على أنها كليات منظمة، لا أنها مجموعة من الجزئيات، وترى أن المحافظة على الكل أولى من المحافظة على مجموع الأجزاء. The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 19281. and New Age Encyclopedia-Whitworth: 110.

(١) تقول إحدى الباحثات في علم نفس الكل بمقال نشرته دورية (الحوار الغشتالطي): «إن جل آباء وأمهات مبدأ الغشتالط سبقت لهم دراسة الفلسفة الشرقية أو الفكر الباطني، خاصة الطاوية وبوذية زن. وقد استُوحي مبدأ الوعي من جوانب متعددة في الفكر الشرقي». Gestalt Dialogue: Newsletter for the integrative Gestalt Centre-Rosemarie Wulf-Nov. Issue, 1996.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٣٦ ـ ٣٧، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني: ١٦، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز: ٧.

البرمجة، بل ضَمَّت إليه شخصيات أخرى رأى مؤسسا البرمجة اللغوية العصبية أن لديهم قدرة متميزة على التأثير في الآخرين، وتغيير افتراضاتهم المسبقة، وقناعاتهم المترسخة، فكانت أبرز تلك الشخصيات: ميلتون إيركسون (Milton Erickson)، وفيرجينيا ساتير (Virginia Satir)، إلى جانب بيرلز[١].

ومن هنا أتت فكرة «النماذج»، فإن اشتراك باندلر وغريندر في الاهتمام بأساليب التواصل والمعالجة النفسية، لم يلزمهما بسلوك الطريقة التقليدية في تحصيلها، فبعد أن قاما بانتقاء الشخصيات التي رأيا أنها ناجحة في حل المشكلات النفسية وقادرة ـ بشكل ملحوظ ـ على التغيير، قاما بدراسة طرقهم في التعبير والتواصل وردود فعل المرضى أو العملاء وتحليلها. ثم استخرجا من ذلك عدداً من «النماذج» من قِبَل معالج أو مدرب آخر سيؤدي إلى النتيجة نفسها التي يحققها صاحب «النموذج»، ويقود حتماً إلى توسيع دائرة النجاح والقدرة على تحديد دقيق لأسبابه، ومن ثم محاكاته بشكل مباشر للحصول على نتائج صائبة وسريعة[٢].

ونتيجة لتلك الدراسات والبحوث التعاونية أنشئت جمعية البرمجة اللغوية العصبية، وقام الشريكان بإنشاء أول مركز تدريب للبرمجة في عام ١٩٧٧م. إلا أن باندلر وغريندر تفرقا في بداية الثمانينيات، وفشل رائدا التواصل في التواصل، حتى أصبح لكل منهما توجه ورؤية مختلفة للبرمجة اللغوية العصبية، ولا يزال كل منهما يمارس التدريب والتأليف حتى اليوم[٣].

ومما تلزم الإشارة إليه أن كلاً من الشخصيات الثلاث ـ التي استمدَّت «النماذج» من ممارساتهم ـ يحمل توجهاً أو معتقدات تحمل السمة الباطنية، كما يعتبر كل من بيرلز وساتير شخصيات قيادية في حركة «القدرات البشرية الكامنة» القائمة على رؤى ماسلو في علم نفس «ما بعد الذات»، والتي كانت تهدف إلى

---

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٤، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي: ١٢. تأتي في الصفحات التالية ترجمة كل منهم.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس: ١٤، والبرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني: ١٦، و Frogs to Princes-Bandler & Grinder: 7.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٣٨ ـ ٣٩، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص٩ ـ ١٠.

دراسة القدرات البشرية الخارقة وغير المحدودة، وإلى الجمع بين الفلسفات الشرقية الباطنية، والعلوم التجريبية[١]. بل إن البرمجة اللغوية العصبية نشأت في أجواء معهد إيسلن[٢]. علماً أن حركة «القدرات البشرية الكامنة» هي السلف المباشر لحركة «العصر الجديد» فلسفياً وتاريخياً، وهي المحضن الرئيس لأفكارها.

قد لا يبدو معتقد صاحب «النموذج» وتوجهاته الروحانية ذات أهمية شرعية إذا لم يكن لها أثر ظاهر في «نموذجه»، ولكن الإشكال يقع ـ مثلاً ـ عند دراسة مستويات تمثيل الامتياز البشري[٣]، لا سيما مستوى: القيم والمعتقدات (التي قد يراد بها القناعات)، ومستوى: الهوية[٤].

إن معرفة هذه المستويات يُفترض أن «يجعل من يريد أن يحاكي سلوكاً، أو مهارة ما موجودة في شخص آخر يعرف كيف ـ بالضبط ـ اكتسب ذلك السلوك أو المهارة هو نفسه. ومن ثم تَسهُل عملية نقلها للآخرين»[٥]. ليس ظاهر «النموذج» هو المقصود بالدراسة فقط، وإنما الخلفية العقدية والثقافية التي ينطلق منها كذلك. ولذلك فإن الشخصيات الأولى التي تمت «نمذجتها» تشكل لوثة لا يمكن تجاهلها في هذا العلم الوليد.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن تلك الشخصيات الثلاثة:

فريتز بيرلز:

هو طبيب نفسي ألماني من أصل يهودي، ولد عام ١٨٩٣م، وأنشأ العلاج الغشتالطي في منتصف القرن العشرين. وفي عام ١٩٦٢م بدأت علاقة بيرلز بمعهد إيسلن الذي أقام فيه حتى عام ١٩٦٩م. وقد التفت إلى دراسة بوذية زن

---

(١) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: (5-6).

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٣٦.

(٣) عند دراسة «نموذج» ما، يُنظر إليه من مستويات متعددة، منها قيم صاحب «النموذج» ومعتقداته، وكذلك هويته ونظرته لذاته، ليتمكن من يريد تطبيقه من معرفة البواعث التي قادت الأول وحفزته، وتعتبر هذه المحفزات قابلة للمحاكاة هي الأخرى.

(٤) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص٤٧ ـ ٥٢، وعلم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص٢١ ـ ٢٢، و Creating Irresistible Influence with NLP-Charles Faulkner: 6, and

(٥) البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص٤٤.

(Zen) في هذه الفترة، ودمج بعض فلسفاتها في ممارسته ـ بل إنه رحل إلى اليابان، وأقام مدة في دير لرهبان زن هناك. ثم عاد إلى الولايات المتحدة، وتوفي في بلدة شيكاغو عام ١٩٧٠م[١]. ولم تستخرج «نماذج» بيرلز للبرمجة اللغوية العصبية إلا بعد وفاته بعامين، عبر ملاحظة تسجيلاته الصوتية والمرئية[٢].

ميلتون إيركسون:

هو طبيب نفسي أمريكي مختص بالتنويم الإيحائي، ولد عام ١٩٠١م. اشتهر إيركسون بنظرته الخاصة للعقل الباطن، حيث كان يعتقد أن فيه قوى كامنة، وأن لديه القدرة على الإبداع، وحل المشاكل. تعتبر جل نظريات ميلتون حول العقل الباطن مستفادة من تجاربه الشخصية، فقد كان يعاني من عدد من الأمراض التي زعم أنه تغلب عليها من خلال نوبات تلقائية من الغشية، أو «ومضات من الضوء» تشبه المكاشفات الباطنية. وعندما كان يعاني من شلل شبه كامل أدرك أهمية طرق التواصل غير المنطوقة، وأصبح يوظفها لاحقاً في ممارساته العلاجية والإرشادية. التقى إيركسون بـ باندلر وغريندر في السبعينيات، وكان له أثر كبير عليهما. استمر في عقد الدروس والندوات إلى أن توفي عام ١٩٨٠م وعمره ٧٨ سنة[٣].

فيرجينيا ساتير:

هي معالجة نفسية أميركية مختصة في المشاكل الأسرية، ولدت في عام ١٩١٦م. استخدمت ساتير التنويم الذاتي، وأنواع من «التأمل» الشرقي في أعمالها، فقد كان التواصل الإيحائي يشكل أهمية في نظرياتها[٤]، وقد كانت من قيادات حركة «القدرات البشرية الكامنة» في عام ١٩٦٦م. علماً أن ساتير كانت متأثرة بالفلسفات الشرقية في حياتها الخاصة، وقد طلبت أن يُحرق جسدها بعد موتها على الطريقة الهندوسية[٥]. وقد توفيت في عام ١٩٨٨م، بينما تمت دراسة أساليبها العلاجية واستخراج «نماذج» للبرمجة اللغوية العصبية

(١) انظر: Fritz-Martin Shephard: 187.
(٢) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: 13.
(٣) انظر: My Voice Will Go With You-Sidney Rosen: (17-20).
(٤) انظر: Virginia Satir-Steve Andreas: 36.
(٥) تصفح الموقع الرسمي للشبكة العالمية لفيرجينيا ساتير (أفانتا).
www.avanta.net.aboutus.aboutSatir

في عام ١٩٧٣م[١].

ومن هنا يتضح أن الأجواء التي نشأت فيها البرمجة اللغوية العصبية كانت ملوثة بالفكر الباطني، والمعتقدات التي تتبناها حركة «العصر الجديد». قد لا يوجد دليل على أن البرمجة هي وليدة حركة «العصر الجديد» كما هو رأي بعض الباحثين، ولكنها تشترك مع الحركة في بيئة النشأة، ولذلك تجتذب البرمجة اللغوية العصبية كثيراً من أتباعها المتحمسين.

ومن أبرز الشخصيات التي أسهمت في تطوير البرمجة اللغوية العصبية ـ من أتباع حركة «العصر الجديد» أو المتأثرين بفكرها ـ هم:

د. تاد جيمس (Tad James):

هو أحد رواد البرمجة اللغوية العصبية في العالم، وله شركة عالمية تحمل اسمه. ينسب إلى نفسه ابتكار ما يسمى بالعلاج بخط الزمن (Timeline Therapy Ø)، ونشر أول كتاب له في هذا الموضوع عام ١٩٨٨م[٢]. حصلت خلافات بينه وبين ريتشرد باندلر حول أحقية تسويق العلاج بالزمن وانتهت العلاقة بينهما بسبب ذلك. «بعدها، قام تاد بتقديم صور متعددة من ديانات «العصر الجديد» ـ بما في ذلك الهونا[٣] ـ إلى برمجته اللغوية العصبية»[٤]. وقد قدم جيمس عدداً من الدورات في الشرق الأوسط[٥]، وله معجبون وأتباع في الوطن العربي.

---

(١) انظر: Meta-Reflections on the History of NLP-L. Michael Hall: 13.

(٢) تصفح موقع تدريب البرمجة اللغوية العصبية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.nlpcoaching.com.General information.Out Trainers. Tad James.

(٣) الهونا (Huna): هونا كلمة هاوائية (نسبة إلى جزر هاواي Hawaii) تعني السر، بمعنى العقيدة الاستسرارية الخاصة. وقد أطلقت في القرن السابق على جملة المعتقدات الروحانية في الجزر. تشبه المعتقدات الشرقية في مبدأ الطاقة الكونية، وتطلق عليه اسم مانا (Mana).

انظر: Huna-Serge Kahili King: Introduction.

وتصفح موقع الهونا الأثرية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.ancienthuna.com

(٤) Meta-Reflection on the History of NLP-L. Michael Hall: 17.

(٥) منها:

○ دورة في القاهرة عام ١٤٢٤هـ تتضمن: تدريب المدربين والعلاج بخط الزمن. وتكلفتها =

د. وايت وود سمول (Wyatt Woodsmall):

رئيس الاتحاد العالمي لمدربي البرمجة اللغوية العصبية (INLPTA)، اشترك مع تاد جيمس في تأليف كتاب «العلاج بخط الزمن». يخلط ودسمول بين البرمجة وبين روحانيات «العصر الجديد»، وتوجهه هذا يظهر في كتابه: «الوعي بما هو ما بعد النفس» (Beyond Self Awareness)[١]، والذي يهدف إلى ربط مبادئ البرمجة اللغوية العصبية بالأفكار والممارسات الروحانية، حيث يتناول عدداً من الفلسفات الشرقية والباطنية كاليوغا والكارما وغيرها[٢]، زار وودسمول الخليج العربي عدة مرات وأقام فيه عدداً من الدورات التدريبية[٣]. علماً أن د. وايت أعلن إسلامه في عام ٢٠٠٧م، ولعله رجع عن أفكاره الباطنية، غير أني لم أطلع على ما يفيد ذلك، والله أعلم.

آنتوني روبنز (Anthony Robbins):

متحدث، وكاتب أميركي مشهور، ولد في عام ١٩٦٠م. كان مرشداً في بداية حياته ومدرباً للبرمجة اللغوية العصبية، والتنويم الإركسوني، بعد أن تلقى تدريبه على يد رتشرد باندلر شخصياً. ثم في عام ١٩٨٣م تعلم المشي على الجمر من تولي بوركان، وأدمجه في تدريباته. إلا أن حقوق الملكية منعته من

= ٩٣٥٠ دولار أميركي (شاملة التذاكر والسكن). والحجز كان متوفراً من مكتب الخطوة الذكية في جدة.

○ دورة في البحرين عام ١٤٢٤هـ تتضمن التدريبات التالية: مدرب تنويم، ممارس متقدم بالعلاج بخط الزمن، مدرب في العلاج بخط الزمن. والحجز كان متاحاً عن طريق ياسر الرفاعي مدرب في التنمية البشرية يقيم في جدة.

(١) أصله مجموعة مقالات نشرت في مجلة رابورت (Rapport) المتخصصة في البرمجة اللغوية العصبية.

(٢) انظر: .Beyond Self Awareness-Wyatt Woodsmall

(٣) منها مثلاً:

○ دورة في البحرين، بعنوان (صانع المطر) (Rain Maker) في عام ٢٠٠٩م. وموضوعها الرئيس هو التسويق والمبيعات من خلال البرمجة اللغوية العصبية.

○ وحددت الدورة ذاتها في الرياض عام ٢٠١٠م مع تغيير العنوان إلى (صانع الثروات)، ثم تم تأجيلها.

○ ودورة في البحرين عنوانها (كوتشنغ) (Coaching)، وموضوعها: تحفيز وتوجيه وإرشاد الآخرين بهدف رفع وتحسين الأداء.

الاستمرار في استخدام البرمجة، فاخترع طريقة خاصة به وسماها: تكييف الارتباطات العصبية (Neuro-Associative Conditioning/NAC). ويعد روبنز متحدثاً بارعاً، واسع التأثير، ولكنه متأثر بلوثات حركة «العصر الجديد»، وقد أبدى إعجابه بـ ديباك شوبرا وفلسفته حول «الوعي» علناً[١]. يعتبر كتاب روبنز «أيقظ العملاق الذي بداخلك» (Awaken the Giant Within) منطلق عدد من الدورات في المملكة العربية السعودية والعالم العربي. غير أن آنتوني لم يعد يدرب على البرمجة اللغوية العصبية منذ مدة طويلة، وإن كان ـ بلا شك ـ متأثراً بها بشكل كبير.

المطلب الثالث

أصول البرمجة اللغوية العصبية ومبادئها، وصلتها بحركة «العصر الجديد»

تبينت ـ من خلال استعراض نشأة البرمجة اللغوية العصبية ـ الأصول التي تفرعت عنها البرمجة، والمبادئ الرئيسة التي تقوم عليها، وهذه الأصول والمبادئ هي التي أسهمت في جعل مجالات البرمجة مرتعاً خصباً لأتباع حركة «العصر الجديد» وفلسفاتهم الباطنية[٢]. يمكن إيجاز تلك الأصول والمبادئ فيما يلي:

أولاً: التوجهات الباطنية لأصحاب «النماذج» الأولى في البرمجة اللغوية العصبية:

إن الشخصيات البارزة في كل فن تجذب من هو على شاكلتها في الثقافة أو المعتقد إليه، وتعطي انطباعاً عن التوجه العام له، لا سيما إذا اشترك عدد منهم في الاتجاه نفسه. والبرمجة اللغوية العصبية قامت ـ في بدايتها ـ على دراسة أعمال ثلاث شخصيات كانت تتبنى بعض الفلسفات الباطنية، ولها تأثر مباشر بالفلسفة الشرقية عبر بوابة معهد إيسلن الشهير.

---

(١) حيث أجرى معه مقابلة صوتية، واستضافه في إحدى الدورات ليبين فلسفته الباطنية في الوجود والحياة.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 160.

عندما تمت دراسة أساليب التواصل في «النماذج» الأولى للبرمجة اللغوية العصبية: بيرل وساتير وإيركسون، ظهرت أنماط لغوية، ومصطلحات ذات تعلق بالخلفية الثقافية والعقدية لكل منهم، كمصطلحات «النمو» و«العقل الباطن»، و«تحقيق الذات»، و«التناغم»، و«التوصل لأقصى القدرات الكامنة»، وغيرها. وهي مفاهيم تخدم التوجهات الفلسفية لحركة «العصر الجديد»[(١)].

ثانياً: العلاج الغشتالطي (Gestalt Therapy):

ومن المؤثرات في البرمجة اللغوية العصبية: ما يعرف بالعلاج الغشتالطي، الذي يستمد كثيراً من مبادئه عن الوعي، والـ لا وعي من فلسفات الشرق، خاصة مع اهتمام فريتز بيرل ـ الأب الروحي لهذا العلم ـ بالديانات الشرقية، وبوذية زن على وجه الخصوص[(٢)].

إن هذا الخلط بين العلوم المقبولة في الأوساط العلمية وبين الفلسفات الباطنية من أبرز سمات حركة «العصر الجديد»، وحري أن يستهوي أتباعها[(٣)].

ثالثاً: علم نفس «ما بعد الذات» وحركة «القدرات البشرية الكامنة»:

ولدت كل من البرمجة اللغوية العصبية وحركة «العصر الجديد» من رحم حركة «القدرات البشرية الكامنة»، وهو ما جعل التبادل الفلسفي بينهما سهلاً ومتاحاً. فقد كانت حركة «القدرات البشرية الكامنة» أكثر مصادر البرمجة أهمية. وتتضح الصلة بينهما بالعودة ـ مرة أخرى ـ إلى الشخصيات المؤثرة في البرمجة اللغوية العصبية.

فقد كان فريتز بيرلز أول «باحث مقيم» في معهد إيسلن، وكانت فرجينيا ساتير أول من ترأس البحث والتطوير في إيسلن. وهما الشخصيتان التي تمت «نمذجتهما» من قبل مؤسسي البرمجة اللغوية العصبية عند بدايتها[(٤)].

---

(١) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll-252.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٢٩.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 10.

(٤) انظر: The Theoretical Roots of NLP-based Coaching-Suzie Linder-Pelz & L. Michael Hall-(12-13) - The Coaching Psychologist Vol3, No. 1, May 2007.

يقول مايكل هال (Michael Hall)[١] ـ أحد كبار رواد البرمجة اللغوية العصبية[٢] ـ في معرض حديثه عن تاريخ البرمجة: «صُممت البرمجة اللغوية العصبية ـ كفرع من حركة القدرات البشرية الكامنة ـ لتكون إبداعية، مرحة، واسعة الخيال، وممتدة لتداعب الإمكانيات المتنوعة لتطوير موارد بشرية جديدة. فلا عجب أنه انجذب ـ ولا يزال ينجذب ـ إليها أتباع حركة «العصر الجديد»، وكثير منهم ينتهون إلى التدريب. وهنا تبدأ مشكلة أخرى. فهم لا يقتصرون على تعليم علم النفس المعرفي/السلوكي الخاص بالـ NLP.. ولكنهم يمزجون معه منظومتهم العقدية، أو ما يعرف بـ «ديانة العصر الجديد»»[٣].

وإذا أردنا تلخيص أبرز آثار «القدرات البشرية الكامنة» على البرمجة اللغوية العصبية، أمكننا ذلك من وجهين:

ـ القول بأن للإنسان قدرات غير محدودة: وهي سمة ظاهرة في البرمجة، وعندما تتداخل مع فلسفة «العصر الجديد» في تأليه الذات تتجاوز الأمور المعقولة إلى الغرائب وخوارق العادات. فالتركيز على القوى الخفية والقدرات الكامنة في البرمجة اللغوية العصبية يتناسب مع فكر حركة «العصر الجديد»، وإن كانت الأخيرة ـ بلا شك ـ أكثر غلواً وانحرافاً.

ـ القول بأن الإنسان يصنع واقعه ومستقبله: وهي من العبارات الترويجية في البرمجة اللغوية العصبية، يفسرها أتباع حركة «العصر الجديد» وفق فلسفتهم الباطنية في «الوعي» ووحدة الوجود.

رابعاً: العقل الباطن، والتنويم الإيحائي، وحالات الوعي المحورة:

سبق في تمهيد هذا الفصل بيان مفهوم العقل الباطن أو الـ لا وعي، وتمييز توجهين في هذا الخصوص. والبرمجة اللغوية العصبية تقوم بشكل رئيس على

---

(١) مايكل هال: كاتب أميركي تدرب على البرمجة اللغوية العصبية في الثمانينيات على يد باندلر، ابتكر نموذجاً سماه المعاني العصبية (Neuro-semantics) وسجله باسمه. له أكثر من ٣٠ مؤلفاً في مواضيع حول البرمجة، وهو الآن يعمل في التدريب على مستوى العالم. تصفح الموقع الرسمي للمعاني العصبية: www.neurosemantics.com leadership team.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني: ٣٦٥.

(٣) Meta-Reflections on the History of NLP-Michal Hall: 17.

التعامل مع العقل الباطن، حيث يزعم أنصارها أن مما يميزها عن غيرها من المناهج المعنية بالمشاكل النفسية وتطوير الذات هو تعاملها مع كل من الوعي والـ لا وعي، وتوظيفها للأثر الذي تنسبه إلى العقل الباطن على الاتجاهات والسلوكيات[١].

إن التعامل مع الـ لا وعي مسألة شائكة ذات مزالق متعددة، إذ من الممكن توظيفه في تمرير معتقدات باطنية كفرية، وهو ما فعلته حركة «العصر الجديد» في البرمجة اللغوية العصبية وغيرها، حيث أصبح العقل الباطن إلٰهاً من دون الله يخلق، ويرزق، ويسعد، ويشقي. ولا شك أن هذا الحكم لا ينسحب على جميع من تعامل بالبرمجة، فمنهم من لا يفسر الـ لا وعي بالتفسيرات الباطنية للحركة، ولكن المقصود أن تركيز البرمجة اللغوية العصبية على العقل الباطن وقدراته جعلها تستقطب أصحاب هذه المعتقدات المنحرفة.

أضف إلى ذلك اعتماد البرمجة اللغوية العصبية على تطبيقات التنويم وحالات الوعي المتغيرة، والتوصل إليها من خلال بعض تدريبات التأمل والاسترخاء[٢]. وهذه الحالات المتغيرة للوعي هي مقصد رئيس في الفلسفات الباطنية، فأدرجت بعض أساليبهم في تحقيقها كالتأملات الشرقية، واليوغا، والمانترات المنتشرة بين أتباع حركة «العصر الجديد».

ولا شك أن حالات «الوعي المتغيرة» تشكل خطراً على المعتقد السليم للمسلم، إذ إنه في هذه الحالة يُعطّل العقل الواعي الذي هو مناط التكليف، أو تُضعف قدرته على التمييز، ومن ثم يكون عرضة للانحراف عن المسلّمات العقدية دون وسيلة دفاعية، لا سيما وأن «تغيير المعتقدات» هو من الأهداف المعلنة للبرمجة اللغوية العصبية، وإن لم تكن المعتقدات الدينية هي المقصودة ـ بالضرورة ـ في السياق الأصلي.

خامساً: المنفعة هي غاية البرمجة اللغوية العصبية لا الحقيقة:

إن البرمجة اللغوية العصبية ليست «علماً»، ولا تخضع للمقاييس العلمية،

---

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٣١.

ولم يدع مؤسِّسَاها أنها كذلك[١]، وإنما هي تقنيات نفعية بحتة، تعتمد على ما يرجع بالفائدة إلى الشخص دون الاهتمام بتفسير ما وراء ذلك. ولذلك فإن البرمجة لا تعتمد على الدراسات «العلمية» في تسويق منتجاتها ـ خلافاً لأنصار التأمل التجاوزي ـ وإنما يعتمدون بشكل أساسي على تقويم الأفراد، والجماعات، وتزكياتهم.

يقول ريتشارد باندلر في مقدمة كتابه «احصل على الحياة التي تريد» مبيناً الفلسفة النفعية للبرمجة: «لقد قمت باختراع تقنيات سلوكية على مدى أربعة عقود. عندما ابتدأت في السبعينيات، كان المعالجون والممارسون في مجال علم النفس في صراع حول من كان يملك المنهج الأصح. لقد بدا الجدال عقيماً بالنسبة إلي». ثم يبين الطريقة التي سلكها هو بقوله: «لم أبحث عن أسباب المشكلة، ولم أسأل «لماذا». ولم أبحث عن طرق الشفاء. بحثت عن الوسائل التي نفعت، كيفما كان ذلك.. النتيجة هي ما يسمى اليوم البرمجة اللغوية العصبية، والتي هي مجموعة دروس تُعلم الناس ما وجده الآخرون نافعاً»[٢].

فلا يهتم مؤسسا البرمجة اللغوية العصبية بكون الطرق التي يستخدمونها «صحيحة» ويزعمون أن البرمجة اللغوية العصبية خالية من التنظير، وكل ما يهتمون به هو أنها نافعة، وتوصل إلى النتائج المطلوبة، ولذلك لا يهتمون كثيراً بإثبات صحة افتراضاتهم «علمياً».

يقول باندلر وغريندر في كتاب «من ضفادع إلى أمراء» الذي اشتركا في تأليفه: «ليست لدينا أية فكرة عن طبيعة الأشياء «الحقيقية»، وليس لدينا اهتمام كبير بما هو «حق». إن المقصود من عملية النمذجة هو التوصل إلى أوصاف ذات منفعة. فإذا قدمنا شيئاً تعلمُ من خلال الدراسات العلمية أو الإحصائيات أنه خاطئ، فاعلم أن ما يُقدم لك هنا هو مستوى آخر من الخبرة. نحن لا نقدم لك الحق، وإنما نقدم لك المنفعة»[٣].

إن النظرة النسبية للمنفعة، وتهميش الوسائل المنطقية والعلمية للتحقق

(١) رغم استخدام كثير من المدربين للمصطلحات المستخدمة في العلوم المبرهنة.

(٢) Get the Life you Want-Richard Bandler: xix.

(٣) Frogs to Princes-Bandler & Grinder: 7.

والإثبات، من السمات البارزة في كثير من تطبيقات حركة «العصر الجديد»، ولا تسعى الحركة للتعاون مع المؤسسات العلمية المحترمة والجهات البحثية الرسمية ـ بل وتشكك في مصداقيتها. ولذلك فإن هذا التناقض المفترض بين التجربة الشخصية والواقع، قد فتح باباً شديد الاتساع لولوج الخرافات إلى أوساط حركة «العصر الجديد»، وهو من الأسباب التي جذبت أتباعها إلى البرمجة اللغوية العصبية.

سادساً: الانتقائية:

عند تأمل مؤلفات مؤسسة البرمجة اللغوية العصبية وأنصارها، يجد الباحث خليطاً من المصادر والتوجهات، من علم النفس، إلى اللغة، إلى الإدارة، إلى الفلسفة. حتى إنه يصعب تصنيفها ضمن علم، أو توجه معين.

كما أن البرمجة تستهدف شرائح متباينة من المجتمع الإنساني وطبقاته المختلفة، المريض والصحيح، الأفراد والجماعات، الطلاب والمعلمين، المتطوعين والتجار، وكل من يخطر في البال. وهي تشترك مع حركة «العصر الجديد» في دعوى القدرة على قيادة البشرية للعافية والسعادة والنجاح.

لا تستمد حركة «العصر الجديد» مبادئها من مصدر موحد، بل تجمع بين فلسفات الشرق والغرب، منتقية منها ما يتناسب مع توجهها الباطني، وفي البرمجة اللغوية العصبية انتقائية مشابهة، فهي تستمد نظرياتها من علوم متفرقة وتوجهات متباينة، وتنتقي منها ما يتناسب مع توجهها وأهدافها.

سابعاً: مبادئ البرمجة اللغوية العصبية.

تروج البرمجة اللغوية العصبية لعدد من المبادئ والفرضيات التي ترى أنها تعين الإنسان على التقدم في حياته، والتغلب على الصعوبات، أذكر منها مبدأين ـ على سبيل المثال ـ وكيف يمكن فهمها وفق فلسفة حركة «العصر الجديد»:

(١) الخارطة ليست المنطقة[1] أو «الخريطة ليست هي الواقع»:

حيث تمثل الخارطة الإدراك البشري، والمنطقة أو الواقع تمثل الحقيقة الخارجية. ووفق منظور البرمجة اللغوية العصبية لا يمكن للإنسان أن يدرك

---

(١) ترجمة لعبارة: The Map is not the Territory

الواقع على حقيقته، وإنما يدركها من وجهة نظره هو[١]. ولا يخفى ما تحتمله هذه العبارة من معان وتفسيرات باطلة[٢]، إذ لا يمكن معها الحكم الجازم على أمر خارج بأنه حق مطلق، أو باطل مطلق، بل كل ذلك نسبي ذاتي يرجع إلى منطلقات الحكم وخلفياته[٣]. وهذا ما يؤيده المبدأ الثاني من مبادئ البرمجة.

(٢) وراء كل فعل مقصد إيجابي[٤]:

وهي عبارة مثيرة للجدل على عدة مستويات، لا يتسع المقام لمناقشتها، ولكن الذي يهمنا هو تأييد هذا المبدأ للتفسير الذي ذُكر للمبدأ السابق. فإذا كانت جميع الأفعال ـ بل والمعتقدات ـ مهما كانت منحرفة تنطلق من نية إيجابية، فهي صحيحة من وجهة نظر صاحبها، وإن رأى الآخر أنها خاطئة. ولا يُستغرب إذا استخدمها أتباع حركة «العصر الجديد» القائلون بوحدة الأديان في تأييد قولهم بنسبية الحق.

وبالنظر إلى جميع ما سبق: الشخصيات البارزة في البرمجة اللغوية العصبية، والبيئة التي نشأت بها، واعتمادها على العقل الباطن، وحالات الوعي المحورة، بالإضافة إلى مبادئها تحتمل عدة، فإنه لا عجب أن تكون البرمجة من التقنيات النفسية التي وظفها أتباع حركة «العصر الجديد» في نشر فكرهم الباطني المنحرف، ولا عجب أن تكون البرمجة اللغوية العصبية محل إثارة وجدل طويل.

وفي كثير من الأحوال ـ سواء في العالم العربي أو الغربي ـ نجد أن كثيراً من المدربين والمهتمين بالبرمجة اللغوية العصبية متلبس ـ بشكل أو بآخر ـ بعلوم الطاقة، أو خرافات الفلسفة الشرقية، والديانات الوثنية القديمة والحديثة،

---

(١) انظر: علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: بافيستر وفيكرز ص٢٤، والبرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص١٨.

(٢) والغريب في الأمر أن هذه العبارة قد فُسرت بأن الخارطة حاكمة على الواقع، فإذا تغيرت الخارجة ـ أو الحالة الذهنية ـ تغير الواقع تبعاً. يقول إبراهيم الفقي (البرمجة اللغوية العصبية: ٣١): «أنه بتغيير إدراكك، فإن حياتك تتغير معه»، وهذا لا يصح عقلاً إذ تغيير خريطة مكان ما لا يمكن أن يؤثر في شبر من حقيقة المكان على أرض الواقع.

(٣) سبق الحديث عن النسبية في الباب الثاني في فصل بعنوان: معيار الحقائق والقيم، يمكن مراجعته.

(٤) ترجمة لعبارة: .Behind Every Behavior is a Positive Intention

فمستقل ومستكثر[١].

المطلب الرابع
نماذج تقنيات البرمجة اللغوية العصبية المتأثرة بحركة «العصر الجديد»

سأسوق في هذا المطلب نموذجاً واحداً لمدربي البرمجة اللغوية العصبية المتأثرين بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، وهذا لا يعني أنه وحده على هذا المنهاج، وإنما اخترته لأنه من أشهر المدربين المتأثرين بالحركة، وأكثرهم أثراً في العالم العربي والإسلامي.

يعتبر تاد جيمس من أوائل مدربي البرمجة اللغوية العصبية، فخبرته في

---

(١) فمن مدربي البرمجة اللغوية العصبية في العالم العربي:
- إبراهيم الفقي: من كبار مدربي البرمجة اللغوية العصبية المعتمدين في العالم العربي، ومدرب معتمد بخط الزمن، وفي الوقت ذاته مدرب معتمد في الريكي.
- محمد دهب: مدرب معتمد في البرمجة العصبية، مدرب معتمد في علم الطاقة الفرعوني، مدرب في علم الشفاء بالطاقة الريكي معتمد من الاتحاد الدولي للطاقة والطب البديل.
- عبد اللطيف الصريخ: مدرب معتمد في البرمجة العصبية، معالج معتمد بخط الزمن، مدرب معتمد لتقنيات الاستشفاء بالطاقة (الريكي).
- ياسر نصار: مدرب ومعالج معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، معالج معتمد بخط الزمن، معالج بالطاقة الحيوية ريكي (موقعه الرسمي: www.y2sser.com).
- ناصر الفريح: مدرب معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، مدرب ومعالج بعلوم الطاقة الحيوية، ماستر ريكي، مدرب معتمد في خط الزمن.
- وليد المرشد: مدرب معتمد في البرمجة اللغوية العصبية، مدرب معتمد في العلاج بخط الزمن، مدرب عام معتمد من شركة تاد جيمس، حاصل على الهونا المستوى الأول، والريكي المستوى الأول والثاني.
- طلال خياط: ممارس في البرمجة اللغوية العصبية، معالج معتمد بالريكي، ومؤسس جمعية سعودي ريكي. (الموقع الرسمي لـ سعودي ريكي: www.saudireki.net).
- مها هاشم: ممارس متقدم في البرمجة اللغوية العصبية، ومدربة معتمدة وممارسة لليوغا، ومدربة للعلاج بالبرانا، وماستر معتمد في الريكي، ومشرفة جمعية ملتقى الباراسيكولوجي. (موقعها الرسمي: www.mahahashem.com).

والقائمة تطول جداً، أكتفي بما ذكر للإشارة.

التدريب تقارب الثلاثين عام، وهو إلى جانب ذلك مهتم بالهونا والشامانيه، وفي كتاباته إشارات إلى عدد من معتقدات «العصر الجديد»، كوحدة الوجود، وتأليه الوعي، وتناسخ الأرواح، وجذب القدر. ومن أجل توضيح أثر الحركة في فكر جيمس وممارساته سأستعرض أبرز نتائجه الفكري المتمثل في كتابين:

- **أحدهما**: العلاج بخط الزمن (Timeline Therapy Ø).
- **والآخر**: سر تشكيل المستقبل (The Secret of Creating Your Future Ø).

أولاً: العلاج بخط الزمن:

لقد تدرب تاد جيمس على يد رتشرد باندلر في بداية ظهور البرمجة اللغوية العصبية، وأصبح علماً على البرمجة، يقوم بتدريب أعداد هائلة من الراغبين، ولكن بداية شهرته الحقيقية كانت بعد أن «اكتشف» العلاج بخط الزمن المتفرع من البرمجة[١].

يُعرف خط الزمن بأنه «الرموز الشفرية للذكريات في عقل الإنسان. إنه الطريقة التي يشفر الناس بها ذكرياتهم ويختزنونها»[٢]، وبه يميز الإنسان بين الذكريات الماضية وأحلام المستقبل. ويزعم المعالجون بخط الزمن أنه بإزالة بعض الذكريات يمكن تغيير سلوكيات الإنسان، وطباعه الشخصية، حيث تُسهم الذكريات ـ سواء كانت في الوعي أو الـ لا وعي ـ في بنية شخصيته وسلوكه[٣].

يختلف خط الزمن من شخص لآخر، فمنهم من يخزن ذكرياته خلفه، ومنهم من يخزنها عن يمينه وشماله، بحسب نظرته للوقت. فلو أغلق عينيه وتذكر حدثاً قديماً وأحس الذكرى تأتيه من يمينه، كان ذلك بداية خط زمنه، ونهايته عند الاتجاه الذي تأتي منه أفكاره عن المستقبل. أما استخدام هذه الفرضية في العلاج فيكون عن طريق التخيل، حيث ينتقل الإنسان بخياله عبر خط زمنه ليجد الذكريات المؤلمة التي تؤثر عليه، فيزيلها عن طريق إبعادها بخياله![٤].

---

(١) تصفح موقع تدريب البرمجة اللغوية العصبية، أحد المواقع التابعة رسمياً لشركة تاد جيمس: www.nipcoaching.com.General Information. Our Trainers. Tad James.

(٢) Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: 10.

(٣) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (10-11).

(٤) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (22-34).

قد تبدو هذه الطريقة ساذجة وطفولية، ولكن تظهر خطورة هذه الفلسفة عندما يبين جيمس مفهوم الزمن والحياة، فيوجه المعالج بخط الزمن بأن يطرح الأسئلة التالية على المريض:

- «ما هو السبب الجذري لهذه المشكلة؟ الحدث الأول الذي لو تم فصله لاختفت المشكلة؟».
- ثم يُسأل: «هل كان قبل، أثناء، أو بعد ولادتك؟».
- فإن قال: قبل الولادة، يعرض المعالج الاحتمالات الواردة: «هل كان في حياة سابقة؟ أم أنه وصلك عن طريق التوارث؟».
- فإن قال: في حياة سابقة، سُئل: «قبل كم حياة مضت؟»[١].
- فإن كان المريض لا يعلم، وُجِّه لأن يقول ما يتبادر إلى ذهنه، ويثق بعقله الباطن!

يرى جيمز أنه يلزم المعالج أن يترك المجال مفتوحاً للمريض بالاعتقاد بالحياة السابقة، بغض النظر عن اعتقاد المعالج، وإلا كان العلاج ناقصاً[٢]. وهو يمثل ذلك للمعالج من خلال الشكل التالي:



ثم يسرد عدداً من القصص الخرافية عن الحيوانات السابقة، وخط الزمن.

إن مبدأ خط الزمن لا يقتصر على العبث بذكريات الماضي، وإنما يوظف في خلق المستقبل، وتشكيله كذلك، فإذا أراد الإنسان تحقيق أمر ما في مستقبله، طار بخياله إلى الموضع المقصود من خط زمنه المستقبلي، فيضع

---

(١) Introducing the Art and Science of Timeline Therapy Techniques-Tad James: 1.

(٢) انظر: Timeling Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: 66.

الفكرة هناك، ثم تتحول «الذكريات» التي قبله لتتناسب مع الهدف، ويسجل ذلك كله العقل الباطن، فإذا جاء ذلك الوقت تحقق المراد المزروع في خط الزمن(١)!

وإن الإنسان لا يعجب من تسويق هذه الخرافات، إذ الطمع من طبعه، بقدر ما يعجب من تدافع الآلاف من عقلاء العالم لحضور تلك الدورات ودعمها بأموالهم.

ثانياً: سر تشكيل المستقبل:

لقد ألف تاد جيمز كتاباً صرح فيه بمعتقداته الباطنية يتحدث فيه عن تطبيقات خط الزمن والإمكانات العجيبة التي يتيحها، إلا أنه أخرجه على شكل حكاية روائية. ويعتبر هذا الكتاب الذي سماه: «سر تشكيل المستقبل» من أكثر كتب تاد شهرة ومبيعاً.

يدور موضوع الكتاب حول شاب اسمه ميلون (Milon)، حصل على «سرّ تشكيل المستقبل»، وذلك من خلال سماعه صوت «ساحر» ينبع من داخله، في تصوير خيالي للمعرفة الغنوصية الباطنية.

وبات هذا «الساحر» الباطن يملي على الشاب مبادئ فلسفية، والشاب يتقبلها ويعمل بها، فكان من بينها تأليه الوعي، وجعله حكماً على الواقع. فكان نص المبدأ: «أنا أتحكم في أفكاري، ومن ثم نتائجي»(٢).

ويبين معتقده بجذب القدر ـ المتفرع عن وحدة الوجود ـ على لسان الساحر قائلاً: «لا بد أن تكون دقيقاً؛ لأن الكون سيعطيك ما تريد. هكذا يعمل الكون، فالكون يا ميلون هو عقل صرف»(٣). ثم يستمر في تقرير أن الكون ـ في الحقيقة ـ ليس مادة، وإنما تيارات تتغير بمجرد الملاحظة، فهو خاضع لفكر الإنسان وإرادته.

وفي فصل حول طبيعة الكون، يبين الساحر أن «برمجة» المستقبل ممكنة لأن الكون عقل صرف، يتأثر بفكرك، وما تزرعه في مستقبل زمانك سيتحقق حتماً(٤).

---

(١) انظر: Timeline Therapy-Tad James & Wyatt Woodsmall: (79-84).

(٢) The Secret of Creating Your Future-Tad James: 18.

(٣) The Secret of Creating Your Future-Tad James: (27-28).

(٤) المرجع السابق ص٥٧ ـ ٦٦.

أما عن هدف الإنسان في الحياة فيبينه الصوت الباطني من خلال خط الزمن، فيأمر ميلون بالتقدم للمستقبل إلى نهاية خطه المستقبلي حتى يتجاوزه، فإذا رأى نوراً أبيض في نهاية نفق مظلم سعى إليه مسرعاً، ثم تأتي تعليمات الساحر: «اعبر النفق، وادخل في النور الأبيض... كن واحداً مع النور الأبيض» فيقول المؤلف معلقاً: «اختفى جسد ميلون وأصبح حراً. وَعيٌّ صرف معلق في الفضاء»[1]. ثم يستمر في وصف هذه الوحدة، وذوبان الحدود بين جميع مفردات الوجود.

وتظهر تلك المقاصد الباطنية بجلاء أكبر عندما يدون ميلون أهدافه الروحانية، فيجعل منها: توسيع الوعي، تحقيق الوحدة، والتوصل للحقيقة الكلية[2].



إن منهج تاد جيمز في البرمجة اللغوية العصبية متأثر دون شك بمعتقداته الباطنية، وإن أنكر ذلك. فإن البرمجة تعتمد في كثير من تطبيقاتها على العقل الباطن، بينما جيمز يفسره بتفسير باطني يتناسب مع فكر حركة «العصر الجديد»، ويحيل إلى أقوال ديباك شوبرا و«دراساته» حول العقل الباطن[3]. والتي لا يخفى توجهها الهندوسي الباطني على أدنى مطلع. بل إن تاد جيمز صرح بعقيدة الوجود قائلاً: «الكل هو العقل»[4].

ويستخدم جيمز البندول للتواصل مع العقل الباطن، فبعد تنويم الإنسان يضع في يده بندولاً ويتخاطب مع عقله الباطن وتكون الإجابات بحسب ميلان البندول. ثم يحيل القارئ إلى شراء مثل البندول المميز من المحال التجارية التابعة لحركة «العصر الجديد»[5].

وفي كتابه المعنون: «التقديم بشكل ساحر» وهو كتاب يساعد الإنسان على التخاطب مع الجماهير من خلال البرمجة اللغوية العصبية يقول: «إذا كنت تقدم

(١) المرجع السابق ص١١١.
(٢) انظر: The Secret of Creating Your Future-Tad James: 25.
(٣) انظر: Hypnosis-Tad James: 3.
(٤) Hypnosis-Tad James: 5.
(٥) Hypnosis-Tad James: (107-108).

لمجموعة من الناس، كل منهم لديه نموذج مختلف للعالم، مختلفاً عن ما عندك، فإنه يلزمك احترامهم جميعاً. هذا لا يعني أنهم على حق وأنت على باطل، ولا عكس ذلك. ولكن إذا افترضت أن كل شخص على حق ـ من وجهة نظره هو ـ أصبحت هناك مجرد تنوع في نماذج العالم. إذا كنت دائماً تفترض أنه لكل من في الصالة هناك نموذج ملائم له تماماً، ستكون دائماً قادر على التواصل الفعال معهم»[١]، مكرساً نسبية الحقائق وذاتية القيم.

فالمقصود: أن تاد جيمز من أبرز المروجين للفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، ومن المؤسف أن له أتباعاً ومعجبين كثيرين في العالم الإسلامي، بل ينتسب بعضهم إلى مدرسته في البرمجة، وتنتشر مذكراته التدريبية في المواقع والمنتديات العربية على شبكة الإنترنت[٢].

(١) Presenting Magically-Tad James & David Shephard: 38.

(٢) لا ينبغي إغفال أن البرمجة اللغوية العصبية هي تجارة في المقام الأول بالنسبة لكثير من المدربين، ولذلك يتلونون كالحرباء استغلالاً لأموال الناس واستغفالاً لعقولهم. وفي لقاء أجرته صحيفة الجزيرة مع تاد جيمز أجاب عن السؤال التالي: يتهمك البعض بابتداع تقنيات أخرى من غير البرمجة اللغوية العصبية استخلصتها من عادات وتقاليد بعض الشعوب في جزر الهاواي فيها بعض الشعوذات.. كيف ترد على مثل هذه التهم؟

بقوله: «قرأت شيئاً من ذلك في صحيفة سعودية واحدة، واتضح لي أن تلك المقولات فيها كثير من التجني وكاتبها غير ملم بما أعمل ولا يعرف نشاطاتي في مجال تطوير الشخصية ولديه خلط كبير في كثير من المفاهيم وتشويش كبير في نوع البرامج التدريبية التي أنفذها على مستوى العالم. بداية:.. البرمجة اللغوية العصبية شيء آخر مستقل عن الدورات التي أقدمها في مجال الطاقة وليس ثمة رابط يربطهما ببعض كل علم مستقل بذاته، الشيء الثاني أنني لست كما يعتقدون من حيث أنني أستخدم علوماً أخرى من قبيل الشعوذة، إنني أضحك كثيراً على هذه التهم، وليس ثمة طريقة أدافع بها عن نفسي، في حين أنني أعرف ماذا أعمل، والجميع يعرفون ماذا أعمل، وتحديداً الأصدقاء الكثر الذين سعدت كثيراً بمعرفتهم في السعودية، والكويت، ولبنان، وعدد من الدول العربية، هؤلاء يعرفون ماذا أعمل، وليس لديهم خلط في برامجي التدريبية. أنا أحترم الثقافة السعودية، وأحترم الدين الإسلامي، ولا أظن يوماً أنني أتيت إلى هنا إلا من أجل المساهمة في تطوير القدرات، ورفع كفاءة الإنسان في جو من الاحترام المتبادل لثقافاتنا، وتقدير الإنسان الآخر.

والمتدربون من السعودية، والخليج، والدول العربية الذين اتصلوا بي عن قرب، عن طريق دورات البرمجة اللغوية العصبية، وتقنيات خط الزمن، والتنويم الإيحائي، يعرفونني =

المطلب الخامس

تقويم البرمجة اللغوية العصبية

إن الحكم على البرمجة اللغوية العصبية ليس أمراً سهلاً، فهي تقنية واسعة متعددة التطبيقات والمعالم، ولذلك اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً، بخلاف غيرها من ممارسات حركة «العصر الجديد»، أو تلك المتأثرة بفكرها. وعند تحرير محل النزاع بين مؤيدي البرمجة اللغوية العصبية ـ من طلبة العلم ـ ومعارضيها، نجد أنه يكمن في الزاوية التي يُنظر إلى البرمجة منها، فمن نظر إلى بعض تطبيقاتها نظرة اختزالية، وأمكنه تمحيصها، رأى أنها من العلوم المشتركة التي يمكن تنقيتها والاستفادة منها، أو حتى الاستعاضة بتقديم «نماذج» دينية نابعة من التراث الإسلامي، ومن نظر إليها من حيث أصولها، ومخرجاتها ألحق الفرع بالأصل، وحكم ببطلان ما بُني على باطل.

ربما تكون الإشكالية في البرمجة اللغوية العصبية في أن التوجه الفلسفي ليس ظاهراً ـ وقد يكون غير موجود ـ في بعض تقنياتها، ومستوياتها الدنيا، ولذلك قد يستغرب من يمارسها من تحذيرات بعض المختصين وانتقاداتهم لهذا العلم الوافد.

فالبرمجة اللغوية العصبية تنقسم إلى قسمين: قسم متأثر بالفلسفات الباطنية وأفكار حركة «العصر الجديد»، وقسم لا تبدو آثارها عليه. ويرتكز الخلاف بينهما على مفهوم العقل الباطن أو الـ لا وعي، فمن جعل العقل الباطن وعياً كلياً ذا سلطة مطلقة وقدرات خارقة، خلط بين الفلسفة الباطنية والبرمجة اللغوية العصبية، ومن اقتصر على المفهوم النفسي للعقل الباطن ـ وإن لم يكن مسلّماً به علمياً ـ لم يكن مستصحباً لهذا التوجه. علماً أن مدى تأثير معتقدات حركة «العصر الجديد» على البرمجة يختلف من مدرب لآخر، كل بحسب معتقده وميوله.

ولذلك ينبغي عند الحكم على البرمجة اللغوية العصبية مراعاة التقسيم

= جيداً. عموماً.. ما يشاع عني في هذا الجانب أمر يثير الضحك والاستغراب في نفس الوقت» (العدد: ١١٧٨١، ١٨ ذو القعدة ١٤٢٥هـ).

والحقيقة أن الذي يثير الضحك هو إنكاره لما هو مشاهد ومحسوس.

السابق، فالبرمجة القائمة على الفكر الباطني محرمة قطعاً، والمتلبس بها متلبس بأنواع من الكفر والشرك يرق ويغلظ. ولا أظن أن مختص في العلوم الشرعية يخالف في ذلك.

يبقى القسم الثاني، الذي لا تظهر عليه آثار المعتقدات الباطنية أو تطبيقات حركة «العصر الجديد»، فإن الصحيح منعه كذلك، وذلك لعدة اعتبارات:

١ ـ أن للبرمجة اللغوية العصبية قابلية كبيرة لتشرب الفكر الباطني، نظراً للبيئة التي نشأت فيها، والتوجهات الباطنية لكثير من شخصياتها البارزة، ثم بتركيزها على مفاهيم يسهل استغلالها من تلك التوجهات، كالتنويم والتركيز على الـ لا وعي والعقل الباطن. وذرائع الإلحاد والشرك أولى بالسد من ذرائع المحرمات في الأحكام والمعاملات.

٢ ـ أن البرمجة اللغوية العصبية قد تكون مدخلاً إلى غيرها من خرافات الطاقة والفلسفات الشرقية، حيث قد تعتبر وسائل لتحقيق نتائج أفضل وأسرع للبرمجة[١]. والمشاهد أن كثيراً ممن تلبس بعلوم الطاقة القائمة على وحدة الوجود، وتطبيقات حركة «العصر الجديد» المتنوعة، كانت بداياته في البرمجة اللغوية العصبية.

٣ ـ أن البرمجة اللغوية العصبية في ذاتها قائمة على مبادئ قد تشكل خطراً على معتقد المسلم كتعظيم العقل وتأثيره على البدن[٢]، وكذلك العبث بالوعي، وتغييب العقل المميز من خلال التنويم والإيحاء.

٤ ـ أن المدربين المتشبعين بالفكر الباطني قد لا يظهرون معتقداتهم بشكل صريح، فإن من مبادئ البرمجة اللغوية العصبية التكيف مع البيئة الثقافية للمتدربين[٣]، وذلك لمصالح تسويقية ومنهجية (ولا شك أن كثيراً من الدورات التدريبية للبرمجة اللغوية العصبية ـ باعتراف أنصارها ـ تقوم على أساس تجاري ربحي)[٤]. فإذا تعمق المتدرب في مدرسة المدرب الفلسفية

---

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: إبراهيم الفقي ص١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: أندرو برادبوري ص١٣.

(٣) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: كارول هاريس ص٢٥.

(٤) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: سلمان الشمراني ص٣٦٦.

تكشفت له معتقداته الإلحادية في الكون والوجود. وإن صدقت مزاعمهم في قدرة البرمجة اللغوية العصبية على تغيير معتقدات الإنسان وقناعاته دون وعي منه[1]، كان الخطر ـ دون شك ـ أدهى وأعظم.

٥ ـ ولبعض الباحثين الشرعيين تحفظات أخرى على البرمجة اللغوية العصبية، غير أن الذي يهمنا في هذا البحث هو ما له تعلق بحركة «العصر الجديد» وأفكارها دون غيره.

ولذلك، فإنه لو افتُرض وجود تطبيقاتٍ للبرمجة اللغوية العصبية خالية من المخالفات الاعتقادية، أو أمكنت تنقية بعضها مما فيها من شوائب، لما كان ذلك مهوناً من خطرها، فإن البرمجة لا تأتي مجزأة، وهي منظمة بمؤسسات وشهادات معتمدة، ومن ينخرط في بعض تطبيقاتها ـ التي تحمل اسمها صراحة ـ لا يؤمن عليه من التدرج في مستوياتها، والتوصل إلى أكابر مدربيها، وفلسفاتهم المنحرفة. والله تعالى أعلم.

---

(١) إن في ثبوت آثار البرمجة اللغوية العصبية المزعومة جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية، ولم تقدم أدلة كافية لإثبات ادعاءاتها المتعددة. يقول د. مايكل هيب (Dr. Michael Heap) في خاتمة دراسته للبحوث التي أجريت على البرمجة اللغوية العصبية: «إن النتائج السابقة، بالإضافة إلى فشل الباحثين في تقديم دلائل مقنعة على المنافع المنسوبة إلى المطابقة المسندة * تثير تشككاً جدياً في دور تلك الأساليب في الإرشاد» إلى أن يقول في نتائج أسلوب المحاكاة المتبع في البرمجة: «كانت إيجابية في تحقيق التعاطف، لكن ليس في تعزيز الثقة، ولا في تحقيق التواصل الإيجابي». Hypnosis: Current Clinical, Experimental and Forensic Practices-Michael Heap: 276.

* المقصود تقسيم الشخصيات إلى سمعي وبصري وحسي بحسب الكلمات التي يستخدمها الإنسان، أو حركات عينية، وهي من أبرز معالم البرمجة اللغوية العصبية.

المبحث الخامس

روحانية العصر الجديد والصحة الجسمية

يُعبر أتباع حركة «العصر الجديد» عن نظرتهم للصحة الجسمية بأنها «شمولية» (Holistic)، وهي جزء من حركة أوسع نحو الطب التكميلي أو البديل[١]. وقد انقسم منحاهم في الطرق العلاجية «البديلة» إلى قسمين:

○ **القسم الأول**: اهتمام بالعلاج الطبيعي، كالعلاج بالأعشاب وبالزهور والزيوت العطرية، والعلاجات المثلية (Homeopathy)[٢]. وهذه الطرق وأمثالها، رغم افتقارها في كثير من الأحيان على الدليل العلمي المختبري، لا تشكل خطراً مباشراً على الاعتقاد، وليست مثيرة لكثير من الجدل حتى في الدول الغربية.

---

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Young: 23, and The Implications of New Age Thought-Irmhild Horm: 58.

(٢) العلاج المثلي: هو استخدام نسب يسيرة من العقاقير التي حال زيادة كميتها تؤدي إلى أعراض شبيهة بأعراض المرض الذي تعالجه. إلا أن الدراسات العلمية أثبتت أن نسب العلاج المستخدمة في العلاج المثلي لا يمكن أن تؤدي إلى أي أثر على الجسم البشري.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 22798. and The Skeptics Dictionary-Carroll: 162.

○ **أما القسم الثاني**، فهو الطرق العلاجية القائمة ـ في الغالب ـ على الفلسفات الشرقية في الصحة والمرض، والتي تنبع من معتقدهم في الاتحاد، ووحدة الوجود[١]. وإنكار خالق مباين للخلق، يمتلك قدرة الشفاء، ويهب العافية، والاستعاضة عنه بشفاء ذاتي يحدث بفعل طاقة روحانية في الداخل[٢].

وهذه الطرق هي التي سأتناولها في هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الصحة والمرض في الفلسفة الشرقية.

المطلب الثاني: نماذج من التطبيقات العلاجية التي تروج لها حركة «العصر الجديد».

المطلب الثالث: الضابط في ثبوت الأسباب الكونية.

المطلب الأول

الصحة والمرض في الفلسفة الشرقية

لقد اعتمدت حركة «العصر الجديد» في غالب تطبيقاتها العلاجية على فلسفة الاستشفاء الشرقية، والتي تقوم على عدد من الفلسفات الفرعية، من أبرزها:

- فلسفة الطاقة الكونية.
- فلسفة الـ ين يانغ، والعناصر الخمسة.
- فلسفة الأجسام الأثيرية.
- فلسفة الشاكرات ومسارات الطاقة.

تحتل الطاقة الكونية مكانة هامة عند حركة «العصر الجديد»[٣]، كما هو الحال في العقائد الباطنية الشرقية، الهندوسية والطاوية خاصة، وهي ترتبط ارتباطاً كلياً بتصورهم الفلسفي للوجود، بل تشكل مرحلة أولية من مراحل نشأة الكون، وهي تعبير عن عقيدة وحدة الوجود المتجذرة في تلك الفلسفات. لقد مر

(١) وللباحثة بحث مطبوع في هذه الطرق العلاجية، بعنوان: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية ـ دراسة عقدية، يمكن الاطلاع عليه للاستزادة.

(٢) انظر: The New Age Movement-Newport: (324-325).

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 73.

العالم الوجودي ـ في الفلسفة الشرقية ـ بأطوار متعددة قبل أن تتحدد معالمه التي نألفها اليوم. كان الطور الأول متمثلاً في الوجود الفوضوي، أو العدم، ثم تولد من العدم ـ ومن خلال حركات تحولية تلقائية ـ أول شكل من أشكال الوجود. هذا الوجود الأولي هو ما يعرف بالطاقة الكونية (تشي أو برانا)، والتي بدورها انفصلت وتمايزت إلى قطبين، هما الـ ين يانغ في الطاوية، أو ثلاثة أقطاب في الفلسفة الهندية، ومن خلال تفاعلات هذه الأقطاب، ومن بعدها العناصر الخمسة، ظهر هذا الكون إلى الوجود[١].

لقد وُظِّفت فلسفة الطاقة الكونية في مجالات عدّة، منها شفاء الأمراض، وتصويب الحالات النفسية والاجتماعية، إلا أن الهدف الأهم والأخطر وراء هذه الفلسفة هو الوصول إلى وعي تحولي، يسمح للسالك بمعاينة المنزلة المنشودة من الحقيقة الروحانية، وهي الإحساس بالوحدة والارتباط بين كل موجود[٢] وبشكل أدق «الوحدة مع الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق»[٣].

تبين عند الحديث عن نظرة حركة «العصر الجديد» للإنسان، أنهم يرون أنه إلٰهٌ منسي، حيث كان في أصله وعياً خالصاً وطاقة صرفة، ولكنه مع مرور الأزمنة، وتعاقب الحيوات، انفصل عن طبيعته الأصلية، وهو ما يعبر عنه باعتلال المخزون الطاقي والخلل في توازنه، ومن ثم تظهر الأمراض والأسقام على الإنسان لابتعاده عن حقيقته الإلٰهية، فإذا استعاد تلك الطاقة المفقودة، وضبط توازن الطاقات في جسده، اقترب إلى طبيعته الحقيقية التي لا تقبل العلل والأمراض.

فالطاقة الكونية تسري في الوجود كله، والحياة نتيجة لتكثفها، والموت

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر: ١٠٤، والشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص٦٣ ـ ٦٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطّاس الحكيم ص٢٠٠. The Tao of the West-J.J Clarke: 66, and New Age Spirituality: An Assessment-Edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٢) انظر: New Age Spirituality: An Assessment-edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٣) الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا ص١٦.

نتيجة لقلتها، أو انفصالها عن الجسد[١]. ولذلك كان طول حياة المرء أو قصرها ـ حسب هذه الفلسفة ـ مرهوناً بمخزونه الطاقي[٢]. ولذلك ينسب إلى الطاقة الكونية قدرات شافية[٣].

ومن هنا يأتي دور بقية الفلسفات التي ذكرت في بداية المبحث، فيكون عمل كل منها كالتالي:

أولاً: فلسفة الـ ين يانغ، والعناصر الخمسة:

تشكل فلسفة الـ ين يانغ ركيزة أساسية في نظرة حركة «العصر الجديد» للوجود، وهي أولى مراحل تمايز الموجودات، وانفصالها عن الوحدة الأولى. ولذلك فإن كل ما في الوجود يصنف وفق هذه الفلسفة إلى ين أو يانغ. فالأجناس، والأعضاء، والأطعمة، والأمراض والأخلاق كلها تصنف كذلك[٤]، واختلال التوازن بينهما يجعل الإنسان أبعد عن «الوحدة»، واسترجاع التوازن يقربه إليها.

فإذا أحس الإنسان بمرض أو علة، تم تشخيصها وفق هذه الفلسفة إلى ين أو يانغ، ثم تكون مداواتها من خلال التزود من مصادر القطب الثاني، التي قد تكون أطعمة، أو رياضات، أو ترانيم، أو غير ذلك، بحسب الطريقة العلاجية المستخدمة.

أما العناصر الخمسة (الماء، والهواء، والنار، والتراب، والمعدن) فقريبة من هذا المفهوم، فالتصنيف إلى عناصر يمثل مرحلة أخرى من تمايز وحدة الوجود، واستعداد التوازن يقرب الإنسان من تلك «الوحدة»، ويعيد إليه عافيته تبعاً. فالداء هو «عبارة عن اضطراب توازن طاقات الإنسان»[٥]، ناتج عن حدوث خلل في العناصر الخمسة.

---

(١) انظر: العافية: حسن البشل: ٥٦، وطاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٦ Lao-Tzu . and the Tao Te Ching-edited by: Kohn & Lafarague: 95, and Taoism: Growth of a Religion-Isabelle Robinet: 33.

(٢) انظر: Lao-Tzu and the Tao Te Ching-edited by: Kohn & Lafarague: 96.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا ص٢٥٨ New Age Spirituality: An . Assessment-edited by: Duncan S. Ferguson: 150.

(٤) انظر: Handbook of Chinese Popular Culture-Hsiao-Hung Lee: (7-9, 94).

(٥) العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتوا، ستيفن بيرش ص٥٨.

ثانياً: فلسفة الأجسام الأثيرية:

تتبنى كثير من الديانات الباطنية فكرة وجود أجسام لطيفة غير مرئية إلى جانب الجسم المادي المحسوس، ومنها الطاوية، وبعض الفرق الهندوسية والبوذية[١]. وقد تبلور مفهوم هذا الجسم اللطيف عند حركة «العصر الجديد» على طريقة الثيوصوفي في ما يعرف بالأجسام السبعة، أو الهالة الطاقية[٢]، والتي لا يمكن فهمها إلا مقترنة بفلسفة الطاقة الكونية، حيث تعد هي الصلة بينها وبين الجسم المادي.

تستخدم كلمة «الهالة» في كثير من المؤلفات العربية للتعبير عن الجسم الطاقي اللطيف الذي يحيط بالجسم المادي. وتعتبر هذه الهالة عند المعالجين بالطاقة «الوسيلة الوحيدة التي تصل الإنسان بعالم آخر على غير وعي منه، وتجعله يشعر أن له ذاتاً عليا تختلف عن ذاته السفلى»[٣]. و«من خلال الجسم الطاقي تُمتص الـ برانا وطاقة الحياة (الطاقة الحيوية)، وتوزع على كل الجسد المادي»[٤]. لذلك تُعد الهالة هي الواسطة والموصِّل بين المادي واللامادي، بين الإنسان وطاقة الكون.

كما يزعم أتباع حركة «العصر الجديد» أنه بإمكان بعض الناس - ممن يمتلكون قدرات خارقة ومن لديهم المقدرة على الاستبصار - رؤية الهالة البشرية[٥]، بينما يمكن لمن لا يمتلك «قدرات خارقة» أن يرى الهالة وألوانها

---

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطّاس الحكيم ص٢٠١ - ٢٠٢، و Ew Age Spirituality- edited by: Duncan S. Ferguson: 110.

(٢) انظر: The Skeptics Dictionary-Carroll: 33.

(٣) أسرار الطاقة: حكم الزمان ص١٨٦.

(٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص٣٥.

(٥) يرى بعض الأطباء أن رؤية ما يشبه الهالات حول الأشياء المرئية قد يكون نتيجة لوجود بعض الأمراض المزمنة كالشقيقة، أو الصرع، أو خلل عضوي في المخ، أو اعتلال في العين كإرهاق الشبكية. ومما يدل على عدم صحة هذه الرؤية المزعومة ما يلي:
١ - اختلاف الرائين لهالة الجسم الواحد.
٢ - أنه لا يمكن للرائي أن يرى الهالة عند عدم معرفته بوجود الجسم (كأن يكون في غرفة مظلمة لا يعلم عدد الأشخاص المتواجدين فيها، أو أن يكون الجسم خلف ستار لا يستطيع الرائي تمييز إن كان الجسم حيّاً، أم جماداً). =

المختلفة بعينه المجردة من خلال القيام ببعض التمارين المحددة[١]، أو عن طريق النظر في الصور التي يلتقطها جهاز كيرليان ـ السابق ذكره ـ والأجهزة المشابهة له[٢].

وتتعلق فلسفة الأجسام السبعة بفلسفة (يوغية) قديمة، حيث يرتبط كل واحد من تلك الأجسام بمركز من مراكز الطاقة، أو ما يسمى الـ شاكرات، حيث يتم الاتصال وتبادل المعلومات من خلالها هي ومسارات الطاقة[٣].

ثالثاً: فلسفة الشاكرات ومسارات الطاقة:

من العقائد الشرقية أن الكون جاء إلى الوجود من خلال انقسام الواحد الكلي المعروف بالـ براهمان إلى مظهرين: أحدهما أنثوي، والآخر ذكوري. ويمكن العودة إلى الوحدة مع الـ براهمان من خلال عكس عملية التكوين الأولى، بحيث يتحد المظهر الأنثوي بالمظهر الذكوري؛ ليكون الناتج وحدة كلية هي الـ براهمان. هذه الوحدة ـ وفقاً لهذا المعتقد ـ هي سبيل النجاة من تكرار المولد، وطريق الخروج من دوامة التناسخ.

هنا يأتي دور الـ شاكرات الموزعة على طول الجسم البشري، حيث يقبع المظهر الأنثوي للـ براهمان في أسفل العمود الفقري. يصعد هذا المظهر عبر

= ٣ ـ اعتماد الرائي على ما يراه من حال المرئي في تحليل الهالة (يذكر أحد أعضاء لجنة البحث العلمي في دعاوى خوارق العادات (CSIOP) أنه عند تحليل «هالته» في ورشة عمل خاصة بخوارق الطبيعة كان الرائي يشير إلى تغير الهالة عند استنشاق الهواء المشبع بالطاقة، بينما كان الرجل ـ في الحقيقة ـ يحبس نفسه لفترات طويلة رافعاً صدره وكتفيه بشكل يوحي بالتنفس (!).

٤ ـ أنها غير مرتبطة ـ كما يزعمون ـ بالحالة النفسية للشخص، وقد أثبتت بعض التجارب تناقض الألوان المرئية (بالتصوير أو بالعين المجردة) مع الحالات النفسية الموافقة لها.

انظر مقالة: Aura Photography: A Candid Shot-Skeptical Inquirer Magazine: volume: 24 number: 3-May June 2000.

(١) وهو الناتج ـ في الغالب ـ عن إرهاق الشبكية (retinal fatigue). وهو يشبه ما يراه الإنسان بعد التحديق في صورة ذات خلفية معتمة لمدة دقيقة تقريباً، ثم نقل البصر إلى خلفية فاتحة.

(٢) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: سليم بيك علاء الدين: ٥٣.

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص٣٣، و Ands of Light-Barbara Brennan: 43, and Spirtual, but Not Religious: Understanding Unchurched America-Robert C. Fuller: 53.

مسار مخصص، ماراً بمراكز الطاقة الـ شاكرات إلى أن يصل إلى أعلى تلك المراكز فيتحد مع المظهر الذكوري لينتج عن ذلك الـ براهمان، أو الوحدة الكلية. ويُعتقد أن الممارس يكتسب شيئاً من القدرات الخارقة أثناء هذه العملية(١).

ورغم أن فلسفة الـ شاكرات هي ـ في الأصل ـ هندية المنشأ، إلا أنها اختلطت مع الفلسفات الصينية في تطبيقاتها المعاصرة وحسب الطريقة الانتقائية لحركة «العصر الجديد»، فأصبحت الـ ين يانغ والعناصر الخمسة والـ شاكرات من السمات البارزة لتلك الطرق العلاجية المستمدة من الشرق، دون تفريق بين ما كان من أصل هندي، وما كان أصله من الصين(٢).

أما مسارات الطاقة فهي تُشبه الأوعية الدموية في الجسم المادي، يفترض أنها أوعية دقيقة، وغير مرئية، تجري من خلالها الطاقة الكونية؛ لتغذي الجسم، وتنشطه، وتنميه. وتسمى هذه المسارات في فلسفة الـ يوغا: نادي (Nadis)(٣). وبينما تعد الـ شاكرات محطات تمد الهالات بالطاقة، فإن المسارات هي الوسائل التي تنتقل عبرها هذه الطاقة(٤).

ومن هذا المنطلق، فإن «صحة الإنسان ومرضه يتوقفان كثيراً على مدى توازن وانسياب الطاقة الحيوية خلال قنوات الطاقة بالجسم، وتعثر هذا الانسياب يعني بالضرورة حدوث المرض»(٥). ويزعم المعالجون بالطاقة أنه بإمكان المعالج ـ من خلال تفحص المسارات ـ أن يحدد إمكانية وجود مشكلة في العضو

---

(١) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا ص٣٤٣، وفلسفة اليوغا: ب.ك ناريان ص٨ ـ ٩، والحكمة الهندوسية: حلقة الدراسات الهندية ص١٥٣، وHinduism-Cybelle Shattuck: 53.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Witworth: (50-54), and an Overview of the New Age Movement-Reck: 63.

(٣) انظر: الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص٣٥، والعافية: حسن البشل ص٦١، ومبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية: مروان الجبّان ص٢٤.

(٤) انظر: العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك «من وجهة نظر إسلامية»: غادة المعايطة الدلابيح ص١١١.

(٥) مبادئ العلاج بالطاقة: عبد التواب عبد الله حسين ص١٠٢، وانظر: المساج بدون لمس: إ.كوييتوف ص٨.

المرتبط بالمسار[١] ومن ثم يسعى لعلاجه بتوجيه الطاقة عبر ذلك المسار عن طريق القيام بتدريبات خاصة تساعد على سريان الطاقة فيه وتقوي من تدفقها[٢].

المطلب الثاني

نماذج من التطبيقات العلاجية التي تروج لها حركة «العصر الجديد»

لقد تنوعت التطبيقات العلاجية لحركة «العصر الجديد» مما بني على الفلسفات الشرقية، أو استمد منها، فمنها ما بقي على صورته الأصلية ـ كاليوغا مثلاً ـ ومنها ما طور وغير ليتناسب مع مستجدات العصر. ولو تتبعنا تلك التطبيقات على سبيل الحصر والاستقصاء لطال بنا المقام، وامتد. ولكني سأقتصر على عرض ثلاثة نماذج تعد من أبرز وسائل تحقيق الصحة والاستشفاء عند حركة «العصر الجديد»، وهي: الريكي، واليوغا، والماكروبيوتيك، ويُقاس غيرها عليها.

أولاً: الـ ريكي (Reiki):

الـ ريكي كلمة يابانية تعني الطاقة الحياتية للروح الكونية[٣]، وهي إحدى الطرق العلاجية التي روجت لها حركة «العصر الجديد»[٤]، وقد بدأ ينتشر في المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة، حيث يُعتبر الـ ريكي من أبرز طرق العلاج بالطاقة وأشهرها.

تنسب هذه الطريقة العلاجية إلى د. ميكاو يوسوي (Mikao Usui) الذي عاش في اليابان في القرن التاسع عشر، غير أن أصولها مستمدة من الفلسفة

---

(١) نظر: العافية: حسن البشل ص٦١، ٨٣ ـ ٩٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٢.

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد فينلس ص١٩، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد ص١٣، و Spiritual Healing: 150-Martin Daulby & Caroline Mathison, and Reiki The Healing Touch: 1-3-William Lee Rand.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: (78-79), and New Age Encyclopedia-Whitworth: 189.

الشرقية القديمة[١]. وتروى في دورات الـ ريكي قصة عجيبة عن طريقة حصول يوسوي على هذا العلم، وفيها إشارات واضحة إلى المبادئ الباطنية التي قام عليها. تتلخص القصة في تأمل يوسوي في معجزات عيسى ﷺ الشفائية ـ أو بوذا في الروايات الأصلية ـ ورغبته في محاكاتها، وإذ لم تقنعه أي من التفسيرات الدينية بات يبحث عن حقيقتها من الرب مباشرة. وبعد اطلاعه على النصوص الشرقية، اعتكف يوسوي وحيداً في أحد الجبال، يصوم ويتأمل. وفي آخر يوم من أيام اعتكافه ـ بعد أن أنهكه الجوع، وربما أدى به إلى الهلوسة! ـ ادعى أنه سمع أصواتاً أوحت إليه رموزاً خاصة ورأى نوراً عظيماً مقبلاً إليه في الأفق حتى ضربه على جبينه، وأفقده وعيه. وأثناء عودته من الجبل جرحت قدمه فأمسك بها ليخفف الألم، فما كان إلا أن التأم الجرح بقدرة شفائية عجيبة (!) كانت هي أولى معالجات الـ ريكي. ثم تكررت التجارب، واكتشف يوسوي أنه توصل إلى معجزات عيسى ﷺ، وأصبح قادراً على الشفاء بطاقة عجيبة أسماها: الـ ريكي. بعد ذلك أضاف يوسوي إليها شيئاً من التعاليم الأخلاقية التي تنظم حياة المعالج، فصاغ المبادئ الخمسة للـ ريكي، والتي هي ـ في الأصل ـ مستقاة من حكم قديمة[٢].

وقد توفي د. يوسوي في عام ١٩٣٠م تقريباً، ودفن في مقبرة بوذية عامة[٣].

يعتمد الريكي ـ كلياً ـ على الاعتقاد بوجود الطاقة الكونية «كي»[٤]، التي هي سبب الشفاء، والجسم الأثيري الذي هو وسيلة التشخيص، وما يتصل به

---

(١) ينسبها بعض معلمي الـ ريكي إلى (سيفا) إلّه الهندوس.
انظر: Essential Reiki-Diane Stein: 8.

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٢٠ ـ ١٢١، الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص٣٠ ـ ٣٥، و Essential Reiki-Diane Stein: (9-13), and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: (1-17-1-26), and Practising Reiki-Jennie Austin: (44, 47-48, 52).

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٣، و Practising Reiki: 53-Jennie Austin

(٤) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص٢٠، وطاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٦، و Essential Reiki-Diane Stein: 16, and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: 12.

و(كي) هي المقابل الياباني للـ (تشي) الصينية.

كالشاكرات التي هي منافذ دخول الطاقة[١]، ويفسر المرض باختلال توازن الطاقة في جسم الإنسان والشفاء باستعادة توازن الطاقات[٢]، بينما تعتبر الكارما السيئة من أسباب خلل التوازن الطاقي، حيث ينشأ المرض في المستويات الأعمق من العقل قبل أن تظهر أعراضه على الجسد[٣]. ويمكن للمريض أو المعالج استخدام أنواع المانترا لاستقطاب الطاقة وتوزيعها[٤]. وكلها من المفاهيم المستمدة مباشرة من الفلسفة الشرقية، والتي تروج لها حركة «العصر الجديد» في نشر عقيدة وحدة الوجود.

إن عقيدة الاتحاد، ووحدة الوجود ظاهرة بجلاء في تطبيقات الـ ريكي، وهو الهدف الأكبر لممارسته واستقطابه. فنرى مهى نمور[٥] ـ واحدة من أبرز معلمي الـ ريكي العرب ـ تشبِّه الـ ريكي بالمحيط، وما في الكون من كائنات بمكعبات الثلج العائمة فيه. فجميع الكائنات ليست سوى ريكي بكثافة مرتفعة. فالكون كله شيء واحد، وإن اختلفت مظاهره. ثم تصرِّح نمور بالهدف الحقيقي وراء ممارسة الـ ريكي، حيث يهدف إلى دمج العقل، والجسد، والنفس في

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد: ٣١، و Practising Reiki-Jennie Austin: 179, and Essential Reiki-Diane Stein: (16, 68), and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: (19-110).

(٢) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص٢١، و Reiki Fire-Frank Arjava Petter: 77

(٣) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص٩٧، ١٦٥، و Essential Reiki-Diane Stein: 20, and Reiki Fire-Frank Arjava Petter: 78.
وتشير بعض المراجع إلى ضرورة التخلص من الشعور بالذنب المتعلق بالـ كارما، وذلك ليس إنكاراً لها أو دورها في الصحة والمرض وإنما يرون أنها لا ينبغي أن تكون سبباً في التكاسل عن العمل أو وسيلة لجلد الذات.

(٤) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٤٩، والريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص١٨٠.

(٥) مهى نمور: ولدت مهى نمور في لبنان عام ١٩٥٤م، وهاجرت إلى فرنسا في بداية السبعينيات. بدأت الاهتمام بالـ ريكي في عام ١٩٩٥م ومن ثم تدرجت في مستوياته حتى حصلت على درجة معلم ريكي على يد أشهر معلمي الـ ريكي، ومنذ ذلك الوقت وهي تمارس العلاج بالطاقة. أقامت العديد من الدورات في البلدان العربية والإسلامية كالبحرين وقطر والإمارات ومصر، وتمتلك مراكز لتعليم الـ ريكي في كل من الكويت وقطر ومركزاً تحت الإنشاء في دبي.
تصفح الموقع الرسمي لـ مهى نمور: www.synergie-mahanammour.com about us. biography.

الـ ريكي حتى يصل المرء إلى مرحلة «الإشراق»[١]، كما يهدف إلى تطوير الوعي بالطاقة، وإدراك الواقع الطبيعي للذات والكون وأنهم جميعاً يشكلون وحدة كونية، وفقدان هوية الكيان الفردي المركزة على الذاتية[٢].

يتوصل الـ ريكي إلى هذا الهدف من خلال الاستشفاء، فالمرض ليس إلا نتيجة الانفصال عن الإلٰه ـ بالمعنى الباطني ـ والشفاء لا يكون إلا بالاتصال به. تقول مهى نمور مبينة هذا المعنى: «يؤكد الطب الشرقي أن مصدر آلامنا العميق، هو جهلنا لطبيعتنا الأساسية التي تقترب من الله. لذلك إذا أردنا الشفاء فما علينا إلا أن نتواصل مجدداً مع الله»[٣].

لا يَحُدُّ ممارسو الـ ريكي طاقته العلاجية بحدود لزمان، فهو يعالج الماضي والحاضر والمستقبل[٤]. ولا بحدود الجغرافية والمكان[٥]، ومصدره لا ينتهي، ولا ينضب، ولا حدود له[٦].

إن تأثير الـ ريكي ـ عند كثير من الممارسين ـ مرهون بمدى الإيمان به، وكلما ضعُف «إيمان» الإنسان ضعف انتفاعه بالـ ريكي تبعاً[٧]، مما يعزز القول بأن ما قد يجده المريض من نتائج إيجابية هو نتيجة لمبدأ الإيحاء (Placebo Effect). ومنهم من يرى نفعه المطلق، دون الحاجة إلى الاعتقاد[٨]، غير أن هذا القول لا يعني انتفاء عامل الإيحاء، فالمعالج المؤمن بالـ ريكي مُتأثِّر ومتأثَّر به، وهو يرى النتائج التي يؤمن بها ويتوقعها، ولو لم يكن المعالَج يحمل ذات الاعتقاد ـ بل ولو كان حيواناً، أو نباتاً، أو جماداً[٩].

---

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١١٩.

(٢) طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٢٤ (بتصرف).

(٣) طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٣٥.

(٤) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٣٠، والريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص١٣٠.

(٥) انظر: الريكي للمبتدئين ص٩٥: ديفيد إف. فينلس، و Practising Reiki-Jennie Austin: 67, and Reiki The Healing Touch-William Lee Rand: ii1.

(٦) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس: ٨٨، و Reiki Fire: (1-5). - Frank Arjava Petter.

(٧) انظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف. فينلس ص٧٧.

(٨) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد ص٨٣ ـ ٨٤.

(٩) انظر: Scientific & Technological Thinking-Thicket & Thrafton: 98.

ومن المؤسف أن ترى مثل هذه الممارسات الباطنية تنتشر في بلاد الحرمين، وممارسين متحمسين لتطبيقها. بل إن الريكي على وجه الخصوص من أكثر هذه الممارسات تنظيماً، حيث تتبناه جهات تسعى إلى نشره وترخيصه كطريقة علاجية بديلة مقبولة، وهي في الوقت نفسه تسعى إلى تأصيله شرعاً وتفسيره تفسيراً إسلامياً. فقد تأسست الجمعية السعودية للـ ريكي في عام ١٤٢٢هـ، مع انعقاد المؤتمر الثاني للطب البديل في مدينة جدة، وتتخذ من (مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدائل الطبية) مقراً لها، كما يوجد للجمعية موقع على الإنترنت بعنوان: (ww.saudireiki.com).

تهدف الجمعية ـ كما هو مدون في موقعها ـ إلى تأصيل «علم» الـ ريكي بوضعه في الإطار الإسلامي. ويرأس الجمعية ـ حالياً ـ د. أحمد عاشور[١]، بينما يشغل طلال خياط[٢] منصب أمين عام الجمعية. وتشرف الجمعية على العديد من الدورات والمحاضرات المتعلقة بالـ ريكي والفلسفات المشابهة في أنحاء مختلفة من المملكة العربية السعودية[٣].

---

(١) د. أحمد عاشور: ولد عام ١٣٨٦هـ في ينبع، حصل على الشهادة الجامعية في الطب والجراحة العامة من جامعة الملك سعود بالرياض. وهو نائب رئيس مركز الأمير ماجد للأعشاب والبدائل الطبية، والرئيس العام لجمعية سعودي ريكي. يعمل حالياً في مستشفى الملك فهد بجدة.
تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي:
رئيس الجمعية أعضاء الجمعية www.saudirieki.com

(٢) طلال خياط: وهو أول مدرب للطاقة في المملكة العربية السعودية، ومن كبار المروجين لها. حصل على شهادة البكالريوس في الإعلام الإسلامي، كما حصل على عضويات في العديد من الجمعيات العالمية المختصة بالطاقة والبرمجة اللغوية العصبية (NLP) والطب البديل. له عدة مؤلفات، منها: العلاج بالطاقة، والطاقة غذاء النفس. وهو من سكان مكة المكرمة.
تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي:
أمين الجمعية أعضاء الجمعية www.saudireik.com

(٣) تصفح الموقع الرسمي للجمعية السعودية للريكي. تعرض الدورات في:
الاطلاع على الدورات: الدورات والتدريب www.saudireiki.com

حكم العلاج والمعالجة بالريكي:

إذا تأملنا هذه الممارسة، ونظرنا إليها نظرة متفحصة، علمنا أنه لا يجوز استخدام هذه الوسيلة للاستشفاء أو التداوي، وذلك للأسباب متعددة، منها:

١ ـ أن الريكي قائم على فلسفات شرقية تتعارض مع المعتقد الإسلامي السليم.

٢ ـ أنه ليس من الأسباب الشرعية ولا الأسباب الكونية، إذ لم يثبت وجود طاقة الريكي علمياً ولا تأثيرها بالمنهج العلمي الحديث.

٣ ـ أن في تطبيقات الريكي مشابهة للكفار في بعض الممارسات والوضعيات والأوراد.

٤ ـ أن محاولات «أسلمة» الريكي أدت إلى عدد من البدع السلوكية والاعتقادية.

٥ ـ أنه وسيلة إلى تبني الأساليب «الروحانية» الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

ثانياً: نظام الـ ماكروبيوتك (Macrobiotics):

الـ ما كروبيوتك لفظ لاتيني مركب، ويعني الحياة الكبيرة، أو النظرة الكبرى للحياة[1]. ويُعد بشكل أساس ـ نظاماً غذائياً يُتَّبع من أجل السيطرة على الصحة، ولكنه لا يقتصر عليها، بل يتعداها إلى معان فلسفية إلحادية خطيرة. وقد انتشر بشكل ملحوظ بين أتباع حركة «العصر الجديد»[2].

تمت صياغة الـ ماكروبايوتك ـ بشكله المعاصر ـ على يد الفيلسوف الياباني جورج أوساوا (George Ohsawa)[3] في أربعينيات القرن العشرين،

(١) انظر: جوهرة الماكروبيوتك: هيرمان أهيرا ص٢٠١، والماكروبيوتيك للمبتدئين: جون سانديفر ص٥، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتيك: غادة المعايطة ص٢٧، وأسرار الطاقة: حكم الزمان ص٩٩.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Whitworth: 142.

(٣) جورج أوساوا: ولد أوساوا في اليابان عام ١٨٨٣م، وساهم مساهمة كبيرة في نقل فلسفة الشرق الأقصى إلى العالم الغربي، فقد قضى ثلاثين عاماً من عمره يعرف الأوربيين إلى الثقافة الشرقية. ألف أكثر من ثلاث مائة كتاب ودراسة، نشرت وترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، ولاقت نجاحاً في الغرب. توفي أوساوا في عام ١٩٦٦م عمره ٧٣ عاماً. =

حيث كان حريصاً على تطوير التعاليم التراثية الصينية وإعادة نشرها في أوروبا والغرب، فالـ ماكروبايوتك نظام مستمد من مزيج من التعاليم الروحانية الشرقية والغربية، يمثل ـ في ظاهره ـ دعوة للعودة إلى الأطعمة الطبيعية ذات المكونات البسيطة، والمعدة بطريقة صحية. ثم تطورت أفكار أوساوا على يد جمع من تلاميذه، من أهمهم: ميشو كوشي (Michio Kushi)[(١)] وزوجته، وقد تتلمذت مريم نور على ميشيو كوشي فكانت أول من أدخل فلسفة الـ ماكروبايوتِك إلى العالم العربي[(٢)].

تقوم فلسفة الـ ماكروبايوتك على الاعتقاد بأن التغذية هي الوسيلة المثلى لتحقيق أهداف البشرية الصحية والروحية. يقول أوساوا في كتابه «دعوة إلى الصحة والسعادة»: «إن هدفي في إصدار هذا الكتيب أن أدلك على طريقة اغتذاء واختيار أطعمة ستقودك في آخر الأمر إلى الحقيقة، والسعادة الأبدية»[(٣)]. فالغرض من التصحيح الغذائي يتعدى الجوانب الصحية والنفسية إلى أهداف فلسفية تصوفية بعيدة المدى، هي مستقاة من العقائد الشرقية، حيث يشكل هذا النمط الغذائي «المبدأ الأساسي لأهم الأديان الشرقية»[(٤)]. وهو تحديث لأنظمة قديمة كان يراد منها تحصيل الخلود والحياة المديدة. كما تعتبر طريقة الـ ماكروبايوتِك «إحدى الطرائق الثماني للوصول إلى. . . الـ نيرفانا»[(٥)]!

ولذلك فإن اختزالها في كونها حمية غذائية يراد منها تحقيق الصحة والشفاء من الأمراض فحسب ـ هو جهل، أو تجاهل لحقيقة الـ ماكروبايوتِك، والتي

= انظر: دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة: جورج أوساوا، داخل الغلاف (الناشر).

(١) ميشيو كوشي: هو أبرز معلمي الـ ماكروبايوتك في العالم اليوم، ولد عام ١٩٢٦م في اليابان وحصل على شهاداته العليا منها، رحل إلى الولايات المتحدة من أجل البحث عن وسائل تحقيق «السلام العالمي» بعد أن تأثر كثيراً بتفجيري هيروشيما وناكازاكي، إلا أنه عاد إلى اليابان ليتبنى طريقة الـ ماكروبايوتك من أوساوا لتحقيقه. يقوم بلقاء العديد من المحاضرات عن التغذية في أنحاء مختلفة من العالم على الصعيدين الرسمي والشعبي.
تصفح الموقع الرسمي لـ ميشيو كوشي: www.michiokushi.org. bio

(٢) انظر: الماكروبيوتك: خالد التركي ص٣٢.

(٣) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوساوا ص١٤.

(٤) المرجع السابق ص١٣.

(٥) المرجع السابق ص٢٦.

حددها جورج أوساوا ـ مؤسس النظام الـ ماكروبايوتِكي، فهي ـ كما ذكر ـ إحدى طرق الاتحاد بالكون.

تنبني فكرة الـ ماكروبايوتك على الاعتقاد بأن الطاقة الكونية سارية في كل ما في الوجود، وفي جميع جوانب الحياة، ولذلك تعتبر جميعها من مصادر استمداد الطاقة. ولكن لما كان من الصعب ـ أو المستحيل ـ التحكم بالطاقة الكونية العامة المتواجدة في البيئة أو المناخ أو حتى في الهواء، فهي خارجة عن سيطرة الإنسان، ظهرت ـ من هنا ـ أهمية الطعام حيث يعد المصدر ـ شبه الوحيد ـ الذي يمكن للإنسان التحكم به(١).

ولا عجب أن يكون هذا النظام المستمد من فلسفات الشرق يعتمد بشكل أساس على فلسفة الـ ين يانغ، حيث يتم تطبيقها على كل ما يتناوله الإنسان من مأكل ومشرب، لينخرط في المنظومة العامة للتصنيف الكوني. وتحدد الأطعمة التي ينبغي للإنسان تناولها بعد تقويم حالته، وتصنيفه وفقاً للـ ين يانغ، بغرض تحقيق التوازن الطاقي والانسجام مع الكون(٢).

ومما سبق يتضح أن الـ ماكروبايوتِك فلسفة خطيرة تتضمن عقائد إلحادية وتهدف إلى الاتحاد، وإدراك وحدة الوجود، وليست الأطعمة وأساليب التغذية الصحية سوى وسائل لتحقيق هذا الهدف. ولذلك فإن المطلع على كثير من الكتب التي تستعرض الـ ماكروبايوتك، وتطبيقاته العملية يجد إشارات إلى هذه المفاهيم الباطلة، تتفاوت في وضوحها وصراحتها من كاتب إلى آخر. فيطلق بعض الكتاب ـ خاصة المسلمين منهم ـ ألفاظاً عامة موهمة تحتمل السلامة من

---

(١) انظر: الماكروبيوتيك للمبتدئين: جون سانديفر ص٢٧ ـ ٣٢، والماكروبيوتك: خالد التركي ص٣٥.

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوساوا ص٧، ٥٤، الماكروبيوتيك للمبتدئين: جون سانديفر ص٩، والماكروبيوتك: خالد التركي ص٣٥ ـ ٣٧، موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك): د. أسامة صديق مأمون ص٣٠، ١٠٥ ـ ١٠٧.

وهذان الأخيران (خالد التركي ود. أسامة مأمون) يفسران الـ ين يانغ بالزوجية الواردة في الكتاب والسُّنَّة، غافلين أو متغافلين عن الفروق الجذرية بينهما، رغم أنهما يستخدمان المصطلحات والمفاهيم الشرقية نفسها بل إن التركي استخدم رمز الـ طايجي للتوضيح!

المخالفات العقدية، إلا أنها لا يمكن أن تحمل إلا على ما تقرر عند روادها ورجالها الكبار. إن نظرة سريعة في كتاب «المبدأ الفريد» لـ جورج أوساوا و«زِن ماكروبايوتك»[(١)] و«دليل الـ ماكروبايوتِك إلى الحياة السعيدة» للمؤلف نفسه كاف لإظهار الوجه القبيح ـ والحقيقي ـ لهذه الفلسفة[(٢)].

حكم اتباع حمية الماكروبيوتك:

وبالنظر المتفحص في حمية الماكروبيوتيك نجد أنها تمنع شرعاً لعدة اعتبارات، من أبرزها:

١ ـ أن مبتكر هذا النظام الغذائي صرح بأن الغاية منه ليست صحية وإنما فلسفية روحانية.

٢ ـ أنه جزء من منظومة الطاقة الفلسفية التي تهدف بمجموعها إلى تحقيق «الإشراق».

٣ ـ أنه يعتمد على فلسفة الين يانغ الطاوية، والتي تمثل نظرية وحدة الوجود الاستقطابية.

٤ ـ أن التعسف في تطبيق هذا النظام على ما ورد في الكتاب والسُّنَّة أدى إلى الانحراف في تأويل النصوص الشرعية، وتحميلها معاني فلسفية لا تحتملها.

٥ ـ أنه وسيلة إلى تبني الأساليب "الروحانية " الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

علماً أن محاولة تجريده من الفلسفات الروحانية والمصطلحات الشرقية تترك نظاماً غذائياً هزيلاً لا يتميز عن آلاف الأنظمة المطروحة للناس، وفي الحلال سعة عن المحرم والمشتبه.

---

(١) انظر ص١١٧ ـ ١١٩، ٢٠١ ـ ٢٠٤.

(٢) انظر ص١٧٧ ـ ١٧٨، وانظر كذلك: الماكروبيوتيك المعاصر: إدوارد إسكو ص٢٥٧ ـ ٢٥٨.

ملحوظة: عندما قام يوسف البدر بترجمة هذه الكتب قام بإجراء بعض التعديلات عليها، كما أدخل عليها بعض المصطلحات والنصوص الشرعية مما قد يلبس على القارئ ويجعل الكتاب متناقضاً في بعض الأحيان. ولذلك نجد على غلاف الكتاب: إعداد يوسف البدر وليس ترجمة يوسف البدر.

ثالثاً: الـ يوغا (Yoga):

تطلق الـ يَوْغا على مجموعة من الممارسات الروحية الضاربة في التاريخ، وهي إحدى المدارس الست للفلسفة الهندوسية، وتعتبر وسيلة مركزية لتحقيق السمو الروحي في البوذية، والجينية[١] كذلك، وقد استمدت أساسياتها من الكتب الهندوسية المقدسة. وأصبحت علماً على حركة «العصر الجديد»[٢].

الـ يوغا كلمة سنسكريتية تعني «التوحيد، دلالة على توحُّد الذات الفردية بالذات الكوني»[٣]، وفيها يقوم الإنسان بممارسة «مجموعة من التمارين الروحية والجسدية بهدف الخروج من عالم الظواهر والتعددية إلى الوحدة المطلقة، والذوبان فيها»[٤]، ولذلك تعتبر الـ يوغا وسيلة عملية لتحقيق الاتحاد بين الخالق والمخلوق[٥].

فالهدف من الـ يوغا ـ كما هو ظاهر من تعريفها ـ هو الاتحاد وإدراك وحدة الوجود. والاتحاد هو وسيلة الخلاص عند المعتقدين بتناسخ الأرواح من أتباع حركة «العصر الجديد» والديانات الشرقية[٦].

---

(١) **الجينية**: هي ديانة منشقة عن الهندوسية وهي في الأصل ثورة على البراهمة. يعد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية. سميت بالحركة الإلحادية لأنها لا تؤمن بآلهة الهندوس الثلاثة، كما لا يعترفون بالطبقات وإن كانوا يشتركون معهم في عقائد تناسخ الأرواح والخلاص.
انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص١١١ وما بعدها.

(٢) انظر: Nee Age Encyclopedia-Whitworth: 238. and An Overview of the New Age Movement-Reck: 70, and The New Age Movement-Paul Young: 19.

(٣) الحكمة الهندوسية: حلقة الدراسات الهندية ص١٤٢.

(٤) المرجع السابق ص١٤٦، وانظر: اليوغا سيطرة على النفس: ج. توندريو وب. رثال ص١١.

(٥) انظر: اليوغا والتنفس: محمد عبد الفتاح عليم ص١٩، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص٤، و An Introduction to Complementary Medicien-Simon Borg-Oliver, Bianca Machliss: 276, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: 12.

(٦) انظر: الحكمة الهندوسية ـ حلقة الدراسات الهندية: ١٤٤، والكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفننداص٢٣ ـ ٢٩، والفلسفة واليوغا في بلاد الهند: كمال جنبلاط ص١٢٢ ـ ١٢٣، و Selling Spirtuality: the Silent Takeover of Religion: 114-Jereme Carrette.

يزعم كثير من رواد الـ يوغا في الغرب، وفي العالم العربي أنها لا تحمل في طياتها =

تختلف طرق الـ يوغا باختلاف طبائع البشر، وتنوع ميولهم، بينما تتفق جميعها في الغاية والهدف[١]. وهذه الطرق هي كالتالي[٢]:

(١) بهاكتي يوغا (Bhakti Yoga): طريق الحب والتفاني، وهو ما يسمى بالعشق الإلٰهي.

(٢) نيانا يوغا (Jnana Yoga): طريق الحكمة، وهي طريق الفلاسفة.

(٣) كارما يوغا (Karma Yoga): طريق العمل، وهي القيام بالعمل دون البحث عن المنفعة الشخصية.

(٤) راجا يوغا (Raja Yoga): طريق الفكر[٣]، وهي التي تعنينا في هذا البحث لشيوعها، وسعة انتشارها بين أتباع حركة «العصر الجديد».

تتفرع الـ راجا يوغا إلى ثلاثة فروع:

١ ـ مانترا يوغا (Mantra Yoga): طريق الصوت، وهي تعتمد على ترديد ألفاظ ومقاطع مقدسة أشهرها (أوم)[٤] وأحياناً بأسماء الآلهة بهدف رفع الطاقة من مركز إلى آخر إلى أن يتم الاتحاد ويذوب الفردي بالكوني[٥].

= أي معتقد، فهي حالة روحية لا يلزم معها اعتقاد، وأنها لا تتناقض مع أي دين، ولا تختص به! وهذا ربما يصح مع الطوائف الباطنية للديانات المختلفة حيث يتفق الجميع في الاعتقاد بالاتحاد، ووحدة الوجود، وما يترتب عليه من لوازم، ولكنها تتعارض حتماً مع كل دين ينكر الاتحاد، ووحدة الوجود ـ ولاسيما الإسلام. أما كونه لا يتعلق بأية دين فمردود بالمصادر الهندوسية التي استقيت منها تعاليم الـ يوغا، وهي متمشية مع أبرز معتقداتها ومبادئها.

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: د. يونج شوون كيم ص٤٥ ـ ٤٨.

(٢) انظر: الفلسفة واليوغا في بلاد الحكماء: كمال جنبلاط ص٦٥ ـ ٦٦، ١٢٢ ـ ١٣٢، والكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفننداص٣٢ ـ ٣٣، ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص٢٧ ـ ٣٤، واليوغا سيطرة على النفس: ج. توندريو وب. رثال ص٣٠، واليوغا والتنفس: محمد عبد الفتاح فهيم ص٢٠ ـ ٢٢، والفكر الشرقي القديم: د. يونج شوون كيم ص٤٨ ـ ٤٩، و.Practising Yoga-Geddes & Grosset: (17-19)

(٣) تطلق الـ راجا يوغا ويراد بها الجانب التأملي (Mediation) من الـ يوغا، انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279..

(٤) ويمثلها ما يسمى بـ التأمل التجاوزي (Transcendental Mediation) وقد سبق تناوله في مبحث سابق.

(٥) انظر: الحكمة الهندوسية ـ حلقة الدراسات الهندية: ١٥٣، والكامل في الـ يوغا: سوامي فشنو ديفننداص٣٧٨.

٢ ـ كونداليني يوغا (Kundalini Yoga): تهدف إلى إيقاظ الطاقة الراقدة في أسفل العمود الفقري[١]، وتستخدم في العلاج بالـ ريكي.

٣ ـ هاثا يوغا (Hatha Yoga): أو يوغا الجسد، وهي أكثر الفروع رواجاً في الغرب، وفي العالم العربي تبعاً له، وهي المقصودة عند إطلاق الـ يوغا في الغالب[٢].

ليس بين الطرق الأربع ـ بفروعها ـ تعارض، فهي سبل متنوعة لمؤدى واحد، كلها تهدف للاتحاد بين النفس الفردية والنفس الكونية. ولذلك لا يمكن فصلها عن بعض، ومن سلك أحد طرق الـ يوغا فكأنما سلكها جميعاً[٣].

أما من ناحية الاستشفاء، فإنه غالباً ما يقصد من خلال ممارسة نوعين رئيسيين من أنواع الـ يوغا، هما:

١ ـ الـ يوغا الجسدية: التمارين والأوضاع.

٢ ـ الـ يوغا الـ لا جسدية: التأمل.

ويُفسِّر أتباع الـ يوغا زوال الأعراض المرضية وفقاً لفلسفات الطاقة الباطنية، فهي تعمل على تنشيط سريان الطاقة في مساراتها، كما تعمل على فتح الـ شاكرات المستقبلة للطاقة مما يعزز قدرة الجسد الذاتية على الشفاء[٤]، بينما يراد من الاسترخاء تخزين طاقة الـ برانا، والتقليل من استهلاكها[٥]. كما تؤكد الـ يوغا على الإمكانية الذاتية للتحكم بالصحة ـ بل وبالمستقبل ـ وذلك بترويض النفس، والسيطرة على العقل[٦].

---

(١) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفننداص٢٦٥ ـ ٢٦٦، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279.

(٣) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفننداص٢٥٣ ـ ٢٥٤، وأعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم ص٣٤، و Practising Yoga-Geddes & Grosset: 12

(٤) انظر: الحكمة الهندوسية ـ حلقة الدراسات الهندية ص١٤٩.
Practising Yoga-Geddes & Grosset: 27.

(٥) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفننداص٢٣٠.

(٦) انظر: اليوغا سيطرة على النفس: ج. توندريو وب. رثال ص١٤.

ومن باب الإنصاف، فإنه قد يوجد بعض الفوائد الصحية لشيء من الممارسات الـ يوغية، إلا أنها لا تتعلق بالطاقة، ولا بالمسارات، بل يمكن تفسيرها علمياً، وربطها بأسبابها الحقيقية، وفيما يلي توضيح مختصر للمقصود:

أما الـ يوغا الجسدية: فيمكن تفسير ما قد يظهر من نتائج إيجابية على الصحة بالتالي:

- تنشيط الدورة الدموية من خلال الحركة اللازمة لاتخاذ الأوضاع الجسدية[١].
- تحفيز عمل الدماغ، مما يساعد في التخفيف من أعراض الخرف المبكر (ألزهايمر).
- زيادة سعة الرئتين من خلال تمارين التنفس، وحبس النفس، مما يساهم في تخفيف أعراض الربو ومشاكل التنفس.
- زيادة مرونة المفاصل والعمود الفقري، مما يخفف من مشاكل وآلام الظهر[٢].

وجميع ما سبق ليس خاصاً بالـ يوغا، بل يمكن تحقيقه من خلال ممارسة أي نوع من أنواع التمارين الرياضية المشابهة.

وأما الـ يوغا الـ لا جسدية: غالباً ما يستخدم هذا النوع في علاج الأمراض الناتجة عن الضغوط، نظراً لأنها تصرف الذهن عن مصادر القلق، ولأنها تعتبر وسيلة للاسترخاء. ولا شك أن ما كان سببه الضغط والإجهاد كان من علاجه الراحة والاسترخاء. وكما ذكر آنفاً، ليس هذا خاصاً بتأمل الـ يوغا، بل ما يمكن تحقيقه بالـ يوغا يمكن تحقيقه بأي تمرين آخر يساعد على الاسترخاء[٣].

ومع ذلك، يرى بعض الأطباء أن «للتأمل» أعراضاً جانبية ضارة، منها الإرباك والتشوش الذهني، وفقدان الحس بالمكان والزمان، بالإضافة إلى ضعف

(١) انظر: المرجع السابق ص٧٦.

(٢) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 279, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: (127-131).

(٣) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier. Bianca Machliss: 287, and Practising Yoga-Geddes & Grosset: (28-32).

الإحساس بالواقع[١].

حكم ممارسة اليوغا:

يظهر عند التحقيق أن ممارسة اليوغا محرمة شرعاً من عدة وجوه، منها:

١ ـ أنها عبادة شرقية تهدف إلى تحقيق الوحدة بـ «الإله» أو الكلي.

٢ ـ أن الجانب الجسدي منها متميز، فيه مشابهة للكفار فيما هو من خصائص دينهم وعباداتهم.

٣ ـ أنها وسيلة إلى تبني الأساليب «الروحانية» الشرقية، والفلسفات الإشراقية النظرية.

وعند محاولة تجريد اليوغا من اسمها ومصطلحاتها وغاياتها وأوضاعها المتميزة ـ إن أمكن ـ، لا يبقى سوى أوضاع رياضية مكررة توجد في غيرها من رياضات التمدد والاسترخاء، وفي الحلال غنية عن المشتبه والمحرم.

المطلب الثالث

الضابط في ثبوت الأسباب الكونية

إن غاية ما يستدل به أتباع حركة «العصر الجديد» على الطرق العلاجية التي يتبنونها هو ثبوت نفعها عندهم، وملامستهم لبعض النتائج عند ممارستها. وهذا إن عُذر بقوله من لا يحكمه عقل ولا دين، فإنه لم يقبله عقلاء الغرب، فكيف بعقلاء المسلمين؟ فالشرع قد جعل الأسباب نوعين، أسباباً شرعية، وأسباباً كونية.

ومع ذلك، فإن إثبات العلاقة السببية من أشد الأمور صعوبة ـ حتى في العلم التجريبي الحديث، وهي من المسائل الشائكة التي يصعب تحديدها تحديداً دقيقاً، لصعوبة ضبطها واستبعاد المؤثرات الأخرى[٢]. «فالعلم بأن هذا كان هو السبب، أو بعض السبب، أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث قد يُعلم

---

(١) انظر: An Introduction to Complementary Medicine-Simon Borg-Olivier, Bianca Machliss: 290.

(٢) انظر: The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method-Carlo L. Lastrucci: (180-185).

كثيراً، وقد يُتوهم كثيراً وهماً ليس له مستندٌ صحيحٌ، إلا ضعف العقل»[١]، ومجرد الاقتران ليس دليلاً على علاقة سببية، ولا حتى على التأثير والأثر[٢]. وأما ما يقال عنه «ثبت علمياً» فهو ـ في الغالب ـ إثبات للأثر، وليس للعلاقة السببية، وإن كان إثبات الأثر كافياً في اعتبار السبب سبباً كونياً.

وكما سبق، فإن غاية ما يستدل به الذين يتعاملون مع الأسباب الوهمية ـ بأشكالها المتعددة ـ هو ثبوت نفعها بـ «التجربة»، ولكن هذه «التجربة» ليست كافية للارتقاء بدعوى السببية أو التأثير إلى مستوى النظرية العلمية، والتي تعد ـ في عصرنا الحاضر ـ ضابط السبب الكوني[٣]، حيث إن ضابط «الاطراد» الذي كان يُشترط في ثبوت السبب الكوني في الماضي[٤]، قد تحدد مع مرور الزمن وتقدم التقنيات فَآلَ إلى ما يسمى «المنهج العلمي» أو (Scientific Method)[٥]، وهو عبارة عن سلسلة من الخطوات أو المراحل التي تُدرس من خلالها ظاهرة ما، والتي يمكن بعد تحقيقها اعتبار الفرضية نظريةً علميةً. أما «الدعاوى» التي لا تمر بمراحل «المنهج العلمي» ولا تحقق خطواته، فإنها تصنف على أنها «علم زائف» أو ما يسمى (Pseudoscience)، ومنها تطبيقات الطاقة التي تروج لها حركة «العصر الجديد»[٦].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ٢/٧١٣ ـ ٧١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/٧٠٩ ـ ٧١٠، و The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method-Carlo L. Lastrucci: (180-181).

(٣) ولعله يستثنى من ذلك ما استفاض العلم بتأثير نوعه من المحسوسات كالمطعوم والمشروب، فهذا لا يلزم اختبار أفراده، وإنما يكفي في ذلك غلبة الظن، بخلاف ما لم يثبت تأثير نوعه كالتعليق، أو النظر، أو العلاج بطاقات خفية. ولعل في قوله ﷺ: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار)*، إشارة إلى الأنواع المؤثرة.
* الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢١٥١، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاثة، برقم (٥٣٥٦).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية ٢/٧١٣.

(٥) ويسميه بعضهم: المنطق الحديث، أو المنهج التجريبي. وهو إما أن «يؤدي إلى معلومة جديدة، أو التحقق من صدق معلومة سبق التوصل إليها، أو اختبار صدق فرض معين، أو التوصل إلى فرض جديد، أو استنتاج قانون معين، أو التحقق من صدق القانون». (تدريس العلوم في مراحل التعليم العام: د. محمد جمال الدين يونس ص٢٣).

(٦) وأقصد بذلك الجوانب التي تعتمد على الفلسفة الباطنية، كالطاقة، والهالات، =

ثم إن ثبوت سبب ما ونفعه، لا يكفي لاعتباره سبباً مشروعاً، بل «هناك شرطان لجواز استعمال سبب كوني ما: الأول: أن يكون مباحاً في الشرع، والثاني: أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب، أو غلب ذلك على الظن»[١]. فإنه قد جاء النهي ـ في الشرع ـ عن اتخاذ أسباب قد ثبت أثرها في الشرع نفسه. أضرب على ذلك مثالين اثنين، أحدهما مُنع من أجل الكفر[٢]، والآخر منع من أجل المعصية.

أما الأول: فهو السحر، وقد ثبت أثره في نصوص الكتاب والسُّنَّة[٣]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤]، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ سُحر، حتى كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[٤]. فالسحر قد ثبت في الشرع أنه سبب مؤثر، ومع ذلك مُنع منه لما فيه من الكفر، ولو افتُرض أنه استُخدم لأغراض حميدة. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: «أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك»[٥].

وأما الثاني: فهو الخمر، حيث ثبت في كتاب الله تبارك وتعالى أن فيه منافع للناس، بل كان بعضهم يتداوى به[٦]، ومع ذلك منع الناس من الانتفاع به لأنه محرَّم، ولأن إثمه أكبر من نفعه. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ولذلك لا

= والـ شاكرات... إلخ، وإن كان بعض تفاصيلها قد ثبت تأثيره ونفعه، كالرياضة، والتغذية الصحية، والعادات المعيشية الجيدة، كالنوم والاستيقاظ المبكر، وعدم الإكثار من الطعام... إلخ. فهذه فوائد مستقلة ليس لها تعلق بالفلسفة.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه: الألباني ص٢٢.

(٢) وهو القول الراجح. انظر: فتح الباري: ابن حجر ١٠/٢٧٦.

(٣) انظر: شرح أصول السُّنَّة: اللالكائي ٧/١٢٨٣ ـ ١٢٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢١٧٤، كتاب: الطب، باب: السحر، برقم (٥٤٣٠)، ومسلم في صحيحه ٤/١٧١٩، كتاب: السلام، باب: ١٧، برقم (٢١٨٩).

(٥) كتاب التوحيد: محمد بن عبد الوهاب ص٦١.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٣/٣٩، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/٢٢٤.

يعذر من تعاطى الخمر بدعوى أنه ثبتت فيه منافع، بل إنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب. «وكثيراً ما يخلط الناس في هذه الأمور، فيظنون أنه بمجرد ثبوت النفع بوسيلة ما تكون هذه الوسيلة جائزة ومشروعة»[١]. «ولذلك فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله، وكلاهما محرَّم... والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب، وهو محرَّم... فإن الله تعالى حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً»[٢]. وعليه، فإن الوسيلة إذا سلمت من الكفر، والشرك، والبدعة، والمعصية، مع ثبوت نفعها كوناً، كانت من الأسباب المباحة[٣].

والمقصود مما ذكر: أن ما يسعى إليه المعالجون بتطبيقات الطاقة وحركة «العصر الجديد» من محاولة إثبات نفعها لن يجعلها من جملة الأسباب المباحة، إذ الخلل فيها يتعدى كونها من الأسباب الوهمية غير الثابتة إلى كونها مُتلبسة بأنواع من الكفر والإلحاد والشرك، وهو ما لا يمكن الاستفادة منه ما دام باقياً على صورته تلك.

فإن قيل: إن في هذه التطبيقات ما ثبت نفعه كوناً ولا يتضمن ـ في ذاته ـ أمراً محرماً، قيل: إذن لا بد من عزل تلك الأسباب الحقيقية عن الأسباب الوهمية الشركية، حيث يمكن الاستفادة مما فيها من الحق ـ حال وجوده ـ بعد نبذ ما فيها من الباطل، علماً أن إبقاء الكيفيات والمسميات والهيئات أمر غير مقبول شرعاً. وإنما المقصود هو تجريد ما يفترض فيها المنافع من أصولها تماماً، بحيث لا يبقى لها فيها أثر، ولا رابط يربطها بالفلسفات الباطنية الملحدة. هذا وإن كنت لا أرى وجود شيء متميز في هذه التطبيقات عدا أبعادها الروحية والفلسفية، أما ما سوى ذلك فهو دائر بين تمارين تمدد واسترخاء، وأنظمة غذائية معتادة، تحدث عن أمثالها المتخصصون كثيراً، ولذلك فإنها لو جردت من تلك الأبعاد الروحية الفلسفية لم يكن لها تلك الجاذبية، ولا الرواج، ولأصبح مصيرها كمصير غيرها من المؤلفات المكدسة على أرفف المكتبات. والله تعالى أعلم.

---

(١) التوسل: أنواعه وأحكامه: الألباني ص٢٣.

(٢) الاستعانة: ابن تيمية ص٢٢١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣/ ١١٢.

الفصل الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» على العلم التجريبي الحديث

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: النظريات الممهدة لإقحام عقائد حركة «العصر الجديد» في العلم التجريبي الحديث.

المبحث الأول: النظريات الحيوية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نظريات النسبية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الثالث: الفيزياء الكمية وحركة «العصر الجديد».

المبحث الرابع: الاستنتاج الميتافيزيقي من خلال العلم التجريبي.

تمهيد

لقد شهد القرن السادس عشر والقرن السابع عشر في العالم الغربي ثورة علمية، ظهرت خلالها نظريات جديدة في الفيزياء، وفي الكيمياء، والطب، وغيرها من العلوم التطبيقية، حوَّلت النظرة التقليدية للكون والطبيعة، وأرست القواعد للعلم الحديث.

كانت بداية الثورة العلمية في أوروبا عند أواخر عصر النهضة[١]، واستمرت حتى القرن الثامن عشر أو ما يعرف بعصر «التنوير»، حيث مهدت أعمال عدد من علماء القرن السابع عشر الطُّرُق لظهور العلم التجريبي الحديث. وفي القرن التاسع عشر أصبح العلم التجريبي عملاً احترافياً مؤسسياً، له دور كبير في النهضة التقنية للمجتمعات الغربية[٢].

وقد كانت مسألة ظهور الحياة على الأرض من المسائل التي تمت إثارتها في عدد من المجالات العلمية، وأثرت الآراء المختلفة حولها في كثير من المسائل الفرعية. فإذا أردنا أن نوجز تلك الآراء، كان ذلك كالتالي:

(١) نظرية الخلق (Creationism):

أو الإيجاد من العدم، وهذه هي النظرة التي تتبناها الديانات ذات الأصول السماوية، وهي التي تقرر وجود خالق أعظم، مفارق للكون مباين له، أوجده وكل ما فيه من الحياة من العدم، بعلم منه، وإرادة.

---

(١) يمتد عصر النهضة الأوروبي من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر للميلاد.

(٢) انظر: The Scientific Revolution-A.R Hall: (1-3).

(٢) النظريات الطبيعية (Naturalism):

وأبرزها نظرية دارون في التطور (نظرية النشوء والارتقاء). وهذه النظريات تقرر بأن الحياة نشأت من مادة غير حية بفعل أسباب ذاتية، لا ترجع لإرادة موجد خارج عنها[١]. ثم إن لهذه النظريات اتجاهين بارزين:

* الاتجاه المادي (Materialism)، الذي يعيد نشأة الحياة إلى خصائص كيميائية وفيزيائية محددة في ذات المادة، وإن لم تكن تلك الخصائص معروفة للإنسان حالياً، ولا يمكن محاكاتها مخبرياً.

* الاتجاه الروحاني والحيوي[٢] (Spiritualism/Vitalism)، الذي يجعل للمادة ملكات روحانية ميتافيزيقية، أو حيوية تبعث فيها الحياة. والفرق بين هذا الاتجاه وبين نظرية الخلق ظاهر، فرغم أن كلاً منهما يعيد السبب في انبعاث الحياة إلى قوة غيبية، فإن القائلين بالخلق يجعلون تلك القوة (الإله) خارجاً عن المادة، مبايناً لها، بينما القائلون بالتطور الروحاني والحيوي يجعلونها قوة مطلقة كامنة في المادة ذاتها، ليس لها وجود مفارق لتلك المادة. والفرق بينه وبين الاتجاه المادي يكمن في أن الماديين يجعلون النشأة والارتقاء عائد إلى أسباب مادية كامنة في الطبيعة، كيميائية، أو فيزيائية، أو حيوية، أو غيرها وراجعة إلى الصدفة، بينما الروحانيون يرجعون ذلك إلى أسباب ميتافيزيقية كامنة في ذات المادة[٣].

لقد مهد هذا الانحراف الذي حصل في أوساط علماء الأحياء ـ من نظرية الخلق إلى التطور ـ لظهور الفكر الفلسفي الباطني الذي تدعو إليه حركة «العصر الجديد»، والذي يمكن تلخيصه في عقيدة وحدة الوجود.

أما في مجال الفيزياء، فقد قام العالم والفيلسوف الإيطالي غاليليو

---

(١) انظر: The Cognitive Basis of Science-Camuthers & Stich: 323.

(٢) **الاتجاه الحيوي (Vitalism)**: هو الاعتقاد بأن الكائنات الحية ـ بخصائصها وعملياتها الحيوية ـ تعمل باتجاه غاية، ومن ثم لا يمكن أن يُنسب وجودها ولا تحركاتها إلى مجرد الصدفة.

انظر: The Cognitive Basis of Science-Camuthers & Stich: 67.

(٣) انظر: دارون ونظرية التطور: شمس الدين آق بلوت: ١٤.

غاليلي[١] (Galileo Galilei) بعدد من التجارب الفيزيائية في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت بعضها تُعنى بالضوء، وسرعة حركته[٢]. كما قدم غاليليو المبدأ الأساسي للنسبية (جملة المقارنة الغاليلية)، الذي شكل الإطار الأساسي لقوانين نيوتن[٣] في الحركة، كما أنه مبدأ مركزي في نظريات آينشتاين[٤] النسبية[٥]. ولكن أبرز النظريات التي مهدت ـ فعلاً ـ لما تم استغلاله بتفسيرات باطنية تبنتها حركة «العصر الجديد» فيما بعد، تتمثل في فرعين من فروع الفيزياء هي: نظريات النسبية لآلبرت آينشتاين، وبعض النظريات المتعلقة بالفيزياء الكمية.

وعلى أية حال، فإن الاتجاه الروحاني الذي سبق ذكره عند الحديث عن النظريات الطبيعية في الحياة، والنشأة الكونية قد ظهر في مجالات علمية أخرى بصور مختلفة، فأصبح لهذه النظريات المفتوحة تفسيرات مادية، وأخرى

---

(١) غاليليو: هو عالم فيزيائي، ورياضي، وفلكي، وفيلسوف إيطالي، ولد في عام ١٥٤٦م. كان له دور مهم في الثورة العلمية في الغرب حيث يعتبر أباً للعلم الحديث. أسهم في تطوير المنظار (التلسكوب)، وكانت له إضافات فلكية مهمة. أثارت أقواله في دوران الكواكب حول الشمس جدلاً واسعاً في عصره، حتى تمت محاكمته، وحبس في منزله إلى أن توفي عام ١٦٤٢م. من مؤلفاته كتاب «علمان جديدان».

انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ص١٩ ـ ٢٤، ونحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح غنيمة ص٣٧.

(٢) انظر: تطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٣) إسحاق نيوتن: هو عالم فيزيائي، ورياضي، وفلكي، وفيلسوف إنجليزي، ولد في عام ١٦٤٢م. أسس بنظرياته علم الميكانيكا، وفيها وصف لقانون الجاذبية، وقوانين الحركة. توفي عام ١٧٢٧م.

انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح غنيمة ص٤٣ ـ ٤٥، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 34695.

(٤) آينشتاين: هو ألبرت آينشتاين، الفيزيائي اليهودي الشهير، ولد في عام ١٨٧٩م، وإليه تنسب النظرية النسبية. تلقى تعليمه في ميونخ وميلان، وتدرج في تعليمه، إلى أن أصبح أستاذاً في جامعة زيورخ. يعد آنشتاين من أعظم علماء الفيزياء الذين عرفهم التاريخ، وقد فاز بجائزة نوبل للفيزياء في عام ١٩٢١م. حصل على الجنسية الأميركية في عام ١٩٤٠م، وتوفي بعدها بخمسة عشر عاماً. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 15116.

(٥) يأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله.

فلسفية. وقد كانت التفسيرات الفلسفية للنظريات العلمية هي المطية التي ركبتها حركة «العصر الجديد»، سواء أكانت هذه التفسيرات من داخل الوسط العلمي، أو من خارجه تماماً.

وفي المباحث التالية، سيظهر كيف أسقطت حركة «العصر الجديد» مبادئها الباطنية حول الكون والوجود على نظريات صادرة في الأصل عن مجتمع العلم التجريبي، رغم تفاوت قبولها والاعتراف بها في المجتمع ذاته.

المبحث الأول

النظريات الحيوية لـ حركة «العصر الجديد»

تعتبر مسألة نشوء الكون، وظهور الحياة فيه، من أبرز المسائل التي تسعى جُل الاتجاهات الفلسفية لتفسيرها، وإلى قرن ونصف قرن من الزمان كانت نظرية «الخلق» بأشكالها المتنوعة تشكل النظرة السائدة في العالم الغربي؛ أي: حتى مجيء تشارلز دارون بفكرة النشوء والارتقاء[1] التي أنكرت وجود خالق متميز عن المخلوقات، وأرجعت الوجود إلى النشوء الذاتي المتسلسل. ورغم أن القول بالنشوء الذاتي ليس وليد نظرية دارون، حيث نجد في كلٍّ من الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية أفكاراً تحمل ذات التوجه الإلحادي، إلا أن دارون هو أول من طرح هذه الفكرة في بيئة «علمية» لا فلسفية، فاعتُبرت نظرية التطور هي أولى الإسهامات الفكرية التي تناولت نشأة الحياة خارج الإطار الديني، وقد أفسحت المجال للخوض في هذه المسألة بتوجه جديد مخالف للأعراف السائدة.

---

(١) يطلق عليها: «نظرية التطور» في كثير من الأحيان، وقد سبق أن التطور نوعان: تطور جزئي (Micro-evolution)، وتطور كلي (Macro-evolution) ، والمقصود في هذا المبحث عند إطلاق «التطور» هو: التطور الكلي.
راجع ص٢٢٣ من هذا البحث.

ولكن عند تأمل فكرة النشوء والارتقاء، نجد أن معطياتها لا ترتقي بها لأن تُصنف بأنها «نظرية»[١] علمية ـ فضلاً عن أن تُعتبر «حقيقة»[٢] علمية، فهي ـ في الواقع ـ مجرد إطار فلسفي ميتافيزيقي يمكن للعلم التجريبي الاعتماد عليه دون ربطه بمعتقد محدد، وإن كان يعتمد ـ هو الآخر، وباعتراف أنصاره ـ على «الإيمان» الغيبي، حيث تنعدم أي دلالة حسية مقبولة تُثبت صحة افتراضاته[٣]. ولذا فإن السبب في إدراج نظرية دارون ضمن النظريات، أو الفرضيات العلمية عائد بالأساس إلى خُلوّها من المتعلّقات والخلفيات الدينية، مع تقديمها تفسيراً لظاهرة لم يُطرح لها ـ في السابق ـ تفسير إلا من خلال الدين.

وبناء عليه، فإن نظرية النشوء والارتقاء لا تعدو كونها أطروحة فلسفية، لا تفصل بين العقل والجسد، أو العالم المادي والعالم الفكري، والإنسان ـ حسب تقريرات دارون ـ جزء من منظومة طبيعية، ومرحلة متقدمة من تطور كائناتها البدائية.

إن هذه النظرة «الشمولية» للإنسان والكون وافقت المبادئ الفلسفية لحركة «العصر الجديد»، مع التزام الحركة بالتوجه الروحاني في تفسير التطور البشري، فبينما أهبط دارون الإنسان إلى المستوى الحيواني، تسعى حركة «العصر الجديد» إلى رفعه إلى المستوى الإلٰهي، وذلك من خلال تقريرها بأن الوجود كله ليس إلا كائناً إلٰهياً موحداً[٤].

إن حركة «العصر الجديد» لا تخالف دارون في أن الكون نشأ ذاتياً، وأنه دائم

---

(١) **النظرية العلمية**: هي الوسيلة التي تعين على فهم ظاهرة ما، وهو أحسن «تخمين» عن مسألة لم يثبت فيه شيء بعد، ولكنه يستحق البحث والاستقصاء. ويمكن التعبير عنه بأنه: أحسن حل لمشكلة من المشاكل أو تفسير لحقيقة غير معروفة.

انظر: المنهج العلمي وتفسير السلوك: محمد عماد الدين إسماعيل ص٦٣.

(٢) **الحقيقة العلمية**: هي المشاهدة الموضوعية، والثابتة بالتجربة، أو الاستنتاج، والقابلة للتحقق.

انظر: المنهج العلمي وتفسير السلوك: محمد عماد الدين إسماعيل ص٤٤ ـ ٥١، و The Scientific Approach-Carlo Lastrucci: 115.

(٣) انظر: الإسلام والمذاهب والاتجاهات العلمية المعاصرة: يحيى حسن: ٤١، و The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 159.

(٤) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 166.

الارتقاء والتحول، ولكنها تتميز عن الفكر الداروني في عدة أمور، من أبرزها:

- أن حركة «العصر الجديد» تجعل الارتقاء خاضعاً للإرادة الذاتية، لا الطبيعة، أو الصدفة.
- أن الحركة ترى أن التطور يتقدم إلى مقصد، وغاية عظمى، بينما يجعله داروِن تسلسلاً بلا هدف محدد.
- أن حركة «العصر الجديد» لا تجعل الإنسان قمة هرم التسلسل ـ كما يرى داروِن ـ بل تعتقد بوجود مراحل متقدمة من التطور، لا تقف إلا عند الاتحاد والتألُّه[١].

هذا، وقد تفرع عن نظرية داروِن في النشوء والارتقاء عدد من النظريات الحيوية التي تتناول الكون، وطبيعة الحياة فيه، منها نظريتان تلقتهما حركة «العصر الجديد» بالقبول، وجعلتهما من الأدلة «العلمية» على معتقداتهم الفلسفية. وهما: فرضية غايا، والحقول الشكلية.

أولاً: فرضية غايا (Gaia):

تأخذ هذه الفرضية اسمها من الأساطير الميثولوجية للإغريق، فقد كان يُطلق على إلهة الأرض في الديانة اليونانية القديمة اسم «غايا»[٢]، وهي التي تولدت منها بقية الآلهة من بعد، فتعد ـ حسب معتقدهم ـ أمًّا للألهة جميعاً.

ولكن المقصود بـ «غايا» في هذا السياق ليس هو المعتقد الإغريقي القديم ـ رغم تأثره ببعض جوانب ذلك المعتقد ـ وإنما هو تطبيق فلسفي لفرضية غايا التي قدمها الكيميائي البريطاني جيمز لفلوك (James Lovelock)[٣] في سبعينيات القرن العشرين[٤].

---

(١) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٢) انظر: The Ages of Gaia-James Lovelock: 1, and Gaia-James Lovelock: 10, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٣) جيمز لفلوك: عالم أحياء إنجليزي مستقل، ولد في عام ١٩١٩م. اشتهر بنظريته في الأرض الحية التي تسمى غايا، له عدد من المؤلفات منها: عصور الغايا، واخضرار المريخ. ولا يزال لفلوك على قيد الحياة.
تصفح الموقع الرسمي لجيمز لوفلوك: www.jameslovelock.org

(٤) انظر: The Ages of Gaia-James Lovelock: (30-31).

تتلخص هذه الفرضية ـ وتسمى أحياناً نظرية غايا، أو مبدأ غايا ـ في أن جميع الكائنات الحية التي تسكن الأرض وجميع ما يحيط بها تشكل وحدة مترابطة ذات تنظيم ذاتي، وهذه «الوحدة» تعتبر كائناً حياً ضخماً يعمل على ضبط الظروف الحيوية للكرة الأرضية، ويطلق عليه اسم غايا[١].

يوضح جيمز لفلوك فرضيته، وحقيقة علاقتها بنظرية التطور في كتابه «عصور غايا»، قائلاً: «الجزء الرئيس من هذا الكتاب... يتحدث عن نظرية جديدة للتطور، نظرية لا تتعارض مع رؤية دارون العظيمة، ولكنها تضيف إليها من خلال ملاحظة أن تطور أنواع الكائنات الحية ليس منفصلاً عن تطور بيئتها المادية. بل الواقع أن هذه الأنواع وبيئتها مقترنتان بإحكام، وتتطوران كنظام موحد. وما سأقوم بوصفه هو تطور أضخم الكائنات الحية: غايا»[٢].

فالكرة الأرضية ـ وفقاً لفرضية غايا ـ بساكنها من إنسان، وحيوان، أو جماد تشكل كائناً حياً واحداً، كما يشكل الدم واللحم والأعضاء أجزاء من جسم الإنسان، وليس لشيء منها وجود مستقل منفصل عن سائر الموجودات، وإنما يتولد بعضها من بعض، وتتطور أنواعها وتترقى، حتى توصلت إلى ما نراه منها اليوم.

لم يكن جيمز لفلوك أول من يطرح هذا المفهوم الشمولي للكرة الأرضية، حيث وجدت عند بعض أسلافه أفكارٌ تمهيدية حول الأرض الحية، ولكن لفلوك جعل لها أبعاداً إضافية، وكان أول من ألف في فرضية الـ غايا كتباً مستقلة، وأول من قدم الأبحاث «العلمية» في سبيل إثباتها. ومع ذلك، فقد وصفت آراؤه حول سيطرة «الحياة»، وتحكمها بمجريات الأرض، وطبيعتها، بالجرأة، والخروج عن النسق العام، إذ كانت النظرة السائدة آنذاك تقرر بأن التغيرات التي تحصل في الأرض خاضعة للقوى الفيزيائية والكيميائية وما شابهها، وأن ليس

---

(١) فمثلاً إذا قام الإنسان بالإضرار ببيئته عن طريق التلويث والتعمير والتوسع، تقوم غايا بردود فعل تعمل على المحافظة على التوازن البيئي بتقليل أعداد البشر الذين يسكنون الأرض، فتنتشر بينهم الأمراض والمجاعات، وتكثر الكوارث الطبيعية التي تحد من التوسع البشري على الأرض. Gaia-James Lovelock: 131

(٢) انظر: The Ages of Gaia-James Lovelock: xviii.

للكائنات الحية أي سيطرة على الظروف البيئية المحيطة بها[١].

لقد كانت أفكار لفلوك حول الأرض الحية في نظر زملائه في التخصص مجرد فرضية تفتقر إلى الدلائل العلمية المحسوسة، بل جعلها بعضهم من فروع الديانات الوثنية الحديثة، فهي تعظم الطبيعة، وتقوم بشكل رئيس على نظرية النشوء والارتقاء المعارضة كلياً لعقيدة الخلق[٢].

لقد سُرَّت حركة «العصر الجديد» بهذه الفرضية الجديدة ورأت فيها فرصة لتأييد فكرها بـ «العلم»، فأُدرج مفهوم الـ غايا الذي دعا إليه لفلوك في عدد من ممارستهم. ورغم أنهم يعتقدون بقصور هذه الفرضية ومحدوديتها، إلا أنهم لا يتأخرون في الصعود على أكتافها، واستغلالها لتمرير معتقداتهم وفلسفتهم الروحانية[٣]، فإن حركة «العصر الجديد» لم تكتف بما في طرح لفلوك من إشكالات علمية واعتقادية، بل أضافت إلى هذه الفرضية ـ الباطلة أصلاً ـ أبعاداً فلسفية تخدم منظورها للكون والوجود. فأصبحت الأرض ليست كائناً حياً فحسب، وإنما صارت كائناً واعياً، مدركاً، عاقلاً كذلك[٤]. وهذا المفهوم الباطني نابع من عقيدة القوم بوحدة الوجود، وأن الوجود المطلق هو فكر أو وعي أو عقل. فالحركة تربط فلسفتها الواحدية في تفسير غايا بفرضية غايا ذات القبول الجزئي في الأوساط العلمية، فهم يستخدمون نظرية لفلوك بشكل روحاني، ويجعلونها دليلاً على العقل المطلق الكلي.

تتلخص النظرة الفلسفية للـ غايا في كونها الوجود المادي الأول الذي تولد من العدم من جهة، وتولدت عنه سائر الموجودات من جهة، وهي فكرة شائعة

---

(١) انظر: Animate Earth-Stephan Harding: (63-64).
ومما قيل في انتقاد هذه النظرية أن الكائن «الحي» لديه القدرة على التكاثر بطريقة أو بأخرى، بينما لا تمتلك الأرض ما يشبه هذه القدرة على التناسل. ورد بأن البشر هم بمثابة البذور للأرض فإذا استقر بعضهم في كواكب أخرى كانوا سبباً في حياتها، وبذلك يعتبر ذلك نوعاً من التكاثر، غير أن هذا لا يستقيم؛ لأن البشر لا يمكن أن يعيشوا أصلاً إلا في بيئة حية.

(٢) انظر: The New Age Movement an the Biblical Worldview-John Newport: 288, and Animate Earth-Stephan Harding: (63-64).

(٣) انظر: The New Age Movement an the Biblical Wordview-John Newport: (301-302).

(٤) انظر: The New Age Movement an the Biblical Wordview-John Newport: (300).

في الفلسفات الباطنية مع تنوع الأوصاف والتسميات، وفي النص التالي إيضاح للمقصود بـ غايا وفق تلك الفلسفات:

«من الفراغ الأبدي، تقدمت غايا راقصة، ولفت نفسها في كرة دوامة. شكلت الجبال على ظهرها، والأودية في تجويفات لحمها.. ومن رطوبتها الدافئة أنتجت مطراً لطيفاً، سقى سطحها، فتولدت الحياة»[١].

إن هذه الفكرة لها جذور في الديانات الشرقية كذلك، كالطاوية والبوذية، ففيهما تعظيم للطبيعة التي هي صورة من صور الكلي وعلى ذلك تنبني جل فلسفاتهم[٢].

لقد قامت حركة «العصر الجديد» بالخلط بين فرضية غايا ـ التي قدمها جيمز لفلوك ـ وبين الأفكار الروحانية المتعلقة بها، فإن هذه الفرضية رغم تأييدها لمبادئ النشوء والارتقاء ـ بل وتفرعها عنها ـ فإن هذا «التطور» يقتصر على المادة، بينما جعلت حركة «العصر الجديد» تطور غايا وترقيها مرتبطاً بتطور «الوعي»، وترقيه[٣].

وبما أن فرضية غايا اعتبرت الأرض كائناً حياً ضخماً يتألف من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، فإن هذه النظرة جعلت للحديث عن الحفاظ على البيئة أبعاداً فلسفية[٤]، تمتد حتماً إلى تأليه الأرض ـ لا على وجه الانفراد ـ ولكن من حيث إنها جزء ـ أو صورة ـ من الكل المؤلَّه في عقيدة وحدة الوجود، كما هو ظاهر عند كل من آلس بيلي وديفيد سبانغلر[٥]. فضُمِّن ذلك المفهوم المنحرف في حملات العناية بالبيئة التي تطرحها حركة «العصر الجديد»، وكان إيذاء البيئة هو إيذاء للذات، أو إيذاء للمقدس. ومن الحركات البيئية التي تأثرت بالفلسفة الكونية لحركة «العصر الجديد» حركة يُطلق عليها الحركة الخضراء (Green Movement)[٦]،

---

(١) انظر: Animate Earth-Stephan Harding: 41.

(٢) انظر: The New Age Movement an the Biblical Worldview-John Newport: (283-284).

(٣) Historical Dictionary of New Age Movement-York: 78.

(٤) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News,Oct, 2003 Vol. 10 Issue 10.

(٥) انظر: The New Age Movement an The Biblical Worldview-John Newport: 290.

(٦) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-York: 78.

وكذلك الديانات الوثنية الحديثة ـ خاصة تلك المرتكزة حول الأرض[١] (Earth Religions). فإن واجب الإنسان تجاه بيئته ومحافظته عليها لا ينبع عن المسؤولية الجماعية، وترك الإفساد فحسب، وإنما يتعدى ذلك ليأخذ جانباً أخلاقياً، باعتبارها كائناً حياً، يشعر، ويتأذى كسائر الأحياء[٢]. كما فُسِّر ظهور النباتات الضخمة ـ المزعوم ـ في مؤسسة فندهورن بأنه نتيجة مباشرة لمعرفة الأساليب المناسبة للتعامل الصحيح مع غايا، وذلك من خلال الممارسات الروحانية لحركة «العصر الجديد»[٣].

ثم إن أتباع حركة «العصر الجديد» قاموا بتطبيق فلسفاتهم على الكائن الأكبر كما طُبقت على الكائنات الأصغر، فلما كانت الأرض تتصف بالحياة كان لازماً أن تكون الطاقة الكونية تسري خلالها كما تسري في جسد الإنسان! ولذلك رأى بعضهم أن ما يصيب الطبيعة من خلل، أو اضطراب يرجع إلى تعثر في سريان تلك الطاقة، فسعوا لمعالجة التعثر من خلال «وخز» نقاط محددة من الأرض لتحفيز جريانها، تماماً كما يُفعل في الطب الشرقي عند وخز الجسم البشري بهدف تسليك مسارات الطاقة، وهذه النقاط تشكل مناطق ذات قدسية عند الحركة. وقد رأى بعضهم أن ستون هنج ـ الذي أقامه الكلت ـ والأهرام ـ التي أقامها الفراعنة ـ هي نتيجة إدراكهم لهذه الحقيقة، كما اعتقدوا إمكانية التحكم بالطاقات الأرضية من خلال علم طاقة المكان: (الفُنغ شوي)[٤].

والصحيح أن العلاقة التي بين المخلوقات علاقة أفراد في مجموعة، لا علاقة أجزاء في كل، وكما أن الإنسان يستقل عن والديه رغم أنه متولد منهما، فكذلك هو مستقل عن الأرض، وإن كان مخلوقاً منها. وكما أنه لا يصح إنكار

---

(١) **الديانات الأرضية**: وهي توجهات روحانية تشكل رابطاً بين الديانات الوثنية الحديثة وحركة «العصر الجديد»، وهي ترتكز على التعظيم الروحاني للطبيعة، النابع عن مبدأ غايا، والذي يميزها عن الديانات الطبيعية الوثنية بإدماج الأفكار التجاوزية الثيوصوفية التي تبرز في حركة «العصر الجديد».

انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-York: 64.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 107.

(٣) انظر: The New Age Movement an the Biblical Worldview-John Newport: 303.

(٤) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 93.

وجود أثر متبادل بين سكان الأرض ومحيطهم البيئي، إلا أنه لا يمكن تصويره كما هو مقرر في نظرية غايا، فضلاً عما تصوره حركة «العصر الجديد».

مسألة: هل جميع الكائنات حية مدركة عاقلة؟

قد يُشكل على ما سبق ورود نصوص في الكتاب والسُّنَّة تشير إلى أن للجمادات والحيوانات نوع إدراك، وهي كثيرة ومستفيضة، حيث يمكن أن يُظن أن فيها تأييداً لما افترضه جيمز لفلوك ومؤيدوه. ولكن قبل الشروع في تفصيل هذه المسألة لا بد من التأكيد على قضيتين:

١ ـ أن فرضية غايا قائمة بشكل رئيس على فلسفة النشوء والارتقاء الداروينية، فلا يمكن قبولها ولو سلمنا بصحة دعوى أن للأرض حياة.

٢ ـ أن تفسير حركة «العصر الجديد» لهذه الفرضية يتضمن عدداً من معتقداتهم في الكون والحياة، كالاتحاد، ووحدة الوجود، وتأليه الذات.

ولذلك، فثبوت نوع حياة أو إدراك للكائنات لا يعني بحال صحة هذه الفرضية المنحرفة، سواء بصورتها الأصلية، أو بالصورة التي تبنتها حركة «العصر الجديد».

ولكن هل يصح أن نصف الأرض ـ بمفهوم غايا ـ بالحياة؟ فالحياة ليست نمطاً واحداً بل مراتب متفاوتة تختلف من موجود إلى آخر، وقد لخصها ابن القيم فيما يلي:

* «**المرتبة الأولى**: حياة الأرض بالنبات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥]، وهذه حياة حقيقية في هذه المرتبة.

* **المرتبة الثانية**: حياة النمو والاغتذاء. وهذه الحياة مشتركة بين النبات والحيوان الذي يعيش بالغذاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

* **المرتبة الثالثة**: حياة الحيوان المتغذي، بقدر زائد على نموه واغتذائه، وهي إحساسه وحركته، ولهذا يألم بورود الكيفيات المؤلمة عليه، وبتفرق الاتصال، ونحو ذلك، وهذه الحياة فوق حياة النبات. . [و] نفس هذه الحياة تتفاوت تفاوتاً عظيماً في مجالها، فحياة الحية أكمل من حياة البعوضة، ومن قال غير هذا فقد كابر الحس والعقل.

* **المرتبة الرابعة**: حياة الحيوان الذي لا يتغذى بالطعام والشراب، كحياة الملائكة، وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها، فإن حياتها أكمل من حياة الحيوان المتغذي، ولهذا لا يلحقها كلال ولا فتور، ولا نوم ولا إعياء، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وكذلك الأرواح إذا تخلصت من هذه الأبدان وتجردت صار لها حياة أخرى أكمل من هذه إن كانت سعيدة، وإن كانت شقية كانت عاملة ناصبة في العذاب»[(١)].

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: «والحياة نوعان: حياة الحيوان، وحياة النبات. فحياة الحيوان خاصتها: الحس، والحركة الإرادية، وحياة النبات خاصتها: النمو، والاغتذاء»[(٢)]، فحياة الحيوان مرتبطة بوجود الروح فيه، بينما حياة النبات نمو واغتذاء غير إراديين. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من صور صورة، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً**». قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل اتخذ التصوير صنعة: «ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر، كل شيء ليس فيه روح»[(٣)].

فإذا عدنا إلى إمكانية وصف الأرض بالحياة وجدنا أن الأرض ـ في الأصل ـ ميتة، وإنما تحيا بحلول الكائنات الحية ـ كالنبات ـ فيها. فإنه لا يصح وصفها بالحياة إلا بهذا المعنى، وبالتالي يبقى بعضها حياً، وبعضها ميتاً. ولا يمكن وصفها بحياة النمو، والاغتذاء، فضلاً عن حياة الحيوان الذي فيه روح. والذي يعتقده **لفلوك** هو أن حياة الأرض هو من جنس حياة الحيوان المتغذي، بينما ترفعها حركة «العصر الجديد» إلى حياة الحيوان الذي لا يتغذى على الأقل من حيث عدم قابليتها للفناء المطلق.

أما اعتبار الأرض بساكنها كائناً بيولوجيّاً واحداً فيفتقر إلى أية دليل، علمي، أو شرعي، بل الأدلة تدل على خلافه، فإن خلق الأرض وما فيها كان

---

(١) مدارج السالكين: ابن القيم ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
وقد زاد عليها ابن القيم رحمه الله مرتبة خامسة، هي: حياة العلم وموت الجهل، لم أذكرها هنا لعدم مناسبتها للسياق.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٢١/ ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٨٣، كتاب: البيوع، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح، برقم (٢٢٢٥).

على مراحل، مما يدل على استقلالية الكائنات، وتميزها عن بعضها البعض.

بقيت مسألة ثبوت العقل لغير الإنسان، والإدراك للكائنات غير الحية، فـ غايا ليست حية فحسب بل عاقلة، مدركة، مريدة، لا سيما عند حركة «العصر الجديد». وقد يُحتج بنصوص عدة وردت في إثبات شيء من ذلك للحيوان والجماد. فمن ذلك ما ورد من خطاب الهدهد لنبي الله سليمان ﷺ، وسماعه ﷺ قول النمل، وتسبيح الحيوانات والنباتات، وحنين الجذع للنبي ﷺ، وشهادة الحجر له بالنبوة، وإباء السماوات والأرض عن حمل الأمانة، وغير ذلك كثير. بل يرى بعض العلماء أن «لهذه العوالم كلها إدراكاً تاماً كإدراك الإنسان أو أشد منه»[1].

أما إطلاق «العقل» على هذا الإدراك لدى الحيوانات أو الجمادات ففيه نظر، فإن في الشرع ما يشير إلى نفي مفهوم العقل عنها، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]. وقال ﷻ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزمر: ٤٣].

فالعقل الذي هو الإرادة والاختيار منفي عن الحيوان والجماد، إذ لو كان لها عقول بهذه الصفة لما كانت بمعزل عن التكليف والحساب. ولأمكنها مع مرور الزمان تعلم منطق البشر وعلومهم، وهو ما لم يحصل رغم امتداد الزمن وتطاوله.

فإن قيل: قد ثبت هذا العقل لهدهد سليمان ونملته ﷺ، قيل: لا دليل على عموم الحكم على سائر الحيوانات، فلو كانت كلها كهدهد سليمان ﷺ لأبت الخيول أن تجند في معارك ضد الأنبياء والصالحين، ولما سُلِّطت الكلاب والسباع على أجساد المسلمين، ولما امتَهَن شيء منها مقدساً في الشريعة، وكل ذلك مُشاهد مطرد، مما يدل على أن ما سُخِّر لسليمان قد لا يُسخر لغيره، وعلى أن ما ذُكر حالات خاصة لا تنسحب على سائر الحيوان. وقد قال بعض المفسرين إن الله أفهم «النملة هذا لتكون معجزة لسليمان»[2]، لا أن هذا من

(١) أضواء البيان: الشنقيطي ٨/ ٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٣/ ١٧١.

عادة النمل، وإلا فإن المشاهد أن الحيوانات قد تطَّلع على خطر أكثر ظهوراً من سليمان وجنوده ولا تستجيب، أو تحتمي حتى تتعرض لهجوم مباشر تسوقها غريزة البقاء للفرار منه.

أما ما ورد في نطق الحيوانات فهو من خوارق العادات الدالة على قدرة الإله ﷻ ولا دلالة فيها على وجود العقول المدركة، وإنما هي من قبيل قوله تعالى في الأعضاء والجلود: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، لا أن لها عقولاً مستقلة، وإنما من باب العبرة للبشر أصحاب العقول. وذكرها وتسبيحها صادر عن الطبيعة والجبلة، فكما أن الشجر ليس مخيراً في انحنائه نحو الإضاءة، ولا الحيوان مختاراً لدفعه الضر عن صغاره، فليس شيئاً منها مخيراً في التسبيح، أو التوحيد، فمع الاختيار يأتي التكليف، ومعلوم أن كل هذه الكائنات من غير المكلفين.

والمقصود أن «العقل المختار» منفي عن سائر الحيوانات، والنباتات، والجمادات الأرضية، عدا الإنسان والجان. أما الإدراك فقد أثبت شيء منه بعض العلماء للكائنات غير الحية. وعلى أية حال، فإن إدراك الكائنات غير العاقلة ـ إن صح تعميمه ـ هو إدراك فردي، يخص كلاً منها على حدة، أما الإدراك الجمعي الكلي فلم يقل به أحد من أهل العلم، بل هو من موروثات الفكر الباطني القديم.

ثانياً: الحقول الشكلية (Morphic Fields):

وهذه هي الفرضية الثانية التي تناولتها حركة «العصر الجديد» ضمن منظورها الفلسفي للحياة. فقد افترض الأحيائي الإنجليزي **روبرت شِلدريك**[1] **(Rupert Sheldrake)** أن لجميع الكائنات مجالات غير مرئية تحيط بها، وأطلق

---

(١) **روبرت شلدريك**: هو عالم أحياء، وكاتب بريطاني ولد في عام ١٩٤٢م، عرف ببحثه في المسائل الغريبة والباراسيكولوجي. حصل على الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كامبردج. له عدد من المؤلفات، منها: سبع تجارب قد تغير العالم، كلاب يعلمون متى سيرجع ملاكهم إلى البيت، والإحساس بأن أحداً ما ينظر إليك. ولا يزال شلدريك على قيد الحياة، ويسكن في لندن مع أسرته.

تصفح موقعه الرسمي: www.sheldrake.org.biography

عليها: «الحقول الشكلية»، تتحكم هذه الحقول بتطور الكائن وتُنظِّم نموّه. وللحقول الشكلية ـ عند **شلدريك** ـ ذاكرة خاصة بالنوع الذي ترتبط به، وهي ذاكرة «جمعية» تشبه الـ لا وعي الجمعي عند **كارل يونغ**(١)، إذ يستمد أفراد النوع الواحد من تلك الذاكرة، ويضيفون إليها، وتنتقل الخبرات بين الكائنات من خلال هذه الحقول الخفية. ولذلك، فهو يُرجِع انتظام الكائنات من ذات النوع، وتطابق سلوكها إلى تلك المجالات الشكلية التي زَعَم إحاطتها بها، والتي اعتبرها سجلاً للمعلومات التاريخية الخاصة بكل نوع.

يقول **شلدريك** موضحاً فرضيته: «ما أطرحه هو وجود ذاكرة كامنة في كل كائن حي، وهي التي أسميها الحقول الشكلية أو المورفوجينية. مع مرور الزمان، يُشكل كل صنف من الكائنات الحية نوعاً محدداً من الذاكرة الجمعية التراكمية. ولذلك فإن اطراد الطبيعة أمر اعتيادي. الأشياء هي كما هي الآن لأنها كانت بشكل محدد في السابق، الكون هو نظام من العادات دائمة التطور»(٢).

ومما احتج به **شلدريك** في تأييد فرضيته: ما لوحظ من قدرة بعض النباتات والحيوانات على إعادة التكوُّن من جزء من الكائن الأصلي، وقرر أن للكائنات الحية ميلاً أو نزعة إلى الاكتمال، كما أن لها نزعة غائية وهدفاً يوجه سلوكها(٣). إن هذه الخصائص للكائنات الحية لا يمكن أن تُفسَّر إلا بوجود مدبر مدرك لتلك الكائنات، وهو رأي مخالف لنظرية دارون من هذا الجانب، والتي لا تُخضع التطور لأية غاية كلية أو عقل مدبر، وأقرب إلى الاتجاه الروحاني الذي تبنته حركة «العصر الجديد». فإن **شلدريك** ـ كـ لفلوك ـ لا يجعل لهذا العقل المدبر وجوداً خارج العالم الطبيعي، وإنما هو سار في الطبيعة نفسها لا ينفصل عنها البتة، فنشأة الحقول ذاتية، وهي ذات طبيعة تطورية ارتقائية.

يقول **شلدريك**: «إن هذا الموقف الميتافيزيقي يعترف بالفاعلية السببية للنفس الواعية، بالإضافة إلى اعترافه بوجود قوى خلاقة تتجاوز الكائنات

---

(١) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: 3, and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 165.

(٢) Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: 3

(٣) انظر: Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: (8-10), and The New Age: A Fringe Watcher-Martin Gardner: 112.

الفردية، ولكنها ملازمة للطبيعة. غير أنه ينكر وجود أي قوة خلاقة مطلقة تتجاوز الكون ككل»[١].

إن إنكار روبرت **شلدريك** للمدبر الخارجي للكون، قاده إلى إنكار وجود «قوانين» كونية، حيث اعتبرها مجرد «عادات» للمادة، قابلة للتغير والتحوير. يرجع ذلك إلى أن القانون ـ عنده ـ يوحي بوجود من يفرض القانون، وهو «الإله» عند كثير من الناس، وبما أنه ينكر وجوده، لزمه إنكار تلك القوانين. كما أن افتراض وجود قوانين يخالف ـ في نظره ـ القول بالنشوء والارتقاء، فالقانون الطبيعي ثابت لا يتغير، والكون في نظرية التطور دائم التغير والترقي[٢]. ولذلك فإن **شلدريك** وأتباعه، كحركة «العصر الجديد»، ينكرون «الدين» و«العلم» على حد سواء، ويعتبرون كلّاً من رجل الدين، ورجل العلم معتمداً كلياً على مبدأ الإيمان.

وإذا تأملنا نظريات **شلدريك** سنجد أنه يعبر عن معتقدات باطنية في قالب «علمي»، مستخدماً مصطلحات «الحقول الشكلية» و«الموجات الذبذبية» للتعبير عن الأرواحية القديمة. ففرضياته تنبع من اعتقاده بأن للكائنات كلها أرواحاً وأن الأرض حية كذلك، وهو يرى أن المشاكل المعاصرة نابعة عن نزع القدسية عن الطبيعة، وهذه الطبيعة المادية الخالية من القدسية هي الأساس الذي بُني عليه العلم الحديث[٣].

إن الفرضية التي طرحها **شلدريك** ـ بلا شك ـ ذات تعلق ظاهر بخلفيته الثقافية، فقد كان لا يعترف بالأديان المنظمة، ويميل إلى الروحانيات الباطنية، بل يعتبر أفضل تجربة دينية مر بها على الإطلاق كانت عند تناوله العقاقير المحورة للوعي في الستينيات! وهو يبدي إعجابه الصريح بالديانات الباطنية في الهند، ويمتدح كونها لا تخضع للتنظيم الديني التقليدي[٤]، ثم نجد **شلدريك**

---

(١) Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 199.

(٢) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: (1-2), and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 22.

(٣) انظر: Natural Grace-Rupert Sheldrake: 18.

(٤) انظر: Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness-Rupert Sheldrake: (125-126), and Natural Grace-Rupert Sheldrake: 12.

يربط فرضيته المنسوبة إلى العلم ببعض الفلسفات الباطنية كـ«سجلات أكاشا» التي تعتبر مدونة العلوم المطلقة عند الهندوس[١].

إن هذه القوى و«المخازن» المعلوماتية إذا استطاع الإنسان التواصل معها بطريقة ما، أمكنه التحكم بالتطور الكلي للكائنات، ومن ثم أمكنه الخلق، وتحويل الفكر إلى واقع[٢]، وهي فكرة سائدة عند أتباع حركة «العصر الجديد»، مما أسهم في زيادة شعبية هذه الفرضية بينهم. ولا عجب أن نجد أحد أبرز رموز الحركة يمتدح **شلدريك** بحماسة واتقاد، حيث يقول عنه **ديباك شوبرا**: «**روبرت شلدريك** هو من أكثر علماء زماننا إبداعاً وتطلعاً»[٣].

لقد جعلت حركة «العصر الجديد» حقول **شلدريك** مقابلاً للوعي الكلي المطلق المعروف في الفلسفات الشرقية والمذاهب الباطنية، وإثباتاً «علمياً» لوجوده[٤]. بينما كفاهم **شلدريك** مؤونة الربط بين فرضيته وبين سجلات أكاشا التي يشيع الاعتقاد بها بين أتباع الحركة[٥]. ولم تعجز فلسفتهم في الطاقة الكونية عن احتواء هذه الفرضية حيث اعتُبرت الحقول الشكلية تعبيراً عن هالة الطاقة، أو الأورا (Aura) التي تحيط بالأجسام في زعمهم[٦].

وعلى كل حال، فإن فرضية الحقول الشكلية ـ مع ما تتضمنه من مخالفات عقدية متعددة ـ غير مقبولة في الأوساط العلمية المختصة، ولا توجد لها أدلة حسية أو عقلية تثبت صحتها[٧]، فهي أقرب إلى الأطروحة الفلسفية منها إلى النظرية العلمية، ولكننا لن نجد أتباع حركة «العصر الجديد» يقفون عند ذلك، أو يترددون بالاحتجاج بما هو ليس ثابت أصلاً.

---

(١) انظر: Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 261.

(٢) انظر: What the Bleep Do We Know - Amtz & Chasse-(224-225).

(٣) Morphic Resonance-Rupert Sheldrake: 1.

(٤) انظر: The Akashic Experience-Ervin Laszio: (22, 92).

(٥) انظر: The Akashci Experience-Ervin Laszio: 1.

(٦) انظر: The Physics of Miracles-Richard Bartlett: 32.

(٧) انظر: The New Age: A Fring Watcher-Martin Gardner: 112.

المبحث الثاني

نظريات النسبية وحركة «العصر الجديد»

لا يكاد يُذكر علم الفيزياء إلا ويذكر عنده العالم الألماني آلبرت أينشتاين الذي أحدث ثورة نوعية في ذلك العلم. ومن أبرز إسهاماته في الفيزياء الحديثة ما يُعرف بنظرية النسبية (Relativity Theory) التي ابتكرها آينشتاين في بداية القرن العشرين.

لقد حلت نظرية النسبية محل نظرية نيوتن التي كانت سائدة في الدراسات الفيزيائية من قبل لما يزيد عن قرنين من الزمان. وهي وإن كانت نظرية متخصصة إلا أنها أثارت اهتمام من هم خارج الاختصاص، لا سيما حركة «العصر الجديد» التي رأت فيها حجة لبعض معتقداتها الباطنية.

يشتمل المسمى العام لنظرية النسبية على نظريتين اثنتين تندرجان تحت هذا العنوان، هما: النسبية الخاصة، والنسبية العامة. وكلاهما مبني على مبدأ النسبية الذي ابتكره غاليليو في القرن السابع عشر للميلاد[1].

وفيما يلي إيضاح موجز لهاتين النظريتين، تتبعه الإشارة إلى التوجه الباطني في تفسيرهما.

(١) انظر: الكون الأحدب: عبد الرحيم بدر ص٤٣.

أولاً: نظرية النسبية الخاصة:

نظرية النسبية الخاصة هي نظرية قدمها **آينشتاين** في عام ١٩٠٥م تُعالج القوانين الفيزيائية كما يراها «المشاهِد» (observer) الذي يكون في حركة ثابتة لا تنحرف، ولا تتسارع[١]، وقد بُنيت هذه النظرية على مقدمتين[٢]:

○ **أولاهما**: أن القوانين الفيزيائية تعمل بشكل مُوحَّد، ولا تتغير في نظام الإحداثيات الساكنة، والمتحركة بسرعة ثابتة؛ أي: بالنسبة للمشاهد الساكن والمشاهد المتحرك حركة غير متغيرة، ولا متسارعة[٣].

○ **ثانيهما**: أن الثوابت في المعادلات التي تُعبِّر عن القوانين الفيزيائية تحتفظ بقيمتها العددية، كالسرعة الثابتة للضوء؛ أي: أن سرعة الضوء ثابتة لجميع المشاهدين، ولا تعتمد على أية حركة نسبية للمصدر، أو المشاهِد، ولا تتغير أياً كان مصدر القياس[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٦٩.

(٢) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت آينشتاين ص٤٩ ـ ٦٦، والنظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم: ٦، والإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح: ٣٦، والكون الأحدب: عبد الرحيم بدر ص٧٨.

(٣) مثلاً: إذا كان المشاهد (أ) على سطح غير متحرك ارتفاعه ٢م، والمشاهد (ب) فوق سطح ارتفاعه ٢م داخل سطح متحرك باتجاه واحد، بطريق ممهد تماماً، وبسرعة ثابتة. فإن المشاهد (أ) لو أسقط جسماً من مكانه المرتفع إلى الأرض لسقط الجسم عمودياً بخط مستقيم إلى نقطة محددة عليها، ولو أسقط المشاهد (ب) جسماً مماثلاً من ارتفاع مماثل فإن النتيجة ستكون مطابقة لنتيجة المشاهد (أ). فحركة «الوسط» الذي تقام فيه تجربة المشاهد (ب) لم تغير النتيجة لأنها حركة ثابتة، منتظمة، غير متزايدة، ولا متغيرة. انظر: النظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم ص١٨ ـ ١٩.

(٤) هذا يعني أن سرعة الضوء ثابتة بغض النظر عن السرعة التي يتعرض لها المشاهد. فلو افترضنا أن مركبتين متجاورتين في خط مستقيم، إحداهما متحركة، والأخرى متوقفة، وفي كل منهما مصدر للضوء، والمصدران متماثلان، ثم إذا توازت المركبتان أطلق كل منهما الضوء من مركبته. فعلى قول آينشتاين فإن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدرها، وبذلك سنرى أن حزمة الضوء الخارجة من المركبتين تتحرك جنباً إلى جنب بذات السرعة. فإذا قام المشاهد في المركبة الثابتة بقياس سرعة الشعاع الخارج من مركبته سيجد أن سرعة الضوء هي: ٣٠٠ مليون ميل في الثانية تقريباً، وإذا قام المشاهد في المركبة المتحركة بقياس سرعة الضوء سيجدها مطابقة لسرعته في المركبة الثابتة، رغم أن =

فكان من النتائج التي توصل إليها **آينشتاين** هي: نسبية الزمان والمكان. فإنه إذا كانت سرعة الضوء ثابتة دون اعتبار لحال المشاهد، كان المتغير هو الزمن الذي يعايشه المشاهد[1].

إن ما طرحه **آينشتاين** حول نسبية الزمان؛ يعني: أن الجسم الذي يتحرك بسرعة كبيرة يكون مرور الزمان بالنسبة إليه أبطأ من جسم مماثل يتحرك بسرعة أقل. ولذلك كلما كانت سرعة الجسم أكبر كلما طال عمره الافتراضي، بسبب بطء الزمان بالنسبة إليه. فلا وجود للزمان ولا المكان المطلقين، والضوء هو الثابت الوحيد الذي لا يتأثر بالمتغيرات. فسرعة الضوء ثابتة مهما زادت أو نقصت سرعة مصدره. وهذا مخالف لنظرة نيوتن التي تقول بمطلقية الزمان والمكان[2].

إن ما سبق ذكره عرضٌ مقتضب ـ وبلا شك ـ غير مُكتمل، إذ لن نتمكن من استعراض هذه النظرية من جميع جوانبها، نظراً لضيق المجال، واختلاف التخصص، فالهدف هنا ليس التفصيل في النظريات الفيزيائية، ونقدها من حيث الصحة والفساد، أو من حيث مطابقتها للواقع من عدمه، ما لم تكن النظرية تتضمن أو تستلزم ما يتعارض مع المعتقد السليم، فحينئذ تتداخل التخصصات، ويلزم الباحث الشرعي نقد النظريات من جانب تخصصه. وعليه، فالذي يهمنا ـ في هذا السياق ـ هو جانب النظرية الذي له تعلق بالاعتقاد، وكيف تم توظيفه في تأييد التوجهات الباطنية لحركة «العصر الجديد».

= المتوقع ـ بما أن حزمتي الضوء الخارجة من المركبتين تسيران جنباً إلى جنب دون أن تسبق إحداهما الأخرى ـ أن تكون سرعة حركة الضوء في المركبة المتحركة أبطأ منها في المركبة الثابتة. وقد أرجع آينشتاين ذلك إلى أسباب منها أن الزمن يختلف عند المتوقف والمتحرك، فالزمن بالنسبة للمتحرك يمر بشكل أبطأ منه في المتوقف، بينما تبقى سرعة الضوء ثابتة، ولذلك رأى بأن الزمان نسبي.

وهذه هي تجربة مايكلسون ومولي في عام ١٨٨١م. انظر: الإنسان والنسبية والكون: د. عبد المحسن صالح ص٢٥، والكون الأحدب: عبد الرحيم بدر ص٥٧.

(١) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت آينشتاين ص٦٧ ـ ٧٧، النظرية النسبية الخاصة: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم ص٤٢ ـ ٤٤، وانظر: الإنسان والنسبية والكون: د.عبد المحسن صالح ص٣٧، والكون الأحدب: عبد الرحيم بدر ص١٤٤.

(٢) انظر: آينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٥٧ ـ ٦٠.

ومن أجل توضيح ذلك، لا بد من ذكر منظورين مختلفين يتم تناول نظرية النسبية من خلالهما:

١ ـ **المنظور الواقعي**، الذي يفترض وجود حقيقة خارجة عن المشاهد. وفيه تُفسَّرُ نظرية آينشتاين بأن جوهر الحقائق القابلة للمعرفة موحَّدة لجميع المشاهدين، بينما يتفاوت وصفهم لها بشكل كبير حسب المنظور «الزمان ـ مكاني»[1] لكل مشاهد. فالحقيقة الخارجية مطلقة، والنسبي هو وصف المشاهد لها حسب منظوره الخاص. ويُزعم أن هذا المنظور الواقعي هو الموقف الفلسفي الذي تبناه آينشتاين نفسه.

٢ ـ **المنظور المثالي**، الذي ينفي وجود العالم المادي على الحقيقة. وعليه فُسِّرت نظرية النسبية بأن الكون كله وهم، وأن الوجود الأوحد هو الطاقة، ولا وجود للمادة. فالعالم كله نسبي؛ لأنه لا وجود له في الحقيقة، فهو لا يوجد إلا من منظور المشاهد، وهو من صنع أفكاره. وهؤلاء ينسبون آينشتاين إليهم، رغم عدم وجود دلالة صريحة في هذه النظرية على ما يريدون[2].

وهذ الأخير هو التفسير الذي تبنته حركة «العصر الجديد» ورأت فيه تأييداً «علمياً» لقولهم بوهمية العالم النابع من فلسفات الشرق، وداعماً فيزيائياً لاعتقادهم بوحدة الوجود، فقالوا: إن القول بنسبية الزمان يستلزم القول بأنه ليس للزمان وجود حقيقي، ثابت، مستقل عن غيره، فهو إذن من صنع العقل البشري، ووجوده في ذهن المشاهد، هو الذي يشكله، وبالتالي يمكن التحكم به كما يمكنه التحكم بالمكان. وكما سبق، فقد انسحب قول حركة «العصر الجديد» بالنسبية على الأخلاق، والعقائد، والقيم.

ثانياً: نظرية النسبية العامة:

وهي نظرية قدمها **آينشتاين** في عام ١٩١٥م لطرح تفسير جديد لما أسماه

---

(١) **الزمكان** (Timespace): هي النماذج الرياضية التي تجمع بين الزمان والمكان، بحيث يكون للمكان ثلاثة أبعاد، ويشكل الزمان البعد الرابع.
انظر: أينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٩١، والإنسان والنسبية والكون: د.عبد المحسن صالح ص٢٥.

(٢) انظر: The Tao of Physics-Fritjof Capra: 161, and The Implications of New Age Thought-Irmhild Horn: 185.

نيوتن قانون الجاذبية في القرن السابع عشر للميلاد، تجمع ـ هذه النظرية ـ بين قانون نيوتن وبين النسبية الخاصة. وهي نظرية معقدة تجعل سلوك الأجسام الذي فسره نيوتن بالجاذبية نتيجة لتأثير الكتلة على الهندسة الزمان ـ مكانية. وهي تعتبر تعميماً للنظرية الخاصة حيث تتناول المشاهد ذا الحركة المتسارعة، والمتغيرة في الاتجاه[١].

وعلى أية حال، فإن هذه النظرية تجعل للكون إمكانات هندسية متعددة، وليست محصورة في خيار واحد، كما هو مفترض في نظرية نيوتن. وهنا يأتي دور حركة «العصر الجديد»، فعندما لا تفترض نظرية النسبية العامة أن للكون شكلاً هندسياً موحَّداً، يفسره هؤلاء بأن «الهندسة ليست كامنة في الطبيعة، وإنما مفروضة عليها من قبل العقل»[٢]. فالعقل ـ بناء على هذا التفسير المنحرف ـ يُوجِد «الهندسة الذهنية» على أرض الواقع، أو بعبارة أوضح: يخلق الصورة التي في ذهنه للكون فتتجسد في الواقع[٣].

لقد جعلت حركة «العصر الجديد» نظرية النسبية العامة دليلاً على: وهمية العالم، وتأليه الإنسان، وكلاهما متفرع عن عقيدة وحدة الوجود.

قد يُظن أن حركة «العصر الجديد»، وغيرها من التيارات الباطنية، قد افتروا على آينشتاين كذباً، وحملوا نظرياته ما لا تحتمل. غير أن الذي يظهر أن معتقد آينشتاين لم يكن بعيداً عن الفلسفات الباطنية، ومن أقواله ما فيه تصريح بشيوعية الإلٰه، وإشارات إلى وحدة الوجود.

ففي كتابه: «أفكار وآراء» يقول آينشتاين: «هذا المعتقد الراسخ، معتقد محاط بشعور عميق، بعقل أعظم، يظهر نفسه في عالم الخبرة، يمثل تصوري للإلٰه. وبالأسلوب العامي يمكن وصفه بوحدة الوجود»[٤]. ثم يصرح بإنكاره للإلهية التي تقررها الأديان السماوية، فيقول: «أنا لا يمكنني تصور إلٰه يكافئ

---

(١) انظر: النسبية: النظرية العامة والخاصة: ألبرت آينشتاين ص١١١ وما بعدها، والكون الأحدث: عبد الرحيم بدر ص١٩٣، ونظرية النسبية العامة: جلال الحاج عبد ص٥٧.

(٢) The Tao of Physics-Capra: 162.

(٣) انظر: .The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (186-187)

(٤) Ideas and Opinions-Albert Einstein: 286.

مخلوقاته ويعاقبها، أو له إرادة كالتي نجدها في أنفسنا»[١].

وفي موضع آخر يقول: «أؤمن بإله سبينوزا، الذي يظهر نفسه في الانسجام القانوني لكل ما في الوجود، ولكن ليس بإله يهتم بشأن مصير وأفعال البشرية»[٢]. وهو ـ مع هذا ـ ينسب نفسه إلى ما أطلق عليه «الدين الكوني» (Cosmic Religion)، دين أنكر وجود تعارض بين العلم والتدين، كما أنكر وجود إله مباين للكون[٣].

ولذلك لا يُستغرب تبني حركة «العصر الجديد» لآراء آينشتاين، وتطبيقها على الفلسفات الباطنية، إذ كان آينشتاين نفسه ميَّالاً إلى تلك المعتقدات الإلحادية المنحرفة.

مسألة: نسبية الزمان في الشرع:

لا بد ـ قبل الخوض في مسألة نسبية الزمن أو إطلاقه ـ من الإشارة إلى مقدمات ينبغي استحضارها عند مناقشة هذه المسألة:

- أن كلاً من الزمان والمكان من مخلوقات الله ﷻ، حادثة بعد أن لم يكن لها وجود، فانية بإفناء الله لها.
- أن للزمن وجوداً حقيقياً، وقد أقسم الله ﷻ بأفراده، كالفجر، والضحى، والعصر، والليل. وهو تبارك وتعالى لا يُقسم بالعدم، وإنما يُقسم بموجود. وقد ذكره النبي ﷺ في قوله: **«ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»**[٤]، فوصفه بالاستدارة والهيئة، مما يدل على وجوده وجوداً حقيقياً.
- أنه ليس للزمن وجود مستقل عن غيره، بل وجوده مرتبط بوجود غيره.

ولكن ما هو الزمان: وهل يمكن تعريفه؟

---

(١) Ideas and Opinions-Albert Einstein: 12.

(٢) Einstein: His Life and Universe-Walter Isaacson: (388-389).

(٣) انظر: Ideas and Opinions-Albert Einstein: (41-43).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٠٧، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، برقم (٣١٩٧)، ومسلم في صحيحه ٣/١٣٠٥، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ٩، برقم (١٦٧٩).

إن الزمان من الأمور التي هي أظهر من أن تُعرَّف، وقد لا يزيدها التعريف إلا غموضاً. ولقد ارتبط مفهوم الزمان في تصور الإنسان منذ مراحل الحياة الإنسانية الأولى بعالم المتغيرات الذي يحيط به. فالزمن في اللغة هو: الوقت والحين، قليله وكثيره، وجمعه أزمان، وأزمنة(١).

لقد شاع عند الفلاسفة ـ قديماً ـ تعريف أرسطو للزمان، وهو أنه: مقدار الحركة، وكان قد قيَّد تلك الحركة بحركة الأفلاك(٢)، ولكن هذا التحديد لا ينضبط، إذ حركة الأفلاك متغيرة، فلا يكون الزمان ثابتاً بهذا التعريف(٣). أما إذا أردنا تعريف جنس الزمان، فإنه يُعرَّف بمقدار جنس الحركة، لا الحركة المعيَّنة، وإن كان الزمان المعين هو مقدار الحركة المعينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في من ظن أن جنس الزمان مقدار حركة الأفلاك: «وهذا غلط عظيم. فإن جنس الزمان إذا قيل: الزمان مقدار الحركة. فهو: مقدار جنس للحركة، لا حركة معينة، بل الزمان المعين مقدار الحركة المعينة، ولهذا كان جنس الزمان باقياً ـ عند المسلمين ـ بعد قيام القيامة، وانشقاق السماء، وتكوير الشمس. ولأهل الجنة أزمنة هي مقادير حركات هناك غير حركة الفلك، ولهم في الآخرة يوم المزيد يوم الجمعة، مع أن الجنة ليس فيها شمس ولا زمهرير، بل أنوار وحركات أُخَر»(٤).

وليس في كلام شيخ الإسلام إنكار لكون الأفلاك تشكل الإطار المرجعي للزمن لأهل الأرض، فإن ذلك ثابت في النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة: ابن فارس ٣/ ٢٢، ومختار الصحاح: الرازي ص١٣٧.

(٢) انظر: شرح المقاصد: التفتازاني ص١٨٩، والكليات: الكفوي: ٤٨٧، والمواقف: الإيجي ١/ ٥٤٣، والملل والنحل: الشهرستاني ٣/ ٥٠.

(٣) فلو بُني تقدير الزمان على حركة الشمس ـ مثلاً ـ لكان اليوم محسوباً بإشراقها وغروبها، فيكون طول اليوم في شمال الأرض مختلف عنه في وسطها، فإذا قسمنا اليومين على أربع وعشرين ساعة، أو ١٤٤٠ دقيقة، لكانت الساعة في الشمال مختلفة عنها في الوسط، وكذلك الدقيقة والثانية... إلخ.

(٤) الصفدية: ابن تيمية ٢/ ١٦٧، وانظر: شرح حديث النزول: ابن تيمية ص١٧٧.

مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، وإنما المقصود: أن لا يُقيَّد جنس الزمن بالحركات المعيَّنة، وهذا ـ أيضاً ـ ثابت في النصوص الشرعية، حيث وجدت «الأيام» قبل خلق الأفلاك أصلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]. وستوجد بعد غياب الأفلاك، كما هو في ذكر يوم المزيد.

أما في مسألة «نسبية» الزمان، فإن قولنا «نسبي» لفظ مُجمل، يحتاج إلى تفصيل وتوضيح.

- فإن كان المقصود: مقاييس الزمان المعين، كالسَّنَة واليوم والساعة والدقيقة، فهي نسبية، إذ ليس الزمن مقيداً بالاصطلاح، فالساعة في زمن ماض ليست هي الساعة المكونة من ستين دقيقة في العصر الحديث، وهكذا.
- وإن كان المقصود: الزمان المعين المقيس بحركة الأفلاك، فهو نسبي كذلك، إذ إن الشمس في بعض مناطق الأرض تبقى مشرقة لأيام طويلة.
- وإن كان المقصود: أن الزمان في الدنيا يختلف عنه قبل خلقها، وبعد فنائها، وعند الرب تبارك وتعالى، فالزمان بهذا الاعتبار ـ بلا شك ـ نسبي.

وأما إن أريد بنسبية الزمان أن الزمان خاضع لإرادة الإنسان، أو أنه قابل للإيقاف والإبطاء والتسريع. فهذا لا يمكن تصوره عقلاً ولا شرعاً، لأمور عدة، منها:

- أن القول بنسبية آينشتاين في الزمان يقتضي بأن «الشخص المتحرك حركة بطيئة "يشيخ" قبل الشخص المتحرك حركة سريعة. بل إن الشخص الذي يتحرك بسرعة النور يعيش خارج الزمن؛ أي: لا يشيخ أبداً»[1]. وهذا لا يمكن نقله من الإطار النظري إلى التطبيقي، إذ يلزم منه إمكانية الخلود لمن يتحرك بسرعة تساوي سرعة الضوء.
- أنه إذا سلمنا ـ جدلاً ـ توقف الزمن عند الحركة بسرعة الضوء، فإن ذلك يعني أنه عند تجاوز تلك السرعة ـ افتراضاً ـ يمكن العودة بالزمن إلى الوراء! وهذا ما أكد الرب استحالته في غير موضع من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

---

(١) أينشتاين والنظرية النسبية: د. عبد الرحمٰن مرحبا ص٨٠.

- أن هذا القول أشد من القول بتناسخ الأرواح، فالإنسان في عقدية التناسخ يتعرض لنوع من الثواب والعقاب على أفعاله، بينما من أمكنه إعادة الزمن استطاع تلافي كل ما يمكن أن يُضر به، ولسهلت دعوى علم الغيب من أناس يدعون أنهم قد عادوا من المستقبل!

إن هذه الخرافات لا يمكن أن يقول بها عاقل، بل حتى المقتنعون بنسبية آينشتاين يرون أنه لا يمكن إسقاطها على هذه المعاني تطبيقياً، إذ الضوء ـ في نظرهم ـ هو أسرع متحرك في الوجود، ويستحيل لغيره أن يضاهيه أو يتجاوزه. وإنما ذكرتها هنا ليُعلم ما يمكن أن تحتمله هذه النظرية إذا تم تناولها فلسفياً كما فعلته حركة «العصر الجديد».

المبحث الثالث

الفيزياء الكمية وحركة «العصر الجديد»

الفيزياء الكمية، ويُطلق عليها ميكانيكا الكم، أو النظرية الكمية، هي فرع من فروع الفيزياء، تُعنى بسلوك المادة وتفاعلاتها مع الطاقة على مستوى الذرات، والجسيمات الذرية، وما دون الذرة. ومن أبرز المبادئ التي يتناولها هذا العلم ازدواجية الموجة ـ الجسيم (Wave-Particle Duality) في المادة والطاقة، وكيف أن جسيمات المادة قد تسلك سلوك الموجات والعكس[1].

لقد ظهرت النظرية الكمية في بدايات القرن العشرين، واعتُبرت من أكثر النظريات الفيزيائية غموضاً وتعقيداً، فالقوانين التي تحكم عالم الكم تختلف كثيراً عن تلك التي تحكم عالمنا المشاهد، مما قد يتسبب في إرباك المختصين ـ فضلاً عن غيرهم ممن ليسوا من أهل الاختصاص. فقد أثار هذا الفرع من الفيزياء جدلاً واسعاً في أوساط المختصين نظراً لطبيعته الغامضة، وصعوبة

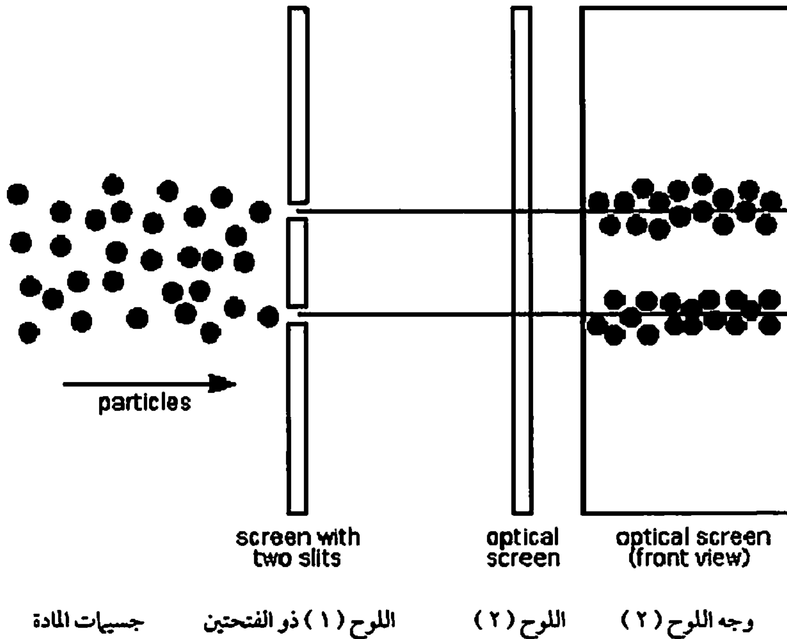
---

(١) انظر: مقدمة في ميكانيكا الكم: ماثيور ص١٥، ونحو فلسفة العلوم الطبيعية: عبد الفتاح غنيمة ص٨١، و Quantum Physics-Steven Hoizner: 9, and.

رصد وقياس ظواهره، مما أدى إلى بروز تفسيرات متباينة لظاهرة موحدة، بعضها ذو توجه باطني ظاهر، تلقته وروجت له حركة «العصر الجديد». ولكن قبل الحديث عن التفسيرات المطروحة للفيزياء الكمية، لا بد من ذكر تجربة شهيرة في هذا الموضوع تُمثل الإشكال العلمي الذي تحول إلى جدل فلسفي خطير.

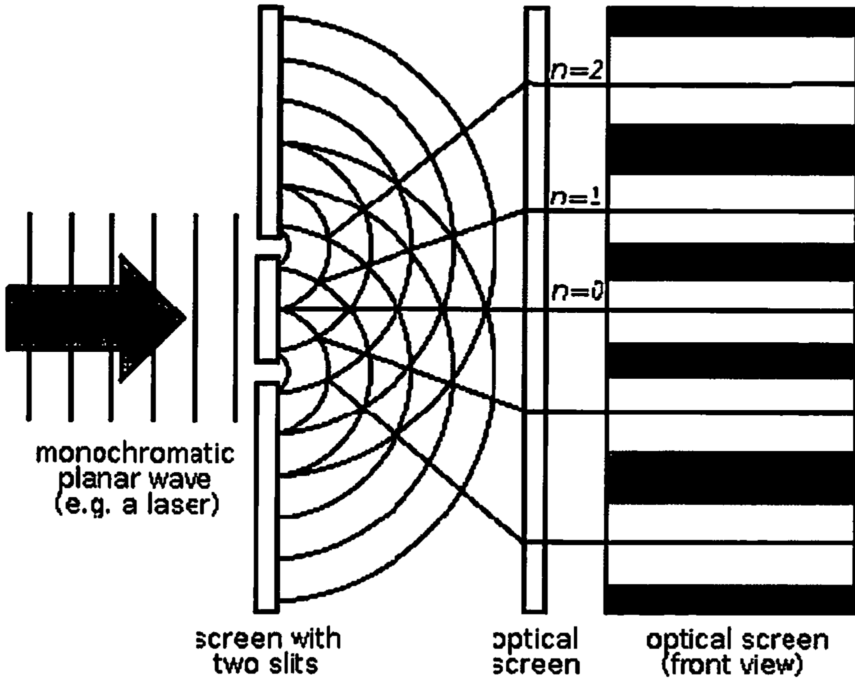
تجربة الفتحتين الطوليتين: (Double-Slit Experiment):

اتفق المختصون على أن سلوك جسيم المادة يختلف عن سلوك الموجة، فإذا كان لدينا جهاز يقوم بإطلاق عدد كبير من الجسيمات (أجزاء صغيرة جداً من المادة) لتمر عبر لوح يحتوي على فتحتين طوليتين، لتسقُط على لوح آخر مقابلاً له، سنجد أن النتيجة التي تنعكس على اللوح المقابل هي صورة مماثلة للفتحتين في اللوح الأول؛ أي: أن الذي يظهر على اللوح الثاني هو خطين طويلين من الجسيمات، وبشكل مطابق لشكل الفتحتين اللتين في اللوح الأوسط. ولعل ذلك يتضح في النظر في الرسم التوضيحي التالي:



وجه اللوح (٢) اللوح (٢) اللوح (١) ذو الفتحتين جسيمات المادة

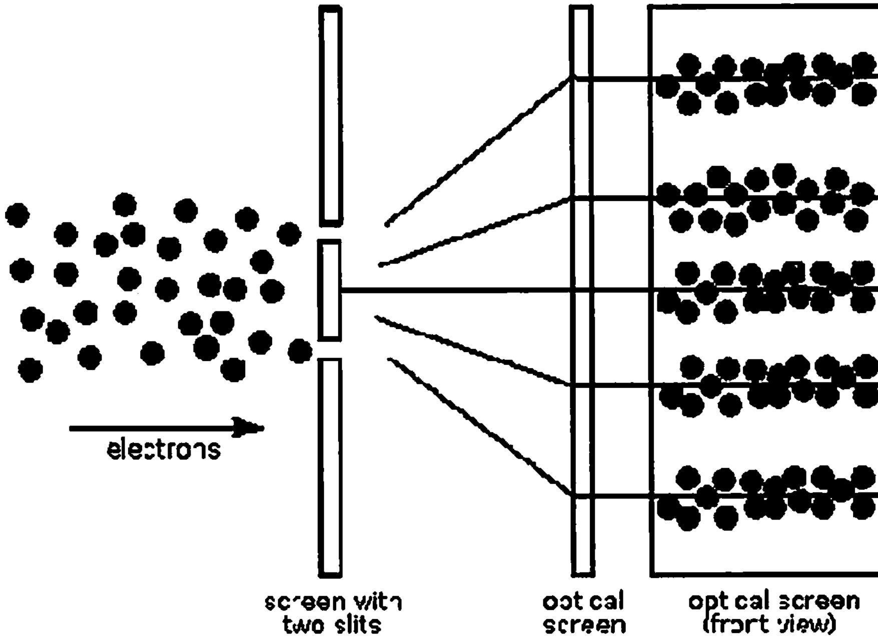
أما إذا أعدنا التجربة بإطلاق «موجات» عبر اللوح المفتوح، سنجد أن النتيجة تختلف عن نتيجة تجربة الجسيمات، وسنشاهد خطوطاً متعددة على اللوح الثاني بدلاً من الخطين اللذين ظهرا في التجربة السابقة، كما يظهر في الرسم التالي:



وجه اللوح (٢)　اللوح (٢)　تقوسات الموجات　اللوح (١)　موجات طاقة

وذلك أن سلوك الموجة يختلف عن سلوك الجسيم، فالموجة عندما تصطدم بالحاجز تنقسم بعدد الفتحات على شكل أقواس، ثم يحدث بين الموجات تداخل وتصادم، فتتعدد نقاط التركيز، مما ينتج عنه خطوط متعددة على اللوح المتلقي[1]. كما هو موضح في الشكل التالي:

(١) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: (27-30), and Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: 4-Quantum Physics-Steven Hotzner: 18.



وجه اللوح (٢) اللوح (٢) اللوح (١) ذو الفتحتين موجات طاقة

هذا هو السلوك المعتاد، والذي تحكمه قوانين العالم المشاهد، لكن إذا انتقلنا إلى مستوى الكم، وأخذنا أصغر أجزاء المادة (الإلكترون) وأجرينا التجربة السابقة ذاتها، فإن المتوقع: أن يسلك سلوك الجسيم المادي، فيكون الشكل الظاهر على اللوح الثاني خطين طويلين، إلا أن مما يثير الاستغراب أن الذي يظهر على اللوح الثاني هو خطوط متعددة وليس خطين كما هو متوقع. وكأن المادة على مستوى الكم أصبحت تسلك سلوك الموجة.

وحتى يستبعد الفيزيائيون احتمالية تضارب الإلكترونات مع بعضها، مما قد يفسر تعدد الخطوط الناتجة، قاموا بإعداد التجربة بإطلاق الإلكترون بشكل فردي، واحداً تلو الآخر لاستبعاد التصادم، فكانت النتيجة نفسها: خطوط متعددة[١].

(١) انظر: Quantum Physics-Alastair. Rae: (40-41), and Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: 4, Quantum Physics-Steven Holzner: (18-20), and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: (7-11).

ولكن لما قام علماء الفيزياء بمراقبة سلوك هذه الإلكترونات، ورصدها من خلال آلات مخصصة، ليكتشفوا الآلية التي بها تعمل، عادت الإلكترونات إلى سلك سلوك المادة، وظهر على اللوح الثاني خطين اثنين فقط!

فكانت النتيجة: أن الإلكترون يسلك سلوك الموجة عند عدم الملاحظة، وعند الملاحظة يتغير سلوكه إلى سلوك جسيمات المادة[١].

هل هناك تفسير علمي لهذه الظاهرة الغريبة؟

لا يزال شرح هذه الظاهرة الغريبة محلاً للجدل والنقاش، فلا يوجد ـ حتى يومنا ـ إجماع بين المختصين على تفسير موحد، بل صرح بعض المختصين بأنه لا يمكن فهم فيزياء الكم بشكل تام[٢]. ورغم وجود عدد من التفسيرات المطروحة، إلا أنه ليس منها تفسير خال من الاعتراض والنقد، فبعضها لا يمكن قبوله من جهة الشرع، وبعضها محل نظر من الناحية العلمية.

ومن أشهر التفسيرات المطروحة لسلوك المادة على المستوى الكمي ما يلي:

- تفسير **كوبنهيغن** (Copenhagen Interpretation)، وهو أكثر التفسيرات شيوعاً، ويتلخص في أن عملية المراقبة هي التي تتسبب في انهيار السلوك الموجي[٣].
- تفسير **العوالم المتعددة** (Many Worlds Interpretation)، ويتلخص في أن النواتج المختلفة توجد في عوالم متوازية غير متداخلة[٤].
- تفسير **المتغيرات المخفية** (Hidden Variables)، والمقصود به افتراض وجود عوامل أخرى غير قابلة للرصد، تؤثر في سلوك المادة على المستوى الكمي[٥].

وأياً كان التفسير الصحيح لهذه الإشكالية الفيزيائية، فهي ـ قطعاً ـ ليست

---

(١) انظر: Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: 4.

(٢) Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 1.

(٣) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 209, and Quantum Physics illusion or Reality-Alastair Rae: 52, and Quantum Enigma-Rosenblum & Kuttner: 159.

(٤) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 213, and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae 81, and Quantum Enigma-Rosenblum & Kuthner: 161.

(٥) انظر: Quantum Physics-Alastair I.M. Rae: 211, and Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 31.

دليلاً على المعتقدات الباطنية التي ربطتها بها حركة «العصر الجديد».

حركة «العصر الجديد» وفيزياء الكم:

لا شك أن البحث في الفيزياء الكمية ـ منذ بداية اكتشافها وحتى اليوم ـ قد قدم للبشرية منافع، وخدمات متعددة، وحتى زمن قريب ظل هذا العلم مقصوراً على أهل التخصص والمهتمين، دون أن يُطرح على العوام، وبعيدي الاختصاص، لكن في العقدين الأخيرين أصبح كثير من أتباع الديانات الشرقية، والتيارات الباطنية، والاستسرارية[١] ـ لا سيما حركة «العصر الجديد» ـ يتناولون المبادئ الكمية من منظور فلسفي باطني، زاعمين أن فيها ما يؤيد معتقداتهم في الكون والوجود، وأنها تُشكل أساساً «علمياً» لعدد من مزاعم (العقل فوق المادة)، حتى أصبح اصطلاح «الكم» (Quantum) من المصطلحات الشائعة عند أتباع حركة «العصر الجديد»، ويرد كثيراً في أدبياتهم وممارساتهم[٢].

إن هذا الفرع من علم الفيزياء هو أكثر العلوم التجريبية رواجاً في الفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، حتى أُطلق على هذا الخلط بين العلم والفلسفة: «الباطنية الكمية»[٣]. وقد قام بعض رواد الفكر الباطني بتقديم تفسير إضافي لازدواجية الموجه ـ جسيم، والتي ظهرت في تجربة الفتحتين الطوليتين آنفة الذكر، حيث اعتبروا تغيُّر سلوك الإلكترونات هو نتيجة لتأثير المراقب عليها، أو بعبارة أدق: تأثير «وعي» المراقب في تشكيل الواقع المادي.

وهذا التفسير نابع من الاعتقاد الشائع في فلسفات الشرق حول وهمية العالم وزيفه، وأن الحقيقة الوحيدة هي الفكر، أو الوعي. ولذلك فإن التغيُّر في الفكر ـ بزعمهم ـ يؤدي إلى التغيُّر في المادة، حيث تساوت ـ عندهم ـ عملية «المشاهدة» مع عملية الإيجاد أو الخلق! ذلك بأنهم قاموا بتطبيق نتائج تلك التجربة الخاصة بعالم الكم على العالم الكبير المحسوس، فاعتبروا أن كل ما في الوجود لا يمكن أن «يوجد» إلا عند وجود مشاهد[٤].

---

(١) وكذلك عند المهتمين بالخوارق، وعلوم الـ باراسيكولوجي.

(٢) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 510.

(٣) انظر: Quantum Spirituality-Victor J. Stenger, Free Inquiry, Vol. 18 Issue: 1, 1997.

(٤) انظر: Taking the Quantum Leap-Fred Wolf: (127-130).

فهذا **ديباك شوبرا**، من كبار رموز حركة «العصر الجديد» يروج لما يسميه: «الاستشفاء الكمي» (Quantum Healing) في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه، وفيه يدعي أنه بالإمكان الشفاء من جميع الأمراض من خلال استغلال قوة الفكر. وهذه النتيجة ـ في رأيه ـ مستمدة من الفيزياء الكمية التي تقرر بأن العالم المادي بما فيه الجسم البشري هو نتيجة «للمشاهدة».

يقول شوبرا في مقدمة الكتاب: «الذي لم يتغير[١] ـ بل أصبح أكثر رسوخاً في اعتقادي ـ هو إيماني بأن الوعي يخلق الواقع، وأن التوقع يؤثر في النتيجة بشكل قاطع، وأن الإدراك، والانتباه، والنوايا، لا بد أن تكون جزءاً من العناية الصحية، كالعقاقير والإشعاع، والعمليات الجراحية»[٢].

وفي موسوعة «العصر الجديد» ذكرٌ لبعض النتائج الفلسفية التي تم استنباطها من النظريات الكمية، والتجارب التي تجرى في أبحاثها، فمن تلك النتائج ما يلي:

- «أن كل ما تراه مرتبط بالأفكار المسبقة الخاصة بك».
- «أن الكون لم يعد من الممكن رؤيته على أنه كيان جامد يتبع قانون المنطق».
- «أن العلاقة بين الكائنات أكثر أهمية من الهوية الخاصة بكل منها، وأن الكون كله مترابط»[٣].

وتقول مؤلفة الموسوعة في السياق نفسه: «وبعضهم يستخدم الفيزياء الكمية لإثبات الحقائق التي يقررها الباطنيون والسحرة منذ آلاف السنين، ولكن هل تحتاج ـ تلك الحقائق ـ إلى إثبات أصلاً؟»[٤]. وهي هنا لا تنكر الاستدلال، وإنما تتساءل عن مدى الحاجة إلى ذلك وجدواه.

وعلى كل حال، فإن التفسير الباطني للفيزياء الكمية ـ مع مخالفته الصريحة للاعتقاد الصحيح ـ لا يؤيده العلم التجريبي كما يزعمون. فإن المشاهد لا يؤثر على سلوك المشاهدة بفكره المجرد، فإن «المشاهدة» ليست مراقبة محضة، وإنما

---

(١) أي عن طبعات الكتاب السابقة.
(٢) Quantum Healing-Deepak Chopra: 2.
(٣) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 186.
(٤) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 186.

هي عملية تستلزم استخدام أدوات محددة، وآلات للرصد، وهذه الأدوات ـ على الأرجح ـ هي التي تؤثر في سلوك المادة. إن «أثر المشاهد» (observer effect)؛ أي: أثر القياس والرصد على نتائج التجربة، ليست مقصورة على الفيزياء الكمية، بل هي ظاهرة في علوم متعددة، سواء كانت إنسانية، أم تطبيقية[١].

ومما يدل على أن العقل أو «الوعي» ليس هو الفاعل في فيزياء الكم ما يلي:

- أن الإنسان لا يمكن أن يؤثر بوعيه في سلوك المادة على المستوى المحسوس في أية تجربة مخبرية، كأن يحول الماء إلى ثلج، أو بخار بمجرد الفكر. وذلك أن المادة المقيسة أكبر من أن تتأثر بأدوات القياس، بخلاف المادة على مستوى الكم، فأجزاؤها متناهية في الصغر، وهي قابلة للتأثر بالعوارض اليسيرة. ولو كان الوعي هو الفاعل، لكان أثره على المستوى الكمي، والمستوى المحسوس، سواء بسواء.
- أن هناك أنواعاً من التفاعلات، والأحداث، والسلوكيات تحصل على مستوى الكم في معزل تام عن المشاهد الواعي، فحدوثها ليس متعلقاً بالمشاهد، ولا مترتباً على رصده[٢].
- أن المشاهد لا يمكنه التحكم بنتائج التجربة حسب حالة فكره، فهو لا يستطيع أن يجعل الموجة تسلك سلوك المادة عند المشاهدة مثلاً، وهؤلاء وإن كان مقصدهم أن المشاهدة تحول الطاقة إلى مادة، إلا أن تنظيرهم لقدرات العقل الخلاقة يستلزم أن يكون الفكر قادراً على تحوير النتائج، ولو في مستوى الكم على أقل تقدير.
- أن النظريات الكمية، هي مجرد نظريات، لا تصل إلى مستوى الحقائق العلمية الثابتة، ولذلك فإنه لا يصلح الاستدلال بها على العقائد الثابتة، فضلاً عن اعتبارها مصدراً لتقرير الاعتقاد[٣].

---

(١) ومن الأمثلة التي تستخدم كثيراً لتوضيح هذا المفهوم: قياس ضغط إطار السيارة، حيث لا يمكن قياسه إلا من خلال تسريب بعض الهواء الذي في داخله، وبذلك يحصل تغيير في ضغط الإطار بمجرد رصده وقياسه، أو ما يسمى «مشاهدته».

(٢) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 517.

(٣) علماً أن مصادر تلقي العقائد عند أهل السُّنَّة والجماعة محصورة في: الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف.

○ أن آينشتاين نفسه لم يكن مقتنعاً بنتائج التجارب الكمية، إذ هو في نظره علم غير واضح ولا مكتمل، ومن ثم لا يمكن الحكم على نتائجه وتحليلها، وكانت مقولته الشهيرة: «الإله لا يلعب بالنرد» ليس من باب تقرير معتقده ولكن لبيان وجهة نظره في عدم انضباط فيزياء الكم[1].

يقول د. فكتور ستنجر[2] (Victor Stenger): «إن الأدلة ذات الثقل الساحق، التي نتجت عن سبعة عقود من التجارب.. لا تظهر أي تأثير حقيقي للوعي البشري فيما عدا تشكيل الفهم الذاتي لما هو موجود في الخارج. لا شك أن عمليات التفكير لها أثر كبير على ما ندركه، ولكن القول بأن ما ندركه من ثم يُحدِّد ـ أو حتى يتحكم بما هو موجود في الخارج، قول خال من أي أساس منطقي. بل سيكون العالم مكاناً مختلفاً جداً عما هو عليه الآن لو كان فقط في أذهاننا ـ لو كان بإمكاننا صنع واقعنا كما يعتقده أتباع حركة «العصر الجديد». وكون العالم نادراً ما يكون موافقاً لمرادنا هو أفضل الأدلة التي لا يبقى بعدها كثير يقال. إن خرافة الوعي الكمي لا بد أن تأخذ مكانها.. كناتج آخر لخيالات أناس يرفضون ما يخبرهم به العلم، والمنطق، بل وأعينهم عن العالم»[3].

ذلك، وإن أبرز من ربط بين الفيزياء الكمية وبين الفكر الباطني ووحدة الوجود في العصر الحديث هو الفيزيائي الأميركي **فرتجوف كابرا**[4] (Fritjof Capra) في كتابه الشهير: «طاو الفيزياء» (The Tao of Physics)، بينما قام

---

(١) Quantum Physics Illusion or Reality-Alastair Rae: 1.

(٢) **فكتور ستنجر**: هو عالم أميركي في فيزياء الجسيمات، ولد في عام ١٩٣٥م، وهو كاتب معروف بآرائه الإلحادية، حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة لوس آنجلس، وعمل في عدد من الجامعات الأميركية. له عدد من المؤلفات منها: هل وجد العلم الإله، الكم غير الواعي، وغيرها. لا يزال ستنجر على قيد الحياة، ويسكن في جزر الهاواي بالولايات المتحدة.
تصفح صفحته على موقع جامعة كولورادو: www.colorado.edu/philosophy/vstenger.bio

(٣) The Humanist-May/June 1992 vol. 53 no. 3: (13-15).

(٤) **فرتجوف كابرا**: هو فيزيائي أميركي، نمساوي الأصل، ولد في النمسا عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٦٦م. له عدد من المؤلفات، منها: نقطة التحول، وطاو الفيزياء. ولا يزال كابرا على قيد الحياة، ويسكن في بيركلي مع أسرته.
تصفح موقعه الرسمي: www.fritjofcapra.net

الفيلم «الوثائقي»: (ما الذي نعرفه؟) بتقريب هذا المفهوم لشريحة كبيرة من العوام.

(١) كتاب: طاو الفيزياء:

رغم أن بعض الفيزيائيين المتقدمين كان لهم اهتمام ظاهر بالفلسفات الباطنية، إلا أن أبرز من جمع بينهما في العصر الحديث هو **فرتجوف كابرا** في كتابه: «طاو الفيزياء»، الذي نُشِر عام ١٩٧٥م، حيث قرر فيه بأن الفيزياء الكمية أثبتت صحة التعاليم القديمة للفلسفات الباطنية في الشرق، والتي تنص على أن الوعي الإنساني والوجود الخارجي مرتبطان. وقد حققت مبيعات كتابه ـ الذي يعتبر ملهماً لحركة «العصر الجديد» ـ ما يزيد على مليون نسخة[(١)].

يقول **كابرا** موضحاً العلاقة بين العلم والفلسفة في نظره: «العلم يشير إلى... وحدة الكون، والذي لا يقتصر على بيئتنا الطبيعية، بل يشمل رفاقنا من البشر.. وللتوصل إلى هذه الحالة.. نحن بحاجة إلى بنية اجتماعية واقتصادية مختلفة بشكل جذري: ثورة ثقافية بكل ما تعنيه الكلمة. إن بقاء حضارتنا ككل قد يعتمد على مدى قدرتنا على إحداث هذا التغير. وسيعتمد أساساً على مدى قدرتنا على تبني أساليب (ين) للباطنية الشرقية»[(٢)].

ويقول في موضع آخر: «إن النظريات الرئيسة، والنماذج الخاصة بالفيزياء الحديثة تؤدي إلى نظرة للكون متوافقة داخلياً، وفي تناغم تام، مع نظرات الباطنية الشرقية»[(٣)].

لا شك أن اتجاه **كابرا** في دراسة الفيزياء ناتج عن قناعاته الشخصية بالفلسفة الشرقية، بل إننا إذا تأملنا جميع الفيزيائيين الذين ربطوا بين فيزياء الكم والفكر الباطني، سنجد أن لهم نوع انتماء إما للديانات الشرقية، وإما للمؤسسات التابعة للتيارات الباطنية، أو حركة «العصر الجديد»، ومن ثم كانت نظرتهم «العلمية» متأثرة بمعتقداتهم تلك[(٤)].

---

(١) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 509.

(٢) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 307.

(٣) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 300.

(٤) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 510.

يقول كابرا مبيناً اهتماماته العلمية والعقدية على حد سواء: «كنت قد تلقيت تدريباً طويلاً في الفيزياء النظرية، وقدمت أبحاثاً فيها لعدة سنوات. وفي الوقت ذاته، أصبح لدي اهتمام شديد بالباطنية الشرقية، وبدأت أرى موافقتها للفيزياء الحديثة. وقد كان أكثر ما شدني: الجوانب المحيرة في بوذية زن، التي ذكرتني بالجوانب المحيرة في فيزياء الكم»(١).

(٢) الفيلم الوثائقي: (ما الذي نعرفه؟)(٢):

تم إنتاج هذا الفيلم في عام ٢٠٠٤م، وبدأ عرضه في الولايات المتحدة، حتى أصبح خامس الأفلام الوثائقية أرباحاً في أميركا. وحالياً يُعرض الفيلم بدور السينما في خمس وثلاثين دولة حول العالم(٣). وتتوفر منه نسخ مترجمة إلى اللغة العربية على الشبكة العالمية(٤).

يبدأ الفيلم بعرض ميسَّر عن فيزياء الكم، وعن تجربة الشقين الطويلين، ويخرج بالنتيجة التي تروج لها حركة «العصر الجديد»، وهي: أن الفكر هو الذي يصنع الواقع، تليه مقابلات مع عدد من الفيزيائيين الذين يحملون الفكر الباطني، وبعض الفلاسفة أتباع الديانات الشرقية وحركة «العصر الجديد»، ومنهم: **جي زي نايت** حال وساطتها لـ «روح» **رامثا!** كلهم يلمحون إلى قدرة الفكر على تشكيل المادة، والسيطرة على العالم الخارجي.

يتدرج الفيلم بالمشاهد ـ تماماً كالفرق الباطنية ـ من مقدمات في الفيزياء حتى يصل في نهايته إلى التصريح المباشر بوحدة الوجود ووحدة الأديان وتأليه الذات وخالقية الفكر، دون اللجوء إلى التلميح أو الإشارة! فيقول رامثا: «الجميع آلهة»، ويقول: «أنا لا أرى بأنك شر، ولا أرى بأنك خير أيضاً، فأنا أرى بأنك الإله»!

---

(١) The Tao of Physics-Frijtof Capra: 11.

(٢) What the Bleep Do We Know

(٣) تصفح الموقع الرسمي للفيلم: www.whatthebleep.com.whattheBleepDoWeknow

(٤) الفيلم يوجد بترجمة عربية على عدد من المواقع الإلكترونية، منها: موقع المدربة حصة الحشاش: http://www.h-alhashash.com www.h-alhashash.com وعدد كثير من المنتديات، وموقع الأفلام العربية والمترجمة.

ويؤكد هذا المعنى ضيوف هذا الفيلم «العلمي الوثائقي» (!)، حيث يقول أحدهم: «الإلٰه هو اسم يُطلق على تلك الأجزاء من تجاربنا مع العالم، والتي تعتبر ـ لسبب ما ـ تجاوزية، وسامية».

بينما يوضح مؤلف كتاب «القفزة الكمية»[1] ـ وهو أحد ضيوف هذا الفيلم ـ نظرته للإلٰه بقوله: «إن سؤال الإنسان عن ماهية الإلٰه، هو كسؤال السمكة عن ماهية الماء».

ثم يقول آخر مقرراً النسبية المطلقة التي تدعو إليها حركة «العصر الجديد» والتيارات الباطنية: «لا يوجد خير وشر، ولا يوجد إلٰه سيعاقبك». والأمثلة على ذلك تطول...

هذا، وقد انتقد عدد من الفيزيائيين المختصين الصورة التي صورها فيلم: (ما الذي نعلمه) عن الفيزياء الكمية والعلماء المهتمين بها، واعتبروه مليئاً بالمغالطات العلمية والإسقاطات الروحانية الباطلة.

يقول أحد المختصين: «إذا كان الناس سيخرجون من السينما معتقدين بأن الفيزيائيين الباحثين في الفيزياء الكمية يقضون وقتهم في التعامل مع «الكشوف الروحانية» فنحن نحس بالخجل. وإذا كان المشاهدون سيعتقدون أن الفيزيائيين الذين عبروا عن آرائهم الباطنية في الفيلم يشكلون أكثر من أصغر شريحة ممكنة من مجتمع الفيزيائيين، فقد تم تضليلهم. فالفيلم ينزلق بعيداً في منحدر زلق»[2].

فالمقصود: أن الغالبية العظمى من علماء الفيزياء لا ينظرون إلى الفيزياء الكمية على أنها دلائل علمية على المعتقدات الباطنية، ومن قال بذلك منهم فهو ممن تأثر بتلك الفلسفات ابتداء، ثم عمل على الجمع بينها وبين فيزياء الكم.

نظرية الحقل الموحد (Unified Field Theory):

إن نظرية الحقل الموحد هي ـ في الأصل ـ نظرية فيزيائية افترضها **آينشتاين** وحاول من خلالها إيجاد قانون موحَّد يحكم القوى الأساسية، والتفاعلات بين الجزئيات الأولية، وتقريب الفيزياء الكمية، إلا أنه لم ينجح في التوصل إلى هذا

(١) وهو أحد المختصين الذين تمت مقابلتهم في الفيلم.

(٢) Quantum Enigma-Rosenblum & Kuttner: 157.

القانون ـ أو القوانين ـ المفسرة للتفاعلات المادية[١]، وبقيت نظرية الحقل الموحد من المعضلات الفيزيائية إلى يومنا الحاضر.

ومع ذلك، فقد راج هذا المصطلح في بعض تطبيقات حركة «العصر الجديد»، فحُمّلت النظرية ما لم تحتمل، وأصبحت تحمل مدلولاً فلسفياً باطنياً يُقصد من ورائه ترويج المعتقدات الشرقية الباطلة. فاستخدم المصطلح العلمي للدلالة على المفهوم الباطني.

يقول **ديباك شوبرا**: «بينما أنت جالس في الكرسي، كل فكرة تفكر بها تصنع موجة في الحقل الموحد، تتموج عبر جميع طبقات الذات الفردية، والذكاء، والعقل، والحس، والمادة، تمتد في دوائر أوسع وأوسع. فأنت كالنور المشع، ولكنك لا تشع فوتونات، وإنما تشع وعياً. وعندما تشع أفكارك يكون لها أثر على كل شيء في الطبيعة»[٢].

ويقول أحد العرب المعالجين بالطاقة مبيناً هذا المفهوم: «يعتبر الحقل الموحَّد هو حقل الذكاء في الطبيعة. والوعي الكوني هو مَسْكَن القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم المادي بما فيه جسدنا. وكما أن البذرة تحتوي على جميع قوانين الشجرة، كذلك فإن الحقل الموحَّد هو البذرة التي تحتوي على جميع القوانين الطبيعية التي تحكم العالم المادي»[٣].

فالحقل الموحد ـ عند هؤلاء ـ ليس مختصاً بالتفاعلات المادية، كما هو مقرر في النظرية الأصلية، بل إنه يمثل مستوى من «الوعي» والإدراك يمكّن الإنسان من فكّ الشفرة الكونية، ومن ثم معالجة كل خلل عضوي في وظائف الجسد، وحل كل مشكلة من مشاكل الحياة[٤].

إن هذا «الوعي» المزعوم يمكن التوصل إليه بطرق مختلفة، منها التنفس بطريقة منتظمة وإيقاعية، أو تكرار ألفاظ وجمل محددة[٥]، فمن خلال سريان

---

(١) انظر: الكون الأحدب: عبد الرحيم بدر ص٢٦٥، و International Dictionary of Physics and Electronics-Walter C. Michels: (273-274).

(٢) Quantum Healing-Deepak Chopra: 203.

(٣) الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق ص١٨ ـ ١٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص١٨ ـ ١٩.

(٥) حيث يعد الهواء وعاء للطاقة الحيوية أو الكونية (أسرار الطاقة): حكم الزمان ص١٥٣.

«الطاقة» في الجسد وتنشيطها، يتوصل المرء ـ بزعمهم ـ إلى منزلة من الإدراك، والاتصال بالقانون الكوني[١] تنكشف له عندها المعارف والحقائق المغيبة عن العوام. إن هذا الاتصال لا يكاد يختلف بشيء عن الـ موكشا والـ نيرفانا عند الهندوس والبوذية، أو عن ما يسمى بالفناء[٢] عند غلاة الصوفية.

(١) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمور ص١٦.

(٢) الفناء يطلق على ثلاثة معان:

الفناء عن وجود السّوى: وهو فناء الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير. وغايته الفناء في الوحدة المطلقة ونفي التكثر. وهو المراد في السياق أعلاه.

الفناء عن شهود السّوى: وهو فناء ما سوى الله عن حس السالك، دون فناء وجوده في الخارج.

الفناء عن إرادة السّوى: مع بقاء الشعور والإدراك بوجوده، وهو الفناء المحمود الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﵃.

مدارج السالكين: ابن القيم ١/ ١٧٣ ـ ١٧٩ (مختصراً).

المبحث الرابع

الاستنتاج الميتافيزيقي من خلال العلم التجريبي

لقد مرت العلاقة بين «العلم» والتدين بمراحل متعددة في العالم الغربي، ففي القرون التي سادت فيها سلطة الكنيسة في أوروبا، كان العلم خارج إطارها يُعد كفراً وزندقة، يستحق فاعله القتل والتعذيب، إذ لم يكن رجال الدين على استعداد بأن يشاركوا سلطاتهم المطلقة مع غيرهم آنذاك.

ولكن هذا الكبت والاستبداد ـ إلى جانب أسباب سياسية واقتصادية أخرى ـ ولَّد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر للميلاد، تلك الثورة التي أخرجت «العلم» من تحت عباءة الكنيسة، وحصرت سلطاتها في مسائل الاعتقاد والتعبد الشخصي. بعدها تم الفصل بين الروح والمادة، حيث كانت الروح من اختصاص الكنيسة، بينما اعتُبرت الطبيعة من اختصاص «العلم»، مع تنوع وجهات نظر «العلماء» حول الطبيعة، والكون، والقوانين التي تحكمها.

وفي القرن التاسع عشر أصبح العلم التجريبي عملاً احترافياً مؤسسياً، له دور كبير في النهضة التقنية للمجتمعات الغربية. ومنذ ذلك الوقت والكون ـ بما فيه الطبيعة، والجسم البشري ـ يُدرس على أنه نوع من الآلات التي تعمل وفق قوانين رياضية. فقد كان الاعتقاد الشائع هو أن الطبيعة يمكن فهمها، ومن ثم

التحكم بها، من خلال المشاهدة والتجربة، والتفكير المنطقي. بينما اقتصر مفهوم الحقائق على ما تدركه الحواس وتحيط به.

لا تزال النظرة العلمانية المادية للكون هي السائدة في الفكر الغربي، واللغة «العلمية» البحتة هي اللغة التي تشكل ـ بالجملة ـ قناعات المجتمعات الغربية، ومن خلالها تقاس ـ في تصورهم ـ الحقائق. ولكن هذا التوجه المادي ـ وإن كان قد أنتج إنجازات عظيمة للبشرية ـ يفتقر إلى عناصر مهمة، لا يمكن أن تُستمد إلا من التصور الاعتقادي الصحيح.

لقد أدركت طائفة من الغربيين افتقار المادية الغربية للجانب الروحاني الإيماني، فباتت تبحث عما يملأ الفراغ الذي تركته الثورات العلمانية في مواطن شتى، فمنهم من أصاب الحق، ومنهم من ضل السبيل.

وقد سبق معنا أن هذه الحاجة الفطرية إلى التدين، والإيمان، كانت من أسباب ظهور حركة «العصر الجديد» في سبعينيات القرن العشرين. ولكن الحركة أدركت أن المجتمعات الغربية المعاصرة لن تتقبل الدعوة المباشرة إلى الروحانيات الباطنية، وأن الحقائق تثبت عند الغالبية العظمى منهم من طريق العلم التجريبي الحديث. فركبت هذه الموجة، وحاولت استغلالها في الترويج لمعتقداتها، والتلبيس على الناس الذين يعتبرون العلم التجريبي هو مقياس الحقائق.

وهذا لا يعني أن حركة «الغصر الجديد» قائمة على العلوم التجريبية المعقولة، بل على العكس من ذلك تماماً، فهي أبعد ما تكون عن اتباع المنهج العلمي (Scientific Method) كمعيار لأي من مزاعمها، فهو منهج ثابت، وهي قائمة على التجارب النسبية. ولذلك فإن ما يُشاهد من استدلال بعض أتباع الحركة بنظريات ـ أو فرضيات علمية ـ لا يعدو كونه وسيلة مناسبة لإقناع الشرائح المختلفة في المجتمع ـ فضلاً عن أتباع الحركة أنفسهم[١]، وإلا فلو اعتبر العلم التجريبي مرجعاً مطلقاً، لأمكن تقويض جل ادعاءاتهم الخرافية من خلال اختبارها في تجارب مخبرية منضبطة.

---

(١) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 509, and A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 36.

إن حركة «العصر الجديد» ـ كغيرها من مؤيدي العلم المزيف (Pseudo-science)[١] ـ تريد الاستفادة من نفوذ العلم التجريبي دون التقيّد بقوانينه، وضوابط المجتمعات العلمية.

فعند النظر في منهج استدلال الحركة نجد فيه خللاً ظاهراً يتمثل في قفزة ميتافيزيقية لا تخضع للتسلسل المنهجي، فبعد عرضهم لنظرية علمية بطريقة متحيزة، ينتقلون إلى نتيجة عقدية لا يمكن استنتاجها من المقدمات التي تسبقها.

ومن جانب آخر، تستغل الحركة بعض الفرضيات العلمية الضعيفة التي لا تحظى بقبول في المجتمعات المتخصصة، خاصة إذا صدرت من مصادر مشبوهة ذات توجهات اعتقادية منحرفة، وتقدمها للعوام[٢] وكأنها حقيقة علمية لا جدال فيها. وهذا ـ بلا شك ـ يُربك غير المتخصص الذي لا يمتلك آلة التحقق، أو العلم اللازم للتفرقة والتمييز.

وللأسف، فإن الحواجز التقليدية بين العلم التجريبي وبين المعتقدات الروحانية بدأت تتلاشى في بعض الدوائر العلمية[٣]، إذ بات الخلط بينهما أمراً مقبولاً وشائعاً في تلك الدوائر. أنا لا أزعم أن هذه ظاهرة منتشرة في مراكز الأبحاث العلمية في الغرب، فهي ـ في الواقع ـ لا تُشكّل سوى شريحة ضيقة جداً، ولكن مجرد وجود عينات من تلك المراكز يُستغل في التضليل، أو في أقل الأحوال التشكيك.

تعتبر التجربة الباطنية الشخصية وسيلة رئيسة للتوصل إلى الحقائق عند حركة «العصر الجديد»، وهي غالباً ما تتعلق بممارسات مشبوهة، تعمل على تحوير

---

(١) العلم الزائف: «هو أنماط من التحليلات التي تتظاهر أو تدعي أنها تحقق متطلبات المنهج العلمي، بينما في الواقع هي تخل بواحدة ـ أو أكثر ـ من خصائصه الأساسية».
The Scientific Approach-Cario Lastrucci: 18.

(٢) المقصود غير المختصين بالعلم المحدد، وإن كانوا متقنين لعلوم أخرى.

(٣) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 35.

ومن ذلك مختبر لورنس بيركلي في جامعة كاليفورنيا (U.C. Berkley) الذي يضم عدداً من الفيزيائيين ذوي التوجهات الباطنية، من أبرزهم فرجتوف كابرا. انظر: المرجع السابق ص٤٢.

الوعي، فإذا تعرض مبتدئ لمثل هذه التجارب كان معرضاً لقبول أي تفسير يمكن أن يتم طرحه للحالة الغريبة التي مر بها، لا سيما إذا جاء التفسير من جهة يظن أنها موثوقة، أو أشخاص من داخل التخصص[١]، كأن يكون طبياً كـ **ديباك شوبرا**، أو فيزيائياً كـ **فرتجوف كابرا**، أو حتى صاحب دراسة شرعية متخصصة. فمن خاض تجربة باطنية من ذوي القناعات المادية سيسعى جاهداً لمحاولة إيجاد تفسير «علمي» لخبرته الجديدة، وهذا ما تقدمه له حركة «العصر الجديد»، وهو الذي يشكل عنصر جذب مهم لكثير من الأتباع.

يقول **ديباك شوبرا** مفسراً التجارب الروحانية الباطنية للإلٰهية: «بإمكانه [أي: العقل] أن يؤدي تجارب روحانية. وفي الواقع، لو لم يكن المخ شكل شبكة عصبية للتواصل مع الروح، لما كان بالإمكان تجربة الإلٰه. فقط في السنوات الأخيرة تمكن العلم من التوصل لهذه الحقيقة»[٢].

إن عبارته الأخيرة توحي بأن «العلم» قد توصل بالفعل إلى الربط بين الجسم البشري والأحوال الباطنية، وهو ما لا يقول به سوى أمثال **شوبرا** من معتنقي الفلسفات الشرقية أو الغنوصية الغربية.

كما يتحدث **ديفيد سبانغلر** ـ من كبار رموز حركة «العصر الجديد» ـ عن اجتماعات تُعقد لمناقشة موضوع الروحانيات والعلم[٣]، ويقول في كتابه «النداء»: «كما هو الحال في التقاليد الدينية، حيث للإنسان قيمة وأهمية، فهناك فكرة مشابهة تظهر اليوم في العلم، الذي هو ـ من أكثر من جانب ـ دين القرن العشرين. للإنسان قيمة، إذ هو وعي الكون، يجسم ذاته، ويصبح مدركاً»[٤]. وهذا ـ دون شك ـ لا يقول به سواء «علماء» حركة «العصر الجديد»!

إن هذا الذي يحدث في علوم الأحياء، والفيزياء، والطب، وغيرها اليوم، حدث في العلوم النفسية قبل ذلك بما يزيد على ربع قرن من الزمان[٥]، حيث تم

---

(١) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: (37-38).

(٢) Reinventing the Body-Deepak Chopra: (24-25).

(٣) انظر: Blessing-David Spangler: 4.

(٤) The Call-David Spangler: (23-24).

(٥) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 41.

الخلط بينها وبين الروحانيات الباطنية، إلى أن أصبح من الصعب التمييز بينهما في بعض الأحيان.

تنقل مارلين فرغسون عن أبراهام ماسلو ـ أحد آباء حركة القدرات البشرية الكامنة ـ قوله: أن «العلم هو الطريق الوحيد الذي نملكه لدفع الحقيقة عبر حلوق[١] المترددين»[٢].

فمن فرضية غايا يتوصل الفكر الباطني إلى تأليه الطبيعة ووحدة الوجود، ومن الحقول الشكلية يُستنتج العقل الكلي المطلق، ومن نظريات النسبية تؤله الذات البشرية، وهذه النتائج الفلسفية جميعاً تُستخلص من فيزياء الكم.

يقول أحد الباحثين في حركة «العصر الجديد»: «عند هؤلاء[٣]، الاعتماد المتبادل في الوجود المادي، يثبت وحدة الوجوه كله (بالإضافة إلى الإلٰه، وأرواح البشر)، وكون المادة والطاقة المادية هي جوانب متنوعة للشيء ذاته، يُثبت [عندهم] أن الطاقة الروحية هي الحقيقة الكونية الجوهرية، وكون الموضوعية مقيدة على المستوى الكمي، يدل على عدم وجود حقيقة مطلقة»[٤]، إلى غير ذلك من مظاهر استغلال الحركة لما يمكن نسبته إلى العلوم التجريبية في مسعاهم لإثبات مزاعمهم الفلسفية.

ولذلك يُعدُّ الاستنتاج الميتافيزيقي الفلسفي من العلم التجريبي سمة بارزة لحركة «العصر الجديد»، فكثيراً ما يتم طرح مقدمات «علمية» أو «شبه ـ علمية»، وإتباعها بنتائج فلسفية ليس لها علاقة بتلك المقدمات ـ بل ولا تنتمي لنفس التخصص أحياناً. فالفلسفة والعلم التجريبي مجالان متباينان، لا ينبغي الخلط بينهما بحال. وكما أنه لا يصح استخلاص نتائج فيزيائية، أو طبية من مقدمات فلسفية، فكذلك العكس صحيح.

مسألة: تفسير المعتقدات الإسلامية بالعلوم التجريبية:

تتفرع هذه المسألة عن مسألة الإعجاز «العلمي» في الشريعة الإسلامية،

---

(١) كذا في النص الأصلي، وحلوق جمع حَلْق.

(٢) The Brain Revolution-Marilyn Ferguson: xiii.

(٣) أتباع حركة «العصر الجديد».

(٤) A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 43.

سواء كان ذلك في القرآن أو السُّنَّة، ولكنها تتميز باختصاصها بالعقائد دون الأحكام، كمنافع الصيام، أو الصلاة، أو الحدود والعِدد. وليس المقصود هنا هو كون العلم التجريبي مصدراً لتلقي العقائد، فهذا لا خلاف في منعه، وإنما تفسير المعتقدات الثابتة بالنص من خلال التجربة، والعلوم الحديثة.

تتعلق العقائد الإسلامية بالمسائل الإيمانية التي ينعقد عليها القلب، وهي ـ وإن كان العقل قد يدل على بعضها ـ لا تثبت إلا بالنص، لا بالتجربة، ولا بالقياس. والعقائد ـ بالجملة ـ من القضايا الغيبية المطلقة التي لا تُدرك بالحس مباشرة، كالإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، وقد امتدح الله المؤمنين بالغيب لأنه غير محسوس للإنسان، فالإيمان به يستلزم نوعاً من التسليم والانقياد هو موطن الابتلاء والامتحان، وهذه المسائل الغيبية لو كُشفت لكل أحد لم تعد بعد ذلك غيباً، ولما كانت محلاً للتمحيص والاختبار.

ولكن قبل الحديث عن مسألة تفسير العقائد بالعلم التجريبي، لا بد من التمييز بين ثلاثة أقسام لذلك العلم:

- **العلم التجريبي القطعي**: وهو الذي يصل إلى مرتبة الحقائق، الثابت بالدلائل القطعية التي لا مجال فيها للشك، وليس لها مخالف معتبر.
- **العلم التجريبي الظني**: وهو ما يُطلق عليه: النظريات أو الفرضيات، وهذه ليست قطعية، وتحتمل النقض الكلي، أو الجزئي، في المستقبل القريب أو البعيد، وهي تشكل جزء كبير من العلوم الطبيعية.
- **العلم الزائف (Pseudo Science)**: أو العلوم التي تُنسب ـ زوراً ـ إلى العلم التجريبي، وليست منه في الواقع، وهو في الغالب خرافات، ومعتقدات باطلة، يحاول أصحابها تمريرها باستخدام المصطلحات «العلمية»، أو الانتساب إلى علماء ونظريات معروفة.

أما العلم التجريبي القطعي، فإن تفسير المعتقدات الغيبية به محل نظر، إذ أن عالم الغيب لا يخضع لقوانين الشهادة، ولو افترضنا موافقة حقيقة علمية محسوسة لعقيدة غيبية، لم يكن ذلك دليلاً على أن التالية تُفسر بالسابقة. ولا سبيل إلى الربط بينهما، فقد تكون تفسيراً لها وقد لا تكون كذلك. وفي الحقيقة لا تظهر مصلحة في مثل هذا، إذ الأصل في العقائد الغيبية المطلقة التسليم، لا

المناقشة والاستدلال[١].

وأما العلم التجريبي الظني، فلا يجوز تفسير العقائد به، ولا الاستدلال به على الأحكام؛ لأنه ـ كما سبق ـ معرض للنقض والمعارضة، مما يؤدي إلى التشكيك في الدين، ومسلماته.

فإذا كان الأمر كذلك في العلم التجريبي الظني ـ بل والقطعي كذلك، فكيف يُتصور أن يكون تفسير العقائد بالعلم الزائف مقبولاً؟ وهو ما يحصل أحياناً في الأوساط الدعوية.

ومن أمثلة ذلك تجارب **مسارو إيموتو** المتعلقة بمياه زمزم والمياه التي قرء عليها القرآن أو ردد عليها الأذان، حيث سُر بعض المسلمين بالبلورات الجميلة التي اعتقدوا أنها تأثرت بالتلاوة والذكر[٢]. فكان ذلك نوعاً من التفسير الحسي لما هو في الأصل مسألة غيبية[٣].

وقد وقع الإشكال في هذه المسألة ـ بالذات ـ من جانبين:

- **الأول**: الجانب التجريبي، حيث لم تثبت هذه النظرية أمام الاختبارات العلمية الدقيقة، وعند فشلها في التجربة يزعم مؤيدوها أن السبب راجع إلى

---

(١) ويحسن ذكر أبرز المواقف حول مسألة الجمع بين العلم التجريبي والشريعة:
- **الاتجاه السلفي**: الذي يعمل على التأصيل الإسلامي للنافع من العلوم ونقد الضار منها.
- **الاتجاه التغريبي**: الذي يتقبل النظريات العلمية جملة وتفصيلاً، ويقدمها على الأحكام والمعتقدات الدينية.
- **الاتجاه التلفيقي**: الذي يحاول الجمع بين العلوم التجريبية والدين من خلال تأول ما لا يتوافق ظاهره مع النظريات العلمية، ويلوي النصوص للتوافق معها.

انظر: تأثير النظريات العلمية في الفكر التغريبي العربي المعاصر: د. حسن الأسمري ١/ ٢٣٩.

(٢) وقد عرض ذلك على أحد البرامج الدعوية على قناة اقرأ.

(٣) فلو قيل: إن الدراسات التحليلية لماء زمزم أثبتت أنه له خواصاً معدنية قد لا تتوفر في غيره، قيل: ذلك ـ وإن أُثبت أن لزمزم ما يميزه ـ لا يمكن أن يُفسر ما دل عليه الشرع من أن ماء زمزم لما شُرب له. فكون نفع هذا الماء متعلقاً بالنية أمر يُستبعد إثباته في التحاليل المخبرية، إذ قد يشربه مريض لخفض ضغط الدم وآخر لرفعه، وأحدهم لزيادة إفراز غدة ما وآخر لتخفيضه... وهكذا. وعليه فإن هذه المسألة الغيبية المتعلقة بالإيمان بصدق الرسول ﷺ فيما أخبر لا يحسن ـ في نظري ـ ربطها بالتجارب العلمية.

تأثير أفكار القائمين على إجراء الاختبار؛ لأن الماء - في نظرهم - يتأثر بالوعي أياً كان مصدره. وبذلك تصبح هذه النظرية مستحيلة الإثبات والاختبار، ومن ثم لا يمكن تصنيفها ضمن النظريات المقبولة في العلم التجريبي الصحيح.

- **الثاني**: أن نتائج تجارب **إيموتو** - في الواقع - تناقض الاعتقاد الصحيح، ولو كانت معياراً صحيحاً للحق، أو الجمال، لزم القول بنسبية الحق وتعدده، فقد نشر **مسارو** في كتابه: «رسائل من الماء» صوراً لتشكيلات بلورية جميلة كتبت عليها عبارات أو أسماء أشخاص يجزم المسلم أنها ليست بحق، كبعض آلهة اليابان، أو راهبات النصارى، أو الكتب الوثنية المقدسة[١]. فضلاً عن المعتقدات الروحانية التي يتبناها إيموتو ويروج لها.

هذا، وإن مما يثير الشك في مصداقية آراء د. مسارو أنه قد بنى على تجاربه المشبوهة تجارة ربحية، حيث أصبح يبيع أنواعاً من المياه التي يزعم أنها تحمل «الرسالة» التي يحتاج إليها جسدك بأسعار باهظة، فالكأس الواحد (8 fl. Oz) من هذا الماء المعالج بالوعي الإيجابي يباع بخمسة وثلاثين دولار أميركي[٢]!

فالمقصود أن تفسير الأمور الغيبية بالعلم الزائف خلل كبير في المنهج، وخطر جلي على الاعتقاد.

---

(١) انظر: Messages From Water-Masaru Emoto: (7-10, 81, 110).

(٢) تصفح - مثلاً - موقع طاقة هادو: www.hado-energy.com.HAdOProducts

الفصل الثالث

آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع والتعليم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النظريات الإنسانية في التربية والتعليم.

المبحث الثاني: فرضيات «ما بعد الذات» في التربية والتعليم.

المبحث الثالث: أبرز آثار الحركة في المجتمع والأسرة.

المبحث الأول

النظريات الإنسانية في التربية والتعليم

إن موضوع التعلم والتعليم من القضايا المهمة التي يكثر الجدل حول ماهيتها، وطبيعة القوانين التي تحكمها، وتحديد نظرياتها وتطبيقاتها. كما تختلف وجهات النظر حول حقيقة العمليات التي تحدث في ذات المتعلم، أو التفاعلات التي تجري في بيئته، والتي تؤدي - في مجموعها - إلى إحداث تغيُّرات في السلوك، أو في نمط الحياة، بحيث يمكن معها القول بأن عملية «التعلُّم» قد تحققت[١]. ومن هنا، ظهر عدد من النظريات التي تحدد آليات التعلم وطرق تحصيل المعرفة، تحمل في طياتها الخطأ والصواب، وتتفاوت في قربها من الحق وبعدها عنه. ثم إن من نظريات التعلم والتعليم ما كان له أبعاد فلسفية منحرفة، أو كان محلاً قابلاً للتفسيرات والتطبيقات الباطنية، وقد استُغلت تلك النظريات في دعم المبادئ العقدية لحركة «العصر الجديد».

لقد شهد القرنان السابقان ازدهاراً واضحاً في البحوث والدراسات المتعلقة بالتعليم، لم تكن جميعها ذات أثر بنَّاء على العملية التعليمية، بل حصل تحول

(١) انظر: نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص٧.

سلبي في فلسفة التعليم مع نهاية القرن التاسع عشر على وجه الخصوص عندما قدم جون ديوي[١] (John Dewey) نظريات جديدة ضمن توجه «الإنسانية الـ لا دينية» (Secular Humanism)، أطلق عليها «التعليم الإنساني الـ لا ديني»، ولها تسميات أخرى كالتعليم متعدد الثقافات، أو التعليم العالمي، أو تعليم السلام، أو حتى التطوير العالمي للمقررات الدراسية[٢].

ولكن إذا أردنا البحث عن تعريف واضح للتعليم الإنساني فإننا لن نجده بسهولة، فإن رواد هذا المنهج أنفسهم يعجزون عن ـ أن يتفادون ـ تقديم تعريف واضح وصريح له[٣]، ولكنهم يعبرون عنه أحياناً بالتعليم المرتكز على «الإنسان»، في مقابل التعليم المرتكز على الدين، أو «الإله»[٤]. وهذا وإن لم يكن في الواقع تعريفاً، إلا أنه يعطي تصوراً عاماً عن منهجية هذا التعليم وأصوله التي ينطلق منها. بينما يمكننا توضيح حقيقة التعليم الإنساني وتقريب مفهومه من خلال استعراض الملامح العامة لهذا التوجه، والتي من أبرزها ما يلي:

- النسبية الثقافية، وإنكار القيم المطلقة.
- عدم التركيز على الثقافات المحلية، وبالأخص تجنب التوجهات الدينية.
- المواطنة العالمية، أو التهوين من الهوية الوطنية، والتركيز على الهوية العالمية.
- الإنسانية الطبيعية.

---

(١) جون ديوي: هو فيلسوف أميركي ولد في عام ١٨٥٩م، ويعتبر قائد الفلسفة في أميركا. كانت التربية من أبرز اهتماماته، حيث ركز على التعليم القائم على التجربة والتدريب. له عدد من المؤلفات،منها: المدرسة والمجتمع والديمقراطية والتعليم. توفي عام ١٩٥٢م.
انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص٤٧٦، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 13793.

(٢) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: xi, and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vo. 10 Issue 9, and The New Age and Global Education-Steve Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21.

(٣) انظر: Humanistic Foundations of Education-Carl Weinberg: 1, and Humanistic Education-Richard Wellar: 3.

(٤) انظر: Humanistic Education-Richard Wellar: 3, and Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: 28.

- المبادئ النسوية.
- الترويج للسلام المطلق، ووحدة الأديان.
- تبني نظريات النشوء والارتقاء.
- توظيف بعض الممارسات الباطنية و«التأمل» في صياغة النهج التعليمي للطلاب[١].

وبينما من المحتمل أن لا تُطرح بعض هذه المسائل مباشرة في المحتوى التعليمي، إلا أن أثرها يظهر في أساليب التعليم، وطرق طرح المواضيع الأخرى[٢]، وبعضها يكفي في إيضاح خطورة هذا النوع من التعليم.

فمن مخاطر التعليم «الإنساني» أنه يُنمِّي في الطفل الميل إلى التحرر من جميع أنواع السُّلطة، إذ يوهمه بإمكانية الحكم على فعل، أو فكرة ما بأنها حق أو باطل ذاتياً، حسب الظروف أو المشاعر. فمعيار الحكم هو الذات، أو مجموعة الأقران، دون إملاء خارجي متفوق[٣].

كما يعمل على هدم الهوية وإذابة المميزات الثقافية مع تهميش الفوارق الاعتقادية لينصهر الجميع في بوتقة العالمية[٤]. و«من خلال تقويض المميزات الثقافية، والدينية، والوطنية، والاقتصادية، يُهيأ المسرح لنظام تلفيقي بديل. فعلى

---

(١) انظر: The New Age and Global Education-Steve Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21, and Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: (18-26), and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 19 Issue 9.

(٢) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News. Sep. 2003 Vol. 10 issue 9.

(٣) ومن الأمثلة على ذلك: طرح مسائل قيمية أو أخلاقية للنقاش في الفصل الدراسي بحيث يكون المعلم مجرد مدير للحوار، وليس ملقناً للحق الثابت، وأحياناً يُسند هذا الدور ـ كذلك ـ إلى أحد الطلاب. ومن ثم يُصبح المجال مفتوحاً لمن يريد تبرير العقائد أو السلوكيات الباطلة، كالكفر، أو البدع، أو الإدمان، أو العلاقات المثلية. انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٤) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: xi, and What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9, and The New Age and Global Education-Steve Deckard-Acts & Facts, 1992 Vol. 21.

ويرى د. ستيف ديكارد أن التعليم العالمي، وما يتبعه من ذوبان الحدود الثقافية يمهد لظهور قائد عالمي أوحد، قد يكون ـ في نظره ـ هو المسيح الدجال.

سبيل المثال، يدعو مؤيدو التعليم العالمي إلى دين عالمي موحد، تحت سلطة حكومة عالمية واحدة»[١].

نشرت مجلة «الإنساني» (The Humanist) مقالاً بعنوان: (ديانة للعصر الجديد)، يقول كاتبها: «إن معركة مستقبل البشرية لا بد أن تُشن وتربح في الفصول الدراسية للمدارس العامة، ومن قِبَل معلمين يعون دورهم كدعاة إلى اعتقاد جديد: اعتقاد إنساني يعترف بالشرارة الإلٰهية في كل إنسان ويحترمها.. لا بد أن يكون الفصل الدراسي ـ وسيكون ـ حلبة صراع.. بين جثمان النصرانية المتعفن.. وبين الاعتقاد الجديد بالإنسانية.. وسينتصر المذهب الإنساني»[٢].

وترى إحدى الباحثات في التعليم الإنساني أن مما يُسهم في نشر الفكر الإنساني في المنشآت التعليمية هو الاحتواء المبكر للطفل، والذي هو نتيجة مباشرة لخروج المرأة للعمل، حيث تُضطر إلى إلحاقه بمؤسسات التعليم في سنواته الأولى، ومن ثم يعمل التعليم الإنساني على هدم القيم والمبادئ الدينية عند الطفل منذ ذلك الوقت فصاعداً، من خلال ما يسمى بالتفكير النقدي أو الأخلاق الوضعية، حتى تتلاشى عنده فكرة الحقائق المطلقة[٣]. علماً أن هذا النوع من التعليم مدعوم من قبل الأمم المتحدة، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة: اليونيسكو (UNESCO)، على وجه التحديد[٤].

إن هذه المبادئ التي يقوم عليها التعليم الإنساني تتفق تماماً مع تلك التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، وقد سبق الحديث عن قولهم بنسبية الحقائق، والذي يتناول نظرية المعرفة دون شك، إذ يتلخص موقف الحركة في أن المعارف مصدرها الشعور لا الحس. فالحس ـ عندهم ـ لا يُعتبر مقياساً معتبراً للحقائق؛ لأن العالم المادي ليس له وجود حقيقي، ولما كان الشعور متفاوتاً بين الناس، وغير منضبط، قيدوه بالكشوف الباطنية والخبرات الحدسية. فالحقائق كلها

(١) What is New Age Education-Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٢) A Religion for the New Age-John J. Dunphy-The Humanist, Jan/Feb 1983.

(٣) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٤) انظر: Humanistic Frontiers in American Education-Roy Fairfield: 20, and What is New Age Education II-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Oct. 2003 Vol. 10 Issue 10.

نسبية، والمعارف كلها كذلك[١].

ونظراً لقابلية النظريات الإنسانية في التعليم للتكيف مع مبادئ «العصر الجديد» أصبحت مطية تمرر من خلالها المعتقدات الباطنية، والأهداف الروحانية لأتباع الحركة، حيث يسعى بعضهم إلى نشر مناهج تعليمية موحدة تحمل رسالة «الحقيقة» الواحدة التي تتجاوز الأديان والثقافات، وتتمثل في تأليه الوجود[٢].

تقول آلس بيلي[٣] في كتابها «التعليم في العصر الجديد» موضحة دور التعليم في نظرها: «إن الهدف [من الكتاب] هو توضيح الانفتاح الثقافي للجنس البشري، ودراسة الخطوة القادمة في النمو الفكري للبشرية».

ثم بعد أن تُقرر بأن التعليم لا بد أن ينسجم مع الماضي، والحاضر، والمستقبل تُبيِّن ذلك المستقبل بقولها: «لا بد أن يُحدد [في التعليم] مستقبل روحاني. وهذا ما يلزم فعله الآن» وتستمر في شرح معنى الروحانية بقولها: «إن كلمة (روحاني) لا تشير إلى ما يُعرف بالقضايا الدينية. فكل نشاط يدفع بالإنسان إلى الأمام لتحقيق أي نوع من النمو ـ سواء كان جسدياً، أو عاطفياً، أو عقلياً، أو حدسياً، أو اجتماعياً ـ إذا كان تقدماً عن الوضع الحالي فإنه يعتبر ذا طبيعة روحانية في جوهره، كما أنه يدل على حياة الكائن الإلٰهي الذي في الداخل. إن روح الإنسان لا تفنى، تبقى إلى الأبد، تتقدم.. من مرحلة إلى أخرى عن طريق التطور والارتقاء، لتكشف تدريجياً الجوانب والصفات الإلٰهية»[٤].

وترسم بيلي مخططاً تعليمياً يبدأ بالعشر سنوات الأولى من حياة الطفل، حيث يكون التركيز على التعليم الحسي أو الذي يعتمد على الحواس. وفي

---

(١) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (248-249).

(٢) ومن هؤلاء روبرت مولر (Robert Muller) مساعد الأمين العام للأمم المتحدة سابقاً، وله مدارس تصرح باتباعها لتعاليم آلس بيلي التي حصلت عليها من خلال «الأرواح»!
انظر: What is New Age Education II-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News, Oct 2003 Vol. 10 Issue 10.

(٣) تزعم آلس بيلي أن مؤلفاتها هي بإملاء من روح «السيد المستنير»: دجول خول (Djwal Khul)، وبالتالي فإن كثيراً من الباحثين ينسبون ما يُذكر في كتب بيلي إليه لا إليها. وقد آثرت نسبتها إلى بيلي لأن كتبها منشورة باسمها لا باسم خول، بخلاف جي زي نايت التي تنشر بعض مؤلفاتها باسم رامثا.

(٤) Education in the New Age-Alice Bailey: 6.

العشر سنوات التي تليها يتدرب التلميذ على سيطرة العقل، وتتكون لديه منظومة قيمية، لا لتستقر في فكره، ولكن لتُهدم تدريجياً فيما بعد، ويصبح يميز بين التَّذكُّر والتَّفكير، ويفرِّق بين الحقائق المدونة في الكتب، وبين تطبيقاتها في الواقع، ومن ثم «يدرك» أسبابها وعلاقتها النسبية بعالم الحقيقة الذي لا يعدُّ عالم الظواهر سوى رمز له. وهذا الأخير هو الأهم في وجهة نظر بيلي؛ لأنه يشكِّل ملخصاً لفكرها الباطني الذي يُراد تمريره من خلال التعليم. ثم تؤكد أهمية دراسة العلوم النفسية بعد سن السابعة عشرة، وتناول طبيعة الروح، وعلاقتها بالروح الكونية، بالإضافة إلى جعل «التأمل» جزءاً من المناهج الدراسية. وتؤكد أن التعليم لا بد أن يكشف للإنسان الحقائق؛ ليمكنه من التمييز بين عالم الظاهر وعالم الباطن[١]!

فإذا تأملنا ما سبق، سنجد تشابهاً واضحاً بين ملامح التعليم عند بيلي وأساليب التعليم الإنساني التي يُروَّج لها اليوم.

وفي مقابلة أجرتها مجلة «شير إنترناشونال» (Share International) مع بنجمن كريم عام ١٩٩٧م، يقول: «إن الهدف الأساس للتعليم ـ في رأيي ـ هو إعداد البشرية لتحقيق طبيعتهم الإلٰهية كأرواح متجسدة»[٢].

ويقول منتقداً التعليم التقليدي القائم بشكل رئيس على التلقين: «يتم تدريب المعلم على تعليم الأطفال القراءة، والكتابة، والحساب، وما إلى ذلك. إنه مجال ضيق جداً من الأفكار التي يسعى المعلم لاستثارتها في تلميذه، وفي غالب الأحيان يتجاوز الأمر ذلك، حيث يؤمر المعلم بتكرار تلك المجموعة من الأفكار ليتبناها التلميذ ويتقبلها. هذا ـ في ظني ـ ليس تعليماً على الإطلاق. فالتعليم ينبغي أن يستثير الإمكانات الكامنة، سواء كانت شعورية، أو عقلية، أو روحانية، لكل طفل على انفراد»[٣].

وهنا يُفهم كلام كريم من خلال السياق، فهو لا يريد تضمين أساليب

---

(١) انظر: Education in the New Age-Alice Bailey: 10.

(٢) Education in the New Age-Interview with Benjamin Crème-Share International, July / August 1997.

(٣) المرجع السابق.

جديدة للتوصل إلى المعلومة الثابتة سلفاً، أو العمل على تحقيق التفاعل والإثارة في الصف الدراسي فحسب، إذ لا خلاف في أن تطوير طرق التدريس مطلب حضاري، يسعى الجميع إلى تحقيقه، ولكنه يريد استقلال الذات في إيجاد المعلومة، لا اكتشافها. يظهر ذلك في أبرز نموذج للنظريات الإنسانية في التعليم: النظرية البنائية.

النظرية البنائية في التعليم (Constructivism):

النظرية البنائية هي من نظريات المعرفة والتعلُّم، تُنسب بداياتها إلى عالم النفس والفيلسوف السويسري جين بياجيه[١] (Jean Piaget)[٢]، وتتلخص في أن الإنسان يولِّد المعرفة من خلال التفاعل بين خبراته وأفكاره[٣]. فعملية التعلم ـ عند بياجيه ـ هي: «عملية تنظيم ذاتية تؤدي إلى فهم العلاقات بين عناصر المفهوم الواحد المحدد، وفهم كيف يرتبط هذا المفهوم المحدد بالمفاهيم التي سبق تعلمها»[٤].

ولذلك عُرِّفت البنائية بأنها «الموقف الفلسفي الذي يتضمن أي شيء يسمى حقيقة. ومن الناحية الفورية والملموسة: هو البناء العقلي لأولئك الذين يعتقدون بأنهم اكتشفوه وبحثوا عنه، وبعبارة أخرى: فإن الذي يصلون إليه ويسمونه «حقيقة» ما هو إلا ابتداع تم من قِبَلِهم، دون وعي بأنهم هم الذين ابتدعوه، اعتقاداً منهم أنه موجود بشكل مستقل عنهم. وتصبح هذه الابتداعات (التصورات الذهنية) هي أساس نظرتهم إلى العالم من حولهم، وتصرفاتهم إزاءه»[٥].

---

(١) جين بياجيه: ولد جين بياجيه بسويسرا في عام ١٨٩٦م، ونال الدكتوراه في علم الأحياء وعمره ٢٢ سنة. في عام ١٩٥٥م أسس بياجيه (المركز الدولي لدراسات المعرفة الوراثية) في جامعة جنيف. ألَّف عدداً من الكتب في علم النفس، وسلوكيات الأطفال، منها: أصل الذكاء عند الطفل، وبناء الحقيقة عند الطفل. توفي عام ١٩٨٠م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 38238.

(٢) انظر: نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص٢٨٨، والنظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص٣، والنظرية البنائية وتطبيقاتها في التعليم والتعلم: ناصر العويشق ص٤.

(٣) انظر: النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص٣.

(٤) نظريات التعلم: علي حجاج وعطية هنا ص٣٠١.

(٥) النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص٣، وانظر: النظرية البنائية وتطبيقاتها في التعليم والتعلم: ناصر العويشق ص٣.

وعليه، فإن النظرية البنائية في التعليم هي فلسفة تربوية تقرر بأن المعارف ذاتية، تتشكل في داخل المتعلم، وليست إدراكاً لحقائق خارجية مستقلة عنه.

ومن السمات العامة لهذه النظرية ما يلي:

- أنها ترى أن الواقع يُبنى من خلال الذات العارفة، فالمعرفة ليست صورة للواقع، وإنما هي ناتجة عن بناء الواقع بواسطة النشاط الفكري[١].
- أن معيار الحكم على المعرفة ليس مطابقتها للواقع الذي تُعبِّر عنه، ولكن مدى قدرتها على حل مشكلات المتعلم.
- أن المعرفة لا توجد مستقلة عن الذات العارفة، فلا تتماثل معارف عدة أشخاص في شيء واحد، نظراً لارتباطها بفكر العارف وخبراته[٢].

ولا يهمنا هنا تحليل هذه النظرية أو الإسهاب في ذكر تفاصيلها وتياراتها، ولكن ما يهمنا هو الطريقة التي يمكن أن توظف في خدمة النظرة الكونية لحركة «العصر الجديد» في مجالات التعلم والتعليم. فقد تبنى عدد من الفلاسفة والتربويين الأميركيين[٣] نظرة الحركة النسبية للمعارف والعلوم فيما أطلقوا عليه: البنائية الفلسفية[٤]. وهؤلاء «البنائيون» ـ إن صح التعبير ـ يقررون بأنه لا وجود

---

(١) فالبناء هنا ليس مجرد عملية تسلسلية للتوصل إلى الحقيقة الخارجية، فإن ذلك مقبول في بعض المجالات، ولكنه بناء معرفة ذاتية لا يلزم مطابقتها للواقع، بل إن «الواقع» الذي تعيشه الذات العارفة هو نتيجة المعارف التي قامت ببنائها ذهنياً.

(٢) انظر: النظرية البنائية: عماد الدين حمدان ص٥.

(٣) منهم: جيروم برونر (Jerome Bruner)، ونيلسون غودمن (Nelson Goodman)، وفون غليسرزفيلد (Von Glasersfeld).

(٤) يحصل اللبس عند كثير من الباحثين بين البنائية (Constructivism) التي هي إحدى نظريات المعرفة والتعليم، وبين البنيوية (Structuralism) التي هي توجّه في عدد من العلوم، نشأ في الدراسات اللغوية لـ فردناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure)، يفترض وجود بُنية كلية ـ أو عدد من البُنى ـ للمجال المدروس يمكن من خلالها فهم أجزائه وتفاعلاتها فيما بينها. وربما يأتي الخلط من أن بعض الباحثين قاموا بترجمة الأخيرة (أي: البنيوية) بالبنائية كذلك. ولكن عند تأمل المصطلحين في اللغة الإنجليزية نجد أن البنائية ترجع إلى فعل البناء (Construct)، بينما ترجع البنيوية إلى البنية (Structure)، ولذلك فالأصح الاقتصار على مصطلح البنيوية، أو البنيانية، أو ما يماثل ذلك في اللغة.

وقد عُرِّفت البنيوية/البنيانية في المعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية ص٣٤) بأنها: «اتجاه ينصب على دراسة العناصر الكلية أو أحداث التاريخ الكبرى، ومنه البنيانية =

لعالم حقيقي سابق ومستقل عن النشاط الفكري البشري. وهم بذلك لا يعنون أثر الأفكار المسبقة على نظرة الفرد للعالم من حوله، وإنما يريديون أن تلك الأفكار والتصورات هي التي تقوم ببناء الواقع، وتشكيله في الحقيقة[1].

نقد النظرية البنائية والنظريات الإنسانية في التعليم:

تُركِّز النظرية البنائية على الحقائق الذاتية التي يصنعها الذهن، لا الحقائق المطلقة الموجودة في الخارج. فالمعرفة نسبية راجعة إلى ذات المتعلم وخبراته. وليس للمعلم دور سوى تنظيم البيئة التعليمية، وتهيئتها، مع كونه مصدراً إضافياً للخبرات. ومن هنا يمكن توجيه النقد لهذه النظرية من جانبين: الجانب الشرعي، والجانب التطبيقي.

(١) الجانب الشرعي:

تكمن خطورة النظرية البنائية ـ كسائر النظريات الإنسانية ـ في عملها على ترسيخ نسبية الحقائق، وأن ما يعتبر حقاً عند المتعلم قد لا يكون كذلك عند الآخر، وعكس ذلك أيضاً. فإن إرجاع المعرفة لذات المتعلم واستنتاجاته قد يكون ملائماً في بعض العلوم والمعارف، ولكنه لا يمكن أن يُقبل في العلوم الشرعية، لا سيما ما كان منها متعلقاً بالمعتقدات الغيبية، التي لا بد فيها من التلقين الصادر عن النص. هذا مع أن هذه النظرة الجزئية للنظرية البنائية لا تُعبر عن حقيقتها، فالمقصود بعملية «البناء المعرفي» عندهم ليس مجرد الاستنتاج المنطقي أو التجريبي للمعارف، وإنما إيجاد المعارف من خلال النشاط الفكري، والفرق بينهما واضح، ففي الحالة الأولى إقرار بوجود حقيقة خارجية يكمن دور الفكر والتجربة في التوصل إليها، بينما في الصورة الثانية قول بأن النشاط الفكري أوجد الحقيقة النسبية للذات العارفة.

وهنا لا بد من التمييز بين الطريقة «الإنسانية» في التعليم، وبين الاختيار الثابت للإنسان شرعاً. فإن الشرع قد أثبت للإنسان المشيئة، وأعطاه حرية الاختيار، قال

= السيكولوجية، والبنيانية التاريخية. ويطبق في الدراسات اللغوية والسيكولوجية والتاريخية». وانظر: المعجم الفلسفي: صليبا ١/٢١٧ ـ ٢١٨.

(١) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (250-251).

تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨]؛ أي: «يتبع الحق ويستقيم عليه»[١]. ولكن ذلك مقيد بقيدين:

- **الأول:** وجوب إظهار الحق وتبيينه للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[٢].
- **الثاني:** أن ثبوت الاختيار لا يعني الأمن من العقوبة الدنيوية، فمن اختار الباطل تحمل ما يلحقه من تبعات، كالحدود أو التعزيرات وغيرها. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [المائدة: ٣٨]، وغيره من النصوص كثير.

فالمقصود أن الاختيار الثابت للإنسان مرتبط بنتائجه، وهو مناط التكليف، فالذي لا يمكنه الاختيار يسقط عنه التكليف. وليس لما يختاره الفرد أثر في الحكم على الفعل، إذ المقياس هنا هو النص. أما النظريات الإنسانية فتجعل الاختيار مؤثراً في الحكم على الفعل، حيث من الممكن أن يحكم على فعل ما بأنه حق أو «صواب» لأن ذلك ما يراه فاعله ويعتقده. ومن يعتقد أن الله ثالث ثلاثة فذلك حق بالنسبة إليه - بل من اعتقد أن الله واحد لا شريك له كانت تلك المعرفة حقاً بالنسبة إليه، ولم تكن كذلك حتى توصل إليها بإعمال فكره!

(٢) الجانب التطبيقي:

لقد وُجِّه للنظرية البنائية في التعليم عدد من الانتقادات المتعلقة بالتطبيق الواقعي لها، وما يترتب على ذلك من آثار على مخرجات التعليم، وعلى العملية التعليمية ذاتها. بل قد تبرأ ماسلو من تلك النظريات[٣]، مخبراً أن هذا النوع من

---

(١) معالم التنزيل: البغوي ٥/٢١٨.

(٢) خرجه الترمذي في سننه ٤/٤٦٨، أبواب: الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٨)، وقال: هذا حديث حسن. والإمام أحمد في مسنده ٣٨/٣٣٢ برقم (٢٣٣٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/١١٨٩ برقم (٧٠٧٠).

(٣) النظريات الإنسانية في التعليم تفرعت عن علم النفس الإنساني الذي جاء به ماسلو نفسه.

التعليم لا يضيف شيئاً إلى الحصيلة العلمية للطفل المتعلم[١]. ولذلك يبقى السؤال ـ عند القول بهذه النسبية ـ ما الذي تتناوله العملية التعليمية، إذا كانت المعارف ذاتية؟ فإنه عند التخلي عن الحقائق الأصلية يغيب المعيار الذي به يتم التمييز بين الحق والباطل[٢]. ولذلك، فإن مما انتُقد عليها ما يلي:

- سيادة الأنماط الرومانسية المعتمدة على الحدس والشعور في التعليم، وغياب المنطق العقلاني والتجربة الحسية المنضبطة.
- إنكار الأدلة المتوصل إليها بشكل متجرد، أو الحقائق العلمية (بخلاف النظريات أو التفسيرات)، وهو ما يبطل النتائج الموضوعية للبحث العلمي.
- انعدام القدرة على الحكم على شخص ما بأنه مُتعلم، أو حتى قياس العلم لعدم موضوعيته.
- إن القول باستقلالية العقل وذاتية الحقائق يقتل الرغبة في تحصيلها، والاجتهاد في ذلك ومتعة الاستشكاف.
- الاعتقاد بخلو العالم من المعاني قبل أن يُسقط عليه الطفل ـ أو المتعلم ـ معانيه الذهنية الخاصة.
- تعطيل أحد أبرز أهداف التعليم الذي هو التمييز بين الحق والباطل، وتقدير العلم والبراءة من الخرافات والتخمين.
- إنتاج مخرجات ضعيفة لا تستطيع التعامل مع الواقع عندما يصاب أحدهم بالمصائب «الحقيقية» التي لا تستطيع «عقولهم» إنكارها، ولا تغييرها.
- أن العالم الفوضوي الخالي من البنية الثابتة، والقول بقدرة الفكر على تغيير الواقع، يفتح المجال للاعتقاد بالخوارق، والممارسات السحرية، والقدرات العقلية الخارقة[٣].

أختم بالقول أن لكل طريقة في التعليم جوانب إيجابية، ولولا وجود بعض المنافع العملية في تلك النظريات لما استطاعت أن تظهر، ولما كان لها قبول

---

(١) انظر: What is New Age Education-Comelia R. Ferreira-Catholic Family News. Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 252.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: (260-270).

حتى عند من يوافقها فلسفياً، ولكنها كمنافع الخمر، ليست مقصورة عليه، ومغمورة في سيئاته. فتلك المزايا إن وجدت هي ـ في الأغلب ـ جوانب عامة، تتفق عليها جل فلسفات التعليم الحديثة، كالتشجيع على الإبداع، والتفاعل في الصف، ومراعاة الفروق الفردية، وغير ذلك. لكن الذي يهمنا هو ما يميز كل فلسفة عن غيرها، ويجعل منها منهجاً مستقلاً يختلف عن غيره. وهذه الجوانب المميزة هي التي وقع فيها الخلل في النظريات السابقة. وهي التي تتفق مع التوجهات العامة لحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني

فرضيات «ما بعد الذات» في التعليم

سبق ـ في الفصل الأول من هذا الباب ـ الحديث عن الاتجاهات المعاصرة في علم النفس، واتضح دور القوة الثالثة والرابعة[١] في تشكيل العلوم النفسية، وعلاقتها بحركة «العصر الجديد». وكما أن لعلم النفس الإنساني أثر في نظريات التعليم الإنسانية، فإن لعلم نفس «ما بعد الذات» أثر في فرضيات «ما بعد الذات» في التربية والتعليم.

يزعم رواد تعليم «ما بعد الذات» ـ (Transpersonal Education) كأسلافهم في التعليم الإنساني ـ أن طرقهم في التعليم تسعى لتناول الذات الإنسانية ككل، وأن المدرسة هي مكان لا بد أن يدعم هذا التكامل ويشجعه. وتحت ستار المرونة والمتعة في التعليم مُررت كثير من الممارسات الوثنية والباطنية في العملية التعليمية، كالتأمل، وحالات الوعي المغيرة، والفلسفات الشرقية وفنونها القتالية[٢].

(١) القوة الثالثة: علم النفس الإنساني، القوة الرابعة: علم نفس «ما بعد الذات».

(٢) انظر: Transpersonal Education (Preface) - James Fadiman: vii

ورغم تفرع تعليم «ما بعد الذات» عن التعليم الإنساني، إلا أنهم يوجهون إليه النقد كما فعل أقرانهم في العلوم النفسية، حيث يرون أن النظريات الإنسانية في التعليم ناقصة وغير تامة، ثم يزعمون أن فرضياتهم تُقدم نظرة جديدة للإنسان، بالإضافة إلى نظرة جديدة للعالم، كل ذلك ضمن عملية التعلم، فهم يضيفون الجوانب الروحانية إلى العقلية والجسدية والعاطفية في عملية التعليم، ويركزون على قدرات الإنسان «التجاوزية»، والعمل على«تحقيقه لذاته»[١].

فمن وجهة النظر «التجاوزية»، ليس العقل البشري محدوداً بالذاتية، بل هو جزء من عقل كلي، ووعي كوني، يمكن للإنسان الاتصال به، كما يمكن للطلاب التواصل مع معلمهم وزملائهم من خلال العقل الجمعي، فيتشاركون في الأفكار والأحلام دون حاجة إلى اتصال حقيقي[٢]!

ومنهم من يرى أن العلوم جميعها تكمن في العقل الجمعي، الذي هو خبرات وعلوم متراكمة، فالتعليم - في الحقيقة - هو معرفة كيف التواصل مع منبع تلك العلوم[٣]، في توجه ظاهر للاتصال الباطني مع الوجود الكلي، الذي قد يعبر عنه بالاتحاد بالإله.

وإذا أردنا تحديد المعالم المميزة لتعليم «ما بعد الذات»، سنجده متأثراً بعلم النفس الذي يحمل الاسم نفسه، ومن أبرز تلك المعالم ما يلي:

- تقديم نظرة «جديدة» للإنسان والكون.
- التعامل مع حالات الوعي المتغيرة، في الصفوف الدراسية، مما يتضمن التأمل، ولا يقتصر عليه. والسعي لتحقيق منازل عالية من الوعي، أو ما يسمى: «تجارب القمة» (Peak Experience).
- العمل على النمو الروحاني.
- الاهتمام بالخوارق، وعلوم الطاقة الباطنية.
- استعراض الثقافات المتنوعة، وخاصة الشرقية.

---

(١) انـــظـــر: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark (3-4).

(٢) انظر: The Living Classroom-Christopher M. Boche: 31.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٧.

٥ التركيز على طبيعة الإنسان الباطنية، و«حقيقته»، وقدراته[١].

ومن التطبيقات العملية لهذه الفلسفة التعليمية في الفصول الدراسية:

١ ـ تمارين الاسترخاء والتركيز. فهم يرون أن الحالة الذهنية للطالب تؤثر بشكل كبير في أدائه، وهذا صحيح بلا شك، لولا أنهم ربطوا تعديل هذه الحالة بالممارسات الباطنية كاليوغا وعلوم الخوارق[٢].

٢ ـ التخيل الموجه (Guided Imagery)، والمقصود به توجيه الطلاب إلى الخوض في رحلة خيالية متعلقة[٣] بالدرس[٤]، وتكمن خطورة هذا التطبيق ـ وأمثاله ـ في كونه مدخلاً لممارسات تحوير الوعي، والتنويم الإيحائي، والخروج من الجسد[٥]، بل يصرح رواد تعليم «ما بعد الذات» بأن «البحث في الظواهر التجاوزية»، وتجارب القمة توقظ الفضول تجاه التجارب الروحانية المتعلقة بحالات الوعي العالية، والتي تُسمى ـ أحياناً ـ بالوعي الكوني، الاتحاد الباطني، أو الاستنارة»[٦]!

٣ ـ يُشجع الحديث عن القدرات الخارقة للإنسان، والبحث فيها، رغم الجدل الواسع حولها في الأوساط العلمية. حيث يكون الطرح المبدئي في هذه القضايا على أنها أمور يعتقد بها بعض الناس دون غيرهم[٧]. ومن ثم

---

(١) انظر: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark: 4, and The Living Classroom-Christopher M. Boche: (83, 90).

(٢) نشرت صحيفة «البلد» (لبنان) بتاريخ ٢٧ أيلول عام ٢٠١٠م مقالاً بعنوان: (التأمل يقوي مقدرات الطلاب على التعلم)، يشجع على ممارسة الطلاب للتأمل، والتأمل التجاوزي على وجه الخصوص، لزيادة التركيز، وخفض التوتر، وتحسين قدرتهم على التعلم.
وفي مقال بصحيفة «العرب» (قطر) بتاريخ ١١ أبريل ٢٠١١م بعنوان: (حصة لتعليم اليوغا في المدارس) تقترح الكاتبة مريم آل سعد بتحديد حصة في المراحل الدراسية الأولية ليمارس الأطفال اليوغا، ويتعلمون كيفية استقطاب الطاقات الإيجابية!

(٣) كأن يجعل المعلم الطلاب في فصل مظلم يتخيلون أنهم إلكترونات يسيرون في مجالات الطاقة؛ ليتمكنوا من فهم درس في الفيزياء مثلاً.

(٤) انظر: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark: (5-9).

(٥) انظر: New Age in Schools-Craig Branch-The Watchman Expositor, Vol. 11 No. 5, 1992.

(٦) Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark: 16.

(٧) انظر: Transpersonal Education (Transpersonal Psychology in Education) - Roberts & Clark: 16.

تغرس بذرة البحث فيها في عقول الطلاب، حيث ارتقت من منزلة الخرافة إلى منزلة الصحة النسبية، وربما تنتقل إلى حقيقة ذاتية عند بعض الطلاب.

ولأن تعليم «ما بعد الذات» فرع عن التعليم الإنساني، فهو يحمل التصور نفسه حول الحقائق والقيم في الصفوف الدراسية. وفي كتاب (تعليم «ما بعد الذات») مقال لـ كرشنا مرتي ـ الرجل الذي أعدته الثيوصوفي لقيادة العالم في العصر الجديد ـ حول نظرته للتعلم والتعليم، يقول فيه: «إن من وظائف التعليم: صنع القيم الجديدة. فإن مجرد زرع القيم مسبقة الوجود في ذهن الطفل، وجعله يخضع للنماذج المثالية، هو تكييف له من دون إيقاظ لعقله.. إن التعليم الصحيح يتضمن فهم الطفل كما هو، دون أن نفرض عليه كيف نظن أنه يجب أن يكون»[1].

ويبين صفات المعلم ودوره، قائلاً: «إن النوع الصحيح من المعلمين، بإدراكه الطبيعة الداخلية للحرية، يساعد كل تلميذ على انفراد ليلحظ ويتفهم قيمه وفروضه الخاصة النابعة من ذاته»[2].

ثم يرُد على من قال إن ذلك يتسبب في الفوضى الفكرية والسلوكية بقوله: «هناك فوضى في العالم الآن، حصلت بسبب أن الفرد لم يُعلّم كيف يفهم نفسه. رغم أنه أعطي حرية مزيفة، فقد عُلّم الانصياع، وقبول القيم القائمة»[3].

فإذا تأملنا ما سبق، سنجد أن النظريات الإنسانية في التعليم ونظريات «ما بعد الذات»، تخدم بشكل ظاهر أهداف حركة «العصر الجديد»، وإن لم تكن بالأساس وضعت من قبلها، فرواد الحركة يسعون جاهدين لنشر تلك الفلسفات التعليمية التي يعتقدون أنها ستسهم في تغيير الوعي العالمي، وتُعجل بقدوم «العصر الجديد».

---

(١) Transpersonal Education (From Education and the Significance of Life). - J. Krishnamurti: 38

(٢) المرجع السابق ص٤١.

(٣) المرجع السابق ص٤١.

المبحث الثالث

آثار الحركة في الأسرة والمجتمع

لقد كان لحركة «العصر الجديد» منذ ظهورها في سبعينيات القرن العشرين للميلاد أثر ظاهر في المجتمعات الغربية، فقد أسهمت في تشكيل عدد من المجالات الحيوية فيه، وأصبح لمبادئها المنحرفة دور في هدم بقايا الهوية الدينية، وتفكيك كيان الأسرة المتهالك. وهذا الأثر الخطير ـ للأسف ـ قد بدأ بالتسلل إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية. وفي هذا المبحث بإذن الله سأتناول أثر الحركة في كل من: الأسرة، والمجتمع ـ في مطلبين:

المطلب الأول

آثار حركة «العصر الجديد» في الأسرة

يكمن تأثير حركة «العصر الجديد» على الأسرة وترابطها ـ عموماً ـ في جوانب متعددة، سأختصرها في جانبين:

الأول: التوجه النسوي (Feminsim) لحركة «العصر الجديد».

الثاني: التمرد على السلطة الناتج عن الإفراط في القول بالنسبية.

أولاً: التوجه النسوي لحركة «العصر الجديد»:

تروج حركة «العصر الجديد» لما يسمى «الروحانية النسوية» (Feminist Spirituality)، وهي تفسير جديد للتدين والروحانية نبع من الحركة السياسية النسوية[١] التي ظهرت في الولايات المتحدة وفرنسا في منتصف القرن الماضي تقريباً. وهي تجمع بين عناصر وثنية، وعناصر نصرانية، وإن كان يغلب عليها الجانب الوثني[٢].

«والفكر النسوي يمكن أن نميز داخله بين تيارين رئيسين، هما:

- التيار النسوي الليبرالي: الذي يشدد على ضرورة المساواة في فُرص العمل، وحقوق الأفراد، سواء كانوا ذكوراً، أو إناثاً.
- والتيار النسوي الراديكالي: الذي يدّعي أن البُنيات الاجتماعية ـ كالعِلم، واللغة، والتاريخ ـ هي بُنيات متحيزة للذكر، ويجب إعادة النظر في هذه البنيات وفقاً لوجهة نظر المرأة. كما يدعو هذا التيار إلى ضرورة أن تسود النسوية الوثنية كدين جديد للمرأة، بخلاف الدين الذكوري السماوي»[٣].

وعموماً، تسعى الروحانية النسوية إلى تقديس خواص المرأة وخبراتها، والعمل على تمكينها من تحقيق ذاتها، والتحكم بمسار حياتها. كما أن لها نظرة «شمولية» للإنسان، والطبيعة، والكون، وتتميز بتعظيم الإلٰهة الأنثى.

لقد تم دمج كثير من المبادئ والممارسات الخاصة بالروحانية النسوية في

---

(١) الحركة النسوية (Feminist Movement): هي حركة نشأت في أمريكا وأوروبا في منتصف القرن العشرين للميلاد، وتعمل على تحقيق المساواة المطلقة بين المرأة والرجل من الناحية السياسية، والاجتماعية، والثقافية.

وللحركة جذورها في الفكر الإنساني وفي الثورة الصناعية. تتراوح القضايا التي تتبناها الحركة من: المساواة في فرص العمل والتعليم، والتمثيل السياسي، إلى توفير موانع الحمل، والحق في الإجهاض، والحرية الجنسية، وتبادل الأدوار الاجتماعية، وغيرها.

انظر: The Cloumbia Encyclopedia 6th Edition: 16983.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (71-72), and NewAge Encyclopedia Belinda Whitworth: 98.

(٣) الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د. خالد قطب ٢٧/١.

حركة «العصر الجديد»، ومن الملحوظ في الحركة ميلها إلى تنصيب المرأة للقيادة في كثير من الأحيان، وهذا ظاهر ـ أيضاً ـ في كثير من الحركات السالفة للحركة؛ كالثيوصوفي، وحركة الفكر الجديد[١]. كما أن الدور القيادي للمرأة ظاهر جداً في حلقات الويكا، وفي الديانات الوثنية الحديثة كذلك[٢].

وإذا أردنا البحث عن أسباب ميل النسوية المتطرفة إلى الوثنية المؤنثة، سنجد ذلك عائد إلى جذورها التاريخية، إذ ترجع أصولها إلى الديانات الوثنية والاتجاهات الروحانية التي تمرد أتباعها على ما أسموه النظام «الأبوي» (Patriarchal) الذكوري في الديانات السماوية، وأنكروا سلطة «الإلٰه المذكر»[٣]. ومن أجل المعارضة التامة للديانات السماوية جعلوا الإلٰه المقدس أنثى، وهي عقيدة شائعة عند كثير من عباد الأوثان[٤].

أما حركة «العصر الجديد» فقد استمدت الفكر النسوي من مصدرين رئيسين:

١ ـ **الديانات الوثنية**: فهو ـ أي: الفكر النسوي ـ من نتائج التأثر والتأثير المتبادل بين الحركة والديانات الوثنية الحديثة. تلك الديانات التي يشيع فيها تقديس الطبيعة[٥]، ويُرمز لها بالمرأة[٦]. وقد تكهن المنجمون الهندوس بأن العصر الجديد ـ الذي هو عصر الإلٰهة ـ قد اقترب، وفيه ستظهر الملامح الأنثوية على المجتمعات[٧]، فحركة «العصر الجديد» تعمل على تحقيق تلك النبوءة.

٢ ـ **الفلسفة الباطنية**: ومن عقيدة وحدة الوجود على وجه الخصوص، حيث لا يميز القائل بوحدة الوجود بين الخالق والمخلوق، فضلاً عن أن يميز بين الأنثى

---

(١) كـ مدام بلافاتسكي، وآلس بيلي، وآني بيسانت، وغيرهن.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (71-72), and New Age Encyclopedia-Blinnda Whitworth: 98.

(٣) ذلك لأن الضمير المستخدم في وصفه هو: «هو» أو «He».

(٤) انظر: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د. خالد قطب ١/ ٤٠ ـ ٤٣، و Perspectives on the new Age-Lewis & Melton: 169.

(٥) تعتبر الطبيعة عندهم أنثى، كما هو الحال في غايا Gaia.

(٦) الحركة النسوية خلخلة المجتمعات الإسلامية (الفكر النسوي وثنية جديدة): د. خالد قطب ١/ ٤٠، و The New Age Movement and the Biblical Worldview-John Newport: 290

(٧) انظر: Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: 260.

والذكر، أو المرأة والرجل. وبذلك تزول الفوارق الخَلقية التي ينبني عليها توزيع الواجبات والأدوار في الأسرة السوية، ومن ثم يحصل التنازع والإهمال[١].

يقول رامثا (جي زي نايت) في (الكتاب الأبيض) مصححاً الاعتقاد السائد بطبيعة «الإلٰه»: «الآب هو أنثى، وهو ذكر»[٢]. ويبين أن ظهور رامثا من خلال امرأة (جي زي نايت) هو من أجل التأكيد على أن تجربة «الإلٰه» ليست مقتصرة على الذكور، فالمرأة يمكنها التعبير عن الإلٰه، وأنه بإمكانها النبوغ ـ بل وتحقيق الألوهية في ذاتها[٣].

تشكل الروحانية النسوية خطراً بالغاً على المعتقد الصحيح، فهي تؤله الطبيعة، وتصف الإلٰه بالأنوثة! وقد أنكر الله ﷻ على من جعل الملائكة إناثاً في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]. وقصر ﷻ النبوة على الرجال، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]. فإذا كان الله ﷻ نفى الأنوثة عن ملائكته وأنبيائه، فكيف يستبيح إنسان أن يجعل إلهه أنثى؟

وعلى أية حال، فـ «الإلٰه» الذي يتحدث عنه هؤلاء ليس هو الله رب العالمين، وهم لا يدّعون ذلك، بل يقرون أن إلههم لا صلة له بالرب الخالق الذي يعبده أتباع الديانات السماوية. ومع أثر هذا التيار المنحرف على الاعتقاد، فإن له أثراً على الأسرة كذلك.

---

(١) يرى بعض الباحثين أنه كان لنقد فرويد للدين أثر في نسوية حركة «العصر الجديد»، حيث كان نقده موجهاً ـ في الجملة ـ إلى النظام الأبوي الذي يقوم على قيادة الرجل، وفرويد إذا أطلق الدين إنما يريد هذا. ولكن الحركة تميزت بالجانب الروحاني الذي يفتقده فرويد في فكره.
انظر: .The Implications of New Age Thought-Irmhild Hom: 113

(٢) .The White Book-Ramtha (JZ Knight): 59
وهنا لا أجد حاجة لتنزيه ربنا تبارك وتعالى عما يقولون، فإن «الإلٰه» الذي يريدونه ليس هو «الله» الذي نعبده ونعظمه ﷻ، بخلاف لو صدر شيء من ذلك عن يهودي أو نصراني. فإن اليهود لما قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، و ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، والنصارى لما قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] إنما أرادوا ذات الله ﷻ، فوجب تنزيهه ﷻ عما يقول هؤلاء دون أولئك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) انظر: .The White Book-Ramtha (JZ Knight): 290

خطر الفكر النسوي على الأسرة:

إن تبني الأسلوب النسوي في الحياة يفضي إلى عدد من الممارسات التي تُسهم في هدم كيان الأسرة وتفكيكها، ومن ذلك ـ على سبيل الإيجاز ـ ما يلي:

- مساواة المرأة بالرجل في الواجبات، مما يثقل كاهل المرأة وينهكها، وينتج عنه التقصير في حقوق المنزل والأبناء.
- خروج المرأة عن طاعة زوجها، ونشوزها عنه، مما يتسبب في اضطراب الأسرة وتفككها.
- الحرية المطلقة في إتيان الفواحش[1]، وهي تتسبب في انتشار الأطفال غير الشرعيين، ونشأتهم بلا آباء، وأحياناً بلا أمهات.
- الحرية في تبني العلاقات المثلية، وهي تؤدي إلى بتر الأسباب الطبيعية للتناسل، ولا تتكون من خلالها أسرة أساساً، ولو وجد الطفل في هذه البيئة ـ من طريق التبني، أو غيره ـ فلا يمكن أن ينشأ نشأة سوية.
- الحرية المطلقة في التحكم بالجسد المتمثل في إسقاط الأجنة وقتل الأنفس بغير حق.

هذا، وإن للفكر النسوي آثاراً خطيرة على الأسرة والمجتمع، لا يتسع المجال للإسهاب في ذكر تفصيلها، فلتراجع في مظانها.

مسألة: مكانة المرأة في الإسلام:

يحسن بعد ذكر الحركة النسوية، ونظرتها للمرأة الإشارة إلى مكانة المرأة في الإسلام، ودورها الذي أنيط بها في الشريعة.

إن «الأصل في خطاب الشارع ـ قرآناً وسنة ـ أنه موجه للرجال والنساء سواء، بدءاً من تقرير الكرامة الإنسانية، إلى تقرير المسؤولية الجنائية، على أن هناك فوارق محدودة قررها الشارع في وضوح وجلاء»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين إذا أُطلقت ـ ولم تقترن بالمؤنث ـ فإنها تتناول الرجال والنساء؛ لأنه

---

(١) باعتبار أن جسد المرأة ملك لها فهي حرة فيما تفعله به.

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسول: عبد الحليم أبو شقة ١/ ٧٠.

يُغلّب المذكر عند الاجتماع»[1]. وهو مع ذلك، يذكر النساء والرجال في خطاب واحد في بعض الأحيان تأكيداً على أنهما في الحكم سواء.

فأصل الرجل والمرأة واحد، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وتكافأ المرأة على سعيها كالرجل دون أن يُنتقص من أجرها شيء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

ثم إن الشارع بين أن بين الذكر والأنثى فروقاً لا بد من مراعاتها في الحياة الدنيا، فقال ﷻ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

وأوضح أن لكل من الرجل والمرأة مكاناً خاصاً في الحياة الأسرية؛ ليضمن استقرارها، فجعل القوامة والنفقة بيد الرجل، وجعل المرأة سكناً له وحفظاً، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ووازن بين حقوق المرأة وواجباتها بقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وفُسرت الدرجة بالإمرة والطاعة[2].

فالمقصود: أن الإسلام كرم المرأة، وعمل على حفظها، وجعل لها حقوقاً وواجبات تتناسب مع طبيعتها وخلقتها، وفي مراعاة المرأة للضوابط الشرعية في فكرها وسلوكها تحافظ على ترابط الأسرة المسلمة، وتحقق استقرارها.

---

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم ١/ ٧٣.

(٢) انظر: جامع البيان: الطبري ٤/ ٥٣٤.

ثانياً: التحرر من السلطة عند حركة «العصر الجديد»:

من طبيعة النفس البشرية انصياعها لمن تعتقد أنه أعلم منها، أو أكثر منها خبرة، مَن لديه القدرة على التمييز بين الحق والباطل. أما إذا تساوى الأفراد في المعرفة والتمييز فإنهم يصبحون أقراناً، لا يستسيغ أحد منهم الخضوع للآخر، ولا يمتلك أحد منهم السلطة أو النفوذ. فالمتعلم يخضع للعالِم لاعتقاده بأن الحق معه، والمريض يستسلم للطبيب لاعتقاده أنه أعلم بالصواب، والصغير ينقاد للكبير؛ لأن عنده الإجابة الصحيحة.

إن النسبية المطلقة عند حركة «العصر الجديد» جعلت الحق المطلق أمراً غير مقبول، وهذا بلا شك يُفضي إلى التنصل من أي نوع من السلطة التي تدعي امتلاكها للحق أياً كان، أو معرفتها إياه. فسواء كان الحق عقيدة دينية، أو صواباً اجتماعياً، وأخلاقياً، وتربوياً، أو حقيقة علمية تجريبية، فإن حركة «العصر الجديد» لا تعترف به إذا كان خالياً من قناعة الأفراد بمصداقيته، أو تجربتهم له. ولذلك لو طُبقت فلسفة حركة «العصر الجديد» بنسبيتها المتطرفة على الواقع العملي لأصبح الناس كلهم في درجة سواء، ليس لأحد سلطة على أحد، والحق الذي يخضع الناس لمالكه يمسي ملكاً لكل أحد.

وإذا عُلم أن المجموعة ـ أياً كانت ـ لا يمكن أن يتعايش أفرادها في بيئة مشتركة دون وجود عنصر قيادي، تبين أن الأسرة ليست استثناء من ذلك العموم، بل هي من أشد الأشكال الاجتماعية حاجة إلى التهذيب والانضباط، إذ هي لبنة المجتمع الأولى، وعليها ترتكز بنيته الأساسية. ولذلك فرض الله ﷻ قوامة الرجل على المرأة، وأوجب عليها طاعته بالمعروف، وأوجب على الأبناء بر والديهم، وطاعتهم فيما لا معصية فيه للخالق.

إن هذه الطاعة المقيدة للسلطة الأسرية لها مصدران: المصدر الشرعي، المتمثل في النصوص الواردة في وجوبها، والمصدر الغريزي الناتج عن الاعتقاد بتفاوت المعارف والخبرات. أما المصدر الشرعي فغائب عند أتباع حركة «العصر الجديد»، خاضع للرد والشك والتأويل. يبقى المصدر الغريزي، وهو الذي يقضي عليه القول بنسبية الحقائق والقيم. فليس للوالد الحكم على فعل ولده بأنه خطأ أو معاقبته على ذلك؛ لأن ما يراه الوالد خطأ هو كذلك بالنسبة إليه، صواب بالنسبة للولد... وهكذا. وهذا لا يعني أن الحق أو الصواب هو مع من

بيده السلطة مطلقاً، وإنما المقصود أن إنكار ذلك كلياً يفضي إلى التمرد المدعم بالموقف الفلسفي، والحجة الفكرية المحرفة.

فإذا اجتمع تطبيق المبادئ النسوية على الكيان الأسري، مع ضياع السلطة القيادية في داخل الأسرة، لم يعد للأسرة وجود، أو بقي لها وجود لا فرق بينه وبين العدم.

المطلب الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» في المجتمع

إن من أبرز سمات حركة «العصر الجديد» هي طبيعتها التلفيقية، التي تجمع ثقافات وعقائد متعددة في مزيج نشاز، ليس له انتماء واضح لبلد، أو دين، إلا ما كان من ميلها المتحيز إلى الشرق وفلسفاته. أضف إلى ذلك إنكارها للحق المطلق وتبنيها للفكر الباطني المتضمن وحدة الوجود، وستجد أن التنوع الثقافي - بل والديني - في المجتمع الواحد بالنسبة للحركة أمر طبيعي ومطلوب.

إن حركة «العصر الحديد» في دعوتها للتعايش السلمي داخل المجتمعات، وفيما بينها لا تسعى إلى وحدة الأديان فحسب، بل - في الحقيقة - إلى توحيد الأديان[1]، والخروج بدين عالمي جديد، يحمل الفكر الباطني المنحرف، ويخدم أهداف أتباع الحركة. وهم يعملون لتحقيق هذا الهدف على مراحل.

ففي البداية، يقرر أتباع حركة «العصر الجديد» أن جميع أشكال التدين الإنساني تنبع من مصدر موحد، فهي تعبيرات بشرية «خاطئة» عن حقيقة فطرية واحدة. تقول آلس بيلي في كتاب «مشاكل الإنسانية»: «يقترب طلوع اليوم الذي تُعد فيه الأديان كلها منبثقة من مصدر روحاني واحد عظيم؛ سيُرى أن جميع الأديان تتحد لتشكّل جذراً يبرز منه - حتماً - الدين العالمي للعالم»[2]. وهي بذلك تؤكد قول مدام بلافاتسكي بأن الأديان كلها «مستمدة عن ديانة فطرية

---

(١) توحيد الأديان: دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الجديد. دعوة التقريب بين الأديان: د. أحمد القاضي ١/٣٤٣.

(٢) Problems of Humanity-Alice A. Bailey: 140.

واحدة»[١]، وأن الأديان اليوم هي «ألوان من الأخطاء البشرية، وعلامات تدل على نقصهم»[٢].

إن حركة «العصر الجديد» تستخدم أسلوباً ملتوياً في تقديم معتقداتها، كالتحذير من «العنف الديني» ـ مثلاً ـ فقط لتُقدم بديلاً روحانياً باطنياً لا يُفرق بين الحق والباطل والخطأ والصواب. وهذا ما يفعله ديباك شوبرا في كتابه «السلام هو الطريق»، قائلاً: «إن العنف ليس هو جوهر الإنسان. نعم هو شائع، وهو غريزي، ولكن كذلك هو نقيض العنف: الحب. إن طريق السلام هو إعمال الحب. رغم أنه يبدو أن البشرية تعتقد ـ صراحة أو ضمناً ـ أن العنف أكثر قوة من الحب.. إن ذلك ليس صحيحاً. لقد تطور البشر ليتجاوزوا أشياء كثيرة كانت تبدو غريزية في السابق.. لقد تغلبنا على الخرافة والمرض، لقد كشفنا النور لظلمة النفس»[٣].

ثم يصرح بالطريقة التي يكون فيها الخلاص من العنف والحروب بقوله: «إن الطريق إلى السلام.. هو قفزة في الوعي.. إذا أظهرنا أنا وأنت أن السلام أكثر إرضاء من الحرب، سيتغير الوعي الكلي»[٤]. فالطريق إلى السلام ـ في نظره ـ يكون من خلال تغيير الوعي أو الفكر، وهذا نابع من معتقداته الباطلة بوحدة الوجود، ووهمية العالم.

فالدعوة إلى السلام والمحبة والأخوة العالمية دعوة شائعة عند حركة «العصر الجديد»، يقول أحد أنصار الطاقة في العالم العربي إن الله ﷻ طلب منا «منح هذا الحب بالمقدار الذي منحه لنا، دون تحديد الجنس، أو اللون، أو العرق، أو الدين، أو الانتماء. فكلنا نندرج تحت اسم أحباب الله»[٥]، مستدلاً بقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٦]! ثم يجسد معنى

---

(١) Isis Unveiled-H. P. Blavatsky 1/639.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) The Way of Peace-Deepak Chopra: 5.
(٤) المرجع السابق ص٦.
(٥) أسرار الطاقة: حكم الزمان: ١٢٦.
(٦) أخرجه البخاري ١/ ١٤، برقم (١٣)، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

نسبية الحقائق بقوله: «خذ ما يرضيك منهم لأن الأمر يهمك وحدك، وعصيانك لك وحدك، ولا تسخر من أحد، ولا تكفّر أحداً؛ لأن العلم عند الله وحده»[١].

ويقول جورج أوساوا واضع نظام الماكروبايوتِك الغذائي الذي تروج له حركة «العصر الجديد» متحدثاً عن الطريق إلى السعادة: «إذا كان على وجه الأرض إنسان واحد، أو شيء واحد لا تحبه، فلن تكون سعيداً أبداً»[٢]! فكان على المسلم ـ ولا بد ـ أن يحب رؤوس الكفر والضلال، وأن لا يبغض شيئاً على وجه الأرض ولو كان الله يبغضه ويمقته ليحقق السعادة المنشودة.

أما مريم نور فتقول في كتاب لها بعنون «أسرار»: إن «الله مع الجماعة (!)، هذه هي العائلة المقدسة والمكرسة، كلنا إخوة في الله، نحترم جميع المخلوقات بكل تصرفاتها»[٣].

غير أن هذه الحركة التي تدَّعي نسبية الحق، وتقبل التنوع الاعتقادي، تضيق ذرعاً بالديانات ذات الأصول السماوية لمفارقتها طريقتهم الباطنية. ومن أجل بزوغ «العصر الجديد» لا بد من التخلي عن جميع الديانات «التقليدية»، لا سيما اليهودية، والنصرانية، والإسلام.

تقول آلس بيلي: «ينبغي أن لا تُسمى فلسطين: الأرض المقدسة؛ فأماكنها المقدسة هي آثار بائدة لثلاثة أديان ميتة، هالكة. . فاليهودية هرمة، مهجورة، مفرّقة، وليست لها رسالة حقيقية يمكنها تقديمها للفكر الروحاني، لا يمكن للمعتقدات الأحدث تقديمها بشكل أفضل؛ الدين الإسلامي قد أدى دوره، وجميع المسلمين الحقيقيين ينتظرون قدوم الإمام المهدي الذي سيقودهم إلى النور والانتصار الروحاني. والديانة النصرانية أدت دورها كذلك، ومؤسسها يسعى لتقديم إنجيل جديد، ورسالة جديدة، ستحقق الاستنارة للناس في كل مكان»[٤]. وهم بذلك يستشرفون المخلص العالمي الذي ينتظره أتباع الديانات كلهم لينشر المعتقدات والخرافات الباطنية في أصقاع الأرض. وقد يُتصور أن

---

(١) أسرار الطاقة: حكم الزمان ص١٧٣.

(٢) زن ماكروبيوتك: جورج أوساوا ص٣٩.

(٣) أسرار: مريم نور ص١٨.

(٤) The Rays and the Initations-Alice Bailey: V/754.

هؤلاء إنما يهيئون العالم لقبول الدعوات الباطلة، ويمهدون لظهور المسيح الدجال.

ثم بعد تمييع الانتماء الديني، والتشكيك في المعتقدات السليمة، والتهوين من الشعائر الظاهرة للأديان[١] ـ كما في تساؤل مريم نور عن «لماذا بنوا المعابد؟ فالطبيعة تسبح الله وليس لها معابد!»[٢] ـ تُقدم حركة «العصر الجديد» ديناً عالمياً ملفقاً يؤلِّه فيه الإنسان وتُهدم به العقائد، وترى أنه البديل الذي تحتاجه البشرية لحل جميع مشكلاتها المعاصرة.

يتحدث ديفيد سبانغلر عن هذا الدين الجديد قائلاً: «سيكون في الروحانية الجديدة نواحٍ شبيهة بالشامانية. سيكون فيها جوانب مستمدة من جميع التقاليد الاعتقادية الكُبرى، ولكنها ستضيف إليها شيئاً جديداً، ربما ينبع من علاقة الخلق المشترك مع الأرض، ومع الإله»[٣]!

ويقول في موضع آخر موضحاً حقيقة التآلف الديني الذي يريدونه: «نعود اليوم إلى عصر الجماعة مجدداً... والآن في الألفي عام المقبلة سيتعلم الإنسان كيف يدمج مركزه الإلهي في الوجود الكلي»[٤].

وقد توقعت بيلي أن تؤدي الأمم المتحدة دوراً مهماً في نشر الدين العالمي الجديد، فهي تقول في كتابها «مصائر الأمم»: «.. وبالتالي فإن جهود الأمم المتحدة، وأهدافها المعلنة ستقود في النهاية إلى إثمار الكنيسة الجديدة للإله، متجمعة من جميع الديانات والجماعات الروحانية، وستنهي ـ مجتمعة ـ بدعة الافتراق»[٥].

بل دعا المهاريشي إلى حكومة عالمية موحدة، تتبنى التأمل التجاوزي والفلسفات الباطنية، ويقودها قادة «مستنيرون» بظلمات وحدة الوجود[٦]!

---

(١) انظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان ص١٢٣، ٢٠٨، ٢١١.

(٢) الخفايا: مريم نور ص١٠.

(٣) Reimagination of the World-David Spangler: 127

(٤) Towards a Planetary Vision-David Spangler: 88.

(٥) The Destiny of Nations-Alice Bailey: 155.

(٦) انظر: New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 515.

وخلاصة الأمر: أن المجتمع الذي تدعو حركة «العصر الجديد» إلى إيجاده، هو مجتمع «متنوع» متميع ليست فيه سيادة لدين على آخر، ولا فضل فيه لمؤمن على كافر. وهذا ـ دون شك ـ نتيجة لقولهم بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، ولقولهم بالنسبية التامة.

ويمكن إيجاز أساليبهم لتحقيق هذا الهدف في عدة مراحل، منها:

١ ـ تقرير وحدة المصدر لجميع أشكال التدين.

٢ ـ الدعوة إلى المحبة والتسامح، وغياب ملامح الولاء والبراء.

٣ ـ التشكيك في وجود حقيقة مطلقة، وأن الحق أمر نسبي، ومن ثم إنكار المنكر، أو التكفير.

٤ ـ التهوين من الشعائر الدينية الظاهرة.

٥ ـ تخطئة الصور الشائعة للتدين، وإبطال أشكال التدين «التقليدي» خاصة.

٦ ـ تقديم بدائل روحانية ضمن التقليد الديني المتبع.

٧ ـ التصريح بتبني دين عالمي جديد يحمل الفكر الباطني، ومعتقدات «العصر الجديد».

وهنا سأستعرض نموذجاً رائداً لنشر الثقافة المجتمعية لحركة «العصر الجديد» في العالم العربي والإسلامي، وهي منظمة سلام إنترناشونال (Salam International) التي يقودها صلاح الراشد. وجميع المعلومات التالية منسوخة من الموقع الرسمي للمنظمة على العنوان التالي: www.salamintemational.org

أولاً: يتم التعريف بالمنظمة تحت عنوان: (التعريف بسلام إنترناشونال) بأنها:

«منظمة غير هادفة للربح، تأسست عام ٢٠١٠م في سيريلانكاء. تعمل من أجل بناء جسور المحبة والسلام، ونشر ثقافة التعايش السلمي وسبل التنوير بين الشعوب من خلال مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها أعضائها، وأهمها: سلام جروب (Salam Group)».

ثانياً: تحت عنوان: (من نحن؟) سرد لأبرز صفات أتباع المنظمة، ومنها أنهم:

١ ـ نساء ورجال من جنسيات وأعراق وأعمار مختلفة يدعون للتعايش السلمي.

٢ ـ مؤمنون بالتحرك السلمي في نشر ثقافة المحبة والسلام.
٣ ـ مجتهدون في تطوير وتنوير وتجديد النفس والآخرين.
٤ ـ مستمتعون في العمل على بناء جسور المحبة والسلام بين الأفراد والشعوب.
٥ ـ متمتعون بروح القبول والتسامح والانفتاح على اختلافات البشر.
٦ ـ محبون للتعاون مع الآخرين، وتشجيع نجاحاتهم وجهودهم السلمية والودية والتنويرية.
٧ ـ يتحلون بالعطف والرحمة والمحبة للآخرين.
٨ ـ لا يدخلون في الجدالات والقيل والقال وكثرة السؤال.
٩ ـ ليس لديهم عنصرية تجاه أي عرق أو دين أو لون أو أصل أو جنس.

ثالثاً: الرسالة التي تحملها المنظمة بعنوان (رسالتنا)، هي:

«نعمل من أجل بناء جسور المحبة والسلام، ونشر ثقافة التعايش السلمي وسبل التنوير بين الشعوب».

رابعاً: (الأهداف العامة):

١ ـ توفير البيئة الإيجابية الصالحة للمحبة والشعور بالسلام.
٢ ـ علم وتعليم مبادئ ومهارات المحبة والسلام.
٣ ـ العمل على مد جسور المحبة بين الأفراد والجماعات والشعوب والأمم.
٤ ـ تأهيل كوادر بشرية مقتدرة لنشر وتعليم مهارات السلام والمحبة.
٥ ـ الدعم والتنسيق مع الأفراد والمؤسسات العاملة في نفس المجال.

خامساً: تتبرأ المنظمة من عدد من الأفكار والتوجهات تحت عنوان: (ما لا يمثلنا)، ومن ذلك:

١ ـ استخدام العنف بكافة أشكاله أو الإضرار بالنفس أو بالآخرين أو العداء.
٢ ـ حركة سياسية في أي اتجاه.
٣ ـ تيار أو توجه ديني من أي نوع.
٤ ـ تكتل اقتصادي أو مالي ساعي[١] للربحية.

---

(١) الصحيح: ساع.

٥ ـ التعصب لدين أو عرق أو لون وجنس أو جنسية أو قومية أو غير ذلك.

٦ ـ استخدام الحركة لأسباب غير ما وضعت له، أو لجمع الأموال أو كسب السلطة أو النفوذ الشخصي.

٧ ـ معاداة الأفراد أو الحكومات أو المؤسسات العامة أو الخاصة.

٨ ـ التحدث باسم الله أو الكون أو السماء أو الدين أو الدولة أو القوم أو الرأي الأوحد.

٩ ـ الجدالات والمناظرات غير الودية والمقاطعات والمظاهرات غير السلمية والتشهير والتسفيه والتكفير والنقد الحاد وما في شاكلته من الحكم على الآخرين.

١٠ ـ من له علاقة حالية بأي نشاط إرهابي أو عسكري أو عنصري أو إجرامي وفق ما أقرتها المواثيق والقوانين الدولية.

سادساً: تحت عنوان (أولويات السنة الأولى) بيان للخطة التنفيذية للمنظمة، وهي كالتالي:

١ ـ توفير الغطاء القانوني للجمعية.

٢ ـ إعداد ميثاق الجمعية المتكامل.

٣ ـ تكليف فريق عمل محترف لتنفيذ المهمة.

٤ ـ تكليف بالذات أميناً عاماً للجمعية والمتحدث الرسمي.

٥ ـ تدشين موقع جمعية سلام على النت.

٦ ـ تدشين صفحة بالعربية والإنجليزية على الفيس بوك.

٧ ـ جمع قاعدة بيانات بالمهتمين.

٨ ـ إصدار بيانات متتابعة حول حدث معين ونشره في النت.

٩ ـ عمل حفل غنائي لسلام إنترناشونال.

١٠ ـ إعداد أغنية عن السلام والمحبة.

١١ ـ عمل إصدار صوتي ومقروء عن جمعية سلام إنترناشونال.

١٢ ـ تدريب عدد من المهتمين ليكونوا سفراء للسلام.

١٣ ـ إعداد نشرة سلام إنترناشونال بشكل دوري.

١٤ ـ إعداد المطبوعات الخاصة بجمعية سلام.

١٥ ـ إعداد المخطط العام لتقييم البلدان على معيار المحبة والسلام.

سابعاً: (الوسائل والأنشطة):

١ ـ استخراج بيانات حول أحداث آنية تحتوي إرشادات التعامل مع الحدث وفق منهجية المحبة والسلام.

٢ ـ تأسيس وإدارة موقع إلكتروني نشط يبين المنهجية والأنشطة والإرشادات.

٣ ـ إعداد مطبوعات مقروءة وإلكترونية في منهجية المحبة والسلام.

٤ ـ مراسلة المؤسسات والجهات الحكومية والأهلية وتعريفها بنا.

٥ ـ تأهيل ناشطين في منهجية المحبة والسلام.

٦ ـ إعداد الحملات الإلكترونية المؤيدة لمنهجية الحركة أو المدافعة عن والمؤيدة لأعضاء الجمعية الناشطين، وناشطي السلام والمحبة بشكل عام.

٧ ـ إعداد موقع إلكتروني مصور (YouTube) عن الرسالة والأهداف والأنشطة.

٨ ـ تأسيس وإدارة صفحة على (Facebook).

٩ ـ عقد ملتقيات مصغرة في مناطق مختلفة من العالم لتنشيط رسالة وأهداف وأعمال جمعية سلام.

١٠ ـ عقد مؤتمر سنوي.

١١ ـ إقامة الحفلات الغنائية والفنية المساعدة في نشر رسالة وأهداف وأنشطة الجمعية.

١٢ ـ إعداد ميثاق عام لمنهجية المحبة والسلام.

١٣ ـ إصدار مجموعة من الإصدارات التعليمية للعيش بمحبة وسلام.

١٤ ـ استقطاب رموز السلام في العالم لدعم النشاط.

١٥ ـ عمل لوحات فنية وأغاني بلغات عن السلام والمحبة.

١٦ ـ الإعلام والإعلان عن رسالة وأهداف وأنشطة الحركة بالتعاون مع وسائل الإعلام والإعلان.

١٧ ـ عمل فلاشات إعلانية للعرض في النت والقنوات والإذاعات عن المحبة والسلام.

١٨ ـ تأسيس خدمة sms لتوفير الدعم ونشر المعرفة في المحبة والسلام.

١٩ ـ تأسيس مجموعات نشطة في كل مدينة.

٢٠ ـ إصدار كتيب شامل عن جمعية سلام.ا.هـ.

ذلك، وإن لمنظمة (سلام إنترناشونال) مجموعات فاعلة في عدد من المدن العربية، تتواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، وتويتر، وغيرها من أجل التنظيم للقاءات يحصل فيها «المشي، ثم جلسة إرسال النية في نهاية اللقاء»[1]. ومن تلك المدن: الدار البيضاء، طنجة، الرباط، الخبر، عجمان، أبها، الجزائر، الكويت، القاهرة، الدمام، الدوحة، البويرة، أبو ظبي، رأس الخيمة، دبي، صنعاء، الرياض، وهران، مكة المكرمة، مسقط، الهفوف، نابلس، غزة، الخليل، الخرطوم، وتونس.

جميع المنسقين هم من طلبة صلاح الراشد، وأعضاء نادي جوي ١٢ (Joy12)، والذي يظهر هو أن طريقتهم في تحقيق «السلام» هي من خلال توجيه «النوايا» وبث «الذبذبات» الإيجابية إلى الكون.

إن منظمة سلام إنترناشونال قائمة على مبادئ باطلة تتضح من خلال استعراض فكر قادتها، وروادها، ولكن حتى بمجرد استعراض ما تم نشره على موقعهم يمكن تتبع عدد من المخالفات العقدية الخطيرة، ومنها بإيجاز:

- إطلاق المحبة لكل أحد، والسلام مع الجميع، وهذا لا يصح شرعاً، فكلاهما لا بد من تقييده.
- استخدام مصطلح «التنوير» الشائع في الفلسفات الباطنية على أنه إحدى غايات المنظمة.
- النص على القبول والانفتاح على خلافات البشر، رغم أن «تقبل» المخالفات الشرعية يعارض صريح القرآن والسُّنَّة.

---

(١) وقد تابعت كتابات صلاح الراشد على صفحته في الفيسبوك، فوجدته يقود هذه المجموعات إلى ممارسات غريبة. فعلى سبيل المثال: في تاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١١م نشر هذه العبارة: «سلام جروب: اليوم الثلاثاء الساعة الثامنة مساء بتوقيتك المحلي (٨م)، كل مدينة تجتمع في هذا الوقت لجلسة سلام، هدفها سوريا الاحتمال الأفضل والسلام. شارك في هذه الجلسات، وأرسل نيتك الإيجابية السلامية لسوريا»؟!

- نفي «العنصرية» ضد أي دين، يوحي بنسبية الحق، ويفضي إلى إلغاء عقيدة الولاء والبراء.
- البراءة من «العنف» تعبير مجمل يحتاج إلى تحرير، فالعنف مصطلح عائم يحتمل معاني يحرمها الشارع، ومعان يوجبها.
- منع التسفيه والتكفير مطلقاً فيه تعطيل للنصوص الشرعية، وهذا أيضاً يوحي بأن قائله لا يعتقد أن الحق واحد لا يتعدد.

وستتضح ـ بإذن الله ـ تفاصيل ما سبق عند التطرق للصورة الصحيحة للمجتمع المسلم، وضوابط التعامل مع المخالفين، بالإضافة إلى عقيدة الولاء والبراء، في المسألة التالية:

مسألة: الصورة الصحيحة للمجتمع الإسلامي وعقيدة الولاء والبراء:

قضى الله ﷻ أن لا يكون الناس على دين واحد أبداً، وأن أتباع الديانات المتنوعة سيعيشون في مجتمع واحد في كثير من الأحيان، فبين الشارع الحكيم الأحكام التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع المتنوع، وأوضح الضوابط التي ينبغي للمسلم مراعاتها.

والمجتمع الذي يعيش فيه المسلم لا يخرج عن حالين: مجتمع يسود فيه الإسلام، ويغلب على أفراد، فيكون مجتمعاً مسلماً أو إسلامياً. ومجتمع تكون فيه الغلبة لأهل الكفر، فيكون مجتمعاً يخضع لحكم الكفار ويغلب ذلك على أفراده.

(١) المجتمع الإسلامي:

وهذا المجتمع ـ وإن غلب عليه أهل الإسلام ـ لا يخلو غالباً من أفراد لا يدينون بدين الحق، فهؤلاء الكفار على أقسام، يختلف التعامل معهم كل على حسب حاله. قال ابن القيم رحمه الله: «الكفار: إما أهل حرب وإما أهل عهد.. وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان».

- أما أهل الذمة: فهم الكفار الذين يقطنون دار الإسلام على وجه التأبيد، ويدفعون للمسلمين الجزية. وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله.

- وأما أهل الهدنة: فهم من صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مالٍ، أو غير مال. وهؤلاء لا تجري عليهم أحكام الإسلام، كما تجري على أهل الذمة، ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين.
- وأما أهل الأمان: فهم الذين يقدمون بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء يُعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاؤوا دخلوا فيه، وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم.

وهذه الأصناف الثلاثة لا يجوز قتلهم، ولا تحل أعراضهم، ولا أموالهم إلا بحقها. قال ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**»[(١)]، وقد أذن الله تعالى ببرهم، والإحسان إليهم في الظاهر. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨]. «عُني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم»[(٢)]، وهذا لا يعني محبتهم أو مودتهم قلبياً ـ فضلاً عن قبول دينهم والرضى بما هم عليه من الكفر. بل قد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجرد الشك في كفر الكافر من نواقض الإسلام المخرجة من الملة[(٣)].

يقول ابن القيم موضحاً الفرق بين المودة المنهي عنها والإحسان المأذون به: «فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء، وقطع المودة بينهم وبينهم، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك.. وإنما المنهي عنه تولي الكفار، والإلقاء إليهم بالمودة»[(٤)].

ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٩/٤، كتاب: الجزية، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، برقم (٣١٦٦).

(٢) جامع البيان: الطبري ٢٣/ ٢٣٢.

(٣) انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: محمد بن عبد الوهاب ص٣٨٥.

(٤) أحكام أهل الذمة: ابن القيم ١/ ٦٠٢.

حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالمقصود: أن علاقة المسلم بالكافر غير المحارب لا تعدو الإحسان والبر الظاهر مع البراءة منهم وبغض ما هم عليه من الكفر، أما الموالاة والمحبة القلبية فلا تجوز إلا للمؤمن. بل إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه[(١)].

(٢) المجتمع غير الإسلامي:

ومثاله: أن يعيش المسلم في بلد كافر ـ كإحدى الدول الغربية ـ جل أفراده مجتمعه من الكفار، فللحديث عن هذه المسألة شقان: الأول: في حكم الإقامة في بلاد الكفار، والثاني: تعامل المسلم معهم حال إقامته هناك.

أما إقامة المسلم في بلد الكفار، فقد اشترط العلماء لجوازها شرطين:

١ ـ أمن المقيم على دينه، بحيث يكون عنده من العلم، والإيمان، وقوة العزيمة ـ ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ.

٢ ـ أن يتمكن من إظهار دينه، بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع[(٢)].

فإذا تحقق الشرطان[(٣)]، كان تعامله مع أفراد مجتمعه شبيهاً بالتعامل مع

---

(١) قال رسول الله ﷺ: **«إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله»**. أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠/٤٨٨ برقم (١٨٥٢٤). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده، وكذلك قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/٩٤ برقم (٣٠٣٠)، وصححه بلفظ: **«أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله ﷻ»**. في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/٤٩٧ برقم (٢٥٣٩).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: محمد بن عثيمين ٣/٢٥.

(٣) وفي «شرح رياض الصالحين» ٦/٥٨٢ ـ ٥٨٣ أضاف الشيخ ابن عثيمين شرطاً ثالثاً، فقال: «يجب أن يعلم أن السفر إلى بلاد الكفار للإقامة، في دراسة أو شبهها ـ أي: مدة طويلة ـ لا يجوز إلا بشروط ثلاثة:

○ **الشرط الأول**: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

○ **الشرط الثاني**: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات.

○ **والشرط الثالث**: أن يكون هناك ضرورة، بأن يسافر لعلم لا يوجد في بلده، ويحتاج الناس إليه، فهذا لا بأس به. فإذا تمت الشروط الثلاثة جاز للإنسان أن يسافر إلى أرض =

أهل العهد، مع الحرص على إضمار عداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم ومحبتهم[١].

ولا خلاف في أن هجرته عن بلاد الكفر أفضل، بل قد صرح العلماء بالوجوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أحوال البلاد كأحوال العباد، فيكون الرجل تارة مسلماً، وتارة كافراً، وتارة مؤمناً، وتارة منافقاً، وتارة براً تقياً، وتارة فاجراً شقياً، وهكذا المساكن بحسب سكانها، فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة، كتوبته من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة»[٢].

= العدو، وإلا فإنه لا يحل له هذا إن كان سيقيم مدة».

هذا إن كان السفر مؤقتاً، والأمر ذو شك أشد إن كان للإقامة الدائمة. والمسألة تحتاج إلى مزيد تأصيل وتفصيل لا يتسع المقام لبسطه.

(١) وقد أفرد في أحكام التعامل مع الكفار مصنفات، فلتراجع للاستزادة.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٨/ ٢٨٤.

الفصل الرابع

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام.

المبحث الثاني: أبرز آثار حركة «العصر الجديد في وسائل الترفيه».

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام ووسائل الترفيه

لا شك أن هذا العصر هو عصر التقنية، وثورة الاتصالات، وقد أصبح الإعلام فيه عاملاً رئيساً في تشكل الفكر والتوجهات، بل يرى بعض الباحثين أن دور الإعلام في تكوين المبادئ والمفاهيم، يفوق دور الأسرة والمدرسة في بعض الأحيان.

وهذه الثورة المعلوماتية والتقنية سلاح ذو حدين، قد ينفع الله به البلاد والعباد، وقد يحصل بسببها الضلال والفساد. وهي ـ في كلتا الحالتين ـ ذات أثر بالغ الأهمية.

وفي هذا الفصل ـ بإذن الله ـ سيتم استعراض أبرز آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الإعلام الحديثة: كالكتب، والصحف، والأفلام السينمائية، والبرامج التلفزيونية، بالإضافة إلى الألعاب الإلكترونية التي تعتبر من الوسائل الترفيهية.

ولكن قبل البدء بالمباحث المحددة، أنبّه إلى مسألة مهمة ستتكرر الحاجة إليها في هذا الفصل خاصة ـ وإن كانت تنطبق على البحث بأكمله ـ وهي أنه سيرد معنا ذكر لعدد من الأسماء والشخصيات المحلية والعربية، وهؤلاء لا يمكن الحكم عليهم بالجملة بتبني أفكار حركة «العصر الجديد» أو الترويج لها ككل. فإني أغلّب إحسان الظن في أخوتي وأخواتي، وأنهم إنما أُتوا من قبل جهلهم، أو بسبب شبهة أشكلت عليهم وأوهمتهم أن ما هم عليه صواب[1]. فعقيدة وحدة

---

(١) علماً أن منهم من هو على علم تام بما يدعو إليه، ولا يُتصور فيه الجهل.

الوجود عقيدة معقدة وعميقة، يتدرج أصحابها في طرحها على الأتباع، ولذلك أرجو من الله أن لا يكون أحد من هؤلاء داعياً لهذه العقيدة الكفرية، أو عالماً بلزومها لما يدعون إليه.

غير أن ذلك لا يُبرئ ساحاتهم، ولا يخليهم من المسؤولية في الدنيا والآخرة، فالذي يجهل يلزمه التعلم، ومن اشتبه عليه أمر وجب عليه الرجوع إلى أهل العلم لإزالة الشبهة، والذين يجب عليهم ـ في المقابل ـ التأني في الفتوى، والحرص على معرفة واقع تلك الممارسات، وأصولها، ولوازمها ـ قبل الحكم عليها بالتحليل، أو التحريم.

المبحث الأول

آثار حركة «العصر الجديد» في الإعلام

سيتم ـ في هذا المبحث ـ استعراض عدد من المواد الإعلامية التي تُعد نماذج لجوانب من فكر حركة «العصر الجديد»، ولأنه يتعذر تتبع جميع المواد وتقصيها، سأقتصر في كل موضوع على ما يفي بالمطلوب، ويوضح المقصد.

وقد قسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب، كالتالي:

المطلب الأول: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المقروءة.

المطلب الثاني: أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المرئية.

المطلب الثالث: أبرز آثار الحركة في الشبكة العالمية «الإنترنت».

المطلب الأول

أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المقروءة

عندما أتحدث عن وسائل الإعلام المقروءة فإني أريد المواد المطبوعة: كالكتب، والمجلات، وفي السنوات العشر الأخيرة ـ مع زيادة الاهتمام بتطوير الذات، والصحة النفسية، والجسمية ـ أخذت أعداد كبيرة من الكتب الملوثة

بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد» تنتشر في العالم العربي والإسلامي، تحمل عناوين برَّاقة، ووعوداً بالصحة، والسعادة، والنجاح.

وقد برزت بعض دور النشر والمكتبات في نشر تلك الكتب والمطبوعات، وتولت توزيعها في العالم العربي، سأتطرق في هذا المطلب لأشهرها، وأكثرها نتاجاً، وهما: مكتبة جرير، ودار الخيَّال في لبنان. ويليه استعراض لبعض المقالات الواردة في الصحف، أو المجلات العربية.

أولاً: إصدارات مكتبة جرير:

تعمل هذه المكتبة على إصدار عدد كبير من الكتب سنوياً، ولا يبدو أنها تخضع للفحص الشرعي الدقيق، إذ تحتوي كثير من إصداراتها ـ سواء كانت مترجمة[(١)] أم مؤلفة عربياً ـ على مخالفات شرعية تتفاوت في الظهور والخفاء.

وفي الصفحات التالية عرض لأبرز إصدارات المكتبة في السنوات القريبة الماضية مما له تعلق بفكر حركة «العصر الجديد»، وتطبيقاتها المتنوعة. علماً أني سأكتفي بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه، ونبذة مختصرة عن محتواه إن لم يكن واضحاً من العنوان، دون التعرض له بالرد، أو النقد، حيث تم ذلك في مواضع متفرقة من هذا البحث.

(١) الكتب المتعلقة بتطوير الذات:

وكثير من إصدارات جرير الخاصة بتطوير الذات تعزز تعظيم النفس البشرية، وتنسب القدرات «المطلقة»، و«الخارقة»، و«الـ لا محدودة» إليها، وهي مفاهيم مغلوطة وإن لم يكن لها تعلق مباشر بالفكر الباطني لحركة «العصر

---

(١) وهنا أشير إلى خطر الكتب الفلسفية والثقافية، ودورها في انحراف الناس عن المعتقد الصحيح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم إنه لما عُرِّبت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، وقبل ذلك، وبعد ذلك، وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم.. وحصل بسبب تعريبها أنواع الفساد والاضطراب، مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، حتى صار ما مدح من الكتاب والسُّنَّة من مسمى الحكمة، يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كالهند وغيرهم». بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٣٩.

الجديد»، ولكنها ـ بلا شك ـ خطوة في تجاه المحذور. أما الكتب القائمة على فكر الحركة أو المتأثرة به فمنها ما يلي:

- اخرج من طريقك: حرر قوة عقلك لتحصل على ما تريد ـ لايتون بارك.
يدعو الكتاب القارئ إلى ممارسة التأمل والاسترخاء للتوصل إلى التنويم الذاتي، ومن ثم تحقيق الأهداف والتوصل إلى الغايات.
- الشفرة السرية للنجاح ـ نواه سانت جون.
يتحدث الكتاب عن اكتشاف القوى الكامنة داخل الإنسان، وقدراته غير المحدودة من خلال العقل الباطن، لتحصيل الحياة التي يرغب بها الإنسان.
- قوة العقل في القرن الحادي والعشرين ـ جون كيهو.
يتحدث الكتاب عن تحفيز الذات من خلال قوى العقل الباطن والوعي.
- ٢١ صفة للثروة: اجذب إليك الثروة التي تستحقها ـ بيجي ماكول.
من الكتب التي تتحدث عن كيفية جذب الثراء بالوعي والأفكار.
- سحر اليقين ـ كلود ام. بريستول.

كتاب في أثر الأفكار والاعتقادات في جذب الأقدار.

- كتاب السر ـ روندا بيرن (من أكثر الكتب مبيعاً في المكتبة).
جذب القدر، وتحول الفكر إلى واقع.
- علم الثراء: جذب النجاح المالي من خلال الفكر الإبداعي ـ والاس دي. واتلز.
يتحدث عن قانون الجذب.
- تطبيق قانون الجذب: مرشد واقعي نحو تغيير حياتك ـ د. دينا دافيز.
- مفتاح لكل الأبواب ـ تشارلز إف. هانيل.
يتحدث عن قانون الجذب.
- عقلك يعرف أكثر مما تعرف ـ سيدني ريمان.
الكتاب يتحدث عن قدرة العقل الباطن على تحقيق النجاح.
- اصنع مصيرك بنفسك: كيف تحصل على ما تريد في الحياة ـ باتريك سنو.

والترجمة الصحيحة للعنوان: اصنع قدرك بنفسك، وهو يتحدث عن أن العقل هو القوة الصانعة للقدر.

- ارسم مستقبلك بنفسك ـ براين ترايسي.
  يتحدث عن قانون الجذب.
- ستراه عندما تؤمن به ـ وين داير.

وهذا من أخطر الكتب، وفيه تصريح بوحدة الوجود، وأن الطاقة الحيوية هي الإله، وهو كالكتب السابقة يقرر بأن الوعي يصنع الواقع.

- البحث عن ذاتك الحقيقية ـ واتلر ستابلس.
  كتاب يتحدث عن «اليقظة الروحية».
- ما وراء التفكير الإيجابي ـ روبرت آنثني.
  حول قانون الجذب.
- غير أي شيء تقريباً في أقل من ٢١ يوماً ـ روث فيشيل.
  كالسابق.
- سحر اليقين ـ كلود بريستول.
  كالسابق.
- القوة المطلقة ـ جيمز لي فالنتين.
  كالسابق[١].
- قدرات غير محدودة ـ أنتوني روبنز.
- أيقظ قواك الخفية ـ أنثني روبنز.

(٢) الكتب المتعلقة بالعقل الباطن:

- القوة الخفية للعقل الباطن ـ جيمس ك. فان فليت.
- العقل الباطن ـ إرهارد ف. فريتاج.
- المارد الكامن داخل عقلك الباطن ـ هاري كاربنتر.
- تول السيطرة على عقلك الباطن ـ أنتوني تي. جالي.

---

(١) على كثرة المؤلفات في قانون الجذب فإني لم أطلع إلا على كتاب واحد في الرد عليه، وهو من تأليف أ. عبد الله الجعبري بعنوان: «خرافة السر».

- قوة عقلك الباطن ـ د. جوزيف ميرفي (سبق استعراضه بالتفصيل).
- تسخير قوة عقلك الباطن في حياتك العملية ـ د. جوزيف ميرفي.
- العقل بمفهوم (تشي) ـ ريتشارد إزرائيل، وفاندا نورث.
- سحر العقل ـ د. مارتا هيات.

كتاب يتحدث عن تشكيل المستقبل داخل العقل الواعي، واللا واعي. وهو كذلك في جذب القدر.

(٣) الكتب المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية:

- البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة ـ كارول هاريس.
- البرمجة اللغوية العصبية الذكية ـ ديفيد مولدن وبات هاتشنسون.
- البرمجة اللغوية العصبية علم وفن حديث يمكنك من تحقيق ما تريد ـ د. هاري إلدر.
- البرمجة اللغوية العصبية في ١٠ أيام ـ كريستين سازرلاند.
- البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يوم ـ د. هاري إلدر، وبل هيثر.
- تحتاج أن تعرف البرمجة اللغوية العصبية ـ كارولين بويز.
- علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية ـ ستيفن بفستر، وأماندا فيكرز.
- مدرب البرمجة اللغوية العصبية ـ لان ماكدرموت، ووندي جاجو.

(٤) الكتب المتعلقة بالماكروبيوتك والطب البديل:

- طريق الماكروبيوتك نحو الصحة التامة ـ ميشيو كوشي، وألكس جاك.
- الشياتسو: الدليل الكامل ـ كريس جارمي، وغابرييل موجاي.

  طريقة شرقية للتدليك تعتمد على مسارات الطاقة.
- العلاج بتدليك اليدين والرجلين ـ باربرا وكيفن كونز.

  خاص بمسارات الطاقة ونقاط الوخز عليها.
- الدليل المصور الكامل للعلاج بتدليك القدم ـ إنجي دوجانز.

  كالسابق.
- اللمس والمد: الشياتسو للجميع ـ تورو ناميكوشي.

  كالسابق.

- النقاط الفعالة للعلاج بالضغط ـ مايك ريد جاتش.

كالسابق.

- اليوجا في ٥٠ دقيقة ـ كارسو مندي.
- تحتاج أن تعرف اليوجا ـ باتريسيا أي. رالستون وكارولن سمارت.
- يوجا إينجار القديمة ـ جودي سميث.
- التأمل للمبتدئين ـ د. ستيفاني كليمنت.

كتاب حول التأمل الشرقي.

ثانياً: إصدارات دار الخيال للنشر والتوزيع:

رغم أن مقر هذه الدار في لبنان، إلا أن كتبها توزع في أنحاء العالم العربي، ويمكن الحصول على عدد كبير منها في المكتبات المحلية.

(١) مؤلفات أوشو (Osho)[1]:

- ألف باء التنوير ـ أوشو.

دليل إلى الاستنارة الباطنية.

- تأملات قبل النوم يوماً بعد يوم ـ أوشو.

تأملات يومية للمتصوف الهندي أوشو، حول طبيعة الوجود.

- السيف الماسي: عودة إلى التنوير ـ أوشو.
- صباح الخير ـ أوشو.

يتحدث عن رؤى أوشو حول جملة من الموضوعات منها: طبيعة النشوة، الألوهية، والتأمل.

---

(١) أوشو: هو فيلسوف باطني هندي، واسمه باغوان شري راجنيش. ولد عام ١٩٣١م في الهند، وكان متحدثاً مثيراً للجدل، يكثر من انتقاد الديانات «المنظمة». في عام ١٩٧٤م أسس مركزاً يروج لممارسات حركة القدرات البشرية الكامنة، وكان يجذب أعداداً متزايدة من الزوار الغربيين. انتقل للولايات المتحدة في الثمانينيات بعد خلافات مع الحكومة الهندية، وأسس جماعة هناك، وكان لفكره أثر كبير في حركة «العصر الجديد». توفي في الهند بعد أن طرد من أميركا في عام ١٩٩٠م.

انظر: Osho: The Luminous Rebel-Vasant Joshi.

- صيدلية النفس ـ أوشو.

مجموعة من التأملات، وتمارين الاسترخاء واليقظة.

- من العلاج إلى التأمل ـ أوشو.

محاولة للجمع بين التأمل والفلسفات الشرقية وبين الطب التجريبي الحديث.

(٢) الكتب المتعلقة بالمبادئ الفلسفية:

- تأملات لإدراك الروح ـ تشوا كوك سوي.

يتحدث الكتاب عن الاتحاد بين طبيعة الإنسان والكون.

- رحلة الروح ـ مايكل نيوتن.

يروي فيه المؤلف قصصاً يرى أنها تدل على تناسخ الأرواح.

- زهرة اللوتس الذهبية ـ تشوا كوك سوي.
- خطوات نحو ما يسميه المؤلف «التنوير الداخلي».
- العناصر الخمسة والسوق العشرة مم ـ كيكو ماتسوموتوا، وستيفن بيرش.
- قوة الآن: الدليل إلى التنوير الروحي ـ إكهارت تولي.

كتاب يمثل فلسفة تولي في الحياة والوجود من حيث إنكار الذات المستقلة والتأكيد على أن الوجود كله تجليات للوعي الكلي.

- المبدأ الفريد ـ جورج أوشاوا.

يُعرض هذا الكتاب فكرة الفلسفة الشرقية المرتكزة أساساً على الفلسفة الهندية واليابانية والصينية، محاولاً إثبات انسجامها مع العلم الحديث. والمبدأ الفريد هو الوجود المطلق.

- نظام الكون (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) ـ جورج أوشاوا.

كتاب يتحدث عن نظام الكون من منظور الفلسفة الشرقية ووحدة الوجود.

(٣) الكتب المتعلقة بالطاقة الحيوية:

- درجات الطاقة في معرفة الذات ـ جمان، ورفاه السيد.

الكتاب يتحدث عن أساليب توظيف فلسفة «الطاقة» في نواحي الحياة المختلفة.

- الدفاع النفسي الطاقي في المسكن ومكان العمل ـ تشوا كوك سوي.

- الريكي واختيار الحياة السعيدة ـ جمان السيد.
- العلاج البراني بالكرستال ـ تشوا كوك سوي.
- العلاج النفسي البراني ـ تشوا كوك سوي.
- العلاج بطاقة الحياة الملونة: كتاب عملي في المعالجة البرانية المتقدمة ـ تشوا كوك سوي.
- معجزات الشفاء البراني ـ تشوا كوك سوي.
- الوجوه الأربعة للطاقة ـ د. رفاه وجمان السيد.

والمقصود بها: طاقة الأرض، والطاقة الكامنة، وطاقة السماء (الريكي) وطاقة المكان (الفونغ شوي).

(٤) الكتب المتعلقة بالماكروبيوتك:

- الشفاء: المعالجة الطبيعية من خلال الماكروبيوتك (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) ـ ميشيو كوشي.
- صحتين: طعام الماكروبيوتك الموسع ـ مريم نور وكمال مرزوق.
- صيدلية المنزل الغذاء والدواء (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) ـ ميشيو كوشي.
- الماكروبيوتك المعاصر في الصحة والسلامة (سلسلة مكتبة الماكروبيوتك) ـ إدوارد إسكو.

(٥) الكتب المتعلقة بممارسات وتطبيقات متنوعة:

- التنفس التحولي: العلاج بالتنفس طاقة الحياة لخدمة أنفسكم والآخرين ـ جوديت كرافيتز.
- العلاج الشامل بالضغط بالأصابع للأمراض الشائعة ـ محمد عمرو.

المقصود الضغط على مسارات الطاقة لتنشيط سريان الطاقة الحيوية في الجسد، وهو مبني على الفلسفة الشرقية في التداوي والعلاج.

- علم الأيورفيدا: نظام التداوي الطبيعي في الهند (مكتبة) ـ سمير عازار.

الأيورفيدا طريقة علاجية منتشرة في الهند وعند أتباع حركة «العصر الجديد» تقوم على الفلسفة الهندوسية في وحدة الوجود.

- فن العلاج الذاتي للجسم: الشياتسو ـ أوهاشي.

الشياتسو يعمل من خلال الضغط على مسارات الطاقة.

- الفنغ شوي واختيار الحياة الصحية ـ جمان السيد.

ثالثاً: الصحف والمجلات:

أما ما ورد في الصحف والمجلات، فيتضمن مقالات تعريفية ببعض ممارسات حركة «العصر الجديد»، أو مقابلات مع من يروج لتلك الممارسات. وفيما يلي شيء من العناوين التي تصدرت بعض الصحف والمجلات العربية:

- صحيفة (الاتحاد) الإماراتية الأحد ١٥ فبراير ٢٠٠٩م نشرت مقالاً بعنوان: (الماكروبيوتيك يؤسس لنظام غذائي قوامه الحنطة والورقيات).
- صحيفة (الأنباء) الكويتية السبت ١٣ صفر ١٤٣٣هـ العدد: ١٢٨٦٩ نشرت لقاء بعنوان: (العلاج بالطاقة «ريكي» يساعد الجسم على التحكم في المشاعر والتخلص من السموم ويعزز الشعور بالطمأنينة).
- صحيفة (الأنباء) الكويتية السبت ١٣ صفر ١٤٣٣هـ العدد: ١٢٨٦٩ نشرت مقالاً بعنوان: (التأمل يساعد على الصفاء الذهني والسلام الداخلي).
- صحيفة (الرأي) الأردنية السبت ١٢ تشرين الثاني ٢٠١١م نشرت مقالاً بعنوان: (الغلاء وتقلب ظروف الحياة تدفع الناس للجوء لمراكز العلاج بالطاقة والروحانيات).
- صحيفة (الرأي) الكويتية ١٠ ـ ١١ ـ ٢٠٠٩م العدد: ١١٠٨٩ نشرت لقاء بعنوان: (حصة الشميمري للرأي: الـ «ميغ يوغا» تفعّل التوازن بين الجوانب النفسية والجسدية والروحية).
- صحيفة (الرأي) الكويتية الثلاثاء ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨م العدد: ١٠٧٠٤ نشرت مقالاً بعنوان: (العلاج بالطاقة للباحثة وفاء العلي).
- صحيفة (الرياض) السعودية الأحد ٢٧ محرم ١٤٢٧هـ العدد: ١٣٧٦١ نشرت مقالاً بعنوان: (الظواهر الخارقة وفيزياء الكم).
- صحيفة (الرياض) السعودية الأحد ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ العدد: ١٥٤٨٣ نشرت مقالاً بعنوان: (اليوغا أفضل لتحسين المزاج من التمارين الرياضية).

- صحيفة (الرياض) السعودية الخميس ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٦هـ العدد: ١٣٧٠٢ نشرت مقالاً بعنوان: (الماكروبيوتيكي... يخلص الجسم من السموم ويؤمن له الغذاء المتوازن).
- صحيفة (الرياض) السعودية الخميس ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ العدد: ١٤٨٨٥ نشرت مقالاً بعنوان: (النمو الروحي والسلام الفكري)[١].
- صحيفة (الرياض) السعودية الأربعاء ٩ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ العدد: ١٥٤٣٣ نشرت مقالاً بعنوان: (العصر الجديد).
- صحيفة (القبس) الكويتية الأربعاء ٢٩ رجب ١٤٣٠هـ العدد: ١٢٩٨٥ نشرت لقاء بعنوان: (حصة الشميمري الأمين العام للاتحاد العالمي لليوغا في منطقة الخليج: اليوغا الطريق الأهم للشفاء من الأمراض).
- صحيفة (القبس) الكويتية السبت ١١ صفر ١٤٣٠هـ العدد: ١٢٨٢١ نشرت مقالاً بعنوان: (اليوغا للجميع: وضع الجمل أوستر آسانا ويوغا مودرا).
- صحيفة (القبس) الكويتية في الخميس ٨ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ العدد: ١٣٦٣٢ نشرت مقالاً بعنوان: (خبيرة العلاج بالطاقة مها نمور: طاقة جسدك... داء ودواء).
- صحيفة (النهار) الكويتية ٣ ـ ٢ ـ ٢٠١٠م العدد: ٨٦٤ نشرت مقالاً بعنوان: «(الريكي» يعالج الأمراض العضوية... والملل الزوجي).
- صحيفة (الوسط) البحرينية الأربعاء ٨ شوال ١٤٢٤هـ نشرت مقالاً بعنوان: (ليست مجرد رياضة.. بل سفر نحو المعرفة والحب. الموسوي: اليوغا... منافع جسدية وعقلية وروحية).
- صحيفة (عكاظ) الجمعة ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ نشرت لقاء بعنوان: (باستخدام الطاقات الكونية والجسدية الريكي.. يعزز الثقة ويقتل الشك ويعالج كثيراً من الأمراض).

---

(١) تقول فيه الكاتبة سالمة الموشي: «الثقافة الروحية مثل (تعزيز مبادئ السلام، المحبة، الخير...) هي جهود ثقافية تتحقق بالوعي الجمعي بين البشر، من خلال نشر المعرفة الروحية التي يحتاجها الإنسان، وأن تطور الإنسان روحياً ينعكس في الحياة اليومية والفكرية».

المطلب الثاني

أبرز آثار الحركة في وسائل الإعلام المرئية

عندما أتحدث عن وسائل الإعلام المرئية فإني أقصد بالأساس وسيلتين رئيستين: أولاهما: ما يُعرض في الجهاز المرئي (التلفزيون). وثانيهما: ما يُعرض في دور (السينما)[١].

ولأنه ـ كما سبق في المطلب السابق ـ يتعذر تقصي كل ما يُعرض من المواد الإعلامية ذات التعلق بفكر الحركة، سأقتصر على ذكر عدد من النماذج التي توضح المقصود.

أولاً: التلفزيون:

ويمكن تقسيم ما يُعرض فيه إلى: مسلسلات تلفزيونية، وبرامج متنوعة.

(١) المسلسلات التلفزيونية:

وسأستعرض هنا مسلسلاً واحداً بشيء من التفصيل، نظراً لتأثره الكبير بفلسفات حركة «العصر الجديد».

مسلسل «لوست» (Lost):

وهو مسلسل تلفزيوني درامي شهير عُرض ـ بدءاً ـ على قناة abc الأميركية منذ عام ٢٠٠٦م وحتى ٢٠١٠م بعنوان: الضائعون (Lost). وقد بدأت mbc action قناة العربية بعرضه مترجماً منذ عام ٢٠٠٧م[٢].

تحكي قصته[٣] عن مجموعة من الركاب الذين وجدوا أنفسهم في جزيرة مجهولة بعد أن تحطمت طائرتهم المتجهة من أستراليا إلى الولايات المتحدة. وفي هذه الجزيرة، وعلى تصرفات سكانها تظهر أفكار حركة «العصر الجديد»، بالإضافة إلى الرمزية الباطنية والوثنية بشكل كبير.

ونظراً لكثرة المخالفات العقدية في المسلسل[٤]، فلن أتمكن من

---

(١) ويتفرع عن ذلك ما يباع من تلك المواد لاحقاً على أشكال أقراص DVD، أو ما شابه ذلك.

(٢) تصفح الموقع الرسمي للقناة: www.mbc.net/mbc/ar/mbc.action

(٣) توجد حلقات المسلسل مفرغة (كتابياً) على موقع: wwwlostpedia.com

(٤) وكذلك لكثرة حلقاته، حيث عرض في ستة مواسم، يحتوي كل موسم على ٢٠ حلقة تقريباً.

عرضها بالتفصيل، ولكني سأجملها تحت خمسة عناوين رئيسة:

١ ـ دلالات الأسماء:

يمكن ملاحظة الرمزية في مسلسل «لوست» ابتداء، وبمجرد استعراض أسماء شخصيات المسلسل، حيث أطلق على كثير منهم أسماء فلاسفة مشهورين، يتناسب كل اسم مع جانب من شخصية الذي يحمل ذلك الاسم، ومن ذلك:

١ ـ إدمونك برك[١] (Edmund Burke).

٢ ـ آنتوني كوبر[٢] (Anthony Cooper).

٣ ـ جون لوك[٣] (John Locke).

٤ ـ جيرمي بنتهام[٤] (Jeremy Bentham).

٥ ـ روسو (Jean-Jacques Rousseau).

٦ ـ هيوم[٥] (David Hume).

٧ ـ رتشارد آلبرت (Richard Alpert).

٨ ـ مايكل فاراداي[٦].

---

(١) **إدموند برك**: هو كاتب وسياسي إيرلندي، ولد في عام ١٧٢٩م. اشتهر بتأييده للثورة الأميركية ومعارضته للثورة الفرنسية. له عدد من المؤلفات، منها: تبرئة المجتمع الطبيعي. توفي في عام ١٧٩٧م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 7766.

(٢) **آنتوني كوبر**: هو الإيرل الأول لشافتسيري في إنجلترا، ولد في عام ١٦٢١م، كان سياسياً مبرزاً في عهد الملك تشرلز الثاني، وهو معروف بنصرته للفيلسوف المعروف: جون لوك. توفي عام ١٦٨٣م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 44185.

(٣) **جون لوك**: هو فيلسوف نجليزي ولد في عام ١٦٣٢م، وهو مؤسس التجريبية البريطانية، كان يؤمن بحرية الطبقات المتوسطة وحقها في التملك. كما عُرف بإيمانه بالعلم. توفي ١٧٠٤م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 29119.

(٤) **جرمي بنتهام**: هو إصلاحي سياسي بريطاني ولد في عام ١٧٤٨م، اشتهر بتأييده للمدرسة النفعية، وحقوق الحيون، والفصل بين الدين والدولة، وحقوق المرأة. توفي عام ١٨٣٢م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5233.

(٥) **ديفيد هيوم**: هو مؤرخ، وفيلسوف سكوتلندي، ولد في عام ١٧١١م، اشتهر بفلسفته التجريبية وتشككه، وهو من أكثر الفلاسفة تأثيراً في الفلسفة الغربية. من مؤلفاته: بحث في الطبيعة الإنسانية. توفي عام ١٧٧٦م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 23291.

(٦) **مايكل فراداي**: هو عالم فيزيائي وكيميائي بريطاني، ولد في عام ١٧٩١م، أسهم في =

٩ ـ ميخائيل باكونين[١] (Mikhail Bakunin).

٢ ـ الأعداد:

يتكرر استخدام أعداد محددة خلال حلقات المسلسل (٤ ٨ ١٥ ١٦ ٢٣ ٤٢) مع الإشارة إلى عدة معان رمزية لهذه الأعداد. ومن ذلك كونها عوامل في معادلة رياضية تحدد تاريخ انقراض البشرية. وقد أشار أحد كتاب المسلسل إلى أن الأعداد تحمل معاني باطنية[٢].

٣ ـ الديانات الشرقية:

بسبب الأحداث الغريبة التي تحدث في الجزيرة، وبسبب الخلفيات المتنوعة لسكانها، فإنه يتم التعرض لعدد من الديانات المختلفة، ومن أبرزها: الديانات والفلسفات الشرقية.

الهندوسية: تتسمى الجهة البحثية التي تتولى دراسة الجزيرة وخواصها الغربية بـ «مبادرة دهارما»[٣] (DHARMA Initiative) ولها رمز يجمع بين اسمها وبين رمز تثليثات الين يانغ الطاوية التي تظهر في كتاب التغيرات (I Ching)[٤].



رمز مبادرة دهارما

= مجال الطاقة الكهرومغناطيسية، وابتكر الحواجز التي تستخدم اليوم في حجرة فارادي. توفي عام ١٨٦٧م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 16769

(١) **ميخائيل باكونين:** هو ثوري روسي، ومنظر للـ لا سلطوية الجمعية (Colletivist Anarchism)، ويسمى أب الـ لا سلطوية. ولد في عام ١٨١٤م. له عدد من المؤلفات، منها: الإله والدولة. توفي سنة ١٨٧٦م.
انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 3964.

(٢) انظر: Interview E! online with Damon Lindelof May 9 2008.

(٣) دهارما: يُقصد بمبدأ النظام العام (دهارما) الأخلاق والواجبات والالتزامات الفردية أو الفضيلة بشكل عام. وهو مفهوم عقدي مشترك بين الهندوس وكثير من الفلسفات الهندية. فالذين يعيشون في انسجام مع دهارما يحققون الانطلاق ومن ثم التوحد بشكل أسرع. وفي الفلسفة الهندوسية تندرج كل المبادئ التي تحكم العالم والإنسان تحت هذا النظام العام.
انظر: الفكر الشرقي: د. يونج شوون كيم ص٣١، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص١٣٤.

(٤) كتاب التغيرات: هو كتاب مقدس في الديانة الطاوية، يقوم على الكهانة، ويهدف إلى تحقيق التناغم مع الطاو. =

كما أطلق اسم «ناماستي» (Namaste) على إحدى الحلقات (٥: ٩)، وهي تحية هندوسية تعني الاعتراف بالوجود الإلٰهي داخل الإنسان[١].

وقد تمت الإشارة إلى عقيدة الكارما الهندوسية في أكثر من موضع[٢]، واتبعت الطرق الهندوسية في التكفين والدفن في الحلقة (٣: ٥). بالإضافة إلى شخصية رتشارد آلبرت الذي يطابق اسمه اسم أحد أشهر رجال الهندوسية الغربيين في حركة «العصر الجديد». هذا وقد ظهرت صور ومجسمات للآلهة الهندوس في مواضع متعددة من حلقات المسلسل[٣].

الطاوية: يظهر في عدد كبير من الحلقات[٤] الإشارة إلى الثنائية الباطنية التي تمثل عقيدة رئيسة في الديانة الطاوية[٥]، ويُرمز لها باللونين الأبيض والأسود. أو شعار الطاو، والين يانغ. كما يظهر رمز التثليثات في شعار «مبادرة دهارما».


دهارما كاكرا

البوذية: يُعرض في «لوست» عدد من المبادئ البوذية وخاصة بوذية زن، فعلى سبيل المثال: في الحلقة (٤: ١١) يقوم آلبرت باختيار لوك على طريقة «دلاي لاما» (Dalai Lama) البوذية[٦]. وفي حلقة (٢: ٥) إشارة إلى أن الإنسان

= انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب: ٢١٥، و The Inner Structure of the I Ching-Govinda & Huang: (xii-xvii).

(١) انظر: Namaste: We Are One-Deborah Hoofer: 64.

(٢) ١: ١١، ١: ١٦، ٣: ٢٢، ٥: ١، ٤: ٧.

(٣) ٣: ٩، ٦: ١٧.

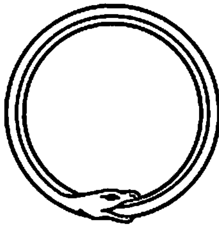
(٤) منها: ١: ٢، ١: ٦، ١: ١٠، ٣: ٧، ٤: ٤، ٦، ٥: ١٥ ـ ١٦، ٦: ٩، ٦: ١٥.

(٥) انظر: كتاب التاو: هادي العلوي ص٧٧.

(٦) في البوذية اعتقاد أن «البوذا» أو المايتريا يعاد تجسيده من خلال التناسخ، ويعتبر مجدداً باعثاً للمعتقدات المندرسة. يستغرق البحث عن «البوذا» من سنتين إلى ثلاث سنوات، وتستخدم الجماعات المسؤولة عن إيجاده عدداً من الأساليب لتحديد مكانه. فإذا ظنوا أنهم وجدوا الشخص المطلوب أخضعوه لاختبارات محددة، أبرزها عرض بعض ممتلكات «البوذا» السابق له والنظر إن كان بإمكانه التعرف عليها، حيث تعتبر ـ في اعتقادهم ـ ممتلكات له هو في حياة سابقة ينبغي أن يتذكرها. وهذه هي الطريقة التي استخدمت في المسلسل المذكور.
انظر: Dictionary of Religion and Philosophy-Geddes McGregor: 165.

لا يجد ما يبحث عنه إلا عندما يتوقف عن البحث، وهو مبدأ رئيس في بوذية زن[١]. كما تم عرض بعض العبارات البوذية في (٣: ٧) في غرفة هُيئت لإعادة تأهيل الأسرى كعبارة: (نحن السبب في معاناتنا) و(كل شيء يتغير) التي هي إحدى المبادئ البوذية الثلاث و(القضاء على الرغبات هي النيرفانا) (جرد طبيعتك الاعتيادية وجد طبيعتك الحقيقية)[٢]. كما تظهر عجلة «دهارما كاكرا» (Dharmacakra) التي ترمز للطريق الثماني في الفلسفة البوذية في عدد من المواضع من حلقات المسلسل[٣]. وتظهر مجسمات وصور لـ «بوذا» في مواضع متعددة كذلك[٤].

٤ ـ الكهانة والتنجيم والديانات الوثنية:


رمز أوروبس

يتم اللجوء للكهنة، والمنجمين، أو قراءة كتبهم للتنبؤ بالمستقبل في عدد من الحلقات[٥]. وفي حلقة (٢: ١٩) يتم اللجوء لمعالج «روحاني» يعالج المرضى بالطاقة الحيوية. كما يظهر رمز أوريبوورس (Ouroboros) للديانة الهرمسية والخيمياء السحرية في الحلقة (٣: ٨). ويكثر إطلاق أسماء الآلهة الإغريقية على أشياء مختلفة، كأبولو (Apollo) إله النور والعلم، هيدرا (Hydra) إله الماء، هيليوس (Helios) إله الشمس، وبيرسيفون (Persephone) إله العالم السفلي[٦].

٥ ـ الفيزياء الكمية:

يحصل في المسلسل ـ الخلط بين الفيزياء الحديثة وبين المبادئ الفلسفية وعلم الخوارق، فالجزيرة لها صفات غريبة، فهي لا تُرى من الخارج، والوقت فيها أبطأ منه في خارجها، ويحصل فيها التنقل بين الماضي والحاضر

---

(١) انظر: Essays in Zen Buddhism-Suzuki: 19.

(٢) انظر: الحكمة البوذية: حلقة الدراسات الهندية ص٤٣ ـ ٤٦، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص١٩١ ـ ١٩٧، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص٢٦٩.

(٣) ١: ١٤، ٢: ١٩، ٤: ١٣ ـ ١٤، ٥: ٥، ٦: ١٧.

(٤) ٣: ٨، ٣: ٧، ١: ١٧.

(٥) ١: ٨، ١: ١٠، ٣: ١٠، ٣: ١٥.

(٦) أطلقت الأسماء على أماكن، ومأكولات، ومراكز، وغير ذلك.

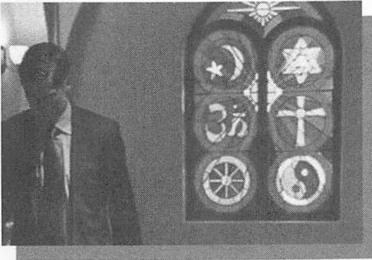
والمستقبل، وبعض سكانها لا يشيخون، وهو ما تتم دراسته على يد بعض الفيزيائيين ضمن نظريات آينشتاين النسبية[١]، والتي سبقت الإشارة إليها وإلى دورها في حركة «العصر الجديد».

٦ ـ نسبية الخير والشر:

وهذا المبدأ يظهر من خلال استعراض بعض المشاهد التي تُظهر الأحداث والمواقف من أكثر من جانب، فيعرض مشهد يحكم عليه المشاهد بأنه خطأ وشر، ثم يُعرض من جهة أخرى تُبين الدوافع خلف الفعل فيظهر وكأنه خير. وتعرض بعض الشخصيات المتعادية التي يحتار فيها المشاهد أي الفريقين على صواب، بخلاف ما هو معهود في الأفلام والمسلسلات حيث يتم الفصل بين الخير والشر بشكل واضح[٢].

٧ ـ وحدة الأديان:

يظهر ذلك في الحلقة الأخيرة من مسلسل «لوست»، حيث تجتمع جميع شخصيات المسلسل ـ على اختلاف خلفياتهم ومعتقداتهم ـ في دار للعبادة يشبه الكنيسة، ولكنه يجمع بين الرموز المقدسة للأديان كلها. ويتبين أن الحاضرين كلهم قد وافتهم المنية في أوقات متفاوتة، وهم الآن في نوع من «البرزخ» بين حياتهم السابقة وبين المرحلة اللاحقة، والتي تقع خلف أبواب الكنيسة، ويغلفها الضوء والنور. بينما تظهر على جميعهم السعادة والراحة[٣].



هذا، وإن ما يشاهده شباب المسلمين ليس مقصوراً على ما يُعرض في القنوات الفضائية العربية[٤]، فقد أصبحت هذه المسلسلات الأجنبية مما يتم

(١) ٤: ٥، ٥: ١.
(٢) ومثال ذلك سكان الجزيرة (The Others)، وشخصية جيكوب (Jacob)، والضائعون أنفسهم، ولا يتسع المجال لتفصيل ذلك.
(٣) ٦: ١٧.
(٤) وهذا ليس تقليلاً من دور الفضائيات العربية في نشر مثل هذه اللوثات العقدية، بل =

تناوله بطرق متنوعة، ويقوم بعض الأفراد بترجمتها إلى اللغة العربية لمن يحتاج إلى ترجمة. ولعل ما ذكرته يُعتبر من أبرز الأمثلة على أثر حركة «العصر الجديد»، وهو وإن لم يكن المثال الوحيد، إلا أنه أكثرها تأثراً وتأثيراً.

(٢) برامج اللقاءات والمقابلات:

والمقصود هنا هو البرامج التي تعقد لقاءات ومقابلات مع شخصيات تتبنى فكر حركة «العصر الجديد» أو شيئاً من ممارساتها وتطبيقاتها، وهذا لا يعني أن البرنامج كله معني بالفلسفات الباطنية، أو حتى أنه على علم بتلك الفلسفات. وفيما يلي قائمة موجزة ببعض اللقاءات التي أجريت حول هذه المواضيع. ومنها ما يلي:

- قناة: mbc برنامج (شواهد). لقاء مع د. أحمد نصار حول طاقة الأهرام.
- قناة: mbc برنامج (شواهد) بعنوان: التقمص. لقاء مع مجموعة من الناس يدعون أن أرواحهم تناسخت ويذكرون حيواتهم السابقة.
- قناة: mbc برنامج (صباح الخير يا عرب) لقاء مع جورج استانبولية حول مراكز الطاقة (الشاركات).
- قناة: mbc برنامج (صباح الخير يا عرب) لقاء مع مها هاشم حول العلاج بالطاقة.
- قناة الجزيرة: برنامج (حديث الصباح) لقاء مع د. منى غريب، وسهير فليفل بعنوان: أسرار علم الطاقة.
- قناة الرأي: برنامج (مسائي) لقاء مع محمد المعتوق حول قانون الجذب.
- قناة الشاهد: برنامج (دينار واستثمار) لقاء مع حسن سعد، بعنوان: كشف السر. حول دور الطاقة الكامنة في الحصول على الثراء.
- قناة الصباح: برنامج (نص اليوم) لقاء مع د. سعود الحميدان حول الطاقة الكونية والعلاج بالأحجار الكريمة.

= قد تعرض ما هو أكثر صراحة في تأثره بالديانات الوثنية الحديثة، كما في مسلسل (Charmed) الذي عرض على قناة mbc4، ويحكي قصة ثلاث فتيات ساحرات، يسلكن طريقة الويكا. وكذلك مسلسل (Supernatural) المعني بالخوارق والذي يُعرض على قناة mbc action.

تصفح: الموقع الرسمي لـ www.mbc.net.mbc4.view full schedule mbc

- قناة الفتح: برنامج (إلى الأمام) مع محمد السيسي حول العقل الباطن وقدراته غير المحدودة.
- قناة الفراعين: برنامج (مصر اليوم) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
- قناة الناس: برنامج (العيد) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
- قناة النيل: برنامج (نهارك سعيد) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
- قناة خليجية: برنامج (يا هلا) لقاء مع جورج استانبولية بعنوان: اليوغا المكتبية.
- قناة دريم: برنامج (شبابيك) لقاء مع محمد زكريا حول قانون الجذب.
- قناة صحة الفضائية: برنامج (شاي المساء) لقاء مع د. عبد الرحمٰن الغرير حول الطاقة الحيوية.
- قناة عيون: (برنامج أبعاد) لقاء مع أنمار بعنوان الباراسيكولوجي والطب البديل.
- قناة مصرية: برنامج (عز الشباب) لقاء مع محمد عيسى حول جلسات التأمل.

علماً أن ما ذُكر ليس إلا طرفاً مما عُرض في القنوات الفضائية العربية ولا يزال، وهو مجرد أمثلة وإشارات إلى جانب من الواقع الذي يعيشه الإعلام العربي اليوم.

(٣) القنوات الغنائية:

ليس الحديث هنا عن حرمة الغناء، والمعازف، والتفصيل في أدلة ذلك[١]، وإنما عن منكر إضافي هو أشد خطورة وإضراراً. فعندما توظف الأغنية في نشر مبدأ منحرف، أو فكر باطل يكون خطرها أعظم، وتأثيرها أشد. وإن كنت لا أزعم أن هذه ظاهرة منتشرة في القنوات الغنائية، حيث لم أطلع سوى على نموذج واحد يتكون من مجموعة أغان لـ صلاح الراشد[٢]، تحمل الرسائل التي

---

(١) انظر ـ مثلاً ـ: الغناء والمعازف في ضوء الكتاب والسُّنَّة، وآثار الصحابة ﷺ: د. سعيد القحطاني.

(٢) الألبوم بعنوان: (كن ما تشاء)، ويحوي عدداً من الأغنيات العربية والإنجليزية، عناوينها كالتالي: =

يدعو إليها حول المحبة والسلام المطلقين وجلسات التأمل والصمت، وأبرزها ما يُعرف بقانون الجذب متمثلاً في أغنية بعنوان: (كن ما تشاء). وكلماتها كالتالي:

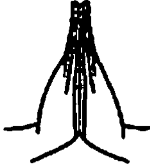
كن ما تشاء..
حَكَم القضاء..
إن الذي تنويه كائن..
أرض سماءُ.. بر وماءُ..
قد سخرت لك والمدائن..
أنت الذي فُضلت خلقاً..
وأنت الذي سبق المكائن..
أطلب تمنى.. لا تيأسن..
فبرغباتٍ تحرك ساكن..
الكون ذو سعة والفكر مفتاح..
والنية الحسنة في الدرب مصباح..
كم فكرة صعدت في الأفق واتسعت..
كم نية سلكت أرضاً بها امتلأت..
هيا بنا ننشر في النفس أجواء..
نحيي الموات بها في هذه الساعة..

= Gaza غزة.
I'm Grateful أنا ممتن.
Peace is the Way السلام هو الطريق.
كن ما تشاء.
لو ألب بيشعرها (كذا. ولعل المقصود بها: قلب في بعض اللهجات العربية).
السعودية.
أنا أعرف ربي.
أنا أغني.
جلسات صمت.
طلع البدر.
تُعرض أغاني صلاح الراشد المصورة على قناة «روتانا» الفضائية الغنائية.

يا رب قوينا.. أحدث لنا نية..

يا رب وامنحنا بذي اللحظة أمنية..

تُعرض أغاني صلاح الراشد المصورة على قناة «روتانا» الفضائية الغنائية، وفي تصوير أغنية (كن ما تشاء) يظهر صلاح الراشد وطفلان (صبي وفتاة) يحلم كل منهما بشيء يتحقق في نهاية التصوير. ولكن اللافت للانتباه هو أن كلا من الراشد والطفلين لا يرفع أحد منهم يديه إلى السماء في وضعية الدعاء عند المسلمين، وإنما يُطبق كفيه في وضعية «أنجالي مودرا» (Anjali Mudra)(١) الهندوسية!



أنجالي مودرا

(٤) قنوات فضائية مخصصة لبث فكر حركة «العصر الجديد»، أو يغلب عليها ذلك:

وتتمثل في قناتين فضائيتين:

١ ـ قناة (Supreme Master TV) السيد السامي(٢):

ليس لهذه القناة لغة محددة، فجميع برامجها تبث مترجمة إلى لغات متعددة، منها اللغة العربية. وحسب موقعهم على الشبكة العالمية(٣) فإن قناة «السيد السامي» هي قناة عالمية غير ربحية تبث من الولايات المتحدة. ويشير اسمها إلى الروح الإلٰهية التي في جميع الكائنات.

ومن البرامج التي تُعرض على القناة ما يلي:

- Between Master and Discople ـ بين المعلم والتلميذ: يُستعرض فيه حوارات وأحداث تحصل بين المعلمين الباطنيين وبين أتباعهم.

---

(١) **انجالي مودرا**: هي إحدى أشهر الإشارات اليدوية التي يفعلها الهندوس في طقوسهم ورقصاتهم، وفي حركات اليوغا، وهم يستخدمونها في التحية، ولكنها ليست مجرد تحية إذ تعني: (أنا أنحني للإلٰه الذي بداخلك، والإلٰه الذي بداخلي)، وهي إشارة إلى وحدة الوجود واعتقاد أن «الإلٰه» كامن في الموجودات جميعها. ولذلك توجه هذه المودرا إلى كل شيء؛ للآلهة، وللمعلمين، وللأصدقاء، والغرباء، بل للأشجار والأنهار المقدسة كذلك.
انظر: The Healing Power of Mudras-Rajender Mener: 38, and Illustrated Dictionary of Symbols-James All: 133.

(٢) تبث هذه القناة ـ في الشرق الأوسط ـ على القمر الصناعي Hotbird و Eurobird.

(٣) www.supermemasterstv.com.aboutus

- Enlightening Entertainment ـ الترفيه المنير: تعرض فيه برامج وثائقية روحانية.
- Health Living ـ الحياة الصحية: تُعرض فيه وسائل تحقيق الصحة المثالية، كثير منها متعلق بالفكر الباطني لحركة «العصر الجديد»، كاليوغا، والماكروبيوتك، وما شابهها.
- Our Noble Lineage ـ نسبنا النبيل: تعرض فيه الأصول الدينية والعقدية للنظام الغذائي النباتي.
- Science and Spirituality ـ العلم والروحانية: تعرض فيه القضايا الفلسفية من وجهات نظر «علمية»، ومحاولات للجمع بين العلم والفلسفة الباطنية.
- The World Around Us ـ العالم من حولنا: رحلات حول العالم لاستطلاع المواقع الروحانية والوثنية المقدسة.
- Words of Wisdom ـ كلمات حكيمة: محاضرات وقراءات لقادة الروحانية الباطنية[1]، فيها تصريح بتأليه الذات ووحدة الوجود والتصرف بالقدر.

٢ ـ قناة (Smartsway) طريق النجاح:

وهذه القناة تحت إدارة صلاح الراشد وهي تابعة لمركز الراشد للتنمية البشرية، غير أن بثها ـ فيما يبدو ـ متوقف حالياً، وتعرض أبرز برامجها على قناة «سمارتس وي» على اليوتيوب. ولذلك سيتم الحديث عنها في المطلب التالي بإذن الله.

ثانياً: الأفلام السينمائية:

لقد حصل تغير في توجهات السينما الغربية، والأميركية على وجه الخصوص، في العقدين الماضيين، حيث أصبح ثمة ميل إلى القصص ذات الأبعاد الروحانية والفلسفية، بالإضافة إلى الديانات الوثنية. وقد كان لعدد منها تأثر بالفكر الباطني الذي تتبناه حركة «العصر الجديد» وبالديانات الوثنية الحديثة.

وسأستعرض هنا نموذجين لأفلام سينمائية تحمل الطابع الباطني الوثني، وهي أفلام أميركية في الأصل، تم عرضها في دور السينما العربية، وتباع الآن في أشرطة dvd بأماكن البيع المخصصة.

---

(١) يُلحظ أن غالبيتهم من النساء.

(١) الميتركس (The Matrix):

هو سلسلة سينمائية تتكون من ثلاثة أفلام[١] في الخيال العلمي، ظهر الجزء الأول في عام ١٩٩٩م[٢]، وحقق أرباحاً هائلة عالمياً، تصل إلى ٤٦٣,٥١٧,٣٨٣ دولار أمريكي[٣].

تدور قصته حول شاب يهوى اختراق أجهزة الحاسوب فيمر على اسم «الميتركس» مما يثير فضوله حول ماهيته. يصل الشاب «نيو» إلى رجل اسمه «مورفيوس»، حيث سيبين الأخير لـ نيو حقيقة الميتركس.

وفي اللقاء الأول يحصل بينهما الحوار التالي:

- مورفيوس: «هل تؤمن بالقدر يا نيو؟»
- نيو: «كلا».
- مورفيوس: «لم لا؟»
- نيو: «لأنها لا تعجبني فكرة أنني لا أملك السيطرة على حياتي».

فهنا إشارة إلى أن القدر مناف للتحكم والسيطرة، وتمهيداً لإنكاره.

ثم يستمر مورفيوس بقوله: «دعني أخبرك لم أنت هنا. أنت هنا لأنك تعلم شيئاً ما. هذا الذي تعرفه لا يمكنك شرحه. ولكنك تشعر به. لقد شعرت به في كل حياتك. أن هناك خطب ما في العالم. لا تعلم ما هو ولكنه موجود. كالشرخ في عقلك. يقودك إلى الجنون. إن ذلك الشعور هو الذي جلبك إليّ. هل تعلم عمَّ أتحدث؟».

- نيو: «الميتركس».
- مورفيوس: «هل تريد أن تعلم ما هو؟ الميتركس في كل مكان. محيط بنا من جميع الجهات، حتى هنا في هذه الغرفة. تراه عندما تطل من نافذتك. وعلى جهازك المرئي. تحس به عندما تذهب للعمل. وعندما تذهب للكنيسة. عندما تدفع ضرائبك. إنه العالم الذي أطرق فوق عينيك ليعميك عن الحقيقة».

---

(١) سأستعرض الجزء الأول فقط.

(٢) صدر الجزء الثاني عام ٢٠٠٣م، والجزء الثالث بعد الجزء الثاني بعدة أشهر.

(٣) تصفح: http://www.Boxofficemojo.com. The Matrix.

- نيو: «أي حقيقة؟».
- مورفيوس: «أنك مستعبد يا نيو. كجميع الناس، ولدت في القيود، ولدت في سجن لا يمكنك شمه، أو تذوقه، أو لمسه. سجن لعقلك. وللأسف، فلا يمكن لأحد أن يُخبر عن ماهية الميتركس، يجب عليك أن تراه بنفسك. هذه هي فرصتك الأخيرة. بعد هذا لا يمكنك العودة إلى الوراء».

وهنا نلحظ الإشارة إلى أن العلم بالميتركس يخضع للممارسة والتجربة ولا يمكن أن يُعلَّم أو يلقن، تماماً كسائر العلوم الباطنية وتعاليم الفلسفة الشرقية.

بعد ذلك يقول مورفيوس: «تذكر أن كل ما أقدمه لك هو مجرد الحقيقة، ولا شيء سواها». ويبدأ في محاولة تقريب المعنى بقوله: «هل سبق لك يا نيو أن حلمت حلماً اعتقدت أنه حقيقة؟ ما الذي سيحدث لو لم تتمكن من الاستيقاظ من ذلك الحلم؟ كيف سيمكنك التمييز بين عالم الأحلام وعالم الواقع؟». وبذلك يشكك نيو في ما حوله، وكون الحواس مقياساً للحقائق.

يتبين للمشاهد فيما بعد أن الزمن الحقيقي هو ٢١٩٩م وليس ١٩٩٩م، وأنه قد سيطر على العالم كائنات آلية تتغذى على الطاقة البشرية، ولتضمن استمرارية تدفق الطاقة أوجدت عالماً افتراضياً، وهمياً، هو كل ما يراه الناس من حولهم، ويظنونه حقيقة. فالعالم كله ـ بكل ما فيه ـ وهم ليس له وجود حقيقي في الواقع. والميتركس هو ذلك العالم الوهمي.

ولذلك لما تم كشف غطاء الوهم عن نيو، قال له مورفيوس: «مرحباً بك في عالم الحقيقة»، ولما تساؤل نيو: «هل أنا ميت؟» أجابه: «بل أبعد ما تكون عن ذلك».

ويستمر مورفيوس في تلقينه الفلسفي، فيقول: «ما معنى الحقيقة؟ كيف تعرف الحقيقة؟ إذا كنت تقصد ما يمكنك رؤيته، ولمسه، وشمه، وتذوقه، فالحقيقة مجرد إشارات كهربائية يقوم عقلك بتفسيرها».

ثم يصرِّح ـ كما هو في الفلسفات الباطنية ـ بأن الإنسان لا بد وأن يتخلص من العالم الوهمي ويدرك العالم الحقيقي، قائلاً: «ما دام الميتركس موجود فلن يتحرر الجنس البشري أبداً».

ويتضح أن مورفيوس يبحث عن تجسيد جديد لروح رجل يُعظمه، ويعتقد

أنه بإمكانه إنقاذ البشرية من قيود الوهم، تماماً كالعقائد البوذية التي تقرر بتناسخ البوذا، ولذلك يكرر كثيراً قوله لـ نيو: أنت هو.

كما يُبين مورفيوس أن من النتائج الحتمية للقول بأن العالم وهمي أن قوانينه وأنظمته وهمية كذلك، ولذلك إذا استحضر الإنسان اعتقاده بأن ما حوله كله وهم أمكنه تجاوز القوانين الكونية، وخرق العادات، فيقول: «القوانين الأساسية كالجاذبية، الذي يجب عليك تعلمه هو أن هذه القوانين.. بعضها قابلة للثني وبعضها قابلة للكسر» ويؤكد أن القوة في الذهن ليس لها علاقة بقوة الجسد. ولذلك ـ بعد إدراك هذه «الحقيقة» ـ يتمكن كل من: نيو ومورفيوس من القيام بأمور خارقة للعادة، كالسرعة الفائقة، والطيران، ومقاومة العوامل الطبيعية.

ثم يقوم مورفيوس بأخذ نيو لزيارة امرأة تعتبر رأس الهرم للمجموعة الذين يعلمون عن الميتركس، ويُطلق عليها «الأوراكل» (Oracle)، لتخبر نيو عن مكانته الحقيقية ومستقبله. وكلمة أوراكل تعني: وسيط الوحي عند الإغريق[١]. وفي الحوار بين نيو ومورفيوس حول الأوراكل يسأل نيو: «وما الذي تعلمه؟ كل شيء؟» فيجيبه مورفيوس بأنها «تعلم ما يكفي» وعندما يُسأل إن كانت لا تخطئ أبداً يقول مورفيوس مهوناً من مفهوم الحق والباطل: «حاول ألا تفكر باعتبار الصحة والخطأ، إنها دليل يا نيو، يمكنها أن تعرفك بالطريق».

ومما يؤكد التوجه الباطني في الفيلم الإشارة إلى السبب وراء القدرة «الخارقة» على ثني الملاعق بالفكر المجرد، كما هو مشهور عن يري غيلر إحدى الشخصيات المشهورة عند حركة «العصر الجديد». فبينما نيو ينتظر الدخول على الأوراكل يجد طفلاً حليق الرأس يرتدي زي رهبان الشرق ويثني الملاعق بالنظر إليها. فيدور بينهما الحوار التالي:

- الطفل: «لا تحاول ثني الملعقة، فذلك مستحيل. بدلاً من ذلك فقط حاول أن تدرك الحقيقة».
- نيو: «أي حقيقة؟».

---

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 36014

- الطفل: «أنه لا توجد ملعقة» ويستمر قائلاً: «ثم سترى أنها ليست الملعقة التي تنثني، بل ذاتك فقط».

وفي ختام الفيلم الأول يُسمع صوت نيو وهو يقول: «سأُري هؤلاء الناس ما لا تريدونهم أن يروه. سأريهم عالماً.. بلا قوانين ولا سيطرة، بلا حدود، ولا قيود، عالماً ليس فيه مستحيل».

(٢) أفاتار (Avatar):

وهذا هو الفيلم الثاني الذي سأتحدث عنه، وهو فيلم في الخيال العلمي صدر في عام ٢٠٠٩م وحقق أرباحاً فاقت ملياري دولار أميركي، أعلى معدل ربحي في تارخ السينما الغربية[١].

تدور أحداث القصة في ٢١٤٨م، حيث تم اكتشاف مادة ثمينة جداً في كوكب خارج الأرض يدعي «باندورا» (pandora)، ومن أجل الحصول على هذه المادة قامت شركات في الولايات المتحدة بإرسال جماعات بحثية وفرق عسكرية متطورة لتحقيق ذلك الهدف. أما الجهات البحثية فقد قاموا بتطوير تقنية تمكنهم من ربط الجهاز العصبي لبعض المتطوعين بأجسام أخرى تماثل أجسام سكان الكوكب الأصليين، تسمى هذه الأجسام: «أفاتار». وهي كلمة سنسكريتية تعني الهبوط، ومعناه في الهندوسية الإلٰه الهابط إلى الأرض[٢].

يسمى سكان باندورا «نافي» (Na'vi)، وفي طقوسهم ومعتقداتهم تظهر آثار فكر حركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة، متمثلة في تقديس الطبيعة والوساطة الروحية وتناسخ الأرواح.

- يحكم قوم النافي ملك منهم، وامرأته القائدة الروحانية لهم، وهي نوع من الشامان الذين يعالجون المرضى بالتواصل مع الأرواح.
- إلهة النافي اسمها «إيوا» (Eywa) وهي المقابل الخيالي للغايا الإلٰهة الأم.
- ثمة إشارة إلى مبدأ الطاقة الحيوية، حيث يقول جيك («بطل» القصة) ناقلاً عن إحدى نساء النافي: «تتحدث عن شبكة من الطاقة تسري في جميع الكائنات الحية».

---

(١) تصفح: www.boxofficemojo.com. Avatar

(٢) انظر: Introduction to World Religions-Patridge: 148.

- لديهم شجرة مقدسة تدعى شجرة الأرواح، ويمكنهم التواصل مع أرواح أسلافهم.
- عند وفاة إحدى الباحثات الأميركيات تقول متحدثة عن الإلٰهة الأم: «إنني معها. إنها حقيقة».
- وتظهر العناية بالبيئة من المنظور الوثني في قول جيك مخاطباً إيوا: «ليس هناك أخضر هناك [في الأرض]، لقد قتلوا أمهم، وسيفعلون ذلك هنا.. أحتاج مساعدتك».
- توصف إيوا بأنها «أمنا العظيمة لا تتحيز لفريق، إنها تحمي التوازن في الحياة».
- كما يُشار إلى تناسخ الأرواح، وذلك عند وفاة جيك، فإنها تقام عدد من الطقوس والترانيم لتخرج روحه من جسده البشري إلى جسده الجديد (الذي هو الأفاتار)، وفي نهاية الفيلم يحدث ذلك الانتقال.

فالفيلم يحمل سمات ظاهرة للعقائد الباطنية والوثنية، ويعظم الطقوس الوثنية وطرائقهم في الحياة. وما ذكرته هنا هو على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فالسينما الغربية ـ اليوم ـ مليئة بالأفلام ذات الرسائل الفلسفية الكامنة، بل يتبنى كثير من الممثلين والممثلات تلك العقائد في حياتهم الواقعية[١].

المطلب الثالث

أبرز آثار الحركة في الشبكة العالمية «الإنترنت»

تعتبر الشبكة العالمية من أكثر وسائل الاتصالات انتشاراً وتأثيراً، فهي تتجاوز أثر السينما والتلفزيون والكتاب في كثير من الحيان، وذلك أنها تتضمن تلك المصادر كلها في مكان واحد، ونظراً لسهولة التعامل معها وخصوصية ذلك.

وعلى أية حال، فالإنترنت ـ بلا شك ـ سلاح ذو حدين، يمكن استغلالها في الخير أو في الشر. وهي وسيلة قد تم استغلالها من قبل كل من لديه رسالة

---

(١) ومنهم: Madonna, Britney Spears, Demi Moore, Ashton Kutcher, Lindsey Lohan, Paris Hilton, David & Victoria Beckham, Salma Hayek.

يرغب في نشرها، أو دعوة يروج لقبولها. ومن ذلك حركة «العصر الجديد»، حيث تعتبر المنتديات والصفحات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي من أبرز الوسائل التي يتم نشر فكر الحركة وتطبيقاتها من خلالها.

وفيما يلي استعراض لبعض النماذج التي توضح هذا التأثر الخطير، على تفاوت بينها في التأثر والتأثير[١]:

(١) مواقع مهتمة بممارسات وأفكار حركة «العصر الجديد» المتنوعة أو بعضها:

١ ـ موقع (نادي جوي ١٢) (Joyclub 12)، وهو أحد البرامج التابعة لصلاح الراشد، عنوانه: www.joy12club.com. يحصل المشترك في النادي على المميزات التالية:

- رسائل جوال يومية تحمل معاني فلسفية.
- رسائل صوتية من صلاح الراشد.
- المنهج التأسيسي: مادة علمية مكثفة شهرية لتطبيقات فلسفة الحياة، مصحوبة بكراسة عمل ومادة مصورة حصرية لأعضاء النادي. من مواضيعها: الطريق إلى التنوير، الرسالة الروحية، الحب، الوعي، الانفتاح والقبول، التلوث الطاقي، الإيجو (Ego).
- لقاء على قنوات صوتية عبر الإنترنت مع الراشد.
- عضوية خاصة في المنتدى.
- حلقات حية على الهواء لبرنامج (رسالة من الكون)[٢] **الجزء الثاني**.

ملحوظة: تحية النادي الخاصة هي الأنجالي مودرا.

٢ ـ موقع (مركز مهاريشي الصحي الثقافي) (عربي)، عنوانه: www.maharishitm.org/ar من الخدمات التي يقدمها الموقع:

---

(١) إن استعراض هذه النماذج لا يعني ـ بالضرورة ـ أنها أخطر المواقع أو أكثرها تأثيراً وانتشاراً، وإنما هي أمثلة لظاهرة أصبح لها وجود واضح في الشبكة العالمية، يتمكن القارئ من خلالها من تكوين تصور عام عما هو مطروح هناك، وأهمية التصدي له.

(٢) سيأتي تفصيله لاحقاً.

- نشرة عن أخبار التأمل التجاوزي في لبنان والشرق الأوسط. ومن المواضيع المنشورة في يوليو ٢٠٠٧ مثلاً: (السلام في الشرق الأوسط: حل علمي[١] لمشكلة سياسية).
- الإعلان عن الدورات والنشاطات.
- ترجمات عربية لبعض كتب المهاريشي والكتب الهندوسية المقدسة، مثل: كتاب المحبة والله، وكتاب البهاغفاد غيتا.

٣ ـ موقع (برنامج التأمل التجاوزي) باللغة العربية، عنوانه: www.arabictm.org:

ويتكون من أربعة أقسام:

- اكتشف المنافع: سرد للمنافع المعلومة للتأمل التجاوزي.
- تعلم التأمل: وفيه أسباب التعلم وأماكنه.
- تمتع بالدورات المتقدمة: ومما فيه كيف تصبح أستاذاً في تقنية التأمل التجاوزي.
- استكشف البرامج الأخرى: استعراض لمراكز وبرامج وجامعات مهاريشي الأخرى.

٤ ـ موقع (الحرية النفسية EFT)، تحت إشراف د. حمود العبري، عنوانه: www.efttoday.com ومن أقسامه:

- صفحة تعريفية بتقنية الحرية النفسية.
- مجلة إلكترونية. وصلت إلى ثمانية أعداد.
- إذاعة تحتوي على مواد صوتية حول التقنية.
- قناة تحتوي على مجموعة محاضرات ومقاطع مصورة حول الحرية النفسية.

٥ ـ موقع (مريم نور)، عنوانه: www.mariamnour.com وينقسم الموقع إلى عدة أقسام:

- حلقات: مقاطع مصورة لمريم نور.
- في البيت: مقاطع مصورة متنوعة في الفلسفة الباطنية.

---

(١) يقصدون بالحل «العلمي»: ممارسة التأمل التجاوزي الهندوسي.

- أفلام.
- من القلب: خواطر فلسفية.
- كتب.

٦ ـ موقع (بيت الشفاء)، عنوانه: www.baytalshifaa.com وهو موقع يختص بالماكروبيوتك تحت إشراف: نهلة الأترمي، من تلميذات مريم نور.

- يحتوي الموقع على محاولات للجمع بين الماكروبيوتك والشريعة الإسلامية.
- كما يحتوي على مواد مصورة لنهلة الأترمي ومريم نور.
- للموقع قناة على اليوتيوب تحمل الاسم نفسه، يوجد عليه ١٢٧ مقطع فيديو، وعدد المشاهدات الإجمالية ما تزيد على ثمانين ألف مشاهدة.

٧ ـ موقع (غيّر حياتك)، عنوانه: www.arbreiki.com، وهو تحت إشراف د. محمد دهب. يحتوي على عدة أقسام، منها:

- البرمجة اللغوية العصبية.
- التنويم بالإيحاء.
- الريكي (الشفاء بالطاقة).
- الدورات: استعراض للدورات التي يقدمها محمد دهب.
- المقالات: ومنها: تعاليم الريكي، والهالة وألوانها.
- مكتبة فيديو: تحتوي على مقاطع مصورة لـ د. محمد دهب في بعض القنوات الفضائية.

٨ ـ موقع (جمعية يوغا المحبة)، عنوانه: www.yogaoflove.org/ar وهو موقع مختص بنشر تعاليم اليوغا الفلسفية والجسدية. ويحتوي الموقع على عدة أقسام، منها:

- مقالات: منها: قواعد الحرية الأربع، وشؤون الدنيا من وجهة نظر اليوغا، ومن هو الله.
- فيديو: عدد من المقاطع المصورة تتحدث عن وحدة الوجود ووحدة الأديان وغير ذلك. مترجمة إلى اللغة العربية.
- كتب للتحميل: ومنها: بحث عن الاستنارة، رحلة إلى اكتشاف الذات، كمال اليوغا، دهارما سبيل التعالي.

٩ ـ موقع (مها هاشم)، عنوانه: www.mahahashem.com وله أربعة أقسام رئيسة:

- المواضيع: مواضيع مختلفة عن الطاقة، ومنها: الخروج من الجسد، العلاج بالبرانا، طاقة الأهرام صيدلية بلا دواء.
- المنتجات: منتجات تجارية خاصة بالطاقة، كالهرم والبندول.
- المقالات: قسم متوقف.
- الدورات: استعراض لعدد من الدورات في الطاقة الكونية، كالعلاج بالبرانا، ودورة الريكي، ودورة الخروج من الجسد.
- كما يوجد منتديات تابعة للموقع، ولها أقسام فرعية: كموسوعة الطاقة، وأصحاب الخوارق (الباراسيكولوجي)، والخروج من الجسد.

(٢) مواقع العلاج بالطاقة الحيوية:

١ ـ موقع العلاج بالطاقة الحيوية: أحد مواقع المجموعة الدولية والمركز الدولي للطاقة الحيوية عنوانه: www.aah3.com.

- يتيح الموقع تحميل الكتب والأفلام.
- يتناول مسائل العين، والحسد، والمس، والسحر من منظور الطاقة الحيوية.
- يقدم استشارات مجانية ودورات تدريبية في عدد من ممارسات حركة «العصر الجديد» مثل: العلاج بالطاقة، اليوغا، العلاج بالتنويم الإيحائي... إلخ.
- يوجد منتجع تابع للموقع يُسمى (منتجع الأهرام) يقدم جميع أنواع العلاج بالطاقة.
- يوجد عدد من المواقع التابعة له: موقع أعضاء المجموعة الدولية للطاقة الحيوية (www.igve.org)، المركز الدولي للتسويق (www.icve.org) وغيرها.

٢ ـ موقع جمعية سعودي ريكي، عنوانها www.saudireiki.net يحتوي الموقع على عدة أقسام، منها:

- علم الريكي: وينقسم إلى ستة أقسام: جين كادو، مراكز الطاقة، مسارات الطاقة، تمارين الطاقة، التأمل والرقي الروحي، الهالة البشرية.
- سعودي ريكي: تعريف بالجمعية وتأسيسها، ورسالتها، وأهدافها، ونشاطاتها، وعضويتها.

- أعضاء الجمعية: ورئيسها: د. أحمد عاشور، والأمين العام هو: طلال خياط.
- مكتبة الريكي: كتب ومؤلفات حول الريكي والعلاج بالطاقة.
- فوائد الريكي: فيه سرد لما يُنسب إلى الريكي من الفوائد الصحية والروحية.
- مواقع الريكي: روابط لمواقع ريكي عالمية.
- الدورات والتدريب: تسجيل يتيح لمن يرغب في الالتحاق بدورات الريكي الحصول على الإعلانات عبر البريد الإلكتروني، أو رسائل الجوال.

(٣) المنتديات المهتمة بممارسات وأفكار حركة «العصر الجديد» أو بعضها:

١ ـ منتديات البرمجة اللغوية العصبية، عنوانها: www.nlpnote.com/forum

ومن المنتديات الفرعية:

- منتدى خط الزمن. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «إعادة تأهيل العقل الباطن».
  - «الذهاب إلى المستقبل».
  - «الفرق بين خط الزمن والجشطالت».
- منتدى قانون الجذب. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «كل ما يوضع في هذا الموضوع يتحقق بإذن الله».
  - «نقل لدورة (التخاطر التلباثي)».
  - «فكر بما تريد.. وفعِّل قانون الجذب».
- منتدى التنويم الإيحائي. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «ما هي الـ أنا الحقيقية؟ وكيف نتواصل معها؟».
  - «استخدام التنويم في الدعوة».
  - «تمارين اليوغا لمرونة العضلات».
- منتدى الحرية النفسية EFT. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «مذكرة فوائد علاجية لمسارات الطاقة».
  - «تقنية الحرية النفسية واستخدامها على الفتور في العبادة».

- «العمق الروحاني لتقنية الحرية النفسية».
- منتدى الطاقة. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الاسترفاع (ظاهرة خارقة)».
- «تدريبات لمشاهدة الهالة».
- «تأمل الكونداليني».
- «رياضة التأمل بذكر الله».
- «الاسترخاء والخروج من الجسد... سارع وتعلم».
- «التأمل طاقة روحية.. شرح التأمل».
- منتدى الماكروبيوتك. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الين واليانغ تضاد وانجذاب».
- «مأكولات تساعدك على حفظ القرآن».
- «علاقة المشاعر والعلاج بالجسد».

٢ ـ منتديات طاقة الحياة، عنوانها: www.the-light-group.ahlamontada.com

ومن المنتديات الفرعية:

- دراسات وأبحاث حول الطاقة، ومن المواضيع المطروحة فيه: «الأبحاث الأولى في الطاقة».
- المنتدى العام للطاقة. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «اكتشاف أسرار البندول».
- «تخلص من الطاقات السلبية في منزلك (مهم)».
- «تعريف الشاكرات».
- رواق الطاقة الإيمانية. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «القوة القصوى للجسم الأثيري في حالة الصلاة».
- «أسرار مواقيت الصلاة».
- «الأنبياء والعلماء كانوا يعالجون بالطاقة».
- رواق البرمجة اللغوية العصبية. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «اكتشاف الذات».

- «العقل السليم في الوعي السليم».
- ○ رواق الطاقات الروحية والعقلية والنفسية وطاقة الهرم ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «علم اليوغا: مفاهيم وتمارين».
- «بعض التقنيات لتنفس طاقة الوعي والألوان والشاكرات».
- «الحياة الروحية والطريق إلى التنور في حياتنا».
- ○ العلاج بالطاقة والطب الصيني والبديل. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «الإبر الصينية».
- «تمارين توجيه الطاقة ومعالجة الآلام».
- «لعلاج بالبرانا».
- ○ قانون الجذب، والتخاطر. ومن المواضيع المطروحة فيه:
- «أسس ومبادئ الإرسال والاستقبال التخاطري».
- «تحويل خيالك إلى واقع».
- «سارية الجبل: حادثة تاريخية عن قدرة التخاطر».

٣ ـ منتدى قانون الجذب، التابع لإصدار صلاح الراشد، وعنوانه: www.attraction-forum.net.

- ○ وفيه نقاشات متنوعة حول قانون الجذب وإصدارات الراشد المتعلقة به.

٤ ـ الشبكة العلاجية بالقرآن الكريم، قسم العلاج بالطاقة (الريكي) على ضوء شرعنا الإسلامي الحنيف. عنوانها: www.dranco.com ومن المواضيع المطروحة فيه (جميعها مثبتة):

- ○ «علم الحروف والجمل على ضوء تفسيرات الطاقة».
- ○ «فتح الشاكرات».
- ○ «توافق طاقات الزواج لبرج الدلو النسائي».
- ○ «التخاطر».
- ○ «ما هو الـ stress (التأمل التجاوزي)».

٥ ـ منتديات شبكة الحصن النفسي، حصن تنمية الذات وتفعيل الطاقة البشرية. عنوانها: www.bafree.net/alhisn/forum ومن الأقسام الفرعية:

- o الباراسيكولوجي، ومن المواضيع المطروحة فيه:
- ـ «الخروج من الجسد».
- ـ «تنشيط العين الثالثة».
- ـ «تحريك الأشياء عن بعد».
- o البايوجيمتري[(١)]، ومن المواضيع المطروحة فيه:
- ـ «سر القوة الخفية في الهرم».
- ـ «هل تعرف ما هي طاقة المكان: الفونغ شوي».
- ـ «البندول الفرعوني».
- o تقنية الحرية النفسية، ومن المواضيع المطروحة فيه:
- ـ السلسلة الكاملة لفوائد الربت على مسارات الطاقة».
- ـ «كتاب النجاح بلا حدود مع العلاج بمسارات الطاقة».
- ـ «تقنية الحرية النفسية تجعل الطريق أسهل إلى السلام الداخلي».

٦ ـ منتديات طبيعي، عنوانها: www.tabi3i.net ومن المنتديات الفرعية:

- o منتدى الماكروبيوتك. والمواضيع المطروحة فيه:
- ـ «فلسفة نظرية الذكر والأنثى (الين واليانغ) والحمضي والقلوي في علم الماكروبيوتك».
- ـ «الماكروبيوتك والإسلام».
- o منتدى المعالجة العقلية والنفسية وتطوير الذات، ويشمل:
- ـ العلاج بالألوان.
- ـ المعالجة الكرستالية.
- ـ التنويم المغناطيسي.
- ـ الزيوت العطرية.
- ـ العلاج بالتخيل.
- ـ البرمجة اللغوية العصبية.

---

(١) أي: علم طاقة الأشكال.

٧ ـ منتدى الحرية النفسية، عنوانه: www.eftinfo.com/forums ومن المنتديات الفرعية فيه:

- تقنية الحرية النفسية، ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «مذكرة فوائد الربت على مسارات الطاقة».
  - «ماذا لو ربطنا تقنية الحرية النفسية بأدعية الرقية الشرعية».
  - «التناغم اليومي لمسارات الطاقة».
- التنويم الإيحائي. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «تعرف على التخاطر».
  - «معنى الاستبصار».
  - «هل هناك فرق بين التخاطر والإيحاء».
- الطاقة والطب البديل. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «اليوغا من الفكرة إلى الممارسة (مثبت)».
  - «تعلم واستخدم طاقة الألوان لصالحك (مثبت)».
  - «الجسد الأثيري».
  - «ماذا تعرف عن علم الباراسيكولوجي (الخوارق)».
  - «الخروج من الجسد والتجوال الروحي».
  - «معرفة الذات في تعليم مهاريشي».
- تطوير الذات. ومن المواضيع المطروحة فيه:
  - «قانون الجذب (مثبت)».
  - «قانون الجذب في خمس جمل وأغنية».
  - «دعوة إلى التأمل».

٨ ـ منتدى قانون الجذب والطاقة، عنوانه: www.law-of-attraction.hooxs.com/forum ومن منتدياته الفرعية (سأكتفي بعناوينها):

- التأمل.
- قانون الجذب.
- العلاج بالضغط.
- الشاكرا.

- العلاج بطاقة الهرم.
- العلاج بالإبر الصينية.
- العلاج بالريكي.
- العلاج المغناطيسي.
- الفونغ شوي (طاقة المكان).
- اليوغا للجميع.
- التاي تشي.
- الخروج من الجسد.
- تحريك الأشياء عن بعد.
- الماكروبيوتك.
- البرمجة اللغوية العصبية.

(٤) قنوات اليوتيوب (Youtube) التي تروج لبعض أفكار حركة «العصر الجديد»:

١ ـ قناة سمارتس وي (Smartswaytv)، التابعة لـ صلاح الراشد. تبلغ عدد مشاهداتها ما يزيد على مليونين ومئتي ألف مشاهدة.

- توجد لقاءات متنوعة مع صلاح الراشد في قنوات مختلفة، وإعلانات لمنتجات ومراكز ومؤلفات الراشد.
- يمكن مشاهدة عدد من حلقات برنامج (السر الأول) للراشد. ويريد بالسر القوانين الكونية الخفية التي لا يعلمها كثير من الناس، وبالأخص «أب القوانين الكونية»، أو قانون الجذب. ويذكر منها:

- الحلقة ١: يذكر قانون الارتجاع «أن الذي تعطيه يرجع لك» «لو عملت مشروع مثلاً والمشروع في الحقيقة هذا يأخذ ١٠٠٠٠ دينار، وأنا قدمته إلى مؤسسة تعاوناً مني وتعاطفاً معهم مثلاً بألفي دينار.. فيه ٨٠٠٠ دينار فرق بما يستحق هذا المشروع.. الآن أنا أطالب القدر ٨٠٠٠ [لا بد أن تأتيني]». ويبين أن السر الأول هو: قانون الجذب. يقول: «أنا تعلمت على يد أحد الأكابر مجموعة من الأسرار، عشرة أسرار تقريباً».

- الحلقة ٢: يذكر أن قانون الجذب له عدة اصطلاحات، منها «البركة» عند المسلمين.
- الحلقة ٣: «كل ما يحدث لك من إيجاب أو من سلب أنت المتسبب فيه، لكن من باب التأدب أن الإنسان ينسب الخير إلى الله تعالى؛ لأن الأصل ـ وهذه حقيقة ـ أن معظم الخير يأتي من الله؛ لأن مصدر الطاقات ـ كل الطاقات ـ هو الله ﷻ».
- الحلقة ٤: «قل [ما تريد].. القدر حيران فيك» يستشهد بقصة الإسراء والمعراج بإمكانية «التفاوض» مع الله ﷻ.

○ تُعرض فيها حلقات برامج (رسالة من الكون) لـ صلاح الراشد، وهي تزيد على ٩٠ حلقة يتحدث فيها عن «قوانين كونية» روحانية يرى أنها متمكنة من الكون. ومما ورد في هذه الحلقات(١) ما يلي:

- الحلقة ١: «الإنسان يجب أن يكون مؤثراً في اختيار قدره»، «قدرك هو صنع يديك أنت تصنع القدر أنت تصنع مستقبلك».
- الحلقة ٢: القانون الأول: (كما هو في الأعلى هو في الأدنى)(٢) (As above so below) يفسره بقوله: «ما يكتب لك في السماء هو بسبب اعتقادك بسبب عملك بسبب فكرك في الأرض... وله معنى آخر أنك إذا أردت أن تسأل فاسأل في السماء» ويعمل الراشد على محاولة الجمع بينه وبين المفاهيم الشرعية.
- الحلقة ٤: «طبعاً الصحابة مؤمنين بالملائكة مؤمنين بالطاقة الإيجابية الموجودة في الكون».
- الحلقة ١٠: يشير إلى أهمية تسكين الأفكار وإسكاتها فيقول «بعض الناس يستخدم اليوغا في عمل هذا الشيء بعض الناس يستخدم التاي تشي(٣)،

---

(١) لم أشاهد سوى ٣٠ حلقة تقريباً.

(٢) القانون الهرمسي الذي سبق الحديث عنه.

(٣) **التاي تشي**: نوع من الفنون العسكرية الصينية التي تقوم على فلسفة الين يانغ الطاوية، وتهدف إلى توحيد العقل والجسد، والروح، والطاقة. انظر: **The Complete Book of Tai Chi Chuan-Wong Kiew Kit: (13-17), and The Dao of Taijiquan-Jou Tsung Hua: (110-127).**

بعض الناس يستخدم جلسات التأمل Meditation، بعض الناس يستخدم قيام الليل، الخشوع... بعض الناس يستخدم التسبيح بعد الصلاة... اختر ما شئت»، ويقول: «أنا أدعو جميع المدارس أن يكون فيها وحدة تأمل».

- الحلقة ١١: يتحدث عن الفيلسوف الباطني تولي الذي يُصرح مراراً باعتقاده بوحدة الوجود، فيقول: «إكهارت تولي هو من الكتَّاب النوادر اليوم - أو الفلاسفة - على مستوى العالم اليوم، عنده كتاب أنصح بقراءته اسمه The Power of Now قوة الآن ويتحدث عن مفهوم تولي للـ أنا. ويشير إلى مصدر أفكاره بقوله: «شيفا بابا واحد من الأساتذة الذين تعلمت على يدهم، يعتبر أستاذاً كبيراً في الهند، وهو واحد من علماء الهندوس الموجودين في الهند، عنده اعتقاد بأن الشخص الذي لا يستطيع أن يوقف فكره.. هو يقيناً ليس في مرحلة عالية من البشرية - ليس في مرحلة التنوير». ويتطرق لمفهوم الوعي بعبارات خطيرة فيقول: «الوعي يستوعب الفكرة، والفكرة لا تستوعب الوعي، الله ﷻ وعي، لكن الله ﷻ لا يحتاج إلى الفكرة»، ويقول: «أنت قبل أن تتكون كعقل، وكجسم، وكفكرة، كنت موجود أنت كروح - يسمونه وعي»، وكذلك: «الشجرة ما تفكر - لكن هي وعي».
- الحلقة ١٢: يقول الراشد في البرمجة اللغوية العصبية: «موضوع الـ nlp قديم، الذي ما قَبَل الـ nlp الآن في صفوف المتخلفين»، ويقول عن إصدارات جرير في تنمية الذات وفلسفة الحياة: «كتب جرير التي ترجمت هذه كتب تغير أمة».
- الحلقة ١٨: حول قانون الجذب، يؤكد أن الطريقة التي يمكن للإنسان أن ينقل نفسه من عداد العوام إلى الخواص أو «النبلاء» بقوله: «تستطيع فقط تنقلها بالوعي». وذكر رمزاً من رموز حركة «العصر الجديد»: «نسمع عن واحد اسمه ديباك شوبرا نشأ في قرية، أو ضواحي بومباي، الآن هو واحد من عشرة أكثر المؤثرين في الفكر الأميركي».

٢ - قناة Mr Group Life، تحتوي على ٢٨١ مقطع، وعدد مشاهدتها الإجمالية ثلاثمائة ألف مشاهدة. ومما يعرض فيها:

- مجموعة من المقاطع الفلسفية لـ ديباك شوبرا مترجمة إلى اللغة العربية، ومنها: قانون الكارما، قانون الدهارما، عكس الشيخوخة، قانون الجذب،

الوعي، التأمل، كيف تظهر الأشياء، علامات الاتصال بالروح، كيف تجد السلام في حياتك.. وغيرها.

- مجموعة من المقاطع الفلسفية لـ إكهارت تولي مترجمة إلى اللغة العربية، ومنها: الحياة في النعيم، أعمق حقائق الوجود الإنساني، التفكير والـ لا تفكير، الوقت هو (الآن)، حالة الحضور، الكارما، السكون حول العالم، أنا أكون، الفرق بين الـ أنا والاعتزاز بالنفس، الوصول إلى مرحلة التنوير، الموت، سر الحياة، الأرض الجديدة، الإيقاظ الروحي.. وغيرها.
- مواضيع متنوعة لمتحدثين آخرين، مثل: الحقل، فيزياء الكم، يمكنك أن تشفي حياتك، التأمل، الإلهام (النداء الأخير)، كيف تحصل على ما تريد، فن أن تكون إنساناً كاملاً، ولد الناس من أجل الحب، الحياة اليقظة، غير أفكارك تغير حياتك.. وغيرها.

٣ ـ قناة SupremeMasterTV، تحتوي على ٥٦٣٥ مقطع فيديو، وعدد مشاهداتها تزيد على ستة ملايين مشاهدة. المقاطع المعروضة هي بلغات مختلفة ولكنها مترجمة لعدة لغات منها العربية. ومن عناوين المقاطع:

- اقلب الكارما السيئة.
- تحقيق الذات من خلال صوت الكواكب.
- تناسخ الأرواح حقيقة.
- التواصل عن بعد.
- سحر فندهورن.
- الصلوات الهندوسية.
- الطاقة الكونية.
- العودة إلى الطبيعة الإلٰهية.
- المسيح الحي في زمننا الحاضر.
- معتقدات البهائية.
- اليوغا.

وغير ذلك كثير جداً.

(٥) صفحات الفيس بوك (Facebook):

وهنا أكرر أن الصفحات كثيرة جداً يكاد يستحيل حصرها، ولذلك سأكتفي بذكر بعض الأمثلة التي توضح المقصود.

١ ـ صفحة (حياة) تابعة لمجموعة تهتم بترجمة المحاضرات «التنموية» من الإنجليزية إلى العربية. عنوانها: www.facebook.com/mliifee.

- تنقل فيها عدداً من المحاضرات الفلسفية لـ ديباك شوبرا وإكهارت تولي.
- من المحاضرات المترجمة: (الحياة بحكمة الطاو).

٢ ـ صفحة مريم نور، عنوانها: www.facebook.com/pages/Maryam-nour.

- تعرض فيها مختارات فلسفية، ومقاطع مصورة لها، ولبعض الفلاسفة الذين يوافقونها فكرياً.

٣ ـ صفحة (صلاة وتأمل جماعي)، عنوانها: صلاة ـ وتأمل ـ جماعي www.facebook.com/pages. تهدف «إلى إرسال طاقة إيجابية ملؤها الحب والسلام والرحمة لكل شعوب الأرض جميعاً».

- تنقل محاضرات مترجمة لـ ديباك شوبرا، وإكهارت تولي. تهتم بمواضيع الطاقة، والهالات، والاستنارة، والتصوف، وما شابه ذلك.

٤ ـ صفحة (طب العصر الجديد)، وعنوانها: طب ـ العصر ـ الجديد www.ar-ar.facebook.com/pages/.

- فيها خلط بين الطب الشعبي، والنبوي، والطب الباطني لحركة «العصر الجديد».
- وفيها نقول ومقاطع متعددة لـ ديباك شوبرا وغيره من رموز الحركة مترجمة إلى اللغة العربية.

٥ ـ صفحة شركة ريل دريمز تربس (Real Dreams Trips): وهي شركة تنظم الرحلات الخاصة بمركز (الراشد) وشركة (سمارتس وي) القابضة. عنوانها: www.facebook.com/realdreamstrips.

- نموذج لبرامج الرحلات:

رحلة (١٢) ربيع ٢٠١٢

عدنا والعود أحمد

شرم الشيخ

شارك د. صلاح الراشد، والماستر ميني مينج

والمدربة المتميزة آينا إيجبيرج

استمتع بالحفل الغنائي التنويري والفقرات الممتعة، واللقاءات التنويرية،

والصحية الإيجابية، الترفيه، التعلم..

ارفع عينك، واعزم لهذا الربيع أوقات ولحظات مختلفة.

رحلة ربيع ٢٠١٢ تسع ليالي في ـ ـ خليج نعمة.

رحلة سانت كاترين والجبل الذي تجلى به الله لموسى.

رحلة البحر الأحمر، ورحلة زيارة بدو سيناء.

رحلاتنا تغير للأبد... الوعي مرة يعني لا عودة

إلى الـ لا وعي... التجربة خير برهان.

المبحث الثاني

آثار حركة «العصر الجديد» في وسائل الترفيه

تتنوع الوسائل التي تُستخدم للترويح والترفيه، ولكن المقصود في هذا المبحث هو بعض ألعاب الفيديو مما يحمل أفكار حركة «العصر الجديد» أو بعضها. وهذه الأفكار في الغالب لا تكون الهدف، أو الغاية من اللعبة، ولكنها موضوع يطرق من خلال أحداثها أو عنصر من عناصر حبكة القصة المتعلقة بها، فهي عامل يُسهم في تغيير الفكر وإن كان قد لا يُنسب إليها على انفراد.

والمقصود بألعاب الفيديو هي الألعاب الإلكترونية التي يحصل فيها التفاعل بين اللاعب البشري وعالم افتراضي يظهر على شاشات الأجهزة المتنوعة[١]. وهي متفاوتة في التركيب والتعقيد، وتستهدف شرائح وأعماراً مختلفة.

ومع ما تشير إليه بعض الدراسات الحديثة حول الأضرار الصحية للعب المطول، فإن الألعاب الإلكترونية أصبحت تُسهم في تشكيل المنظومة الفكرية ـ وأحياناً العقدية ـ للاعبين. فلم تعد الألعاب بالشكل الساذج الذي كانت عليه في الماضي، حيث أصبحت اللعبة تتضمن حبكة روائية، وتتطلب تخطيطاً

---

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 15494.

واستراتيجيات معقدة. كما أصبحت ـ في بعض الأحيان ـ تحمل رسائل فلسفية، وعقدية متضمنة في ثنايا القصة. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

○ **لعبة (الخيال الأخير) «ذا فاينل فانتاسي» (The Final Fantasy):**

تتكون هذه اللعبة من أربعة عشر جزءاً، وتعمل على جل الأجهزة المتوفرة للعب[١]. تم بيع ما يزيد على مائة مليون نسخة منها عالمياً، وتعتبر من أكثر الألعاب شهرة وانتشاراً[٢]. تدور القصة ـ في غالب الأجزاء ـ حول مجموعة من المحاربين يعملون على مكافحة خصم شرير، يسيطر على العالم الخيالي في اللعبة. يكثر استخدام الكرات والبلورات السحرية التي يُعتقد أنها مرتبطة بالطاقة الكونية للأرض، ولذلك يحصل الصراع بين الأطراف المتحاربة في محاولة للسيطرة عليها. كما تكثر الإشارة إلى العناصر الخمسة، وربطها بالشخصيات، والأدوات المختلفة. ومن المواضيع المتكررة كذلك: الإشارة إلى فرضية غايا في الأرض الحية، والكشف عن المعاني الباطنية والرمزية الغائبة عن أكثر البشر[٣].

○ **لعبة (كلت) (Kult):**

وهي لعبة ليست ذات انتشار واسع، ولكنها قائمة كلياً على الاعتقادات الغنوصية والباطنية. تدور أحداثها في مدن عصرية في العصور الحديثة، وتبين أن العالم الذي نشاهده من حولنا هو وهم صنعه الإله اللاحق؛ ليحبس البشرية عن حقيقتهم الإلهية. وفي اللعبة يمكن للبشر أن يستعيدوا «طبيعتهم الإلهية» من خلال مبدأ اسمه: اليقظة، وهؤلاء الناس ـ الذين حققوا مستويات عالية من التوازن الذهني لا يخضعون بعد ذلك لقوانين العالم الوهمي. كما أن هيكلة اللعبة وتوزيع الأدوار مبني على شجرة الحياة المعروفة في معتقدات الكبالا، والعالم الوهمي مبني على فرضية غايا المعروفة[٤].

---

(١) Nintendo, Playstation, Gamecube, Wii, Xbox, and Windows.

(٢) انظر: Square Enex 2004-Statemannt: 27.

(٣) يمكن الاطلاع على أشرطة اللعبة، وتصفح: www.thefinalfantasy.com
والموقع الرسمي للعبة في موقع الشركة المصنعة: www.square-enix.com/na/title/finalfantasy

(٤) يمكن مطالعة شريط اللعبة أو تصفح موقع خاص بالمهتمين بها: www.kult-rpg.com

○ **لعبة (التل الصامت) «صايلنت هِل» (Silent Hill):**

تتكون هذه اللعبة ـ حالياً ـ من سبعة أجزاء، وتعمل على عدد من الأجهزة المتوفرة للعب[١]، تدور أحداث القصة حول عدة شخصيات تتداخل أحداث حياتهم، وطائفة وثنية وحشية تسكن «التل الصامت» بشكل بالغ العمق والتعقيد. تكتشف تلك الشخصيات ـ في الأجزاء المختلفة ـ أن العالم الذي يعيشونه ليس هو العالم «الحقيقي» بل إن للعالم عدة أبعاد، وأن أرواح بعض الشخصيات قد تناسخت من أجساد أخرى. كما أن الطقوس الوثنية والممارسات السحرية الصريحة تتكرر كثيراً في المراحل المختلفة من اللعبة[٢].

○ **لعبة ناروتو (Naruto):**

يعتبر ناروتو من أشهر الشخصيات الخيالية عالمياً، وهو «بطل» سلسلة من الأفلام الكرتونية، والقصص المصورة، والألعاب الورقية بالإضافة إلى ألعاب الفيديو[٣]. تتلخص قصته في أن «شيطاناً» شريراً هاجم قرية من قرى النينجا، فقام قائدهم بالتضحية بحياته من أجل حبس الشيطان في جسد طفل صغير هو: ناروتو. ثم تمضي الحكاية لتتابع ناروتو ومغامراته كمقاتل نينجا صاعد، يعمل على حماية قريته. قصة ناروتوا مشبعة بالرمزية، والفلسفات الشرقية الصريحة، ومن ذلك:

- فلسفة الشاكرات، حيث يمتلك كل مقاتل نينجا شاكراً خاصة به، وهي شبيهة بمراكز الطاقة في البوذية والهندوسية. تمكن الشاكرا المقاتل من استقطاب الطاقات الروحانية، وتحويلها إلى قدرات خارقة، كالمشي على الماء، والتحكم بالنار وإظهار «نسخ» أو صور وهمية للشخص.
- الطاقة الكونية: الكامنة في كل الكائنات، والتي يمكن استقطابها من خلال الشاكرا لا سيما شاكرا «سنجتسو» (Senjustsu).

(١) Playstation, Wii, Xbox, and Windows

(٢) يمكن الاطلاع على الأشرطة، أو موقع الشركة المصنعة: www.konmi.com/games/silenthillhd

(٣) تعمل على كل من: Nintendo, Wii, Playstation

- الإشارة المتكررة للموازنة بين الطاقات القطبية المتناقضة (الين واليانغ) والعناصر الخمسة بمفهومها الفلسفي، وعدد من الممارسات، والإشارات، والرموز التي ترجع إلى أصول في ديانات الشرق.

○ **لعبة البوكيمون (Pokemon):**

تم إصدار عدد كبير من ألعاب البوكيمون الإلكترونية على خمس مراحل يسمى كل منها جيل (Generation)، وأول صدور لها كان في عام ١٩٩٦م لشركة «ننتندو» (Nintendo) اليابانية. تتلخص لعبة البوكيمون[١] في صيد وتدريب أصناف من الكائنات الحية التي تُسمى بوكيمون. وبعد مرحلة التدريب يقوم المدرب بإقامة دورات قتالية بين ما يملكه من البوكيمون وغيرهم، محاولاً تجميع أكبر عدد من البوكيمون وأكبر عدد من الانتصارات ليحصل على لقب سيد البوكيمون (Pokemon Master). مع التدريب، يمكن للبوكيمون اكتساب قدرات وقوى جديدة، كما يمكن له التحول إلى كائن أكبر وأكثر قوة فيما يسمى «تطور» (Evolution). غير أن هذا التطور ـ الذي هو محل الجدل ـ لا يبدو أنه تطور كلي أو نوعي، وإنما تطور جزئي. ولم أجد ما يثبت أن البوكيمون يتطور إلى كائن «إلهي» أو خالد (Pokegods)، بل هي أقرب للإشاعات التي انتشرت بين بعض اللاعبين المتحمسين. ولذلك فإني لا أرى أن هذا الجانب يمثل مخالفة عقيدة واضحة[٢] فضلاً أن يمثل إحدى عقائد حركة «العصر الجديد» الباطنية، وإنما ذكرته هنا لكثرة الجدل حوله.

إن ما سبقت الإشارة إليه من ألعاب الفيديو الإلكترونية هي أبرز النماذج التي تيسر لي الاطلاع عليها، ولو عملت على حصر الألعاب التي ترد فيها إشارات إلى الديانات الوثنية أو المعتقدات الشامانية، أو السحر، والتنجيم، أو تناسخ الأرواح، وغيرها لطال بنا المقام، فإن هذه المواضيع تطرق كثيراً من الألعاب التي تكون قصصها مروية في عالم الخيال، وخاصة ما كان منها موجهاً

---

(١) وكذلك الأفلام الكرتونية، والقصص والمصورة، والألعاب الورقية للبوكيمون.

(٢) ليس الحكم هنا للعبة عموماً ـ إذ لم أطلع على كل جوانبها بالتفصيل ـ وإنما جانب التطور على وجه الخصوص.

لشريحة الكبار[1] (فوق الثامنة عشر)، بل لا تكاد تجد لُعبة من هذا النوع تخلو من إحدى تلك المعتقدات، أو عدداً منها.

(١) وذلك حسب تقويم لجنة تصنيف البرامج الإلكترونية الترفيهية (ESRB). ورموزها كالتالي:
eC = الطفولة المبكرة.
E = للجميع.
E10 + = للجميع فوق ١٠ سنوات.
T = أعمار ١٣ وما فوق.
M = أعمار ١٧ فما فوق.
Ao = للكبار فقط، ١٨ فما فوق.
RP = لم يتم تصنيفه بعد.
علماً أن التصنيف مبني على الخلفيات الثقافية والدينية ـ أو عدمها ـ في الغرب.
تصفح الموقع الرسمي للمجلس: www.esrb.org.ratings guide

الخاتمـــة

وفي الختام، أحمد الله تعالى أن يسر لي هذا البحث الذي توصلت فيه للنتائج التالية:

- مشروعية دراسة المذاهب المعاصرة والتيارات الفكرية المخالفة، مع لزوم مراعاة شروط تلك الدراسات، وضوابطها.
- حركة «العصر الجديد» هي شبكة ضخمة جداً تتكون من أفراد وجماعات يحملون مبادئ ورؤى مشتركة، تقوم مبادئها على الفلسفات الباطنية الشرقية والغربية، وعلى عقيدة وحدة الوجود، وتتلخص رؤيتها في التطلع لعصر جديد تتحقق فيه الاستنارة العالمية.
- نشأت حركة «العصر الجديد» ضمن الثقافات الفرعية الغربية في ستينيات القرن العشرين للميلاد.
- من الحركات والفلسفات التي أسهمت في نشأة حركة «العصر الجديد»: الفلسفة المتعالية، والمذهب الروحي، والثيوصوفي، وحركة «الفكر الجديد»، وثقافة الهبي، وحركة «القدرات البشرية الكامنة»، بالإضافة إلى مؤسسة فندهورن في شمال سكوتلندا.
- يعتبر كل من: جي زي نايت، وبنجمن كريم، وديباك شوبرا، وديفيد سبانغلر، وإكهارت تولي، من أبرز الشخصيات المعاصرة لحركة «العصر الجديد».
- تتمثل أبرز المصادر الخارجية لعقائد حركة «العصر الجديد» في: الديانات الوثنية القديمة، والاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية، والغنوصية النصرانية واليهودية، بالإضافة إلى التصوف الإسلامي، والديانات الوثنية الحديثة.

- مما مهد لموقف حركة «العصر الجديد» من الحقائق والقيم تقلُّص سلطة الدين، وسيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم، كما هو ظاهر في المدرسة الرومانسية، وفي الوجودية، والحداثة.
- لمصطلح «الباطنية» مفهوم واسع، ليس مقصوراً على تأويل النصوص والادعاء أن لكل ظاهر باطناً. ومن أبرز السمات التي تميِّز التيارات التي تُصنَّف ضمن هذا الفكر هي: الاعتقاد بالغنوص، والعلوم اللدنية، والاعتقاد بشيوعية الإلٰه، ووحدة الوجود، كما يتمثل «الخلاص» ـ عندهم ـ في الاتحاد بالإلٰه، أو المطلق، ويتبنى كثير منهم الطرق الاستسرارية في نشر المعتقدات.
- من أبرز معتقدات حركة «العصر الجديد» التي تنبني عليها ممارساتها وتطبيقاتها عقيدة وحدة الوجود، وعقيدة تناسخ الأرواح، وتأليه الإنسان، والقول بالنسبية المطلقة في الحقائق والقيم.
- تقوم حركة «العصر الجديد» بتمرير معتقداتها الباطنية من خلال بعض ما يُنسب إلى العلوم النفسية كعلم نفس «ما بعد الذات»، والباراسيكولوجي المختصة بدراسة «الخوارق»: كالتخاطر، والاستبصار، والتحريك عن بُعد، والتنبؤ، والمشي على الجمر، والخروج من الجسد. ومن خلال بعض التقنيات النفسية: كالتأمل التجاوزي والتنويم الإيحائي.
- البرمجة اللغوية العصبية تقنية مختلطة، يحمل عدد من كبار رموزها فكر حركة «العصر الجديد»، ويظهر أثر الحركة في كثير من تطبيقاتها.
- لحركة «العصر الجديد» تطبيقات متعددة في التداوي والاستشفاء قائمة على فلسفتها الباطنية، منها: الريكي، والماكروبيوتك، واليوغا الهندوسية.
- تستغل حركة «العصر الجديد» العلم التجريبي الحديث ـ أو ما يُنسب إليه ـ في الترويج لمبادئها الفلسفية، ومن ذلك: فرضية غايا للأرض الحية وفرضية الحقول الشكلية ضمن النظريات الحيوية، ونظريات النسبية والفيزياء الكمية، ضمن النظريات الفيزيائية.
- يعتبر تطبيق النظريات الإنسانية في التعليم ونظريات «ما بعد الذات» من الوسائل التي قد تُسهم في نشر مبادئ حركة «العصر الجديد».
- تسعى حركة «العصر الجديد» إلى إلغاء الهوية العقدية، والوطنية، وتشكيل

مجتمعات «مثالية» يغيب فيها الاعتزاز بالدين، وعقيدة الولاء والبراء، من خلال شعارات المحبة والسلام، والأخوة الإنسانية.

- تعمل حركة «العصر الجديد» على هدم الأسرة من خلال نشر الفكر النسوي المتطرف، ومفاهيم التحرر من السلطة المبنية على موقفهم من النسبية.
- يعد الإعلام من أهم الوسائل التي تنشر حركة «العصر الجديد» فلسفتها وتطبيقاتها من خلالها، وتتمثل في وسائل الإعلام المرئية: كالكتب، والصحف، والمجلات، ووسائل الإعلام المرئية: كالبرامج، والمسلسلات التلفزيونية، والأفلام السينمائية.
- ينتشر فكر حركة «العصر الجديد» وتطبيقاتها المتنوعة عبر شبكة الإنترنت، حيث توجد مواقع ومنتديات متخصصة تعمل على الترويج لتلك الأفكار، والممارسات، والتعريف بها.
- تظهر آثار حركة «العصر الجديد» في بعض ألعاب الفيديو الإلكترونية، وتُضمن معتقداتها الباطنية القصص المصاحبة لها.

التوصيات

لقد كان الهدف من تقديم هذا البحث المفصل هو الإسهام في مدافعة الشر، وإنكار المنكر، حفظاً لجناب التوحيد، وذلك لا يتأتى إلا من خلال ترجمة القول إلى عمل، وإتباع الأمر بالفعل. ومن هذا المنطلق، فإني أوصي إخوتي وأخواتي من طلبة العلم وطالباته بالتالي:

١ ـ مواصلة المتابعة لمستجدات الفكر العقدي الوافد في المجالات الحيوية المختلفة من قِبَل المختصين في العلوم الشرعية.

٢ ـ تشكيل لجان مختصة لمتابعة المخالفات العقدية في كل مجال على حدة.

٣ ـ تبني عدد من طلبة العلم المختصين الرد المنهجي على تطبيقات الفكر الباطني المعاصر في وسائل الإعلام المتنوعة.

٤ ـ التواصل مع كبار العلماء، وجهات الفتوى الرسمية ـ لاستصدار فتاوى توضح حكم تطبيقات حركة «العصر الجديد» وغيرها من الممارسات الباطنية الحديثة.

٥ ـ العمل على توعية العامة، وتحذيرهم من الفكر العقدي الوافد ـ من خلال الوسائل المناسبة كالمنشورات الميسرة، والرسائل البريدية المختصرة.

٦ ـ التواصل مع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أو الجهات المشابهة) للعمل على الحد من انتشار المبادئ الباطنية في ممارسات حركة «العصر الجديد» وتطبيقاتها في بلاد المسلمين.

٧ ـ مناصحة من يروج لبعض تطبيقات حركة «العصر الجديد» من المسلمين، ومجادلتهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، فهم إخوة لنا في الدين، ولهم علينا حق النصيحة.

هذا ما تيسر جمعه وعرضه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله أولاً وآخراً.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **اتجاهات الفلسفة المعاصرة**: أميل برييه، ترجمة: د. محمود قاسم، دار الكشاف، مصر، ب ط، ١٩٨٨م.

٢ ـ **اتجاهات الفلسفة المعاصرة**: عزمي سلام، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ب ت.

٣ ـ **الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة**: د. عبد الفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٤ ـ **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**: حمود التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٥ ـ **اجتماع الجيوش الإسلامية**: محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦ ـ **إجماع المحدثين على عدم اشتراط العلم بالسماع في الحديث المعنعن بين المتعاصرين**: حاتم العوني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٧ ـ **أحكام القرآن للشافعي**: جمع: أبو بكر البيهقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٨ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ب ط، ب ت.

٩ ـ **إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم**: د. فؤاد معصوم، دار المدى، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٠ ـ **أدب الدنيا والدين**: أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، ب ب، ب ط، ١٩٨٦م.

١١ ـ **الأديان الحية: نشوؤها وتطورها**: أديب صعب، دار النهار، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.

١٢ ـ **أديان الهند الكبرى**: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.

١٣ ـ **آذان الأنعام: دراسة قرآنية علمية لنظرية داروين في الخلق والتطور**: د. عماد بابكر، دار عزة للنشر، الخرطوم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٤ ـ **أذهان بلا حدود**: محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ب ط، ب ت.

١٥ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٦ ـ **الاستشفاء بالطاقة الحيوية الريكي والفونغ شوي**: د. رفاه وجمان السيد، دار الحرف العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

١٧ ـ **الاستغاثة، شيخ الإسلام ابن تيمية**: دراسة وتحقيق: د. عبد الله السهلي، دار المنهاج، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٨ ـ **الاستقامة**: ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٩ ـ **استكشاف أغوار الذهن: التنويم المغناطيسي**: بيير داكو، ترجمة: أركان بيثون، ورعد اسكندر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ب ط، ٢٠٠٢م.

٢٠ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ابن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢١ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢ ـ **أسرار الطاقة، حكم الزمان حمره**: دار نور المعارف، دمشق، ب ط، ٢٠٠٥م.

٢٣ ـ **الإسلام في مواجهة الباطنية**: أبو الهيثم، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٤ ـ **الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة**: د. يحيي هاشم حسن، دار المعارف، القاهرة، ب ط، ب ت.

٢٥ ـ **الإسلام والمذاهب الاقتصادية**: يوسف كمال، مؤسسة الإسراء، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٦ ـ **الإسلام والمذاهب والاتجاهات العلمية المعاصرة**: يحيي حسن، دار المعارف، القاهرة، ب ط، ب ت.

٢٧ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٨ ـ **أصل الأنواع**: تشارلز دارون، ترجمة: مجدي المليجي، تقديم سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٩ ـ **أصول الإسماعيلية: دراسة وتحليل**: د. سليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠ ـ **أصول السُّنَّة**: ابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣١ ـ **أصول السُّنَّة**: الإمام أحمد بن حنبل، دار المنار، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٢ ـ **أصول الصابئة (المندائية) ومعتقداتهم الدينية**: عزيز سباهي، دار المدى، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣ ـ **أصول الفلسفة العربية**: يوحنا قمير، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١م.

٣٤ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر

٣٥ ـ **الاعتصام**: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٦ ـ **اعتقاد أئمة الحديث**: أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق: محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٧ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٣٨ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٩ ـ **أعمدة اليوغا الثمانية: نهج حياة**: سبيل كمال، غطَّاس الحكيم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤٠ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، ب ط، ب ت.

٤١ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٤٢ ـ **آلهة مصر**: فرانسوا ديماس، ترجمة: زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ب ط، ١٩٩٨م.

٤٣ ـ **الإمام محمد بن عبد الوهاب**: عبد الحليم الجندي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ب ت.

٤٤ ـ **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، تحقيق: سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥ ـ **إنجيل بوذا**: ترجمة: سامي سليمان شيًّا، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٤٦ ـ **الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها**: د. سعيد الغامدي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٧ ـ **الإنسان والنسبية والكون**: د. عبد المحسن صالح، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ب ب، ب ط، ١٩٧٠م.

٤٨ ـ **الإنسان وعلم النفس**: د. عبد الستار إبراهيم، عالم المعرفة، الكويت، ب ط، ١٩٨٥م.

٤٩ ـ **انشتين والنظرية النسبية**: د. عبد الرحمٰن مرحبا، دار القلم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٧٤م.

٥٠ ـ **أوهام ما بعد الحداثة**: تيري إيجلتون، ترجمة: د. منى سلام، أكاديمية الفنون، ب ب، ب ط، ب ت.

٥١ ـ **آي تشنغ**: إعداد: رانيا مشلب، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٥٢ ـ **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٥٣ ـ **إيضاح المقصود من وحدة الوجود**: عبد الغني النابلسي، مطبعة العلم، دمشق، ب ط، ١٣٨٩هـ.

٥٤ ـ **الإيمان**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

٥٥ ـ **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السُّنَّة والجماعة**: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٥٦ ـ **الباراسايكلوجيا بين المطرقة والسندان: بحث تجريبي رائد في الخوارق المحمدية للطريقة العلية القادرية الكسنزانية**: جمال نصار حسين، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٥٧ ـ **الباراسيكولوجي بين العلم والخرافة**: سامي الموصلي، دار الحرية للطباعة، ب ب، ب ط، ب ت.
٥٨ ـ **الباراسيكولوجيا: ملخصها، تطورها، مصطلحاتها، ومناهضتها**: دار ملفات، ب ب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٥٩ ـ **الباطنية وموقف الإسلام منهم**: د. جميل محمد أبو العلا، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
٦٠ ـ **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: ابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، ب ب، الطبعة الثانية، ب ت.
٦١ ـ **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ب ط، ١٤٢٠هـ.
٦٢ ـ **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، ب ط، ١٤١٩هـ.
٦٣ ـ **البداية والنهاية**: ابن كثير الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٦٤ ـ **بدائع الفوائد**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ط، ب ت.
٦٥ ـ **البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية**: عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الهداية، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٦٦ ـ **البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة**: كارول هاريس، مكتبة جرير، ب ب، الطبعة السادسة، ٢٠٠٨م.
٦٧ ـ **البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز**: سلمان الشمراني، ب ن، ب ب، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
٦٨ ـ **البرمجة اللغوية العصبية نحو النجاح**: آندرو برادبري، دار الفاروق، ب ب، الطبعة الثانية، ب ت.

٦٩ - **بصائر ذوي التمييز**: الفيروزآبادي، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلمية، ب ب، ب ط، ب ت.

٧٠ - **البنية النفسية عند الإنسان**: كارل يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، ب ط، ب ت.

٧١ - **بوذا والفلسفة البوذية**: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٧٢ - **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**: ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٧٣ - **التاريخ الإسلامي**: محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١١هـ.

٧٤ - **تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية**: د. عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

٧٥ - **تاريخ الفلسفة الإسلامية**: هنري كوربان، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٧٦ - **تاريخ الفلسفة الحديثة**: يوسف كرم.

٧٧ - **تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة)**: برتراند رسل، ترجمة: د. محمد الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ب ط، ١٩٩٧م.

٧٨ - **تاريخ الفلسفة اليونانية**: وولتر ستيس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة المصرية، القاهرة، ب ط، ١٩٩٨م.

٧٩ - **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ب ط، ب ت.

٨٠ - **تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي**: تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨١ - **تاريخ دمشق**: ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ب ب، ب ط، ١٤١٥هـ.

٨٢ - **تاريخ موجز للزمان: من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء**: ستيفن هوكنج، ترجمة: د. مصطفى فهمي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ب ط، ب ت.

٨٣ - **تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس**: عبد الله أبا بطين، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مؤسسة الرسالة، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٤ ـ **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**: إيمانويل كانت، ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ب ط، ب ت.

٨٥ ـ **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**: أبو المظفر الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٦ ـ **التبيان في أقسام القرآن**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٧ ـ **تجريد التوحيد المفيد**: تقي الدين المقريزي، تحقيق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ب ط، ١٤٠٩هـ.

٨٨ ـ **تحذير أهل الإيمان**: بدر الطامي، مخطوط.

٨٩ ـ **تحرير المرأة في عصر الرسالة**: عبد الحليم أبو شقة، دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

٩٠ ـ **تحضير الأرواح وتسخير الجان، بين الخرافة والحقيقة**: مجدي محمد الشاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، ب ط، ب ت.

٩١ ـ **تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس**: عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، دار العصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٩٢ ـ **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**: شيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩٣ ـ **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**: أبو الريحان البيروني، دار المعارف العثمانية، الهند، ب ط، ١٣٧٧هـ.

٩٤ ـ **التخاطر**: روجيه شكيب الخوري، دار ملفات، ب ب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٩٥ ـ **التخاطر عن بعد والاستبصار: قوة العقل والإرادة**: غاي ليون بليفير، ترجمة: عيسى سمعان، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٩٦ ـ **التراث المسروق: الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة**: جورج ج. م. جيمس، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، ب ط، ١٩٩٦م.

٩٧ ـ **التصوف**: ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٩٨ ـ **التصوف الإسلامي: الطريق والرجال**: د. فيصل بدير عون، مكتبة سعيد رأفت، مصر، ب ط، ١٩٨٣م.

٩٩ ـ **التصوف والمتصوفة: في مواجهة الإسلام**: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ب ب، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٠٠ ـ **تطور الفكر الغربي**: د. فلاح عبد المعطي ود. علي حنفي ود. عزمي طه ود. زكريا بشير، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٠١ ـ **التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية**: محمد إبراهيم كاظم، المركز القومي، ب ب ب ط، ١٩٩٧م.

١٠٢ ـ **التطور والنسبية في الأخلاق**: حسام محيي الدين الألوسي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٠٣ ـ **التعريفات**: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٠٤ ـ **تعلم التشيكونغ**: جاي سوانسونغ، ترجمة: رشا غانم، المكتبة الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٠٥ ـ **تفسير الإمام الشافعي**: جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٠٦ ـ **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ب ط، ١٩٩٠م.

١٠٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ب ب، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٠٨ ـ **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٠٩ ـ **التفسير القرآني للقرآن**: عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ط، ب ت.

١١٠ ـ **التفسير الكبير**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ط، ب ت.

١١١ ـ **تقويم نظرية الحداثة**: د. عدنان النحوي، دار النحوي، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١١٢ ـ **تلبيس إبليس**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ب ط، ب ت.

١١٣ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: العلوي، محمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،

ب ط، ١٣٨٧هـ.

١١٤ ـ **تناسخ الأرواح: أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه**: محمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٥ ـ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**: أبو الحسين المَلَطي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ب ط، ب ت.

١١٦ ـ **التنويم الإيحائي**: روجيه شكيب الخوري، دار ملفات، ب ب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١١٧ ـ **التنويم المغناطيسي**: نبيل غالي، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١٨ ـ **تهافت الفلاسفة**: أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ب ت.

١١٩ ـ **التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد**: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: د. علي الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢٠ ـ **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢١ ـ **تيارات الفلسفة الشرقية**: محمد حسن، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٢٢ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٢٣ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**: ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٢٤ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**: ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ.

١٢٥ ـ **جامع المسائل**: ابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٦ ـ **جامع بيان العلم وفضله**: يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٢٨ ـ **جدلية الأنا واللاوعي**: كارل يونغ، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٢٩ ـ **الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلّامة الشّنقيطي في تفسيره أضواء البيان**: جمع: أبو المنذر محمود بن محمد المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٣٠ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٣١ ـ **الجواهر المضية**: محمد بن عبد الوهاب، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ (النشرة الثالثة ١٤١٢هـ).

١٣٢ ـ **جوهرة الماكروبيوتيك**: هيرمان أهيرا، دار الخيال، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

١٣٣ ـ **حاشية كتاب التوحيد**: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، ب ن، ب ب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٣٤ ـ **الحداثة وما بعد الحداثة**: بيتر بروكو، ترجمة: د. عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٣٥ ـ **الحداثة وما بعد الحداثة**: د. عبد الوهاب المسيري ود. فتحي التريكي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

١٣٦ ـ **الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية (١)**: تحرير: الهيثم زعفان، كتاب البيان، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٣٧ ـ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.

١٣٨ ـ **الحضارة المصرية القديمة**: سيريل ألدريد، ترجمة وتحقيق: مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٣٩ ـ **حقوق الإنسان والقضايا الكبرى**: بحث قدمه: كامل إسماعيل الشريف في (الندوة العالمية لحقوق الإنسان في الإسلام) المنعقدة في روما بإيطاليا بتاريخ ١٩/١١/١٤٢٠هـ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي.

١٤٠ ـ **الحقيقة**: إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
١٤١ ـ **حقيقة البدعة وأحكامها**: سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
١٤٢ ـ **الحكمة البوذية، حياة البده، تعاليمه، سبيل الحق**: جورج حلو، ريما صعب، روبير كفوري، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٤٣ ـ **الحكومة الباطنية**: د. حسن محمد الشرقاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٤٤ ـ **حياة الـ بوذا، سيرة مفسرة**: دايسكاو إكيدا، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠٢م.
١٤٥ ـ **الخفايا**: مريم نور، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
١٤٦ ـ **دارون ونظرية التطور**: شمس الدين بلوت، ترجمة: أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، ب ط، ب ت.
١٤٧ ـ **درء تعارض العقل والنقل**: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
١٤٨ ـ **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**: د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٤٩ ـ **دراسات في الفلسفة اليونانية**: محمد فتحي وعلاء عبد المتعال، دار الحضارة، طنطا، ب ط، ب ت.
١٥٠ ـ **دراسات في اليهودية والمسيحية والإسلام**: د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥١ ـ **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**: مصر، العراق، إيران، د. أحمد أمين سليم، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، ١٩٨٩م.
١٥٢ ـ **دراسة في علم السيكوباثولوجي**: أ.د. يحيى الرخاوي، دار الغد للثقافة والنشر، ب ب، ١٩٨٩م.
١٥٣ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٥٤ ـ **دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية**: د. أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥٥ ـ **دعوة إلى الصحة والسعادة**: جورج أوساوا، دار الخيال، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

١٥٦ ـ **دقائق التفسير: الجامع لتفسير ابن تيمية**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٥٧ ـ **الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون**: ستيفن وينبرغ، ترجمة: محمد الأتاسي، وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٥٨ ـ **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**: محمد علي بن محمد بن علان، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ.

١٥٩ ـ **دليل الماكروبيوتيك إلى الحياة السعيدة**: جورج أوساوا، إعداد: يوسف البدر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

١٦٠ ـ **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**: د. محمد دراز، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، ب ط، ١٤١٠هـ.

١٦١ ـ **الدين في مصر القديمة**: أبكار السقاف، العصور الجديدة، ب ب ن، ب ط، ٢٠٠٠م.

١٦٢ ـ **الدين والسلام عند كانط**: د. فريال حسن خليفة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٦٣ ـ **ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق**: محيي الدين ابن عربي، تحقيق: محمد الكردي، مطبعة السعادة، القاهرة، ب ط، ب ت.

١٦٤ ـ **ذم الهوى**: أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ب ن، ب ط، ب ت.

١٦٥ ـ **ذيل الملل والنحل**: محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ب ط، ب ت.

١٦٦ ـ **الرد على القائلين بوحدة الوجود**: علي بن سلطان الهروي القاري، تحقيق: علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٦٧ ـ **الرد على المنطقيين**: ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ب ط، ب ت.

١٦٨ ـ **الردود**: بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٦٩ ـ **الرسالة التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

١٧٠ ـ **رسائل ابن حزم الأندلسي**: ابن حزم الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ب ط، ب ت.

١٧١ ـ **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**: أحمد بن عبد الله، مطبعة نخبة الأخبار، بمبي، ب ط، ١٣٠٥هـ.

١٧٢ ـ **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**: محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ب ط، ب ت.

١٧٣ ـ **رواد الفلسفة الحديثة**: ريتشارد شاخت، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، هيئة الكتاب، ب ب، ب ط، ب ت.

١٧٤ ـ **رواد المثالية في الفلسفة الغربية**: د. عثمان أمين، دار المعارف، الإسكندرية، ب ط، ١٩٦٧م.

١٧٥ ـ **روح البيان**: إسماعيل حقي الإستانبولي، دار الفكر، بيروت، ب ط، ب ت.

١٧٦ ـ **الروح والخلود**: **بين العلم والفلسفة**، عبد العزيز جادو، دار المعارف، القاهرة، ب ط، ٢٠٠١م.

١٧٧ ـ **رياض الصالحين**: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٧٨ ـ **الريكي للمبتدئين: إتقان تقنيات الشفاء الطبيعي**: ديفيد إف. فينلس، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٧٩ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

١٨٠ ـ **زن ماكروبيوتيك**: جورج أوساوا، إعداد: يوسف البدر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م.

١٨١ ـ **السلطان محمد الفاتح**: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٨٢ ـ **السماء في القرآن الكريم**: د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

١٨٣ ـ **السُّنَّة**: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٨٤ ـ **سنن أبي داود**: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ب ط، ب ت.

١٨٥ ـ **السنن الصغرى**: أحمد بن شعيب الخراساني (النسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٨٦ ـ **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ.

١٨٧ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**: أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ.

١٨٨ ـ **شرح السُّنَّة**: إسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق: جمال عزون، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٨٩ ـ **شرح السُّنَّة**: البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٩٠ ـ **شرح السُّنَّة**: الحسن بن علي البربهاري، ب ن، ب ب، ب ط، ب ت.

١٩١ ـ **شرح العقيدة السفارينية**: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٩٢ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٩٣ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ.

١٩٤ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: عبد الرحمٰن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمٰن السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

١٩٥ ـ **شرح العقيدة الواسطية**: محمد بن خليل هرّاس، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

١٩٦ ـ **شرح المقاصد في علم الكلام**: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٩٧ ـ **شرح النووي على مسلم**: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٩٨ ـ **شرح سنن أبي داود**: بدر الدين العيني، تحقيق: خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩٩ ـ **شرح علل الترمذي**: الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق نورالدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، ب ط، ب ت.

٢٠٠ ـ **شرح مقدمة التفسير لابن تيمية**: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠١ ـ **شطحات الصوفية**: د. عبد الرحمٰن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ب ط، ب ت.

٢٠٢ ـ **شعب الإيمان**: أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٠٣ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: القاضي عياض، حاشية: أحمد الشمني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ب ط، ١٤٠٩هـ.

٢٠٤ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ب ط، ١٣٩٨هـ.

٢٠٥ ـ **الشفاء بالطاقة الحيوية**: د. أحمد توفيق، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٠٦ ـ **الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره**: د. عبد الله العثيمين، دار العلوم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٠٧ ـ **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٠٨ ـ **صحيح البخاري**: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢٠٩ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة، ب ت.

٢١٠ ـ **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ب ب، ب ط، ب ت.

٢١١ ـ **صحيح سنن أبي داود (باختصار السند)**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١٢ ـ **صحيح مسلم**: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ب ط، ب ت.

٢١٣ ـ **صحيح وضعيف سنن الترمذي**: محمد ناصر الدين الألباني.

٢١٤ ـ **الصفدية**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢١٥ ـ **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢١٦ ـ **الصوفية نشأتها وتطورها**: محمد العبده وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢١٧ ـ **صيد الخاطر**: أبو الفرج ابن الجوزي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢١٨ ـ **الطاقة البشرية والطريق إلى القمة**: إبراهيم الفقي، بداية للإنتاج الإعلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢١٩ ـ **طاقة الكون بين يديك**: ريكي جين كي دو: حكمة للشفاء، مهى نمور، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٢٠ ـ **طبقات الشافعيين**: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ب ب، ب ط، ١٤١٣هـ.

٢٢١ ـ **الطبقات الكبرى**: ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢٢ ـ **العافية، طريقة المحافظة على الصحة والحصول على الشفاء من داخلك**: حسن البشل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٢٣ ـ **العبودية**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة، ١٤٢٦هـ.

٢٢٤ ـ **العرش**: شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢٢٥ ـ **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**: د. صابر طعيمة، المكتبة الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٢٢٦ ـ **العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين**: حسين بن غنّام النجدي الأحسائي، تحقيق: محمد بن الهبدان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٢٧ ـ **العقل الباطن أو مكونات النفس**: سلامة موسى، إدارة الهلال، مصر، ب ط، ١٩٢٨م.

٢٢٨ ـ **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**: محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٢٢٩ ـ **العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام**: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٢٣٠ ـ **عقيدة الصوفية: وحدة الوجود الخفية**: د. أحمد القصير، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٣١ ـ **العلاج النفسي الحديث: قوة الإنسان**: د. عبد الستار إبراهيم، عالم المعرفة، الكويت، ب ط، ١٩٨٠م.

٢٣٢ ـ **العلاج بالطاقة والماكروبيوتيك «من وجهة نظر إسلامية»**: غادة المعايطة الدلابيح، دار أسامة، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٣٣ ـ **علم الأخلاق**: باروخ سبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ب ط، ب ت.

٢٣٤ ـ **علم الملل ومناهج العلماء فيه**: د. أحمد جود، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٣٥ ـ **علم النفس الإكلينيكي**: جوليان روتر، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٣٦ ـ **علم النفس الجديد**: أليكس موكيالي، منشورات عويدات، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٣٧ ـ **علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية**: ستيف بافيستر، وأماندا فيكرز، مكتبة جرير، ب ب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٢٣٨ ـ **علماء نجد خلال ثمانية قرون**: الشيخ عبد الله بن صالح آل بسام، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٣٩ ـ **العناصر الخمسة والسوق العشرة**: كيكو ماتسوموتو، ستيفن بيرش، ترجمة: أحمد حربا، دار الخيال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٤٠ ـ **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٤١ ـ **غاية الأماني في الرد على النبهاني**: محمود شكري الألوسي، تحقيق: أبو عبد الله الداني آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤٢ ـ **غاية المرام في علم الكلام**: أبو الحسن الثعلبي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ب ط، ب ت.

٢٤٣ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)**: نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٤٤ ـ **الغنوضية في الإسلام**: هاينس هالم، ترجمة: رائد الباش، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٤٥ ـ **غير مجرى حياتك مع التنويم المغناطيسي**: دار الرشيد، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٤٦ ـ **الفتاوى الكبرى**: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٤٧ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة (المجموعة الأولى)**: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء: الإدارة العامة للطبع، الرياض، ب ط، ب ت.

٢٤٨ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤٩ ـ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ.

٢٥٠ ـ **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢٥١ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ب ط، ١٤٠٥هـ.

٢٥٢ ـ **فضائح الباطنية**: أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ب ط، ب ت.

٢٥٣ ـ **فضائل الصحابة**: الإمام أحمد، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٥٤ ـ **الفكر الشرقي، مقدمة في فكر آسيا الفلسفي والديني**: د. يونج شوون كيم، ترجمة: د.طلعت بدر، د. حميد علي مفتاح، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٥٥ ـ **الفكر الشرقي القديم**: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

٢٥٦ ـ **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**: د. جمال المرزوقي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٥٧ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة**: عبد الرحمٰن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٢٥٨ ـ **الفلسفة الشرقية**: محمد غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ب ت.

٢٥٩ ـ **فلسفة ديكارت ومنهجه**: دراسة تحليلية: د. مهدي فضل الله، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

٢٦٠ ـ **الفلسفة عند اليونان**: د. أميرة مطر، دار النهضة العربية، القاهرة، ب ط، ب ت.

٢٦١ ـ **الفلسفة في الهند: قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصين**: د. علي زيعور، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٦٢ ـ **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**: د. عمر عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٦٣ ـ **الفلسفة واليوغا في بلاد الحكماء**: كمال جنبلاط، الدار التقدمية، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢٦٤ ـ **فلسفة وحدة الوجود**: د. حسن الفاتح قريب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٦٥ ـ **الفوائد**: شمس الدين ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٢٦٦ ـ **في تاريخ مصر القديمة**: د. محمد علي سعد الله، مركز الإسكندرية للكتاب، ب ب ن، ب ط، ٢٠٠١م.

٢٦٧ ـ **الفيزياء ووجود الخالق: مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين**: أ.د جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦٨ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.

٢٦٩ ـ **القدرات الخفية: التخاطر عن بعد**: كارك أوريف، ترجمة: هيثم سرية، دار دمشق، ب ب، ب ط، ب ت.

٢٧٠ ـ **قصة الحضارة**: ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محفوظ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، ب ط، ب ت.

٢٧١ ـ **قصة الفلسفة الغربية**: د. يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ١٩٩٣م.

٢٧٢ ـ **قصص غريبة في التقمص**: سعد الدين غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس (لبنان)، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٢٧٣ ـ **قوة عقلك الباطن**: د. جوزيف ميرفي، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة، ٢٠٠٨م.

٢٧٤ ـ **القول الفلسفي للحداثة**: هبرماس، ترجمة: د. فاطمة الجيوسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ب ط، ١٩٩٥م.

٢٧٥ ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢٧٦ ـ **القوى الروحية وعلم النفس التحليلي**: كارل يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٢٧٧ ـ **قوى العقل الفيزيائية**: روجيه شكيب الخوري، دار ملفات، ب ب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٧٨ ـ **القيم الدينية والمجتمع**: محمد كامل حتة، دار المعارف، القاهرة، ب ط، ١٩٨٣م.

٢٧٩ ـ **القيم بين الإسلام والغرب: دراسة تأصيلية مقارنة**: د. مانع المانع، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٨٠ ـ **القيم في الإسلام (بين الذاتية والموضوعية)**: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة، القاهرة، ب ط، ١٤١٠هـ.

٢٨١ ـ **الكامل في اليوغا**: سوامي فشنو ديفانندا، توزيع معرض الشوف الدائم للكتاب، ب ب، ب ط، ب ت.

٢٨٢ ـ **كبرى اليقينيات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق**: محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤١٧هـ.

٢٨٣ ـ **كتاب التاو**: ترجمة وتقديم: هادي العلوي، دار ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

٢٨٤ ـ **كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**: عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق، ب ط، ب ت.

٢٨٥ ـ **كتاب الطب الصيني: الروح، العقل، الجسد، (بدون مؤلف)**: ترجمة: محمد يوسف شهاب، رشاد برس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٢٨٦ ـ **كشف أسرار الباطنية**: ابن مالك، تحقيق: محمد الجوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٨٧ ـ **الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ**: محمد بن حسين الفقيه، دراسة وتحقيق: د. صالح المحسن د. أبو بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨٨ ـ **كشف المشكل من حديث الصحيحين**: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ب ط، ب ت.

٢٨٩ ـ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩٠ ـ **الكلم الطيب**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

٢٩١ ـ **الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية**: أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٩٢ ـ **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**: عبد الرحمٰن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٩٣ ـ **الكون الأحدب: قصة النظرية النسبية**: د. عبد الرحيم بدر، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

٢٩٤ ـ **اللباب في علوم الكتاب**: عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٩٥ ـ **لسان العرب**: ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٩٦ ـ **الله في فلسفة القديس توما الأكويني**: د. ميلاد غالي، المعارف، الإسكندرية، ب ط، ب ت.

٢٩٧ ـ **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٢٩٨ ـ **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٢٩٩ ـ **الماكروبيوتك**: خالد التركي، دار الكتاب الحديث، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٣٠٠ ـ **الماكروبيوتيك للمبتدئين**: جون سانديفر، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٣٠١ ـ **الماكوروبيوتيك المعاصر في الصحة والسلامة**: إدوارد إسكو، ترجمة: محمد حبيب، دار الخيال، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٣٠٢ ـ **مبادئ الفلسفة**: ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ب ب، ب ط، ي ت.

٣٠٣ ـ **مبادئ وأسس الوخز بالإبر الصينية**: د. مروان الجبّان، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٠٤ ـ **المبدأ الفريد للفلسفة والعلم للشرق الأقصى**: جورج أوشاوا، ترجمة: عبد الله عكاري، دار الخيال، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٠٥ ـ **متن القصيدة النونية**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٣٠٦ ـ **متون هرمس: حكمة الفراعنة المفقودة**: تيموثي فريك وبيتر غاندي، ترجمة: عمر الفاروق عمر، المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣٠٧ ـ **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**: محمد بن عثيمين، جمع: فهد السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٣٠٨ ـ **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ب ط، ب ت.

٣٠٩ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: ابن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١٠ ـ **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٣١١ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٣١٢ ـ **مدخل إلى الفلسفة المعاصرة**: د. محمد مهران رشوان، دار الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٣١٣ ـ **المدخل إلى القيم الإسلامية**: د. جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣١٤ ـ **مدخل إلى علم النفس الإسلامي**: د. محمد نجاتي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١٥ ـ **المدخل إلى علم النفس الحديث**: ركس ومرغريت نايت، ترجمة: عبد علي الجسماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٣١٦ ـ **مدخل لقراءة الفكر الفلسفي**: د. مصطفى النشار، دار قباء، القاهرة، ب ط، ١٩٩٨م.

٣١٧ ـ **المذاهب الإسلامية**: محمد أبو زهرة، مكتبة الآداب/المطبعة النموذجية، القاهرة، ب ط، ب ت.

٣١٨ ـ **مذاهب الإسلاميين**: د. عبد الرحمٰن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣١٩ ـ **المذاهب السياسية المعاصرة**: علي أدهم، مطبعة المعارف ومكتبتها، مصر، ب ط، ب ت.

٣٢٠ ـ **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**: غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣٢١ ـ **المذاهب المعاصرة**: محمد عقيل المهدي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ب ت.

٣٢٢ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن محمد الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢٣ ـ **المستدرك على الصحيحين**: الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٢٤ ـ **المسند، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٢٥ ـ **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**: مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢٦ ـ **المسيحية نشأتها وتطورها**: شارل جنيبير، ترجمة: د. عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب ط، ب ت.

٣٢٧ ـ **مشكاة المصابيح**: ولي الدين التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٣٢٨ ـ **المشكلة الأخلاقية والفلاسفة**: آندريه كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، مطابع دار الشعب، القاهرة، ب ط، ١٣٩٩هـ.

٣٢٩ ـ **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**: د. مصطفى النشار، دار أنباء، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٣٣٠ ـ **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: دراسة في انتشار الحضارة الهيلينية واضمحلالها**: هارولد بل، ترجمة: د. عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.

٣٣١ ـ **مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد)**: إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرحمٰن الوكيل، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ب ط، ب ت.

٣٣٢ ـ **مع الفلسفة اليونانية**: د. محمد مرحبا، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٣٣٣ ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**: حافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٣٤ ـ **المعالجة بالطاقة الحيوية**: **سليم بيك علاء الدين**: مطابع الدستور التجارية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٣٥ ـ **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٣٦ ـ **معاني القرآن وإعرابه**: أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٣٧ ـ **معجم الفلاسفة**: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.

٣٣٨ ـ **المعجم الفلسفي**: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب ط، ١٩٨٢م.

٣٣٩ ـ **المعجم الوجيز**: مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، ١٤١٥هـ.

٣٤٠ ـ **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، ب ب، ب ط، ب ت.

٣٤١ ـ **معنى الوجودية: دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة**: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ط، ب ت.

٣٤٢ ـ **المغني**: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ب ط، ١٣٨٨هـ.

٣٤٣ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ط، ب ت.

٣٤٤ ـ **المفردات في غريب القرآن**: الراغب الأصفهاني، تحقيق: عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٤٥ ـ **مقال في المنهج**: رينيه ديكارت، ترجمة: محمود محمد، تقديم: د. مصطفى حلمي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٣٤٦ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: أبو الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٤٧ ـ **مقاييس اللغة**: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣٤٨ ـ **مقدمات في علم مقالات الفرق**: محمد التميمي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٤٩ ـ **مقدمة ابن خلدون**: عبد الرحمٰن بن محمد بن خلدون، دار الأرقم، بيروت، ب ط، ب ت.

٣٥٠ ـ **مقدمة في التصوف**: صهيب سعران، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٥١ ـ **مقدمة في ميكانيكا الكم**: بي تي ماثيور، ترجمة: أسامة ناجي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ب ت.

٣٥٢ ـ **ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة**: د. حربي عطيتو، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٥٣ ـ **الملل والنحل**: الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، ب ب، ب ط، ب ت.

٣٥٤ ـ **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية**: د. محمد مرحبا، دار منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٣٥٥ ـ **من بلاغة القرآن**: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضة مصر، القاهرة، ب ط، ٢٠٠٥م.

٣٥٦ ـ **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**: د. عبد الرحمٰن بدوي، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٣٥٧ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٣٥٨ ـ **المنتقى شرح الموطأ**: سليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ.

٣٥٩ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٦٠ ـ **المنهج العلمي وتفسير السلوك**: محمد عماد الدين إسماعيل، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ.

٣٦١ ـ **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة عرض عقدي وتاريخي ميسر**: د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٦٢ ـ **الموجز في التحليل النفسي**: سيجموند فرويد، تقديم: د. محمد نجاتي، ترجمة: سامي القفاش، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، مصر، ب ط، ب ت.

٣٦٣ ـ **موسوعة الفلسفة**: د. عبد الرحمٰن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣٦٤ ـ **الموسوعة الفلسفية المختصرة**: إشراف: د. زكي نجيب محفوظ، دار القلم، بيروت، ب ط، ب ت.

٣٦٥ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: إشراف د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٣٦٦ ـ **موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي (بين الطب النبوي والماكروبيوتك)**: د. أسامة صديق مأمون، الدار العربية للعلوم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٦٧ ـ **موسوعة لالاند الفلسفية**: أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

٣٦٨ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمش الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م

٣٦٩ ـ **النبوات**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٧٠ ـ **ندوة الحداثة وما بعد الحداثة**: مجموعة مفكرين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ب ط، ١٤٢٨هـ.

٣٧١ ـ **النسبية: النظرية العامة والخاصة**: ألبرت آينشتاين، ترجمة: د. رمسيس شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب) مكتبة الأسرة، ب ب، ب ط، ب ت.

٣٧٢ ـ **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**: د. علي النشار، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، ب ت.

٣٧٣ ـ **نظريات التعلم**: دراسة مقارنة: د. علي حجاج ود. عطية هنا، عالم المعرفة، الكويت، ب ط، ١٩٨٣م.

٣٧٤ ـ **النظرية البنائية**: عماد الدين حمدان، ب ن، ب ب، ب ط، ب ت.

٣٧٥ ـ **النظرية البنائية وتطبيقاتها في التعلم والتعليم**: ناصر العويشق، ب ن، ب ب، ب ط، ١٤٢٣هـ.

٣٧٦ ـ **نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية**: د. الربيع ميمون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ط، ١٩٧٠م.

٣٧٧ ـ **نظرية القيمة في الفكر المعاصر**: د. صلاح قلنصوة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ١٩٨٧م.

٣٧٨ ـ **النظرية النسبية الخاصة**: د. ناظم حسون، د. عياد شاحوت، د. بثينة إبراهيم، جامعة المرقب، ليبيا، ب ط، ٢٠٠٤م.

٣٧٩ ـ **نظرية النسبية العامة**: جلال الحاج عبد ـ ب ن، ب ب، ب ط، ٢٠٠٧م.

٣٨٠ ـ **النفس البشرية ونظرية التناسخ**: أحمد زكي تفاحة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ب ط، ١٩٨٧م.

٣٨١ ـ **نقد العقل المحض**: إيمانويل كانت، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٣٨٢ ـ **نقد المذاهب المعاصرة**: إبراهيم مصطفى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ب ط، ب ت.

٣٨٣ ـ **نهاية الحداثة**: جياني فاتيمو، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ب ط، ١٩٩٨م.

٣٨٤ ـ **نهاية المطلب في دراية المذهب**: أبو المعالي الجويني، تحقيق: عبد العظيم الدّيب، دار المنهاج، ب ب، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٨٥ ـ **نواقض الإسلام**: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٨٦ ـ **نيل الأوطار**: محمد بن علي الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٨٧ ـ **هدم نظرية التطور**: هارون يحيى، ب د، ب ب، ب ط، ب ت.

٣٨٨ ـ **هذه هي الصوفية**: عبد الرحمٰن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
٣٨٩ ـ **هرمس المثلث العظمة: أو نبي الله إدريس**: لويس مينار، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٩٠ ـ والتوزيع، بيروت، ب ط، ١٤١٥هـ.
٣٩١ ـ **الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية**: فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣٩٢ ـ **الوجودية: فلسفة الوهم الإنساني**: د. محمد الفيومي، مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأزهرية، القاهرة، ب ط، ١٤٠٤هـ.
٣٩٣ ـ **الوجودية مذهب إنساني**: جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.
٣٩٤ ـ **الوجوه الأربعة للطاقة**: د. رفاه وجمان السيد، دار الخيال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣٩٥ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ب ط، ب ت.
٣٩٦ ـ **اليوغا سيطرة على النفس**: ج. توندريو وب. رئال، مكتبة المعارف، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٣٩٧ ـ **اليوغا والتنفس**: محمد عبد الفتاح عليم، دار المعارف، ب ب، ب ط، ب ت.

قائمة المراجع غير العربية

1 - **A Handbook of Egyptian Religion**-Adolf Erman-translated by: A. S. Griffith-Archibald Constable-London-1907.

2 - **A Master's Reflection on the History of Humanity**-Ramtha (J.Z Knight)-JZK Publishing-Washington-2001.

3 - **A New Earth; Awakening Your Life's Purpose**-Eckhart Tolle-Penguin Books-New York-2006.

4 - **A Practical Guide to Past Life Regression**-Florence Mclain-Llewllyn Publications-USA-1994.

5 - **A Skeptic's Handbook of Parapsychology**-edited by: Paul Kurtz-Prometheus Books-Buffalo, NY-1985.

6 - **A Study in Consciousness: A contribution to the Science of Psychology**-Annie Besant-1915.

7 - **After Virtue: A Study in Moral Theory**-Alasdair MacIntyre-University of Notre Dame Press-Notre Dame, Indiana-3rd Edition-2007.

8 - **Alpha: The Myths of Creation**-Charles H. Long-George Braziller-New York-1963.

9 - **American Feminism and the Birth of New Age Spirituality-Catherine Tumber-Rowman & Littlefield Publishers-2002.**

10 - **An Encyclopedia of Religion-edited by: Vergilius Ferm**-Philosophical Library-New York-1945.

11 - **An Intellectual History of Modern Europe**-Ronald Stromberg-Appleton Century Crofts-New York-1966.

12 - **An Overview Of The New Age Movement**-William A. Reck-The Riehle foundation-Milford, OH-1995.

13 - **Ancient Wisdom**-Annie Besant-CreateSpace-2010.

14 - **Animate Earth: Science, Intuition, an Gaia-Stephan Harding**-Sciencewriters Books-Vermont, USA-2006.

15 - **Another Gospel**-Ruth A. Tucker-Zondervan-Grand Rapids, Michigan-1989.

16 - **Apologetics in the New Age: A Christian Critique of Pantheism**-David K. Clark & Norman L. Geisler-Wipf & Stock Publishers-Eugine, Oregon-1990.

17 - **Bearing False Witness? An Introduction to the Christian Countercult**-Douglas E. Cowan-Praeger-Westport, CT-2003.

18 - **Blessing**-**David Spangler**-Riverhead Trade-NY-2002.

19 - **Blessings: The Art and the Practice**-David Spangler-Riverhead Books-New York-2002.

20 - **Buddhism**-Bradley K. Hawkins-Routledge-London-1999.

21 - **Buddhism in America**-Richard Hughes Seager-Columbia University Press-New York-1999.

22 - **Buddhism: A Modern Perspective**-Francis H. Cook-Pennsylvania State University Press-University Park, PA-1994.

23 - **Catholics and the New Age**-Mitch Pakwa-Servant publications-Michigan-1992.

24 - **Chaos, Creativity, and Cosmic Consciousness**-Rupert Sheldrake-Park St. Press-Vermont-2001.

25 - **Children of the New Age: A History of Spiritual Practices**-Steven J. Sutcliffe-Routledge-London-2002.

26 - **Chinese Religions**-Julia Ching-Macmillan-London-1993.

27 - Christian Responses to the New Age Movement: A Critical Assessment-John A. Saliba-Geoffrey Chapman-London-1999.

28 - **Civilization in Transition**-Carl Jung-Collected Works of Carl Jung Vol. 10-Routeledge & Kegan Paul-London-1970.

29 - **Conscious and Unconscious**-David Edwards, Michael Jacobs-Open University Press-Maidenhead, England-2003.

30 - **Creating Irresistible Influence with NLP**-Charles Faulkner-Nightingale-Conant-2002.

31 - **Death and After**-Annie Besant-Biblio Bazaar-2006.

32 - **Dictionary of Religion and Philosophy**-Geddes MacGregor-Paragon House-New York-1989.

33 - **Education in the New Age**-Alice Bailey-Lucis Trust-1998.

34 - **Einstein: His Life and Universe**-Walter Isaacson-Simon & Schuster Paperbacks-NY, USA-2007.

35 - **Encyclopedia of Mental Health**-Howard S. Freidman-Academic Press-San Diego,-CA-1998.

36 - **Encyclopedia of New Age Beliefs**-John Ankerberg & John Weldon-Harvest House Publishers-Eugene, OR-1996.

37 - **Encyclopedic Dictionary of Physics**-edited by: J. Thewlis & R. C. Glass & D. J. Hughes & A. R. Meetham-Pergamon Press. New York-1962.

38 - **Enhancing Human Performance: Issues, Theories, and Techniques**-edited by: Druckman, D. & J.A. Swets-National Academy Press-Washington D.C-1988.

39 - **Essays & Lectures**-Ralph Emerson-Digireads-2009.

40 - **Essays in Zen Buddhism**-Daisetz Teitaro Suzuki-Grove Press-New York-1961.

41 - **Essential Reiki**-Diane Stein-Crossing Press-Toronto-1995.

42 - **Evangelizing the New Age**-Paul McGuire-Servant Publications-Ann Arbor, Michigan-1989.

43 - **Firewalking and Religious Healing**-Loring M. Danforth-Princeton University Press-1989.

44 - **Forgotten Gods Waking Up-Ramtha-JZK Publishing-Washington-2001.**

45 - **Fritz**-Martin Shepard-Saturday Review Press-New York-1975.

46 - **Frogs to Princes (Neuro-Linguistic Programming)**-Bandler & Grinder-Real People Press-Utah-1979.

47 - **Gaia: A New look at Life on Earth**-James Lovelock-Oxford University Press-NY-2000.

48 - **Get the Life You Want**-Richard Bandler-Health Comunications Inc.-Florida-2008.

49 - **God and the Evolving Universe**-Michael Murphy-Penguin Putnam-NY-2002.

50 - **Handbook of Chinese Popular Culture**-edited by: Wu Dingbo, Patrick D. Murphy-Greenwood Press-Westport, CT-199.

51 - **Healing or Stealing? Medical Charlatans in the New Age**-Jean-Marie Abgrall-Algora-New York-2001.

52 - **Hellenistic Religions: An Introduction**-Luther H. Martin-Oxford University Press-New York-1987.

53 - **Hinduism**-Cybelle Shattuck-Routledge-London-1999.

54 - **Hinduism**-Luis Renou-George Braziller-New York-1961.

55 - **Hindus: Their Religious Beliefs and Practices**-Julius Lipner-Routledge-London-1998.

56 - **History of Mysticism: The Unchanging Testament**-Swami Abhayananda-Published by author-U.S.A-4th Edition-2007.

57 - **How to Know God**-Deepak Chopra-Running Press-London-2001.

58 - **Humanistic and Transpersonal Psychology: A Historical and Biographical Sourcebook**-edited by: Donald Moss-Greenwood Press-Westport, CT.-1999.

59 - **Humanistic Education**-edited by: Richard Weller-McCutching Publising-USA-1977.

60 - **Humanistic Foundations of Education**-edited by: Carl Weinberg-Prentice Hall Inc.-New Jersey-1972.

61 - **Humanistic Frontiers in American Education**-Roy Fairfield-Prometheus Books-New York-1971.

62 - **Huna: Ancient Hawaiian Secrets for Modern Living**-Serge Kahili King-Beyond Words Atira Books-USA-2008.

63 - **Hypnosis: A Comprehensive Guide**-Tad James-Crown House Publishing-UK-2002.

64 - **Hypnosis for Beginners**-William Hewitt-Llewellyn Publications-USA-6th Printing-2003.

65 - **Hypnosis: Current Clinical, Experimental and Forensic Practices**-edited by: Dr. Michael Heap-Croom Helm-NY-1988.

66 - **Hypnotism: An Objective Study in Suggestibility-André M. Weitzenhoffer**-John Wiley & Sons-New York-1953.

67 - **Ideas and Opinions**-Albert Einstein-Random House Inc.-NY, USA-1994.

68 - **Initiation**-Alice Bailey-Classic Books International-USA-1st Printing-2010.

69 - **Inner Christianity: A Guide to the Esoteric Tradition**-Richard Smoley-Shambhala Publications-Boston, MA-1st Edition-2002.

70 - **International Dictionary of Physics and Electronics**-Walter C. Michels-Van Nostrand-New Jersey-1956.

71 - **Intersections in Basic and Applied Memory Research**-edited by: David G. Payne, Frederick G. Conrad-Lawrence Erlbaum Associates-Mahwah, NJ. Publication Year: 1997.

72 - **Introducing the Art and Science of Timeline Therapy Techniques**-Tad James-Advanced Neuro Dynamic Inc.-Hawaii.

73 - **Isis Unveiled**-Blavatsky-Theosophical University Press-New York-1881.

74 - **Jung and the New Age**-David Tacey-Brunner Routledge-PA, USA-2002.

75 - **Laotze and the Tao Te Ching**-edited by: Micheal Lafergue & Livia Kohn-State university of New York press-Albany NY-1998.

76 - **Lectures on the Origin and Growth of Religion as Illustrated by the Religion of Ancient** Egypt: Delivered in May and June, 1879-P. Le Page Renouf-Williams and Norgate-London-1884.

77 - **Life After Death: The Burdon of Proof**-Deepak Chopra-Three Rivers Press-New York-2006.

78 - **Life Without Guilt: Healing through Past Life Regression**-Hazel M. Denning-Llewllyn Publications-USA-1998.

79 - **Makers of Psychology: The Personal Factor**-Harvey Mindess-Insight-New York-1988.

80 - **Messages from Water**-Masaru Emoto-I.H.M General Research Institute.

81 - **Meta-Reflections on the History of NLP**-L. Michael Hall-viewed on: www.neuro-semantics.com <Writing> History of NLP 83. Modern Esoteric Spirituality-edited by: Antoine Faivre, Jacob Needleman, Karen Voss-Crossroad Publishing-New York-1992.

82 - **Modern Paganism in World Cultures: Comparative Perspectives**-Michael Strmiska-ABC Celio-Santa Barbara, California-2005.

83 - **Morphic Resonance: The Nature of Formative Causation**-Rupert Sheldrake-Park St Press-U.K-2009.

84 - **Mosby's Complementary Medicine A Research Based Approach**-Lyn W. Freeman & G. Frank Lawlis-Mosby-St. Louis MO-2001.

85 - **My Voice Will Go With You: The Teaching Tales of Milton H. Erickson**-Sidney Rosen-W.W Norton & Company-NY-1991.

86 - **Namaste We Are One-Deborah Hoofer**-Creatspace-2011.

87 - **Natural Grace: Dialogues on Creation, Darkness, and the Soul in Spirituality and Science**-Rupert Sheldrake & Matthew Fox-DoubleDay-New York-1997.

88 - **New Age Hypnosis**-Bruce Goldberg-Llewellyn Publications-USA-1st Edition 10th Printing-2008.

89 - **Opening Doors Within**-Eileen Caddy-Findhorn Press-Scotland-2010.

90 - **Origins of the Kabbalah**-Gershom Scholem-Princeton University Press-Princeton, NJ.-1987.

91 - **Osho: The Luminous Rebel**-Vasant Joshi-Wisdom Tree Publishers-USA-2010.

92 - **Parallel Lifetimes: Fluctuations in the Quantum Field**-JZK Publishing-Washington-2003.

93 - **Past Life Regression: A Guide for Practitioners**-Mary Lee LaBay-Trafford-Canada-2004.

94 - **Philosophers and Religious Leaders**-edited by: Christian D. Von Dehsen-Oryx Press-Phoenix-1999.

95 - **Practising Reiki**-Jennie Austin-Geddes & Grosset-Scotland-1999.

96 - **Presenting Magically**-Tad James & David Shephard-Crown House Publishing-UK-2002.

97 - **Problems of Humanity**-Alice A. Bailey-Lucis PublishingCompany-New York-1st ed.-1947.

98 - **Psychology as Religion**-Paul C. Vitz-Wm. B. Eerdmans-Michigan-2nd Edition-2001.

99 - **Quantum Enigma**-Rosenblum & Kuttner-Oxford University Press-New York-2006.

100 - **Quantum Healing**-Deepak Chopra-Bantam Books-USA, Canada-1990.

101 - **Quantum Physics**-Alastair I.M. Rae-One World Oxford-England-2009.

102 - **Quantum Physics**-Steven Holzner-Wiley Publishing-USA-2009.

103 - **Quantum Physics: Illusion or Reality?**-Alastair Rae-Cambridge University press-UK-2006.

104 - **Reiki Fire**-Frank Arjava Petter-Motilal Banarsidass Publishers-Delhi.

105 - **Reiki The Healing Touch**-William Lee Rand-Vision Publications-Southfeild MI-2004.

106 - **Reimagination of the World: A Critique of the New Age, Science, and Popular Culture**-David Spangler-Bear & Company Publishing-Santa Fe, New Mexico-1991.

107 - **Reincarnation and Karma**-**Edgar** Cayce-A.R.E Press-2005.

108 - **Reinventing Body Resurrecting Soul: How to Create a New You**-Deepak Chopra-Three Rivers Press-New York-2009.

109 - **Render Unto Darwin: Philosophical Aspects of the Christian Right's Crusade against Science**-James H. Fetzer-Open Court-Chicago-2007.

110 - **Science of Being and Art of Living**-Maharishi Mahesh Yogi-Plume Books-NY-2001.

111 - **Self-Empowerment Through** Self-Hypnosis-Carl L. Weschcke-Llewellyn Publications-USA-1st Printing-2010.

112 - **Selling Spirituality: The Silent Takeover of Religion**-Jereme Carrette & Richard King-Routledge-New York-2004.

113 - **Soul & Spirit: Fully Understand Yourself and Your Life**-Edgar Cayce-ARE Press-Virginia Beach, VA-2007.

114 - **Spiritual Healing**-Martin Daulby & Caroline Mathison-Geddes & Grosset-Scotland-1996.

115 - **Sufism in Europe and North America**-edited by: David Westerlund-Routledge Curzon-New York-2004.

116 - **Taking the Quantum Leap**-Fred Wolf-Harper & Row-NY-1989.

117 - **Tao Te Ching**-translated by: David Hinton-Counter point-Washington DC-2004.

118 - **Taoism: the Growth of a Religion**-Isabelle Robinete-translated by: Phyllis Brooks-Stanford University press-Stanford CA-1997.

119 - **Tapping the Healer Within**-Roger Callahan-Contemporary Books-Chicago-2001.

120 - **Telepathy & the Etheric Vehicle**-Alice Bailey-Lucis Publishing-2008.

121 - **Textbook of Transpersonal Psychiatry and Psychology**-edited by: Scotton & Chinen & Battista-Basic Books-USA-1996.

122 - **The Ages of Gaia: A Biography of Our Living Earth**-James Lovelock-The Common Wealth Fund Book Program-USA-1995.

123 - **The Akashic Experience: Science and the Cosmic Memory Field**-Ervin Laszlo-Inner Traditions-Vermont-2009.

124 - **The Brain Revolution**-Marilyn Ferguson-Bantam Books-New York-1973.

125 - **The Call-David Spangler-Riverhead Books-New York-1996.**

126 - **The Celts: A History**-Peter Ellis-Carroll & Graf Publishers-New York-2005.

127 - **The Cognitive Basis of Science**-edited by: Peter Carruthers & Stephen Stich & Micheal Sigeal-Cambridge University Press-Cambridge, England-2002.

128 - **The Columbia Encyclopedia, Sixth Edition**-Columbia University Press-New York-2009.

129 - **The Columbia History of Western Philosophy**-edited by: Richard H. Popkin-Columbia University Press-New York-1999.

130 - **The Complete Works of Chuang Tzu**-translated by: Burton Watson-Columbia University press-New York-1968.

131 - **The Cosmic Self: A Penetrating Look at Today's New Age Movements**-Ted Peters-HarperSanFransisco-New York, NY-1991.

132 - **The Cult of Draupadi: On Hindu Ritual and the Goddess**-Alf Hiltebeitel-University of Chicago Press-chicago IL.

133 - **The Deeper Wound: Recovering the Soul from Fear and Suffering**-Deepak Chopra-Harmony Books-New York-2001.

134 - **The Dictionary of Philosophy**-edited by: Dagobert D. Runes-Philosophical Library-New York-1942.

135 - **The Discovery of the Unconscious: The History and Evolution of Dynamic Psychiatry**-Henri F. Ellenberger-Basic Books-New York-1970.

136 - **The Enneads**-Plotinus.

137 - **The Esoteric Origins of the American Renaissance**-Arthur Versluis-Oxford University Press-New York. Publication-2001.

138 - **The Hidden Dangers of the Rainbow: the New Age Movement and the Coming Age of Barbarism**-Contstance Cumbey-Huntington House-Lafayette, LA-1983.

139 - **The Hidden Messages of Water**-Masaru Emoto-Beyond Words Publishing-Oregon-2004.

140 - **The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth A Historical Perspective**-Irmhild Helene Horn-Unpublished-Ph. D Thesis-University of South Africa-1996.

141 - **The Journal of Parapsychology**-Volume: 71-Parapsychology Press-2007.

142 - **The Laws of Manifestation**-David Spangler-Red Wheel-CA-2009.

143 - **The Living Classroom: Teaching and Collective Consciousness**-Christopher M. Boche-State University of New York Press-New York-2008.

144 - **The New Age Cults**-Walter Martin-Bethany House Publishers-Minneapolis, MN-1989.

145 - **The New Age Movement**-Douglas R. Groothus-InterVarsity Press-Illinois-1986.

146 - **The New Age Movement**-Paul Heelas-Blackwell Publishers-Cambridge, MA-1996.

147 - **The New Age Movement and the Biblical Worldview**-John P. Newport-Wm. B. Eardmans Publishing Co.-Michigan-1998.

148 - **The New Age: Notes of a Fringe Watcher**-Martin Gardner-Prometheus Books-Buffalo, NY-1991.

149 - **The Oxford Handbook of New Religious Movements**-edited by: James R. Lewis-Oxford University Press-NY-2004.

150 - **The Physics of Miracles: Tapping into the Field of Consciousness Potential**-Richard Bartlett-Atria Books-NY, USA-2009.

151 - **The Power of Now**-Ekhart Tolle-New World Library-USA-2004.

152 - **The Rays and the Initiations**-Alice A. Bailey-Lucis Publishing Company-New York-1960.

153 - **The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method**-Carlo L. Lastrucci-Schenkman Publishing-Cambridge, MA.-1963.

154 - **The Scientific Approach: Basic Principles of the Scientific Method**-Carlo L. Lastrucci-Schenkman Publishing-Cambridge, MA.-1963.

155 - **The Scientific Revolution**-A. R. Hall-Longmans, Green-London-1954.

156 - **The Secret Doctrine**-Helena P. Blavatsky-Theosophical University Press-Pasedena, CA.

157 - **The Secret of Creating Your Future**-Tad James-Advanced Neuro Dynamics-1989.

158 - **The Seven Spiritual Laws of Yoga**-Deepak Chopra-John Wiley & Sons-New Jersey-2004.

159 - **The Skeptic's Guide to the Paranormal**-Lynne Kelly-Allen & Unwin-Crows Nest, N.S.W.-2004.

160 - **The Spiritual Laws of Success**-Deepak Chopra-New World Library-CA-1994.

161 - **The Tao of the Tao Te Ching: A Translation and Commentary**-Michael Lafargue-State University of New York Press-Albany, NY-1992.

162 - **The Tao of the West: Western transformations of Taoist Thought**-J.J Clarke-Routledge-London-2000.

163 - **The Tao Te Ching: A New Translation with Commentary**-Ellen M. Chen-Paragon House-St. Paul, MN-1989.

164 - **The Ultimate Happiness Prescription: 7 Keys to Joy & Enlightenment**-Deepak Chopra-Harmony Books-USA-2009.

165 - **The Vision of Buddhism: The Space Under the Tree**-Roger J. Corless-Paragon House-St. Paul, MN.-1989.

166 - **The Way of Peace**-Deepak Chopra-Three Rivers Press-New York, USA-2005.

167 - **The Western Esoteric Traditions: A Historical Introduction**-Nicholas Clark-Oxford University Press-New York-2008.

168 - **The White Book**-Ramtha (JZ Knight)-JZK Publishing-USA-3rd Edition-2004.

169 - **Theater of Disorder: Patients, Doctors, and the Construction of Illness**-Brant Wenegrat-Oxford University Press-New York-2001.

170 - **Timeline Therapy and Basis of Personality**-Tad James & Wyatt Woodsmall-Meta Publications-CA, USA-1988.

171 - **TM Wants You, A Christian Response**-David Haddon & Vail Hamilton-Baker Bookhouse-Michigan-1976.

172 - **Towards a Planetary Vision**-David Spangler-Findhorn Publications-2nd ed.-1980.

173 - **Transcendental Meditation, Relaxation or Religion?**-Ronald L. Carlson-Mood Press-Chicago-1978.

174 - **Transcendental Meditation: Is It Only Meditation?**-Harold J. Berry-Back to the Bible-Lincoln, Nebraska-1976.

175 - **Transpersonal Education: A Curriculum for Feeling and Being**-edited by: James Fadiman & Gay Hendricks-Prentice Hall Inc.-New Jersey-1976.

176 - **Twenty Cases Suggestive of Reincarnation**-Ian Stevenson-University Press of Virginia-USA-5th Printing-1999.

177 - **Virginia Satir: The Patterns of Her Magic**-Steve Andreas-Real People Press-UT-1991.

178 - **What is Being Taught in the Public Schools**-Bertram F. Collins-West Palm Beach, FL-1986.

179 - **What Is Democracy?**-Alain Touraine-translated by David Macey-Westview Press-Boulder, CO-1997.

180 - **What the Bleep Do We Know?**-William Arntz & Betsy Chasse-Health Comunications Inc.-FL, USA-2005.

181 - **Why Some Therapies Don't Work: The Dangers of Transpersonal Psychology**-Albert Ellis-Prometheus Books-NY-1989.

182 - **Wicca's Charm**-Catherine Sanders-Shaw Books-Colorado-2005.

183 - **Wondrous Events: Foundations of Religious Belief**-James McClenon-University of Pennsylvania Press-Philadelphia-1994.

184 - **Journals & Magazines:**

185 - oActs & Facts, 1992 Vol. 21.

186 - oCatholic Family News, Sep. 2003 Vol. 10 Issue 9.

187 - oFree Inquiry. 1997 Vol. 18. Issue: 1.

188 - oThe Humanist, Jan \ Feb 1983.

189 - oThe Humanist, May / June 1992 vol. 53 no. 3.

190 - oThe Watchman Expositor, 1992 Vol. 11 No. 5.

191 - oShare International, July / August 1997 Issue.

فهرس المواقع الإلكترونية

(مرتبة حسب ورودها في البحث)

مدونة كونستانس كمبي.	www.cumbey.blogspot.com
موقع مركز رالف إمرسن.	www.emersoncentral.com
الموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية الـ ثيوصوفي.	www.theosociety.org
الموقع الرسمي للناشر المعتمد لكتاب: (دورة في المعجزات)	www.acim.org
الموقع الرسمي لشركة ديباك شوبرا للقصص المصورة.	www.liquidcomics.com www.thefourwinds.com
الموقع الرسمي ل إكهارت تولي.	www.eckharttolletv.com
الموقع الرسمي لجماعة آيسس.	www.fellowshipofisis.com
الموقع الرسمي للجماعة الهرمسية.	www.hermeticfellowship.org
مواقع تتبنى فكر حركة «العصر الجديد» وتروج للهرمسية.	www.new-age-guide.com www.accessnewage.com
الموقع الرسمي للطريقة الصوفية العالمية.	www.sufiorder.org
الموقع الرسمي لمؤسسة هارنر للدراسات الشامانية.	www.shamanism.org
مواقع للشامانية الحديثة.	www.shamansociety.org www.thefourwinds.com
الموقع الرسمي للشيخ ابن سعدي	www.binsaadi.com
الموقع الرسمي لمريم نور	www.mariamnour.com
الموقع الرسمي لمركز الراشد	www.alrashed.net
الصفحة الرسمية لصلاح الراشد على الفيس بوك	www.facebook.com/salahsalrashed
الموقع الرسمي لروجر كالهان	www.rogercallahan.com
الموقع الرسمي ل جوزيف ميرفي	www.dr-joseph-murphy.com
الموقع الرسمي لمركز مهاريشي الصحي الثقافي	www.maharishitm.org
الموقع الرسمي لقناة mbc	www.mbc.net

www.alrujaibcenter.com	الموقع الرسمي لمركز الرجيب
www.ebfet.org	الموقع الرسمي للبورد الإلكتروني للتدريب
www.mahahashem.com	الموقع الرسمي لمها هاشم
www.s-alshirazi.com	الموقع الرسمي لصادق الحسيني الشيرازي
www.tollyburkan.com	الموقع الرسمي لتولي بوركان
www.firewalking.com	الموقع الرسمي لمؤسسة المشي على الجمر للبحث والتعليم
www.etlak.net	الموقع الرسمي لإطلاق (إشراف سليمان العلي)
www.facebook.com/R.Fakiha	الصفحة الرسمية لرشاد فقيها على الفيس بوك
www.dralabri.com	الموقع الرسمي لحمود العبري
www.avanta.net	الموقع الرسمي للشبكة العالمية لفرجينيا ساتير (أفانتا)
www.nlpcoaching.com www.ancienthuna.com	مواقع تابعة رسمياً لشركة تاد جيمز
www.neurosemantics.com	الموقع الرسمي للمعاني العصبية (مايكل هال)
www.y2sser.com	الموقع الرسمي لسامي نصار
www.saudireiki.net	الموقع الرسمي لجمعية سعودي ريكي
www.synergie-mahanammour.com	الموقع الرسمي لمهى نمور
www.michiokushi.org	الموقع الرسمي لميشيو كوشي
www.jameslovelock.org	الموقع الرسمي لجيمز لفلوك
www.sheldrake.org	الموقع الرسمي لروبرت شلدريك
www.colorado.edu	الموقع الرسمي لجامعة كولورادو
www.fritjofcapra.net	الموقع الرسمي لفرتجوف كابرا
www.whatthebleep.com	الموقع الرسمي لفيلم (ما الذي نعرفه؟)
www.salaminternational.org	الموقع الرسمي لمجموعة سلام الدولية
www.suprememasterstv.com	الموقع الرسمي لقناة السيد السامي
www.thefinalfantasy.com	الموقع الرسمي للعبة الخيال الأخير
www.square-enix.com	الموقع الرسمي لشركة سكوير إنكس
www.konami.com	الموقع الرسمي لشركة كونامي
www.esrb.org	الموقع الرسمي للجنة تصنيف البرامج الإلكترونية الترفيهية

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الثاني

أفكار حركة العصر الجديد وعقائدها الباطنية

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

ابرز تطبيقات حركة «العصر الجديد» وآثارها في الواقع

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة